



حجة

الله

المآلغة

الإمام الدهلوي تحقيق: السيد سابق

دار الفکر

حجة الله البالغة

للإمام الكبير الشيخ أحمد
المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي

حَقَّقَهُ وَرَاجَعَهُ
السَّيِّدُ سَابِقُ

السَّجَنَةُ الْأَوَّلُ

وَالرَّابِعُ



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005م - 1426هـ

دار الجليل

للنشر والطباعة والتوزيع

ISBN: 9953-76-021-8

بيروت، البوشرية - شارع القربوس - ص.ب. : 8737 (11)
حاتف : 629950 - 629951 / 629952 / فاكس : 629953 (009611)

E.mail: daraljalil@alisco.com.lb.

Website: www.daraljalil.com

الطاهرة، حاتف : 5363659 / فاكس : 5470032 (00202)

تونس، حاتف : 71922644 / فاكس : 71922634 (00216)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

مكتوب الخجة الله تبارك في عدم أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي، المؤلفة لإمام شيخ الإسلام ولي الله دهلوي، كتاب نادر في باب، مبتكر في موضوعه، واضح في أسلوبه، يتسم بتساعده لغيره، وفرد، المعاد، وسلامة المنطق، وسوج الحجج، ويشهد لمؤلفه بأنه أحد عمادة الفكر الإسلامي والعلم العقلي.

وقد ضيع من هذا الكتاب مئزر ثلاث طبعات غدت كلها، فتعدت أن تقدمه للمكتبة الإسلامية نياحة، مكتبة في العلم الإسلامي كما أخذ مكانه في الهند، فإنه لا يزال مشهوراً في المكتبات الجامعية والمعاهد العليا هناك إلى يومنا هذا.

وقد رجعت هذه الطبعة على النسخة المندرجة في المطبعة الأميرية، وتحتار عنها بحسن السيل، وحال الإخراج، وحسن الآيات وبيان أوقافها وسورها.

وقد ودنا عليها، ما عشت الحاجة إليه، من مسطر بعض الكلمات، ومناقشة بعض الأذكار، والتعليق عنها في ضوء ما أسفر عنه العلم الحديث. ولم نكثر من هذا التعليق معاً للإطالة، نظراً لخصائص الكتاب، واتقنا بالتعليقات الموجودة على هامش النسخة الأميرية التي كتبها بعض العلماء الهنود.

وقد أردنا أن نحقق الأعلام والأحداث السنية فيه، ولكننا وجدنا أن هذا يحتاج إلى كتاب مستقل أكثر، نأخذ بإخراجه عندما نؤيد، كفرصة ويسع الوقت.

ومعرض فيسبني لأمر لا بد من تحديقها من هذا التمهيد، وهو:

1 - تاريخ الإسلام في الهند.

2 - تاريخ الإسلام في الهند.

3 - آداب تقلص من الدعوة الإسلامية في الهند.

4 - عصر ولي الله الدهلوي.

5 - الحياة العلمية والاحتماعية في هذا العصر.

6 - حياة المؤلف ونشأته ومكانته العلمية ومؤلفاته ودوره في الإصلاح

❁ الإسلام في الهند

بدأ فجر الإسلام بطلع على الهند وبدأت أشعته تنعمر هذه البلاد الرحبة الفسيحة في وقت غير متأخر عن صير الإسلام، وإنما كان في عهد الخلافة الراشدة، التي بدأ فيه الإسلام يزحف شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وبدأت موجاته تجتاح الحدود والسدود ممدة في الدنيا كلمة الله ومبشرة بدينه.

وأم تكن شبه جزيرة الهند منقطعة عن جزيرة العرب، منزلاً الرحي ومهيط الرسالة ومشرق التور، فقد كان ثمة تجارة بين العرب والهنود منذ أقدم العصور.

فقد كان تجار العرب يرتادون شواطئ الهند الغربية، ويبحرون من سيراف والأبله⁽¹⁾، ويسؤون بشواطئ الهند الغربية وجزيرة سرنيب حتى يصلوا إلى شواطئ الهند الشرقية، ومن هناك كانوا يبحرون إلى الصين. وبقيت هذه الصلات التجارية قائمة حتى جاء الإسلام فدخل الهند في العهد المبكر مع التجار المسلمين العرب.

وتم تكن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي دخل بها الإسلام هذه البلاد، وإنما كانت هناك وسيلة أخرى. فقد قامت حملات عسكرية في عهد عمر بن الخطاب إلا أنها لم تأخذ شكلها القوي إلا عام 92 هجرية حين دخل محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند⁽²⁾ الواقعة على شاطئ الهند الغربي الشمالي، وفتح الطريق لسيطرة الدولة الأموية على مساحة واسعة من الهند.

وبقي الوضع كما هو في عهد الأمويين والعباسيين، فلما أخذ الضعف يدب في الدولة العباسية وأخذ نفوذها يتقلص شيئاً فشيئاً، حيث استغل بعض الأمراء هذا الضعف فأستقروا بحكمها. وبقي الأمر هكذا حتى جاء محمود الغزنوي (389 - 421هـ) إلى الهند من جهة الحدود الشمالية الغربية، ووجه حملات من (غزنة) ونابيهما حتى أخضع (حكمه) جزءاً كبيراً من أرض الهند.

وقامت الدولة الغورية بعد الدولة الغزنوية، وسادت على خضتها في الغزو والفتح وتطهير الأرض من الوثنية لعبادة الأصنام.

(1) دولتي نيمية في الخليج العربي.

(2) المنطقة التي تكمن بينستان الغربية اليوم

ثم تناهت الحملات حتى أصبحت الهند كلها خاضعة لحكم العدوك المسلمين،
وتخلدوا، ولهم عاصمة لها.

فما جاءت الدولة القيصرية أو الدولة المغولية سنة 932هـ (1526 ميلادية) كان الأمر
قد استقر، وبلغ الحكم الإسلامي أوجّه، واتسع نطاق الدولة، فتنظمت الهند كلها وزادت
قوتها وازدهرت فيها الحضارة. ولغقت الهند من المجادة والسيادة إلى الحد الذي ظلّ فيه
وسول جيسس الأول ملك إنجلترا أكثر من ستين في الهند يحاول مقابلة الإمبراطور
(جهانكير) فلم يتم له شرف هذه المقابلة⁽¹⁾، فتوكل في خراعة أن يأخذ كتاباً منه يعمل
إلى إنجلترا، فردّ عليه الوزير الأول قاتلاً: «إن مما لا يناسب قدر ملك معروف مسلم أن
يكتب كتاباً إلى سيّد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون باليون».

إلا أن أمر الدولة بدأ يفسد بعد الإمبراطور «أورنجزيب» الذي وحّد الهند كلها
تقريباً تحت رايته، وحكم البلاد حكماً إسلامياً حازماً. فقد جاء بعده أباطرة ضعاف كان
تجلّ عنهم إتفاق المال في الترف والبدخ ولذائذ العيش ومتع الحياة.

فأخذت الدولة تضعر وظلّها يتفكّص شيئاً فشيئاً، وأخذ الأمراء يستقلّون بالولايات،
وانبثقت القرص لأمراء السّبع أن يحاربوا الدولة وينقصوها من أطرافها ويقنعوها لهم من
جسمها الكبير ممالك وولايات.

وما زال هذا الضعف يسري في جسد الدولة، وهذا التفتت يعمل على نقص وحدتها
حتى ذهب سلطانها، وقبض نفوذها. ووجد الإنجليز الفرصة مواتية لبسط نفوذهم وكانوا من
قبل على علم وصحة وثيقة بالبلاد عن طريق شركة الهند الإنجليزية.

كانت الفرصة متاحة للإنجليز، فتدخلوا في حكم البلاد بطريقتهم الماكرة وأسلوبيهم
المثبوي ونفوذهم الاقتصادي، ووضعوا، بلديهم على الدخّل، وما زال نفوذهم يقوى
وسلطانهم يشتدّ حتى دخل الإمبراطور المسلم القابع على مرضه في دائرة نفوذهم ونحت
سيطرتهم.

لم يكن المسامحون لهذا الدخّل، ولم يبرصوا عنه، ولم يستسلموا استسلام الخانع
الليل، بل قاوموا هذا الدخّل، وقاموا بثورات ضد هذا العدو الدخيل، وتكس بعد قوت
الأوان.

فقد كان الإنجليز أعنوا أنفسهم الإعداد الذي يسهّلهم من السيطرة وبسط النفوذ، في

(1) كان ذلك يومئذ قدس السبع عشر.

الوقت الذي كان فيه مرض الشيخوخة قد دبَّ في أعصاب الدولة، فأعجزها عن المقاومة وأُخذها عن النهوض وحال بينها وبين الظُّفر والانتصار.

وكان من أواخر هذه الثورات الثورة العاتية التي قامت لإغلاذ البلاد سنة 1274هـ (1857م) إلا أنها كانت مثل الثورات التي سبقتها.

وبعدها أعلنت الملكة فكتوريا ضمَّ الهند لمستعمرات التاج البريطاني، وبقي الإنجليز أصحاب الأمر والنهي والحول ولطول في هذه البلاد، ولم يخرجوا منها إلا في السنوات الأخيرة بعد أن فسوها إلى دولتين: الباكستان، والهند.

❁ آثار الإسلام في الهند

لقد قضى المسلمون في الهند أكثر من سبعة قرون كان لهم فيها السيادة والحكم. وبالرغم من أن الملوك الذين حكموا لم يكونوا يُعْتَمَدون الإسلام الصحيح؛ إلا أن الإسلام قد نقل الهند وطورها تطويراً جليداً، ويمكن تلخيص الآثار التي تركها الإسلام فيما يلي⁽¹⁾:

- 1 - وصل الإسلام الهند بالبلدان الخارجية، حتى ازدهرت فيها الملاحة والتجارة البحرية التي كانت مفقودة فيها منذ قرون.
- 2 - بسط الأمن جناحيه في أكثر بقاع الهند، ولا سيَّما أقطارها الشمالية، وذلك لم يكن منيئاً قبل حلول المسلمين.
- 3 - تكوَّنت وحدة سياسية بتأسيس قسم واحد من الحكومة في أقسام الهند جميعها.
- 4 - اتحدت الأوصاف والملابس في الطبقات العالية والمتوسطة من غير ما فرق بين المسلمين والهندوس.
- 5 - نشأ فن جديد محترم من الفنون الهندية والصينية، وكذلك تكوَّن فن حديث بديع في البناء، وترقَّت صناعات حديثة أخرى من الطراز العالي.
- 6 - ظهرت لغة مشتركة مستمدة بالهندوسانية (وهي الأردية)، وكذلك راج أسلوب خاص في الإنشاء بالدوائر الرسمية أنتجته الكتاب الهندوس العامنون فيها، وأزاد هذا الأسلوب وواجباً حتى استعاره كُتَّاب اللغة الرسمية في كتاباتهم ونسجوا على منواله.
- 7 - تسكَّنت اللغات الأهلية من النبيع والانتشار تحت ظلال الحكومة المركزية في دلهي، ولم يتسرَّ ذلك من قبل

(1) من مجلة «الضياء» للاستاذ سمير النوري.

8 - التجديد الديني وظهور المتصوفة أيضاً سبباً لقدوم المسلمين ورسوخ أقدامهم في الهند.

9 - ازدادت الكتب التاريخية وأُتسِع نطاقها حتى أصبح التاريخ فناً مستقلاً

10 - كل ما حصل من الرقي في فنون الحرب وأدوات الحصار يرجع فضلُه إلى الحكومات الإسلامية.

❁ تَقْلُصُّ ظِلَّ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْهِنْدِ

ومع أن الإسلام لبث في الهند زهاء سبعة قرون، وفرك فيها كل هذه الآثار، وكان فيها الحاكم الذي لا يعلو على سلطان سلطان، وكان يمكن في هذه الفترة الطويلة أن يحو الرقبة من شبه الجزيرة الهندية ويقضي على كل لون من ألوان الخرافات والمعتقد التي لا تتلاقى مع العقل ولا تتفق مع المنطق، كعهد الإسلام في كثير من البلاد التي حكمها، إلا أن ثمة موانع حالت دون تحقيق هذا الهدف.

وهذه الموانع نعرض لها الأستاذ مسعود الندوي في كتابه فتاويخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان، فقال:

إن الملوك الذين دخلوا الهند في القرون الأربع للهجرة وما بعدها ما اهتموا بدعوة الإسلام في قلوب ولا كثير، وإنما كان جُنْهُم توطيد الملك وإتقان الأموال في الترف والبذخ ولتلاطف العبيث ونسج الحياة الدنيا الفانية.

وَلَمَّا تَمَرَّ الْحَقُّ، أَتَاهُمْ نُو اعْتَرَا بدعوة الإسلام ونشر كلمة الحق بمغشراً ما عَنُوا به من تشييد بنيان الملك وتوطيد دعائم العز الزائل، لَمَذَلَّت الأرض غير الأرض والعدم الكفر من بلاد الهند قاطبة. والذي فراه اليوم من اسم الإسلام في هذه البلاد وارتفاع كلمته في بعض أقطارها، فالفضل فيه يرجع إلى العلماء والشايخ الذين هجروا أوطانهم في بلدان الإسلام ودخلوا الهند دعاء مرشقين، وخالفوا أهلها وعاشروهم ولَقَّنُوهم مبادئ الدين الحق، وعلموهم دَرب الإسلام، فقاتر سكان البلاد بأخلاقهم الزكية وسجاياهم العالية، واختاروا الإسلام ديناً لهم عن طيب نفس وإشراح صدر.

لكن أفعال بعض دعاة الحق والسلام من التجار والعلماء والشايخ لا تُبَرِّئ ساحة الملوك المسلمين وأصحاب السلطان منهم من ثَبَتَ هذه الغفلة المشكورة والتهاون الشنيع في أمر الدعوة.

وإن ننس، فَمَا لَا نُنْسِ أن بلادنا قد حُرِّمَت أقدام المُتَمَتِّعِينَ من العرب، ممن تشرَّفوا بصحبة النبي ﷺ أو استفادوا من أصحابه الكرام رضي الله عنهم، الذين ما دخلوا فطراً إلا

أثروا فيه تأثيراً ومسخوه بصيغتهم الإسلامية العربية ينقلوه تبديلاً. والذين جاؤوا منهم إلى بلاد الهند وقصروها لم يعد زمن ملكهم ولا توغثوا في داخل البلاد. وإنما أبقيت بلادنا برجال وجماعات من المغول والترك الذين دخلوها فاتحين ولم يكن لهم علم بعبادى الإسلام ولا بغوايته الاجتماعية، وذلك أنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام، فلم تخاطب قلوبهم شاشة الإحسان بعد.

وكاد ذلك من أسباب تقصص ظل الدعوة الإسلامية في الهند وانتكاس رايتهاء وعدم سيرها على المنهاج القويم المعتدل. هذا والسبب.

والثانية أن الذين أسلموا من أثر من الحضارة الهندية لم يكن بتربيتهم وتثقيفهم على آداب الإسلام وأخلاقه العالية، فبقيت الآلاف المؤلفة من أولئك متمسكة بعاداتهم ورسومها الوثنية وشعائرها المتوارثة المسافقة لروح الدين الحنيف وتعاليمه الفاضلة الطاهرة.

والثالثة أن المنتماء والمتمسك بالدين ودعوا الهند في عهد الملوك المسلمين وسرو فيها العلم. كان جأهم - إن لم يكن قتلهم - من علماء ما وراء النهر، الذين كان معظم اعتمادهم على كتب المتأخرين من فقهاء الحنفية، فما كانوا يعنون بدراسة القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف إلا تحلة القسم. وما زاد اظطرب منه أنهم كانوا جد مواهبين بخرافات اليونان وعقوهم التي أكل عليها الدهر وشرب، حتى إنه لم يبق في بلاد اليونان نفسها من يعرف اسمها وروحها، فأصبح ملوك الهند يتكلمون في ظلمات علوم اليونان، ويحكموا تنقوا منها قليلاً، انصرفوا إلى كتب في الفقه لا تُسمن طالب العلم في علمه ولا تُغني من جوع، وأكثروا على أسفار في الفروع والخرافات لا تروي الغليل ولا تنقي العليل.

والرابعة أن الحكومات الإسلامية التي قامت وازدهرت في الهند، كانت كلها ملكاً شخصياً أرسطراطياً لا يستند إلى الشريعة الإسلامية، ولا يتقيد بقوانينها وأحكامها إلا قليلاً، فما كان من حكم أولئك الملوك إلا أن يروا مصالحهم مرفعة الأعلام، شاذة الذوق، مسبوكة الكتابة. عزيزة الجواب، ينفذ لها الأوامر، وتخضع لها شعوب الهند المختلفة، سواء عليهم في ذلك أضرعت راية الإسلام أم انتكست.

هذه هي الأسباب المهمة والموامل الجوهريّة التي سببت تقصص ظل الدعوة الإسلامية في الهند، وأفضت إلى بقاء الجزء الأكبر من سكانها متمسكاً بعقائده الوثنية، غارقاً في لجاج الشرك والأوهام الجاهلية. وكذلك كان لها تأثير في بقاء الذين أسلموا منهم على عاداتهم وتقاليدهم وعدم اصطباغهم بصبغة الإسلام و آداب الإسلام.

وجاء جزءاً على إرادة تأثر المتأخرين والصوفية من المسلمين بعالمهم المتصوفة من البراهمة، فنشأ فيهم القاتنون بتفطريات وحلج النجوس والحلول، والمُتبعون لمتصوفة الهندك

في رحاباتهم الباطلة ورياضاتهم المخالفة لما جاء به الدين الحنيفي، من نظام للحياة معتدل، جامع بين حسنات الدنيا والآخرة.

❁ عصر المؤلف

ولقد كان للمعلم دور كبير في الإصلاح، إلى يرجع الفضل في بقاء الإسلام إلى يومنا هذا في الهند، وليشيخ الإسلام ولي الله الله عليّ الخلد في هذا الجانب.

فقد كان عصر المؤلف عصر أزمات واضطرابات في كل جانب من جوانب الحياة، سواء أكان سياسياً أم شلياً أم اجتماعياً.

ولئن نظرنا عبارة على كل جانب من هذه الجوانب،

❁ الجانب السياسي

في تلك الفترة التي نشأ فيها المؤلف كانت الإمبراطورية المغولية، التي امتدت من بكين إلى بولندا ومن بغداد إلى غابات سيبيريا، قد تفككت أرسالها، واضمحلت بناؤها، وصار الضعف في أجزائها، وجلس على عرشها ملوك ضعفاء مضطربون ليس لهم من السلطة إلا اسمها، فهم من طراز الخلفاء أساسيين في بغداد في العهد الأخير، فقد كانوا كالأيتام بين أوصياء لهم، لا يملكون من أمرهم شيئاً، يتفرون ويخزون كيتلج الشطرنج.

واضطرب جبل الدولة، وكثرت الغن والمصائب، وتار الأمراء وولاة المقاطعات، ومما ساعد على ذلك تزايد القوة البريطانية في الهند.

وأصبح الإسلام مُعرضاً لخطر الانكماش والتفكك من أثر تزايد التأثير الغربي. وبدأ يظهر بوضوح ضعف الأنظمة المحلية من القانون والنظام القضائي بمقارنتهما بالقانون الإنجليزي المصم. وإذا هذا فقد تار الأمراء وولاة المقاطعات على الحكومة المركزية واستبدروا بالأمر درتها.

وتطلّع أمراء الهندك وزعمائهم إلى استرداد ملك آبائهم، ونجحت طوائف جديدة في مختلف أقطار البلاد التي تدارع الحكومة المغولية والتي لا تكاد تدعى لأمرها.

ومما يدل على مدى الاضطراب والتدخل القوضي في البلاد، أن الشيخ هانر نسمة ملوك لا هم لهم إلا السيطرة على الحكم وانتزع بالشهرات. لقد توفي أورنجزيب وعمر الشيخ أربع سنوات، وعاش حتى عامر بعده عدة ملوك آخرين، آخرهم شاه عالم ثاني.

❁ الجانب العلمي

1 - وكما وقع الاضطراب في الجانب السياسي فقد وقع مثله في الجانب العلمي.

فقد كان علم الكلام - وهو قوام الدين - يعتمد على الفلسفة اليونانية وتعليقاتها . وقد أسند ذلك التوحيد الإسلامي وأحاطت حجوم الجتهالة بالعقيدة .

2 - أما التصوف، فكان يعتمد على الرسوم والشعار التي لا تهذب نفساً ولا ترفع رأساً، والتي لا صلة لها بالإسلام . وكان كل ما يتصل بقضاياهم الحلول والاتحاد .

3 - وكان اتقه يعتمد على المذهب الحنفي وفروعه، وكان هذا المذهب مقدساً عند الهنود كأنه مُنزَّل من عند الله .

ولم يكن للشعب اتصال مباشر بالكتاب والسنة . وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه ، بحجة ضُمورة فهمه بالنسبة للعامة وخوف التحلل منطهم الروحية وسيادتهم المنيية .

يضاف إلى ذلك كله أن ثقافة علماء الهند ضمنية وضئيلة في العلوم الدينية ، وبضاعتهم مُزجاة خصوصاً في الحديث .

❁ الجانب الاجتماعي

كان من نتائج الغرض السياسية والعلمية أن جمهور المسلمين لم يُغن الملوك ولا رجالاً حاشيتهم بتربيتهم ، ولم يهتموا بتفقيهم وإشاعة الوعي الثقافي بينهم وتنشئهم على الأخلاق الإسلامية ، بل جعلوهم حائذ على الحكومة ، مخافة أن تنشأ حركة تتحدى الحكومة وتثير الأهالي لتلوث في وجه طغيانهم وجبروتهم .

في هذا الجو كُتب بالغموم وما لابس من أسلثات ، ظهر الشيخ ولَّى الله ، فطلع كما يطلع الفجر ، وأتى ليظهر عقيدة الإسلام الأصلية ويظهر حقائقه مما علن بها من أباطيل وأوهام ، وليضرب مثلاً رائعاً في العلم والإصلاح والنعمن الفلسفي باحثاً من المعاني والأفكار .

فمن هو هذا الشيخ ، وما تاريخ حياته ، وآثاره في الإسلام ؟

❁ حياة المؤلف

❁ اسمه ولقبه وشهرته

اسمه : أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي

ولقبه : قطب الدين . ولقب بذلك بسبب أن الشيخ فطب الذين يختار الأرضي رأى رؤيا صالحة للشيخ عبد الرحيم : رأى أنه سيولد له ولد صالح ، ورغب أن يسميه باسمه إذا

تحققت رؤياه. فلما وُلد المرلود وتحققت الرزيا، لُقِب بهذا اللقب. وكانت ولادته ليوم الأربعاء 14 شوال سنة 1114هـ (1704م) ببلدة دلهي، وتُوفي بها رحمه الله في شهر الله المحرم سنة ست ومِعين ومائة وألف، ودُفِن عند والده خارج البلدة، وله ثنتان وستون سنة.

وشُهرته التي اشتهر بها هي شاة⁽¹⁾ ولي الله.

❖ نسبه وأصوله

وهو حسب نسب، إذ إنه أباه من حفلة السيد ناصر الدين الشهيد، وله مشهد ببلدة اسوني بته وهو مشهد معروف يُزار.

رجله الشيخ رجب الدين العمري الشهيد حفيد للسيد نور الجبار المشهدي، وهو مُتصل بالإمام موسى الكاظم.

وأبوه الشيخ عبدالرحيم. وهو من وجوه مشايخ دلهي ومن أعيانهم. ومن العلماء الممتازين الذين راجعوا الفتاوى الهندية المشهورة. وله حظ وافر من العلوم مع علو كعبه في عدة فنون وخصوصاً في التصوف. وقد وقع الاتفاق على كمال فضله بين أهل العلم والمعرفة وانتهى إليه المودع وحُسن السمات والتواضع والاشتغال بخاصة النفس.

❖ دراسته

يمكن تقسيم مراحل دراسة الشيخ ولي الله إلى ثلاث مراحل:

- 1 - المرحلة الأولى: وقد حفظ فيها القرآن الكريم وبشء لم يتجاوز السابعة.
- 2 - المرحلة الثانية: وفيها درس على والده علوم زمانه، وهي: اللغة والتفسير والتحديث والفقه والأصول والتصوف والعقائد والمنطق والطب والفلسفة والهيئة والحساب. وأتم ذلك وبشء 15 سنة.

وحينما توفي أبوه سنة 1931هـ (1719م) قام بالتدريس بمدرسة أبيه (الرحمبة) واشتهر بالتفوق فوجد عليه الطلاب من كل ناحية.

- 3 - المرحلة الثالثة: وهذه المرحلة لم تتجاوز العامين. فقد وحل إلى الحجاز سنة 1143هـ وعاد منها إلى الهند سنة 1145هـ.

وفي خلال هذين العامين اللذين أقامهما بالبحرين الشريفيين صُحِبَ العلماء هناك

(1) شاة كلمة فارسية معناها هناك، يُلَقَّب بها السوفية والشيخ. ولما كان الإمام ولي الله من بيوت التصوف والطريقة منذ القدم، فقد لُقِب هو وأبوه وأجداده كلهم بهذا اللقب.

وظلمة على كبار شيوخ ودرّس الحديث وغيره من العلوم، كما أذى قريضة الحج. وبعد موته استأنف حياة الجهاد، فأخذ ينشر عنه على الناس، واشتغل بوظيفة التدريس والتأليف في بيت أبيه أولاً، فلما كثّر طلابه واشتهر أمره أعطاه السلطان محمد شاه بناء كبيراً للمدرسة وافتتحها بنفسه، واشتهرت (بدار العلوم)، فخرج علماء ممتازين على عراة في العلم والعباد.

مكانته العلمية

وكان استهزاء الشيخ رضي الله وتغايبه في العلم وإقباله على الله من الأسباب التي جعلته غامراً في الأعلام واحداً من الأئمة، ومُعَلِّحاً من المصنّحين، ومُعَلِّحاً من شيرة وحالات التعبد.

وقد بلغ منزلة لا تقل عن المنزلة التي بنمها شجرة الإسلام القرآني وشيخ الإسلام ابن كتيبة.

وقد جمع الله له من العلوم والمعارف ما جعله سيّد قومه عبر مراح:

وفي اللغة: كان من كبار علماءها، وكان يُحسّ العربية والقارسية بإحدى أبنائه.

وفي الفقه: اهتم بدراسة المذاهب الأربعة وأصولها، ونظر في الأحاديث التي يعتمد عليها أصحاب المذاهب في بناء الأحكام، ورعى منها طريقة لفقهاء المُحَلِّين.

وفي الحديث: جمع المتنون وسبّط الأسانيد حتى قيل إنه لم يتفق لأحد مثله، ممن كان يعني بهذا العلم من أهل قُطْرِهِ ما اتفق له من رواية الحديث وإشاعته.

وفي تفسير القرآن: توفّر له من حظ كبير، وفي تفسيره (الفوز الكبير) شاهد علم عالم به في هذا الفن.

وفي أصول الفقه: شرح أصول المذاهب المختلفة وجمعها، وبين الفرق بين الأمور لجلية وأصولية الفقهية، ردّد وحرو الاستنباط على كثرتها إلى عشرة، وأسس قواعد لجمع بين مختلف الأدلة وبين قوانين الترجيح.

وفي علم المقاصد وأصول الدين: ردّد لعقيدة إلى ما كانت عليه على عهد السلف، ونقّاه من الشوائب التي لحقت بها.

وأما آداب السلوك وعلم الحقائق: فإن له فيها مجالاً واسعاً ومُتَدَنّاً فيصيحاً، وليس أدل على ذلك من آثاره العلمية التي تركها، والتي تبلغ حوالي مائة كتاب ورسالة بالعربية والقارسية. ويبدأ بالي تذكر بعض هذه الكتب التي نل على سعة أفقه وغزارة علمه.

❁ من مؤلفاته في التفسير

- «فتح الرحمن في ترجمة القرآن» بالفارسية، وهي على شاكلة النظام العربي في قلد الكلام ونصوص اللفظ وعمومه وغير ذلك.
- «الزهرابين»: في تفسير سورة البقرة وآل عمران.
- «الفوز الكبير»: في أصول التفسير، ذكر فيه العلوم الخاصة القرآنية، وتأويل الحروف المقطعات، وحقائق أخرى.
- «تأويل الأحاديث»: رسالة تقيسة له بالعربية في توجيه قصص الأنبياء عليهم السلام، وبين مبادئها التي نشأت من استعداد النبي وقابلية قومه، ومن التدبير الذي دبرته الحكمة الإلهية في زمانه.
- «الفتح المنير»: وهو الجزء الخامس من «الفوز الكبير»، اقتصر فيه على غريب لقرآن وتفسيره بما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.
- رسالة تقيسة له بالفارسية: في قواعد ترجمة القرآن وحل مشكلاتها.
- ستهيته على فتح الرحمن: جمعها في رسالة مفردة له.

❁ ومن مصنفاته في الحديث وما يتعلق به:

- «المصنفى شرح الموطأ»: برواية يحيى بن يحيى اللبتي، مع حذف أقوال الإمام مالك وبعض بلاغياته. وتكلم فيه كلام المجتهدين.
- «المُسَوَّى شرح الموطأ»: مكثفياً فيه على ذكر اختلاف المذاهب وعلى قلد من شرح التريب.
- شرح تراجم الأبواب للبخاري: أنى فيه بتحقيقات صحيحة وتذييلات غريبة.
- «التواتر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر».
- «الأربعين»: جمع فيه أربعين حديثاً قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، رواها عن شيخه أبي طاهر بسند المتصل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- «الدر السمين في مشرات النبي الأمين».
- «الإرشاد في موهبات الأستاذ».
- «إنسان المن في مشايخ الحرمين»: رسالة بسيطة له في الأنايد بالفارسية، مشتملة على تحقيقات غريبة وتذييلات صحيحة.

❖ ومن مصنفاته في أصول الدين وأسرار الشريعة وغيرها:

«حجة الله البالغة» في علم أسرار الشريعة ولم يتكلم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه من الأسرار الأربعة ومفردات وأسماءها، ثمفصلات والمصاديق واستنباح المقامات.

«إزالة الحجاب عن خلاصة الخلفاء» كتاب عظيم النظم في بيان ما لم يؤلف مثله قبله ولا بعده، يدل على أن صاحبه بحر زاهر.

«فراة المؤمنين في تفضيل الشيخين» بالفارسية.

«حسن العقيدة» رسالة مختصرة له في ثغاف بالعبودية.

«الإتصاف» من بيان أبواب الاختلاف بين الفقهاء والمجتهدين.

«عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والميلاد».

«البدور المنيعة» في الكلام.

«الخدمة المثينة في انصار التوفيق السنية».

❖ ومن مصنفاته في الحقائق والمعارف والسلوك وغيرها:

«المكتوب المدني» لمراسم إسماعيل بن عبد الله الرومي في حقائق التوحيد.

«لطاف القدس في لطائف القدس».

«لقوك الجميل في بيان سواء السبيل» في سلوك الطرق الثلاثة المشهورة الفاجرية والحشوية والفتشية.

«الانبياء في سلاسل أنبياء الله» كتاب مبسوط في شرح السلاسل المشهورة وغير المشهورة.

«الهيئات» رسالة نمية بالفارسية في بيان النية إلى الله.

«المبهمات».

«السطحات» في بعض ما ناقض الله على قلبه.

«الهوامع» في شرح الحزب السمر على لسان الحقائق والمعارف.

«شفاء القلوب» من حقائق والمعارف.

«التخير الكثير».

«التفهيمات الإلهية».

«فيوض الحرمين».

- رسالة له بالمرية: في جواب مسائل الشيخ عبد الله بن عبد الباقي الدهلوي صلي الله عليه وسلم الذي انقضه كشفه.

❖ ومن مصنفاته في الفقه والأدب:

- «سرور المعزوز»: مختصر بالفارسية، ملخص من فنون العميون في تلخيص سير الأئمة و«المأمون» لابن سيد الناس، صنفه بأمر الشيخ الكبير جان جانان الدهلوي.
- «أنفاس العارفين»: رسالة بسيطة له تشتمل على تراجم أئمة والكتب من أسرته، وعلى تزيينهم وبعض وقائعهم وأدبهم ومعارفهم.
- «أطيب النعم في مدح سيد العرب والعجم» شرح فيه بآيت.
- رسالة له: شرح فيها رباياته بالفارسية.
- «ديوان الشعر العربي»: جمعه ولله الشيخ عبد العزيز ورثه الشيخ دمع الدين.

❖ دوره في الإصلاح

هذه بعض آثار المؤلف العلمية. أما دوره في الإصلاح، فقد كان لهذا الإمام دور كبير فيه، ينظر رأي أن بناء الدولة الإسلامية يكاد ينهار - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - فقام هو وتلامذته لينقذوا ما يمكن إنقاذه، ووثق جهاده في التدريس والتأليف وتفتيح لغة الناس وخاصتهم، وكان بروحه تصوفية وأرائه الحليّة في فهم القرآن والحديث، وختمته على التقليد الأعمى والتزوّج والجمود، صاحت مدرسة عظيمة كان لها أثرها في تطور الفكر في الهند، حتى إن أولاده وتلامذته ساروا على نهجه، وانتسبوا إلى مدرسته ولا زالوا متبشرين لها إلى الآن.

ولمّا كان كثير من هؤلاء العلماء المتشبهين إلى مدرسته الفكرية الصوفية قد ثروا تأثيراً كبيراً في مجرى الحياة، وفي حوادث الهند وثرونها، فإنّ شاء ونشأ الله قد غداً رأس هؤلاء المجاهدين في سبيل الله.

ولا يتسع المجال لسرد أفعال هذا الرجل العظيم، فإن استغناء الكلام في هذا الموضوع مما لا تتسع له هذه الصفحات، ولكن يمكن حصر الأعمال العظيمة التي نهض بها بسايلي.

1 - في جانب السياسة والحكم: ألّف كتابه المستع «إزالة الخفا عن تاريخ الخلفاء» أيت فيه فضل الخلفاء الراشدين المهديين، ويثبت فضلهم على الأمة، كما أوضح فيه خصائص الدولة الإسلامية وأسباب نهوضها وهبوطها، ومفضل القول عن أسس الحكومة الإسلامية وواجباتها ومسؤولية القائمين بها.

2 - وفي جانب العقائد: أرشد إلى الحق، وبيّن أسرار الشريعة وما في النصوص من السماوي السامية والتوجيهات الحكيمه، مما كان له أثر في لفت أنظار العلماء إلى فساد الرأي الذي كانوا عليه منذ عدة قرون.

3 - وفي جانب درسته القرآن الكريم: دعا إلى تدبّر معانيه، والوقوف عند حكمه وأسراره وأحكامه، وصنّف كتاباً جاسماً في أصول التفسير فاشجّه النّادرسون وأهل العلم إلى هذه النّحية من دراسة القرآن الكريم، وتدبّر آياته والاعتناء بهديه، بعد أن كانوا لا يهتمون بهذا الجانب ولا يميّزونه الضّائعاً.

4 - دعا إلى الإعتماد بالكتاب والسنة، وترك التقليد وهدم الأخذ بأقوال الفقهاء إلا بعد البحث والتحقيق ومعرفة حججهم.

وكانت فكرته في أساسها التوفيق بين المذاهب، فإنّ تَعَدُّ ذلك أخذ بما يوافق الأحاديث الصحيحة ورجحه على غيره، وأوضح ذلك في كتاب «الإنصاف في بيان سبب الاختلاف» وفي كتابه هذا «حجة الله البالغة».

5 - بذل أقصى جهده في علوم السنة ونشرها بين الناس، فشرح «الموطأ» و«تراجم أبواب صحيح البخاري»، وكتب رسالة بأسم «المفضل السّنين من حديث النبي الأمين».

6 - كان الناس يجهلون اللغة العربية جهلاً تاماً، فترحم ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته إلى اللغة الفارسية⁽¹⁾ ليقيم العامة معناها عند القراءة بأصحه العربي.

7 - لاحظ أن العالم الإسلامي مقبل على تطوّر جديد، وأنه سوف يستقبل عصرراً يقوم بإزاعه على العقل وما يكسبه من عام، وأنه سوف يراجه ثورة فكرية عارمة، ولا بد من إضاح الفكرة الإسلامية وجلالها، وبيان أسرار التّمين وحكمه، وأصول التشريع الإسلامي وأساسه في تنظيم الحياة «المستبح»، فألّف كتابه المفيد في باب «حجة الله البالغة».

8 - كما لاحظ أنه لا أمل في نهضة الأسرة المالكة الهنديّة وتجهيز شباب الدولة الشيموريّة، لأنه كما قال ابن خلدون: «إذا نزل لهم يدولة لا يرتفع»، فلا قائمة من يدلّ الجهود في إصلاحها وتضييع الوقت في تقويتها، ولا بد من إعداد جماعة تُحدث انقلاباً إسلامياً وتزسّس دولة إسلامية جديدة على أساس ديني علمي جديد⁽²⁾.

(1) كتب في لغة فارسية حينذاك.

(2) يرجع مقال «تاريخ الإسلام في الهند» بمجلة البعث لسنة 1961 إلى الحسن النوري.

❦ نجاهه في عمله

وتقام الشيخ ولي الله بهذه الأعمال المجيدة، وبإضطلاع به على التجديد الإسلامي، ونشره للعلم الصحيح، وبإفلاحة مصادر الدين الأرضي، تنجح في مهمته. ونخرج على يديه طبقة مباركة من أبنائه وتلامذته غاصوا بالأسر من بعده، ونهضوا بالدعوة لإعلاء كلمة الله ونشر رسالته في الأرض.

قال الشيخ مسعود الندوي:

ومن بَنَى الله ونَجَّاه السَّابِقَ عَلَيْهِ أَنْ وَزَعَهُ أَنْجَالاً بَرَزَتْ، كُلٌّ مِنْهُمْ غُلُوٌّ عِلْمٍ وَاسِحٍ، وَقَدْ أَفَادُوا جَمْعًا غَفِيرًا مِنَ النَّاسِ، حَتَّى نَهَلَتْ أَرْضُ الْهِنْدِ مِنْ عِلْمِهِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَلَّتْ. وَالَّذِي تَشَاهَدُ الْيَوْمَ مِنْ ذَوِي عِلْمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَانْتِشَارِ التَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ الْمُسَبِّحَةِ، إِنَّمَا يَرْجِعُ نَصْلُهُ إِلَى الْإِمَامِ وَلِيِّ اللَّهِ وَأَنْجَالِهِ الْفَرَّغَمِيَّيْنَ الْمُنَجِّهَيْنِ، فَلَا تُجَدُّ الْيَوْمَ فِي الْهِنْدِ أَحَدٌ دَعَى لَهُ نَصِيبٌ فِي الْعِلْمِ إِلَّا وَهُوَ يَمُتُّ بِحَسَبِ إِلَى هَذَا أَمَلِيَّتِ الْعِلْمِيِّ الْكَرِيمِ.

وكذلك نبع من أحفاد الإمام وتلاميذه أبنائه وتلاميذهم من نوراً أرجاء الهند المظلمة بأنوار الكتاب والسنة، وأماؤوا جوانبها بمصابيح العلم والنسب.

فالحقيقة التي لا مراء فيها أن كل ما ظهر في هذه البلاد من تباشير الإصلاح والتجديد، وما تم على أيدي العلماء والمجاهدين من أهلها من خدمات للدين عظيم، من القرن الثاني عشر للهجرة إلى اليوم، إنما هو من ثمرات تلك الفوحة الزكية التي غرسها الإمام ولي الله، وتمهدها بالسقي والتشذيب بآثاره وتلاميذه.

وإن ننس، لا ننسى من بينهم أنجاله الأربعة والكواكب المنيرة: الشاه عبد العزيز (1159 - 1239هـ)، والشاه رفيع الدين (1163 - 1233هـ)، والشاه عبد القدوس (المتوفى سنة 1230هـ)، والشاه عبدالغني (المتوفى سنة 1227هـ)، وسبطه الشاه محمد إسحاق (المتوفى سنة 1262هـ) وحفيده الشاه إسماعيل الهندي (المتوفى سنة 1266هـ).

ولكل من هؤلاء مصنفات سائرة مسير الشمس، ولا تزال تضيء ظلمات الرُبوب، وتهتك ستور الزندقة، وتُؤدُّ حُكْمَ الْبُزْغِ وَالْإِلْحَادِ، إلا أن أكبرهم الشاه عبدالعزيز كان يُعَدُّ خليفة أبيه ووارث علومه.

وكان من قدر الله أن تُؤمِّنَ الشاه ولي الله بعد أنجاله جميعاً.

أما أصغر أنجاله - وهو الشاه عبدالغني - فقد استأثرت به رحمة الله وهو حدث لم يكد يخدم الدين والأمة بشيء يُذكر، ولذلك لم تُدَوَّنْ أخباره في بطون التاريخ، إلا أن الله

رزقه مولوداً كان قُوَّةً في حين الإصلاح الديني في الهند وكُوَّةً في نَج هذا البيت العظيم،
وهو الإمام الشهيد المصلح الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله⁽¹⁾.

وبعد. لقد استفد إخراج الكتاب في هذه الصورة جهداً كبيراً شاوكة فيه فضيلة الشيخ
رضوان رجب الببلي.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعطي هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به
المسلمين، والله ولي المتقين.

السيرة

[1] أقم مريخ هذه الصفحة: كتاب تاريخ الإسلام في الهند، للاستاذ عبد الممنم القمرو. وكجزء الخامس من
سورة الخولطر ورواية المصلح والموطر، للتشيخ عبد الحمي بن فخر الدين الممن، وكتاب منظره إمعنية
في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان، للاستاذ مسعود الشوي.



الحمد لله الذي فطر الأنعام على بركة الإسلام والاعتقاد، وجعلهم على السحرة الحبيبة السحرة السهلة البيضاء، ثم إنهم خَشِبَتْهُمْ الجهل، وودعوا أسفل السافلين، وأدركهم الشقاء، فرحمهم ولطف بهم ونعت إليهم الأنبياء، ليُخْرِجَهُمْ بِهِمْ مِنَ الظلمات إلى النور، ومن المنسحق إلى الغضاء، وجعل طاعته شُوقَةً يَتَأَنَّمُونَ، فبِالْفَخْرِ وَالْمَعْلَاءِ. ثُمَّ وَقَفَ مَنْ شَاءَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ لِحُكْمِ عُلَمَائِهِمْ، وَقَفَّمْ أَسْرَارَ شَرِائِقِهِمْ، فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ حَازِلِينَ لِأَسْرَارِهِمْ، فَاتَّزَيْنَ بِأَنْوَارِهِمْ، وَتَاهَيْكَ بِهِ مِنْ عِلْيَاءِ، وَفَضَّلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَلَى أَلْفِ عَابِدٍ، وَسَوَّأَ فِي الْمَلَكُوتِ عَظَمَاءَهُ، وَصَارُوا يَتَحَبَّبُ بِدَعْوِهِمْ خَلْقٌ مِنَ الْحَيَاتِ فِي جَوْءِ، لِمَاءِ، فَضَّلُ اللَّهُمَّ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى وَرَثَتِهِمْ مِنْ حَسَبِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَخُشِعَ مِنْ بَيْنِهِمْ سِلْدًا مَسْدًا الْحَزَنُ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ الْبُخْرَاءِ، بِأَفْضَلِ لُصُولَاتِ وَأَكْرَمِ الشَّيْبَاتِ وَأَصْفَى الْأَصْفَاءِ، وَأَتَبَّلْ عَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ شَائِبٌ^(١) وَضَوَائِدُ وَجَائِزُهُمْ أَحْسَنُ الْجَزَاءِ.

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة الله الكريم أحمد، المدعو بولّي الله ابن عبد الرحيم، عاملهما الله تعالى بفضلته العقيم، وجعل مآلهما النعيم العقيم:

إن قِمَمَةَ الْعُلُومِ الْبَيْنِيَّةِ وَأَرْسَاهَا، وَمَبْنَى الْفَنُونِ الْبُيْنِيَّةِ وَأَسَاسُهَا، عَرَفْتُ الْحَدِيثَ، الَّذِي يَذْكُرُ فِيهِ مَا حَدَّثَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، مِنْ قَوْلِ أَوْ فَعَلَ أَوْ نَفَرِيهِ، فَهِيَ مُصَنِّبُ النَّجْمِ، وَمَعَالِمُ الْهَدْيِ، وَبَسْمَلَةُ الْبَلَدِ الْمُنِيرِ، مِنْ انْتِقَادِهَا وَوَعْيٍ^(٢) مَقْدَرُ رُشْدٍ وَاهْتَدَى وَأَرْتَى الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَمَنْ أَعْرَضَ، وَتَوَلَّى فَقَدْ سَوَى^(٣) وَهَوَى^(٤)، وَمَا زَادَ نَفْسَهُ إِلَّا التَّخْشِيرَ، فَإِنَّهُ تَهَيَّأَ، وَأَسْرَ، وَأَنْلَرَ، وَشَرَّ، وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ، وَذَكَرَهُ، وَثَبَّتَهَا لِمَثَلِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَهُ عِبَقَاتٌ، وَأَصْحَابُهُ قِيَمًا بَيْنَهُمْ دَرَجَاتٌ، وَلَهُ قُتُوبٌ دَاخِلُهَا لَبٌ، وَأَصْدَافٌ وَسُغْهَا قُرٌ.

(١) جمع شؤيب. وهو البعثة من القطر (٢) أي: ضل.

(٣) أي: حدة (٤) أي: سقط.

وقد بحث العلماء رحمه الله في أكثر الأبواب ما تَقْتَضِي^(١) به الأوابد^(٢)، وتُشَلِّحُ به أصحاب.

والأقرب الفشور إلى الظاهر من معرفة الأحكام، بحثاً وضمناً، واستفاضة وحرارة، وتصدي له جهالة^(٣) المحذنين والخفائف من المتكلمين.

ثم يتلوهُ قُرْنُ معاني مربيها وصيف مشكلها، وتصلَّى له أئمة الفنون الأدبية والمُتَفَنُّون من علماء العربية.

ثم يتلوهُ قُرْنُ معانيه الشرعية، واستنباط الأحكام الشرعية، والقياس على الحكم المتمموص في العبادات، والاستدلال بالإيمان والإشارة ومعرفة المنسوخ، والمُحْكَم، والدرجوج، والشروط، وهذا بمنزلة ثلث والدور عند عامة العلماء، وتصلَّى له السُفُفُون من المشاه.

هنا، وإن أدقَّ الفنون الحديثة بأسرها عسدي، وأعمقها محدث^(٤)، وأرفعها صاراً، وأزكى العلوم الشرعية عن آخرها فيما أرى، وأعلام منزلة وأعصمها مقداراً، هو علم أسرار الدين، الباحث عن حكم الأحكام وتكليفاتها، وأسرار خواص الأعمال وركائزها، فهو والله الحقُّ المعلوم بأن يصير فيه من طائفة نفائس الأوقات، ويتخذهُ مدَّةً لمعاد بعد، فَرَضَ عليه من الطاعات، إذ به يصير الإنسان على بصيرة فيما جاء به الشرع، وتكون نسبة بثلاث الأعمار كنسبة صاحب الغرور يدراوي الأسماء، أو صاحب المتنزير يبراهيس الحكمة، أو صاحب النجم بكلام العرب العربية، أو صاحب أصول الفقه شهاب المصطفى، وبه يأمن من أن يكون كحاطب ليل، أو كخنافس سبل، أو يَحْبُطَ غيط عشوائ^(٥)، أو يركب من عمام، كشيء رجل سمع الطبيب يأمر بأكل الفخج، ففاس انحطلة عليه نبتاكلة الأشباح^(٦).

وبهذا العلم يصير مؤمناً على يئنة من ربه، بمنزلة رجل أخبره صادق أن النجم قاتل فعدَّقه قبعة أخبره وبني، ثم عُرف بالقرائن أن حرارته وبيوته مغرقتان، وأنها نياتان مزاج الإنسان، فازداد يقيناً إلى ما آمن.

(١) أي تصاد.

(٢) أي قتر، ٧ يعرف متاعه.

(٣) جمع جهيل بالكسر وهو لئال ذيخير.

(٤) أي لحد.

(٥) لئال ذي لا يصير لهاها والمعنى وكما علم غير بصيرة.

(٦) أي الأشباح.

وهو أن أولئك أساءت التي يجوز دفعها وأما ما، وليس أثر فصاحة والتابعين
إجماله وتفصيله، ونظري إيمان أصحابه إلى تبيين المصالح الشرعية في كل باب من
الآداب الشرعية، وأولئك يبحثون من شأنيهم نكتة جلية، وتظهر المدفوعون من أشغالهم
جسداً بريمة، وفخرج حديد لله من أن يكون إذا حكم به لحرقة لإجماع الأمة، أو فتعلاً في
نعم^(١) وعنه^(٢) أكثر قل من ذلك، جه، أو خدش في شمس مائده، أو رتب من الأصول
والفروع، أو نبي بما يضمن أو يخفي من مرجع، ولحق له ذلك، ومن أعتل سائر في
النزول، أو من التردد وقد ركب فضله^(٣)

كيف ولا تبيين أسره، إلا لمن تمكن في العلوم الشرعية بأسره، واستبذل في
القنن الإلهية عن أسره، ولا يضر مشروبه إلا لمن شرح الله صدره لعلمه المبني، وما به
سر وهي، وكان مع ذلك وذات الصبغة، مثلاً فترجعه، حادثة في الظهور والتحرير، بدراً
في التسمية والتعبير^(٤)، قد عرف كيف يوضح الأصول ويبيّن غلظه الفروع، وكيف يهتد
فترجعه أيا في لها بشواهد المحقول والمسموع

وإن من اعتقد نعم الله علي أن أناس منه حظاً، وجعل في منه نصيباً، وما أنفق
أعترف بتقصيره، وأبره^(٥)

هذه أبرز ما قاله إن الناس لأثرة إلهي^(٦) يوسف (١٥)

وبينما أنا جالس ذات يوم بعد صلاة العصر متوجهاً إلى الله، إذ ظهرت روح
السي^(٧) خلفي، وفشرتني من فوقني بشيء، شئير إلى أنه ثوب ألبني عني، وبعت^(٨) في
روعي^(٩) في تلك الحالة أنه إشارة إلى نوع بيان للتبليغ، ووجدت عند ذلك في صدري
نوراً لم يكون يتفصح كل حين، ثم العيني دمي بعد ردة من الله علي بالقلم العلق أن
أشخص يوماً من لهذا الأمر الجملي، وأنه أشرقت الأرض بنور ربها، وانعكست الأصا
من مغربها، وأدب الشريعة المصطفوية أشرقت في هذا الزمان على أن يبرز في قمص
سابعة من الرهان

ثم ربي، الإله من العبد والمحبي وفي الله عنهما في مقام وأنا يومئذ مبتكة كأنهما
أعطاني نصراً، وقالوا هذا قد جدنا رسول الله ﷺ وأطاعنا أهدت عبي أن أدرك به
ومالة تكون شجرة المعبودية، وأنجزت لتعني، وصوتني فيه لحاصر الد، وشعاري

- | | | | |
|-----|---------------|----|-----------------|
| ١٠٠ | أي علم الحديث | ١٧ | أي العزيم |
| ١٠١ | أي شئير | ١٨ | أي قهر |
| ١٠٢ | أي جهنم | ١٩ | أي مع |
| ١٠٣ | أي تفرق | ٢٠ | أيوم بالغم الذل |

المعشوق والمعاد، ثم يعودني أنني لا أجد عسي ولثني ولا أرى من خلفي وبين يدي من أراحه في المشتبهات، بين السماء المتصفين الثقاة، ويخطني^(١) تصور باغي في العموم المفقودة مما كان عليه القرون المقبولة، ويفتني^(٢) أنني في زمان الجهل والمصبة، وأتباع الهوى ومحابب كل امرأة بآرائه الرديئة، وأن المعاصرة أصل المفارقة، وأن من صلف قد استغلف. فإنا في ذلك ألدُّم ونحذو ونحذر ونحذر، وأهزري شوطاً^(٣) ثم أرجع فبغرون، إذ تمسك أجل إخواني الذي وأكرم خلاصي علي، محسنة المعروف بالنعاشق، لا زال محفوظاً من كل طروق وغاسق، تُفطن بحزنة هذا العلم وفصله، وألوم أو السعادة لا تتم ولا يسع نقاشه وحزله، وعرف أنه لا يتبشر له الوصول إليه إلا بعد معالجة المشكوك والشبهات، ومكيدة^(٤) الاختلاف والمناقضات، ولا يسب^(٥) له انخوض إلا بسعي رحل يكون أوثق من فرع الباب، وكلما دعا كياه الأماند الصعاب، فظاف ما قَبِلَ عليه من أيلاد، وبحث من توسم فيه الخير من العبد، وتغصص سبهم وشبههم، وسير غلهم^(٦) وسبيلهم، فلم يجد من يتكلم منه بنامه أو يأتي منه بجدوة ساطعة، فلما رأى ذلك، ألغ عرش، ورزائي^(٧)، وسبني^(٨)، وأهـ... كني، وصار كلف، عذرت دكرمي عنيت الإلجام^(٩)، فافهمي^(١٠) أشد الإلجام، حتى أحييت^(١١) بي المذاهب، ومالت معاذيري المتاعب^(١٢)، وأردت أنها إحدى الكبر، وأنها لما كنت أنهيت ضرورة من الصور، وأنه قد سبق عني الكتاب، وأنه أمر قد توسم من كل باب، فتوسمت إلى الله واستخرت، ورغبت إليه وسعته، ونجرت من الحول والقوة بالكلية، وسرت كالعبث في يد الغسل في حركته الفصية

وشرعت فيما ندني^(١٣) إليه وعطفني عليه، وتضرعت إلى الله أن يصرف قلبي من الملاهي وأن يُريني حقائق الأشياء كما هي، ويسد جناي ويصيح لـ...، ومعني فيما اقتحمه من الأهوال ويرفقي، لصدق اللهمة في كل حال، ريعني في إيراد ما يملح في صدري ويصلحه فكري، إن قريب محبيب.

(١) أي يبرقني (٢) أي يبعثني جيلاً

(٣) شبري حذو أي طية

(٤) أي بزم (٥) أي لثمن مهزأهم

(٦) أي بلغني (٧) أي لزمي

(٨) وهو زمن سقا، عن علم فكفته فجئة الله يوم قفيلة إيلام من داره، وواله خير الراد والقر، في من حبيب أبي هويوة.

(٩) منصر شجرة (١٠) أي كلف

(١١) أي مسيل للماء (١٢) أي دغني

وقد عمت إليه أمني سكت^(١) نافي البيان، فسأل^(٢) حبة تروفي^(٣)، وأنس منصرف^(٤)،
مرمته وأنه لا يثنى مني الإله إن في تصفح الأوراق لشغل قلبي بما ليس له عرق، ولا
ينشر من الشاهي في حفظ المسموعات لأشواق^(٥) بها عبد كل حاء وات، وإنه أنا المفرد
بعبء المتحطم كرمه، الذي هو ابن وفه، وتسمية بخته، وأسير ووده، ومغناهم بوده،
فمن سؤله أن يمنع هذا قلبه، ومن أحبه غير ذلك لأمره بيده، ما شاء فليصغ.
وأما كثر رأيت الإشارة إلى سز التكليف، والأحاراف، وأسوار اشراق الشحنة إلى
الرحمة المهداة، بقوله تعالى: ﴿يَقَرُّ لَلْجَنَّةِ الْأُخْرَى﴾ [التعلم: ١٤٩].
وهذه الرسالة شعبة منها فابغة، ويبدو من ألقها بزرغة، حشون أن تسمى حشنة الله
سالمته، حتى الله، واهم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



- (١) أي فبالغ في السكوت.
(٢) أي عرج طلفه.
(٣) أي دفعة من الخير والوعظ المصلحة.
(٤) أي شقي لتسحق.
(٥) أي شوق لكل لحم لعظم بالامتنان والفرحة الخلف.
بداخلي كذا بالأصل، وأشر فيه بيلقني، ولعل شمسك عن نثني يمشي طمحي بيده في صدري

وأن الصوم شُرِعَ لفهر النفس، كما قال الله تعالى: ﴿تَلْبَسَكُمْ ثِيَابُ سُمْرٍ﴾ [البقرة: الآية 184]،
وكما قال النبي ﷺ: «فإن الصوم له وجاء»⁽¹⁾،

وإن الصبح شُرِعَ لتعظيم شعائر الله، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَوْلَا بَيْتِي وَصِيحُ الْكَايِرِ
لَأَبْرَأَ...﴾ [إبراهيم: الآية 34] وقال: ﴿إِنَّ كَلِمَةً وَالْقُرْآنَ مِنْ شَتَائِرِ الْكَلِمِ﴾ [البقرة: الآية 185]،

وإن الفصاحه شُرِعَ زاجراً عن القتل، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمْتُ فِي الْوَصَائِرِ خَبْرَةً
يَتَأَذَّرُ الْأَكْثَرُ﴾ [البقرة: الآية 179]،

وإن الحدود والكفارات شُرِعَت زواجر عن المعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ
وَلَا أَسْرِ﴾ [البقرة: الآية 98]،

وإن الصيام شُرِعَ لإعلاء كلمة الله وإزالة المنية، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَذَكَّرُوهُمْ حَقِّي
لَا تَكُونُوا مِنْ كَاذِبِينَ﴾ [البقرة: الآية 179]،

وإن أحكام الصيام ثلاث والسماحكات شُرِعَت لإقامة العدل فيهم...

إلى غير ذلك مما دلت الآيات والأحاديث والهجج⁽²⁾ به غير واحد من العلماء في كل
قرن - فإنه⁽³⁾ لم يستطع من العلم إلا كما يمس الإبرة من الماء حين تُغمس في البحر
وتخرج، وهو بأن يكتفي على نفسه أحق من أن يُتَقَدَّرَ بقوله.

ثم إن النبي ﷺ بين أسرار تعيين الأوقات في بعض المواضع، كما قال في أربع قبل
الظهر: «إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماء فأجِبْ لِي يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلُ صَالِحٍ...» وروي
عنه ﷺ في صوم يوم عاشوراء: أن سبب مشروعيته فيما نجاه موسى وقومه من فرعون في
هذا اليوم، واتباع سنة موسى عليه السلام. ويبين أسباب بعض الأحكام، فقال في
المستبطن: «لا يدري أين بلغت يده...» وفي الاستبصار: «فإن الشيطان يبس على خيشومه»،
وقال في الترمذ: «قلته إذا اضطلع استرخت مفصله...» وقال في ذي الجوار: «إن لافله
نكر الله»، وقال⁽⁴⁾: «إنما جعل الاستفذان من أجل البصر»، وفي الحرة: «إنها ليست بنجس
إنما هي من الطوائف عليكم والطوائف»، ويبين في مواضع أن الحكمة فيها دمج منفعة،
كالهي عن الفيلة⁽⁵⁾: «إنما هو مخلة ضرر الولد...» أو مخالفة فرقة من الكفار، كترويه ﷺ:

(1) فوجا بلكسر والمد من: أن شُرِعَ لتبلي الفعل زمناً شديداً يذهب شهوة الجماع

(2) أي دليل.

(3) هنا يأتي خبر مبتدأ الكلام في لفظة الصلابة.

(4) هكذا وحسناً بالاسم. ولعل ذلك سقط كلمة: في الاستفذان

(5) لفظة بلكسر الجماع زمن المرض.

«لأنها تنال بين قوتي للشيطان» وحسبند يسجد لها للكفر، «أو ساء» بـ التخریف، «قول
 «مر رضى الله عنه سمر» أراد أن يسهل الثالثة بالفرصة بهذا حديث من قبلكم» فقال
 النبي ﷺ «انصاب الله بك» بـ ابن الخطاب، «أو وجود حرج» كقوله: «أولئككم ثوبان»
 وقوله تعالى:

(عَنِ اللَّهِ أَنْعَمَكُمْ كُمْ غَنَاتُكُمْ أُنْفَسَكُمْ تَابَ عَلَيْكُمْ ذَمًّا عَنْكُمْ) [البقرة: ١٨٤]

وإن في بعض المواضع أسرار الترهيب والترغيب، وراجع الصحابة في المواضع
 المستهدفة، تكشف شبهتهم، ورد الأمل إلى آخره:

قال ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في صوره خمساً
 وعشرين درجة قلت إن أحبكم إذا توسعاً فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا
 الصلاة» الحديث، وقال^(١): «وطني ينجع»^(٢) أحبكم صفة: «قالوا: يا رسول الله، أياي
 أحدنا شهرته ويكون له فيها أمر؟ قال: «أيايتم لو وضعها في حرام أكن عليه فيها وزر»
 فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر» وقال: «إذا التقى شعبان من يدفوهما فالقاتل
 والمقتول كلاهما في النار» قالوا: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «لأنه كان جريحاً
 على قتل صاحبه»... (في غير ذلك من المواضع التي يحسن إحصاؤها).

وإن ابن عباس رضي الله عنهما سر مشرو عت غسل الجمعة، وزيد بن ثابت سبب
 النهي عن بيع الثمار قبل أن يبدؤ صلاحها، ويؤيد ابن عمر سر لاقتصاص على استلام ركعتين
 من أركان البيت... إلخ.

ثم لم يزل الشيعون، ثم بن يدهم العلماء المجتهدون يملكون الأحكام بالمصالح،
 ويهيمون معانيها. ويخرجون الأحكام المخصوص مناصب تدفع ضر أو جلب نفع، كما
 هو مبوط في كتبهم ومذاهبهم.

ثم أتى الغزالي والخطابي^(٣) وابن عبد السلام^(٤) وأمثالهم - شكر الله معانيهم -
 بنكت لينة وتحقيقات شريفة

نعم، كما أوجبت السنة عدم واتمق عليها الإجماع، فقد أوجبت أيضاً أن نزول

(١) أبو العباسي وأبو.

(٢) أي جعلك سائلاً في ذلك.

(٣) مثل لمراجعة كتابه في التمهيد.

(٤) أي خرج.

(٥) هو أبو حنيفة محمد بن محمد البصري صاحب «مناهج السالكين».

(٦) هو أبو حنيفة.

انقضاء بالإيجاب والتحريم سبب عظيم في نفسه، مع قطع النظر عن تلك المصالح، لإثابة انقطاع عقاب المعاصي، وأنه ليس الأمر على ما ظنَّ من أن خَسَّ الأعمال وقُبْحَهَا - بمعنى استحقاق العامل الثواب والعقاب - عقلياً من كل وجه، وأن الشرع وظيفته الإخبار عن خواص الأعمال على ما هي عليه دون إنشاء الإيجاب والتحريم، بمنزلة طبيب يصف خواص الأدوية وأنواع المرضى. فقلت: هل فاسد مُبْجَهٌ^(١) السُّة بادي الرأى، كيف وقد قال النبي ﷺ في يوم رمضان: «حتى خشيت أن يكتب عليكم». وقال: «إن أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يحرم على نفسه فُحْرَمَ من أجل مسألته؟» إلى غير ذلك من الأحاديث.

كيف، ولو كان ذلك^(٢) كذلك نجاز إفتار العقيبم الذي يتعاضى كتمان^(٣) المسافرين، لمكان الحرج السبي عليه الرُّخَص، ولم يُجْزُ إفتار المسافرين المترق، وكذلك سائر الحدود التي حدَّها الشارع.

وأوجبت^(٤) أيضاً أنه لا يحل أن يتوقف في امتثال أحكام الشرع إذا صحَّت بها الرواية على معرفة تلك المصالح، لعدم استقلال عقول كثير من الناس في معرفة كثير من المصالح، ويكون النبي ﷺ أوثق عنيت من عقولنا.

ونذلك لم يزل هذا الجُلُمُ مضطرباً به^(٥) على غير أهله، ريشترط له ما يشترط في تفسير كتاب الله، ويُحَرِّمُ الخوض فيه بالرأى الخاص غير المستند إلى أسس الأئمة.

وبغير ما ذكرنا أن الحق في التكليف بالترافع مُتَلَفٌ كمثل سيِّد فروع عيِّنه، غلَطَ عليهم رجلاً من خاصته ليستقيم دواءه، فإن أطاعوا له أطاعوا الشَّيد، ورضي عنهم سيِّدُهم وأتابهم غيراً، ونجوا من لمرض، وإن عصوه عصوا الشَّيد وأحاط بهم غضبه وجازاهم أسوأ الجزاء، وهلكوا من المرض، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ حيث قال رابعاً عن الملاحقة: إن مُتَلَفٌ كُنْثَلِي، وجعل بني درأ وجعل فيها مائة^(٦)، ويمت باعية، فمن اجنب لُدَّ من نخل الدار واكَل من العافية، ومن لم يُجِبْ فداعي لم يفضل الدار ولم يأكَل من العافية،، وحيث قال: وإِذَا مَنَّتْ بِي وَتَمَّتْ مَا بَعَثْتَنِي اللَّهُ بِهِ كُنْثِي وجعل الله قوماً غفلاً: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني لنا الغدير العريان، فالنَّجاة فَالنَّجاة^(٧)، فطاعة طائفة من قومه فبالجوار^(٨)، فأنطلقوا على

(١) أي ترميه. (٢) أي حسن الاعتقاد الخ.

(٣) أي يغلسي كقناسة.

(٤) أي فاسدة.

(٥) أي طاعة متبع لسوء.

(٦) أي سلبوا من أول الليل.

مهلهم، فشيروا، وكثّبه ملائكة عليهم، فاصبحوا مكالهم، فسيصمهم ابيهم قافلهم ووجتخهم^(١)، وقال روي عن ربه: «انما هي اعمالكم تُزاد عليكم»

وبما ذكرنا - من أن ههنا ضرباً بين الأمرين، وأن لكل من الأعمال وتروى النقصاء بالإيجاب، ولتحريم اثره في استحقاق الثواب والعقاب - يجمع بين تدلائل التعارض في أهل الجاهلية: يُحذِّبون بها عملوا في الجاهلية أم لا؟

ومن الناس من يعم في الجملة أن الأحكام مُعَلَّة بالمصالح، وأن الأعمال يترتب عليها الجزاء من جهة كونها صادرة من هيئة عقلانية، مصلح بها النفس ونفسه، كما أشار إليه النبي ﷺ حيث قال: «الا ولي في جسد مُصَفَّاة، سَحْتُ مَصْلَحَ لجسد كله، وإن قصدت نفس الجسد كله الا وهي للقلب - لكنهم يُظَنُّون أن تدوين هذا القول وتروى أصوله وفروعه مصلح، وما خلا الخفاء مائه وعروضها، أو شرعاً لأن المصالح لم يمتدوه مع قرب عهدهم من النبي ﷺ وغزوة عليهم، فكان كالانفاق على تركه

أو يقولون: ليس في تدوينه فائدة معت بها، إذ لا يتولف العمل بالشرع على معرفة المصالح، وهذه ضربة قاسية أيضاً.

وقوله (الخفاء مصلحه وغرضها):

إن أراد أنه لا يمكن التدوير أصلاً، فنقاء المسائل لا يفيد ذلك. كيف، ومما ظن علم التوحيد والحضات الحق مذكّر، ويُعد إحاطة وقد يشهد له الأمر شام؟ وكذلك كل علم يتروى بادي الرأي أن البحث عنه مستحيل والإحاطة به مستعذبة، ثم إذا ارتضى بأفروته وتأنّج في فهم مقدّماته حصل التمكن فيه ونشر تأسيس مبادئه وتفرع فروعه وذوّه^(٢)، وإن أراد التمسك في الجملة مُنْظَم، لكنه بالنسبة يُظَهِّرُ قصص بعض العلماء على بعض، وأن طوع الأمال في ركوب المشاق والأموال، وأن الله لا يبارك^(٣) العزوم بتجسس^(٤) العقول وإبعاد الفهوم.

وأما (لأن السلف لم يؤمروا) قلنا: لا يفرض عدم تدوين السلف إياه بعدما عهد النبي ﷺ أمره، وفتح فروعه، وانقض اثره فقهاء لصحابة، كأمير المؤمنين عمر وعلي، وكثير من عباس وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم، فقد بحثوا عنه وألزموه وسوها منه،

(١) أي: استاصلهم

(٢) أي: جمع نواته وهي: نشر الحقيقة وعبرها، والمراد منها: التماثل.

(٣) أي: جلوس.

(٤) أي: كلف.

(٥) أي: يخطئ.

ثم لم يزل علماء القسوس وسائر سبيل الكهنة يظهرون ما يجدون إليه مما جمع الله في صدورهم، كان الرجل منهم إذا ابتلى منظرًا من بغير فتنة التشكيك يُحرِّد سبيل البحث ويضعف^(١)، ويُضعف العزم ويُهبط^(٢)، ويُشتر عن سائر البحث ويُشتر. يهزم جيوش المتدعين ويُكثّر.

ثم رأيت بعد أن تدوين كتاب يحتوي على جمل صائحة من أصول هذا الفن إحدى^(٣) من تدويني المسبب، ولأكل الصيد في جود، انفرأ^(٤). وكان الأوائل لصفاء عقائدهم ببركة صحت التي رُفِّقَ، وقرب عهد، ونقح وروح الاختلاف فهم، وطمأننا قلوبهم بترك التفتيش عما نت عنه^(٥)، وعدم المغالاة إلى تطبيق العقول بالمعقول، وسكوتهم من مراجعة^(٦) الثالث في كثير من العلوم الخاصة مُستفيين^(٧) عن تدوين هذا الفن، كما أنهم كانوا سبب قرب عهدهم من القرن الأول، وفصال زمانهم بوجاهة الحديث، وكونهم منهم بمرأى ومسح^(٨)، وتعتكفهم من مراجعة الثقات، وقلة وفرح لاختلاف والوضع، مُستفيين من تدوين سائر الفنون العديّة، كشرح غريب الحديث، وأسماء الأرباب، ومراتب عاداتهم. ومُشكِّل الحديث، وأصول الحديث، ومُختلف الحديث، ورفق الحديث، وتُشير الترمذي من الصحيح، والموضوع من الثالث، وكل فن من هذه ثم يُقرَّر بالتدوين، ولم ترتب أصوله وفروعه إلا بعد قرون كثيرة وقد متظارفة، لذا شُي^(٩) الحاجة إليه، وبوقف صح المسلمين عليه.

ثم إنه كثر اختلاف الفقهاء، بناء على اختلافهم في علل الأحكام، وأقصى ذلك إلى أن بحثوا عن العدل من جهة إلتفاتها إلى المصالح المعتبرة في الشرع، وشأ التمسك بالسموم، في كثير من المسائل الدينية، وظهرت تشكيكات في الأصول الاعتقادية والعلمية، قال الأمر إلى أن صار الاشتغال لإقامة الدلائل العقلية حسب النصوص الخفية، وتطبيق المنقول بالمعقول، والسموع بالمفهوم، نصراً مؤزراً^(١٠)، فالتدين، وسجاً جبلاً في جمع شمل المسلمين، وممهداً من أعظم الفترات، رؤماً لرواس الطاعات.

وقوله (ليس في تدوينه فائدة) قلنا: ليس الأمر كما زعم، بل في ذلك فوائد جارية.

(١) أي يقوم.

(٢) أي للذبح.

(٣) أي القاموس. انفرأ كجبل وسحاب حذر، أو فتية، جمعه قرأ وقرأ، ثم قال بولك الصيد غير خوف قرأ، غير لأنه مثل، والاشتراك موشوعة على الوقف، أي كنه يوت.

(٤) أي سلبه.

(٥) أي سلبه.

(٦) أي سببت به عدم يستعملهم.

(٧) أي شُي.

(٨) أي شُي.

(٩) أي شُي.

(١٠) أي شُي.

منها: إيضاح مُعجزة من مُعجزات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه ﷺ كما أتى بالقرآن العظيم فأعجز بُلغائه زمانه ولم يستطع أحد منهم أن يأتي بسورة من مثله، ثم لُنا انقراض زمان القرن الأول وتُخَيُّب عبي الناس وجوه الإجماع، قام علماء الأمة فأوضحوها، يُدركه من لم يبلغ مبلغهم.

ومنها كذلك: أنه أتى ﷺ من الله تعالى بشريعة هي أكمل الشرائع، متضمنة لمصالح يحجز عن مراعاة مثلها البشر، وعرف أهل زمانه شرف ما جاء به بنحو من أنعاء المعرفة، حتى نُفِئت به الستهم ونُيِّن في حُطهم ومجاورتهم، قلُنا انقضى عصرهم ووجب أن يكون في الأمة من يوضح وجوه هذا النوع من الإجماع ولَا تَأْزِلْ الدالة على أن شريعته صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الشرائع، وأن إيمان مثله بعثها مُعجزة عظيمة كثيرة مشهورة لا حاجة إلى ذكرها.

ومنها: أنه يحصل به الاطمئنان الزائد على الإيمان، كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا وَلَدِي لَطَمِيكَ يَدِي﴾ [البقرة: 128].

ذلك أن نظام الدلائل، وكثرة طرق العلم يُشْلِحَان⁽¹⁾ الصلوة، ويملآن انتظراب القلب.

ومنها: أن طالب الإحسان إذا اجتهد في الطاعات وهو يعرف وجه مشروعيتهما ويُقَيِّد نفسه بالمحافظة على أرواحها وأموالها، تفقه قليلها، وكان أبعد من أن يخطئ بخط عشوائي⁽²⁾. ولهذا المعنى اعتنى الإمام الغزالي في كتب السلوك بتعريف أسرار العبادات.

ومنها: أنه اختلف الفقهاء في كثير من الفروع الفقهية بناء على اختلافهم في العلل المستخرجة من النسخة، وتحقيق ما هو الحق هناك لا يتم إلا بكلام مستقل في المصالح.

ومنها: أن المتبدعين شككوا في كثير من المسائل الإسلامية بأنها مُخالفة للعقل، وكل ما هو مخالف له يجب رده أو تأويله، كفواهم في عذاب الغير أنه يَكْتَلِبُه المحس والعقل، وقالوا في الحساب واضراط والميزان نسوا من ذلك، فطغفوا يُكُونُونَ بتأويلات بعيدة، وأثارت طائفة⁽³⁾ فتنة المشك، فقالوا: إِمَّا كَانَ صَوْمُ أَتَمِّ يَوْمٍ مِنْ دُفْعَانٍ وَاجِباً وَصَوْمُ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ سُؤَالٍ مَمْتَوِناً عَنْهُ؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ، وَاسْتَهْزَأَتْ طَائِفَةٌ بِالْتَرغِيَاةِ وَالتَرغِيَاةِ ظَانِينَ أَنَّهَا أَمْجُودُ الْحَثِّ وَالتَحْرِيفِ وَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ أَصْلِهِ حَتَّى قَامَ أَشْفَى الْفُؤُومِ⁽⁴⁾، فَوَضَعَ حَدِيثاً: يَذْنَحَانِ لِمَا أَكَلْ لَهُ، يُعْرَضُ⁽⁵⁾ بِأَن أَهْلَ الْأَشْيَاءِ لَا يُمَيِّزُ عِنْدَ الْمُعْظَمِينَ مِنَ النَّافِعِ.

(1) أي: يجعل لهما على عهد بصيرة.

(1) أي: يبرئان ويريدان.

(2) هو ابن قراوتشي.

(3) هي الإسماعيلية.

(4) أي: يشير.

ولا سبيل إلى دفع هذه المفسدة إلا بأن فيز الوصالح ونؤمّن لها القواعد، كما فعل
نحو من ذلك، في مذهبات اليهود والنصارى والحدوية وأمثالهم.

ومنها: أن جماعة من الفقهاء رجعوا إلى يجوز رد حديث يخالف القياس من كل
وجه، فتفرق الخلق إلى كثير من الأحاديث الصحيحة. كحديث المضرة^(١)، وحديث
الغزير^(٢)، فلم يجد أهل الحديث سبباً في إلزامهم لخشية إلا أن يسيروا إليها خوفاً من
المصالح المحترمة في التبرع، إلى غير ذلك من لقوائد التي لا يلغي بحصانها الكلام.

وستجدي إذا علمت عليّ شفقة^(٣) الأئمة، وأصبحت لهم تعهداً القواعد. فدية الإعمال،
رعا أوجب، المقام أن القول بما لم يقم به جمهور السافريين من أهل الكلام، كتحلي الله
تعالى في مواطن السعد بالصور والأشكال، وتكليف سالم ليس عصبياً يكون فيه تجدد
الاعمال والأعمال بأشباح متسبة بها في العسفة، وتخلق به الحوادث قبل أن تخلق في
الأرض، ورساها الأعمال بآيات^(٤) نفسية، وتكون تلك الهبات في الحقيقة شيئاً لمجازاة
في الحياة الدنيا وبعد السمات، والقول بالتقدم المزمع. ونحو ذلك.

فعلم أي نم أجترق عليه إلا بعد أن أثبت الآيات والأحاديث وأورد تصديقه
والتابير متطابقة فيه، ورأي جماعات من خواص أهل السنة، التمييز بينهم بالعلم
المأثري يقولون به، ويرون قواعدهم عليه.

ولمست السنة اسماً في الحقيقة لمذهب خاص من الكلام، وتكرار المصطلح الذي
اختلف فيها أهل الدنيا وصاروا لأجلها فرقاً مشروقة وأحزاباً متخربة، بعد اعتمادهم
للمشروبات النسي، على قسمين.

قسم قطع به الآيات، ومذهب به السنة، وجرى عليه السلف من الاعتماد
والتابير. فلما ظهر بعد ذلك كل ذي رأي رأيته وتشتت بهم الشك، اختار قوم ظاهر
الكتف والسنة، وعشوا بنواصبهم على عقائد السلف، وأم يالوا بموقفها للأصول، والمقالة
ولا مخالفة. لهذا، فإن تكلموا بمذهب فلا يلزم الخصوم والرد عليهم، أو لزيادة الشك
لاسدة العقائد منها، رغم أهل السنة.

ومذهب يرم إلى التآويل والتصرف عن الظاهر، حيث خالفت الأصول العقلية برعهم،

(١) المصدر من الإل وهو الغنى الذي حبس سئل في ضربها اتباع كذلك يلتزم بها المنشري وفيه حديث من
من شقري شاء مصراً فهو مفسد ثلاث أيام من راحة به منها سماعاً من طعام لا سماعاً.

(٢) فدية (مذهب) جزء عظيمة شئاً فمصلحة رسول، وفيه إذا بلغ خمسة فلتين لم يدخل السماء.

(٣) بالتكرار. ربه ليعبر لتلوية من مذهب ربه.

(٤) ككثرة وكثوف والرماء والتملأ.

فتكلموا بالمعقول لتحقيق الأمر وتبيينه على ما هو عليه، فمن هذا القسم: سؤال الصغير، ووزن الأعمال، واحرار على الصراط، والثرثية، وكرامات الأولياء، فهذا كله ظهر به الكتاب والسنة، وجرى عليه السلف، ولكن ضائق نطاق المعقول، عنها يزعم قوم فانكروها، أو أتواها. وقال قوم منهم: أمّا بذلك وإن سمعنا حقيقته ولم يشهد له المعقول عدداً.

وممن نقول: أمّا بذلك كله على بينة من رب، وشهد له المعقول عدداً.

وقسم أمم يصدق به الكتاب ولم ينقص به السنة ولم يتكسب فيه الصحابة، فهو مطروء^(١) على غيره، فجاء الناس من أهل العار فكلموا فيه واختلفوا، وكان خروجهم فيه:

إما استنباطاً من الدلائل النقلية: كفضل الأنبياء على الملائكة، وفضل عائشة على فاطمة رضي الله عنها.

وإما لتوقف الأصول الموافقة للسنة عليه وتعلقها به برصهم: كمسائل الأمور العامة، وشيء من مباحث الجواهر والأعراض، فإن القول بحديث العالم يتوقف على إبطال الهرقي وإثبات ثمره الذي لا يجزأ، والقول بخلق الله تعالى العالم بلا واسطة يتوقف على إبطال القضية القائنة بأن لواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، والفعل بالسميزات عرقب معنى إنكار اللزوم العقلي بين لأسباب ومسبباتها. والقول بالمعاد الجسماني يتوقف على إمكان إعادة المعدم، إلى غير ذلك مما شحنتوا به كتبهم.

وإما تفصيلاً وتفسيراً لما يلقوه من الكتاب والسنة، فاختفروا في: تفصيل والتفسير بعد الاتفاق على الأصل. كما اتفقوا على إثبات صفتي السمع والبصر، ثم اختلفوا فقال قوم: مما صدقنا واجدها إلى علم بالسموعات والبيضرات، وقول آخرون: هما صفتان على جفتها. وكما اتفقوا على أن الله تعالى حي عليم مريد قدير متكلم، ثم اختلفوا فقال قوم: نعم المفسود إثبات عايات هذه الصفات من الآثار والأفعال، وأن لا فرق بين هذه السبع وبين الرحمة والخصرة والجود في هذا. وإن الفرق لم يثبت السنة، وقال قوم: هي أمور مرحومة قائمة بذات الواجب. واختلفوا على إثبات الاستواء على المرض والوجه والضمك على التجلط. ثم اختلفوا فقال قوم: إنما كبراد معدن مناسبة، فالاستواء هو الاستيلاء، والوجه الذات، وطواها قوم على جزأ^(٢) وقالوا: لا ندري ماذا أريد بهذه الكلمات.

وهنا القسم لسبب أشنع ترفع إحدى الفرقتين على صاحبتها بأنها على السنة. كيف، وإن أريد فتح^(٣) السنة فهو ترك الخوض في هذه العناشراً، كما لم يحض فيها

(١) من طوب الثوب، على غيره أي على غيره الأول.

(٢) أي تركها كد ثبات.

(٣) أي خلع.

السُّلْب، ولذا إن شئت الحاجة إلى زيادة البيان قليل كل ما استظهره من الكتاب والسُّنة صحيحاً أو راجحاً، ولا كل ما حجب هؤلاء متوقفاً على شيء مُتَلَمَّ المتوقف، ولا كل ما أوجبوا دونه مُتَلَمَّ الرُّدء، ولا كل ما امتنعوا من الخوض فيه استصماماً له صعباً في الحقيقة، ولا كل ما جازوا به من التفصيل والتفسير أحق مما جاء به غيرهم.

ولما ذكرنا من أن كون الإنسان شيئاً معتبر بالقسم الأول دون الثاني، ثرى علماء السُّنة بمخالفون فيما بينهم في كثير من الدفء، كالأشاعرة والباطنية^(١) ونرى الحفاظ من العلماء في كل قرن لا يحتجّون من كل دقيقة لا تخالفها السُّنة وإدّام يقتل بها المبتدعون، وسنجدني إذا تشعبت بهم السبل في الفروع وأخذت من وتفرقت بهم الموارد فيها وانمازج، لُتُجِبْتُ^(٢) بالمجادلة الجلية، وحُفَّتْ^(٣) القارعة الشوية، وصرت لا ألوي^(٤) على الأطراف والمخاضات^(٥)، وكنت في ضَمَمٍ من التفاريع والتخرجات.

فاعلم أن لكل فن خاصّة، ولكل مرطن مقتضى، فكما أنه ليس لصاحب غريب الحديث أن يبحث عن صفة الحديث وضعفه، ولا لحافظ الحديث أن يتكلّم في الفروع التفقيّة وإثارة بعضها على بعض، فكذلك ليس للباحث عن أسرار الحديث أن يتكلّم بشيء من ذلك، ربّما غاية هُتْه ومعلم بصيرة هر كشف السرّ الذي قصده النبي ﷺ فيما قال، سواء في هذا الحكم مُتَحَكِّماً أو صار منسوخاً، أو عارضه دليل آخر، فوجب في نظر الفقهاء كونه مرحوحاً.

نعم، لا محض لكل خائض في فن أد بعينه بأحق ما هنالك بالنسبة إلى ذلك الفن، وإن الأقرب من الحق باعتبار فن الحديث ما خلص بعد فلوين أحاديث البلاد وآثار ففهايتها، ومعرفة المنافع عليه من المتفرّد به، والأكثر رواة والأقوى رواية من هو دون ذلك.

على أنه إذ كان شيء من هذا النوع استطراداً، فليس ليبحث عن المسائل الاجتهادية وتحقّق الأقرب منها للحق مدعاً من أهل العلم ولا ضعفاً في أحد منهم.

﴿إِنْ لَرَيْدٌ إِلَّا الْإِصْحَاقُ مَا اسْتَفْهَمْتُ وَتَا تَوَقَّيْتُ إِلَّا بِأَفْرِ عَيَّوْ تَوَلَّكَ وَتَلَّيْتُ لَيْبْتُ﴾ [غود: الآية ٤٤]

(١) الأشاعرة هم التابع لبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ والمقرّبة لتباج أبي المنصور القاتريدي المتوفى سنة ٣٦١هـ، وماتريد قربة.

(٢) أي: لُتُجِبْتُ.

(٣) أي: تَبَيَّنَ بوضوح.

(٤) أي: لا ألبيل.

(٥) أي: الأوساط.

وهو أنا بريء من كل مقالة صدرت مخالفة لأية من كتاب الله، أو سنة قائمة عن رسول الله ﷺ، أو إجماع القرون المشهود لها بالخير، أو ما اختاره جمهور المستنيرين وبمظن سواد المسلمين، فإن وقع شيء من ذلك فإنه عطل، رحم الله تعالى من ابتغى من ههنا، أو ههنا من ههنا.

أما هؤلاء الباحثون، والمنسحبون من كلام الأوائل، المعتدلون مذنب المناظرة والمجدلة، فيجب علينا ألا نوافقهم في كل ما يقرهون به، ونحن رجال وهم رجال، والأمر بيننا وبينهم سجال.

ثم إلي سميت الخطاب على قسمين

أحدهما: قسم القواعد الكلية التي تنظم بها المصالح الشرعية في الشرائع، وأكثرها كانت مسئلة بين الملل الموجودة في عهد النبي ﷺ، ولم يكن فيها اختلاف بينهم، وكان الحاصرون مستفيين عن سؤالاتها، فبه النبي ﷺ عليها كما بيته على الأصول المتفروع عنها إفادة الفروع، فتتمكن السامعون من إرجاع الفروع إليها لئلا مارسوا من نظائرها في المريب المتيسر إلى الملة الإسماعيلية واليهود والنصارى والمجوس.

ورأيت أن نقاسم أسرار الشرائع نرجع إلى أصليين:

- 1 - صحت البر والإثم،
- 2 - ومبحث المباحات والمكروهات.

ثم رأيت المرء الإثم لا يُكْتَفَى حقيقتهما إلا بأن يُعَرَّفَ قبلهما مباحات المعجزة، والارتقاقات⁽¹⁾، وانسعادة النوعية. ثم رأيت هذه المباحات تتوقف على مسائل نعلم في هذا العلم ولا يبحث عن كمينها⁽²⁾، فإذا أنْ يُصَدَّقَ بها لا تطلق الملل عليها حتى صار من المشهودات، أو لحسن الظن بالناس، أو لدلائل تدعو في علم أعلى من هذا العلم. وأعرضت عن لإطلاقة في إثبات النفس وبفاتها وتغلبها ونالها بعد مفارقة الجسد، لأنه مبحث مفروق منه في كتب الفروع. وما ذكرت من هذه المباحات إلا ما رأيت لكتب النبي رفعت إنني خائفة عن الكلام فيه أصلاً، أو خالفة عن التمرير والترتيب اللذين رُفِعَتْ لاستخراجهما. ولا ذكرت من المسلمات إلا ما رأيت انقوم ثم يتوضو له، ولا لإيراد الدلائل السمية عليه كثيراً ففرضي، فلا يجوز أني أذكر في هذا القسم مسائل يجب أن يُصَدَّقَ بها في هذا الفن من غير تعرض للمسبها، ثم تبغية المجازاة في الحياة وبعد السمات، ثم الارتقاقات التي تُجِبُّ عليها عوالمهم، ولم يحملها قط غيرهم ولا مجتهد من جهة ما أوجبته عقولهم، ثم يدل سعادة الإنسان وشقاوته بحسب الشرع وبحسب ما يظهر في

(1) أي خلق الانشقاقات

(2) أي حقيقتهما

الأخرى، ثم أصول اليزيد والائمة التي نواردها عندها هي المثلث، ثم ما يجب عند دراسة الأئمة من ضرب الحدود والشرائع، ثم كيفية استنباط الشرائع من كلام النبي ﷺ وتلقيها عنه.

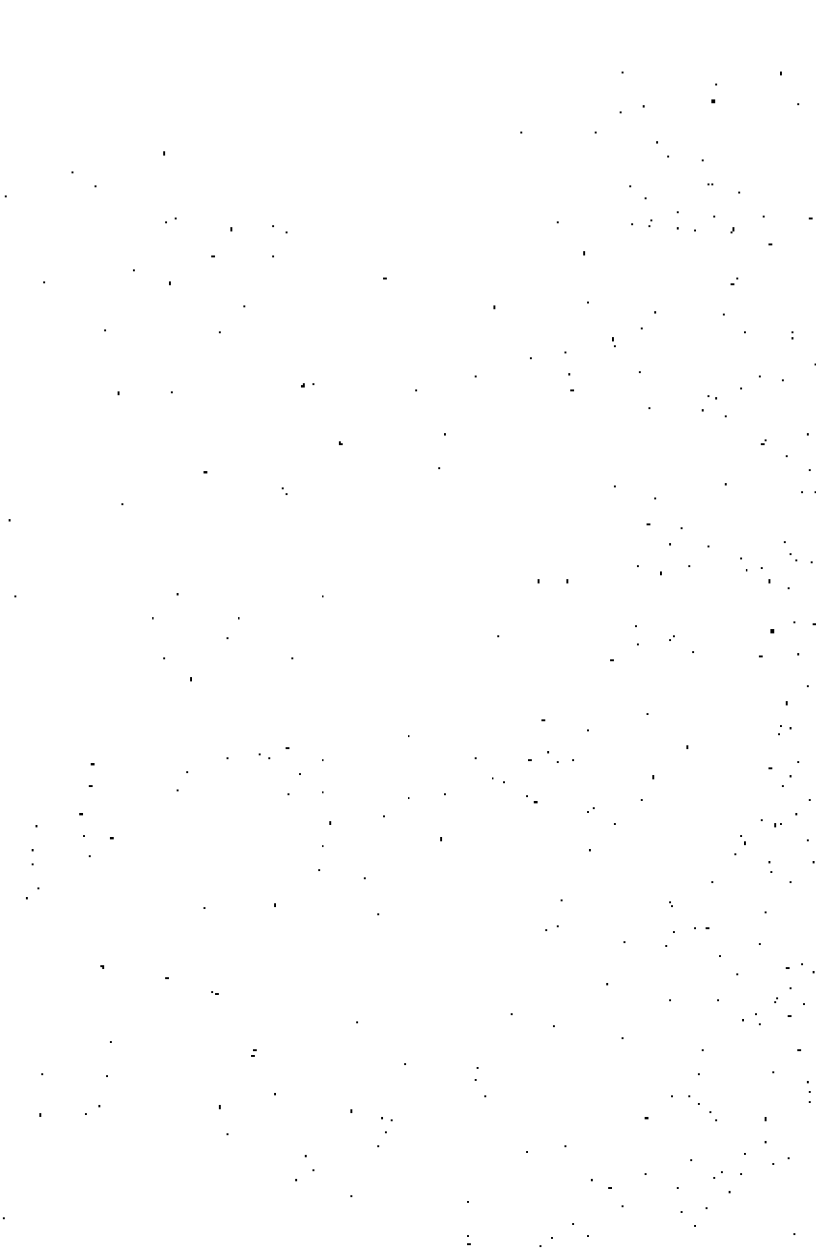
والقسم الثاني. في شرح أسرار الأحاديث، من أبواب الإيمان، ثم من أبواب العلم، ثم من أبواب الطهارة، ثم من أبواب الصلاة، ثم من أبواب الزكاة، ثم من أبواب الصوم، ثم من أبواب الحج، ثم من أبواب الإحسان، ثم من أبواب المعاملات، ثم من أبواب تدبير الدار، ثم من أبواب سياسة المدن، ثم من أدب المعيشة، ثم من أبواب شتى.

وهذا آراء الشروع في المصنوع، والحمد لله أولاً وآخراً.



القاسم الأول

في القواعد الكلية
التي تستنبط منها المصالح الشرعية في الأحكام
الشرعية وهي سبعة مباحث في سبعين باباً



المبحث الأول: في أسباب التكليف والمجازاة

❁ باب الإبداع والخلق والتبدير ❁

اعلم أن الله تعالى بالنسبة إلى إيجاد العالم ثلاث صفات مُرتبة:

أحدها: الإبداع - وهو إيجاد شيء لا من شيء، فيخرج الشيء من كتم العدم بخير عادة. وسُئل رسول الله ﷺ عن أول هذا الأمر فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله»^(١).

والثانية: الخلق - وهو إيجاد الشيء من شيء، كما خلق آدم من التراب.

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا بَنِي آدَمَ مِن تَرَابٍ) [الرحمن: الآية ١٥]^(٢).

وفد ذلك العقل والنقل على أنه الله تعالى خلق العالم أنوعاً واجتماعاً، وجعل لكل نوع وجنس خواص، فنوع الإنسان مثلاً خاصته النطق وظهور البشرة واستواء القامة ونعم الخطاب، ونوع الفرس خاصته العصبيل وكون بشرته شعراء وقامت عوجاء، والأب يفهم الخطاب، وخاصته السُم إهلاك الإنسان الذي يتناول، وخاصته الزنجبيل الحرارة والبرودة، وخاصته الكافور البرودة... وعلى هذا القياس الأنواع من المعدن والنبات والحيوان جميعها.

وجرت عادة الله تعالى ألا تملك الخواص مما بُعِلت خرافاً لها، وأن تكون مشخصات الأفراد خصوصاً في تلك الخواص وتعيها لبعض محتملاتها؛ فلكذلك مميزات الأنواع خصوصاً في خواص اجتماعها، وأن تكون معاني هذه الأسماء المُرتبة في العموم والخصوص - كالجسم والنامي والحيوان والإنسان وهذا الشخص - متعازجة متشابهة في الظاهر، ثم يُدرَك العقل لثبوتها ورغبة - كل خاصة إلى ما هي خاصة له.

(١) هذه رواية الصحيحين، وهي لا تدل على فسوت الزماني للعالم لكن قد ثبت عند بعض أصحاب الفساة
مِم مِم مِم مِم مِم وهذا يدل على حدوث.

(٢) أي: لا يلا يقن.

وقد بين النبي ﷺ خواص كثير من الأشياء، وأضاف الآثار إليها، كقوله ﷺ:
 «الثلثية^(١) شجرة لقوام المريض».

وهو في النخلة السوداء، وشفا من كل داء إلا السام^(٢).

وقوله في أبوال إريس وكيناها: «شفا للثوب طوبهم»^(٣).

وفوه في الشير^(٤): «حار جرد».

وثالث الصفات: تدبر عالم تعدد، ومراجعة إلى تصيير حوادثها مرافقة للنظام الذي
 ترتبه حكيمته. فغاية إلى المصلحة التي اقتضاها جوده، كما أنزل من السحاب مطراً
 وأخرج به نبات الأرض ليأكل منه الناس والانبعاث فيكون بئحياتهم إلى أجل معلوم،
 وكما أن بارهم صلوات الله عليه أنقى في النار فجنحتها الله برداً وسلاماً، لينقي سباً، وكما
 أن أيوب عليه السلام كان اجتمع في بدنه مائة امراض، فأثاب الله تعالى عباً فيها شفاء
 مرضه، وكما أن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فعفقتهم، عرهم وعجمهم، فأوحى إلى
 نبيه ﷺ أن يخلصهم ويجهدهم، فيخرج من شاء من الملمات إلى النور.

وذهبيل ذلك أن القوى المرددة في المواليد التي لا تفك عنها شيئاً نزلت
 وتصادمت أوجبت حكمه الله حدوث أطوار مختلفة بعضها جواهر وبعضها أعراض
 والأمر في إما أعمال أو إرادات من ذوات الأنفس أو غيرها، وتلك الأطوار لا شر فيها،
 بمعنى عدم صدور ما يقتضيه سببه أو صدور ضد ما يقتضيه، والشيء إذا اعتير سببه
 استغنى لوجوده كإن حسناً لا مبالاة، كالقطع ختن من حيث إنه يقتضيه جواهر الحديد
 وإن كان قبيحاً من حيث قوت بئحة الإنسان، لكن في هذه الأطوار شر بمعنى حدوث شيء
 غير، أو فتن بالمصلحة منه باعتبار الأثر، أو بمعنى عدم حدوث شيء أثاره محمود. وإذا
 نهيات أسباب هذا الشر اقتضت رحمة الله بهيادته وألفته بهم وحسوم غلته على الكل
 وشمول عليه بالكل، أن ينصرف في تلك القوى والأمور الحاملة لها ما يفيض والبسط
 والإحالة والإلهام، حتى تقضي تلك الحملة إلى الأمر المظنن

(١) الثلثية: حساء يعمل من شيل أو شغلة، وربما حمل فيه عسل، ويشبه القز في لينه والبردة، ونجدة
 يضم الميم وتسمى العجم أي: مريحة.

(٢) أي: الموت.

(٣) الثوبية: سنة من الثوب بالحركة، وهو داء للمعدة لا يذهب إلا بغيره ولا يذهب.

(٤) الشير: يضم الشين والراء: خب يشبه الحفص، يطبخ ويشرب حاراً للثوب، وحاراً من الحرارة وجاراً للثوب
 أو كمن يمشي.

أما القبح: فمثاله ما ورد في الحديث: أن الدجال يريد أن يقتل العبد المؤمن في المرة الثانية فلا يَقْدِرُهُ الله تعالى عليه، مع صحة داعية القتل وسلامة أدواته.

وأما البسط: فمثاله أن الله تعالى أنجى عبداً لأبواب ملوثة الله عليه برخصة الأرض، وليس في العادة أن تُغْفَى الرخصة إلى نوح الماء، وأقْدَرُ بعض⁽¹⁾ المتأخرين من عباده في الجهاد على ما لا ينصّره العقل من مثل تلك الأبدان ولا من أضعافها.

وأما الإحالة لمثالها فمثلُ النار هواء طيبٌ لإبراهيم عليه السلام.

وأما الإلهام: فمثاله قصة خرق السفينة، وإقامة الجندار، وقتل الغلام، وإنزال الكتب والشراف على الأنبياء عليهم السلام. والإلهام نارة يكون للنبى وقارة يكون للنير لأسفه؛ والقرآن العظيم يبيّن أنواع التدبير بما لا مزيد عليه.

❁ باب ذكر عالم المثل ❁

اعلم أنه دلت أحاديث كثيرة على أن في الوجود عالماً غير عنصري تمثل فيه المعاني بأحسام مناسبة لها في الصفة، وتتحقق هنالك الأشياء قبل وجودها في الأرض نسواً من التحقق، فإذا رُجِدَتْ كانت هي هي بمعنى من معاني هو هو.

وأن كثيراً من الأشياء مما لا جسم لها عند العامة تنتقل وتزول، ولا يراها جميع الناس. قال النبي ﷺ: «لما خلق الله الرحمن قامت الحقائق هذا مقام الحقائق من القطيعة»، وقال: «إن بطورة وأل عمران قاتلان يوم القيامة كأنهما غميمان أو غيلتان⁽²⁾ لو يَزَقَلْنَ من طير صولج ثعلجان عن أهلها»، وقال ﷺ: «نَجِيءُ الأعمال يوم القيامة فتجوي الصلاة ثم لجيء الصدقة ثم يجيء الصدق». الحديث، وقال ﷺ: «إن المعروف والمنكر لخليلتان شسبان للفنن يوم القيامة، فلما المعروف فيشكر أمته، ولما المنكر فيقول: إنكم ليكم، ولا يستطيعون له إلا لزوماً»، وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة كهينتها، ويبعث الجمعة زهواء منيرة»، وقال ﷺ: «يؤتى بالنبيا يوم القيامة في صورة عجوز شعثاء⁽³⁾، زرقاء لثنيها، مشوهة خلقها⁽⁴⁾»، وقال ﷺ: «هل ذنبون ما لم يذنبوا لآلئ لا ترى مواقع الفتن خلال ببرتكم

(1) كما وقع لملي رضي الله عنه من لغة شير

(2) العجوبة: كل ما للل من الرقى. ككسائية، ويورقان بكسر الفاء، وسكون الواو قطع من القدم، والمولد. جماهيز.

(3) الضطام: التي يولس شعرا مطط بالسرور.

(4) المشوهة: الشبح الواسع الفم.

كروية في قفازين ، وقال يونس في حديث الإسراء ، « فبينا أربعة اشهار ، فبهان باطشان وشهرين طاهران ، فقلت ما هذا ، جويون ؟ قال : اما الباطشان ففي الجنة ، واما الظاهران فالتل واهرات » . وقال يونس في حديث صلاة الكسوف : « سُئِلْتُ لِي الْجَنَّةُ وَالْعِلَّاءُ ، رَمِي لَفْظُ « مِيفِي »^(١) وَبَيْنَ جِدَرِ لَقْنَةٍ ، وَهُوَ : ثُمَّ يَسْهُدُ بِهِ لِشَاوِلِ عَقُودًا مِنَ الْمِجَنَّةِ ، وَهُوَ تَكْمِيعُ^(٢) مِنَ الْقَارِ ، وَيَنْخُ مِنْ حَرَمِهِ ، وَرَأَى فِيهَا سِدْرِي^(٣) الْحَصِيجِ ، وَالْمِرَاةَ لَتِي رِبْعَتِ الْهَرَاءِ حَتَّى مَاتَتْ ، وَرَأَى فِي الْجَنَّةِ امْرَأَةً مَوْسَمَةً^(٤) سَعَتِ الْكَلْبِ .

وهذا هو أن تلك المسافة لا تتسع للجنة والدر بأجسادهما المعلومة عند العامة .

وقال يونس : « سَعَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَعْدَةِ وَجَعَتْ أَثَارُ الْمَشْهُوَةِ ، نَمِ أَمْرُ جِيرِيلَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا » . وقال يونس : « يَنْزِلُ الْبِلَاءُ فَيُطْلَعُ^(٥) السَّعَاءُ » . وقال يونس : « خَلَقَ فَتَ الْعَقْلُ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ فَاغْتَبِلْ ، وَقَالَ : « أَبْرَأُ فَاتَّقِ » . وقال يونس : « مَتَقَنَّ كَثَلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . الحديث . وقال : « يَأْتِي بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ مَبْشَرٌ ، فَيُخْبِرُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ » . (قال تعالى :

﴿ ذُرِّيَّتًا لِإِثْمَانَ يُؤْخِرُ^(٦) مَخَضَ كَبَرٍ سَرِيحًا ﴾ [مريم : ١١] .

واستعاض في الحديث أن جيريل كان يظهر للمضي يونس ويترامى نه فوكتمه ، ولا يراى سائر الناس ، وأن كغير يُفصح سبعين فراعاً في سبعين أو يُخدم حتى تخفف أوضاع المنيور ، وأن الملائكة تنزل على المنبر فثأته ، وأن عمله ينشئ نه ، وأن الملائكة تنزل إلى السمنشر بأيديهم الحرير أو النسيج ، وأن الملائكة يضرب منقور ببطرقة من حديد فصيح صيحة يسمها ما بين المشرق والمغرب .

وقال نبي يونس : « يُسَلِّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي غَيْرِهِ سَعَةٌ وَشَمُونٌ تَبِيحًا^(٧) ، تَهْمِسُهُ وَتَلْمِزُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » . وقال يونس : « إِذَا أَخَذَ الْعَمَلُ الْغَيْرَ فَكُنْتَ لَهُ الشَّمْسُ عَدُوٌّ غَوِيٌّ بِهَا ، نِيْجَاسٌ بِمَسْجٍ عَيْنِي وَيَقُولُ : « مَوْسِي أَصْلِي » ، وَاسْتَفَافَ فِي الْحَدِيثِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَلَّى بِصُورٍ كَثِيرَةٍ لِأَهْلِ الْمَوْتِ . وَأَنَّ اللَّهَ يَخْشَى عَلَى رِيهِ وَهُوَ عَلَى كَرْسِيهِ ، أَنَّ اللَّهَ نَعَانِي يُكَلِّمُ ابْنَ آدَمَ شَدَاغًا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً .

والظاهر في هذه الأحاديث بين إحدى ثلاث :

أما أن يقر بظواهرها فيضطر إلى إثبات عدم ذكرنا شأنه ، وهذا هو التي تخصبها قاعدة عمل الحديث . أنه على ذلك السوي ورحمة الله تعالى ، وبها أقول ، وإليها أذهب .

(١) سَعَتُ سَعِدَتْ . (٢) مِيفِي : أي : تَحْمِلُ .

(٣) سِدْرِي : أي : كل يسرى من المصنوع . (٤) مَوْسَمَةً : أي : رَافِيَةً .

(٥) سَعَاءُ : أي : حَرَمٌ .

(٦) مَخَضَ : أي : مَخْرَجٌ . كَثَرُ : أي : كَثْرَةٌ . وَالْمَوْتِ : أي : الْمَوْتِ . وَالْمَوْتِ : أي : الْمَوْتِ .

أو يقول: إن هذه المواقف تتراعى لجسّ الرائي وتمثل له في بصره وإن لم تكن خارج حسه. وقال نظير ذلك عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الفرقان: ١٠] قال: إنهم أسبابهم تجذب^(١) فكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى كهينة الدخان من الحور.

ويذكر عن ابن الساجشود^(٢) أن كل حبيث جاء في التنقل والرواية في السحر، فمعناه أنه يُغيّر أبعاد خلقه، فيزوّته فأزلاً متجلياً، ويتأجج خلقه ويخطبهم، وهو غير منفير عن عظمته ولا مُتقل، ليعلموا أن الله على كل شيء قدير، أو يجعلها تمثيلاً لفهم معاني أخرى.

ولست أرى المتعصر على الثالثة من أهل الحق.

وقد صور الإمام الغزالي في حذاب القبر تلك المقامات الثلاث حيث قال:

أمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغي أن يُنكر ظواهرها، بل أقل درجات الإيمان التسليم والتصديق.

فإن قلنا: منحن نشاهد الكافر في قبره مدّة، ونراقبه، ولا نشاهد شيئاً من ذلك، فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة؟

فاعلم أن لك ثلاثة مقامات في التصديق بأمثال هذا:

أحدها - وهو الأظهر والأصلح والأسلم -: أن تُصدّق بأنها موجودة، وهي تلدغ الميت، ولكنك لا تشاهده ذلك، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور المملكوئية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت. أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول عيريل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون بأنه ﷺ يشاهده؟

فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أمهم عليك، وإن كنت أمست به وجوّزت أن يشاهد النبي ﷺ ما لا تشاهده الأمة، فكيف لا تُجوّز هذا في الميت؟ وكما أن الملك لا يشبه الأميين والميوتات، فالحبيات والمقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حياث عالما، بل هي جنس آخر، وتعدّوا بحاسة أخرى.

المقام الثاني: أن تتذكر أمر النائم، وأنه قد يرى في نومه شيئاً تلدغه، وهو يتألم بذلك حتى تراه ربما يصيح ويعرق جبينه، وقد يتزعج من مكانه، كل ذلك يُدرى من نفسه

(١) أي: تمتد.

(٢) هو في الأصل مغرب ماء كون، وهو علم لابد له من الحكمة الملائكية.

ويتأذى به كما يأذى البقطان وهو يتأذى وأنت ترى ظاهراً ساكناً ولا ترى حواله حبة ولا عقرباً، والحبة موجودة في حقه والعذاب حاص، ولكنه في حقه غير مشاع. وإذا كان العذاب في ألم اللذخ فلا يرى من حبه تدخل أو تشاهد

المقام الثالث: إنك تعلم أن الجنة نفسها لا تزلزل بل الذي يلقاك فيها هو ألم نسيم. ثم النسيم ليس هو الألم، بل عذابتك في الأثر الذي يحصل فيك من النسيم، فلو حصل مثل ذلك لأثر من غير سم لكاذ العذاب قد توفره وكان لا يمكن تحريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إليه السب الذي يقضي إليه في العادة، فإنه لو خلق في الإنسان ألمه الواقع^(١) مثلاً من غير مباشرة سورة الواقع، لم يمكن تحريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة لتعريف السب، وتكون سورة السب حاصلة وإن لم تحصل صورة السب، والسب لو لم يضره لا لظنه، وهذه الصفات المهلكات تعذب المهلكات مؤذيات ومؤذيات في النفس عند الموت، فيكون آلامها كآلام نافع لحيات من غير وجعها انتهى^(٢)

باب ذكر الملا الأعلى

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَبْتَلُونَ الْآخِرِينَ وَمَنْ سَوَّلُوا لَكُمْ يُبَدِّلُونَهُمْ فِيهِمْ وَلَئِنَّهُمْ فِي أَعْيُنِنَا ۖ وَسَيَبْجَلُكَ نَوْمُكَ وَلَسَمَّا رَبُّكَ فَأَتَمُرُ بِالْبُيُوتِ وَالتُّرُكِ وَأَيُّكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ ۚ وَتَأْتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ الَّذِينَ يَبْتَلُونَ الْآخِرِينَ وَمَنْ سَوَّلُوا لَكُمْ يُبَدِّلُونَهُمْ فِيهِمْ وَلَئِنَّهُمْ فِي أَعْيُنِنَا ۖ وَسَيَبْجَلُكَ نَوْمُكَ وَلَسَمَّا رَبُّكَ فَأَتَمُرُ بِالْبُيُوتِ وَالتُّرُكِ وَأَيُّكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ ۚ وَتَأْتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ﴾
 ﴿الْحِكْمَةُ ۚ﴾^(١) وَفِيهِمُ الْمُنَافِقُ ۚ وَالْمُنَافِقُ أَهْلُ الْبَيْتِ ۚ وَتَأْتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ وَتَأْتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ

(١) (علاء: الآيات ٦-٧)

وقال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء غسرت الملائكة بالجنحتها خضلة^(٢) لقوله، كأنه صلصلة^(٣) على صفوان^(٤)، فإن قُرْعَ^(٥) عن طلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير». وفي رواية: «إذا قضى امرأ منج حملة العرش، ثم يستع أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ المسيح أهل هذه السماء الثقباء ثم قال الذين يلون حملة العرش

(١) أي: الجماع (٢) أي: كلاء الخنزيري

(٣) هو مصدر، كالخزول أو الخمران ويبدو كونه جمعاً تخلص، فقل العصور مفعول، مطلق، من ضربت لما فيه من التضرع، وعلى الجميع حال، والضمير: لوقت العصفها موصلة.

(٤) هو يفتح العالين لعلتهن الصوت لعلتهن الذي يسمع ولا يفتت، أول ما يقرع السمع، من يفتح يفتح.

(٥) هو: الحجر الأعلى

(٦) أي: كتف القراع.

لجنة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، فيستخير بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء.

وقال رسول الله ﷺ: «إني كنت من الليل فتوضأت وجعلت ما تقرأ لي، فنصت في صلاتي حتى استنقذت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: ليك رب، قل: قيم يختصم للملا الأعلى؟ قلت: لا شيء، قالها ثلاثاً. قال: «والله وضع كفه بين كتفي حتى رجعت برد لئلا من شيء، ففتعلت^(١) لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: ليك رب، قال: لم يختصم للملا الأعلى؟ قلت: في أشكواك، قال: وما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، ولا جالس في المسجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء^(٢) حين التكبيلات، قال: ثم فهم؟ قال: «قلت: في الدرجات، قال: وما هن؟ قلت: طعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل ونفس نيام».

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أحب عبداً دعا جبرائيل فقال: إني أحب فلاناً فأجبه». قال: «فجئته جبرائيل، ثم يتادي في السماء فيقول: إني أحب فلاناً فأجبه، فيجبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبرائيل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه». قال: «فببغضه جبرائيل، ثم يتادي في أهل السماء: إني الله يبغض فلاناً فأبغضوه». قال: «فببغضه، ثم يوضع له البغض في الأرض».

وقال رسول الله ﷺ: «الملائكة يُصلُّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه اللهم غفر له اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يُخبث فيه».

وقال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يُصْبِح العباد فيه إلا وملاك يزلزل يقول: الحمد لله، اللهم أقم صنفاً خلقاً^(٣)، ويقول الآخر: اللهم أقم صنفاً شقاً».

أما أنه قد استفاض من الشرع أن الله تعالى عباداً هم أفضل الملائكة ومقربو الحضرة، لا يزالون يمدحون لمن أصلح نفسه وهذَّبهَا وسعى في إصلاح الناس، فيكون دعاؤهم ذلك سبب نزول البركات عليهم. ولعمرون من حصي الله وسعى في الفساد، فيكون لعنهم سبب لوجود حسرة وتذاممة في نفس العامل والله ما من في صدور الملائكة أن يبغضوا هذا العمي، وسبوا إليه، إما في الدنيا أو حين يتخفف عنه حجاب بلدته بالسموات الطيحي، وأنهم يكونون ملزمين بين الله وبين عباده، وأنهم ينهشون في قلوب بني آدم خيراً، أي يكونون أسباباً لحدوث الخواطر الخيرة فيهم بوجه من وجوه المسيبة، وأن لهم اجتماعات

(١) أي تلبس.

(٢) أي غسله.

(٣) يجمع هذه الجملة واللام، أي نوعاً حاجلاً، سلاً أو نفعاً سوءاً، أو كلاً شريعياً أو

أجابت وتقرّبهم من كل سر، ولكن من صد عن سبيل الله وتقرّبهم من كل أثم، وهذا أصل من أصول النبوّة. ويسمّى إجماعهم المستمر بتأييد روح القدس، وشعر ممالك بركات لم نهد في العادة، فتسمّى بالمحزرات.

ودون هؤلاء نفوس⁽¹⁾ استرجع فيصانها حدوث مزاج معدّل في بخارات لطيفة، لم يبلغ بهم السعادة⁽²⁾ الأوّلين⁽³⁾، فصار كمالهم أن تكون فارغة لانتظار ما يترشح من فوقها، فإذا ترشح شيء بحسب استعداد القابل وتأثير الفاعل اتبعوا إلى تلك الأمور كما تنبعت الطيور والبهائم بالندواعي الطبيعية، وهم في ذلك قانون عفا يرجع إلى أنفسهم، باقون بما ألهموا من فوقهم، فيؤثّرون في قلوب البشر والبهائم، فتقلب إرادتها وأحاديث نفوسها إلى ما يناسب الأمر المراد، ويؤثّرون في بعض الأشياء الطبيعية في تضعيف حركاتها وتحولاتها:

كما يدرج حجر فأثر فيه منك كريم عند ذلك حشى في الأرض أكثر مما يتصور في العادة،

وربما ألّف العباد شبكة في النهر، فجاءت أفواج من الملائكة ذلهم في قلب هذه السمكة أن تقتحم، وهذه أن تهرب وتقبض حيلاء وتبسط أخرى، وهي لا تعلم لم تفعل ذلك، ولكن تتجّ ما أنهت،

وربما قتلت فتان، فجاءت الملائكة تزيّن في قلوب هذه الشجاعة والبات بأحاديث وغيالات يقتضيهام المقام، وتنبّه جيل الغلوة، وتؤثّر في الرمي وأشباعه، وفي قلوب تلك أصداد هذه الخصال لينفي الله أمراً كان مفعولاً، ووسا كان المترشح بإلام نفس إنسانية أو تعميها، قدمت الملائكة كل سعي وذهبت كل مذهب ممكن، ويؤثّر أولئك آخرون أولو حقه ولبس وأفكار مضادة للخير، أو حبّ حذرهم تمنع بخارات ظلمانية، هم الشياطين، لا يزالون يستمّون في أصداد ما ست الملائكة فيه، والله أعلم.

باب ذكر سنة الله التي تشير إليها في قوله تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ عَلَى النَّاسِ مِلًّا﴾ [الأنعام: ١٥٢]

أعلم أن بعض أفعال الله يترتب على الفرى المرددة في العالم بوجه من وجوه الترتيب، شهد بذلك الفعل والعقل، فإن رسول الله ﷺ: «لما الله خلق آدم من قبضة⁽⁴⁾

(٢) هم أهل الأعلى

(١) هم لدى الملائكة.

(٣) بلغ قنات وشعبها من الفكر.

قيضها من جميع الأرض، فجاءه بنو آدم على قَدْرِ الأرض، منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين تلك، والسهل، والحد، والغيب، والطيب..

وسأله عبد الله بن سلام: ما ينزع الولد^(١) إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال: إذا سبق ماء لرجل ماء المرأة نزع الولد^(٢)، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الرجل^(٣).

ولا أرى أحداً يشك في أن الإمامة تستند إلى الغريب باليف أو أكل الشَّم، وأن خلق الولد في الرحم يكون عقيب حبب المني، وأن خلق الحبوب والأشجار يكون عقيب البئر والفرس والسَّي، ولأجل هذه الاستعانة بجاء التكليم، وأبروا، ونهوا، وجوزوا بما قبلوا. خلق الميزي^(٤).

منها: خواص العناصر وطوائفها، ومنها: الأحكام التي أودعها الله في كل صورة نوعية، ومنها: أحوال عالم المثال والوجود التقضي به هناك قبل الوجود الأرضي.

ومنها: أدعية السلا الأعلى بسجودهم لمن هدب نفسه أو سسى في إصلاح الناس، وعلى من خالف ذلك.

ومنها: الشرائع المكتوبة على بني آدم وتحقق الإيجاب والتحریم، فإنها مسبب ثواب السطوح وعقاب العاصي.

ومنها: أن يقضى الله تعالى بشيء فيجبر ذلك الشيء شيئاً آخر لأنه لازمة في سعة الله، وخبر نظام اللزوم غير مَرَضِي، والأصل فيه قوله ﷺ: «إذا قضى الله لعبق أن يموت بمرض جعل له إليها حاجة».

فكل ذلك نطقت به الأخبار، وأوجبه ضرورة العقل.

واعلم أنه إذا تعارضت الأسانيد التي يترتب عليها نقصاء بحسب تيزي المادة ولو يمكن وجود مقتضياتها أجمع، كانت الحكمة حينئذ مراعاة أقرب الأشياء إلى الخير المطلق، وهذا هو المُقَرَّرُ به.

بالميزان في قوله ﷺ: «يُنْبِئُ الميزان يرفع القسط وينخفضه»^(٥)

وبالشان في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَوْزَنَةٌ﴾ [الزمن: الآية ٢٥].

(١) أي: يشبهه ويصنعه فيه.

(٢) أي: جنسه وأظهر مشيئته فيه.

(٣) أي: لمقرنة عليها فعمل الله.

(٤) أي: يرفع ميزان أعمال العبد المرتفعة إليه ولزوم تنازله من عنده وينخفضه، وهو تعديل لما يقرره الله ويراه، وقيل: قوله يرفع الميزان تكثير التيق وينخفضه تعديله.

ثم الشرع جرح يكون نارة محال الأسباب إليها أقوى، ونارة محال الآثار العترة إليها
الأنف، وبثليم باب المخلق علم باب التذير، ونحو ذلك من الوجوه، فتحقق وإن قضت صلنا
عن إحاطة الأسباب ومعرفة الأحق عند تعارضها نعم فطعاً أنه لا يوجد شيء إلا وهو أحق
بأن يوجد، ومن أين بينا ذكرنا استبعاد عن إشكالات كثيرة.

أما هيئات السماكب: فبعضُ تأثيرها ما يكون ضرورياً كاختلاف الصيف والشتاء، وطول النهار وقصره باختلاف أحوال الشمس، واختلاف الجزر والتمدد باختلاف حوال القمر وجاء في الحديث: «إذا طلع النجم»^(١) ارتفعت الحافة. يعني بحسب جوي إعادة. لكن كون الفضي والغني والجذب والنجذب وما إلى حوادث البشر بسبب حركات الكواكب، فمما لم يثبت في الشرع، وقد نهى النبي ﷺ عن الخوض في ذلك فقال: «من اقتبس شعبة من النجوم اقتبس شعبة من السوء، ولهذه في قول: مؤمنا ينزوم كذا»^(٢).

ولا أقول: تمت التشريعة على أن الله تعالى لم يجعل في النجوم وأواس تنزل منه الحوادث بواسطة تغير الهواء المكتشف¹⁴ بالناس ونحو ذلك، وأنت خير بأن النبي ﷺ نهى عن الكهانة، وهي لإخبار عن الجن، ويرى من أبي كاهن¹⁵ رصده، ثم لما قيل من حال الكهنة أخبر أن العائنة تنزل في القنات¹⁶ فلنكر الأمر نفسه في السماء، فصفق الشياطين السماء، فتوحيه من الكهنة فيكذبون معها مائة كذبة، وأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَهْلًا وَلَا حَرْفًا وَلَا تَتْلُوا بَعْضَ اللَّهِ عَنَ بَعْضٍ سَرًّا وَلَا نَجْوًا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا غُصَصًا ۚ﴾ (سورة 106).

وقال رسول الله ﷺ: «إن يُدْخِلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ عَلَيْهِ، وَوَقَّالٌ، إِنَّمَا أَنْتَ رَفِيقٌ»⁽⁸⁾
والطبيب الله.

ريالجملة فالنهي يدور عن عصا كثره، والله اعلم.

بَابُ حَقِيقَةِ الرُّوحِ

قَالَ اللَّهُ نَحْنُ

﴿وَسَخَّرْنَاكَ عَنْ النُّزُولِ عَنْ أَسْفَرٍ مِنْ أَسْفَرٍ وَمَا أَوْفَيْتُ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَقِيلًا﴾ [الإسراء: 85]

(1) أي: الثريا، والجماعة الآفة.

(١٢) هو بلشع القذى وسكنون قنول وجوزة. بمعنى الفروع، والظنوع، والعرب كلفت قزعم (الأكويك)؛ غلب أو طعم يكون ليمره صهير رسول الله ﷺ منه.

(43) أي: المحيط. (44) أي: البحر.

(١٤) أي: تزداد بالعربى وتختلف به والله يدرك ويعلمه.

ونراً لأعشى عن رواية ابن مسعود (وما أوتوا من العلم إلا قليلاً). ويُعسم من حاله أن الخطاب اليهودي لساكنين عن الروح.

وليمت كية نغ في آله لا يعلم أحد من الأمة العوينة حقيقة الروح كذا يُقَرَّر، وليس كل ما سكث عنه الشرع لا يمكن معرفته أئنه، بل كثيراً ما يَنكُث عن شيء لأجل أنه مدركة دقيقة لا يصح إعطائها جمهور الأمة وإن أمكن لشخص.

وعلم أن الروح أول ما يُلزَم من حقيقة أنها مبدأ الحياة في الحيوان، وأنه يكون حياً بدمج الروح فيه، ويكون ميتاً بفراقها منه.

ثم إذا لمع ، من أنماثل بجاني أن في البدن بحراً لطيفاً متولداً في القلب من خلاصة الأخطاء، وحصل لقوى تحبسة والمحرقة والمطهرة للفظاء، يجري فيه حكم الطب، وتكثف، المنجزة أن كل من أحوال هذا البخار - من رقة وغضفه، وصعائه وقدرته - أثراً حاشياً في القوي وفي الأفاعيل المنجسة من تلك القوي⁽¹⁾، وأن الآفة الصارئة على كل عضو وهى توليد البخار السائب له تنفس هذا البخار وتُشَوِّش أفاعيله، ويستفترق تكوُّنه العياء وتحتله الموت. فهو الروح في أول النظر رافطية المسمى من الروح في النظر الشمس. ومثله في البدن كمثل ماء الورد وكمثل النار في القند.

ثم إذا لمع في النظر أيضاً بجلي أن هذه الروح مطية للروح الخفيفة ومدة لتعلقها، وذلك أن ترى الطغي يلب، ويشيب، وتبدل أخلاقه بدمه والروح المتوعدة من تلك الأخطاء أكثر من ألف مرة، ويصغر ذرة ويكبر أخرى، وسوءة تارة وييسر أخرى، ويكون جامداً مرة وسالماً أخرى... إلى غير ذلك من الأوصاف المتعددة والشخص هو هو.

وبن نوقش في بعض ذلك فلما أن نعرض تلك التغييرات والمطفل هو هو، أو نقول: لا نجزم بقاء تلك الأوصاف بحالها ونجزم بقاءه، فهو غيرها⁽²⁾، فالشيء الذي هو به هو ليس هذه الروح، ولا هذا البدن، ولا هذه الشخصيات التي نعرفها ونرى بقاء المرنى، بل الروح في الحقيقة حقيقة فردانية ونقطة نورانية بجلى ظهوره عن طور هذه الأساور الصغيرة المتغايرة التي بعضها جواهر وبعضها أعراض، وهي مع تنفس كذا هي مع الكبري ومع الأسود كذا هي مع الأبيض إلى غير ذلك من المتغيرات، ولها تعلق خاص بالروح الهوائي أولاً وبالبدن ثانياً، من حيث إن البدن مطية الشمس⁽³⁾، وهي كره⁽⁴⁾ من عالم النفس يتول منها على الشمس كل ما استحدثت له فالأمور الصغيرة إنما جاء تمثيرها من نفس

(1) هي المنفوعة منها. (2) لأن غير له ملو به المعمود.

(3) الشمس محرقة نفس الروح. أي الروح الهوائي.

(4) أي كره..

الاستعدادات الأرحية بمنزلة حر الشمس يفيض النور ويسود انقصاراً^(١). وقد تحلق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك النسمة عن البدن لفقد استعداد البدن لتوحيدها، لا انفكاك الروح القدس عن النسمة، وإذا تحللت النسمة في الأمراض المبددة وجب في حكمة الله أن يبقى الشيء من النسمة بقدر ما يصح ارتباط الروح الإلهي بها، كما أنك إذا عصبت الهواء من العاصورة تغلغل الهواء حتى تبلغ إلى حد لا تغلغل بعده، فلا تستطيع المصير، أو تنفخ^(٢) القارورة، وما ذلك إلا لسرناش من طبيعة الهواء، فكذلك سر في النسمة وحدها لا يجازهما الأمر، وإذا مات الإنسان كان للنسمة نشأة أخرى فيفيض الروح الإلهي فيها قوة فيما بقي من الحس المشترك تكفي لتأدية السمع والبصر والكلام بعدد من علم الملائكة، أعني القوة المتوسطة بين المحرر والمحدوس المنبثقة في الأفلوك كشيء واحد، وربما تستعد النسمة حينئذ للباس نوراني أو ظلماني بعدد من عالم الملائكة، ومن هنالك تتولد مجانب عالم الريح، ثم إذا نفخ في الصور، أي جاء فيض عام من باري الصور به نزلة الغيظ الذي كان منه في بدء الخلق حين نُفخت الأرواح في الأجساد وأُمنس عالم المواليد، أوجب فيض فروع الإلهي أن يتكسي لباساً جسمانياً أو لباساً من المشان والجسم، فيتحقق جميع ما أُخبر به الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأمين الشياخ، ولما كانت النسمة برزخاً متوسطاً بين الروح الإلهي والبدن لأرضي رجب أن يكون لها وجه إلى هذا وجه إلى ذلك، والوجه المائل إلى القدس هو لسلطنة، والوجه المائل إلى الأرض هو البهية.

وسنقتصر من صفيفة الروح على هذا المقدمات، لنسلم في هذا العم ونفرغ عليها التفاريع قبل أن يتكشف الحجاب في عدم أعلى من هذا العلم، والله أعلم.

❁ باب سر التكليف ❁

قال الله تعالى:

﴿إِنَّا صَدَقْنَا بِأَمَانَتِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَلْفَاظِهِمْ لَمْ يَحِيبَتِ وَأَنْفَقُوا بِمَا رَحِمْنَا الْإِنْسَانَ بِمَا كَانَ ظَنُورًا جَهْلًا ۖ ﴿١﴾ يَلْبَسُ اللَّهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَرَحْمَتُ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿٢﴾﴾ [الحزاب: ١٧٢-١٧٣].

بأن الغزالي والمجاهدي وغيرهما على أن الحواد بالأمانة، تغلغل عبدة التكليف، بأن

(١) أي: القابل للنسمة.

(٢) أي: تنفس.

تعرض^(١) لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية، وأن المراد بعرضها حلوهن: اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن، وبإياتهن: الإيهام الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد، ويحمل الإنسان: قابليته واستعداده لها.

أقول: وعلى هذا فقوله تعالى ﴿إِنَّكَ كَانَتْ عَلَيْنَا مَبْهُوتًا﴾ خرج مخرج التعميل؛ فإن الظلم من لا يكون عادلاً ومن شأنه أن يعادل، والجهول من لا يكون عالماً ومن شأنه أن يعلم. وغير الآدمي إثماً: عالم عادل لا يتطرق إليه الظلم والجهل، كالملائكة، وإما: ليس يعادل ولا عالم ولا من شأنه أن يكسبها، كالبهائم، وإنما يلزم بالتكليف ويستعد له من كان له كمال بالقوة لا بالفعل. واللام في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ كَانَتْ عَلَيْنَا مَبْهُوتًا﴾، كانه قال: عاقبة حمل الأمانة التعذيب والتعظيم، وإن شئت أن تستجلي^(٢) حقيقة الحال فعليك أن تتصور حال الملائكة في نجرتها، لا يزعمها حالة ناشئة من تفريط الفؤاد البهيمية، كالجموع والمطش والخوف والحزن، أو إفراسها، كالشبق والغضب والتهبة^(٣)، ولا يهجمها التغذية والتنمية ولواحقها، وإنما تبقى فارغة لانقطاع ما يرد عليها من فوقها، فإذا نرشح عليها أمر من فوقها، من إجماع على إقامة نظام مطلوب أو رضا من شيء، أو بغض شيء اعتلات به وانغادات له وانجذبت إلى مقتضاه. وهي^(٤) في ذلك فانية عن مراد نفسها بآفة بسواد ما فوقها، ثم تتصور حال البهائم في تلطخها بالهيات الخسيسة لا تزال مشغوفة بمقتضيات الطبيعة فانية فيها، لا تبحث إلى شيء إلا انبعاثاً بهيماً يرجع إلى نفع جسدي وانطلاق إلى ما تعطيه الطبيعة فقط.

ثم تعلم أن الله تعالى قد أودع الإنسان بحكمته الباهرة تزييناً:

قوة ملكية تشعب منفيض الروح المخصوصة بالإنسان على الروح الطبيعية السارية في البدن، وقبولها ذلك القبح وانفجارها له.

وقوة بهيمية تشعب من النفس الحيوانية المشترك فيها كل حيوان المشبعة بالقوى القاتمة بالروح الطبيعية واستقلالها بنفسها، وإذعان الروح الإنسانية لها وقبولها الحكم منها، ثم تعلم أن بين القرنين تراخياً وقجانياً، فهذه تجذب إلى العلو دون تلك إلى

(١) أي: السعول والأرض وبغيرها.

(٢) إنما جعل اللام على العاقبة لأنه: إن تحقق بطله ﴿عَرَضَتْ﴾ فاعداً الله تعالى غير مطلة بالأغراض، وإن تحقق بقره ﴿وَعَمَلَتْ﴾ ﴿أَمْرَتْ﴾ فلا يصح كون تعذيب له وتغليمه غرضاً للإنسان في جعل الأمانة، لأن الغرض ما يكون باعثاً للتفعل على العمل الاستبصري، والحمل منها المراد منه القابلية والاستعداد وهو ليس باختيارياً، فتعين جعل اللام للعاقبة. كما في قوله ﴿يُحْكِمُ اللَّهُ لَكُمْ وَالَكُنُوزَ كُلَّكُمْ حَرْزًا﴾ [النساء: ٦].

(٣) أي: ظلم وشكوك.

(٤) من: لم يصب.

(٥) أي: الملائكة.

المسفل، وإذا برزت التهيبة وغلبت أثرها قدمت الملكية، وكذلك انعكس، وأن للباري حل شأنه عناية بكل نظام وجوداً بكل ما ياله الاستعداد الأممي والمكسي، فإن كُتبت مبنات بهيئة أحد فيها وسر له ما يشهد، وإن كُتبت مبنات ملكية أحد فيها وسر له ما يناسبها، كما قال له عز وجل:

(إِذَا مَنِ اتَّبَعْتِ الرَّحْمَٰنَ ۖ وَكَانَ بِإِذْنِهِ ۚ يَكُن مِّنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٥٦﴾ وَكَانَ مَن يَتْلُكْهُ يَكُن مِّنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٥٧﴾) (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

وقال: (لَا تَلْبِسْ خَوَالِدًا وَمَعْوَلًا يَنْعَلُهُ رِجْلُكَ وَمَا كَانَ خَلْقًا مِّمَّنْ خَلَقْنَا) (البقرة: ١٥٨).

وإن لكل فرد كذا، وأنما، فائدة يترك ما يلائمها، والآن يترك ما يخالفها، وما أشبه حال الإنسان بحال من استعمل شخصاً في يده فلم يجد ألم تفتح النار، حتى إذا ضغبت الزم ورجع إلى ما تعطيه الطبيعة وجه الألم أشد ما يكون، أو ما أشبه حال بحال البرد، على ما ذكره الأمازيغ إن فيه ثلاث قوى: قوة أرضية تظهر عند السحق والجلد، وقوة مائية تظهر عند العصر والشرب، وقوة هوائية تظهر عند التشم.

فتبين أن التكيف من مقتضيات النوح، وأن الإنسان يبال به بضماد استمداده أن يوجب عليه ما يناسب لقوة الملكية، ثم يلب على ذلك، وأن يحترم عليه الاتهاد في الهيبة، ويعاقب على ذلك، والله أعلم.

باب انشقاق التكليف من التقدير

اعلم أن الله تعالى آيات في خلقه، يهدي التاجر فيها إلى أن له الخجة البالغة في تكلفه لعباده بالشرائع، فانظر إلى الأشجار وأوراقها وأزهارها وثمرتها، وما في كل ذلك من الكيفيات المبهرة والمدونة وغيرها، فإن جعل لكل نوع نوراً بشكل خاص، وأزهاراً بلون خاص، وثماراً مختلفة مضموم، وبذلك الأمور يعرف أن هذا الفرد من نوع كذا وكذا، وهذه كلها تابعة للصورة النوعية ملكية معاً، إنما جيء من حيث جاءت الصورة النوعية، وعرفنا الله تعالى بأن تكون هذه المادة نخلة مثلاً، مشبك مع صفاته التصليبي: بأن تكون ثمرتها كذا، وخمائلها كذا.

ومن حوامض الشرح ما يدرك كل من له بال، ومن حوامض ما لا يدركه إلا الأعمى القطر، كتأثير الياقوت في نفس حارسه بالظروح والتشجيع، ومن حوامض ما يحرم كل الأقوا ومن حوامض ما لا يوجد إلا في إرضاء حيث تستعد المادة، كالإلهيج الذي سهل بطن من فيض عبي يده.

وليس لك أن تقول: لم كانت شجرة النخل على هذه الصفة؟ فإنه سؤال باطل، لأن وجود لوازم العاميات معها لا يطلب به لِم.

ثم انظر إلى أصناف الحيوان تجد لكل نوع شكلاً وخلقاً، كما تجد في الأشجار، وتجد مع ذلك لها حركات اختيارية وإلهامات طبيعية وقديرات جبليّة ممتاز كل نوع بها، فبهيمة الأنعام ترعى السبشب وترعى⁽¹⁾، والفوس والعمار واليهنل ترعى الحشيش ولا تجتر، والسيبع تأكل اللحم، والطير يطير في الهواء، والسمك يسبح في الماء، ولكل نوع من الحيوان صرت غير صرت الآخر ومسافة⁽²⁾ غير مسافة الآخر وحضانة للأولاد غير حضانة الآخر، وشرح هذا بطول. وما ألهم نوع من الأنواع إلا علوماً تناسب مزاجه، وبلا ما يصلح به ذلك النوع.

وكل هذه الإلهامات ترشح عليه من جانب باؤها من كذا⁽³⁾ الصورة النوعية، ومثلها كمثل مخاطب⁽⁴⁾ الأزهار ولحوم الثمرات في تشابكها مع الصورة النوعية. ومن أحكام النوع ما ينعى الأفراد، ومنها ما لا يوجد إلا في البعض، حيث تستعد المادة وتنفق الأسباب، وإن كان أصل الاستعداد يتم الكل، كاليسوب⁽⁵⁾ من بين النحل، واليغاف يتعلم محاكاة أصوات الناس بعد تعميم وتعمير.

ثم انظر إلى نوع الإنسان تجد له ما وجدت في الأشجار وما وجدت في أصناف الحيوان، كالشعاع والتعطي والجشاء ودفع الفضلات ومصر الثدي في أول نشأته، وتجد مع ذلك فيه خواص ممتاز بها من سائر الحيوان، منها: النطق، وفهم الخطاب، وتوفيق العلوم الكسبية، من ترتيب المقدمات البديهية، أو من التجربة والاستقراء والحذر، ومن الاعتماد بأموه يستحسنها بعقله ولا يجعلها يحميه ولا يفهم، كتهذيب النفس وتسخير الآقاليم تحت حكمه. ولذلك يتوارد على أصول هذه الأمور الأمم جميعها حتى سكان شواحن الجبال، وما ذلك إلا لسرّ ناشئ من جنس صورته النوعية، وذلك السرّ أن مزاج الإنسان يقتضي أن يكون عقله قاهراً على قلبه، وقلبه قاهراً على نفسه.

ثم انظر إلى تأثير الحق لكل نوع وتربيته إياه وألوفه⁽⁶⁾، فلما كان النبات لا يجرى ولا يتحرك جعل له ورقة تمتص المادة الممتصة من الماء والهواء ولطيف الثواب، ثم يتركها في الأغصان وغيرها على تقسيم تعطيه الصورة النوعية، ولما كان الحيوان حساساً

(1) أي: صانعة، والمعضلة لثدية.

(2) أي: خطوط.

(3) من الجدة بكسر.

(4) بلع الكيف وضعها بمعنى القاب.

(5) هو: نير النحل.

مُحرَقاً بِالْإِزَادَةِ لَمْ يُجْعَلْ لَهُ عُرْوَةً تَسْمُكُ السَّادَةَ مِنَ الْأَرْضِ، بَلْ أَلْهِمَهُ طَلِبَ الْحَبِوبِ وَالْحَشَبِشِ وَالْمَاءَ مِنْ نُظَاهُهَا، وَأَلْهِمَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْتِفَاقَاتِ جَمِيعُهَا، وَالنَّوْعَ الَّذِي لَا يَحْكُودُ مِنَ الْأَرْضِ تَكُونُ الْمَدِيدَانِ مِنْهَا، ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بَأَن أَوْدَعَ فِيهِ قُوَى التَّنَاسُلِ، وَخَلَقَ فِي الْأَشْيِ رِضْوَةً يَصْرِفُهَا إِلَى تَرْبِيَةِ الْجَنِينِ، ثُمَّ حَوَّنَهَا لِبَنَاءِ خَالِصاً، وَأَلْهِمَهُ الْمَسْتَوْلَ مِنَ النَّدَى وَالزَّهَرِ^(١)، أَلَلَّزَّ، وَجَعَلَ فِي الْكُدْجَانَةِ رَطُوبَةً يَصْرِفُهَا إِلَى تَكْوِينِ الْبَيْضِ، فَإِذَا بَاغَيْتْ أَصَابَهَا يَبْسٌ وَخُتُوٌ جَوْوٍ بِحِمْلَاتِهَا عَلَى جَنُونَ بِسَلْعِي تَوَكَّدَ مَخَاطِلُهَا بَنَى نَوْعَهَا وَاسْتَعْيَبَ حِفْظَ شَيْءٍ تَدْبِهِ جَوْفُهَا، وَجَسَّ مِنْ طَلَبِ الْحِمَامَةِ الْأَنْسَ بَيْنَ ذِكْرُهَا وَأَتَانِهَا، وَجَعَلَ خُتُوَ جَوْفِهَا هُوَ الْحَامِلُ^(٢) عَلَى حِفْظِ الْبَيْضِ، ثُمَّ جَعَلَ رَطُوبَتِهَا الْيَالِيَةَ تُتَوَجَّهُ إِلَى الْهَوْدَجِ^(٣)، وَجَعَلَ لَهَا رَحِمَةً عَلَى الْفَرْخِ^(٤)، وَجَعَلَ رَحِمَتِهَا مَعَ الرُّطُوبَةِ الْيَالِيَةِ سَبَباً لِهَوْدَجِهَا وَدَفَعَ الْحَبِوبَ وَالْمَاءَ إِلَى جَوْفِ فَرْخِهَا، وَجَعَلَ الذِّكْرَ مِنْهَا سَبَبَ الْأُنْثَى بِقُلَّةِ أَتَانِهَا، وَخَلَقَ لِلْفَرَخِ مَزَاجاً رَمْباً ثُمَّ حَوَّنَ رَطُوبَتِهَا رِشاً تَطِيرُ بِهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَعَ إِحْسَائِهِ وَتَحَرُّكِهِ وَتَبَيُّنِهِ لِلْإِنْهَائِيَّاتِ الْجَبِيَّةِ وَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ ذَا عَمَلٍ وَتَوَلَّدَ لِلْعُلُومِ الْاِنْكْسِيَّةِ أَلْهِمَهُ الْزَّرْعَ وَالْفَرْسَ وَالتَّجَارَةَ وَالْمُعَامَلَةَ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ السُّبَّةَ بِالطَّبِيعِ وَالْاِتِّفَاقِ، وَتَلَعَّبَ بِالطَّبِيعِ وَالْاِتِّفَاقِ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ السُّلُوكَ وَالْمُرَافِقَةَ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْحَكِيمَ اِتْمَكْتَلَمَ بِالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفَلَسَفِي الَّذِي لَا يَتَّقِي لِلذِّكْرِ^(٥) إِلَّا بِضَرْبٍ مِنْ تَقْلِيدٍ، وَلِذَلِكَ تَرَى أَسْمَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُودِ وَالْحَضَرِ مُتَوَارِدِينَ عَلَى هَذِهِ .

وَهَذَا كُلُّهُ شَرَحٌ لِلْخَوَاصِرِ وَالشَّيْءَاتِ الظَّاهِرَةِ، الْمُتَحَلِّقَةِ بِغُرُوتِ الْبَهِيمِيَّةِ وَارْتِفَاقَاتِ السَّعَابَةِ، ثُمَّ اُنْتَقَلَ إِلَى نَوْتَةِ السُّلُوكِ :

اعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ كَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ، بَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ مُشْرِفٌ مِنْ إِدْرَاكِاتِهِمْ .

وَمِنْ عِلْمِهِ الَّذِي يَتَوَارَدُ عَلَيْهَا أَكْثَرُ أَفْرَادِهِ - غَيْرَ مِنْ عَصَتْ مَادَّةُ أَحْكَامِ نَوْعِهِ - التَّمْيِيزُ عَنْ سَبَبِ إِسْجَادِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَالتَّنْبِيْهُ بِأَثْبَاتِ سَلْبِهِ فِي الْمَالِمْ هُوَ أَوْجُذُهُ وَرَفْقُهُ، وَالتَّضَرُّعُ بَيْنَ يَدَيْ بَارئِهِ وَمُعِيبِهِ بِهَيْمَتِهِ وَعِلْمِهِ خُشْبٌ مَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ هُوَ وَبِنَاءُ جَسَدِهِ جَمِيعِهِمْ^(٦)، وَنَأْمٌ سَرْمَدٌ بِلِسَانِ الْحَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ اَلَّذِي تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّطُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْمَنْشَرُ وَالْمَنْشَرُ وَالْمَنْشَرُ وَالْمَنْشَرُ ﴾ [الزمر: ١٨] .

- | | | |
|-------------------|------------------|----------------------------------|
| (١) اِتِّفَاقٌ . | (٢) اَلْقَرْنُ . | (٣) أَيِ الْحِكْمَةِ . |
| (٤) اَلْيَابَةُ . | (٥) اَلْوَلَدُ . | (٦) أَيِ الْبَشَرِ اَلْمُعِيبِ . |

أليس أن كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الشَّجَرَةِ، مِنْ أَغْصَانِهَا وَأَوْدَانِهَا وَأَزْهَارِهَا، مُتَكَلِّفٌ^(١) يَدَهُ إِلَى النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ الْمُدِيرَةِ فِي الشَّجَرَةِ دَالِماً سِرْمِلاً، فَلَوْ كَانَ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا عَقْلٌ لِحَمْدِ النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ حِمِماً غَيْرِ حَمْدِ الْآخَرِ، وَلَوْ كَانَ لَهُ فَهْمٌ لَأُطِيعَ^(٢) التَّكَلُّفَ الْعَالَمِيَّ فِي عِلْمِهِ وَصَارَ تَكَلُّفاً بِأَلْفِئَةٍ.

فاعلم من هناك أن الإنسان لَمَّا كَانَ ذَا عَقْلٍ ذَكِيٍّ انطَبَحَ فِي نَفْسِهِ التَّكَلُّفَ الْعِلْمِيَّ حَسَبَ التَّكَلُّفِ الْحَالِيِّ، وَمِنْ خَوَاصِهِ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ مَنْ لَهُ خُلُوصٌ إِلَى سَبِيحِ الْمَعْلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، يَتَقَاعَا مِنْهُ وَخِيَةً أَوْ حُذْلاً أَوْ رُؤْيَا، وَأَنْ يَكُونَ آخَرُونَ قَدْ تَفَرَّسُوا مِنْ هَذَا الْكَامِلِ أَثَارَ الرُّشْدِ وَالْبَرَكَةِ، فَانْقَادُوا لَهُ فِيمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَلَيْسَ فَرْدٌ مِنَ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ إِلَّا لَهُ قُوَّةٌ لِلتَّخَلُّصِ إِلَى الْغَيْبِ بِرُؤْيَا يَرَاهُ، أَوْ بِرَأْيٍ يَبْصُرُهُ، أَوْ هَتِيفٍ يَسْمَعُهُ، أَوْ حَدْسٍ يَنْظُرُ لَهُ، إِلَّا أَنَّ مِنْهُمْ الْكَامِلَ وَمِنْهُمْ النَّاقِصَ، وَالنَّاقِصُ يَحْتَاجُ إِلَى الْكَامِلِ، وَلَهُ صِفَاتٌ يَجِبُ طَرَفُهَا عَنْ طَوَرِ صِفَاتِ الْبِهَاتِمْ، كَالخَشَوْعِ وَالنَّقَاطَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالسَّاحَةِ، وَكظُهُورِ بَوَارِقِ الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ، مِنْ امْتِجَانِيَةِ الدَّهَاءِ وَسَائِرِ الْكِرَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ.

وَالْأُمُورُ الَّتِي يَمِثُّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ أَفْرَادِ الْحَيَوَانِ كَثِيرَةٌ جَدّاً؛ لَكِنْ جَمَاعُ الْأَمْرِ وَمَلَكَهُ عَصَلَانٌ:

إِحْدَاهُمَا: زِيَادَةُ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ. وَلِهَا شُعْبَتَانِ: شُعْبَةٌ غَائِصَةٌ^(٣) فِي الْأَرْتِفَاقَاتِ نَمِصْلَةٌ نِظَامِ الْبَشَرِ وَاسْتِنْبَاطُ دَقَائِقِهَا. وَشُعْبَةٌ مُسْتَعِدَّةٌ لِلْعُلُومِ الْغَيْبِيَّةِ الْفَائِضَةِ بِطَرِيقِ الرُّوحِ.

وِثَانِيَتُهُمَا: بَرَاةُ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ. وَلِهَا أَيْضاً شُعْبَتَانِ: شُعْبَةٌ فِي ابْتِلَاجِهَا لِلْأَعْمَالِ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْرُوفِ^(٤) اخْتِيَارُهَا وَإِبْرَادَتُهَا، فَالْبِهَاتِمْ تَفْعَلُ أَعْمَالاً بِالْإِخْتِيَارِ، وَلَا تَدْخُلُ أَعْمَالاً فِي جِدْرِ^(٥) أَنْفُسِهَا، وَلَا تَعْلَمُ أَنْفُسُهَا بِأَرْوَاحِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَإِنَّمَا تُلْتَصِقُ بِالْقُرَى الْفَائِضَةِ بِالرُّوحِ الْهَوَائِيِّ فَقَطْ، فَيَسْهَلُ عَلَيْهَا صُعُودُ أَسْأَلِهَا.

وَالْإِنْسَانُ يَفْعَلُ أَعْمَالاً، فَتُنْفِذُ الْأَعْمَالُ وَتُنَزِعُ مِنْهَا أَرْوَاحُهَا، فَيُتَبَلَّغُ النَّفْسُ، فَيُظْهِرُ فِي النَّفْسِ إِمَانُورٌ وَإِمَا ظَلِمَةٌ، وَقَوْلُ الشَّرْعِ شَرْطُ الْمَوَازِينَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ أَنْ يَفْعَلَهَا بِالْإِخْتِيَارِ، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الطَّيِّبِ: شَرْطُ الضَّرَرِ بِالْأَسْمِ وَالْإِنْتِفَاحُ بِالشَّرِيكِ أَنْ يَدْخُلَا فِي الْبَلْعِمْ وَيَتَوَلَّوَا فِي الْجَوْفِ.

وَأَمَّا مَا قُلْنَا أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَنْتَلِجُ مِنْ أَرْوَاحِ الْأَعْمَالِ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَمَمُ بَنِي آدَمَ مِنْ عَمَلِ الرِّيَاضَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَمَعْرِفَةِ أَنْوَارِ كُلِّ ذَلِكَ وَجِدَاناً، وَمِنْ انْكَفَافٍ عَنِ الْمَعَاصِي وَالتَّهَوُّنَاتِ وَرُؤْيَا شَوْعَةٍ كُنْ ذَلِكَ وَجِدَاناً.

(١) مجرى قطعهم من الحلق.

(٢) أي: يعمل.

(٣) أي: سائر طالب ما يده إليها.

(٤) أي: ليعلم والتكليف السؤال.

(٥) أي: ثلاثة.

والمسألة هي أسرار ومقامات خفية، كمدية الله، والفكر في علمه، مما ليس في البيان خفيه.

وعلم أنه لما كان اعتدال مزاج الإنسان بحسب ما تعطيه الصورة النوعية لا يتم إلا بمعلوم يتخلى إليها أركانهم، ثم يفتقد الأعراف، وشريعة تشتمل على مدارف إلهية وتدابير ارتفاعية وقواعد فيبحث عن الأفعال الاختيارية وتقسيمها إلى الأقسام الخمسة، من: الواجب، والمندوب، إليه والسبح والمكروه والحرام، ومقتضيات تميز مقامات للإحسان، وتنبأ في حكمة الله تعالى ورحمته أن يهيئ في عيب نفسه رؤى تروى العافية، بخصوص إيه أركانهم فينتقل من حاله، وينتقل من سائر الناس، حيلة ما ترى في نوع التحل من يعسوب بدو سائر أفرادها، سوا هذا لتلقي بواسطة وبغير واسطة لم يكمل كماله المكتوب له، فكما أن المنصور إذا رأى نوعاً من أنواع الحيوان لا يتعش إلا ما تحسن استحسن أن الله دبر له موعى فيه حيل كثيرة، فكذلك، لتفسير في صنع الله يستف أن هناك سائفة من العلوم يسد بها العقل ختمه فيكمل كماله المكتوب له، وتلك السائفة منها علم الترميز والمقامات، ويجب أن يكون مشروحاً بشرح يتلاءم العقل الإنساني بطبيعته لا يتفك لا به إلا من يتفكر وجوده مثله، فيشرح هذا العلم بالمعرفة البشرية إليها بقوله: سبحانه الله وبحمده، فأثبت نفسه صفات يعرفونها ويصنعونها بينهم من: العباد، والسبح، والبصر، والقنوة، والإرادة، والكلام، والغضب، والخط، والرحمة، والملك، والقدر، وتثبت مع ذلك أنه ليس كمثل شيء في هذه الصفات، فهو من لا كسائفة بصير لا يهتدي، فغير لا يفتد، مريد لا كزادته، لتكلم لا ككلام، ونحو ذلك، ثم فسر عدم المعاملة بأمر مستبعد في جسم مثل أن يذوقه، وتقدم عند قطر الأمطار، وعدد رمل الخ في⁽¹⁾، وعدد أوزان الأشجار، وعدد أنفاس الحيوانات، ويصير ديب التمل في الليلة القلساء، ونسج ما يتوسوس به تحت اللحف في البيوت المغلفة عنها أبوابها، وحذ ذلك، ومنها علم العبادات، ومنها علم الارتدادات⁽²⁾، ومنها علم المعصية - أعني أن النفوس لتسليه إذ تولدت بينها شهوات تدافع بها الحق كيف يحل تلك المقدرة، ومنها علم التدبر بآلاء الله وآيات الله⁽³⁾، وبوفاة الخ والحدس⁽⁴⁾، فافتر الحس النبوة وتعالى في الأول إلى نوع الإنسان، وإلى استعداد الذي يتوارث أبناء النور، ونظر إلى فطرته السليكية، والتفسير الذي يضلحه من العلوم كمشروحة حسب استعداد، فتدلت تلك العلوم كلها في عيب الخيم.

(1) هي الصلوات.

(2) الانقادات.

(3) أي أنواع مديته الخاضعة وبعده لاطقة على قلبها من لادم السيف واللاحق.

(4) من بعد الموت إلى القيامة.

محدودة ومحصاة، وهذا التنبُّل هو الذي يُعبِّر عنه الأشاعرة بالكلام القضي، وهو غير
 إعدام وغير الإرادة والمقادير، ثم لما جاء وقت خاتمة الملازمة علم الحق أن مهنة أداء
 الإنسان لا يتم إلا بنفوس كريمة، ينسبها إلى نوع الإنسان كشيء القوي العنيفة في توحيده
 من إلى نفسه، فلو وجدهم يكافئ الخلق، وبخاصة العبادات بأفراد الإنسان، فلو دمج في صدورهم
 فقلنا من تلك العلوم المحدودة المحصورة في غيب غيبه. فتصوره^(١) بصورة روحية، وإليهم
 الإشارة في قوله تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ تَرَىٰ اقْبَلَتْ ذُنُوبَهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمُ الْبَشَرِ﴾ [نور: ٢٥]

ثم لما جاء بحس القراءات المتعينة بتغيير الدول والعلل، قضى بوجود روحاني آخر لتلك
 العلوم، فصارت مشروحة مُلصقة بحسب ما يليق بتلك القراءات، وإليها الإشارة، في قوله
 تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْحَقِّ نَذِيرٌ﴾ [سورة: ١٨] فما اقرن في أثر حِكْمَةٍ [نور: ٢٥].

ثم انتظرت حكمة أن لوجود رجل زكي يستعدُّ لروح، قد قضى بملو شأنه وارتفاع
 مكانته، حتى إذا وجد اصطغته نفسه والتخذه جازحة لإنعام مُراد، وأقنوا عنه كتابه:
 وأوجد، طاعته على عبادته، وهو قوله تعالى: تدوس عليه السلام:

﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّ﴾ [سورة: ١٨] الله الآية [١٨].

فما أوجب تعيين تلك العلوم في غيب الغيب الألباب بالنوع، ولا سأل الحق
 قبضان نفوس الملا الأعلى إلا استعداد النوع، ولا ألح عند القراءات بسؤال تلك الشريعة
 الخاصة إلا أحوال النوع، فله الحجة البالغة.

فدون من، من أين وأحب على الإنسان أن يصلي، ومن أين وجب عليه أن يعاد
 للمسكون، ومن أين حرم عليه كزنا وامسرة؟

فاجوب: وأحب عليه هذا وخبره عليه ذلك من حيث وجب علي انبهاهم أن قرص
 التحشيش، وحرم عليه أكل اللحم (ووجب على السباع أن تأكل اللحم)، ولا ترمي
 التحشيش، ومن حيث وجب على النحل أن يبيع العسل، فلا أن العجوة استوجب تنفي
 علومها إليهم، واستوجب الإنسان تاني علومه كجاء ونظراً، أو حياء، أو قنوداً.

❁ باب اقتضاء التكليف المجازاة ❁

أدعم أن الله من مُبْتَدِئُونِ بِأَعْمَالِهِمْ، إن حبراً فخير ولا شرّاً فشر، من أربعة وجوه

أحدها: مقتضى الصورة الشرعية فكما أن البهيمة إذا علفت الحشيش والسبع إذا علف اللحم صح مزاجهما، وإذا علفت البهيمة اللحم والسبع الحشيش قُتِلَ مزاجهما، فكذلك الإنسان إذا باشر أعمالاً أرواحها المشغوع بجباب الحق والطهارة والسماحة والعدالة صلُح مزاجه الملكي، وإذا باشر أعمالاً أرواحها أضداد هذه الخصال قُتِلَ مزاجه الملكي. فإذا تخلف عن ثقل البدن أحس بالعلامة والمناورة، شُبَّهَ ما يُحس أحدنا من ألم الاحتراق.

ولانها جهة الملا: الأعلى. فكما أن الواحد منها له قوى إدراكية مودعة في الدماغ، يُحس بها ما وقعت عليه ففحة من جمرة أو ثلجة، فكذلك بصورة الإنسان المتمثلة في الملكوت ختام من الملائكة، أوجدها عناية الحق بنوع الإنسان، لأن نوع الإنسان لا يصلح إلا بهم، كما أن الواحد منا لا يصلح إلا بالقوى الإدراكية، فكُلُّما فعل فرد من أفراد الإنسان فعلاً مُلجِياً خرجت من تلك الملائكة أشعة بهجة وسرور، وكلما فعل فعلاً مُهلكاً خرجت منها أشعة نفرة وبغض، فحلَّت تلك الأشعة في نفس هذا الفرد، فأورثت بهجة أو وحشة، أو في نفوس بعض الملائكة أو بعض الناس، فامتد الإلهام أن يُحبوه ويُحسبوا إليه، أو يبغضوه ويسبوا إليه، شُبَّهَ ما نرى من أن أحدنا إذا وقعت رجله على جمرة، أحست قواء الإدراكية بألم الاحتراق ثم خرجت منها أشعة توتر في القلب فيحرق، وفي الطبع فيُحسُّ⁽¹⁾، وتأثير أولئك الملائكة فيها شبيه بتأثير الإدراكات في أبداننا، فكما أن الواحد منا قد يتوقع الماء أو ذلاً، فنزعد غرائبه⁽²⁾، ويصفر لونه، ويضمف جسده، وربما تسقط شعورته، ويحس بوله، وربما يال أو غري من شدة الخوف، فهذا كله تأثير القوى الإدراكية في الطبيعة وروحها إليها وقهرها عليها، وكذلك الملائكة الموكلة ببني آدم، يترشح منها عليهم وعلى نفوس الملائكة السفلية الإلهامات حبيبة وحالات طيبة، وأفراد الإنسان كُلهما بمنزلة القوى الطبيعية لهذه الملائكة، بمنزلة القوى الإدراكية لهم. وكما تهبط تلك الأشعة إلى السفلى كذلك يصعد إلى حظيرة القدس منها لون يُعدُّ لغرضان حيث نسئ بالرحمة، والرضا، والغضب، والملمن، مثل إعداد معجورة النار الماء لتسخينه، وإعداد المقدمات للنتيجة، وإعداد الدعاء للإجابة، فيحقق التجدد في الجبروت من هذا الوجه، فيكون غضب ثم نوبة، ويكون رحمة ثم نقمة. قال الله تعالى:

﴿إِنَّكَ أَنْتَ لَا تَقُولُ مَا تَقُولُ حَقٌّ يَقُولُوا مَا يَخْشَوْنَ﴾ [محمد: الآية 11]

وقد أخبر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن الملائكة ترفع أعمال بني آدم إلى الله

(1) أي: ينجب.

(2) جمع غريصة، وهي الفحة بين الجنب والكف، ونزعد أي: نضطرب من الخوف.

تعالى، وأمر الله بسلامتهم. كيف تركتم عبادتي؟ وأن عمل النهار يُرجم إليه قبل عمل الليل،
وأنه يَجْعَلُ عمل نهار من نوازل الحلافة بين يدي دم وبين نور الله القاسم رَسْمًا مظهرًا
القدس.

والثالث: مقتضى الشريعة المكتوبة عليه. وكما يعرف النجم أن الكواكب إذا كان
لها نظر من النظرات حصلت روحانية متميزة من قواها متميزة في جزء من الفلك، فإذا
نقلها إلى الأرض نقلت أحكام الفلكيات - أعني القمر - انقلبت حواضرهم حسب تلك
الروحانية، وكذلك يعرف الثابت أنه إذا جاء وقت من الأوقات يستقر في الشرع
بأنيلة الساعة التي «يُنْفِرُ كُلُّ شَيْءٍ خَكِيمٍ» فينبعث ١٤. حصلت روحانية في المظهر،
مستوحاة من أحكام نوع الإنسان ومقتضى هذا الوقت، يترشح من هناك إلهامات على أذهان
خلق الله بعد ذلك وعلى نفوسهم في الذكاء بواسطة، ثم يكملهم سائر أسرار قبل تلك
الإلهامات واستجابتها، ويؤكد ناصرها ويؤكد حائلها، وتلهم السلطنة لتفلية الإحسان
إلهامها والإسادة إلى عاصمها. ثم يندمج منها لون إلى المعنى الأعلى وحدايرة القدس.
فيحصل هناك رضى وسخط.

ورابعها: أن النفس إذا ثبتت في القدس، وأمر الله تعالى بعبادته لظنهم بهم وتغريباً لهم
إلى الخير وتوجب طاعته عليهم. صار العلم الذي يوحى إليه متأسساً ومتبعاً، وامتدح
بعبدة هذا النبي وعبدة وقضاء الله تعالى بالصبر له، فتأكد وتحقق.

أما المعجزة بالوجهين الأولين^{١٥}، فيُفْتَرَقُ فطر الله الناس عنده، ولن تجد تسفرة الله
تبدلاً. وليس ذلك إلا من أصول البر والإله وكلماتها، دون فروعها وحدودها، وهذه
الفسفرة هو ما بين الذي لا يختلف باختلاف الأعصار، وأدبيته كلهم مُجِيعُونَ عليه، كما
قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ مَذْهَبَ أَشْكَرٍ أَنَّهُ رَجِدَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقال تعالى: «الأنبياء برس غلاية قلوبهم واحد وأصلهم شتى»، والمجازفة على هذا
المر منحنى قسب بعبدة الأنبياء ويعلمها سواء.

وأما المعجزة بالوجه الثالث^{١٦}، فتختلف باختلاف الأعصار، وهي العامة على
عبث الآسم والمرسل، واليها الإشارة في قوله تعالى: «وَأَمَّا سُلَيْمٌ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ فَكَانُوا
رِجَالًا مِّنْ قَوْمٍ عَقَلُوا بِقُوَّةٍ لِّئَلَّا يُصِيبَهُمُ الْفِتْنَةُ وَلَئِيَّا يُتَذَكَّرُ الْعِزْلَىٰ»، فتأجأ

(١٤) أي مقتضى الصورة المبررة وجهة العمل الأمثل.

(١٥) أي مقتضى الشريعة.

فَتُجَاءُ^(١)، فَمُتْلَعَةٌ طَائِفَةٌ مِنْ تَوَحُّدِهِ فَانطَجَرُوا^(٢)، فَانطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَجَنُّوا، وَكَتَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَاكْتَبُوا مَكَاتِهِمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَبِشُ فَاكْتَبَهُمْ وَاجْتَلَمَهُمْ^(٣)، فَكَتَفَتْ مِثْرَ مَنْ اطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جَعَلْتُ بِهِ، وَمِثْلَ مَنْ عَصَانِي وَكُتِبَ مَا جَعَلْتُ بِهِ مِنَ الْعَقَبِ^(٤).

وأما المعجزة بالوجه الرابع، فلا تكون (لأبعد بعنة الأنبياء، وكشف الشبهة وصحة التبليغ).

﴿يُنْزِلُكَ رَبُّكَ مِنْ سَمَاءٍ مَبْنُورَةٍ وَيَكْتُبُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].



باب اختلاف الناس في جيلتهم للمستوجب لاختلاف أخلاقهم وأعمالهم ومراتب كمالهم



والأصل فيه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِجِيلٍ ذَاكَ عَنْ مَكَاتِهِ فَصَلُّوهُ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِجِيلٍ تَغَيَّرَ عَنْ خَلْقِهِ فَلَا تَصَلُّوْا بِهِ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى مَا يُجِبُّ عَلَيْهِ». وقال ﷺ: «أَلَا لِي بَنِي أَدَمَ خَلَقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ ثَمَنِي، فَسَنَمُ مِنْ يُولَدُ مُؤَسَّأً». لذكر الحديث بطوله، وذكر طبقاتهم في الغضب وتفاخي الدُّنْيَا، وقال ﷺ: «النَّاسُ مَعَانٍ كَمَعَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٥)»، وقال الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا بَشَرًا مِّنْ صَلَاسَاتٍ﴾ [يسراء: الآية ٨٥] أي طريقتهم التي تُجِبُّ عليها.

وإن شئت أن نستجلي ما فتح الله علي في هذا الباب وقَهَّسَنِي مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ (فاعلم) أن العزَّة السَّالِكَةَ تُخَلِّقُ فِي النَّاسِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: الوجه المناسب بالمال الأعلى، اثنين شأنهم الانصباع بعلوم الأسماء والصفات، ومعرفة دقائق التجيروت، وتلقي نظام على وجه الإحاطة به، واجتماع الهممة على طلب وجوده.

والثاني: الوجه المناسب بالمال الأقل، اللذين شأنهم الانبعاث بداعية ترشح عليهم من فوهمهم، من غير إحاطة ولا اجتماع الهممة ولا معرفة ونورانية ورفض للآلوات البهيمية. وكذلك المقرة البهيمية تُخَلِّقُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

(١) أي: للتبليغ والخلع.

(٢) أي: سحروا من قول قليل، وقوله: «على مهلهم» أي: عكبتهم.

(٣) أي: استاصلهم.

(٤) أي: بعنة النهي ﷺ.

(٥) أي: متقاربون في النسب والقبول بلَيْتَيْهِ إِذَا كَتَفَتِ السَّامَنُ فِي لَدَبٍ وَالْفِضَّةُ وَغَيْرُهَا.

أحدهما: البهيمية الشديدة الضعيفة كهيئة القصور الفارهة⁽¹⁾ الذي نشأ فيه غذاء غزير وتدير مناسب، فكان عظيم الجسم شديداً، صهري⁽²⁾ الصوت، قوي البطش، ذا همة نافذة وفيه عظيم، وغضب وحسن قوين، ريش وأفر، منافاً في الغلبة والظهور، شجاع القلب.

والثاني: البهيمية الضعيفة المهلهلة: كهيئة الحيران الكافرين المخدج⁽³⁾ الذي نشأ في جدب وتدير غير مناسب، فكان صغير الجسم ضعیفاً، ركيك الصوت، ضعيف البطش، حيان القلب، غير ذي همة ولا منافسة في الغلبة والظهور.

والفرقان جميعاً لهما جهة تخصص أخذ وجهها، وكسب يؤده ويقرره ويسد فيه.

واجتماع القوين فيهم أيضاً يكون على وجهين:

فتأوه اجتماعان بالنجاذب⁽⁴⁾، بأن تكون كل واحدة متؤثرة في طلب مقتضياتها، طامحة في أمسي شأياتها، مريفة سننها الطبيعي، فلا جرم أن يقع بينهما التجاذب، فإن غلبت هذه اضمحلت آثار تلك، وكذلك العكس.

وتأوه بالاصطلاح، بأن تنزل الملكية من طلب حكمها الصراح⁽⁵⁾ إلى ما يقرب منه، من: حقل، وسخاوة نقر، وعفة طبع، وإظهار الفع العام على انتفاع نفسه خاصة، والنظر إلى الأجل دون الانحصار على العاجل: وحسب النظافة في جميع ما يتعلق به. وتترقى البهيمية من طلب حكمها الصراح إلى ما ليس ببعيد من الرأي الكلي ولا مقصاد له، فتصطلحان⁽⁶⁾، وتختل مزاج لا تخالف فيه.

والكل من مرتبتي الملكية والبهيمية والاجتماع طرفان ووسط وما يقرب من طرف أو وسط، وكذلك، تذهب الأقسام إلى غير النهاية، إلا أن رؤوس الأقسام المتوسطة بأحكامها والتي يعرفها بمرورها لتعانية حاصلة من انقسام الاجتماع بالنجاذب إلى أربعة:

ملكية عالية تجتمع مع بهيمية شديدة، أو صعبة⁽⁷⁾، أو ملكية متوسطة تجتمع مع بهيمية شديدة، أو ضعيفة⁽⁸⁾.

(1) أي القوي وقوله: «عزيز أي كثير.

(2) أي ولجج، وقوله: «فيه أي تكثر وقوله: «شقي أي شهور وقوله: «مهلهلة أي الوثيرة.

(3) أصبحت ثقافت: جاءت يولد ناقص، فهي ملجج والكمرة، ولولد متجدد، وقوله: «جذب أي: تسد.

(4) أي القزلم، وقوله: «طامحة أي: رافعة لغيرها.

(5) أي: الغلب.

(6) أي الملكية والبهيمية.

(7) أي: ملكية عالية تجتمع مع بهيمية ضعيفة، وهو القسم الثاني.

(8) أي: ملكية متوسطة تجتمع مع بهيمية ضعيفة، وهو القسم الرابع.

والاجتماع بالاصطلاح ايضاً إلى أربعة مثلها، ولكل قسم حكم لا يختلف، من وَفَّرَ لمعرفة أحكامها استخراج من تشويشات كثيرة.

ونحن نذكر ههنا من ذلك ما نحتاج إليه في هذا الكتاب.

فأخرج الناس إلى الرياضيات الشاقة من كانت بهيمته شديدة لا سباً صاحب التجاذب، وأخطأها^(١) بذلك حال من كانت ملكيته عذبة، لكن صاحب الاصطلاح آمنهم عملاً وأقربهم، وصاحب التجاذب إذا انفلت من أسر الهيمنة أكثرهم علماً، ولا يبالي بأدب العمل كثير مالأف، وأزهدهم في الأمور العظام^(٢) أضعفهم بهيمه، لكن صاحب العذبة يترك الكل تفرغاً لتفوجه إلى الله، وصاحب السافلة إن انفلت يتركه للأخرة، وإلا يتركه كسلاً وذهناً، وأشدهم افتحاماً^(٣) في الأمور العظام أشدهم بهيمه، لكن صاحب العذبة أقومهم بالرياضيات ونحوها مما يناسب الرأي الكلي، وصاحب السافلة أشدهم افتحاماً في نحو القتال وحمل الأثقال، وصاحب التجاذب إذا تدفع إلى الأسفل اشتغل بالأمر المديني فقط، وإذا ترقى إلى الأعلى اشتغل بالأمر القيني وتهيب النفس وتجريدها فقط، وصاحب الاصطلاح يشتغل بهما جميعاً، ويصنعها مرة واحدة، وس كانت حالته منهم في غلبة العقل ينعم إلى رياضة الدين والدنيا معاً، ويصير باقياً بمراد الحق وسنزل الجارمة^(٤) له في تمام نظام كلي، كالسلاقة وإمامة الملة، وأرثك هم الأنبياء ورثتهم، وأساطين الناس وسلطانهم وأولو الأمر منهم، والدين يجب اتقادهم في دين الله أهل الاصطلاح، العالية ملكيتهم، وأطوعهم لأولئك أهل الاصطلاح، السافلة ملكيتهم. فزتهم يتلفون التوايس^(٥) بأشباحها وهياتها، وأطرفهم منهم أهل التجاذب، لأنهم إما منهمكون في قلل الطيعة، فلا يقيمون السنة الراشدة، أو فاهرون عليها، فإن كانوا أهل عُسْرْ غُصْرٍ^(٦) على أرواح التوايس، وكانت لهم مسامحة في أشباحها، وكان أكثر همتهم معرفة دقائق المجبوت والانصاع بصيغها، وإن كانوا دون ذلك اهتموا بالرياضيات والأزرد، وأسجروا بيوافق الملكية من كشف وإشراف واستجابة الدعاء ونحو ذلك، ولم يعضوا من التوايس بجذر قلوبهم إلا على حبل قهر الطيعة وحبس الأنوار.

(١) أي: أخطأهم، وقوله: «انفلت» أي: تفلّس.

(٢) كالمية وسحره وقوله: «عظم» أي: استراحة.

(٣) أي: مغولاً.

(٤) أي: الغصن.

(٥) أي: الأسرار الكمية. وقوله: «مشتكها» أي: صبرها. وقوله: «فاهرون» أي: ليعدم.

(٦) أي: تمسكوا. وقوله: «مسامحة» أي: عفو.

فهذه أصول أعطانها ربي، مَنْ اتقنها استجلى أحوال أهل الله، ومبلغ كمالهم،
ومطمح إشاراتهم من أنفسهم، وخرج مراتب سلوكهم.

﴿فَلْيَكُنْ مِنْ تَشْوِيكَ نَفْسٌ عَلَيْكَ وَرَكَّلِ الْأَعْيُنُ وَلَكِنَّ الْأَعْيُنُ لَا تَسْجُدُ﴾ [يوسف: 38]

❁ باب في أسباب الخواطر لئلا يعتد على الأعمال ❁

اعلم أن الخواطر التي يجردها الإنسان في نفسه وتبعته على العمل بموجيها، لا تجزم
أن لها أسباباً، كسنة الله تعالى في سائر الحوادث.

والنظر والتجربة يطهران أن :

منها - وهو أعظمها - : جبهة الإنسان التي خلق عليها، كما بُدئ النبي ﷺ في الحديث
الذي رواه من قبل^(١).

ومنها : براجة الطبيعي المتميز بسبب التمييز المحيط به، من الأكل والشرب وتجو
ذلك، كالجائع يطلب الطعام، والظمان يطلب الماء، والمغضم يطلب النساء. ورُبَّ إنسان
يأكل غذاءً يَفْزِي الباطنة^(٢)، فيميل إلى النساء، وتَحَلَّتْ نفسه بأحاديث تتعلق بهن، وتَصِير
هذه مهيجة له على كثير من الأعمال، ورُبَّ إنسان يقتدي غداءً شديداً فيفسد قلبه ويشتري
على القتل، ويغضب في كثير مما لا يغضب فيه غيره.

ثم إذا اوناخ هذه أنفسهما بالصيام والقيام، أو شابا وكهرا، أو غريضا مرغبا
مدتفا^(٣)، تخير أكثر ما كانا عليه، ورقت قلوبهما، وعشت نفوسهما، ولذلك ترى الاختلاف
بين الشيوخ والشباب، ورخص النبي ﷺ للشيخ في الفيلة وهو صائم، ولم يُرخص
للسباب.

ومنها : العادات والمألوفات، لأن مَنْ أَكْثَرَ مُلَابَسَةً شَيْءٍ، وتمكن من لوح نفسه ما
يناسبه من الهبات والأشكال، مال إليه كثير من خواطره.

ومنها : أن النفس الباطنة في بعض الأوقات تنفست من أسر البهيمية، فتختلف من
حيز الملأ الأعلى ما يُبَسِّرُ لها من هيئة تروائية، فتكون نارة من باب الأنس والطمأنينة،
ونارة من باب العزم على فعل.

(١) في باب استنقاذ النفس في جبلتهم من قوله: فلما سمعت يبيد دال من مكانه. . الخ، ٥٥.

(٢) أي: الشهوة.

(٣) دلف المريض كدلف، وقيل: المرضى كدلف.

ومنها: أن بعض النفوس الخبيثة تتأثر من الشياطين وتصبح ببعض صيغهم، وربما اتصفت تلك الهبة خواطر وأعمالاً.

واعلم أن انتماءات أمرها كأمير الخواطر، غير أنها تتجرد لها النفس فتشبع^(١) لها صورها وحياتها. قال محمد بن سيرين: الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخريف الشياطين، ويشري من الله.

❦ باب لصوق الأعمال بالنفس وإحسانها عليها ❦

قال الله تعالى:

﴿وَصَلِّ بِإِسْمِ رَبِّكَ ظَهَرْتَ فِي مَكُوتٍ وَنُحِرَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَوْنُكَ بِمَنْتَهُ تَشْتَرُهَا ۝ تَلَا يَكْتُبُكَ كَلَّمَ بِتَلَاكَ الْيَوْمَ كَلَّمَ سُبْحًا ۝﴾ [الأنعام: ١١٤-١١٥].

وقال النبي ﷺ رادياً من ربه تبارك وتعالى: وإنما هي أعمالكم أمسيها عليكم ثم أوفيكم بإيمان، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يومن إلا نفسه. وقال ﷺ: النفس تنمى وتشتبه، والفرج يستحق ذلك ويكتفبه.

اعلم أن الأعمال التي يقصدها الإنسان قصداً مؤكداً، والأخلاق التي هي راسخة فيه، تنبعث من أصل النفس الناطقة، ثم تعود إليها، ثم تثبت بذاتها وتحمي عليها.

أما الانبعاث منها، فلما هوت أن للملكية واليهودية واجتماعهما أفساداً ولكل قسم حكماً. وغلبة المزاج الطبيعي والاتصاف من الملائكة والشياطين ونحو ذلك من الأسباب، لا تكون إلا حسب ما تعطيه الجيلة وتختل في انتماء، فلذلك كان المرجع إلى أصل النفس بوسط أو بغير وسط. ألست ترى المحدث يُخلق في أول مرة على مزاج ركيك، فيستدل به العارف على أنه زن شب على مزاجه وجب أن يعتاد بعبادات النساء، ويتزنى^(٢) بزمن، ويحمل رسومهن، وكذلك يدرك الطبيب أن الطفل إن شب على مزاجه ولم يغيّر، عارض، كان قوياً قارهاً، أو ضعيفاً ضارهاً. وأما المود^(٣) إليها، فلأن الإنسان إذا عمل عملاً فآثر منه اعتاده النفس وسهل صدره منها، ولم يحتاج إلى دية وتجشم دابة، فلا تجزم أن النفس تأثرت به وقيل لونه، ولا تجزم أن لكل عمل من تلك الأعمال المتجانسة

(١) أي تشبع.

(٢) أي يكتسب بلباسهن، ولعله: يفرغهن أي يخلو بهن، ويغلبهن أي يسيطر.

(٣) أي: عود لأخلاق إلى النفس الناطقة، وقوله: مودبة، أي: فخر.

مادخلًا في ذلك التأثر وإن دُفِيَ وَصِفِي مكانته، وإليه الإشارة في قوله **يَقُولُ: «شُعْرُهُ»** ^(١) النفس على انطوائه، كالحصير عوداً عوداً، فألقى قلبه أنشوبها يُكثِّفُ فيه نكتة سوداء، وفي قلبه أنشوبها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض ^(٢) مثل السفاء، لئلا تُشْرِفَ فتحة ما دانت السموات والأرض، والآخر لمدونه، مريدًا كذا كذا **كُنْجِيًّا** ^(٣)، لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشْرِفَ من عواده.

وأما النسبة ^(٤) بدليها، ولأن النفس في أول أمرها تُخلق هيرلانة فادغة عن جميع ما تصبغ به، ثم لا تزل تخرج من انقوة إلى الفعل يوماً بيوماً، وكل حالة متأخرة لها مُتُّ من أُنْجِيها، والمعدلات كلها سلسلة مترتبة، لا يتقدم متأخرها على متقدم مستصح في هيئة النفس الموحدة اليوم حكم كل معد فليها وإن خفي عنها، سبب اشتغالها بما هو خارج منها، فالمهم (لأن أن يضي حامل القوة استبينة تلك لأعمال منها، كما ذكرنا في الشيخ والمريض، أو تهجم عليها هيئة من فوقها تغير نظامها كالتغير المذكور ^(٥)) كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الْمَشْرِقَ يُدْرِجُ الْغُروبَ﴾ وهو قوله الآية ١٨٨.

وقال: **﴿لَوْ أَنَّكَ تَعْلَمُ غُروبَ﴾** الآية: الآية ١٨٩.

وأما الإحصاء عليها، فيره على ما وجدته بالمذوق، أن في الحيز الشاهد مظهر مبررة لكل إنسان بما يعطيه النظام اللغواني، والتي ظهرت في قصة اليناثق شعبة منها، فإذا وجد هذا الشخص انطبقت الصورة عليه، واتحدت معه، فإذا عمن عملاً انشروحت هذه الصورة بذلك لعمل الشراخ طبعياً بلا اختيار منه، فربما نظهر في الخيال أن أعمالها محصورة عنها من فوقها، ومنه قراءة الصحف، وربما نظهر أن أعمالها تنبأ بأعضائها، ومنها نظر الأيدي والأرجل.

ثم كل صورة عمل منصفحة عن شمرته في الدنيا والآخرة، وربما ترقف الدلائكة في تصويره، فيقول الله تعالى: **اكتبوا العمل كما هو**.

قال الفخراني: كل ما قدوة الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت

(١) أي: تصبط وقوله: «عوداً عوداً» من القسم، والله لا يدري يومئذ ما يُسمح به الحصير من حلقه، ويبدى بالفتح، أي: مرة بعد مرة، وقوله: «أُنْجِيها» أي: أنشوبها.

(٢) أي: كسفاه، وقوله: «مريدًا» من الإبدال، وهو التحويل إلى التوبة، وقوله: «تغيره» معنى

(٣) من الشجيرة، وهو: دليل عن الاستغناء، أي: كما لا يثبت مداه في التكون لعلل كذلك القلب لا يمي خبراً.

(٤) أي: الأعمال بليها، أي: النفس

(٥) أي: في الشيخ والمريض، وقوله: «في الحيوة» أي: في عالم الحشر.

في خلق عذقه الله تعالى، يُعْبَرُ عَنْ تَارَةِ اللَّوْحِ وَتَارَةِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَتَارَةِ إِمَامِ مِيقَاتِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَرْكِ، فَجَمِيعُ مَا جَرَى فِي الْعَالَمِ، وَمَا سَجَرِي مَكْتُوبٍ عَنْهُ، وَمَقْشُوعٌ عَلَيْهِ نَفْسًا لَا يَشَافِدُ بِهِهِ الْعَيْنُ.

وَلَا تَنْظُرَنَّ أَنَّ ذَلِكَ اللَّوْحَ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ عَظْمٍ، وَأَنَّ الْكِتَابَ مِنْ كَاغِدٍ أَوْ وَرَقٍ، بَلْ يَبِينُ لِي أَنْ فَهْمَ نَفْسًا أَنَّ لَوْحَ اللَّهِ لَا يَشْبِهُ لَوْحَ الْخَلْقِ، وَكِتَابَ اللَّهِ لَا يَشْبِهُ كِتَابَ الْخَلْقِ، كَمَا أَنَّ نَافَةَ وَصْفَاتِهِ لَا تَشْبِهُ ذَاتَ الْخَلْقِ وَصِفَاتِهِمْ، بَلْ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ لَهُ مَثَالًا بِقَرِيهِ إِلَى فِصْلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ ثُبُوتَ الْمَقَادِيرِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِضَافِي ثُبُوتِ كَلِمَاتِ الْفَرَقِ وَحُرُوفِهِ فِي دِمَاجِ حَافِظِ الْقُرْآنِ وَقَلْبِهِ، فَإِنَّهُ مَسْطُورٌ فِيهِ حَتَّى كَأَنَّهُ حَيْثُ يَفْرَأُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَوْ فَتَشْتَ دِمَاجَهُ جِزْءًا جِزْءًا لَمْ تَشَافِدْ مِنْ ذَلِكَ الْخَطِّ حُرْفًا، فَمَنْ هَذَا الَّتِي تَطْلُبُ يَبِينُ أَنَّ فَهْمَهُ كَوْنِ اللَّوْحِ مَقْشُوعًا بِجَمِيعِ مَا تَذَكَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفْسُهُ، أُنْهِى.

ثُمَّ كَثِيرًا مَا تَذَكَّرَ الْفَنَسَ مَا حَصَلَتْهُ مِنْ غَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتَوَلَّعَ جِزَاءَهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا آخَرَ مِنْ وَجْهِهِ اسْتِقْرَارَ عَمَلِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

❁ باب ارتباط الأعمال بالهيئات النفسانية ⁽¹⁾ ❁

اعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ مَظَاهِرَ الْهَيْئَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَشُرُوحَ لَهَا وَشُرَكَاتٍ لَا تَتَنَاصَهُمَا، وَتَتَّحِدُ مَعَهَا فِي الْمَعْرِفِ الطَّبِيعِيِّ، أَيْ يَتَنَقَّى جَمْعُهُورُ الْإِنْسَانِ عَلَى تَتَبِيرِهَا عَنْهَا بِسَبَبِ طَبِيعِي تَعَطُّبِ الْفَسْرَةِ النَّوْهِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَافِيَّةَ إِذَا انْبَعَثَتْ إِلَى عَمَلٍ فَتَقَاوَعَتْ لَهَا نَفْسُهَا انْبَسَطَتْ وَانْشَرَحَتْ، وَإِنْ تَمَسَّكَتْ انْقَبَضَتْ وَتَقَلَّصَتْ ⁽²⁾، فَلِذَا يَأْخُذُ بِأَشْرَ الْعَمَلِ اسْتِدْ مَنَبَعُهُ مِنْ مَلَكَتِهِ أَوْ بِهَيْئَةٍ، وَفَرَقِي وَانْحَرِفْ مَقَابِلَهُ وَضَعْفُ، وَإِلَى هَذَا الْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْفَنَسُ شَتْمَتِي وَتَشْتَقِي، وَالْفَرَجُ يَصِفُقُ ذَلِكَ وَيَكْتَبِي».

وَلَنْ تَرَى خَلْقًا إِلَّا وَلَهُ أَعْمَالٌ وَهَيْئَاتٌ يَشَارُ بِهَا إِلَيْهِ وَيُعْبَرُ بِهَا عَنْهُ وَتَتَمَثَّلُ صُورَتُهَا مَكْشَافًا لَهُ. فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا وَصَفَ إِنْسَانًا آخَرَ بِالشَّجَاعَةِ، وَاسْتَشْفَرَ فَبَيَّنَ، ثُمَّ يُعْبَرُ بِهَا بِمَعَانِيَتِهِ الشَّدِيدَةِ، أَوْ بِالسَّخَاوَةِ، لَمْ يُبَيَّنْ وَلَا دَرَاهِمُ وَدَشِيرَ يَبْلُغُهَا، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَرَادَ أَنْ يَسْتَحْضِرَ حُرُورَةَ الشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاوَةِ اضْطُرَّ إِلَى صُورِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، الْمَلْهُمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ عَبَّرَ بِفِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا، وَلَوْ أَنَّ وَاحِدًا أَرَادَ أَنْ يُحْصِلَ حُفْنًا لَيْسَ فِيهِ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَقْرَعَ فِي مِظَانِهِ، وَتَجَسَّمُ الْأَعْمَالُ الْمُتَعَقِّلَةُ بِهِ، وَقَدْ تَرَى رَفَاعَ الْأَقْوِيَاءِ

[1] فِي: الْخَلْقِ.

[2] فِي: لَتَضْمَنَ، وَاسْتَدَى فِي: لَتَسْتَلْ، وَقَوْلُهُ: «مَعَالِجَتُهُ» فِي: مَزَالَتُهُ.

من العمل. ثم الأعمال هي الأمور المنضبطة التي تقصد بالثواب، وتُرى وتُسَر وتُحكى وتُؤثر، وتدخل تحت الفرة والانتباه، ويمكن أن يؤخذ بها وعيها.

ثم النبوس ليست سواء في إحصاء الأعمال والنبذات عليها:

فمعتها: نفوس قوية تتمثل عقدها بملذات أكثر من الأعمال، فلا تعد من كمالها بالأعمال إلا الأخلاق، ولكن تمثل الأعمال لها لأنها قولها ومورعها، فيحصى عليها الأعمال إحصاء أضعف من إحصاء الأخلاق، بسيرة ما يتمثل من الرقيا من الشياخ⁽¹⁾ الممتنى لمرء، فليست من الأنواء والمروح⁽²⁾.

ومنها: نفوس ضعفة تحسب أعمالها عين فعالها، لعدم استقلال الهيئات النفسانية، فلا تملك إلا التضمحل في الأعمال، فيحصى عليها نفس الأعمال. وهم أكثر الناس، وهم الصحت جون جدا إلى التوفت الملقم. وهذه المعاني فطرم الاعتداء⁽³⁾ بالأعمال في انداميس الإلهية. ثم إن كثرة من الأعمال يستمر في العمل الأعلى، ويتوجه إليه استجالاتهم أو استجالاتهم بالأمانة، مع قطع النظر عن الهيئات النفسانية التي تصدر عنها، فيكون أداء الصالح منها بسيرة نور إلهام من العمل الأعلى، هو التعرب عنهم والشبه يوم وكسالة أنوارهم، ويكون اقتراف⁽⁴⁾ السيرة منها خلال ذلك.

وهذا الاستمرار يكون بوجوه:

معتها: أنهم يشفقون من بذرهم أن نظام البشر لا يصلح إلا بأداء أعمال والكف عن أعمال، فتش تلك الأعمال عنهم، ثم سزل في الشرائع من هيئات

ومنها: أن نفوس البشر التي مارسات ولازمت الأعمال إذا تنقلت إلى عمل الأعلى وتوجه إليه استجالاتهم واستجالاتهم، ورضى على ذلك القرون والمدهور، استمرت صور الأعمال عنهم.

والاجملة فتؤثر الأعمال حينئذ تأثير العزيم والرقى المأثورة عن السلف بهيئتها وصيتها، والله أعلم.

(1) أي كماله.

(2) إشارة إلى رؤيا رجل رأى كاله يفتن على نود اند، وفروجه، فلعها على من سيرين، فقال حكت مؤثر تؤمن قبل لوت فتتخ الناس من كل لحدور والوطم.

(3) أي الاعتناء، والتمهيد، القاموس.

(4) أي لركب.

اعلم أن أسباب السجادة وإن كثرت ترجع إلى أهليين :

أحدهما : أن تجسّد النفس من حيث توحّدها الملكية بعمل أو خلُق اكتسبته أنه غير ملائم لها، فتشبع فيها ندامة وحسرة وألم، ربما أوجب ذلك تمثّل واقعات في المنام أو البقطة تشتمل على إيلاّم وإهانة وتهديد، ورُبّ نفس استعدت للإلهام المخالفة فخطبت على السبئية الملائكة، بأن ثمراتى^(١) له كسائر ما تستعد له من العلوم، وإلى هذا الأصل وقعت الإشارة في قوله تعالى :

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَأَمَّا الْفُلُ فَأَنزَلْنَاهُ ذِي الْحِجَّةِ إِذْ أَنَا مُبِينٌ ﴿١٠٠﴾

وانشائي : توجه حظيرة النفس إلى بني آدم ، فعند الملا الأعلى ميثات وأعمال وأخلاق مزجيّة ومسخوطة ، فطلب من ربها طلباً قوياً تتعبد أهل هذه وتعذيب أهل تلك ، فيستجيب دعاؤهم ، وتحيط ببني آدم همهم ، وترشح عليهم صورة الرضا واللغة ، كما ترشح سائر العلوم ، فتشيع واقعات إلهامية أو إنعامية ، وتراعى الملا الأعلى مهددة لهم أو منبسطة إليهم ، وربما ماثرت النفس من سخطها فمرضت لها كهية الغشي أو كهية الشرى ، وربما ترشح ما عندهم من الهمة المتأكنة على العوالم الضميمة ، كالخواطر ونحوها ، فآلهمت الملائكة أو بنو آدم أن يعمسوا أو يكتروا إليه ، وربما أحبل أمر من ملايسته إلى صلاح أو فساد ، وظهرت تفرجات لتعبد أو تعذيب . بل الحق المبرح أن طيّاووك ونعالى عناية بائناس يوم خلق السموات والأرض ثوجب ألا يهمل أفراد الإنسان شئى ، وأن يؤاخذهم على ما يفعلونه ، لكن لفظة مذوكها جعلنا دعوة الملائكة عزائاً لها ، والله أعلم . وإلى هذا الأصل وقعته الإشارة في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَفُورٌ ۚ وَأَنفَرْنَا دُونَهُمُ الْفُتُورَ ۚ وَالْأَنفُسُ شَتَّىٰ ۚ لَئِيْلَ الْهَامِ ۚ﴾ ﴿١٥٠﴾

وتتركب الأصناف، فيحدث من تركيبها بحسب استعداد النفس والعمل صور كثيرة عجيبة، لكن الأول أقوى في أعماله وأخلاقه تضييع النفس أو نفسها، وأكثر النفوس له قبولاً أزكاها وأنواعها، والثاني أقوى في أعماله وأخلاقه مناصرة للمصالح البكية متافرة لما يترجم إلى صلاح نظام بني آدم، وأكثر النفوس له قبولاً أضعفها، وأسهبها¹²، ولكل من

(b) 1:00

(2) **القضية:**

السبب مانع يصله عن حكمه إلى حين، فلا زال يصل عنه ضعف الملكية وقوة البهيمة، حتى نصير كأنها نفس مهيبة فقط، لا تفألم من آلام الملكية، فإذا تغلبت النفس عن الجلباب البهيبي، وقل مدده، وبرت يوارق الملكية، فُلِّبَتْ أو نُفِّتْ شيئاً فشيئاً، ولانبي بعض عنه تطابق الأسباب على ما يخالف حكمه حتى إذا جاء أجله الذي قدره الله نج عند ذلك الجزاء، ^(١) وهو قوله تبارك وتعالى

(إِنَّا لَنُؤْتِيكَ لَهَا جَاءَ أَجَلُهَا فَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْهَا) (يونس: الآية ٥٥).

المبحث الثاني: مبحث كيفية المجازاة في الحياة وبمعنى الممات

❦ باب الجزاء على الأعمال في الحياة ❦

قال الله تعالى:

(وَمَا أَسْأَلُكُمْ فِيهِ مِثْرَةَ نَفْسٍ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ) (الشورى: الآية ٣٥)

وقال:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا تَوْبَهُنَّ وَالْإِيمَانَ وَمَا أَوَّلَ إِلَهِمُ مِن تَرْبِيهِمْ لَآتَوْهُمْ مِن تَوْبِهِمْ وَمِن تَحْتِ تَرْبِيهِمْ) (المائدة: الآية ٤٤)

وقال الله تعالى في قصة أصحاب الجنة حين سئروا الصدقة ما قال ^(٢):

وقال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا تَوْبَهُنَّ وَالْإِيمَانَ وَمَا أَوَّلَ إِلَهِمُ مِن تَرْبِيهِمْ لَآتَوْهُمْ مِن تَوْبِهِمْ وَمِن تَحْتِ تَرْبِيهِمْ) (المائدة: الآية ٤٤): (مَنْ يَسْأَلُ مَوْتًا يُحْيَا بِهَا) (مسند: الآية ١٢٣).

هذه ^(٣) معاقبة الله للعبد بما يصيبه من الحمى والنكبة ^(٤)، حتى البضاعة يضعها في يد صبيح فيبذلها فيفزع لها، حتى إن العبد ليخرج من توبه كما يفرج القبر الأحمر من الكبر.

اعلم أن للملكية يوم ^(٥) بعد كمونها في البهيمة، وانكسار بعد اشتراكها بها.

فتارة بالموت الطبيعي: فإنه حينئذ لا يأتي مددها من الغذاء وتدخل موادها لا إلى بدن، ولا تُهَيَّج النفس أحوال طارئة كجوع وشبع وغضب، فيترشح نور عالم القدس عليها.

(١) أي شيئاً كثيراً.

(٢) أي في سورة (ذ).

(٣) مثله في خبره.

(٤) أي للمصيبة، وقوله: «يفزع»، أي يتم.

(٥) أي ما بعد وفاته، ثمرة بها، أي خلافاً.

ونارة بالتموت الاختباري: فلا يزال يكسر بهيمته رياضية واستداعة توجب إلى عالم القدس، فيرق عليه بعض يورقي الملكية.

وإن لكل شيء اشترافاً واليسطاً بما يلائمه من الأعمال والهيئات، والنباطة وتخصاً بما يخالفه منها.

وإن اكل آدم وألفه شريعاً بتشيع به، نشج الخلق الشاع^(١) الخس، ونسج الخادي من حرارة الصدراء الكرب والنضج^(٢)، وأن يرى من منامه البراك والنشل، ونسج الخادي من البلغم مقاساة الرد، وأن يرى في المنام الماء والخضج، فإذا مرزت السلطنة ظهر في البقلة أو احتدم أشباح الألس والسرور إن كان اكتسب النطافة والشرع وسائر ما لماسب لسلطنة، ونسج استداعها في صورة كيميائية مضادة للاعتدال، وواقعات تشتمل على نهضة رنهاده، ويظهر الغضب في صورة سبع بهر^(٣)، والبخل في صورة حجة قلدغ.

والاضباط في المجازاة الخارجية أنها تكون في تضاعيف أسباب، فمن أحاط بذلك الأسباب وتمثل عنده انتقام النسيث منها^(٤)، علم قطعاً أن الحق لا يدع عاصياً إلا يجازيه في الدنيا مع رعاية ذلك لنظام، فيكون إذا هدأت الأسباب عن تنعيمه وتعذيبه، نعم، سبب الأعمال المضاعفة، أو غلب سبب الأعمال الفاجرة، ويكون إذا أجمعت الأسباب على إيلامه وكان صاحبه، وكان قبليها لمعارضة صلاحه غير قبيح، ضرفت أعماله إلى رفع لبلاء أو تخفيفه أو على إيلامه، كان فاسقاً ضرفت إلى إزالته نعمته، وإن كان كالعارفين لأسبابها، أو أجمعت على مناسبة أعماله أمد في ذلك إمداداً بيناً.

وربما كان حكم القديم أوجب^(٥) من حكم الأعمان، فيستدريج بالفاجر ويخزي على الصالح في الظاهر، ويصرف الكفيع إلى كسر بهيمته، ويهيم ذلك فيرضي، كالشيء يشرب الدواء المر راحاً فيه. وهذا معنى قوله تعالى: مثل المؤمن كمثل الخلة^(٦) من الزرع تغيثها الرياح. تصرعها مرة وتعللها أخرى، حتى يأتيه أجله، ومثل المنافق كمثل الازرة المجنونة^(٧) التي

(١) أي: الخلق.

(٢) أي: الخلق.

(٣) يعني: سبع.

(٤) أي: عن الأسباب.

(٥) أي: كذا.

(٦) أي: الخلة اللينة من الزرع، وتليها أي: تليها من حسب إلى جلي. أي: المؤمن مثل الخلة إذا جاء لمراد تصاع له وإن جاءه مكروه رجا الأجر وإذا سكن لقلأ اعتدل قائماً بالشكر. وقوله: تصرعها، أي: تطرمها على الأرض.

(٧) يعني: مجنونة. أي: متعصية. والانعطاف: الانقلاع. يعني: المنافق قليل الألام، ولا تكون ألامه مكثرة نسبته.

لا يصبرها شيء حتى يكون التعاليف مرة واحدة ، وفوقه الخرافة ، مما من مدافع يدرجه لذي ، من
مريض فما سراه ، إلا حد ٥ به سميته كما نطقت لشجرة ورقها .

وَوَرِّثْ أَهْلَهُ غَنِيَةً عَلَيْهِ طَاعَةُ الشُّبَّانِ، وَبَارِئُ أَعْمَالِهِ كَحَتْلِ النَّفُوسِ الْبَهِيمَةِ، فَتَتَغَلَّصُ
سَهْلَةً بِحَسْرِ الْمَحَارِقِ إِلَى أَجَلٍ، وَذَلِكَ قُوَّةُ تَعَالَى:

[illegible]

وبالحكمة، فالأمر بهذا ^(١١) يُشَبِّه بحال من لا يتفرغ للجزاء، فإذا كان يوم الحياة صار كأن نذره، وإليه الإشارة في قوله تعالى:

(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ الْعَلَّامُ) (الرحمن، الآية ٥٦).

تم المراجعة

قائمة تكون في عسر العبد، بإفادته السط والطمأنينة أو التيقن والفرح، وتارة في سنده، بمنزلة الأمراض العارضة عن هجوم عم أو خوف، وعنه^(١) وقح الذي يترك مغشياً عليه قبل بؤته حين كشف عورته. وتارة في ملك وأهله، وربما أهم الناس وملائكة واليوثم أن يحضر إليه، وربما فأت إلى خير أو شر بالهيات أو إحالات.

ومن ثم ما ذكرنا ووضح كل شيء في موضعه استرجاع من إشكالات كثيرة،
كمعارضة الأحاديث المذلة على أن المر سبب زيادة الرزق، والقصور سب نقصانه،
والأحاديث المذلة على أن التفجار يجعل لهم الحسنات في الدنيا، وإن أكثر الناس يلاء
الأنف ما لا ينظر، ونحو ذلك، والله أعلم.

❁ **باب ذكر حقيقة الموت** ❁

نظم أدل لكل صورة من المعدنية، والنامية⁽⁴⁵⁾، والحيوانية، والإنسانية مصبة⁽⁴⁶⁾ غير مصونة لأخرى، وفيها فصلاً أولياً غير فصائل الأخرى، وإن أشبه الأخرى في الظاهر،

(١) اي. في البيت.

(3) أي هو: المصلحة في نفسه.

(١٠) في أكثر النسخ فتحة على هي فتحة الجيب هي بعضها مطقة، على وزن مربية، وهو الأوزن بالمضموه
اللاحق، فإن المصطبة تكون بقصد عليها، هناك المعنى أن لكل دهره فداداه مقده، وتستغرق عليها.

فالأركان^(١٤) إذا تضرعت وخرجت بأوضاع مختلفة، كثرة وقلة، حدث، ثبات: كالبحار، والنبزار، والدحدن، والشرى^(١٥)، والأرض الحثارة، والجسيرة، والسفحة، والشعلة، واللايات: كالطين المعمر، والطحشيب، ورياحيات: نظائر ما ذكرنا.

وبك الأشياء لها خواص مركبة من خواص أجزائها، ليس فيها شيء غير ذلك، وشئ بكائنات، الجوه فتأتي المعسدة فتتعد^(١٦) غارب ذلك المزاج وتتخذ مطية، وتصير ذات خواص نوعية، وتحفظ المزاج، ثم تأتي الماعرة فتتخذ الجسم المحفوظ المزاج مطية، وتصير قوة مسوكة لأجزاء الأركان والكائنات الجوه إلى مزاج نفسه، لتخرج إلى الكمال المتوقع لها بالفعل، ثم تأتي العجوة فتتخذ الروح الهوائية الحاملة لقوى التقلية والتنسبة مطية، وتنفذ التصرف في أطرافها بالحبس والإرادة تبعاً للمطلوب، وانخماصاً عن المهورب، ثم تأتي الإزانية فتتخذ الشئمة المتصرفة في البدن مطية، وتقص إلى الأخلاق التي هي أمهات الاتيحات والاختصاصات، فنقيتها^(١٧)، وتحبس ميائمتها، وتأخذها منصبة لما يتلقاه من فوقها، فالأمر وإن كان مشبهاً بامرئ الرأي^(١٨) لكن النظر المسمى يلحق كل آثار جميعها، ويقرئ كل صورة بعطيتها.

وكل صورة لابد لها من مادة تقوم بها، وإنما تكون المادة ما يماسها، وإنما نزل المصورة كمثل خاتمة الإنسان القائمة بالشمعة في المعتال، ولا يمكن أن توجد الخاتمة إلا بالشمعة، فمن قال بأن النفس النطقية اختصاصه بالإنسان عند انبعوث ترفق^(١٩) المادة مطلقاً فقد خرس^(٢٠). نعم: لها مادة بالذات، وهي الشئمة، ومادة بالعرض، وهو الجسم الأرضي، فإذا مات الإنسان لم يضر نفسه زوال المادة الأرضية، وبقيت حائلة بمادة الشئمة، ويكون كالكتاب المجهد^(٢١) المشفوف بكتابت إذا قطعت يده، وتلك الكتابة بحالها، وأما منتهز^(٢٢) بالشمسي إذا قطعت رجلاه، والسبع والبهير إذا جعن أحسن وأسمى.

وعلم أن من الأعمال والهيئات ما يباشرها الإنسان بداعية من فنه، فهو تخلي ونسب لا تنساق إلى ذلك، ولا منبع من مخالفته، ومنه ما يباشره لموافقة لإحوان، أو لعارض خارجي من جوع وعطش ونحوهما، إذا لم يصبر عادة لا يستطيع الإفلاج عنها، فإذا انفق^(٢٣) العاوي انحلت الداعية، فرب مشعر مشق إنسان أو بالشعر أو بشيء آخر يضطر

(١) العناصر.

(٢) أي تلبس وفلظ بكف.

(٣) أي لم أول نفس.

(٤) أي كتب.

(٥) أي المولى.

(٦) أي التول لندى، والمثارة، المعروفة، والسفحة، القبة.

(٧) تزيينها.

(٨) أي تترك.

(٩) أي الأني بالصيد.

(١٠) أي زل، وتطلعت، أي زلت.

إلى موافقة قومه في اللباس والزينة، فلو تخلى ونفسه وبثّل ذِيَهُ لم يجد في قلبه بأساً، وذمت
إنسان يحب الزي بالذات، فلو تخلى ونفسه لما سمح تركه.

وإن من لإنسان اتبقتاداً بالطبع، يتفحص بالأمر الجامع بين الكثرات، وتُمسك قلبه
باعتنه دون المحلولات، والسلكة دون الأفاعيل. ومنه الإنسان^(١) بالطبع، يبقى مشغولاً
بالكثرة عن الوحدة، وبالأفاعيل عن السلكات، وبالأشباح عن الأرواح.

واعلم أن الإنسان إذا مات انفسخ^(٢) جسده الأوضي، رُبقيت نفسه النطقية متعلقة
بالنفس متفرقة إلى ما عندنا، وطرحت عنها ما كان لضرورة الحياة الدنيا من غير داعية
قلبية، وبقي فيها ما كانت نُفسيته في حذر جوهرها وحيث تبرز الملكية وتضعف البهيمية،
وتترشح عليها من فوقها بقين بحظيرة القدس وبما أحصي عليها هنالك، وحينئذ تنال
الصنيعة أو تنعم.

واعلم أن الملكية عند عروصها^(٣) في البهيمية وامتزاجها بها لا بد أن تدعى لها إذعاناً
ما، وشائر منها أثراً ما، لكن الظاهر كل الضرر أن تشيع فيها هيئات سائرة في الغاية،
والنافع كل النصح أن تشيع فيها هيئات سارية في الغاية.

ومن المسافرين:

أن يكون قُرْبَى التعلق بالمال والأهل لا يستيقن أن وراءهما مطلوباً، قوي الإمساك
لهيئات الدُّنيّة في حذر جوهرها، ونحو ذلك، مما يجسمه أنه على الطرف المقابل
للساحة.

وأن يكون مثبُتاً بالنجاسات، متكبّراً على الله، لم يعرف ولم يخضع له يوماً، ونحو
ذلك مما يجسمه أنه على الطرف المقابل للإحسان.

وأن يكون ناقص توجه حظيرة القدس في نصر الحق وتنويه^(٤) أمره، وبعثة الأنبياء،
واقامة النظام المرضي، فأصيب منهم بالتقصاء واللعن.

ومن المتعاصيات:

مباشرة أعمال تحاكي الظهور والخضوع للبارئ، وتذكر حال الملائكة، وعقائد
نزعها^(٥) من الاملات بالحياة الدنياه، وأن يكون سبْحاً سهلاً، وأن يعطف^(٦) على ادعية
الملا الأعلى ونرجعاتهم للنظام المرضي، والله أعلم.

(٢) أي: نفسه

(٣) أي: حظيرة

(٤) أي: يبدل

(١) أي: المتعصب

(٢) أي: نزعها

(٣) أي: النفس

❁ باب اختلاف أحوال الناس في البرزخ ❁

اعلم أن الناس في هذا العالم على طبقات شتى لا يُرجى إحصاؤها، لكن وؤوس الأصناف أربعة:

صنف هم أهل الجنة، وأولئك بعدون متشوقون لأنفس تلك المنافع والنعاسات. وإلى حال هذا الصنف وقعت الإشارة في قوله تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْتَزُّكَ عَلَيْهِ مَا قُلْتُكَ فِي بَحْرٍ أَفْوٍ وَكَانَ كُنْتُ لَيْتَ الشَّيْءَ﴾ (١) ﴿إِسْرَارٍ أَوَّلِهِ﴾ (٢).

ورأيت طائفة من أهل الله صارت نفوسهم بمنزلة الجوابي (٣) الممثلة ماء واحداً (٤) لا تهبجه الرياح، فصرها ضوء الشمس في الهاجرة، فصاروا بمنزلة قطعة من النور، وذلك النور إما نور الأعمال الظاهرية، أو نور قباد دشت، أو نور الرحمة.

وصنف قريب المآخذ منهم، لكن هم أهل النور الطبيعي، فأولئك تصيبهم رؤيا، والرؤيا فيها حضور علوم مخزونة في الحس المشترك كانت مسكنة (٥) اليقظة تسبح عن الاستغراق فيها، والاندھون عن كونها خيالات، فتعاً نام به يشك أنها عين ما هي صورة، وربما يرى المغمضون أنه في غريضة رابضة في يوم صائف ومسموم، فيبينما هو كذلك إذا فاجأته النار من كل جانب، فجعل يهرب ولا يجد مهرباً، ثم إنه لضعفه (٦) تقاسى الماء شديداً. ويرى المغمض أنه في ليلة شائية ونهر بارد وريح ذهبورية، فهاجت بسيفيك الأمواج، فصار يهرب ولا يجد مهرباً، ثم إنه فرق، تقاسى الماء شديداً.

وإن أنت استغفرت الناس ثم تجد أسداً (٧) وقد جرب من نفسه تشبُّع الحوادث المتجمعة بتعمات وتوجعات مناسبة لها ولنفس الرزية. فهذا العنيل في الرزيا، غير أنه رؤيا لا يقظة منه، لا يوم القيامة، وصاحب الرؤيا لا يعرف في رؤياه أنها لم تكن أسماء خارجية، وأن التوُّشع والتمس لم يكن في "العالم الخارجي"، وإنما بقطة لم يتنه لهذا السر، فحسب أن يكون تسمية هذا العالم (٨) عالمًا خارجياً حقاً وأنصبع من تسميته بالرزيا، وربما يرى صاحب السعة أنه يخشى سبع، وصاحب البخل تنهشه حيات وسقارب، وينشبح رؤال العلوم التوقائية بفلكني يسألانه: من ذلك؟ وما ذلك؟ وما قولك في السي (٩)؟

(١) وَتَكُنْ لَكَ جِبْ أَوَّلِهِ فِي تَعَرُّدٍ فِي لَمَرِهِ. وَوَالشَّيْءَ فِيهِ الْمَسْطَرِّينَ وَالْمَسْطَرِّينَ.

(٢) جمع جلية وهي لغز كالجوية والجبية.

(٣) أي: ساكنة. (٤) ما يتصل بهلية.

(٥) أي: امرفته. (٦) أي: البرزخ.

وصف بهيمتهم وملكتهم ضعفتان، يحقون بالملائكة السائلة لأسباب جسيمة، بأن كانت ملكيتهم قليلة الانتماس في البهيمية غير مُدعنة لها، ولا متكررة منها، وكيفية بأن لابتست الطهارات بتداعية قلبية، وتُغث من نفسها الإلهامات وموارد ملكية، فكما أن الإنسان ربما يُخلل في صورة الأخران وفي مزاجه خنوة وميل إلى هيت الإناث، لكنه لا يتميز شهوات الأنوثة من شهوات الذكورة في الصا، إنما انهم حينئذ شهوة الطعام والشراب وحب اللعب، فيجري حسب ما يؤمر به من الترسيم بسمة الرجال، ويستنع عنه من اختار زي النساء، حتى إذا شُب ورجع إلى طبيعته المأجبة استبد^(١) باختيار زيهم والتمؤد بعاداتهن، وغلبت عليه شهوة الابنة^(٢) وعلى ما يفتله النساء، وتكلم بكلامهن، وسُمي نفسه تسمة الأنثى، فمنذ ذلك خرج من حيز الرجال بالكنية، فكذلك الإنسان قد يكون في حياته الدنيا مشغولاً بشهوة الطعام والشراب والفيلمة^(٣) وغيرها من مقتضيات الطبيعة والرسم، لكنه قريب المأخذ من الملل السافل قوي الانجذاب إليهم، فإذا مات انقطعت العلاقات ورجع إلى مزاجه، فالحق بالملائكة وصار منهم، وألهم كإلهامهم وسعى فيما يستوون فيه.

وفي الحديث: «رايت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في فجعة مع الملائكة يجناحين».

وربما اشتغل هؤلاء بإعلاء كلمة الله ونصر حزب الله، وربما كان لهم لمة^(٤) خير بآلهم آدم، وربما اشتاق بعضهم إلى صورة جسدية اشتياقاً شديداً ناشأ من أصل يبلته، ففرغ ذلك ياداً من المثال واختلطت قوة منه بالشمعة الهوائية، وصار كالجسد النوراني، وربما اشتاق بعضهم إلى مطعوم ونحوه، فأبد فيهما انتهى فضاء لشوقه، وإليه الإشارة في قوله تعالى:

(وَلَا تَحْزَنْ أَلَمْ نُخَلِّقْ فِي سَيْبِلِ الْمَرِّ أَمْزَاجًا لِّئَلَّا تُهَيِّجَ بِهِ ذُرِّيَّتَهُمْ ذُرِّيَّتُونَ ﴿١٠﴾ رَجِيعٌ بِمَا نَقَلْتُمُ الْمَاءَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَقَدْ نَبِّئْتُهُمْ بِأَلْمِيقَاتِ قَدْ يَعْلَمُونَ يَوْمَ بَيْنَ سَلْمَةِ أَلَّا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾) [الرعد: ١٠-١١].

ويزاء هؤلاء قوم قريبو المأخذ من الشياطين جينة، بأن كان مزاجهم فاسداً يستوجب أراء مناقضة للحق، منافية للرأي الحكيم، على طرف شاسع^(٥) من محاسن الأخلاق، وكشاً، بأن لابتست هينات خبيسة وأنكار فاسدة وانقادت لوسوسة الشياطين، وأحاط بهم الظلم، فإذا ماتوا ألحقوا بالخيالين وألبسوا لباساً ظلمانياً، وصوّر لهم ما يقضون به بعض الظلم من الملة الخبيسة، والأول بنعم يحدث ابتهاج في نفسه، والثاني يحذب بغيب وغم، كالمسكت يعلم أن الشخوة أسوأ حالات الإنسان، ولكن لا يستطيع الإفلاخ عنها.

(١) أي: يعمل عمل قوم لوط.

(٢) أي: فتنة.

(٣) لست.

(٤) شهوة لجاج.

(٥) بعيد.

وصنف دم أهل اصطلاح، قوة بهيميتهم ضعيفة ملكيتهم، وهم أكثر الناس وجوداً، يكون غالب أمرهم تابعاً للصورة الحيوانية المجبولة على انصرف في البدن والانحساس فيه، فلا يكون الموت انفكاكاً نفوسهم عن البدن بالكلية، بل تلك تدبيراً ولا شك، وعملاً ما علم عامة من كذا بحيث لا يخطر عندها إمكان مخالفة أنها عين الجسد، حتى لو علم الجسد أو فطن لأبقت أنه فعل ذلك بها. وعلاشهم أنهم يقولون من جذر قلوبهم إن أرواحهم عين أجسادهم، أو عرض طارئ عليها وإن تفتت ألسنتهم لتقليد أو رسم خلاف ذلك. فاولئك إذ ماتوا يرق عليهم بارق ضعيف، وترامى لهم خيال مغيث مثل ما يكون هنا للمتراضين، وتشيع الأمور في صور خيالية ومذابة أخرى كما قد كشح للمتراضين، وإن كان لا يسر^(١) أعمالاً ملكية دس علم الملازمة في أشباح ملائكة حسان الوجوه بأيديهم الحرير، ومخاطبات وهيات لطيفة، وتفتح باب إلى الجنة تأتي منه روحها، وإن كان لا يسر أعمالاً متاهرة للملكية أو جلالة فلن دس علم ذلك في أشباح ملائكة سود الوجوه، ومخاطبات وهيات هضبة، كما قد بدس الغضب في صورة السباع، والعجب في صورة الأرنب.

وهناك نفوس سكية استوجب استعلاهم أن يؤكلوا بمثل هذه المواطن، ويؤمروا بالتغيب أو التعميم، فيراهم العيني عياناً، وإن كان أهل الدنيا لا يرونهم عياناً.

واعلم أنه ليس عالم القبر إلا من يغاي هذا العالم. وإنما نرشح هنالك العلوم من وراء حجاب، وإنما تظهر أحكام النفوس المختصة بقرود دون أرو، بخلاف الموائد الحشرية، فإنها تظهر عليها وهي قائمة، ومن أحكامها الخاصة بقرود قرود باقية، بأحكام الصورة الإنسانية، والله اعلم.

❁ باب ذكر شيء من أسرار الوقائع الحشرية ❁

اعلم أن لأرواح مصرة تنجذب إليها التجاذب الحديد إلى المغناطيس. وذلك المعصرة هي حظيرة القدس ومحل اجتماع النفوس المتجردة من جلاليب الأبدان بالروح الأعظم الذي وصفه النبي ﷺ بكثرة الوجوه، والأنس واللغات، وإن هو تشيع لصورة نوع الإنسان في عالم المثال، لو في الذئب، أيا ما شئت فقل، ومحل فناء عن المتأكد من أحكامها الناشئة من التخصصية القردية، وفناها بأحكامها الناشئة من النوع أو الغالب عليها جانب النوع.

(١) أي: باهر

وتنقسم إلى أفراد الإلهاء لها أحكامها، يمتاز بها بعضها من بعض، ولها أحكام تشترك فيها جميعها، وتتوارد عليها جميعها، ولا يترتب أنها من النوع ولها في قوتها بقاء لكل مولود يولد على الفطرة... الحديث.

وقال من بعدهم: نوعان من الأحكام:

أحدهما: الخاص، كالخلفاء، أي: الملوك والشكلى والمقلدون، وكالصوت، أي: فرد وجدته على هيئة يعطيهما النوع، ولم يكن محدداً^(١) من قبل عصيان الحافة، منه لا بد بتحققها ويتوارد عليها. فالإنسان مستوي القامة ناصق يائي البصر، والفرس وفوق القامة ساحل أشعر... إلى غير ذلك، مما لا ينفك عن الأفراد عند سلامة مزاجها.

وثانيهما: الأحكام الخاصة كالإراة والاحذام للعاش والاستعداد لما يهجم عليها من الوبائخ، فلكل نوع شريعته، ألا توى النحل كيف أوحى الله تعالى إليها أن تتبع لأشجار قتلى من ثمراتها، ثم كيف اتخذ بيتاً ويجمع فيه بنو نوعها، ثم كيف تجمع العسل هالك، وأوحى إلى العصفور أن يربيع الذكر في الأنثى، ثم يتخذ عشاً، ثم يحضن البيض، ثم يرقا الصراخ، ثم إذا نهضت الفراخ ملأها أبى الماء وأبى الحبوب، وعلمها تاصحها من عذوها، وعلمها كيف تفر من السور والفساد، وكيف تتأخر بين نوعها عند جباب نفع أو دفع غير، وجل نطق الطبيعة السليمة بتلك الأحكام أنها لا ترجع إلى انقضاء الصورة النوعية.

واعلم أن سعادة الأفراد أن تستلزم منها أحكام النوع وافية كاملة، والإعصا مادتها عليه، ولذلك يختلف أفراد الأنواع فيما يمد لها من سعادتها أو شقاوتها. ومهما ثبت على ما يعطيه النوع لم يكن لها ألم لكنها قد تُعير فطرتها بأسياب ملائكة منزلة الورم، ولها وفدت الإشارة بقوله ﷺ: «ثم إني أرواهم يهودانية، أو ينصرانية، أو يمجسانة».

واعلم أن الأرواح البشرية تنجذب إلى هذه العصفرة تارة من جهة الصبورة والعمه، وطوراً من جهة التلويح، تارة فيها يلاماً وتارة، أما الانحذاب بالبصيرة، فيبر أحد يتخلف عن ألوان البهيمية إلا ولحقه معه بها ويتكشف عليها شيء منها، وهو المشاد إلي في قوله ﷺ: «تجتمع أم وموسى عند وجهي»، وروي عنه ﷺ من صرق شيء أن أرواح الصالحين تجتمع عند أرواح الأعظم.

أما الانجذاب الآخر، فاعلم أن حشر الأجساد وإعادة الأرواح إليها ليست حبة مستأناة، إنما هي نعمة النشأة المتقدمة، بمنزلة النعمة لكثرة الأكس. كيفه، ولولا ذلك، لكانوا غير الأولين. وأما ألقاها بما فعلوا.

(١) ناعماً.

واعلم أن كثيراً من الأشياء المنخفضة في الخارج تكون بمنزلة الرؤيا في تشيخ المعاني بأحسام مناسبة لها:

كما ظهرت العلائكة لداود عليه السلام في صورة خنثيين ووفعت إليه القضية، فعرف أنه تشيخ لما ربط⁽¹⁾ منه في امرأة أور⁽²⁾ فاستغفر وأتاب.

وكما كان غرض تشيخ الحمر واللبن عليه ﷺ، واختياره اللبن، تشيخاً لغرضي الفطرة والشهوات على أمته واختيار الراشدين منهم الفطرة.

وكما كان جلوس النبي ﷺ وأبي بكر وعمر مجتمعين على قف⁽³⁾ البشر، وجلوس عثمان منفرداً منهم، تشيخاً لما قدر الله تعالى من حال قبورهم ومداينتهم، على ما أوله سعيد بن المسيب، وناهيك به.

وأكثر الوقائع الحشرية من هذا القبيل.

واعلم أن تعلق النفس الناطقة بالشئكة أكيد شديد في حق أكثر الناس، وإنما مثلها بالنسبة إلى العلوم البعيدة من مألوفها كمثل الأكمة لا يتخيل الألوان والأصوات أصلاً، ولا مطيح له في حصول ذلك إلا بعد أحقاب⁽⁴⁾ كثيرة ومدد متعاقلة في غسب تشيخات وتملات.

والنفوس أول ما تبعث تجازي بالحجاب اليسير أو العسير، أو بالمرور على الصراط تاجياً ومخوضاً، أو بان ينج كل أحد مشوره فينجو أو يهلك، أو تنطق الأيدي والأرجل، وقرأة الصحف، أو يظهر ما يخبئ به ويخفيه على ظهره أو الكي به...

وبالجملة: فتشيعات وتملات ما عندها ما تعطيه أحكام الصورة النوعية، وأبها رجل كان أوتى نفساً وأوسع نسبة، فانشيعات الحشرية في حقه أتم وأوفر، وكذلك أخير النبي ﷺ أن أكثر عذاب أمته في قبورهم.

وهناك أمور متصلة تبارى النفوس في مشاهدتها، كالهناية المبسوطة ببعثة النبي ﷺ

(1) أي: صدر على سبيل الإغراء.

(2) التحقيق في قصة داود عليه السلام أنه لم يقع منه ما نسب إليه لمرديات الإسرائيليتين فهي تزعم أن داود عليه السلام أمة امرأة أوريا بعد أن أرسله إلى الحرب ليقتل فيها. قال داود عليه السلام، وهو نبي معصوم، يتناسخ عن هذا ويقتله عن ماله. وليس في قصة التي ذكرت في القرآن ما يشهد إلى هذا من مريب أو بعيد. وإنما الذي حدث من داود عليه السلام أنه تشيخ في الحكم قبل أن يسبح من العروبي كليهما. بل صبح من طرف واحد ثم أصدر الحكم عقبه. فكانت ثوبته لمة⁽³⁾ تسيبه ولا سبها وإن الله ذو قاء ﴿الْبَيْكَةُ وَفَمِنْ كَيْطَابٍ﴾ [حر 10].

(3) بحسب قوله، وتشيخه. فله من الحكمة في ذلك حول كثير.

(4) أي: قديمت.

تشبع موعناً، وتشبع أيمانها المَحْصاء عليها وزناً، إلى غير ذلك، وتشبع النعمة بسطعم هنيء، ومشروب مريء، ومنكح شهوي، وليس رضي، ومسكن بهي.

واللخروج من ظلمات التخليط إلى النعمة تنزيجات عجيبة، كما بيّنه النبي ﷺ في حديث الرجل الذي هو أشهر أهل الدار خروجاً منها، وأن للفوس شهرات تنوارده عليها من تلقاء نوعها تمثل بها النعمة، وشهرات دون ذلك يميز بها بعضها من بعض، وهو قول النبي ﷺ: «دخلت الجنة فإذا جلدية أنعام»⁽¹⁾ أفسد، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ فقال: إلى الله تعالى عرف شهوة جعفر بن أبي طالب للأُمِّ المُعَمِّس، فخلق له هذه، وقوله ﷺ: «إني الله أدخلك الجنة، فلا تشاء أن تجعل فيها على فوس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت»، وقوله ﷺ: «إني رجلاً من أهل الجنة استكن ربه في الثور»، فقال له: أفسد فيما شئت؟ قال: بلى، ولكنني أحب أن أزرع، فيزرع فيأمر العارف بقاء واستقلاله واستحصانه، فكان أمثال العبدان فيقول الله تعالى: «تلك»⁽²⁾ يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، ثم آخر ذلك رؤية رب العالمين، وظهور سلطان التجليات في جنة الكتيب⁽³⁾، ثم كان بعد ذلك، ما أسكت عنه ولا أذكره، اختداه بالشاوع ﷺ.

المبحث الثالث: مبحث الارتفاقات

باب كيفية استنباط الارتفاقات⁽⁴⁾

اعلم أن الإنسان يوافق أبناء جنسه في الحاجة إلى الأكل، والشرب، والجماع، والاستغلال من الشمس والمطر، والاستعداد⁽⁵⁾ في الشتاء وغيرها. وكان من عنابة الله تعالى به أن أكلهم كيف يرتفق⁽⁶⁾ بأداء هذه الحاجات إلهاماً طبيعياً من مقتضى صوره النوعية، فلا جرم يتساوى الأفراد في ذلك، إلا كلٌ مخدج⁽⁷⁾ عصت مادته، كما أكلهم النحل كيف تاكل الثمرات، ثم كيف تتخذ بيتاً يجتمع فيه أشخاص من بني نوعها، ثم كيف

(1) حقة من الأكمة بالضم، وهي: المشوذة في الناس، جمعها ثم على وزن قلة والمقصود صفة من الناس بالشمس، ومن: سرد الشفة المنقط بالعمرة. جمعها لسان ينمش.

(2) أي: خلق.

(3) الكتيب: معركة الغرب، ولعل الكتيب: لغة فيه، لكنني لم أجده في اللغة، والمراد منه كتيب مسند.

(4) أي: يتبركه بالنعمة.

(5) أي: طلب الحرارة.

(6) أي: يتلفح.

نقادهم سويها⁽¹⁾. ثم كيف تعمل، وكما ألهم العصور كيف ينبغي الحبوب الغذائية، وكيف يروى الماء، وكيف يفر عن لستور والعباد، وكيف يقاتل من صلبه عما يحتاج إليه، وكيف يسافد⁽²⁾ ذكره الأنتى عند النشيد، ثم يتخذان عشاً عند تجميل، ثم كيف يتعاونان في حضارة البيض، ثم كيف يرقان⁽³⁾ الفراع.

وكذلك لكل نوع شريعة، نكت في صدور أفرادها من طريق الصورة النوعية.

وكذلك ألهم الإنسان كيف يرتقي من هذه الضرورات؛ غير أنه انضم له مع هذا ثلاثة أشياء تستلزم صورته النوعية الروائية⁽⁴⁾ على كل شيء:

أولها: الانبعاث إلى شيء من رأي كلي. فاللهيمة إنما تنبث إلى غرض محدد أو متوحد من داعية ناشئة من طبيعتها، كالجوع والعطش والشوق والإنسان وما ينبعث إلى دفع معقول ليس له داعية من طبيعته. يقصد أن يحصل نظاماً صالحاً في المدينة، أو يكمل خلقه ويهذب نفسه، أو يفتشى⁽⁵⁾ من عذاب الآخرة. أو يمكن جماعه في صدور الناس.

الثاني: أنه يضرب مع الارتفاق الضراعة، فاللهيمة إنما ينبغي ما تدعوه خلقها، وتدفع حاجتها فقط، والإنسان وما يريد أن يقر عليه وذلك نفسه زيادة على الحاجة، فيطلب زوجة جميلة ووعداً للثروة وملياً فاخراً ومكناً شامخاً.

والثالث: أنه يوجد منه أهل عقل ودراية يستنبطون الاتفاقات الصالحة، ويوجد منهم من يفتنح في صدره ما الخسج في صدور أولئك ولكن لا يستطيع الاستنباط، فإذا رأى من الحكماء ومعهم ما استنبطوه تلقاه بفنائه وعصر عاياه يتواجد له ما وجدوا موافقاً لعلمه الإجمالي، فزرت إنسان يجوع ويظلم فلا يجد الضام والشرب، فيقامي أنما شديداً حتى يجدهما، فيحاول⁽⁶⁾ إرضاء هؤلاء هذه الحاجة، ولا يهتدي سبيلاً، ثم يقرر أن ينبغي حكيماً أصابه ما أصاب ذلك فتعرف الحبوب الغذائية، واستنبط يلزماً وستبها وحماها ودياسها⁽⁷⁾ وتذريتها وحفظها إلى وقت الحاجة، واستنبط حفر الآبار للمعبد من العيون والأنهار، واصطاع الخلال والغرب والعصا، فيخذ ذلك ياداً من الارتفاق، ثم إنه يضم الحبوب كما هي فلا تهضم في معدته، ويرجع الفواكه ليف، فلا تهضم، فيحاول شيئاً يلزاه هذه فلا يهتدي سبيلاً، فيلج حكيماً استنبط الطبخ، والفلي، والطحين، والخبز، فيخذ ذلك ياداً آخر... وليس على ذلك حاجاته كلها.

(1) امبرهه. (2) اوى يهده.

(3) اوى يطمئن. (4) اوى العاشية.

(5) اوى يفتش. (6) اوى يقصد.

(7) اوى: رطابها لمرجل المعلى، وتذريتها لملحة التين حاد. واورج.

والمستبصر^(١) يَنْهَضُ عنه لما ذكرنا حدوث كثير من المراقب في البلدان بعدما لم تكن، فمضى على ذلك قرون ولم يزالوا يفعلون ذلك، حتى اجتمعت جملة سالحة من المعلوم الإلهامية المَوْكِنَة بِالشَّكْكِينِيَّةِ، ونسبت^(٢) عليها نفوسهم، وعليها كان معباهم وسانتهم.

وبالجملة: محال الإلهامات الضرورية مع هذه الأشياء الثلاثة كمثل النفس، أصله ضروري بمنزلة حركة النفس، وقد انضم معه الاختيار في صعر الأنفاس وكبرها.

ولما كانت هذه الثلاثة لا توجد في جميع الناس سواء، لاختلاف أمزجة الناس وعقولهم الموجبة للانبعاث، من رأي كلي، ولحُب الظرافة، والاستنباط الانفاقات والافتداء فيها، واختلافهم في التفريغ للنظر^(٣)، وبحسب ذلك من الأسباب، كان للارتقاقات عُدَدان:

الأول: هو الذي لا يمكن أن يفك عنه أهل الاجتماعات القاصرة: كأهل البدو وسكان سواهل الجبال والنواحي البعيدة من الأقاليم الصالحة، وهو الذي نسميه بالارتفاق الأول.

والثاني: ما عليه أهل الحضرة والقرى المأهولة من الأقاليم الصالحة المستوحية أن ينشأ فيها أهل الأخلاق الفاضلة والحكماء، فإنه كثر هنالك الاجتماعات، وازدهرت الحاجات، وكثرت التجارب، فاشتبطت سنن حُرْبَلَة، وعضوا عليها بالنواجذ.

وانطرف الأعلى من هذا الحد ما يتعامله المملوك أهل الرفاهة الكاملة، الذين يرد عليهم حكماء الأمم فينتحلون منهم سنناً صالحة، وهو الذي نسميه بالارتفاق الثاني. ولما كمل الارتفاق الثاني أوجب ارتفاقاً ثالثاً، وذلك:

أنهم لما دارت بينهم المعاملات، ودخلها الشُّعْ والحسد والمطل والتعاقد، نشأت بينهم اختلافات ومنازعات، وأهم نشأ فيهم من تُكَلِّبُ عليه الشهوات الرديئة، أو يُجِبِل على الجراءة في القتل والنهب، وأنهم كانت لهم ارتقاقات مشتركة النفع لا بطريق واحد منهم إقامتها، أو لا سهل عنده، أو لا تسمح نفسه بها، فاضمروا إلى إقامة تِلْكَ بدعي بينهم بالمعدل، ويزجر عاصيهم، ويقارم جريئهم، ويجبي^(٤) منهم الخراج، ويعسره في مصرفه.

وأوجب الارتفاق الثالث ارتفاقاً رابعاً، وذلك:

(١) أي: المتأمل.

(٢) أي: لزمته.

(٣) أي: بجمع.

(٤) أي: للاستدلال.

أنه لما انقرض كل ملك مدنيته، وجبَّت إليه الأموال، وانقسم إليه الأبطال، وداعنهم الشجع والأحرص وانحدف نشجروا فيما بينهم وتقاتلوا، فاضطروا إلى إقامة الخليفة أو الانتقاد ممن تسلط عليهم تسلط الخلافة الكبرى، وعُني بالخليفة من يحصل له من الشوكة ما يَرَى منه كالمستمتع أن يسلطه رجل آخر ملكه، فكأنهم إلا بعد اجتماعات كثيرة وبذل أموال عظيمة، لا يتمكن منها إلا واحد هي القرون المتفاوتة.

ويختلف الخليفة باختلاف الأشخاص والعادات، رأي أمة عليها ثمة أخذ فهي أخرج إلى السوق والخلعة ممن هي دونها في الشجع والسجاء، وتحزن فريد أن تنهك على أصول هذه الارتقاقات وفهارس أبوابها، كما أوجه عقول الأسام الصالحة دري الأعلاني الماضيه والخذوة شله تُسلط لا يختلف فيها أناسهم ولا أدانيهم، فاستمع نما يُتلى عليك.

❁ باب الارتقاق الأول ❁

ومنه: اللغة القميرة عما هي ضمير الإنسان، والأصل في تلك أفعال ومحدث وأجسام تلتزم صرماً ما^(١) بالمشجورة أو السبب أو غيرها، فيحكي ذلك الصوت كما هو ثم يُصرف فيه بالاشتقاق لصيغ^(٢)، لئلا، اختلاف المعاني، وشبه أموراً مؤثرة في الأبصار أو محدثة لثبات وحدانية في القصر بالقسم الأول، ويتكلف له صوت كعته، ثم اتسمت اللغات بالتحجوز لمشابهة أو محاوراة، والتقليد لعلاقة ما.

وهناك أصول أخرى مستجدها في بعض كلامنا، ومنه المزود، والغرم، وحفر لأبار، وكيفية الطبخ والانتدام، ومنه صمغ الأواني والفزب، ومنه تسخير البهائم وانشاءه، لمبتعان بظهورها ولحموها وجلودها وأشعارها وأودارها وألبانها وأولادها، ومنه مسكن مؤبده^(٣) من الحر والبرد، من الثمران^(٤)، المشوش^(٥) ونحوه، ومنه لباس يقوم مقام كرش، من جلود البهائم أو أوراق الأشجار أو من صمغ أبلهم، ومنه أن تعشني لتعيين متكرحة لا يزاحمه فيها أحد، يدفع بها شفه ويدراً بها نسله ويستعين بها في حوائجه

(١) مثل لظمن بطومح يلامس مسواً هو طح طح، لشفي بالظمن لملامسته فلك تصورت، ولما كان الظمن في السبب مشابهاً بالظمن يارمح شفي بلمسه، وهو من الذين تشبيه الحروف بالمتحركات.

(٢) كالمفصي والمصارع وتعرفهما.

(٣) أي، يصفته.

(٤) جمع عار.

(٥) جمع عثر.

المنزلية وفي حضارة الأولاد وتربيتهم، وغير الإنسان لا يعبها إلا بحسب ما لا يتفق أو يكونها. توافرين أحراراً^(١) على التوافق ونحو ذلك، ومنه أن أمتدى لصناعات لا يتم الموضع والغرس والحفر ونسخير البهائم وغير ذلك إلا بها، كالممول وأدلو والسكة^(٢) والجمال ونحوها، ومنه أن أمتدى لمبادلات ومداوات في بعض الأمر، ومنه أن يقوم أسفهم وأباً وأشدهم بطشاً فسخراً الآخرين، ويرأس^(٣) لتبرج ولو برحه من الوجوه. ومنه أن تكون قيم شئ مسلمة لفعل حصولاتهم، وكبح ظالمهم، ودفع من يريد أن يمزوهم، ولا يد أن يكون في كل قوم من يستنبط طرق الارتفاق فيما بينهم شأنه، ليقنني به سفر الناس، وأن يكون فيه من يحب الجمال والرفاهية والدعة، ولو برحه من الوجوه، ومن يباغي بالخلقة، من الشجاعة والساحة والنصاحة والخس وغيرها، ومن يحب أن يظهر صبه ويرفع جاده.

وقد منح الله تعالى من كتابه العظيم على عباده بالإنعام تحجب هذا الارتفاق^(٤)، لعلهم بأن التكليف بالقرآن ينفذ أمتد الناس، وأنه لا يتسهم جميعاً إلا هذا النوع من الارتفاق، والله أعلم.

❦ باب فن آداب للمعاش ❦

وهي الحكمة الدالة عن كيفية الارتفاق من الحاجات المبيحة من قبل على السعد الثاني. والأصل فيه أن يحرص الارتفاق الأول على التجربة الصحيحة في كل باب، فيختار الهيئات البعيدة من الضرر، الغريبة من التبع ويتروك ما سوى ذلك، ويعرضه على الأخلاق العاضلة التي يجبل عليها أهل الأمزجة الكاملة، فيختار ما لوجهه وتقتضيه ويتروك ما سوى ذلك، ويعرضه على حسن الصفة بين الناس وحسن المشاركة معهم، ونحو ذلك من المعاملة الناشئة من الرأى الكلي.

ومعظم مسائله^(٥) آداب الأكل، والشراب، والمشي، والوقوف، واليوم، والليل، والخلوة، والجماع، والناس، والسكن، والظافة، والنية، ومراجعة الكلام، والتمسك بالأدوية، والرقى في المعامات^(٦)، وتثبته المعرفة في الحوادث المصعبة، والروايات عند عروض مخرج، من ولاده ونكاح وعبد وفقوم مسافر وغيرها، والمآثم عند المصائب، وزيادة المرضي، ودمي النوى، فإنه أجمع من ينفذ به من أهل الأمزجة لصحيحة سكان البلدان

(١) أي: بلغ.

(٢) قه.

(٣) أي: يصير رتقاً، ويرجع أي يستقيم.

(٤) أي: لا.

(٥) أي: لمبلى.

(٦) أي: كانت.

العمود على ألا يؤكل الطعام الخبيث، كالميت حتف^١، والسم، والحيوان الجيد
عن اعتدال المزاج وانتظام الأخلاق، ويستعملون أن يوضع الطعام في الأواني، ويوضع في
على السفر وحدها، وأن يُطُف. ثوبه، واليه أن يعد لإدراكه. ويحترق عن هينات
شطب^٢ والشعر، والتي نورت الفضة، في قلوب المشركين، وألا يشرب الماء
الآسن^٣، وأن يحترق من الكرخ والعب^٤، وأجسدا على استحباب النظافة - نقافة البدن
والثوب والسكان - عن شيئين من النجاسات: العنة، المتفردة، وعن الأوساخ المانعة على
هيج طابعي، كالتبخير^٥ يُزال بالسواك، وكشعر الربط والعمامة، وكشمخ^٦ الشاب
واعشاب^٧ البيت، وعلى استحباب أن يكون الرجل شامه^٨ بين الناس. قد سوى
نومه، وسرع وأبه ولحيته، والبراة إذا كانت تحت وجع تفرس منضاب وحلى ونحو
ذلك، وحتى أن لمري شمن واللياس زين وظهر السوانين عاب، وأن أتم اللياس ما نثر
عملة البدن وقد سائر الحودة غير سائر البدن، وعلى نقدة المعرفة بشيء من الأشياء، إما
الرؤيا أو بالجنوم أو الطيرة أو العيافة^٩ والتكهاة وترمل، ونحو ذلك.

وكل من تحمى على مزاج صحيح ودوق سليم يختار لا معالجة في كلامه من
الأدب كل لفظ غير وحشي ولا ثقيف على اللسان، ومن التواكيد كل تركيب متين
حين، ومن الأساليب كل أسلوب يعيل إليه السمع ويركن إليه القلب، وهذا الرجل هو
ميزان القضاة.

وإنما الجملة التي في باب مسائل إجماعية مُشتملة بين أهل البلدان وإن شاعرت،
والناس ينفذ في تهذيب قواعد الآداب مختلفون، فالطبيعي يبعدها على استحسانات
الطبيب، وأستخرج من خواص النجوم، وإثني على الإحسان، كما تجدها في كتبهم
مؤلفة، ولكل قوم زي وآداب يميزون بهاء، يوجبها اختلاف الأزمنة والمعادات ونحو
ذلك.

(١) الميت بنفسه بغير مثل أو مدح.

(٢) أي الشعر.

(٣) أي العفن.

(٤) الكرخ أو مشرب الماء بغيره من موصفه من غير الخبز ولزاه والعب ذابح الخمر.

(٥) هو بفتحين: تفلن لعم.

(٦) عشوشيت الأرض أي تثرى شخبها. والمراد من اعشاب البيت وجود قملها والعشب وبقير فيه.

(٧) هي عفاة تنقلب لون ليس الذي في فيه. والمراد ههنا أن يكون غافر لسلطة بين الناس.

(٨) عيافة بالفتح: التقليل بالظهور.

❁ باب تفسير المنزل ❁

وعر الحكمة الساجدة عن كريمة حفظ الحفظ التوافق بين أعلى المنزل على الحد الثاني من الارضيات. وفي أربع حلل الزوج، والولادة، والملاكمة، والملاكمة.

والأصل في ذلك، أن حاجة الجماع أوسع ارتباطاً واصطحاباً بين الزوجين والمعرفة، ثم التفتت على المولود أو حيت بعداً منها في حضانة، وكانت المرأة أحد عناصر الحضانة بالفتح، وأحبها عقلاً، وأكثرها انجذاباً من العشق، وأتمها حياءً، ولزوماً للثقة، وأحبها سعيًا في معقبات الأمور، وأوفرها انقياداً، وكان الرجل أضعفها عقلاً، وأكثرها دماً، عن الأمارة، وأجرأها على الانحياز في المشقة، وأتمها سعيًا ونشاطاً ومناقشة وغيرة، هكذا معش هذه لا تنم إلا بذلك، وذلك يحتاج إلى عذر.

وأوجب مناجاة الرجل على النساء وغيرتهم طبعاً ألا يصلح لمريم إلا تصحيح احتساب الرجل بزوجته على رؤوس الأسياف، وأوجب عبة الرجل من المرأة وكبريتها على زوجها وجبه عنها أن يكون ميرز وعطية يقتصد من البولي، وكان لموقع رغبة أوتيا، في المحارم أفضى ذلك، إلى حذر تنظيم عبيها، من عصب^(١) عن نزع فيه، وألا يكون لها من يفتليب عنها بحقوق الروحية، مع شدة احتياجها إلى ذلك، وتكثير الرحمة بالزمانات الفترات ونحوها، مع ما تقتضيه سلامة المزاج عن فقة الرغبة في الشيء^(٢) منها، أو نشأت منه، أو كانا كخصي دوحه.

وأوجب التحية عن ذكر تحاجه إلى الجماع أن يفتخر مسومة^(٣) في ضمن عروج يوافق لهما كأنه الغنية التي وجدنا لها.

وأوجب التلطف في التمهيد، وجعل الملائكة المنزلي عروجاً بأن تجعل واحدة يلدن الناس إليها دفقاً وضرباً.

وبالجملة - فليسرر معاً معاً ذكرين ومعا خيلنا - اعتماداً على ذهن الأنثى - كان التكاثر بالهيئة المعتادة - أعني تكاثر غير المحارم بحضور من الناس، مع تقديم غير وحظوة

(١) الانحياز بفتح الهمزة على عروج الامتاع

(٢) أي تمسك.

(٣) أي تحية

(٤) أي تمارة ذات فوهة

(٥) أي سعيها من الزمان

(٦) أي أرجل منها، كالام، أو نشأت، أي المرأة منه، كالأمة، أو كما كخصي بوجهه كالأذن

(٧) أي، سعيها.

وبالحق كفاءة ونصاً من الأولياء ووليعة، ويكون الرجال عوامين على النساء متكئين معاشين، وكونهن خادعات خاضعات مطيعات - شئاً^(١) لازماً، وأمرأ مسلماً عند الكفاة. وفطرة فطر الله الناس عليها، لا يختلف في ذلك عنهم ولا عجمهم.

ولما لم يكن بدن الجهد منهما في التعاون، بحيث يجعل كل واحد ضرراً الآخر وتلفاً كالتراجع إلى نفسه، إلا بأن يوطأ أنفسهما على إقامة النكاح، ولا بد من إيقاظ طريق الخلاص - إلا لم يضاوعا ولم يتراضيا - وإن كن من أنفس لباحات، وحسب في الطلاق ملاحظة قبور ربعة، ركناً في وفاته عنها، تعظيماً لأمر النكاح في النفوس وأداء لبعض حق الإقامة ووفاء لعهد الصحة، ولئلا تشبه الأنساب.

وأوجبت حاجة الأولاد إلى الآباء وحديثهم^(٢) عليهم بالطبع أن يكون تمرين الأولاد على ما ينفعهم فطرة، وأوجب تقدم الآباء عليهم، فلم يكبروا إلا والآباء أكثر عقلاً ونجدة، مع ما يوجب صحة الأخلاق من مقابلة الإحسان بالإحسان، وقد قاموا في تربيتهم ما لا حاجة إلى شرحه، أن يكون^(٣) بين الوالدين سنة لازمة.

وأوجب اختلاف استعداد بني آدم أن يكون فيهم السيد بالطبع، وهو الأكبر المستقل بمعيشته ذو السلطة والرفاهية النجيبين، والسيد بالطبع، وهو الآخر^(٤) التابع بقاد كما يقاد، وكان معاش كل واحد لا يتم إلا بالآخر، ولا يمكن التعارض في الشغل والعكز إلا بأن يوطأ أنفسهما على إقامة هذا الربط، ثم أوجبت اتفاقات آخر أن يأمر بعضهم بعضاً، فوقع ذلك منهم بموقع، وانتظمت الملائكة، ولا بد من شئ يوطأ كل واحد نفسه عليها ويلازم على تركها، ولا بد من إيقاظ طريق الخلاص في الجلسة ببال أو بدونه. وكان يشق كثيراً أن تقع على الإنسان حاجات رعايات، من مرض ورفاهة^(٥) وتوَجُّوْ حق عليه وحوائج، يضطرب عن إصلاح أمره معها إلا بمعاونة بني جنسه، وكان الناس فيها مساوية^(٦)، فاحتجوا إلى إقامة ألفة بينهم وإدانتها، وأن تكون لإغاثة المستغيث وإعانة الملهوف شئ بينهم يُطالون بها، ويُلامون عليها.

وشئاً كانت الحاجات على حلين

حد لا يتم إلا بأن يعد كل واحد ضرراً الآخر ونفاه راجعاً إلى نفسه، ولا يتم ذلك

(١) خير كل (٢) أي ميلانهم.

(٣) هو مفعول أوجب، (٤) أي لا مق.

(٥) أي فقه.

(٦) يقتل هم سواء وأمرؤ وسواسية، أي النساء ورثة لغيره، ذهب عنه المعروف الثالث، أهل سواء فمال وسوية لغة.

إلا سائل كل واحد الطائفة في مولاة الآخر ووجوب الإنفاق عليه ولتورث، وبالحمله
فبأمر تازمهم من نجائين ليكون كمنهم بالفهم، وكان أبق الناس بهذا الحد الأقارب، لأن
نحبهم وأصفحاهم كالأمر الطبيعي.

وعد بشأننا بأقل من ذلك، فوجب أن تكون مراسلة أهل العاهات شبة ملسة بين
الناس، وأر تكون ملة الرحم أوكد وأشد من ذلك كله.

ومعظم مسائل هذا الفن مغرقة الأسباب المحتضية للزوج وتركه، وشبة الزواجر،
وصفة الزوج والزوجه، وما على الزوج من حسن المعاشرة، وصيانة الحرم عن القواحر،
والمعار، وما على المرأة من التعفف، وطاعة الزوج، ويقال إنطاعة في مصالح المنزل،
وكيفية صلح المستأجرين، وشبة الطلاق، وإسداد المتوفى عنها زوجها، وحضانة الأولاد،
وبر الوالدين، وسباسة السليلك والإسناد إليهم، وتيام المالك بخدمة العرسي، وشبة
الإعتاق، وصلة الأرحام والجيران، والقيام بمواساة فقراء البلد، والتعاون في دفع عاهات
خارجة عليهم، وأدب فنيب الخيلة وتمهيد حالهم، ومسه التركات بين الورثة، والمحافظة
على الأنساب والأحساب.

فلن نجد أمه من الناس إلا وهم يعتقدون أصول هذه الأبواب ويعتقدون في إقامتها
على اختلاف أدبائهم وتباعد بلدانهم، والله أعلم.

❁ باب فن المعاملات ❁

وعر الحكمة الساجدة عن كيفية إقامة المبادلات والمعاملات والأحكام على الاتفاق
الثاني.

والأصل في ذلك أنه لما أدرجت المعاملات وحطب الإنسان فيها، وأن تكون على
وجد نقر به الأعرى وتلذ به الأتقى، نتخذ إقامتها من كل واحد، وكان بعضهم وجد طعنا
فاضلاً عن حاجته ولم يجد ماء، وبعضهم ماء فاضلاً ولم يجد طعناً، فوجب كل واحد
فيما عند الآخر، فلم يجدوا سبيلاً إلا المبادلة، فوفقت تلك المسألة سوق من حاجتهم،
فامتلحوا بالمرورة على أن يقبل كل واحد على إقامة حاجته وإتقاف والتسعي في
جميع أدواتها، فيجعلها ديمة إلى سائر الحواش بواسطة المبادلات، وصارت تلك شبة
نسيلة عندهم، ولما كان كثير من الناس يربح في شيء، وعن شيء، ولا يجد من يعامله
في تلك الحالة، اضطرو إلى تقديمه وتبنيه، وتدفعوا إلى الاصطلاح على حواضر معدية
نقى رماناً مودلاً أن تكون المعاملة بها أمراً مسلماً عندهم، وكان الأتقى من بينها الذعب

والفرض: البحر حجمهما ونشأ أحدهما وعظم فغلبهما في بدن الإنسان، ولتأتي الأجل بهما، فكانا تتدبر بالطبع وكان غيرهما تقديراً بالاصطلاح.

وأصول المكاسب: الزراعة، والرعي، والنقاط الأموال المباحة من ثمر والبحر من المعدن والنبات والحيوان، والصناعات، من تجارة وحفاة وحيارة وغيرها، مما هو من حمل الجواهر الطبيعية بحيث يتأثر منها الارتفاع المضروب: ثم صارت التجارة كسباً، ثم صار الاتياع على كل ما يحتاج الناس إليه كسباً.

وكلمتا رقت التفرس وأمعنت في حب القذا والرفاهة فخرجت حواشي المكاسب، واختص كل رجل يكسب لأحد شيئين:

مناسبة لقوى. فالرجل الذي يحتاج يناسب الغزو، والتجسس، والحفظ، يناسب الحراسة، وقوى البطش يناسب حمل الأثقال وشاق الأعمال.

واتفاقات فوجد. فوُلد الحداد وجارده يشير له من صاعقة الحدادة ما لا يتيسر له من غيرها ولا غيره منها، وقاطن ساحل البحر يتأثر من صيد الحيتان دون غيره ودون غيرها.

وبقيت نفوس أعيت بها المذهب الصالحة، فدخلوا إلى أكاب صارة ناسدية. كاشرة والقدر والتكسي.

والمبادل لما عين بعين، وهو البيع، أو عين بمضعة، وهي الإجارة، ولما كان انتظام المدينة لا يتم إلا بإنشاء ألفة ومجبة بينهم، وكانت الألفة كثيراً ما تنفسي إلى ذلك المحتاج إليه بلا بدل، أو تتوقف عليه. انشعبت الهيئة والمعارية. ولا تتم أيضاً إلا بمواساة الفقراء، انشعبت العيشة. وأوجبت لمعدات أن يكون منهم الأغنياء⁽¹⁾، والكامي، والمملوق، والمثري. والمستكشف من الأعمال الخميسة، وغير المستكشف، والذي ازدحمت عليه الحاجات والمنافع⁽²⁾، فكان معاش كل واحد لا يتم إلا بمعونة آخر، ولا معاونة إلا بعد شروط ومصالح على شئ، فانشعبت الحرازة والمعارية والإجارة والشركة والتوكيل، ودفعت حاجات تنسوق إلى مدينة ووددية. وحزبوا الخبابة والجسود والسطل فاضطربوا إلى إلهاماد وكتابة وناق، ورمز وكفالة وحوالة. وكلمنا سرفعت النفوس انشعبت لأنواع المعاونات، ولأن تجد أمة من الناس إلا وباشرونها هذه المعاملات ويحرمون العنل من العظم، والله أعلم.

[1] أي: الأحرار والفقير المنقر.

[2] أي: من الصالحات.

❁ باب سياسة المدينة ❁

وهي الحكمة الباقية عن كيفية حفظ الربط الواضح بين أهل المدينة وأعيان بالمدينة: جماعة متفاربة تجري بينهم المعاملات فيكونون أهل منازل شتى.

والأصل في ذلك أن المدينة شخص واحد من جهة ذلك الربط، مُركَّب من: أجزاء وبيئة اجتماعية. وكلُّ مُركَّب يُمكن أن يلحقه خلل في مادته أو صورته، ويلحقه مرض. أعني حالة غيرها، ليق به باختيار نوعه، وصحة، أي: حالة تُحسِّنُهُ وتُجفِّئُهُ.

ولمَّا كانت المدينة ذات اجتماع عظيم، لا يمكن أن يتغيَّر رأيهم جميعاً على حفظ السَّنة العادلة، ولا أن يُكرِّه بعضهم على بعض من غير أن يمتدَّ بنصب، إذ ينضوي ذلك إلى مقادلات عريضة، ثم ينتظم أمرها إلا برجل مستقلِّغ على طاعته جميعهؤلاء أهل الخلل والتفقد، له أعوان وشوكة. وكلُّ من كان كُشْحُ واحدٍ وأجزاء على القتل والاضطراب، فهو أشدَّ حاجة إلى السياسة.

ومن الخلل أن تبتلع أنفسهم شريعة لهم مُتَّعاً وشوكة على اتباع الهوى ورفض السنة العادلة. إما طمعاً في أموال الناس، وهم قطاع الطرق، أو إضراراً لهم بنصب أو فقد أو دعة في الملك، فيحتاج في ذلك إلى جمع رجال ونصب قتال.

ومنه إصابة ظالم إنساناً بقتل أو حرج أو ضرب، أو في أهله، بأن يراحم على زوجته أو يطمع في بناته وأخواته بغير حق، أو في ماله، من عصب جهرة أو سرقة خفية، أو في عرضه، من سبه إلى أمر قبيح يلام به أو إغلاق القول عليه.

ومنه أعياب ضارة بالمدينة ضرراً خفياً، كالسحر، ودس السم، وتعليم الناس الفساد، وتخريب الرعية على الملك، والتبذير على مولا، والزوجة على زوجها.

ومن عادات فاسدة فيها إهمال لاحتياجات الواجبة، كالملوطة^(١)، والسحاق^(٢)، وإتيان المهنات، فإنها تُصدُّ عن النكاح، أو انسلاخ عن الفطرة السليمة، كالرجل يؤثِّثُ والمرأة تُدَكِّرُ. أو حدوث المنازعات عريضة، كتمزاجية على الموهوبة من غير اختصاص بها، وقدمان الخمر.

ومن معاملات ضارة بالمدينة، كالقمار، والمرااضعافاً مضاعفة، والرشوة، وتطفيف الكيل والوزن، والتدليس^(٣) في البيع، وتلثي الخلب^(٤) والاحتكار والنحش.

ومن حصومات مُشْكِكَةٌ بِتَشَاتٍ فيها كُلُّ شَيْءٍ، ولا يكشف حيلة الحال، فيحتاج إلى

(١) ثوب من حرير أو قطن يلبسه الرجل من تحت الفخذين إلى القدمين.

(٢) وهو أن ياتي التجار الذين جاوروا من قبله الآخر قبل وصولهم إليه ويشترى اجناسهم ببيعه عالية.

الثالث بالبيوت والأبناج والموتاني وفيتس الحال ونحوه، وودعها إلى سعة معلومة، وبدا،
وجه الترجيح، ومعرفة مكانة المتخصصين وبحر ثبت.

ومنه أن يتعد أهل المدينة، ويكتفوا بالارتفاق الأول، أو يستدلوا في غير هذه
المدينة، أو يكون نورهم في إلقاء على اكتساب بحيث يصر بالمدينة، من أن يقبل
أكثرهم على كبحاره ويأخذوا الزراعة، أو ينكسب أكثرهم بالعمو ومحو، وإنما ينبغي أن
يكون الزرع بمنزلة الطعام والشراب والاحتار والحفظ، منزلة الملح المصلح له.

ومنه أشار السبع الضرورة والمواد العزوبة، فوجب السعي في إيفائها.

ومن باب بيان الحفظ، أنه الأمانة التي يشركون في الانتفاع بها، فلا أسوار والخرط
والحصون والنفوس والأموال والمظفر.

ومنه سفر الأبد، واستطاع العيون ونهت نفس على مواهل الأهر.

ومنه^(١) جعل المتجار على الميرة، بتبنيهم وتاليهم، ونومية أهل البلد أن يحسوا
المعاملة مع الغرباء، فإن ذلك يفتح باب كثرة رد معهم، جعل الزرع على ألا يتركوا أيضاً
مهلة، والصاع أن يحسوا، كصاعدت ونقصها، وأهل البلد على اكتساب الفضائل،
كالعلم والنجاب والتاريخ والقب والوجوه، المصلحة من تلبية المعرفة.

ومنه معرفة أحسن كسب، لينتصر المدعى^(٢) من المناصب، ويعلم المحتاج فبعد،
وصاحب سعة مرغوبة فيستعان به.

وعند باب غراب البلدان في هذا القرمات شيان.

أحدهما: تضييقهم على بيت المال، بأد يتأدو النكسب بالأخذ منه على أنهم من
الزراف، أو من الحلفاء الذين لهم حق فد، أو من تدلين عبرت عادة الملوك بهدنتهم،
كالرهاد والشعراء، أو بوجه من رجاء الكندي، ويكون الفعلية عندهم هو النكسب دود
القيام بالمصلحة، فيدخل يوم على يوم فيحصلون عليهم، ويصيرون كلاً على المدينة.

والثاني: ضرب الضرائب^(٣) النظرة على الزرع والتعذر والخسرة والتشديد عليهم،
حتى يفضي إلى إجحاف^(٤) المبدأ عن استثمارهم، وإلى بفتح أولي بأمر شديد وبنيهم.

وإنما تصلح المدينة بالحياة^(٥) البيرة وقامة لحقطة بفدر الضرورة، ملتبته أهل
أزمان لهذه النكة، والله أعلم.

(١) أي من باب كمال الحفظ وقوله الميرة، أي الميراث.

(٢) أي المدعى.

(٣) أي الخراجات.

(٤) بتقديم المبدأ على الماء.

(٥) سراج.

يجب أن يكون الملك متصفاً بالأخلاق المَرْغُوبَة ، وإلا كان قُلّاً على المدينة، وإن لم يكن شجاعاً ضعيف عن مقاومة المتحاربين، وإن نظرت إليه الرعية إلا بعين الدهوان، وإن لم يكن علباً كاد يهلكهم بسطوته، وإن لم يكن حكماً لم يستطع التدبير المصلح، وإن يكون حاقلاً بالغاً حراً ذكراً ذا رأي وسبع وبصر ونطق، ممن سَلَّمَتْ إنسان شرفه وشرف قومه، ورأوا منه ومن أبائهم المنافع الحميدة، وعرفوا أنه لا يألو جهداً⁽¹⁾ في إصلاح المدينة.

هذا كله يدل عليه العقل، واجمعت عليه أُمم بني آدم على تبادل مبادئهم واختلاف أديانهم، ثمَّ أحسوا من أن المصلحة المقصودة من نصب الملك لا تتم إلا به، وإن وقع شيء من إعماله رأوه خلاف ما ينبغي، ركره قلوبهم، ولو سكنوا سكنوا على غيب.

ولابد للملك من إنشاء الجاه في قلوب رعيته، ثم حفظه وتذكرك المخادشات نه بتدبيرات متاسة، ومن قصد الجاه فعليه أن شحلي بالأخلاق الفاضلة مما تناسب وباسته، كالشجاعة والحكمة والسخاوة والعفو عن ظام وإرادة نعم العامة، ويفعل بالناس ما يفعل العباد بالوحش، فكما أن العبياد يذهب إلى الغيبة فينتظر إلى الطمان، وتأمل الهيئة المسامية لطياتها وعاداتها فينبأ بذلك الهيئة، ثم يبرز لها من بعيد، ويُقصر النظر على غيرنها وأدائها، فنهما عرف منها شيئاً أقام مكانه كأنه حماد لسى به حراك، وبهما عرف منها خفلة دب إليها ديباً، وربما أظرنها بالغم، وألقى إليها أطيب ما ترومه من العلف، على أنه صاحب كرم بالطبع وأنه لم يقصد بذلك صيدها، والتمُّ تُؤرِّثُ حُبَّ المُبسم، وقيد المحبة أوثق من قيد الحديد، فكذلك الرجل الذي يبرز إلى الناس ينبغي أن يؤثّر هيئة تُرعب فيها النفوس، من رِيٍّ ومطلق وأدب.

ثم يتقرب منهم هرباً، ويُفهِرُ إنهم التصح والمعية من غير مجازفة⁽²⁾، ولا ظهور قربة تدل على أن ذلك لعبدهم، ثم يعرضهم أن تطيره كالسبع في حشهم حتى يرى أن نفوسهم قد استأمنت بفصله وتقدسه، وعشورهم قد امتلأت مودةً وتعظيماً، وجوارحهم تدايت خشوعاً وخباتاً، ثم ليحفظ ذلك فيهم، فلا يكن منه ما يخافون به نابه، فإن فرط شيء من ذلك، فليتذكر بلطف وإحسان وإشهار أن المصلحة حكمت بما فعل، وأنه لهم لا عليهم.

(1) في ٧ يقتصر.

(2) من الجراف وهو مغرب كزاف.

و لملك مع ذلك يحتاج إلى

مصاب طائفة بالانضمام ممن عهده، فمهما استشعر من رجل نفاية في حرب أو
جباية^(١) أو سبي، فليضعفه، عطاءه والبرج لديه وليبسطه أو يشوه^(٢)، ومهما استشعر منه
خيانة أو خلو^(٣) فليقتض من عطاؤه وليقتض من قفوه وليظرو عنه بشرة.

و إلى بذر آكل من بذر الناس، وليكن معاً لا يضيئ عليهم، كموت يحييه وباحية
بعيدة يحميها ربح ذلك.

و إلى ألا يظن أحد إلا بعد أن يصحح على أهل العمل والنفقة أنه يستحقه^(٤)، وأن
المصلحة الكلية حكمة به.

ولا بد للملك من فراسة يتعرف بها ما أصعب نفوسهم، ويكون^(٥) لثمنها يظن بث
انظرن كثر قد رأى وقد سمع، ويجب عنه ألا يؤخر ما لا بد منه إلى غدا، ولا يقصر إن
رأى منهم أحداً يضر عمارته دون نفعه، فقامه ووضعه، فونه، والله أعلم

باب سياسة الأعوان

لما كان الملك لا يستطيع إقامة هذه المصالح فيها بنفسه وجب أن يكون له بؤراء على
حاجة أعوان، ومن شرط الأعوان الأمانة والقدرة على إقامة ما أمرو به وانقيادهم للملك
والنصح له ظاهراً أو باطناً، وكل من عالف هذه الشريطة فقد استحق الثمن، فإن أعمل
الإن عزله. فقد خاب المدينة وأفسد على نفسه أمور. ينبغي أن لا يتخذ الأعوان ممن
يتمدح عزله أو ممن له حق على الملك، من فراه أو نحرها، ففنيح عزله. ولينبؤ للملك
بين صجبه، فمهما من سجد لمهبة أو رعبته، فبجرو له حيلة، ومهم من يحبه بذاته،
ويكون نفعه لشعبه له وضرره ضرراً عليه، فذلك المحب، لتامع. ولكن إنساناً جبلةً جليل
عليها وعادة أعددها، ولا ينبغي للملك أن يرفع من أحد أكثر مما عليه.

والأعوان إما عصف من شر المحتالين، سيزله لبدن المحتالين فصلاح من يثق
الإنسان، وإما مشيرون المدينة، بهزأة المقوى الظهيرية من إفساد، أو العتورون
للملك، سترة المعنى والحراس للإنسان.

ويجب علم الملك أن يسأل في يوم ما فيهم من الأخبار، وسعلم ما رجع من
الصلاح وخفاء.

(١) أي يسحق القبط.

(٢) أي يوجع.

(٣) أي جمع حرج.

ولما كان الملك وأصواته عاملين للخدمة عملاً نافعاً، وجب أن يكون رزقهم حياً، ولا بد أن يكون بجاية العثور^(١) والخراج سنة عاقلة لا تضر بهم، وقد كفت الحاجة، ولا ينبغي أن يُضربَ على كل أحد وفي كل ذلك، والأمر ما أجمعت منوك الأمم من متارق الأرض ومغاويرها أن تكون انجاية عن أهل الدثور والفتاخير المفطرة، ومن الأموال النامية كغاشية مناسلة وزراعة وتجارة، فإن احتجج إلى أكثر من ذلك، فعلى رؤوس الكسبيين

ولا بد للملك من سياسة جنود، وطريق السياسة ما يفعله امرأتص الماهر بقسه، حيث يتعرف أصناف الحربي من إرفال وهرولة وغدير وغيرها، والعادات القديمة من حرونة وتحوها، والأمير التي تته الفرس نتيهاً يليها كالتس والزر والسرط، ثم يراقبه، فكلما فعل ما لا يرضيه أو ترك ما يرضيه يتبها بما يتقاده له طبعه وتنكسر به سوزته، ولينصد في ذلك ألا يتشوش خطبه، فلا يظن لعدا ضربه، وتكون صورة الأمر الذي يليه إليه مستقلة في صدره منعقدة في قلبه، والخوف من المجازاة مقبهاً في خاطره، ثم إذا حصل فتل المطلوب وانكف عن اسهروب، لا ينبغي أن يترك لرياضة حتى يرى أن الطريقة المطلوبة صارت خلقة له وديناً، وصار بحيث لو لا الزجر لما ركن إلى خلافها، فكل ذلك يجب على وقص الجنود أن يعرف الطريقة المطلوبة فعلاً وتثاقلاً^(٢)، والأمور التي يقع بها نتيهم، وليكن من شأنه ألا يعمل شيئاً من ذلك أبداً.

ولس للأعوان حصراً في عدد، لكنه يدور على دوران حاجات المدينة، فربما تقع الحاجة إلى اتخاذ عشرين في حاجة، وربما كفى عون لعاجتين، غير أن رؤوس الأعوان خمة:

القاضي. وليكن حراً ذكراً، بالغاً، حاتلاً، كاتباً، حاداً بسفة المعاملات وبمكاييد الخصوم في اختصاصهم، وليكن صلباً، حليماً، جامعاً للأمرين. ولينظر في مفاصل: أحدهما - معرفة جلية الحال، وهي إما عقد أو ثقلنة أو ساقطة بينهما، وثانيهما - ما يريد كل واحد من صاحبه، أي الإرادتين أصوب وأرجح، ولينظر في وجه المعرفة، فهناك حجة لا يربب فيها الناس تقصص الحكم انصراف. وحجة ليست بذلك تقضي حكماً دون الحكم الأول.

وأمير المفازة. وليكن من شأنه معرفة عدة الحرب، وتأليف الأبطال والشجعان، ومعرفة مبلغ كل رجل في النفع، وكيفية نعيته^(٣) الجيوش، ونصب الجواسيس، والخبرة بمكاييد الخصوم.

(١) أي جسمها.

(٢) أي متناً.

(٣) أي نوبته وشعبته.

ومناشئ المدينة. وليكن محزناً إذ عرف وجوه صلاح المدينة ونسائها، صلياً،
مليحاً. وليكن من قوم لا يسكنون إذا رأوا خلاف ما يرتضون، وليتخذ لكل قوم نصيباً
منهم، صراحاً مأخوذاً، ينتظر به أمرهم ويؤاخذ به عندهم.

والمعامل. وليكن عارفاً بكيفية جباية الأموال وتزيفها على المستحقين

والتوكيل. لتستكمل بمعاشر اسلك، فإنه مع ما به من الأشغال لا يمكن أن يفرغ إلى
إصلاح معاشه.

❁ باب الارتفاق الرابع ❁

وهي الحكمة البالغة عن سياسة الحكام المدة وملوكها، وكيفية حفظ الريف الواقع بين
أهل الأقاليم.

وذلك أنه لما غرر كل ملك مدنته وخيبت إلى الأموال وانضم إليه الأبعداء، أوجب
اختلاف أمرهم وثبت استعدادهم أن يكون فيهم الجور وترك البشة ترشده، وإن
يضمخ بعضهم في مدينة الأخرى، وأن يشامدوا ويتقاتلوا دأراً حزينة، من نحو رغبة في
الأموال والآراض، أو حقد وحقد، فلما كثر ذلك في لشرك تضرروا إلى الخليفة، وهو
من حصل له من العداكر والعداء ما يرى كالمعتنق أن يطلب رجل ثمر ملكه، فإنه إنسا
يتصور بعد بلاء عام وجهد كبير واجتماعات كثيرة ابتلى أموال خطيرة، تتناحر الأنفس
دونها وتحله العدة.

وإذا وجد الخليفة وأحسن السيرة في الأرض وحضمت في الجباية وانقاد له الملوك،
نمت النعم، واضمات البلاد والعباد، واضطر الخليفة إلى إقامة المقاتل، دماً للظفر
الاحقر لهم من أنفس سعية تنهب أموالهم ونسبي ذاريهم^(١) وتهتك حرمهم. وهذه الناحية
هي التي دعت بني إسرائيل إلى أن قاتلوا بني لعم. (لَيْسَ أَنْ تَكُونُوا كَقَوْمِ بَنِي إِسْرَءِيلَ)
[البقرة: الآية ١٤٦].

وابداء إذا أصابت أنفس شهوة أو سبعية أسيرة وأفسدوا في الأرض، قالهم الله
سجدة. إما بلا واسطة أو بواسطة الأنبياء. أن يطلب شوكتهم ويقتل منهم من لا سبيل له
إلى الإصلاح أصلاً، وهم في عرق الإنسان بمسكة الحشو السرف بالأكلة^(٢). وهذه الناحية

(١) أي: تفسد أولادهم.

(٢) الأكلة كفرجة، داء من عضو ينتل ...

في الحصار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الدُّنْيَا عَنْ النَّاسِ يُعْذِرَ لِمَنْ هُوَ مُسْرِئٌ مِنْهُمْ﴾ (١١) [طه: الآية ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تُمْسِكُ شَيْئًا تَتَذَكَّرُ بِهِ﴾ [البقرة: الآية ١٥٥].

ولا يتصور للخليفة منافاة الملوك الجبارة وإزالة شوكتهم إلا بأموال وجمع رجال، ولا بد في ذلك من معرفة الأسباب المعقضية لكل واحد من القتال والهدنة^(١) وضرب الخراج والجزية، وأن يتأمل أولاً ما يُقصد بالمناقضة، من دفع مظلمة أو إزهاق^(٢) أنفس سبعة خبيثة لا يُرجى صلاحها، أو كبت أنفس دونها في الخبث بإزالة شوكتها، أو كبت قوم مفسدين في الأرض، بقتل رؤوسهم الشديدين لهم أو حبسهم أو حيازة أموالهم وأراضيهم أو صرف وجوه الرعية عنهم.

ولا ينبغي للخليفة أن يقتحم لتحصيل مقصد فيما هو أشد منه، فلا يقصد حيازة الأموال بإفناء جماعة صالحة من الموافقين، ولا بد من استئالة قلوب القوم ومعرفة مبلغ تفع كل واحد، فلا يعتمد على أكثر مد هو غيب، والتنويه^(٣) بشأن السراة والهدنة، والتعريض على القتال ترغيباً وترهيباً، وليكن أول نظره إلى تفرق جمعهم وتكليل خدمهم وإغاثة قلوبهم، حتى يثبتوا بين يديه لا يستطيعون لأنفسهم شيئاً، فإذا غفر بذلك فليتحقق فيهم ظله الذي زوره^(٤) قبل الحرب، فإن خاف منهم أن يفسدوا ثارة أخرى ألزمهم خراجاً متحكماً وجزية متأصلة، وهدم صياحهم، وجعلهم بحيث لا يمكن لهم أن يفعلوا فعلهم ذلك.

ولما كان الخليفة حافظاً لصحة مزاج حاصل من اخلاط متشاكسة^(٥) جداً، أوجب أن يكون متيقظاً، ويثبت هيوأ في كل ناحية، ويستعمل فراسة نافذة، وإذا رأى اجتماعاً منعقداً من عساكره، فلا صبر دون أن ينصب اجتماعاً آخر مثله معن تحيل العادة مواطأتهم معهم، وإذا رأى من رجل التماس خلافة، فلا صبر دون انقائه جرائته وإزالة شوكته وإضعاف قوته، ولا بد أن يجعل قبول أمره والارتقاء على دأبه من شأنه، ولا يكتفي في ذلك مجرد القبول، بل لا بد من إماراة ظاهرة لقبول، بها يؤخذ الرعية، كالهدنة له

(١) سوسم جمع سوسما، واليوت جمع يوت، وكلاهما بمعنى سبب التضرر.

(٢) أي: الصلح. (٣) أي: إغلاء.

(٤) التوفيق: الرخ. أي: لا بد من دفع شأن هؤلاء، وللسراة اسم جمع لشري كلني وهو: الضريف مسلحاً أمروية كما في القاموس والمرد هنا لفظة، والهدنة جمع الداهي وهو: الرجل الجيد التواهي.

(٥) أي: خبيث.

(٦) أي: متفائلة، والميون: الجوليسر.

والشبهة بشأنه في الاجتماعات العظيمة، وأن يؤمنوا أنفسهم على زي وهبة أمر بها الحقيقة، كالأصطلاح على الدلائل المكتوبة باسم الخليفة في زمانه. والله أعلم.

❖ باب اتفاق الناس على أصول الارتفاقات ❖

اعلم أن الارتفاقات لا تختار عنها مدينة من الأقاليم المحصورة، ولا أمة من الأمم أهل الأمارة المعتدلة والأخلاق الفاضلة، من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، وأسولها مسئلة عند الكلام قرناً بعد قرن وطبقة بعد طبقة، لم يزالوا يتكبرون على من عصاها أشد تكبر، ويروها أموراً بديهة من شدة شهرتها.

ولا يصدق مما ذكرنا اختلافهم في صور الارتفاقات وفروعها، فانفقوا مثلاً على إزالة نثر الخوتى وسفر سوانهم، ثم اختلفوا في الصور، فاختلف بعضهم الدفن في الأرض، وبعضهم الحرق بالنار. وانفقوا على تشهير أمر الذكاج وتمييزه عن اسفاف⁽¹⁾ على رؤوس الأشهاد، ثم اختلفوا في الصور، فاختلف بعضهم الشهرة والإيجاب والقبول والوليمة، وبعضهم الدف والخفاء وليس ثياب عاهرة لا تلبس إلا في الولائم الكبيرة، وانفقوا على زجر الزناة والمراق، ثم اختلفوا: فاختلف بعضهم أن يرمى ويقطع اليد، وبعضهم الضرب الأليم والتجس الفوجيع والمغرمات السبكية.

ولا يصدق أيضاً مخالفة طائفتين: إحداهما: الذين يلتحقون بآلهاشم، ممن لا يشك المحمور أن أمزجتهم نائفة وعقولهم مخدجة، وساروا يستقلون على يلائهم بما يروون من عدم تقيدهم أنفسهم بتلك القيود⁽²⁾. ولثانية: الصغار، الذين لو نُفِّخَ في قلوبهم ظهر أنهم يعدقدون الارتفاقات، لكن أغفل عليهم الشهوات، فيعصونها شاهدين على أنفسهم بالعمور، ويوزون بينات الناس وأخوانهم، ولو أدبني بيناتهم وأخوانهم كانوا يتبذرون من العيظ، ويعلمون قطعاً أن الناس يصيبهم ما أصاب أولاء، وأن إعانة هذه الأمور مخلفة بانتظام المدينة، لكن يحميمهم الهوى، وكذلك الكلام في السوقة والغصب وغيرهما. ولا ينبغي أن يُظن أنهم اتفقوا على ذلك من غير شيء، يستزله الاتفاق على أن يتفقوا بطاعة واحد أهل المشارق والمغارب كلهم، وهل مفسدة أحد من ذلك؟ بل المفطرة السديمة حادثة بأن الناس لم يتفقوا عليها، مع اختلاف أمزجتهم وتبايد بلدانهم وتشتت مذاهبهم وأديانهم، إلا لئلا فطرة منتجة من الصور، للوجبة، ومن حاجات كثيرة الوقوع بتوارد عابها أفراد النوع، ومن احداث نوجها الصحة السوية في أمزجة الأفراد. ولما أن إنساناً

(1) في الارتفاقات

(2) في الزناد

شيأ يبدية ماثية^(١) من النذات، ومن يتعلم من أحد رسماً، كان له لا تجزأ حاجات من الجوع والعطش والغنى، وشاق لا حانة إلى امرأة، ولا يد عند صحة من حها أن يتولد بينهما أولاد، ويتضم أهل أبات، وندأ غريم معاملات، فيتظم الارتفاق الأول^(٢) من آخر، ثم إذا كثرو، لا بد أن يكون بينهم من أحاق فاسية تقع فيهم وفائح توجب سائر الارتفاقات، والله أعلم.

❀ باب الرسوم السائرة في الناس ❀

اعلم أن الرسوم من الارتفاقات هي بستره المثلث من جسد الإنسان، وإدما فضدت الشرائع أولاً وبالثات، ومنها البحث في التواميس^(٣) الإهنية، وإيها الإشارات، وإها أسباب تشأ منها، كالاستهانة بالحكمة، وكإيهام الحق في قلوب الموقنين بالنور المتكبر، وأحيان تنشر به في الناس: مثل كونها شة ملك كبير ذات^(٤) له الرفاق، أو كونها تعديلاً لما يجده ناس في صوره، فينفقوه، بشهادة قلوبهم، وأسابيعهم^(٥) عليها بالتواحد لأجلها، من تحرة مجرة حية على أعمالها، أو وقوع قساد في إفعالها، وكفامة أهل الأراء الراشدة الثلاثة على موكها، وسحر ذلك.

والمتصور ربما يفتقر لتفاصيل ذلك من إحياء سنن وإعادتها في كثير من الكساد بنظائر ما ذكرنا.

والنن السائرة وإا كانت من لحق في أصل أمرها، كونها حافظة على الارتفاقات الصالحة ومنعية بأفاد الإنسان إلى كسادها النظري والعملي ونولها لا تحقق كثر الناس بالهانة، فكم من رجل يشار الكناج والمعاملات على كوجه المصنوب، وإذا حُمل من سب تعبد، بتلك الجوده لم يجد جواً إلا موافقة القوم، وعاية عليه علم جسماني لا يعرب عنه نمانه فضلاً عن تعبد ارتفاقه، فيمثل هذا لو لم يترجم شة كانه يتبعن ينيهم، لكننا^(٦) قد يشبه معها بطل، فيليس على الناس منهم، وذلك حأن يرأس قوم يحسب عليهم الأراء الجزئية دون المصالح الكلية، فيتر جون إلى أعمال سعية، كقطع الطريق والمعضد، أو شهوية، كاللواصة وأتت الرحالة، أو أكسب غبارة، كالتريا وتطفيف الكيل والوزن، أو عادات في المري والولائم تحيل إلى الإسراف والتعاج إلى تحقق مبلغ في الأكساب، أو

(١) أي الميثور في البيت الثاني من هذا المبحث.

(٢) أي العات.

(٣) أي المسنن.

(٤) أي مبد.

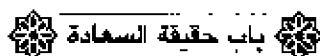
(٥) أي الشولام.

(٦) أي يتشكك.

الإكثار من المسليات بحيث يؤدي إلى إهلاك أمر المعاش والتمعاد. كالتمزيق والتشطير والصيد واقتناء الثعالب ونحوها، أو حصدت منهكة^(١) لأشياء السبل وخراج مستأصل القرعية، أو التشاحج والتشاحن فيما بينهم، فيستحسبون أن يفعلوها مع الناس ولا يشعرون أن يفعل ذلك منهم، فلا يذكر عليهم أحد إيجابهم وصورتهم، فيحبب تجربة القوم غفلة دونهم وينسبونهم ويفلنوا الحس في إشاعة ذلك، ويجب قوم لم يخلق في قلوبهم من قوئ إلى الأعمال الصالحة ولا إلى أخذها، فيحصلهم ما يرون من الرضاء على التمسك بثلث، وربما أريد بهم العدايب الصالحة، ويقض قوم فطرتهم سوية في أخريات القوم لا يخالطونهم، ويكتوب على عبط، فتعقد منه سيرة وتأخذ.

ومحب بدل الخبث على أهل الآراء الكلبة في إشاعة الحق وتمشيته وإعمال الباطل وصدده فربما لم يحزن ذلك إلا بمخاضات أو مقالات، فيعد كل ذلك من أفضل أعمال الخير، وإذا التفتت منه راحة فستشبهها القوم عصباً بعد عصب، وعليها قدر محياهم ومماتهم، ويست عليها نفوسهم وعلومهم فكلهم متلازمة للأصول وجوداً وعادماً، ثم تكن إرادة الخروج عنها وعصيانها إلا متى سمجت^(٢) نفسه وطاش عقله وفويت شهوته راقته غاربه الهوى، فإذا باشر الخروج أصغر في قلبه شهادة على عبوره، وشدة حجاب بينه وبين المصلحة الكلية، فإذا كمل فعله صار ذلك شرحاً تعرضه انصافه، وكان شمة في دينه، فإذا تقرر ذلك تفرق بيناً أوتنعت أدسية للملأ الأعلى وتضرعات منهم نس وافق تلك السنة وعلى من حالها، واتخذ في حفية القامس رضى وسخط عن باشرها أو عليه، وإذا كنت النس كذلك تحدث من القطرة التي نصر الله الناس عابها، والله أعلم.

المبحث الرابع: مبحث السعادة



اعلم أن للإنسان كمالاً يقتضيه كصورة النوع، وكمالاً يقتضيه موضوع النوع من الجنس القريب والبعيد وسعادته التي يضره فقدها ويقصدها أهل العيول استثنائية فصيلاً مؤكداً هو الأول. وذلك أنه قد يمنح في المادة:

(١) أي: منهكة في العقوبة. والتشاحج: التمرس. والتشاحن: التبايض.

(٢) أي: قبضت. وطاش: تم. خف.

بصفات يشترك فيها الأجسام الممتلئة، كالطول وعظم القامة، فإن كانت السعادة هذه، فالجبار، أتم سعادة،

وصفات يشترك فيها النبات، فالنمر المناسب والخروج إلى تحاطب جميلة وهينات ناضرة، فإن كانت السعادة هذه فالشقائق والأرصاد أتم سعادة،

وصفات يشترك فيها الحيوان، كشدة البهش وجهورية الصوت وزيادة الخفق وكثرة الأكل والشرب ووفرة الحبب واحسد، فإن كانت السعادة هذه فالحمير أتم سعادة

وصفات يختص بها الإنسان، كالأخلاق السهية والارتفاقات الصالحة والصفائح الرفعة واجاء العظم، فادو الرأي أنها سعادة الإنسان.

ولذلك ترى كل أمة من أمة الناس يُسعى أتمها عقلاً واستدعاً رأياً أن يكتب هذه ويجعل ما سواها كأنها ليست صفات مدح. ولكن الأمر إلى الآن غير متقن، لأن أصل هذه موجود في أفراد الحيوان، فالشجاعة أصلها الغضب وحب الانتقام وثبات في الشدائد والإلتزام على المهالك، وهذه كلها موفرة في الفحول من البهائم، لكن لا نسعى شجاعة إلا بعد ما يهذبها فيفس النفس المتطفية، تنصير متفاداة لتصلح الكلية متبعة من دامية معتولة. وكذلك أصل الصناعات، موجود في الحيوان كالعصفور الذي ينسج العنق على وث صنعة يصنعها الحيوان بطبيعته لا يتمكن منها الإنسان بتجشمه، كلا بل الحق أن هذه سعادة بالقرض، وأن السعادة الحقيقية هي نقياد البهيمية للنفس المتطفية، واتباع الهوى لفعل، ويكون العيس الساطقة فرة على البهيمية والمقل غالباً على الهوى، وسائر الخصوصيات ملغاة.

وأعلم أن الأمور التي تشترك بالسعادة الحقيقية على قسمين:

قسم هو من باب ظهور غرض النفس المتطفية في المعاش يحكم الجليل، ولا يمكن أن يحصل الخلق المطلوب بهذا القسم، بل ربما يكون الغرض في تلك الأفعال بزميتها، لا سمياً بفكر حزني كما هو شأن الناقص: ضد الكمال المطلوب، كالذي مقصد نحصل الشجاعة بإثارة الغضب والمصارعة ونحو ذلك، أو الصراحة بمعرفة أشد العرب وخطبهم

والأخلاق لا تظهر إلا عند مزاحمت من بني اشوع، والارتفاقات لا تقتصر^(١) إلا حاجات طارئة، والصنائع لا تتم إلا بالآلات ومادة، وهذه كلها متطفية بانفضاء الحياة الدنيا، فإن مات الناقص في تلك الحالة وكان سمجاً، بقي عارياً عن الكمال، وإن لرق بنفسه صور هذه العلاقات كان الغرض عليه أشد من النقص.

(١) أي: لا تسقط.

ولم ينمأ روحه حيث إذعان البهيمة للملكية، لأن تصرف حسب وحيها وتنصبع بصبرها وتمتع بملكيتها بما لا تقبل أنوائها الدنية ولا تنطبع فيها نقوشها الخسيسة، كما تنطبع نقوش الخنازير في الشعمة، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن تقتضي الملكية نشأ من ذاتها ونوحه إلى الهيبة وقرحه عنها فتقاد لها، ولا تبغي عليها، ولا تمنع منها، ثم تقتضي أيضاً فتقاده هذه البصاء ثم، ومن حين معناد ذلك وتعمد، وهذه الأشياء التي تقتضيها هذه^(١) من ذاتها وتقرع عليها تلك^(٢) على رغم أنها إنما تكون من جنس ما فيه انشراح لهذه وانقباض لتلك، وتلك فالتشبيه بالملكوت والانتطع لتجبروت، فلهذا خاصة الملكية بعدة عنها الهيبة غاية البعد، أو بترك ما تقتضيه الهيبة وتسلطه وتشتاق إليه في غلواتها، وهذا النم ينشأ بالعبادات والرياضات^(٣)، وهي تركات تحصيل الفائق من الغنى المطلوب.

ذاك تعريق المقام إلى أن السعادة الحقيقية لا تقتضى إلا بالعبادات، ولفلك كانت المصلحة الكلية شاخي أفراد الإنسان من كوة الصورة النيرة وتأمرها أمراً مؤكداً أن تجعل إصلاح الصفات، التي هي كمال الإنسان^(٤)، يقدر الضرورة، وأن تجعل غاية همتها ومطمح بصيرها تهذيب النفس وتحليتها بصفات نجعتها شبهة بما فوقها من الملأ الأعلى، مستعدة لتزول أكوام الجبروت والملكوت عليها، وأن تجعل الهيبة مدخنة للملكية مطبقة لها ممتنة لظهور أحكامها.

وأفراد الإنسان عند الصحة الترمية وتمكين العادة لظهور أحكام النوع كاملة وفرة تشتاق إلى هذه السعادة، وتنجذب إليها انحناب الحديد إلى المغناطيس، وذلك خلق الخلق الله الناس عليه، وبقرة فخرهم عليها، ولهذا ما كانت في بني آدم أمة من أهل المزاج المعتدل، إلا فيها قوم من عظمائهم يهتمون بتكميل هذا الخلق، ورونة السعادة القصوى، وبرايم النفوس والحكماء فمن دونهم فائزين بما يجلب من سمات الدنيا كلها، ملتحقين بالصلابة منخرطين في سلكهم، حتى صاروا يبركون بهم ويقولون أيديهم وأرجلهم، فهل يمكن أن يتفق عرب الناس ومحبهم، على اختلاف عاداتهم وأديانهم وثباعد مساكنهم وبلدانهم على شيء واحد وحدة نوعية إلا لمناسبة فطرية؟ كيف لا، وقد عرفت أن الملكية موحدة في أصل فطره الإنسان، وعرفت أفاضل الناس وأساطينهم من هم^(٥) والله أعلم

(١) أي ملكية.

(٢) أي الهيبة.

(٣) العبادات باعتبار التشبه بالملك، والرياضات باعتبار اقتضاء البهيمة.

(٤) يعني الارتقاءات الصالحة والمتمتع الجميلة وسواها.

❁ باب اختلاف الناس في السعادة ❁

تعلم أن الشجاعة وسائر الأخلاق يختلف أفراد الإنسان فيها :

فمنهم القاعد الذي لا يرجى له حصولها أبداً، تقام هيئة مفادة في أصل جبلته، كالمختن وضعيف انقلب جلد بالنسبة إلى الشجاعة .

ومنهم القاعد الذي يرجى له ذلك بعد ممارسة أفعال وأقوال وهيات مناسبة، وبعد نقضي ذلك من أهلها ونذكر أحداث أفعالها وما جرى عليهم من الحوادث في الأيام، فتبشروا في الشدة وأقدموا على المهالك .

ومنهم الذي غنى في أصل الخلق، ولا تزال تجس في فتات^(١) كل حين، فإن أمر بحسب نفسه عنها فساق عيب الأمر وسكت على غيب، وإن أمر بها يتسبب جلته كان التكبريت يتصل به النار فلا يتراحي احتراقه .

ومنهم الذي خلق في الخلق كمالاً واغراً، ويندفع^(٢) إلى مقتضياته ضرورة، وإدغمي إلى الجبر مدلاً أشد دعوى لم يقبل، ويتيسر له الخروج إلى أفعال هذا الخلق والهيئات المناسبة له بالطبع من غير رسم ولا دعوى، وهذا هو الإمام في هذا الخلق، لا يحتاج إلى إمام أصلاً، ويجب على الناس هم دونه في الخلق أن يتسكروا بسننه ومعصوا بتواضعهم على رسوله ويتكفوا في محاكاة هيئاته ويتذكروا وقائمه، لينتجروا إلى التكامل المتوقع لهم من الخلق بحسب ما نُشر لهم . فكذلك يختلفون في هذا الخلق الذي عليه مدار سعادتهم :

فمنهم القاعد الذي لا يرجى صلاحه، كالذي تسمه الخضير طبع كافر، وإلى الإشارة في قوله تعالى : ﴿مَنْ يَكْفُرْ عَمِّيْ فَهُمُ لَا يَرْجُوْنَ﴾ [مائدة: الآية ١٨] .

ومنهم القاعد الذي يرجى له ذلك بعد رياضات شاقة وأعمال ديمة^(٣)، يؤخذ بها نفسه ويحتاج إلى دعوة حثيثة من الأنبياء وسنن مؤثرة منهم .

وهؤلاء أكثر الناس وجوداً، وهم المقصودون في البعة أولاً وبالذات .

ومنهم الذي ركب فيه الخلق جمالاً ورجحاً منه فلاته، إلا أنه يحتاج في التفصيل وشهيد الهيئات على ما ياسب الخلق في كثير من، يبقى إلى إمام، وفيه قول تعالى : ﴿تَكَادُ رَبِّيْ يَبْهِيْكُمْ رَأَوْا لَمْ نَسْأَلْهُ كَذًا﴾ [أنفورا: الآية ٣٥] .
وهم الثاني .

(١) أي: فتات، أي: كثير

(٢) أي: يدفع

(٣) أي: عرفت وزلات

ومنهم الأنبياء يتأثى لهم الخروج إلى كمال هذا الخلق واختيار هبات مناسبة في
ركنية تحصيل الفائت وإفاء الحاضر والنام الناصر من غير إمام ولا دعوة، فيتنظم من
جرياتهم في مقتضى جيلتهم سنن يذكروها الناس ويتخذونها دستوراً، كيف، ولما كانت
الحداثة والنجارة وأمثالهما لا تأتي من جمهور الناس إلا بسبب مأثورة عن أسلافهم، فما
حسبك بهذه المطالب الشريفة التي لا يهتدي إليها إلا الموفقون؟

ومن هذا الباب ينبغي أن يُعلم شدة الحاجة إلى الأنبياء، ووجوب اتعاب مستهم
والاشتغال بأحاديثهم، والله أعلم

❁ باب توزع الناس في كيفية تحصيل هذه السعادة ❁

اعلم أن هذه السعادة تحصى بوجهين :

أحدهما : ما هو كالإصلاح عن الطبيعة البهيمة، وذلك أن يملك بالجيل الجالبة
لركود أسقام الطبيعة وخمود سورتها وأعطاء لها علومها وحالاتها، ويُعيل على الترجه لنام
إلى ما وراء الجهات من الجيوش، وغلب النفس لعلوم مفارقة عن الزمان والمكان بالكلية،
ولذات ميانة للذات المأثورة من كل وجه حتى يصير لا يخاطب الناس ولا يروى، فيما
يرغبون ولا يرهب مما يرهبون، ويكون منهم على طرف شامع^(١) وصقع بعيد، وهذا هو
الذي يرويه المتألهون^(٢) من الحكماء، والمجذوبون من الصوفية، فوصل بعضهم غاية عداها،
وفليل ما هم، وبقي آخرون مشتاقين لها، طامعة أبصارهم إليها : متكلفين لمحاكاة هياتها .

وثانيهما : ما هو كالإصلاح للطبيعة والإقامة لموجها مع تعلل أصلها، وذلك أن
يسمى في محاكاة البهيمة ما عند النفس الشيطانية بأفعال وحيثات وأدكار ونحوها، كمثل ما
محاكي الآخرس أقوال الناس بمشاراته، والمقصود أحوالاً نفسانية من الرجل والمجمل
بهيات مبصرة يجدها متعاقبة مع تلك الأحوال، والشكل تدفعها بكلمات وترجيحات لا
يسمها أحد إلا خزن ونشل هذه صورة الضجع.

ولما كان معنى التمييز الإلهي في العالم على اختيار الأقرب فالأقرب، والأسهل
فالأسهل، والنظر إلى صلاح ما يجري مجرى جملة أفراد النوع دون الشادة والفاضة، وقامة
مصلح الدواب من غير أن ينخرم نظام شيء منهما، اقتضى لعنف الله ورحمته أن يبعث
لرسل أولاً، وبالذات لإقامة الطريقة الثانية والدعوة إليها والحث عليها، يدل على الأولى
بإشارات الزامية وطوبخات نصحية لا غير، والله السميع العليم.

(١) الإشراقيون.

(٢) صمد.

تفصيل ذلك: أن الأولى إنما تتأني من قوم ذوي تعاذب، وقليل ما هم، ورياضة شاقة وتفرغ قوي، وقليل من يفعلها، وإنما أئمتها قوم أهلوا معاشهم، ولا دعوة لهم في الدنيا، ولا تتم إلا بتقديم جملة عدالة من الدنيا، ولا يخلو من إهمال إحدى السعادتين إصلاح الارتفاقات في الدنيا وإصلاح النفس للأخرة، فلو أخذ بها أكثر الناس خربت الدنيا، ولو كفروا بها كان كالتكاثف بالمحال، لأن الارتفاقات صارت كالجبل، والثانية إنما أئمتها المجهلون ودور الصلاح، وهم يقاتلون برياسة الدين والدنيا معاً، ودعوتهم هي المنيولة وسنتهم هي المشيئة، ويحصر فيها كمال المصطلحين من السابقين أصحاب اليمين، وهم أكثر الناس وجوداً، ويشكر منها الذكي والعبي، والمستغن والفارغ، ولا حرج فيها، وتكفي العبد في استقامة نفسه ودفع اعوجاجها، ودفع الآلام المتوقعة في المعاد عنها، إذ لكل نفس أفعال ملكية تنتم بوجودها وتنازل غفصها. أما أحكام التجرد فتبليغها إليها تشأت بغير والمحرر من حيث لا يُدرى بجيلاتها ولو بعد حين.

شديد لك الأيام ما كنت جاهلاً
وبالحكمة: فالإحاطة واستقصاء وجوه الخير كالمحال في حق الأكثرين، والجهل البسيط خير من، والله أعلم.

❀ باب الأصول التي يرجع إليها تحصيل للطريقة الثانية ❀

اعلم أن طرق تحصيل السعادة على الوجه الثاني كثيرة جداً، غير أنني فهمي أن تعالي بفضله أن مرجعها إلى خصال أربع فتليس بها البهيمية متى غطتها النفس النطقية وفترتها على ما يتاسها، وهي أشبه حالات الإنسان بصفة الحمل الأعلى مُنْذَرَةٌ لُجُوفِهِ بهم وانخراطه في سلوكهم، وفهمي أنه إنما بحث الأنبياء للدعوة إليها والحث عليها، وأن المراتب تفصيل لها وراجعة إليها.

أحداه: الطهارة. وحقيقتها أن الإنسان عند سلامة فطرته وصحة مزاجه وتفرغ قلبه من الأحوال السلبية الشاغلة له عن التدبير إذا تخلص بالجاسات، وكان حاقباً^(١) حاذقاً قريب العهد من الجماع وواحي، انقضت نفسه وأصابه ضيق وحزن ووجد نفسه في غاشية عظيمة. ثم إذا تخلصت عن الأخيشين، وذلك بدن واعش، وبسر أحسن نياية وتطبيب، اندفع عنه ذلك الانقباض ووجد مكانه انشراحاً ومروراً وتباطأ.

كل ذلك لا ترماء الناس والحفظ على رسومه. بل لحكم النفس النطقية فقط.

(١) الحاقب من احتاج إلى الخلا. فلم يشهد بالتمسك غلطاً، والمحرر: مز به شدة قبول تفصيل.

والحالة الأولى تستلزم صفاء، والثانية طهارة. والثالثة من النفس، والرابعة من سلامة أحكام الروح، وقوانين المادة لأحكام الصورة الواجبة. ومرتبة الخامسة من سلامة واحدة من الأخرى، ويجب إحداهما ويغني عن الأخرى لطبيعتها. والثالثة منها إذا أضعفت شيئاً من السهولة، ولجس الطهارة، والنسب، وتفرغ لغيرها، لا يلهي بمرصها، ويترك كل واحد من الأخرى.

والطهارة أشبه الأهداف النبيلة بحالات الموج الأملية، في تجريدها عن الأولويات البهيمية وابتهاجها بما عندها من التور، ولذلك كانت مُعَدَّةً لِلنَّفْسِ بِكَمَالِهَا بِحَسَبِ الْقُوَّةِ السَّيِّئَةِ، والحدث إذا تمكن من الإنسان وأحاط به من بين يديه ومن خلفه أورت له استعداداً لقبول وساوس الشياطين وروؤيهم بحسب الحس المشترك، وله إماتة مرصعة، ولظهور الغلبات عليه فيما يلي النفس النطقية، وتغلب الحيوانات الملعونة اللثيمة. وإذا تبيحت لعلها، منه وأحاطت به ونسب لها، ومن إليها، أودعت استعداداً لقبول إلهامات الملائكة وروؤيها، ولصدور صالحة. ولظهور الأنوار، وتغلب الطيات، والآيات المباركة السطوة.

والثانية: الإحسان لله تعالى، وحقيقته أن الإنسان عند سلامته وتفرغه إذا ذكرَ لَمَاتَ الله تعالى وصفاته وأمره في الذكر، انتهت لديه النفس النطقية وخضعت لحوسن وأجود لها. وصارت كالصخرة الكبيلة، ووجدت ميلاً إلى جانب المخلص، وكان كمثل الحالة التي تجري السوق بحضرة المبرور، وملا حلة عجز أنفسهم، واستبدت أولئك بالبيع والمطام، وهذه الحالة أورت الحالات النبيلة. وأشبهاها بحال الملا الأعلى في توجهها إلى بارئها، وميلاتها في سلاله واستغراقها في تقيده، ولذلك كانت مُعَدَّةً لخروج النفس إلى كمالها الحلمي، أي انتعاش المعرفة الإلهية من لوح ذهنها، والحقائق بتلك الحفرة بوجه من الرجوع، وإن كانت العارة تظلم به.

والثالثة: السباحة. وحقيقته كون النفس بحيث لا تنقاد لدواعي القوة البهيمية، ولا يشج بها لغريزها، ولا يلحق بها ضرر⁽³⁾ لو لها. وذلك لأن النفس إذا تصرفت في أمر معاشها، وثابت للقاء، وعاشت⁽⁴⁾ الصفات، أو قرمت⁽⁵⁾ لطعام فاحشتهت في تحصيله حتى استوفت منها حاجتها، وكذلك إذ عصيت أو شغبت بشيء، فإنها لا يلهي في تلك الحالة شغوق ساعة في هذا الكيفية لا يرفع إلى ما وراءها البظر الكيفي. ثم إذا زلت تلك الحالة، فإن كانت مسخرة خرجت من تلك المصايفي كأن لم تكن فيها فطء، وإن كانت غير

(3) عاصت.

(4) اشتغلت.

(5) ان مبرتها.

(6) وسع.

ذلك فإنها تشتمل معها تلك الكيانات وتشيع كما تشيع نفوس الخاتم في الشعمة، فإذا
فردت الجسد وانخفت عن العلائق الظلمانية العنواكمة ووجعت إلى ما عندها، لم تجد
شيئاً مما كان في الدنيا من مخلقات الملكية، فحصل لها الأثر وصارت في أرعد عيش.

والشحيحة تشتمل نفوسها عندها، كما ترى بعض الناس يُشرف منه هال نفيس، فإن
كان سخيلاً لم يعد له بالاً، وإن كان رقيق النفس صار كالمجنون، رنثلت^(١) عنده

والسماعة وضدها^(٢) لهما ألقاب كثيرة بحسب ما يكونان فيه، فما كان منهما في
المال يسمى سخافةً وسُخفاً، وما كان في داعة شهوة الفرج أو البطن يسمى عفاً وشره،
وما كان في داعة الرفاية والنسج^(٣) عن المشاق يسمى صبراً وهلم^(٤)، وما كان في داعة
المعاصي الممتوعة عنها في الشرع يسمى تقوى وجوراً.

وإذا تمكنت السماعة من الإنسان بقيت نفسه عرية عن شهوات الدنيا، واستعدت
للذات العالية المجردة، والسماعة هيئة تمنع الإنسان من أن يتمكن منه ضد الكمال
المطلوب عاماً وعملاً.

الرابعة: العدالة، وهي ملكة في النفس تعمل عنها الأفعال التي يقام بها نظام المدينة
والحي بسهولة، وتكون النفس كالمجبول على تلك الأفاعيل. والسفر في ذلك أن الملائكة
والنفوس المجردة من العلائق الجسمانية ينطبع فيها ما أراد الله في خلق العالم، من
إصلاح النظام ونحوه، فتغلب مرغباتها إلى ما يناسب ذلك النظام، فهذه طبيعة الأرواح
المجردة، فإن فارت جسدتها وفيها شيء من هذه الصفة ابتهجت كل الابتهاج، ووجدت
سبيلاً إلى الله المرافقة عن الذات الخبيثة، وإن فارت وفيها ضد هذه الخصلة ضاق
عليها الحال، وتوحشت، ونالمت. فإذا بعث الله نبياً لإقامة الدين، ويُخرج الناس من
الظلمات إلى النور وليقوم الناس بالعدل، فمن سعى في إشاعة هذا النور ووفقاً له في
الناس كان مرحوباً، ومن سعى لردّها وإخمائها كان ملعوناً مرجوماً، وإذا تمكنت العدالة
من الإنسان وقع اشتراك بينه وبين حملة العرش ومقرّبي السمرة من الملائكة الذين هم
وسائط نزول النجود والبركات، وكان ذلك باباً مقوِّحاً بينه وبينهم، ومعدلاً لنزول ألوانهم
وصيغهم بمنزلة تمكين النفس من إلهام الملائكة والاتصاف حسبها.

فهذه الخصاكة الأربع إن تحققت حقيقتها، فلهيئة كيفية اقتضائها للكمال العلمي
والعلمي واعتمادها لتلاسلها في سلك الملائكة، وتُبحث كيفية انضمام الشرائع الإلهية
بحسب كل عصر منها، أُوتيت الخبر الكثير، وكنت نقيباً في الدين ممن أراد الله به خيراً.

(١) أي حسرة لال

(٢) السعد

(٣) أي الشم

(٤) أي جزعاً فاضلاً

والساعة امرقة منها تسى بالعمرة، وتلفظرة أميايا تحصيل بها، بعضها عنية، وبعضها
عملية، ويحكم بضد الإنسان عنها، وجب تكسر الحجاب، ونحن نريد أن شاك على هذه
الأمور، فاسمع الله تعالى عليك يتوفى الله تعالى، والله أعلم.

❁ باب طریق احتساب هذه الخصال وتكمیل ناقصها ورد فائتها ❁

اعلم أن الحساب على الخصائص يكون شاملاً: شعير عظمى، شعير عظمى

أما التدبير العلمي، فإننا احتجج له لأن تعليمه مفادة للتدبير الحسبي، وتلك ترى سقوط الشهوة والشبق عند حظوظه، يورث في النفس كبرية الحياة أو الخوف وهي أملا عنه بما يناسب العبرة سر ذلك إلى تحققها في النفس، وذلك أن يعتقد أن له رؤيا مُزماً عن الأديان الشريفة، «لَا يَدْرِي كَيْفَ يَفْعَالُ دَرَكٌ فِي الشَّكُورِيَّةِ وَلَا فِي الْإِيْزِ» [مجلد 3، ص 17] «وَمَا يَدْرِيونَ مِنْ تَعْرِيفٍ تَلَكُّمٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَتَّى إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» [مجلد 3، ص 17] «يَتَمَلَّكُ مَا يَنْقُذُ» [عمران، ص 49] «يَتَكَلَّمُ مَا يُبْذِلُ» [سورة 1، ص 1] «وَأَدْبَارُ غَضَائِهِ وَلَا مَانِعَ لِحُكْمِهِ، مَنَعَهُ بِأَصْلِهِ الرُّجُودَ وَتَوَسَّعَهُ مِنَ الْعَمِ اجْسَانِيَّةِ وَالنَّفْسَانِيَّةِ، مُجَادِرٌ عَلَى أَعْدَائِهِ، إِنْ خَيْرٌ أَوْ خَيْرٍ وَإِنْ شَرٌّ أَوْ خَيْرٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَبِيبِ النَّبِيِّ: «وَالْقَلْبُ عَيْنِي تَعَالَى دَعَامَ لِي لَهُ رُؤْيَا يَنْفُورُ الْقَلْبُ وَيَأْخُذُ بِالْقَلْبِ» قد غفرت لعبودي.

وبالجملة فيعتقد اعتقاداً مؤكداً ما يبعد الهبة وعابة التعظيم، وما لا يبقى ولا يفر في قلبه حناج، موهبة من إخبار غيره ودرجته، ويعتقد أن كمال الإنسان أن يرجع إلى ربه، ويعبده، وأن أحسن حالات البشر أن ينسب بالعائلكه ويدنو منهم، وأن حقه الأمر مقربة له من ربه، وأن الله تعالى أنقض منهم ذلك، وأنه حُرَّ الله عليه لاند له من ربه.

والجملة. فيعلم عسماً لا يحصل التقيض أو سعاده في اكتساب هذه، وأن تفاوته
في إعمالها، ولا أنه من سوء به. نهديه تنبيهاً قوياً، ويرجعها إلزامياً تنديداً

واختلفت كذلك الأنبياء في ذلك. فكان عمدة ما أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام القدوس بأنات الله الباهرة، وحسنه العلياء ونعمه الآفاقية والغايبية، حتى يفتح بها لا مزيد عنه أنه حقق أن يسئلوا له الملائكة: وإن تؤثروا ذكره على ما سواه. وإن لجوءه إلى شديد، زعيمه، بأقصى مجهودهم. وضم الله معه موسى عليه السلام بالذكور بأوامر الله، وهو بيان مجازاة الله تعالى للمطيعين والخصاء من الدنيا، وتعليقه التمس والتمس حتى يمشي في محموره الخوف من تعاصي ودرجة قوية في الطاعات. وضم معها كيبا في الإنذار والتشهير بحدوثه، وبيان عو صير البر والائتم.

ولا يغيب أمرى العلم بهذه الأمور، بل لابد من تكرارها وتداولها وملاحظتها، كل حين، وجعلها بين عينيه حتى تغلغل الفكرة العلمية بها فغذاء الحوارج لها.

وهذه الثلاثة⁽¹⁾ مع النسي تحريز - أحدهما: بيان الأحكام، من الواجب والنحرمان وغيرهما، وثانيهما: مخاضة الكفار - قولاً⁽²⁾ عممة في عمدة علوم القرآن العظيم.

أما التدبير العملي، فاعلمة به النسي بهيات وأفعال وأشباه تذكر النفس انخلة المطلوبة وتنبها لها وتنجها إليها ونحها عنها، إما كالأمر عادي بينها وبين الخصلة، أو ككونها مخطئة لها بحكم السانسة الجبلية، فكما أن الإنسان إذا أراد أن ينيه نفسه للنصب وتحصنه بين عينيه، شغل الشم الذي نفعه⁽³⁾ به المضروب عنه، والذي باحقه من الحار ومحو ذلك، والبالغة إذا أرادت أن تجدد عهدا بالفصح تذكر نفسها بحاس السيت وتشتيتها، وتبحث من خواهرها النخل، وترجل إليها، والذي يريد الجماع يتعسك بدواعيه، ونظائر هذا الباب كثيرة جداً لا تمضي على من يريد الإحاطة بجوانب الكلام.

كذلك، لكل واحد من هذه المصالح أسباب تكتسب بها، والاعتناء في معرفة تلك الأمور على ذوي أهل الأذواق السليمة.

فأسباب الحدث ابتلاء القلب بحالة سقيمة⁽⁴⁾، كقصاء لشهوة من النساء جماعاً ومباشرة، واصدوره بمخالفة الحق، وإحاطة لمن الحلال الأعلى به، وكبه حاداً حافناً، وقرب العهد بالبول والغائط والريح، وهذه الثلاثة فضول المصنف، وتؤرخ البدن، والتغور، واجتماع المخاضة وتبات الشعر على العانة والإبط، وتتمتع الشوب والبدن بالنساءات المستغلة، وامتناء الحواس بصورة تذكر الحالة البسلة كالفدورات، والنظر إلى المفرج، ومسافة الحيوانا، ونظر المصنف في الجماع وأنطق في الدلائكة والصالحين، والسعي في إنشاء الناس.

وأسابب زناهارة إزاة هذه الأشياء، وكشبات أسبادهاء، واستعجال ما تقور في العادات كونه نظافة بالغة، كالغسل والوضوء، وليس أحسن ثيابه واستعجال النظيب، فإن استعمال هذه الأشياء تنبه النفس على صفه الطهارة.

وأسباب الإحسان مؤاندة نفسه بما هو أغلى حالات التعليم عنده، من القيام

(1) اسم الإشرة مباشرة أي: التفكير بذلك فله ويأمن الله - لا يتقار ويتقشره وييل غولس لير والإثم

(2) هو خير من قوله وهذه ثلاثة ..

(3) أي: نظم

(4) أي: علو مصيبت الجبهة

مطرفاً. والسجود والخصر بالانحياز دأب على الساجدة، والشفل للديه، ورفع الحاجات إليه، فإن هذه الأمور تنبه النفس تنبيهاً قوياً على صفه الخضوع والإحبات.

وأسياب السجدة: الثمران على السخاوة واليقلية، والمفر عن ظلم، ومواخلة لنفس بالصبر عند الشكارة، ونحو ذلك.

وأسياب العدالة المحافظة على السنة الراشدة بتفاصيلها، والله أعلم.

❁ باب الخُجُب المانعة عن ظهور الفطرة ❁

اعلم أن معظم الحجب ثلاثة: حجاب الطبع، وحجاب الرسم، وحجاب سوء المعرفة. وذلك لأنه وُكِّب في الإنسان ذراعى الأكل والشرب والتكسح، وجُعِل قلبه مَبِيناً للأحوال الطبيعية، كالحزن والنشاط والغضب والوجل وغيرها، فلا يزال مشغولاً بها، إذ كل حانة يتقدمها توجه النفس إلى أسبابها، واتخاذ القوى العلمية لها يناسبها، ويجتمع معها استغراق النفس فيها، ودعوتها عما سواها، ويتخلف عنها بقية ظلمها ويحضر نونها، فتمر الأيام والليالي وهو على ذلك، لا يتنوع لتحصيل غيرها من الكسب، ورُبَّ إنسان ارتطمت^(١) قدماء في هذا الوحل فلم يخرج منه طوك معرو، ورُبَّ إنسان غلب عليه حكم المذبح فخلع ريشته عن رقة الرسم والمعل، ولم يتزجر بالاملاء، وهذا الحجاب يسمى بالنفس.

لكن من ثم عقده، وثور يقطعه يختطف من أوقاته فرصاً يركد فيها أحواله الطبيعية: رتبع نفسه لهذه الأحوال وغيرها، يستوجب لفيضات علوم أخرى غير استيفاء مقتضيات الطبع، ويتأق إلى الكمال النوعي بحسب القوتين العاقلة والمعاملة؛ فإذا فتح حدة بصيرته ابصر في أول الأمر نومه في ارتعاقات وزي وساعات وتضائل من العصاحات والصناعات، موقعت من قلبه بموقع عظيم، واستقبلها بمزينة كاملة وهمة قوية، وهنا حجاب الرسم ويسمى بالدين.

ومن الناس من لا يزال مستغرقاً في ذلك إلى أن يأتيه الموت، فتزول تلك الغضائل بأسرها، لأنها لا تسم إلا بالبدن والآلات، فبقي النفس عارية ليس بها شيء، وهما مثله كمثل دي جنة أصابها إعصار، أو ﴿كَرَّوْا أَسْبَدَتْ بُرُؤُكُمْ﴾ في يوم طيوس^(٢) [إبراهيم: ١٨]، فإن كان شديد التنبيه عظيم الغفلة: استيقن بدليل يوهاني أو خطاني أو بضيق الشرع أن له دنياً فاهراً فوق عياده، مذبذبة أمورهم، ساعماً عليهم جميع النعم، ثم خلق في قلبه ميل إليه

ومحبة به، وأراد التقرب منه ورفع الحاجات إليه وأطرح ادعاء فمن مضى. في هذا المقصد ومخطئ، ومعظم الخطأ شيان: أن يعتقد في الواجب صفات المخلوق، أو يعتقد في المخلوق صفات الواجب. فالأول هو التشبه، ومنشؤه قياس الخائب على شاهد، والثاني هو الإلتراف، ومنشؤه رؤية الآثار المخارقة من المخلوقين فيظن أنها حضافة إليهم بمعنى الخلق، وأنها ذاتية لهم، وينبغي لك أن تستقرئ أفراد الإنسان، هل ترى من تفاوت فيما أعيرتك؟ لا أظنك تجد ذلك. بل كل إنسان وإن كان في تشريع ما، لا بد له من أوقات تستغرق في حجاب الطبع، قلت أو كثرت، وإن لم يزل مباشراً للأعمال الرسمية، ومن أوقات تستغرق في حجاب الرسم، ويهمل حينئذ التشبه بعاقلي قومه كلاماً وزيّاً وخلقاً ومعاشره، وأوقات يصني فيها إلى ما كان يسمح ولا يصني، من أحداث الجبروت والتدبير الخبي في العالم، والله أعلم.

باب طريق رفع هذه الحجب

اعلم أن تدبير حجاب الطبع شيان. أحدهما يأمرك به، ويوجب فيه، ويحث عليه. والثاني: ينسحب عليه من فوقه، ويؤخذ به، شاء أم أبى.

فالأول: وباضات تضعف البهيمية، كالصوم والسهر. ومن الناس من أفرط واختار تغيير خلق الله، مثل فضع آلات التماسل، وتجهيف عضو شريف كالد والوجل، وأولئك جهال المبادي، وغير الأمور وسطها، وإنما الصوم والسهر بمنزلة دواء شقي يجب أن يتقدم بقدر ضروري.

والثاني: إقامة الإنكار على من أتبع الطبيعة فخالف السنة الرشيدة، وبيان طريق انقضي من كل غلبة طبيعية، وضرب سنة له، ولا ينبغي أن يهين على الناس كل الضيق، ولا يكتفي في النكل الإنكار القوي، بل لا بد من ضرب وجيع وغرامة منعكة في بعض الأمور، والأليق بذلك إفراغات فيها ضرر متعدي، كالزنا والقتل.

وتدبير حجاب الرسم شيان

أحدهما: أن يضم مع كل ارتقاء ذكر الله تعالى، غارة يحفظ الفاظ يؤمّر بها، وطوراً حراة حدود وقود لا يراهي إلا الله.

والثاني: أن يجعل نوعاً من المداوات رسماً عاشياً، ويسجل^(١) على المصاحفة عليها شاء أم أبى، ويلازم على تركها، ويكبح عن المزعجات من الحياء وغيره حياء لفوتها.

(١) أي يذكّر.

فهذه هي التدبيرين تندفع غوازل الرسم، وتفسير مؤيثة نبوة الله تعالى، وتفسير المسألة تدعو إلى الحق.

وسوء المعرفة بكلا قسمه⁽¹⁾ ينشأ من سببين:

أولهما: لا يستطيع أن يفرق بين حق معرفته، لتعالبه عن مرفاهات أثير جداً وتزعم عن سعة المحادثات والمحموسات، وتكثيره ألا يخطئها إلا بما تسعه أذهانهم.

والأصل في ذلك أنه ما من موجود أو معدوم، متحيز أو مجرد، إلا يتعلق علم الإنسان به، إما بحضور صورته أو بشعور الشيء والمقاسة، حتى الندم لسطق والمجهول المطلق، فيقام العدم من جهة معرفة الوجود وملاحظة عدم الانصاف به، ويعلم مفهوم المشرق على صيغة المعمول، ويعلم مفهوم المطلق، فيجمع هذه الأشياء وينشأ بعضها إلى بعض، فينتظم صورة تركيبية هي مكتشف البسيط المقصود تصويره الذي لا وجود له في الخارج ولا في الأذهان. كما أنه ربما يترجم إلى مفهوم نظري، فيجهد إلى ما يحسبه جتساً وإلى ما يحسبه نصلاً فيرتكبهما، فيحصل صورة مركبة هي مكتشف المظنوب تصوؤه. فخطأوا مثلاً بأن الله تعالى موجود لا كوجود، وأنه حي لا كحياتنا، والجملة يبعد إلى صفات هي مورد المدح في الشاهد، ويلاحظ ثلاثة مذاهب فيما تشاهد، شيء فيه هذه الصفات وقد عسرت منه آثارها، وشيء ليست فيه وليست من شأنه، وشيء ليست فيه ومن شأنه أن تكون به، كالحَي والجماد والميت، فثبت هذه ثبوت آثارها، ويجوز هذه التثنية بأنه ليس كمثلنا.

والثاني⁽²⁾: تشق الصورة المحسوسة بزميتها، والتلذذات بجمالها، رامتلاء اتقوى العممية بالصور الحسية، فينداء فله لذلك، ولا يغزو الترجع إلى الحق. ويدبر هذا راغبات وأعمال يستند بها الإنسان إلى الحاجات الشاغفة، رآو في المعاد، واعتكالات وإزالة لتشاخص بقلم الإمكان، كما هنك رسول الله ﷺ الغرام⁽³⁾ المصور ونزع خميعة⁽⁴⁾ منها أعلام، والله أعلم.

(1) أي الإثراء والتثنية.

(2) أي: من أسباب صور المعرف.

(3) بالهمزة الشئ الرقيق. كان هذا القوام لعائشة رضي الله عنها منزعه لرسم ﷺ لأن جبريل لما دع عن النحول في المكان الذي هو فيه لأن العلاقة لا تتحل بيتاً فيه كعب أو صورة.

(4) هي ثوب خذر أو صوف مطم ولما نزع لأنها تنطق عن الصلاة.

المبحث الخامس: مبحث البر والإثم

مقدمة في بيان حقيقة البر والإثم

إذ قد ذكرنا لُبَّه المجازاة وأثمتها، ثم ذكرنا الارتفاقات التي خيل عليها البشر، فهي مشتملة فيهم لا تنفك عنهم، ثم ذكرنا السعادة وطريق اكتسابها، حان أن نشتغل بتحقيق معنى البر والإثم.

فالبر كل عمل يفعله الإنسان قضية لانتباهه للملأ الأعلى واضمحلاله في تلقي الإلحاح من الله وصبرونه قائماً في مراد الحق، وكل عمل يجازى عليه خيراً في الدنيا أو الآخرة، وكل عمل يصنع الارتفاقات التي بني عليها نظام الإنسان، وكل عمل يفقد حالة الانقياد ويدفع الحب.

والإثم كل عمل يفعله الإنسان قضية لانتباهه للشيطان وصبرونه قائماً في مراده، وكل عمل يجازى عليه شراً في الدنيا أو الآخرة، وكل عمل يفسد الارتفاقات، وكل عمل يفسد هذه مضادة للانتباه، ويؤكد الحب.

وكما أن الارتفاقات استبطنها أولو الخبرة فافتدى بهم الناس بشدة قلوبهم، واتفق عليها أهل الأرض أو من يعتقد به منهم، فكذلك للبر سُنَنٌ ألهمها الله تعالى في قلوب المؤيدين بالنور المُنَكِّي الخالب عليهم لُحْنُ الفطرة، بمنزلة ما ألهم في قلوب النحل ما يضلُّع به محاشها، فيبرزوا عليها وأخلوا بها وأرشدوا إليها وحشوا عليها، فافتدى بهم الناس، واتفق عليها أهل الملل جميعها في أقطار الأرض على تباعد بلدانهم واختلاف أديانهم، يعمكم مناسبة فطرة والنقاء نوعي، ولا يضر ذلك اختلاف صرر تلك السن بعد الاتفاق على أصولها، ولا صمود طائفة مذمومة^(١)، أو تأمل فيهم أصحاب البعداء^(٢)، يشكُّون أن مادنهم عصت الصورة التوعية، ولم تمكن لأحكامها^(٣)، وهم في الإنسان كالغضو الزائد في الجسد، ذواله أجمل له من بقاءه.

ولشروع هذه السُنَن أسباب جليلة وتدابير محكمة، أحكمها المؤيدون بالوحي صديقات الله عليهم، فأثبتوا لهم وثقَّة عظيمة في رقاب الناس، ونحن نريد أن ننبهك على أصول هذه السنن مما أجمع عليه جمهور أهل الأقاليم الصالحة من الأمم العظيمة، التي

(١) ناصية.

(٢) أي: قصورة قلوبهم.

يجمع كل واحدة أقواماً من المتألهين والملوك والحكماء ذوي الرأي الناذب، من عربهم وعجمهم ويهودهم ونجرسهم ومنتوحهم، وتشرح كيفية توليدها من انقياد البهيمية للقوة الملكية، وبعض نوالدها حسيماً جريئاً على أنفاسها غير مودة، وأدى إليه المغفل السليم، والله أعلم.

❁ باب التوحيد ❁

أصل أصول البر وعمدة أنواعه هو التوحيد. وذلك لأنه يتوقف عليه الإعجابات - قرب العالمين - الذي هو أعظم الأخلاق اكتسابية للسعادة، وهو أصل التدبير العلمي الذي هو أليق التدبيرين، وبه يُحْصَلُ للإنسان التوجُّع التام لبقاء الغيب، ويستند نفسه للتحرق به بالوجه المقدس. وقد بُدِئَ النبي ﷺ على عظم أمره، وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع، وإذا فسد فسد الجميع، حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئاً أنه دخل الجنة، أو حرَّمَهُ اللهُ على النار، أو لا يُحْجِبُ من الجنة، ونحو ذلك من المبارات. وحكى عن ربه تبارك وتعالى: «من لقيني بقراب⁽¹⁾ الأرض غطيته لا يشرك بالله شيئاً لقيني بمتلها مغفرة».

واعلم أن للتوحيد أربع مراتب:

إحداها: حصر وجوب الوجود فيه تعالى. فلا يكون غيره واجباً.

والثانية: حصر خلق المعرش والسماوات والأرض ومائر الجواهر فيه تعالى.

وحاتان المرتبتان لم تبحث فكسب الإلهية عنهما، ولم يخالف لهما مشركو العرب ولا اليهود ولا النصارى، بل القرآن العظيم ناص⁽²⁾ على أنهما من المقدمات المُتَكَلِّمة عندهم.

والثالثة: حصر تدبير السماوات والأرض وما بينهما فيه تعالى.

والرابعة: أنه لا يستحق غيره العبادة، وهما متساويان متلازمان لربط طبعي بينهما.

وقد اختلف فيهما طوائف من الناس معظمهم ثلاث فرق:

التَّجَامُونَ: ذهبوا إلى أن النجوم تستحق العبادة، وأن عبادتها تنفع في الدنيا، ورفع الحاجات إليها حق، قالوا: قد تحفظنا أن لها أثراً عظيماً في الحوادث اليومية، وفي سعادة

(1) قراب، بالكسر: مصدر قراب، ومعنى ما يقرب منه الأرض.

(2) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ كُتُبَكَ وَالْأَقْلَامَ لَقَرْنًا عَلَّمَهُمُ الْيُسْرَى﴾ [الزمر: 17].

المرء وشقاوته وصحة وصفه، وأن لها نوساً مجزأة عاقلة نعمتها على الحركة، ولا يفر من عاصها، مبتوا هياكل على أسمائها وعبدوها.

والمعشركون^(١): وافقوا المسيحيين في تدبير الأمور العظام، وفيما أنهم ونجزهم وأن يترك لغيرة خيرة. ولم يرافقهم في سائر الأمور. ذهبوا إلى أن الصالحين من قبلهم عباد الله وتذكريا إليه فأعطاهم الله الأرواح، فاستحقوا العيادة من سائر خلق الله، كما أن تلك المملوك يخدمه سيده فبحسب خلخته فيعطيه ثمنه الثلث، ويقوص له مدرس من ماله، فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد، وقالوا: ٧ تقبل عبادة الله إلا وهو حرمة إلهادهم، بل الحق في غاية التعالي، فلا تقبل عبادته تقرباً منه، بل لا بد من عبادة هؤلاء لتقربوا إلى الله وليس. وقالوا: هؤلاء يسمعون ويصرون ويشامون لعبادهم ويديرون أسرارهم وينصرونهم، فخذوا من أسمائهم أحداً، وحملوها قبة عند توجيههم إلى هؤلاء، خلقت من بعدهم خلقت، فلم يعطوا كعرق بين الأقسام وبين من هي علم صورته، فطنوها معبودات بأعقابها، ولذلك رد الله تعالى عليهم قارة بالثبته على أن المحكم والملت له خاصة، ولمرة بيان أنها حجابات.

(الَّذِينَ أَقْبَلُ يَتَشَوَّكُ يَتَّ كَمْ تَبَرَّ يَتَبَّوْنَ يَتَّ أَرْتَهُمْ أَتَوْا يَتَبَّوْنَ يَتَّ أَمْ لَهُمْ مَكْرٌ يُتَبَّوْنَ يَتَّ) (الأعراف: الآية ٦٨)

والنصارى^(٢): ذهبوا إلى أن المسيح علي السلام قرأ من الله، علماً على الخلق، فلا يعني أن بشي هذا فسوى غيره، لأن هذا سوء أدب معه وإعلاء تقربه من الله، ثم مال بعضهم عن الأمور عن تلك الخصوصية إلى تسميته ابن الله، فقرأ إلى أن الأب يرحم الابن ويرثه على عنه، وهو فرق السيد، فهذا الاسم ليس به. وبعضهم^(٣) إلى تسميته بآب، نظراً إلى أن الراعي، حل فيه وحرار داخله، وهذا يصدر منه آثار لم يحد من البشر، مثل إحياء الأموات وخلق طين. فكلامه كلام الله، وعبادته هي عبادة الله، فحذف من بعدهم خافت لم يخطوا لوجه اتساع، وقادو يعملون البثرة حقيقة، أو يزعمون أنه الوجه من جميع الوجود. ولذلك رد الله تعالى عليهم، بآب لا صاحبة له، وظهوراً بأنه بائع السموت والأرض:

(إِنَّمَا تَزْعُمُونَ إِذَا قِيلَ لَكَ تَزْعُمُونَ لَوْ كُنْتَ فَتَكُونُ) (إس: آية ١٤)

وهذه الفرق الثلاث لهم مريضة وخرافات كثيرة، لا تخفى على المتبحر. وهم هائلو التبرك ببحث التبرك العظيم، ورد على الكافرين شبهتهم رداً مشدداً.

(١) أي وما لم يصح

(٢) الفرق الثالثة

(٣) الفرق الثانية

❁ باب في حقيقة الشرك ❁

نعلم أن العبادة هو التخلل الأقصى - وكان تذللاً أقصر من غيره - لا يخلو إما أن يكون، بالصورة، مثل كود، هذا قياماً وذلك سجوداً، أو بالية، بأن تهي بهذا الفعل تعظيم لعباد لمولاهم وذلك تعظيم الرعية للشرك أو لتلامذة الأستاذ، ولا ثالث لهما.

ولما ثبت سجود النوبة من الملائكة لأدم عليه السلام ومن إغرة يوسف عليه السلام، وأنه السرد أعني صور التعظيم وجب ألا يكون التميز إلا بالية.

لكن الأمر إلى الآن غير متضح؛ إذ المعنى مثلاً يطلق على معان، والفراد معنا للمجرد لا محالة، فقد أخذ في حد العبادة.

فالتفريع إن التخلل يستدعي ملاحظة صعب في التلخيص وقوة في الآخر، وخسب في اللذين وشرف في الآخر، والقيام وإحباب في الذليل ونسخير وفقاد حكم للآخر. والإنسان إذا تخلل ونعت أدرك لا محالة أنه يُقَدَّرُ للقوة والشرف والسخيرة وما أشبهها، مما يعبر به عن الكمال، قدرين. قدراً لنفسه وللمن يشبهه بنفسه، وقدراً لمن هو متعال عن وصية العبود والإمكان بالكلية.

ولمن انتقل إليه شيء من خصوصيات هذا الشئاني، فالعلم بالتحقيقات يجعله على درجتين:

عسم برؤفة وتزقيب معصيات أو خدس أو منام أو ملقي إلهام، مما يجد نفسه لا يباين ذلك بالكافة.

وعلم دائم هو مقتضى ذات الله، لم لا يلقه من غيره ولا يتجشم كسبه، وكذلك بجسم التأثير والتدبير والسخيرة، أي فقط قلت، على درجتين: بمعنى المباشر، واستعانة الجوارح والقوى، والاستعانة بالتكيفات المزاجية، كالحرارة والبرودة وما أشبه ذلك، مما يجد نفسه مستعدة له استعداداً قريباً أو بعيداً، وبسبب التكون من غير كلفة حساسية ولا مشورة شريفة، وهو قوله:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: الآية ٤٢)

وكذلك يحمل العنبة وأشرف والقوة على درجتين:

إحداها: كمضنة الميزن بالنسبة إلى رعيته، مما يرجع إلى كثرة الأخوان وريادة الطول، أو مضنة البش وأستاذ بالنسبة إلى ضعف البش وإتمامه. مما يجد نفسه يشارك البش في أصل الشئ.

وثانيتها: ما لا يوجد إلا في الشمالي جداً، ولا تن في تفتيش هذا السر حتى تستبين أن المعترف بتصرام سلطة الإمكان إلى واجب لا يحتاج إلى غيره يضطر إلى جعل هذه الصفات التي يتحدون بها على دوجتين: درجة لما هنالك ودرجة لما يشبه نفسه.

ولمّا^(١) كانت الألفاظ المستعملة في الدرجتين متقاربة - مراد: يحمل نصوص الشرائع الإنهية على غير محلها - وكثيراً ما يطلع الإنسان على أثر صادر من حضن أفراد الإنسان أو الملائكة أو غيرهما يستبعد من أبناء جنسه، فينب عليه الأمر، فينب له شرفاً مقدساً وتسخيرواً إلىه، وليسوا في معرفة الدرجة المتعالية سواء، فمنهم من يحيط بقوى الأنوار المحيطة الغالبة على المواليد، ويعرفها من جنسه، ومنهم من لا يستطيع ذلك، وكل إنسان مكلف بما عنده من الاستطاعة، وهذا تأويل ما سكاه الصادق المصطفى ﷺ من حياة شرف على نفسه أثر أهله بحرقه وتذرية رماده، حدثاً من أن يبعثه الله ويقدّر عليه^(٢)، فهذا الرجل استيقن بأن الله متصف بالقادرة التامة، لكن القدرة إنما هي في السمكات لا في السمكات، وكان يظن أن جمع الرماذ المتفرق نصفه في البر ونصفه في البحر مستع، فلم يجعل ذلك نقصاً، فأخذ يقدّر ما عنده من العلم، ولم يُفدّ كافرأ - كانه التشبيه والإشراك بالنجوم وبصالحى العباد الذين ظهر منهم خرق المرائد، كانكشف واستجابة الدعاء، متوارثاً قبهم، وكى تبي بعث في قومه فانه لا بد أن يفهمهم حقيقة الإشراك ويميز كلاً من الدرجتين، ويحصر الدرجة المقدسة في الواجب وإن تغاوت الألفاظ، كما قال رسول الله ﷺ: «إنما كنت رفيقاً والطيب هو الله»، وكما قال ﷺ: «الصديق هو الله» يشير إلى بعض المجاني دون بعض. ثم لما افترض الحواريون من أصحابه وحمله دونه خلف من بعدهم خذلوا أصحابوا الصلاة وأنشؤوا الشهوات، فحملوا الألفاظ المستعملة المشبهة على غير محلها، كما حملوا المحبوبة والشقاوة التي أثبتها الله تعالى في قاطبة الشرائع لخواص البشر على غير محلها، كما حملوا صدور خرق العوائد والإشرافات على انتقال العلم والتسخير الأتسمين إلى هذا الذي يرى منه، والحق أن ذلك كله يرجع إلى قوى ناموسية^(٣) أو روحانية تبعاً لنزول التدبير الإلهي على وجه، وليس من الإيجاد والأمور المختصة بالواجب في شيء.

والعرض بهذا العرض على أصفاف:

منهم من نسي جلال الله بالكلمة، فجعل لا يعيد إلا الشركاء، ولا يرفع حاجته إلا

(١) شروط جوفية قوله الأتي: «كل التشبيه...» في كلمة التي في السر الناس.

(٢) حديث من رواية البخاري.

(٣) أي: إنسانية.

إنهم، لا خلقت إلى الله أصلاً، وإن كان يعلم بالنظر النبوي أن سلسلة الوجود تنصرف إلى الله

ومتهم من اعتقد أن الله هو السيد وهو المشر، لكنه قد يخلق على بعض عبيده ليس الشرف والمآل، ويجعله منصراً في بعض الأمور الخاصة، ويقبل شفاعته في عباده بمنزلة ملك الملوك يبحث على كل قطر ملكاً، ويغله تدبير تلك المملكة فيما هذا الأمور المعظام، فيخلق⁽¹⁾ لسانه أن يسبحهم عباد الله، فيسويهم وغيرهم، فعلى عن ذلك إلى تسميتهم أبناء الله ومحبي الله وسمى نفسه عبداً لأونك، كمبدأ المسيح وعبد العزى، وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من متاقي دين محمد ﷺ في يومنا هذا.

ولما كان مبنى لتشرية على إقامة المظنة مقام الأمل عند أشياء محسوسة هي مضاف للإشراك كقراء كسجدة الأضنام، والذبح نه، والحنف باسمها، وأمثال ذلك.

وكان أول فتح هذا العلم على أن رُفِعَ لي قومٌ يسجدون لفيهاب صغير شئ لا يزال يحرك ذنبه وأطرافه، فتحت في قلبي هل تجد فيهم فائدة الشرك، وهل أحاطت الخطيئة بأنفسهم كما تجدها في عبدة الأوثان؟ قلت: لا أحدها فيهم، لأنهم جعلوا الفهاب قينة ولم يخلطوا درجة تذلل بالأخرى. قيل: فقد حُرِّيت إلى النار⁽²⁾، فبرحت على قلبي بهذا العلم، وحسرت على بصيرة من الأمر، وعرفت حقيقة التوحيد والإشراك، وما نصبه الشرع مظاناً لهما، وعرفت ارتباط العبادة بالتدبير، والله أعلم.

❁ باب تقسام الشرك ❁

حقيقة الشرك: أن يعتق إنسان في بعض المعقلعين من الناس أن الآثار المعية الصادرة منه إنما صدرت لكونه منصفاً ببعض من صفات الكمال مما لم يُعهد في جنس الإنسان، بل يخص بالواجب جل مجله لا يوجد في غيره، إلا أن يخلق هو - جل جلالة - شئاً الألوهية على غيره، أو يفتي غيره في ذاته، ويبقى بذاته أو نحو ذلك ممن يفتي هذا المستبعد من أنواع الجحانات. كما ورد في الحديث: **إِنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَلْبِثُونَ بِهِمْ**

(1) أي مضطرب.

(2) هكذا بالأصل وهو غير مناسب لسماع الكلام والذي يظهر من سياق كلامه أن السجود إذا كان سجود عبادة فهو كفر، وإذا كان السجود سجود شئ فهو من باب سجود الدلائلة لأن تسمية الله وسجود لغيره يعقوب لبوسه، على السلام كما هو معروف ومذكور.

وقال تعالى:

﴿لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [البقرة الآية ١٨]

وليس المراد من الدعاء العبادة، كما قاله المفسرون، بل هو الاستعانة لقوته تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ قَدْ كُنْتُ خَائِفاً﴾ [الأنعام الآية ٢٤]

ومنها: أنهم كانوا يسمون بعض شركائهم سات الله وأسماء الله، تنهوا عن ذلك تشديداً، وقد شرحنا مره من قبل.

ومنها: أنهم كانوا يتخذون أخبارهم ورهائهم أرباباً من دون الله تعالى، بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن ما أحله هؤلاء حلال لا بأس به في نفس الأمر، وأن ما حرمه هؤلاء حرام يؤخذون به فور نفس الأمر، ولما نزل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ وَصَّيْنَاهُمْ﴾ [البقرة الآية ١٧٥]

سأل علي بن حاتم رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «كانوا يجعلون لهم أشياء فيستحلونها ويحرمون عليهم أشياء فيحرمونها».

وسر ذلك أن التحليل والتحریم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت أن الشيء القلاني يؤخذ به أو لا يؤخذ به، فيكون هذا التكوين سبباً للمواخاة وبركها، وهذا من صفات الله تعالى، وأما سبب التحليل والتحریم إلى النبي ﷺ فيعني أن قوله إمارة قطعية لتحليل الله وتحريمه، وأما تستنها إلى المحتهين من أمته فيعني روايتهم ذلك عن الشرع من نص الشارع أو استنباط معنى من كلامه.

واعلم أن الله تعالى إذا بعث رسولا وثبت رسالته بالمعجزة، وأحل على لسانه بعض ما كان حراماً عندهم: روجد بعض الناس في نفسه انجراماً^(١) عنه، وبقي في نفسه ميل إلى حرمة لما وجد في ملته من تحريم، فهذا على وجهين: إن كان لفرده في نبوت هذه الشريعة، فهو كافر بالشئ. وإن كان لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريماً لا يحتمل النسخ لأجل أنه تبارك وتعالى صنع على عبده خلقاً الأقوية، أو صار فانياً في الله باقية به، فصار به من فعل أو كراهية له مستوجباً لعزم^(٢) في ماله وأمله، فذلك مشرك بالله تعالى، كُتِبَ لغيره عظمٌ رسيخاً مقدسين وتحليلاً وتحريماً مقدسين.

ومنها: أنهم كانوا يقرّبون إلى الأصنام والنجوم بالذبح لأجلهم، إما بالإهلال^(٣) عند الذبائح بأسمائهم، وإما بالذبح على الأصنام المخصوصة لهم، فهو عن ذلك.

(١) بتقديم الحيز على العلم وبالمعنى بمعنى الاستعانة والمخافة.

(٢) نقص.

(٣) ذكر اسم القسم.

ومنها: أنهم قالوا يُنْتَبِهُونَ النواصب والباحثين نعتياً إلى شركائهم، فقال الله تعالى:

﴿مَنْ حَقَّلَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ ذَا شَأْنٍ﴾ [المائدة: 103]

ومنها: أنهم كانوا يعتقدون في أناس أن أسماءهم مباركة معصية، وكانوا يعتقدون أن الحظف بأسمائهم علم الكذب يسوجب حرماً في ماله وأهله فلا يُقِيمُونَ عَلَى ذَلِكَ، ولذلك كانوا يستحلون الخصوم بأسماء المشركين بزعمهم، فهذا عن ذلك وقال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». وقد فسره بعض المحدثين على معنى التغليب والتهديد، ولا أقول بذلك، وإنما المراد عندي التبعين المتعقدة والبعين الغموس باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا.

ومنها: الحق لغير الله تعالى، وذلك أن بقصد مواضع مبركة مخصصة بشركائهم تكون الحلول بها نعتياً من هؤلاء، فهي الشرع عن ذلك، وكان النبي ﷺ: «لا تعدد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد».

ومنها: أنهم كانوا يسمون آباءهم عبد العزى وعبد شمس ونحو ذلك، فقال الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَحِمَتِي عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ إِنَّهَا لَا يَلْحَقُ الْكَافِرَ مِنْهَا شَيْءٌ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ يَدْعُونَ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبِيَاءَهُمْ قَتَلُوا اللَّهُ عَنَّا يُفَرِّقُونَ﴾ [الأعراف: 31، 32، 33].

وجاء في الحديث أن حواء سألت والده عبد الله عن ذلك من وهي للشيطان. وقد ثبت في أحاديث لا تحصى أن النبي ﷺ عُيِّرَ بأسماء أصحابه عبد العزيز وعبد شمس ونحوها إلى عبد الله وعبد الرحمن وما أشبههما، فهذه أنبياء وفوارب لأشرك نهي الشارع عنها لكونها فوارب لله، والله أعلم.

❁ باب الإيمان بصفات الله تعالى ❁

اعلم أن من أعظم أنواع إيمان الإيمان بصفات الله تعالى واعتقاد اتصافه بها، فإنه يضح بآناً بين هذا العبد وبينه تعالى، ويؤيده لاكتشاف ما هنالك من المجد والكرام.

واعلم أن الحق تعالى أَعَزُّ من أن يقاس بمقتول أو محسوس، أو يحل في صفات حلول الأعراض في محلها، أو تدلجه العقول العامية، أو تناوله الألفاظ العرفية.

ولا يد من تعريفه غير الناس، فيكملوا كمائهم الممكن لهم، فوجب أن تستعمل الصفات بمعنى وجود غائبا، لا بمعنى وجود مباديها، فمعنى الرحمة إفاضة النعم، لا انطاف القلب والرحمة، وأن شعاع ألفاظ تدل على تسخير الملائكة لخدمته لتخيره لجميع الموجهات، إذ لا عبارة في هذا المعنى أنصح من هذه، وأن تستعمل تشبيهات بشرط ألا

يقصد إلى أنفسهم بل إلى معانٍ متناهية لها في المعرفة، فيراد بسيط أَيْدِ الجود مثلاً، وبشرط ألا يوهم المخاطبين زبهاً صريحاً أنه في الثوات البهيمية وذلك يختلف باختلاف المخاطبين، فيقال: يرى ويسمع، ولا يقال: يذوق ويلمس، وأن يسمى إفاضة كل معانٍ متفعة في أمر باسم، كتركواق والعمود، وأن يسلب عنه كل ما لا يليق به، لا سيما ما لهج^(١) به الظالمون في حقد، مثل سم قبيح ولم يولد، وقد أجمعت الملل السائرة قاطبها على بيان الصفات على هذا الوجه، وعلى أن تستعمل تلك العبارات على وجهها، ولا يبحث عنها أكثر من استعمالها، وعلى هذا مصت المروء المشهود لها بالخبر.

ثم خاض طائفة من المسلمين في انبحث عنها وفحقيق معانيها، من غير نص ولا برهان قاطع، فذل النبي ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْمَخْلُوقِ»^(٢). وقال ﷺ في قوله تعالى: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أُنْتَهَىٰ» ﴿١٧﴾ «فَتَجِدُ الْآيَةَ»^(٣).

والصعاب ليست يستلوفات مُحَذَّثَات، والتفكر فيها إنما هو أن الحور كيف انصف بها، فكان تفكيراً في الخالق. قال الترمذي في حديث: «يد الله علوي»، وهنا الحديث قال الأئمة يؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يترجم. هكذا قال غير واحد من الأئمة، منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن عينة، وابن المبارك: أنه تروى هذه الأسماء، ويؤمن بها، ولا يقال: كيف. وقال في موضع آخر: إن إحصاء هذه الصفات كما هي ليس ينشبه، وإنما التشبيه أن يقال: شئع كسمع ويقر كعصر. وقال الحافظ ابن حجر: لم يقل من النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة من طريق صحيح المصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك، يعني التشابهات، ولا السمع من ذكره.

ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتلخيص ما أنزل إليه من ربه ويترنل عليه: «الَّذِينَ كُنْتُمْ لَكُمْ رِبِّكُمْ» (هـ: ١٧) ثم يترك هذا الباب فلا يسر ما يجوز سببه إليه تعالى مما لا يجوز، مع حقه على التلخيص عنه بقوله: «لِيُبَيِّنَ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ»، حتى يفتوا أقواله وأفعاله وأحواله وما قبل بحضرة، فدل على أنهم انفقوا على الإيهام به على الوجه الذي أراد الله تعالى منها.

(١) خلق.

(٢) الحديث من «رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن قوماً تفكروا في الله ما وجدوا له في القرآن شيئاً، فتكلموا في خلق الله ولا تفكروا في الله، فأنكروا أن يخلقوا قوماً، قال لهما: رواه أبو نعيم في حلية يوسف شعبة، ورواه الاسفندي في «الوغي» والزهري في «مسند» لمع من رواه أبو الشيخ كذا، وهو على ما صحح الحديث.

(٣) هذا الحديث لم يثر عليه في كتاب من كتب السنة الصحيحة.

وأوجب تنزيهه عن مشابهات السموات بموته.

(إِنْس كَيْتِيلُو: شِقْ: ٢) [طهوي: الآية ١١].

فمن أرجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سيفهم^(١) اهـ.

أقول: ولا فرق بين السمع والبصر والقدرة والفصح والكلام والاستواء. فإن المصنوع عند أهل الفساد من كل ذلك غير ما يليق بجناب القدس، وهل في الضحك استحالة إلا من جهة أنه يستدعي القبح، وكذلك الكلام؟ وهل في البطن والنزول استحالة إلا من جهة أنهما يستدعيان اتيد والرجل؟ وكذلك السمع والبصر يستدعيان الأدن والعيى؟ والله أعلم.

واستدل هؤلاء المخاضون على معشر أهل الحديث، وشيوخهم نجاسة ومثيية، وقالوا: هم المستترون بالملكفة

وقد وصح عليّ وضوحاً بآ أن استطائهم هذه ليست شيء، وأنهم مضطرون في مقالهم رواية ودراية، وعاطون في طعمهم آنية الهدى.

وتفصيل ذلك أن ههنا مقامين:

أحدهما: أن الله تبارك وتعالى كيف اتصف بهذه الصفات؟ وهل هي زائدة على ذاته أو عين ذاته؟ وما حقيقة السمع والبصر والكلام وغيرها؟ فإن المصنوع من هذه الألفاظ مادي أم أي غير لائق بجناب العادى.

والحق في هذا المقام أن النبي ﷺ لم يتكلم فيه بشيء، بل حجب^(٢) أمته عن التكلم فيه والبحث عنه، فليس لأحد أن يقيم علوه ما حجب.

والثاني: أنه أي شيء يجوز في شرع أن نصفه تعالى به؟ وأي شيء لا يجوز أن نصفه به؟

والحق أن صفاته وأسماءه توافيق، بمعنى: أنا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشرع بيان صفاته تعالى عليها، كما حررنا في حشر الباب، لكن كثيراً من الناس لو أبيع لهم الخوض في الصفات لفسدوا وأضلوا، وكثيراً من الصفات وإن كان الوصف بها جائزاً في الأصل، لكن قوماً من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محلها، وشاع ذلك فيما بينهم، فكان حكم الشرع التي عن استعمالها دفعاً لتلك المفسدة، وكثيراً من الصفات يوجب استعمالها على قواها خلاف المراد، فوجب الاحتراز عنها.

فلهذه الجحيم جعلها شرع توفيقية، ولم يبح الخوض فيها بالترأي.

(١) أي: قول ابن حجر.

(٢) حجب: منع وحجب.

وبالجملة: فالضحك والفرح والتبشيش والغضب والرضا يجوز لنا استعمالها، والبهاء والخوف ونحو ذلك لا يجوز لنا استعمالها، وإن كان المأخذان متقاربين، والسأله على ما حققناه، معتقدة بالعقل والنفس لا يحوم الباطل من بين يديها ولا من خلفها، والإطالة في إبطال أقوالهم ومذاهبهم هنا موضع آخر غير هذا الموضع.

ولما أن نشرها بيمين هي أقرب وأوفق مما قالوا بإثبات⁽¹⁾، لأن تلك الممدني لا يمين القول بها، ولا يضطر الناظر في الدليل العقلي إليها، وأنها ليست راجعة على غيرها، ولا فيها تزيئة بالنسبة إلى ما عندها، لا حكماً: بأن مراد الله ما نقول، ولا إجماعاً: على الاعتقاد بها والإذعان بها، هيئات ذلك.

فتقول مثلاً: لما كان بين يديك ثلاثة أنواع: حي وميت وجماد، وكان الحي أثرب شيئاً بما هناك لكونه عالمًا مژزراً في الخلق وجب أن يسمى حياً.

ولما كان العلم عندنا هو الانكشاف، وقد انكشفت عليه الأشياء كلها بما هي مدمجة في ذاته، ثم بما هي موجودة تفصيلاً، وجب أن يسمى علماً.

ولما كانت الرؤية والسمع انكشافاً قائماً للغيريات والمستوعبات، وذلك هناك بوجه اتهم، وجب أن يسمى بصيراً مسمى.

ولما كان قولنا: (أراد فلان) إنما نعني به حاجس عزم على فعل أو ترك، وكان الرحمن بفضل كثيراً من أفعاله عند حدوث شرط أو استعداد في العالم، فيوجب حد ذلك ما لم يكن واجباً، ويحصل في بعض الأحيان⁽²⁾ انشامفة إجماع بعد ما لم يكن بإذنه وحكمه، وجب أن يسمى مريداً. وأيضاً فالإرادة الواحدة الأزنية الذاتية المضرة باقتضاء الذات لما تعلقت بالعالم بأسره مرة واحدة، ثم جاءت الحوادث يوماً بعد يوم، صح أن ينسب إلي كل حادث حادث على حدته، ويقال: أراد كذا وكذا.

ولما كان قولنا: (قدر فلان) إنما نعني به أنه يمكن له أن يفعل، ولا يصد من ذلك سبب خارج، أما إثبات أحد المقدورين من القادر فإنه لا ينتهي اسم القدرة، وكان الرحمن قادراً على كل شيء، وإنما يؤثر بعض الأفعال دون أفعاده لعنايته واقتضائه الذاتي، وجب أن يسمى قادراً.

ولما كان قولنا: (كلم فلان فلاناً) إنما نعني به إقاصه المعاني المرافة متروكة باللفاظ دالة عليها، وكان الرحمن ربما يفرض على عبده علوماً ويفرض معها اللفاظ متعلقة في حياله دالة عليها، ليكون التعليم أصح ما يكون، وجب أن يسمى متكلماً.

(1) الحي الظاهر.

(2) أي: الممكنة، والاشافقة العلمية.

فَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْ بِمَنْزِلَةٍ إِلَّا مَحْفُوفَةً عَلَيْهِ سُرُورًا وَأَلْقَاهُ فِي ضُلَالٍ مُبِينَةٍ﴾ (الشورى الآية 51).

فانزحني من: الضيق في المروج برفيا، أو ضللت عظم ضروري عند توجهه إلى الغيب، (من زكاه يذكرك) أن يسمع كلاماً منظوماً كأنه سمعه من خارج ولم ير قائله، (أو يزيل رُسُولا). فيمثل المثل له، وربما يحصل عند توجهه إلى الغيب ونقهار الحواس صوت صلصلة الجرس⁽¹⁾، كما قد يكون عند عرض القش من رؤية أنوار حمر وسود.

ولما كان في حظيرة القدس نظام، مطلوباً إقامة في البشر، فإن وقفوا لحقوا بالعلما الأعلى وأخرجوا من المظلمات إلى نور الله ووسطه وألهموا في أنفسهم، وألهمت كمالها ونور آدم أن يحدتوا إليهم، لأن خالفوا باينوا من الملا الأعلى، وأصبوا بفضة منهم، وغلبوا بسحر ما ذكروا، رجب أن يذل وجهن وشكر، أو سخط ولعن، والكل يرجع إلى جريان العالم حسب مقتضى المصاحفة، وربما كان من نظام العالم خلق المدعو إليه، فيقال: استجاب الدعاء، ولما كانت البرية في استعمالها اكتشاف العربي أتم ما يكون، وكان الناس إذا انطلقوا إلى بعض ما وعدوا من الصدق اتصلوا بالتحلي الثقات وسعد عالم المال ورؤوه رأي عين بأجمعهم، وجب أن يقال: إنكم تنرون كما تنرون القبول لينة البدر، والله أعلم.

❁ باب الإيمان بالقدر ❁

من أخص أنواع المير الإيمان بالقدر، وذلك أنه به يلاحظ الإنسان التدبير الواحد الذي يجمع العالم، ومن اعتقده على وجهه يصير طامع البصر إلى ما عند الله، يرى الدين وما فيها كالظن له، يرى احتيا المباد من قضاء الله كالصورة المنصبة في المرأة، وذلك بعد له - لاكتشاف ما متناك من التدبير الواحداني، ولو لمي انعقاد - أتم إعداده، وقد نبه النبي ﷺ على عظم أمره من بين أنواع البر حيث قال: «من لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فلنا بري، منه» وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه».

واعلم أن الله تعالى سئل عنه الأذلي الداني كل ما وجد أو سيجد من انحرافات، نحاول أن يخالف عنه عن شيء أو يتحقق غير ما علم، فيكون دليلاً لا علماً، وهذه مسألة شسول العلم وليست بمسألة القدر، ولا يخالف فيها فرقة من الفرق الإسلامية، إننا

(1) هو يفتح طصلين قصود الاعتدال الذي يسمع ولا يثبت أول ما يفرغ سماء حتى يفهم بعد، والجرس يفتحت ما يعلق بطن الدابة في السدل، والله به سوره ملك من جهة القوة والطين.

القدر^(١) - الذي قلت عليه الأحاديث المستفيضة، ومضر عليه السيف الصالح، ولم يوفق له إلا المحققون، ويُسَّجَّه عليه أسْوَال بأنه متنازع مع التكليف، وأنه فيم العمل - هو انقصر المَلْزَم الذي يوجب الحوادث قبل وجودها، يوجد ذلك للإيجاب. لا يدفعه هرب، ولا تنفع منه حيلة. وقد يقع ذلك^(٢) خمس مرات:

فأولاهما: أنه أجمع في الأول أن يوجد انعدام على أحسن وجه ممكن مراعيًا للمصالح، مؤثراً بما هو الخير النسبي حين وجوده، وقاد علم الله ينتهي إلى تعيين صورة واحدة من الصور لا يشاركها غيرها، فكانت الحوادث سلسلة مترتبة، مجتمعاً وجودها، لا تُفَلِّقُ على كثيرين، فإزاحة إيجاد العائِم من لا تخفى عليه خاصة هو عينه نخصص صورة وجوده إلى آخر ما ينجر إليه الأمر.

وثانيها: أنه قبل العقادير - ويرى أنه كتب مفادير الحقائق كلها، والمعنى واحد - قبل أن يخلق السموات والأرض بخصمين ألف سنة، وذلك أنه خلق لخلق حسبه العناية الأزلية في خيال^(٣) المرمر، مصوّر هباتك جميع العصور، وهو المعبر عنه بالذكر في الشرائع، فتخلق ذلك مثلاً صورة محمداً ﷺ. ويُفَعِّلُهُ إلى الخالق في وقت كذا. وينتار له، وإنكار أي نهى وإحاطة الخطيئة بنفسه في الدنيا، ثم اشتعال النار عليه في الآخرة، وهذه الصورة سبب لحدوث الحوادث على نحو ما كانت هناك، كآثار الصورة المنتشرة في أنفسنا في زلق الرجل على الجذع الموضوع فوق الجدران، ولم تكن لتزلق لو كانت على الأرض.

وثالثها: أنه لما خلق آدم عليه السلام ليكون أباً للبشر وليبدأ منه نوع الإنسان، أحدث في عالم المثال مرور بينه ومثلي سعادتهم وشقاوتهم بالمرور والظلمة، وجعلهم يحبث يكلفون، وخلق فيهم معرفته والإشبات له، وهو أصل الميثاق المدسوس^(٤) في بطونهم، فيؤاخذون به وإن نسوا الواقعة، إذ المنصوم المخلوقة في الأرض إنما هي ظل الصور الموحدة يومئذ، فمدسوس فيها ما كُمرَ يومئذ.

ورابعها: حين نفع الروح في الجنين، فكذلك أن الزواة إذ التقيت في الأرض في وقت مخصوص وأحاط بها تدبير مخصوص، فليَمِ القَطْبُ على خاصية نوع النخل وخدمية تلك الأرض وذلك الماء والهواء أنه يُخَسَّنُ نباتها، ويتحقق من شأنه على بعض الأمر، فكذلك تلقى الملائكة المندبرة يومئذ، ويتكشف عبيهم الأمر في: عمرو، ورزقه وهل يعمل عمل من غلبت ملكيته على يومئذ؟ أم بالعكس؟ وأي نحو تكون سعادته وشقاوته؟

(١) ببسأ حيزه قوله النبي: هو القدر.

(٢) أي القدر.

(٣) أي المعنى.

أما حجابهم بهر أنهم لم يهندوا إلى موطن بين لحمي الأعظم وبين اللحم الأعلى،
شبه السحاج القديم بالخمر، والله المثل الأعلى، في هذا الموطن يتمثل إجماع عمر
شيء استوجب علوم الملا لأعني وهياتهم بعد ما كان مستوي الفعل والترك في هذا
الموطن.

وأما التحفة عليهم فهي: أن الموجد ما يحسن بداهة ثم يبدد ويناول الفلم مثلاً.
وهو في ذلك مريد فاصد، يسوي بالسنة إلى الفعل والترك بحسب هذا التقيد وبحسب
هذه الطرق المنتجة في نفسه. إن كان كل شيء بحسب المصلحة الفوقانية إما واجب
الفعل أو واجب الترك، فكذلك الجار في كل ما استرجع استعداد خاص، فيترك من يرد
النور نوراً، الصور^(١) على الصور المنتجة لها^(٢) الاستجابة عقيب، فإعداد هذا فيه دخل
للموجد حادث موجه من الرجوع.

وبذلك نقول: هذا جهل بوجود الشيء بحسب المصلحة الفوقانية، فكيف يكون في
موطن من موطن الحق؟

فأقول: حاش لله، من هو علم وإيقاع الحق هذا الموطن، إنما الجهل أن يقال ليس
بواجب أصلاً. وقد نفت الشرائع الإلهية هذا الجهل حيث أمنت الإيمان بالضرر. وأن
أصابت لم يكن يخطئك. وما أعطاك لم يكن يُفْسِك. وأنا إذ نيل^(٣) يصح فعله وتركه
بحسب هذا الموطن، فهو علم حق لا محالة كما أنك إذا رأيت النحل^(٤) من أشفائهم
يقعن الأفعال الفعلية ورأيت الأنثى تفعل الأفعال الأنثوية، فلا حكمك بأن هذه الأفعال
صادرة بتر كحركة الحجر في مدحرجه كذلك، وإن حكمك بأنها صادرة من غير علة
موجبة لها، فلا التعرج الفعلي يوجب هذه الداء ولا التعرج الأنثوي يوجب ذلك،
فكذلك، وإن حكمك بأن الإزادة المنتجة في أنثىها تحكي وجوباً موقئاً وتعتمد عليه،
وأنها لا تصور نوراً استقلالاً، كأن ليس وراء ذلك مرمز، فقد كذبت، بل الحق اليقيني
أن بين الأمرين، وهو أن الاختيار معلوم لا يتخلف عن علة، والفعل المبرر^(٥) هو
الحق، ولا يمكن ألا يكون، وبكى هذا الاختيار من شأنه أنه ينتهج بالنظر إلى نفسه ولا
ينظر إلى ما فوق ذلك، فإن أدبت حق هذا الموطن وقت: أجد في نفسي أن الفعل والترك
كأن مستويين، وأني اخترت الفعل فكان لاختيار علة لفعله، صدقت وبزوت، فأخبرت
الشرائح الإلهية عن هذه الإرادة المنتجة في هذا الموطن.

وبالجملة: فقد ثبت إرادة يَجِدُ تَمَقُّها، وثبت المعجزة في انبثاقها والاعتراف. وثبت

(١) أي، مثل ذلك.

(٢) أي، أو الفهم.

أذن مدبر العالم مُدبر العالم بإيجاب شريعة يسلكونها، لِيَتَنَفَعُوا بِهَا، فكان الأمر شبيهاً بأن السيد استخدم عبده، وطلب منهم ذلك، ووضي عمن خدم وسخط على من لم يخدم، فنزلت الشرائع الإلهية بهذه العبارة لئلا نذكرنا أن الشرائع تنزل في الصفات وغيرها بعبارة ليس هنالك أنصَح ولا آيِن للحق منها، أكانت حقيقة لغوية أو مجازاً متعارفاً، ثم مكنت الشرائع الإلهية هذه المعرفة النافذة من نفوسهم بثلاثة مقامات مسلَّمة عندهم جارية مجرى المشهورات البدئية بينهم.

أحدها: أنه تعالى مَنَّيْم، وشكر النعم واجب، والعبادة شكر له على نعمه.

والثاني: أنه يجازي المُغْرِضِينَ هذه الثارِكين لعبادته في الدنيا أَشدَّ انجزاء.

والثالث: أنه يجازي في الآخرة المطيعين والعاصين.

فاتبعت من هنالك ثلاثة علوم: علم التذكير بآلاء الله، وعلم التذكير بأيام الله، وعلم التذكير بالمعنى، فنزل القرآن العظيم شرحاً لهذه العلوم.

ولأننا عَظَمَتِ العناية بشرح هذه العلوم لأن الإنسان خلق في أصل فطرته مُيَلَّ إلى بارئه جلَّ مجده، وذلك الميل أمر دقيق لا يشيع إلا بخليفته ومطلته، وحقيقته ومطلته على ما أثبتته الوجدان الصحيح: الإيمان بأن العبادة حق الله تعالى على عبده لأنه منعم لهم مُجَازٍ على أعمالهم، فمن أفكر الإرادة أو ثبوت حقه على العباد أو أنكر المجازاة، فهو الدمري المقتدر لسلامة فطرته، لأنه أقصد على نفسه مطة الميل القطري الموقوع في طبيئته، ونائه وخليفته والمأخوذة مكانه.

وإن شئت أن نعلم حقيقة هذا الميل، فاعلم أن في روح الإنسان لطيفة نورانية تميل بطبيعتها إلى الله عز وجل ميل الحبيب إلى الصغابيس، وهذا أمر مدرك بالوجدان، فكل من آمن في الضمير من لطائف نفسه، وعرف كل لطيفة بحالها، لابد أن يدرك هذه اللطيفة النورانية ويلتزم ميلها بطبيعتها إلى الله تعالى، ويسمى ذلك الميل عند أهل الوجدان بالمحبة الذاتية، مثلاً كمثل سائر الوجدانيات لا يُقْتَضَى بالبراهين، كجموع هذا الجائع وعطش هذا العطشان، فإذا كان الإنسان في غاشية من أحكام لطائفه السفلية كان بمنزلة من استعمل مخدراً^(١) في جسمه، فلم يحس بالحرارة والبرودة، فإذا هدأت لطائفه السفلية عن المزاحمة، إنا بموت اضطراري بوجب تناثر كثير من أجزاء نَسْنَتِه ونقصان كثير من خواصها وقواها، أو بموت اختياري وتمسك حبل عجيبة من الرياضات النفسانية والبدنية، كان كمن زال المخدر عنه، فأدرك ما كان عنده وهو لا يشعر به، فإذا مات الإنسان وهو غير عاقل على الله تعالى، فإن كان عدم إقباله جهلاً بسيطاً وقعداً ساذجاً، فهو شقي محسب

(١) أي مُضْمِراً ومُفْتَرّاً.

الكمال النوعي، وإن يكشف عليه بعض ما هالك، وقد لا يتم الانكشاف لتعدد استعداده، فبقي حائراً مبهوئاً، وإن كان ذلك مع قيام هيئة مضادة في قووه الملمسة أو الملمسة كان فيه تجاذب، فأنجذبت النفس الناطقة إلى صقع⁽¹⁾ الحبروت، والشسمة بد كسب، من الهيئة المضادة إلى السفل، فكانت فيه وحشة ساطعة من جوهر النفس مبسطة على جوهرها، وربما أوجب ذلك تمثيل رافعات هي أشباح الوحشة، كما يرى الفصفاوي في منامه اليرقان والشغل، وهذا أصل تروجه حكمة معروية للنفس، وقد أيضاً فيه تحديد غضب من السمل الأعلى يوجب إلهامات في قلوب الملائكة وغيرها من ذوات الاختيار أن تعذبه وتؤلمه. وهذا أصل توجع معرفة أسباب الخصرات والدواعي الناشئة في نفوس بني آدم.

وبالجملة: فالتعليل إلى صنيع الحبروت ووجوب العمل بما يغتفر وثاقه من مزاحمة اللطائف السفلية والسواخذة على ترك هذا العمل، بمنزلة أحكام الصورة النوعية وهونها وآثارها الفاتخة في كل فرد من أفراد النوع من باري الصور ومفيض الوجود وفق المصلحة الكلية، لا باستصلاح البشر والتزامهم على أنفسهم وحريون، منهم بذلك فقط.

وكل هذه الأعمال هي الحقيقة حق هذه الطبيعة السردية المتجذبة إلى الله وتوفير مقضاها واصلاح عوجها، ولما كان هذا المعنى دقيقاً وهذه الطبيعة لا تدركها إلا شرومة⁽²⁾ قبيلة، وجب أن ينسب الحق إلى ما إثبه مالت وإياه قدسات ونحوه انتجت، كأن ذلك تعيين لبعض قوى النفس شيء مالت من جهة، وكأن ذلك اختصار قولنا حق هذه الطبيعة من جهة ميلها إلى الله، فخرلت الفرائع الإلهية كمشقة عن هذا السر بعبارة سهلة يفهمها البشر بعلومهم الفعرية، يحطبه سنة الله من إزوال المعاني الدقيقة في صور مناسبة لها بحسب الشأء العالي، كما يتلقى واحد منا في منامه معنى مجرداً في صورة شيء ملازم له في العادة أو نظيره وشبهه. فقبل: العبادة حق الله تعالى على عباده، وعلى هذا ينبغي أن يفسر حق القرآن، وحق المسمون، وحق النبوي، وحق التوالتين، وحق الأرحام، تكل ذلك حق نفسه على نفسه. لتكمل كمالها، ولا تعرف على نفسها جهواً، ولكن نسب الحق إلى من معه هذه المعاملة، ومنه المعطاة، فلا تكن من الواقعين على الظواهر، بل من المحققين للأمر على ما هو عليه.

❁ باب تعظيم شعائر الله تعالى ❁

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِمْ لُجْمًا فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسٍ فَتَرَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ عَنَقَبًا﴾ [الحج: ٣٠] .

اعلم أن مبنى الشرائع على تعظيم شعائر الله تعالى^(١)، والتقرب بها إليه تعالى، وذلك لما أومأنا إليه من أن الطريقة التي نصبها الله تعالى للناس هي محاكاة ما في صفح التجرد بأشياء يقرب ناولها للبهيمية، وأعني بالشعائر أموراً ظاهرة محسوسة جُوبِلَتْ لِتُجَبِّدَ الله بها، واختصت به حتى صار تعظيمها عندهم تعظيماً لله، والتفريط^(٢) في جنبها تفريطاً في جنب الله، ووُكِّدَ ذلك في صميم قلوبهم لا يخرج منه إلا أن تقطع قلوبهم.

والشعائر لما تصير شعائر يهيج طبعي، وذلك أن تطعن قلوبهم بعبادة وعصاة، وتصير من المشهورات الفالعة التي تلحق بالبهيميات الأولية ولا تقل التشكيب، فمعد ذلك تظهر رحمة الله في صورة أشياء تستوجبها قلوبهم وعلومهم الفالعة فيما بينهم، فيغيرونها، وتكشف الغطاء عن حقيقتها، وتبلغ الدعوة الأفاني والأقاصي على السواء، فعند ذلك يكتب عليهم تعظيمها، ويكون الأمر يعتزلة الحالف باسم الله يُصَوِّرُ في نفسه التفريط في حق الله إن حدث، فيؤاخذ بها بضم، وكذلك هؤلاء يشتهر فيما بينهم أمور تنافوا لها علومهم، فيوجب انقياد علومهم لها ألا تظهر رحمة الله بهم إلا فيما اتفادوا له، إذ مبنى التدبير على الأسهل فالأسهل، ويوجب أيضاً أن يؤاخذوا أنفسهم بأقصى ما عندهم من التعمظيم، لأن كمالهم هو التعمظيم الذي لا يشوبه إهمال، وما أوجب الله تعالى شيئاً على عباده لفائدة ترجع إليه، تعالى عن ذلك هملوا كبيراً، بل لفائدة ترجع إليهم، وكانوا بحيث لا يكملون إلا بالتعظيم الأقصى، فأخطوا بما عندهم، وأمروا ألا يفرطوا في جنب الله، وليس المقصود بالذات في العناية التشريعية حال فرد، بل حال جماعة كأنها كل الناس، والله الحجة البالغة.

ومعظم شعائر الله أربعة: القرآن، والكعبة، والنبي، والصلاة.

أما القرآن: فكان الناس شاع فيما بينهم وسائل الملوك إلى رعاياهم، وكان تعظيمهم للملوك مساوفاً^(٣) لتعظيمهم للرسائل، وشاعت صحف الأنبياء وصفات غيرهم، وكان تَعَدُّهُمْ لِمَعَادِهِمْ مساوفاً لتعظيم تلك الكتب وتلاوتها، وكان الانقياد لعلوم وتلقاها على سر المدحور بدون كتاب يُكَلِّى ويُرَوِّى كالحال بإدبي الرأي، فاستوجب الناس عند ذلك أن تظهر رحمة الله في صورة كتاب نازل من رب العالمين، ورجب تعظيمه، فنه: أن يمتنعوا

(١) جمع شعيرة وهي المعلم التي دعا الله إليها وأمر بالتقيد عليها. وقيل: هي كل ما كان من أعمال الحج والاولى حسب.

(٢) أي: التفسير، وقوله: في جنب الله، أي: ذلك.

(٣) أي: حطاً.

له ويصنعوا إنفاً قريئاً، ومن أن يبادروا لأوامره كسجدة التلاوة وقالنسيح عند الأمر بذلك، ومن ألا ينسوا المصنف إلا على وضوء.

وأما الكعبة فكانت الناس في زمن إبراهيم عليه السلام تزعجون في بناء المعابد والكنايس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب، وصار عندهم التوجه إلى المجرى غير المحسوس، يدون هيكل يبنى باسمه يكون الحلول فيه والتقليد به تقريباً منه، أمراً محالاً تدفبه عقولهم بإي الرائي، فاستوجب أهل ذلك الزمان أن تظهر رحمة الله بهم في صورة بيت يظفون به، ويضربون به إلى الله، فدعوا إلى بيت وتعظيمه، ثم نشأ قرن بعد قرن حتى علم أن تعظيم مساوئ تعظيم الله، والتفريط في حقه مساوئ للتفريط في حق الله، فعند ذلك وجب خيئة، وأمروا بتعظيمه، فمنه: ألا يظفروا إلا منطهرين، ومنه أن يستقبلوها في صلاتهم، وكرامة استيائها واستدبارها عند الخطأ.

وأما النبي فلم يسم مرسلاً إلا تشبيهاً يرسل الملوك إلى رعاياهم مخبرين بأمرهم ونهيهم، ومن يؤخت عليهم طاعتهم إلا بعد مساواة تعظيمهم لتعظيم التبريل عندهم، فمن تعظيم النبي: وجوب طاعته، وانصلاؤه عليه، وترك الجهر عليه بالقرول.

وأما الصلاة فيُقصد فيها التشبه بحاله عبيد الملك عند توليهم⁽¹⁾ بين يديه ومتاجاهم زياه وخضوعهم له، ولذلك وجب تعظيم الشاه على الدعاء، ومواخاة الإنسان نفسه بالهيات التي يجب مراعاتها عند مناساة الملوك، من ضم الأطراف وترك الانتفات، وهو قوله ﷺ: وإذا كنتم سألين الله فليكن وجهه⁽²⁾ والله أعلم.

باب أسرار الوضوء والغسل

اعلم أن الإنسان قد يُتَكَفَّف من ظلمات الطبيعة إلى أنوار حقيقة القدس، فيغلب عليه تلك الأنوار ويصير ساعاً ما يرى من أحكام الطبيعة بوجه من الوجوه، فيتمسك في سلكهم، ويصير فيما يرجع إلى تجريد النفس كأنه منهم، ثم يُؤَدُّ إلى حيث كان، فينتاق إلى ما يناسب حاله الأولى ليختمه عند فقداءه، ويجمعه شركاً لاقتصاص الفات منها، فيجد بهذه الصفة حالة من أحواله، وهي اسرور والاشراج الحاصل من حشر الرجز واستعمال المنظومات، فيحضر عليها بنواجده. وتلوو إنسان سمع المعبر الصادق يخبر بأن هذه الحالة

(1) أي: فيلهم.

(2) أي: بسببه وجهه ويقينه. وشره قنزم السكينة والطمح في الصلاة لأن السكينة يكون بمنزلة هذه السكينة منجياً يناد. وتعلم من الله على وجهه، فلهذا به أن قلنا أن قوله شاهد وجهه.

كمال الإنسان، وأنه ارضاعها منه بول، وأن فيها فوائد لا تحصى، فصدقته بشهادة قلبه، ففعل ما أمر به، فوجد ما أعبر به حقاً، ومُنحت عليه أبواب الرحمة، وانصغ بصيغ الملائكة. ويتلو رجل لا يعلم شيئاً من ذلك، لكن قاده الأنبياء وأنجوزوا إلى عيات تعدله في معاده فلا تلاك في سلك الملائكة، وأولئك قوم خُيروا بالسلاسل إلى الجنة.

والحدث الذي يُحسُّ أثره في النفس باوحي الرأي، والذي يلين أن يخاطب به جمهور الناس - لاتضباط مظانه، والذي يكثر وقع مثله، وفي إعمال تعليمه ضرر عظيم بالناس - منحصر استغراؤه في جنسين:

أحدهما: اشتغال النفس بما يجد الإنسان في معدته من الفضول الثلاثة الريح والبول والغائط، فليس من البشر أحد إلا ويعلم من نفسه أنه إذا وجد في بطنه الريح أو كان حافياً حافياً خَبِثَتْ نفسه، فاحذت⁽¹⁾ إلى الأرض، وحبوات كالحايزة المبقية، وكان بينها وبين انشراحها حجاب، فلما انفطعت عنه الريح وتلغفت عنه الأختنان واستعمل ما يبسه نفسه للطهارة، كالتسل والرضوء، وجد انشراحاً وسروراً، وصار كأنه وجد ما فقد.

والثاني: اشتغال النفس بشهوة الجماع وغوصها فيها، فإن ذلك يصرف وجه النفس إلى الطبيعة البهيمية بالكلية. حتى إن البهائم إذا ارتبخت وُترت على الآداب المطلوبة، والجوارح⁽²⁾ إذا دُلَّت بالجوع والسهر وتلغفت إسماك الصيد على صاحبها، والطور إذا تُلَّت بمحاكاة كلام الناس، وبالجملة: كل حيوان أُلغى الجهد في إزالة ما له من طبيعته واكتسب ما لا تقتضيه طبيعته، ثم نفس هذا الحيوان شهوة نرجه وعافى⁽³⁾ الإثاث وغاص في تلك اللذة أياماً لا بد أن ينسى ما اكتسبه ويرجع إلى صبه وسهل وضلان.

ومن تأمل في ذلك علم لا محالة أن قضاء هذه الشهوة يؤثر في تلويث النفس ما لا يؤثر شيء، من كثرة الأكل والمخامرة وسائر ما يُبيل النفس إلى الطبيعة البهيمية، ولجرب الإنسان ذلك من نفسه، وليرجع إلى ما ذكره الأطباء في تلبيير الرعيان المتقضمين إذا أريد إرجاعهم إلى البهيمية.

والطهارة التي يُحسُّ أثرها باوحي الرأي، والتي يلين أن يخاطب بها جمهور الناس لكثرة وجوداتها في الأقسام المسمومة، أعني النساء، والضباط أمرها، والتي هي أرفع المظاهرات في نفوس البشر وكائنات المسمومة المشهورة بينهم مع كونها كالمذهب الطبيعي، منحصر بالاستقرار في جنسين: صغرى وكبرى.

(1) أي: حبست. وقوله: الأختنان أي: البول والغائط.

(2) قوله: الجوارح، أي: لطهور وغدولب فهي تصيد.

(3) أي: سلس ولاس ولاص.

أما الكبرى: فتعظيم لندن باحسب والعدا، إذ الماء الظهور حزيل للنحاسات قد
 سُفِّدَ الضياع منه ذلك فهي أمة صالحة تشبه النفس على خلة^(١) الظهارة، وارت إسان
 شرب الخمر رشم. غضب السكر على طمعت، ثم مرط منه شرء، من قتل بغير حق أو
 يصادة مائل في غاية النقص، فصبحت أمة ذممة وعقبات، وأُخْبِرَتْ عنها النعامة، وول
 إنسان ضعيف لا يستطيع أن ينهض ولا أن يباشر شيئاً، فالتفت واقعة فيه النفس تنبهاً
 قولاً، من عروص غشيب أو حمية أو مناصرة، فعالج معالجة شديدة وبذلك سفكاً بليماً

وبالحصة: فللمن نخلال دفعي وثبه من خصلة إلى خصلة هو البسطة في المعالجات
 الإنسانية، وإنما يحصل هذا الشيء إما ركز في صميم طبيعتهم وجذر نفوسهم، أنه ظاهرة
 بغيره، وما ذلك إلا الماء.

والنصري: الأتقوا على نفس الأضراف، وذلك لأنها مواضع حثرت العادة هي
 أفعالهم الصالحة بنكساتها وحروبها من الناس، لمذهب لميحي إليه رفعت الإشارة،
 حيث أمر النبي ﷺ من استعمال العمام^(٢)، فلا يتحقق حرج في عليها، وليس ذلك في
 سائر لأقسام، وأيضاً حثرت العادة في أهل الحضرة بتطيفها كل يوم، وعد الدخول على
 المنوك وأضياعهم، وعند قصد الأعمال الطيبة رفقاً ذلك أنها طاعته سرع إليها
 الأوساخ، وهي التي تُرى وتُصَرَّ عند ملاقة الناس بعضهم بعضاً، وأيضاً التجربة شاهدة
 بأن غسل الأضراف، ورش دماء على الوجه والراس يذهب النفس من نحو النوم والغشي
 التعلق تنبهاً بولاً، وليرجع الإنسان في ذلك إلى ما خلد من التجربة والعنه ذاتي ما أمر به
 الأضواء في تنبيه من قلوب عليه أو لمرط به الإسهل والتقص.

ولطهارة باب من أبواب الارتفاق الثاني الذي يتوقف كمال الإنسان عليه وصار من
 جيبهم، وفيها كرم من الملائكة وثمة من الشياطين، وتذفع عذاب القبر. وهو قوله ﷺ
 «استنزهوا من شيل^(٣) كل عامه مذاب فقير منه، ولها مدخل عظيم في قبول النفس لمون
 الإحسان. وهو قوله تعالى:

﴿يُحِبُّ الشَّعْبَةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولما استغرت الطهارة في النفس وتسلكت منها تعرفت فيها شدة من نور الملائكة
 وانظهرت شعبة من طلمة البهيمية. هو معنى كدرة الخدمات وتكفير الخطايا، وإذا جعلت

(١) أي: خصلة. وقوله: أشبه، أي: أخذ فيه الطراب والسكر. والشملة: لثام السكر.

(٢) هو: أن يستعمل الرجل ثوباً ولا يقيم منه عمامة، ويعد على بنيه يدخله أعمامه كما قاله المتن.

(٣) أي: ليس فيها خرق ولا عمام.

(٤) استنزهوا وتطهروا.

رسماً نعت من غوازل⁽¹⁾ الرسوم، وإذا حافظ صاحبها على ما فيها من هيآت يؤاخذ الناس بها أنفسهم عند الدخول على الملوك وعلى لبة المستنصبة والأذكار نعت من سره المعروفة. وإذا عقل الإنسان أن هه كيماء قأداب جوارحه حبساً فقبل من غير داعية حسنة، وأكثر من ذلك - كانت تربية على انقاد الطمعة للنفس، والله أعلم. -

❁ باب فسرار الصلاة ❁

اعلم أن الإنسان قد يُخْتَلَفُ إلى العظيمة المقدسة فيلتصق بجانب الله تعالى أتم لصوق، ويترك عليه من هنالك المجلبات المقدسة فتغلب على النفس، وشاهد هنالك ما لا يقدر اللسان على وصفه، ثم يُرَدُّ إلى حيث كان، فلا يقرُّ به الفوار، فيعالج نفسه بحالة هي أقرب الحالات السفلية من استغراق النفس في معرفة بارئها، ويتخذها شركاً لاقتناص ما ذاته منها، وتلك الحالة هي التضمين والتخضوع والساجدة في صميم أعمال وأقوال تبيت لذلك.

ويثلوه رجل سمح السُخْرَ المصادق يدعوه إلى هذه الحالة ويُرْقِبُ فيها، فصَدَّقَه بشهادة قلبه ففعل، ووجد ما وعد به حقاً، وارتقى إلى ما يرجوه.

ثم يثلوه رجل أنجاه الأنبياء إلى الصلوات وهو لا يعلم، بمنزلة الزوائد يعبرس أولاده على تعليم الصناعات النافعة وهم كارهون، وربما يسأل الإنسان من ربه دفع بلا. أو ظهور نعمة فيكون الأفرح حيثئذ الاستغراق في أفعال وأقوال تعظيمية، لتؤثر سمته التي هي روح السؤال، وتلك ما سرُّ من صلاة الاستسقاء.

وأصل الصلاة ثلاثة أشياء :

أن يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله وعظمته، وأن يعبر اللسان عن ثلث العظمة وذلك التخضوع أنصح عبارة، وأن يؤدب الجوارح حسب ذلك التخضوع. قال الغزالي :

اتلنكنم التَّعْظِماءُ مضي ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب⁽²⁾

ومن الأفعال التعظيمية أن يقوم بين يديه ساجداً ويقبل عليه مراجعاً.

وأشد من ذلك⁽³⁾ أن يستشعر ذله وعزاه ربه فينكسر رأسه، إذ من الأمر الميسر في قاطبة البشر وإيهامهم أن رفع النعني أية التكبير، وتنكسه أية الخضوع والإخبات، وهو قوله تعالى : ﴿ تَلَاكَ أَعْتَقَهُمْ مَا غَيَّبُوا ﴾ [الشورى: ٤٩].

(١) أي بلاد.

(٢) أي اتلنكنم تعالونكم ثلاثة أعضاء متي. والمصراع الثاني من البيت هذه الثلاثة.

(٣) أي من القيام بين يديه.

وأشد من ذلك أن يُعْمَر وجهه - أي هو أشرف أعضائه ومجمع جوانبه - من يديه
 فذلك تكميلات الثلاث العينية شائعة في لطايف البشر، لا يزالون يعنفونهم في
 دنواؤهم وبعده ملوكهم وأمر لهم، وأحسن الصلاة ما كان جامعاً بين الأوضاع الثلاثة مرقبة
 من الأدنى إلى الأعلى لتحصل إترقي في استنباط الخاص والدليل.
 وفي آخره من الفائدة ما ليس في أفراد التعليل الأفضى، ولا في الانحطاط من
 الأعلى إلى الأدنى.

وأما جملة الصلاة ثم الأعمال المُفَرَّقة دون الفكر في عظمته الله ودون الذي انشأه،
 لأن الفكر الصحيح فيها لا ينشأ إلا من قوم مبالغة أقوالهم. وقليل ما هم، رسوا أولئك
 لم يحدوا فيه نسبوا وأطلقوا رأس ماله، فضلاً عن فائدة أخرى.
 والمذكور يدور أن بشره ويعصده حمل تعظمي بعينه مخارج ويمتد في أيها، تلقاً
 حالية عن الغائبة في حق الأكثرين.

أما الصلاة فهي المعجزة السرك.

من: الفكر المصروف تلقاء عطية الله بالتفصيل الكبر والالفاظ التي العائلي من كل
 واحد ولا حرج لصاحب استعداد الخوص في أجرة الشهود أن يخوض. بل ذلك منه ثم
 ثم نبيه.

ومن الأدعية الميمنة إخلاص حملته وتوجيه وجهه تعالى الله وقصر الاستعانة في الله
 ومن: أعمال تعظيمية كالتسجود والركوع والقبول كل واحد عبادة الآخر ومُكْتَمَة والسب
 عنه.

فصارت جامعة لخدمة الناس وخدمتهم، تزياناً قوتي لأشهر، ليكون داخل إنسان منه ما
 استخرجهم أمير المسند.

والصلاة معراج المؤمنين معاً للتجليات الأخيرة، وهو قوله تعالى: «إني سئلتكم
 فإن سئلتكم إلا لتقبلوا»^(١) على صلاة قبل طلوع الشمس وقتل غروبها فقبلوا، وسبب عطية
 نسخة الله ورحمته، وهو قوله تعالى: «اجتبي على نفسك بكثرة السجود»، وحكاية بعض
 أهل الشافعية:

﴿لَمْ يَرِ إِلَّا تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ﴾ (مسند)

ولا تمكث^(٢) من العبد المصجل في عز الله، وتقرت عنه خطياه

(١) - سورة الأعراف - مكيين والاشارة في صلاة السجود والركوع

(٢) - سورة الأعراف

ولا شيء أنفع من سوء المعرفة بها، لا سيما إذا فعلت أفعالها وأقوالها على حضور القلب والنية الصالحة، وإذا جعلت رسماً مشهوراً نفعت من غوائل الرسوم نفعاً بئناً، وصارت شعاراً للمسلم يستبزه من الكافر، وهو قوله ﷺ: «الحمد لله بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»، ولا شيء في تزيين النفس على انقياد الطبيعة للعقل وجعلها في حُكمه مثل الصلاة، والله أعلم.

❁ باب أسرار الزكاة ❁

اعلم أن المسكين إذا عشت له حاجة وتضرع إلى الله فيها بلسان المقال أو الحال، قرع تضرعه باب الجود الإلهي، وربما تكون المصلحة أن يلهم في قلب زكوي أن يقوم بسد خلته، فإذا تغشاه الإلهام وانتبعت رفقته رضي الله عنه وأفاض عليه البركات من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، وصار مرحوماً.

وسألني مسكين ذات يوم في حاجة اضطر فيها، فأؤخشت في قلبي إلهاماً يأمرني بالإعطاء، ويُبشّرني بأجر جزيل في الدنيا والآخرة، فأعطيت، وشاهدت ما وعدني ربي حقاً، وكان قرعه لباب الجود، وانبعث الإلهام، واختاره قلبي يومئذ، وظهور الأجر، كل ذلك بمرأى مني.

وربما كان الإنفاق في تصرف مُنْطَلَقَ لرحمة إلهية، كما إذا انصرفت داعية في الملا الأعلى بتزويده بركة، فصار كل من يتعرض لتمشية أمرها مرحوماً، وتكون تمشيته يومئذ في الإنفاق كغزوة المسرة، وكما إذا كانت أيام نعط، وتكون أمة هي أحوج خلق الله، ويكون المراد إحياءهم.

وبالجملة: فياخذ المخير الصادق من هذه المنطة كُلبَةً يقول: من تصدَّق على فقير - كذا وكذا أو في حافة كذا وكذا - تُقَبَّلَ منه عملُهُ، فيسمع سامع، وينقاد لحكمه بشهادة قلبه، فيجد ما وعد حقاً.

وربما تَفَطَّلَتِ النفسُ بأن حب الأموال والشغ بها يضره ويصده عما هو بسبيله، فيتأذى منه أشد تأذى، ولا يتدبّر من دفعه إلا يتسرين على إنفاقٍ أحس ما عنته، فصار الإنفاق في حقه أنفع شيء، ولولا الإنفاق لبقي الحب والنش كما هو، فيمثل في المعاد شجاعاً أقرع⁽¹⁾، أو تمثلت الأموال ضاوة في حقه، وهو.....

(1) الشجاع: قبيح، والأقرع منها: المنقط شعر رأسه لكثرة لطم أو طرد. قصص.

حديثاً^(١)، يُطِيعُ لها بِقَاعَ قَوْضَاءِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

(وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ أَفْهَامَهُمْ وَالْحَيَاةَ) (نُفُوتِهِ: الآية ١٢٨).

وربما يكون العيد قد أُحِيطَ بِهِ وَفُصِّلَ بِهَلاكِهِ فِي عَالَمِ الْعَالَمِ، فَانْدَفَعَ إِلَى بَدَلِ أَمْوَالٍ خَصِيصَةٍ وَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ هُوَ وَنَمَسَ مِنَ الْمَرْحُومِينَ، فَصَحَّ هَلاكُهُ بِفَسْخِ بِهَلاكِهِ مَالَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا يَزِيدُ الْقَضَاءُ إِلَّا الدَّعَاءَ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعَمَلِ إِلَّا الْجُودَ».

وربما يفرض من الإنسان أن يَمْنَحَ صَلاً شَرِيراً بِحُكْمِ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ، ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَى نَجَسٍ يَدْرِي، ثُمَّ تَغْلِبُ عَلَيْهِ الطَّبِيعَةُ فَيَعُودُ لَهُ، فَتَكُونُ الْحِكْمَةُ فِي مَعَالِجَةِ هَذِهِ النَّفْسِ أَنْ تَلْزَمَ بِذَلِكَ مَالٍ خَطِيرٍ، غَرَامَةً عَلَى مَا فَعَلَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ بَيْنَ عَيْنِهِ فَيُردِّعُهُ عَمَّا يَقْصِدُ.

وربما يكون حسن الخلق والمحافظة على نظام العشرة منحصراً في إطعام طعام وإنشاء سلام وأنواع من المواساة، ويؤمَّرُ بِهَا، وَتُعَدُّ صِدْقاً، وَالزَّكَاةُ تَزِيدُ فِيهِ الْبِرَّةَ وَتُطْفِئُ الْغَضَبَ، بِجَلْبِهَا قَبْضاً مِنَ الرِّسْمَةِ، وَتُدْفَعُ عَذَابُ الْآخِرَةِ الْمُنْتَرِبِ عَلَى الشَّيْءِ، وَتُغْلَقُ دَعْوَةُ الْعِلَالِ الْأَعْلَى الْمُصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ عَلَى هَذَا الْعِيدِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

❁ بَابُ اسْتِزْهَارِ الصَّوْمِ ❁

أَعْلَمُ أَنَّهُ رِيسَا يَنْفُضُ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ إِلَهِهِمُ الْحَقِّ إِيَّاهُ، أَنَّ سَوْرَةَ الطَّبِيعَةِ الْهَيْبَةِ تَصْهَاهُ عَمَّا هُوَ كَمَالُهُ، مِنْ اتِّبَاعِهِ لِلْمَسْكِيَةِ، فَيُخْضِعُهَا وَيَطْلُبُ كَسْرَ مَوْرَثَتِهَا، فَلَا يَجِدُهَا يُعْثِقُهُ فِي ذَلِكَ كَالْحَوِجِ وَالْعَطَشِ وَتَرْتِيقِ الْجَمَاعِ وَالْأَخْذَ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَيَسْمُكُ بِذَلِكَ عِلَاقاً لِعَرْصِهِ النَّفْسَانِيِّ، وَيَتْلُوهُ مَنْ يَأْخُذُ ذَلِكَ عَنْ الْمُخْخِرِ الْمُصَادِقِ بِشَهَادَةِ قَائِمِهِ، ثُمَّ الَّذِي يَفُودُ الْأَنْبِيَاءَ مُطَقَّةً عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَحْطِرُ، فَيَجِدُ فَائِدَةَ ذَلِكَ فِي الْمَعَادِ مِنَ الْكَسْرِ الْمَسُورَةِ.

وربما يَطْلُعُ الْإِنْسَانُ عَنِ أَنَّ اتِّبَاعَ الطَّبِيعَةِ لِلْعَقْلِ كَسَالٌ لَهُ، وَتَكُونُ طَبِيعَتُهُ مَاضِيَةً، تَتَفَادَى تَرَةً وَلَا تَتَفَادَى الْحَرَى، فَيُحَاجُّ إِلَى تَعَرُّبٍ، فَيَعْبُدُ إِلَى صَمَلٍ شَاقٍ ١٢ الصَّوْمِ، فَيُكَلِّفُ طَبِيعَتَهُ وَيَلْزَمُ وَفَاءَ الْعَهْدِ، ثُمَّ وَثَمٌ حَتَّى يَحْصُلَ الْأَمْرُ الْمَطْلُوبُ.

وربما يفرض منه ذَنْبٌ، فَيَلْزَمُ صَوْمَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَشُقُّ عَلَيْهِ بِإِزَاءِ الْغَضَبِ، يُرَدِّعُهُ عَنْ قُيُودٍ فِي مِثْلِهِ.

وربما نَاقَضَتْ نَفْسُهُ إِلَى النَّسَاءِ، وَلَا يَجِدُ قَوْلَلاً، وَيَخَافُ الْعَنْتَ، فَيَكْسِرُ شَهْرَتَهُ

(١) أَوْ: مَا قَالَ لِنَبِيِّ ﷺ فِيمَنْ لَمْ يَزِدْ زَكَاةً لِنَفْسِهِ وَغَنِمَةً لِنَفْسِهِ: جِئْتُ لَهَا بِقَاعَ قَوْضَاءِ لِمَنْ تَطْلُقُ إِلَيْهِ وَغَنِمَةً (يَطْلُقُ بِمَعْنَى الْقَرَرِ: (لَهَا) أَيْ: لِأَجْلِ إِبْلِهِ وَغَنِمَتِهِ، وَ(لِقَاعِ) الْأَرْضِ الْمَهْلَةِ، وَ(لِقَاعُ) فِي مَعْنَى الْفَصْعَةِ كَالشَّعَةِ أَوْ نَاصِيَةِ.

بالصوم، وهو قوله ﷺ: «فإن الصوم له وجاء»^(١).

والصوم حسنة عظيمة، يقوّي الملكية ويضعف البهيمية، ولا شيء مثله في صيفلة وجه الروح وقهر الطبيعة، ولذلك قال الله تعالى: «والصوم لي وأنا أجزي به»، ويكفر الخطايا بقدر ما اضمحط من سُيرة البهيمية، ويحصل به شبه عظيم بالملائكة، فيحبونه، فيكون مُتَعَلِّقُ الْحُبِّ أَثَرُ ضَعْفِ الْبَهِيمِيَّةِ، وهو قوله ﷺ: «لَتُحْبَبُوا»^(٢) غم الصلوم لطيب عند الله من ربح فسله، وإذا جعل رسماً مشهوراً نفع عن غوائل الرسوم، وإذا انتزعه أمة من الأمم منلت شياطينها، وتفتت أبواب جنانها، وتخلت أبواب النيران عنها.

والإنسان إذا سعى في قهر النفس وإزالة ردائنها كانت له صورة نفوسية في المثال، ومن أذكىاء العارفين من يتوجه إلى هذه الصورة ليند من الغيب في علمه، فيصل إلى الذات من قبل التنزيه والتفديس، وهو معنى قول ﷺ: «والصوم لي وأنا أجزي به»^(٣).

وربما يتفطن الإنسان بضرر توغله في معاشه وامتلاء حواسه مما يدخل عليه من خارج، ويتبع التفرغ للعبادة في مسجد يُعَى للصلوات، فلا يصكه إدامة ذلك، وما لا يَتَرَكُ كُلَّهُ لا يَتَرَكُ كُلَّهُ، فيختطف من أحواله قرصاً ميعتك ما قدر له، ريثموا السلق له من انسهر الصادق بشهادة قلبه، والعائني المغلوب عليه كما مر.

وربما يصوم ولا يستطيع تنزيه لسانه إلا بالاعتكاف.

وربما يطلب ليلة القدر والصلوة بالملائكة فيها، فلا يتمكن منها إلا بالاعتكاف. وبأنيك معنى ليلة القدر، والله أعلم.

❁ باب استمرار الحج ❁

اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين في زمان يُدَكَّرُ حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومكان فيه آيات بينات، قد قصده جماعات من أئمة الأئمة عظماء لشعائر الله متضرعين راغبين وراغبين من الله الخبير ونكفير الخطايا، فإن الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة، وهو

(١) لوجه: الاختصاص، ولقول مسيب: «من لم يستطع أي: التزوج، لم عليه بالصوم قبله له وجاء» والمعنى أن الصوم يفتح الشهوة وينفع شر المعنى.

(٢) بالنسبة والحق، تتغير روح الفم، وهو سائر عن غيره، تعالى، وقيل: يكون يوم القيلة كقوله لكم الشهيد.

(٣) أي: لم يشاركني فيه أحد بالتمتع به، فلما أتوا جزاءه بنفسه ولا آتاه إلى أحد.

قوله ^(١) : «ما رأيي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أكبر»^(٢)، و«أحق ولا أخف منه في يوم عرفة العباد».

وأما الحج مبرجود في كل لغة، لا بد لهم من موضح يتكون له إلهاراً من ظهور آيات الله فيه، ومن فوائده وعبات دائمة عن سبلاتهم وبنائهم، لأنها تذكر المغيرين وما كانوا فيه.

وأما ما يحتم إليه بيت الله فيه إلهاراً، فإنه إبراهيم مملوك الله عليه المنهول له بالخبر على السنة أكثر الأسم بأمر الله روحه، بعد أن كانت الأرض بمنزلة ^(٣) «وعمر»^(٤)، إذ ليس غيره محجوج إلا ربه إلهاراً أو اختراع ما لا أصل له.

ومن باب - لفظة تشابه الحبل موضح لم يزل الصالحون يحضرون ويحلون به ويتأخرون بذكر الله فإن ذلك يجلب تعالى لهم لملائكة الشفيع، يعطف عليه دعوة الملا الأعلى الكثرة لأهل الخير، فإذا حل به غلب أروانهم على نفسه، وقد شامت ذلك ربي حين.

ومن باب - الله تعالى رؤية شعاع الله وقطعها، فإنها إذا رؤيت ذكر الله كما يكرر المحزون، لا سيما عند التزام عبات تعطيه وفيرة وخدمة الله نفساً شيئاً عظيماً.

وربما يتفانى الإنسان إلى ربه عند شوقه، فيحتاج إلى شيء ينسي به شوقه فلا يجد إلا في الحج.

وكما أن السولة تحتاج إلى عزيمة ^(٥) بعد كل مدة لينتبه لتأصح من الغاش والمغش من المتعود، ويرفع النفس، وتعلم الكثرة، ويتعارف أهلها فيما بينهم، وكذلك الحالة تحتاج إلى حج لتشرق لشرق من العاقبة، ويظهر دخول الناس في دين الله أفواجا، ويبري بعضهم بعضاً فيستفيد كل واحد ما ليس عنده، إذ الزمان إنما تكتسب بالسفحة والفرار.

وإذا سئل الحج رسماً مشهوراً تقع من عوائق الرسوم، ولا شيء مثله في تذكر الحالة التي كان فيها أمة قائمة والتعويض عن الأخذ بها.

ولما كان الحج مبرجوداً ^(٦) «وعلاً شأناً لا يتم إلا بجهد النفس» كان مباشرة خالصاً لله مكرماً المذاهباً هادماً لما قبله بحدته لإيمان.

(١) من الدر وهو الحج، وقف مع الإلهة.

(٢) لقد لخصه خالية لا ما به، وهو عظمة صاحب المرسول فيه.

(٣) أي المفضل.

(٤) أي ربي.

❁ باب أسرار أنواع من البر ❁

منها الذكر. فإنه لا حجاب بين وبين الله تعالى، ولا شيء مثله في علاج سوء المعرفة، وهو قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأفضل أعمالكم... الحديث»، وفي كتب المحاضرة، وطرد القسرة، لا سيما من خدمت بهيمته جيلة أو ضعف كباء، ولعن سكنت خياله جيلة عن خلط المجرد بأحكام المحسوس.

ومنها الدعاء، فإنه يفتح باباً عظيماً من المحاضرة، ويجعل الأسماء الثام والاحتياج إلى رب العالمين في جميع الحالات بين عينيه، وهو قوله ﷺ: «الدعاء مع العبادة»، وهو شبح تزحف النفس إلى المبدأ بصفة المطلب الذي هو أسر في جلب الشيء المدمر إليه.

ومنها تلاوة القرآن واستماع المواعظ. فمن ألقى السمع إلى ذلك ومثله من نفسه، تصبغ بحالات الخوف، والمرجاء، والنجاة في عظمة الله، والاستغراق في مئة الله، وغيرها، فينبغ من عبود الطيعة نفعاً شيئاً، ويبدأ النفس لفيضان الران ما فوقها، ولذلك كان أرفع شيء في المبدء، وهو قول المالك للفقير: «لا دريت»^(١) ولا ثلثت وفي القرآن تصوير للنفس عن لهيات السلفية، وهو قول ﷺ: «لكل شيء مصفنة، ومصفلة القلب تلاوة القرآن».

ومنها صلة بالأرحام والجيور، وحسن السمر، مع أهل القرية وأهل النعمة، وفك المعاني بالاعتناق. فإن ذلك يُعَدُّ لتزول الرحمة والطمأنينة، وبها يتم نظام الارتفاق الثاني والثالث، وبها يستجلب دعوة الملائكة.

ومنها الجهاد. وذلك أن يلزم الحق إنساناً فاسقاً ضالاً، بالجمهور، إنذاره أرفق بالمصلحة الكلية من إيفائه، فيظهر الإيهام في قلب رجل ذكي يُفْتَنُّه، فينجس من قلبه غضب ليس له سب طيبي، ويكون قابلاً عن مراده باقية بمراد الحق، ويضمحل في رحمة الله ونوره، ويتفجع العباد والبلاد بذلك، ويشهد أن يقضي الله بزوال دولة مدن حائرة، كثرها بآفه وأساسوا السيرة، فيؤمر نبي من أنبياء الله تعالى بسجاعتهم، فينتفع داعية الجهاد في قلوب قومه ليكون أمة أخرجت للناس، وتشمله الرحمة الإلهية. ويشهد أن يطلع قوم بالرأي الكافي على حسن أن ينبروا^(٢) أنفساً مبعية عن الظالمين وإقامة الحدود على المعصية والنهي عن المنكر، فيكون سبباً لأمن العباد وضمانيتهم، فيشكر الله له عمله.

(١) أي: إن كان المقبور كثيراً أو غنياً، ويسأله الملك: «ما كنت تفعل في هذا الدجور؟» فيقول: لا أفعل، فيقول: «لقد لا دريت، أي: لا علمك ما هو الحق والسر» ولا ثلثت، أي: لا قيمة لتأجيلي وطلب الله لا أفعل، يعني ما علمت بنفسه بالظن ولا قيعد العلماء بقراءة الكتاب.

(٢) أي: يدفعوا. وقوله: «فيشكر الله له، أي: للقوم»

ومنها تعريبات تُردُّ على البشر من غير اختيارهم. كالمصائب والأمراض، فنُفد من باب البر لمعان:

منها أن الرحمة إذا توجهت إلى عبد بصلاح عمله، وانقضت الأسباب، التفتت عليه تصرفات إلى تكميل نفسه، فكفرت خطايا، وكتبت له الحسنات، كما إذا صدَّ بحري الماء نهم الماء من فوقه ومن نحوه، فيسبب الإجراء إلى ذلك التفتت، والسر فيه المحافظة على الخير السيئ.

ومنها⁽¹⁾ أن المؤمن إذا اشتدت به المصائب صارت عليه الأرض بما رُحِّبَتْ، فانكسر حجاب الطبع والرسم، وانقلع قلبه إلا عن الله، أما المكابر، فلا يزال يتذكر الفاقات ويغوس في الحياة الدنيا حتى يصير أخبث من قبل أن يصبه ما أصاب.

ومنها أن حامل السببات المنحجرة إنما هو البهيمة المهيطة الكسيفة، فإذا مرض وصرع، ودخل منه أكثر مما يدخل فيه الضمحل كثير من العامل، والتقصي بقدر ذلك المحمول، كما نرى أن المريض يزول شفه وغضفه وتبدل أفعاله وينس كثيرًا مما كان فيه، كأنه ليس الذي كان.

ومنها أن المؤمن الذي اندمَّت بهيمته عن ملكيته نوع انفكاك أجَدَّ عن سببانه في الدنيا قاله، وذلك حديث: «تصيب المؤمن من لعناب نَضْبُ النِّبَاءِ»⁽²⁾ والله أعلم.

❦ باب طيقات الإثم ❦

اعلم أنه كما أن لانقياد البهيمة للملكية أعمالاً هي أغباجه ومظانُّه رائس الكاسية له، كذلك لحالة المضادة للانقياد كل المضادة أعمال ومظان وكواسب، وهي الآثام.

وهي على مراتب:

المرتبة الأولى: أن ينسُدَّ سبيله إلى اكتمال المطلوب وأساساً، ومعظم ذلك في نوعين: أحدهما: ما يرجع إلى المبدأ بالأمر أو يعرف أنَّ له ربحاً، أو يعرفه متصفداً بصفتان المخلوقين: أو يعتقد في مخلوق شيئاً من صفات الله، فالحق التشبه والتكاثف الإشراف، فأن النفس لا تنقدس أبداً حتى تجعل مطمع بغيرها التجرد الفوقاني والتقدير العام المعيط بالعالم، فإذا نفذت هذا بقيت مشغولة بنفسها أو بما هو مثل نفسها في التفتد كل الشغل، لا تتجح حجاب النكوة ولا موضع إبرة، فهذا هو ابتلاء كل البلاء.

(1) نسخة المخطوط.

(2) أي تصيب.

والخافي: أن يفتد له ليس للنفس نشأة غير النشأة العنصرية، وأنه ليس لها جمال آخر يجب عليها عليه، فإن النفس إذا أضربت ذلك ثم قطع^(١) بصره إلى التكامل أصلاً.

ولما كان الخوف باليات كمال غير جمال الحسد لا يثنى من الجمهر إلا بشعر حالة تدين الحالة الحاضرة من كل وجه، وولاً تلك تعارض الكمال المذوق والمحموس جمال إلى المحسوس وأجل المقول، نصب^(٢) له صفة هو الإيمان بده الله وليوم الآخر، وهو قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُكَرَّمَةٌ لَّهُمْ فَهُمْ يُسْخَرُونَ) (الفرد: الآية ٢٥).

وبالتحليل: فإذا كان الإيمان في هذه المرتبة من الإثم قد تمت استجلبت بهيئته، وشحت^(٣) عليه الصافية من فوفه كل الصفرة بحيث لا يجد سبيلاً إلى لخلاص أمدأ.

والمرتبة الثانية: أن يتكرر بكثرة التهيبي على ما نصبه الله تعالى لوصول الناس إلى كمالهم، فقصت لعل الأعلى بأقصى حبيب إشاعة أمره وتنويه شأنه من الرسل والشرائع، فيذكروها ويؤيدها، فإذا ما انتعشت، جميع همهم متفرقة له ومؤدية به، وأحاطت به غفلته من حيث لم يعد للخروج منه سبيلاً، على أنه لا يملك هذه الحالة من عدم الوصول إلى كماله، أو الوصول الذي لا يتناهى، وهذه العادة أخرج الإنسان من مادة فيه في الشرائع جميعها.

والمرتبة الثالثة: ترك ما يجب وفعل ما اعتقد في الذنر الذي على فاعله، من جهة كونه مؤثقة غالباً إحصاء كبير في الأرض، وهيئة متداولة التدرج النفس.

فتمتد الأفعال من الشرائع الكسبية للانقياد أو الصلابة له ما تختص به، ويختلف باختلاف النفوس، إلا أن المتابعة في الهبات الهيمنة الضعيفة أخرج الناس إلى إكثارها، والاسم التي بهيئتها أشد وأغضب أسوج الناس إلى إكثار الشاؤ منها.

ومنها أعمار سمية تنسحب لعلاً عصباً كلفل.

ومنها أعمار شهوة

ومنها مكاسب ضارة كالغمار والربا.

وفي كل شيء من هذه المذكور، ان تلمع عصبة في النفس من جهة الإلتزام على خلافه، السعة اللازمة كمد، دكرت، وتغن من العلم الأعلى بحيث به، فيمجموع الأمرين

(١) أي يرفع.

(٢) أي اشعر أو لقرآن، نصب، المحمور.

حصل العذاب، وهذه العزوبة أعظم الكائن، قد اتعد في حظيرة القدس تحريمها وتعدن صحتها، وأما إذا كانا يترجمون ما اتعد هناك، وأكثرها جميع عليه في الشرائع.

المرتبة الرابعة: مصيبة الشرائع والمناهي المختلفة باختلاف الأمم والأصا، وذلك أن الله تعالى إذا رمت شيئاً إلى قوم ليخرجهم من الظلمات إلى النور والبنية عوهم وليسوسهم أحسن السياسة، كان عطف منصفياً لإيجاب ما لا يمكن إقامة عوهم ومبائتهم إلا به، الملك، فمما مثله أكثرية أو دائمة يجب أن يؤخذوا عليها ومحاطوا بها، ولشئيت فوائدهم، وتوجب، وبأن أمر يكون دائماً إلى مصعدة أو مصعدة فيزمرزون حسبما يدعون إليه، ومن ذلك ما هو مأمور أو منهي عنه حتماً، ومنه ما هم مأمور أو منهي عنه من غير عزم، وأقل ذلك ما نزل به الوحي الظاهر، وأكثره ما لا يشبه إلا الجهاد النفسي ﴿١﴾.

المرتبة الخامسة: ما هم يرض عليه الشائع، وأما يعتقد في الحال الأعلى حكمه، لكن توجه الله إلى الله سبحانه مشته دأته شيء، يفتنه منه عاً عنه أو مأموراً به، من قبل قياس أو تخريج أو نحو ذلك، كما يظهر للعوام تأثير بعض الأدوية من قبل تجرية ناقصة، أو دوران حكم الطبيب الحاذق على عمله، ولا يعلمون وجه الشأور، ولا ينص عليه الطبيب، فلا يخرج مثل هذا، الإنسان من العهدة حتى يأخذ بالأحياء، وإلا كانا بينه وبين ربه حجاب فيما يظن، فيأخذ بظنه.

وأما المعرض في هذه المرتبة أن يعمل أمرها ولا ينتفت إليها، غير أن في الوجود أنفساً يستوجبون ذلك، فيفر عليهم الحدود ما استوجبوه، ومنها قوله تعالى في الحديث القدسي: «لما عند قلبي عيني بي»، وقوله تعالى في القرآن العظيم:

﴿وَرَبَّانِي أَتْلُوهُمَا مَا كُتِبَتْ لَهُمْ مِنْهُنَّ إِلَّا تِلْكَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (صفحة ١٠٦)

وقوله ﴿٢﴾: «لا تعصوا فيشند الله عليكم»، وقوله ﴿٣﴾: «الإثم ما حلف في حلفه»، ويلحق بها دوسرة حكم مجتهد فيه إذا كان مقلداً بجملة تقليد من يرى ذلك، والله أعلم.

باب مقاصد الأقام

وأعلم أن الكبيرة والسغيرة نطلقان باعتبارين أحدهما: بحسب حكمة البر والإثم، والثاني: بحسب أشرائع والمناهي المحظية بعصر دون عصر، أما الكبيرة بحسب حكمة البر والإثم، فهي ذنب لوجب العذاب في القبر وفي

(١) حالة أمر واضح، يعني الإثم ما يؤثر في النفس اشربة النفسية تأثيراً لا ينفك عن تنمير، أي ما لا ينشرح له صدر من شأور الله سبحانه، دون عدم العزم.

المحشر إيجاباً قوياً، ويُفسد الاتفاقات الصالحة إحصائاً قوياً، ويكون من الفطرة على الطرف المخالف جداً.

والصنيرة ما كان قوتها لبعض ذلك، أو مقصياً إليه في الأكثر، أو بوجوب بعض ذلك من وجه ولا بوجوب من وجه، فمن يتفق في سبيل الله وأمله حياض، فيرفع رتبة البخل فيفسد تأثير المنزل.

وأما بحسب الشرائع الخاصة، فما نعت الشريعة على تحريمه أو أخذ الشارع عليه بالنوا، أو شرع عليه حداً، أو سعى مرتكب كافرًا خارجاً من الملة بإثارة لقيحه وتغليظاً لأمره، فهو كبيرة.

وربما يكون شيء صغيراً بحسب حكمة البر والإثم، كبيرة بحسب الشريعة، وذلك أن الملة الجاهلية ربما ارتكبت شيئاً حتى فش الرسم به فيهم لا يخرج منهم إلا أن تنفض قلوبهم، ثم جاء الشرع ناهياً عنه، فحصل منهم لجأج⁽¹⁾ ومكايمة، وحصل من الشرع تغليظ وتهديد بحسب ذلك، حتى صار ارتكابها كالمثارة الشديدة للملة، ولا يتأني الإقدام على مثله إلا من كل ماود متعبد لا يستحي من الله ولا من الناس، تكب كبيرة عند ذلك.

والجملعة: فمن تفرغ الكلام في الكبائر بحسب الشريعة إلى القسم الثاني من هذا الكتاب لأن ذلك موضعه، ونبه على مغاسد الكبائر بحسب حكمة البر والإثم ههنا كما فعلنا في أنواع البر نحرراً من ذلك.

وقد اختلف الناس في الكبيرة إذا مات العاصي عليها ولم يتب: هل يجوز أن يعفو الله عنه أو لا؟ وجاء كل فرقة بأدلة من الكتاب والسنة.

وحل الاختلاف عندني أن أقام الله تعالى على وجهين: منها الجارية على العادة المستمرة، ومنها الخارقة للعادة. والقضايا التي يتكلم بها الناس موجبة وجهين: إحداهما في العادة، والثانية مطلقاً، وشرط التفاضل اتساع الجهة. مثل ما قرره المنطقيون في القضايا الموجبة، وقد نحذف الجهة فيجب اتباع القرائن. فقولنا (كل من تناول السم مات) معناه: بحسب العادة المستمرة، وقولنا (ليس كل من تناول السم مات) معناه: بحسب خرق العادة، فلا تافهي. وكما أن الله تعالى في الدنيا أفعالاً محروقة وأفعالاً جارية على العادة، فكذلك في السماد أفعال خارقة وعادية. أما العادة المستمرة فأن يعاقب العاصي إذا مات من غير توبة زحاً طويلاً، وقد نخرق العادة وكذلك حال حقوق العباد، وأما غرود صاحب الكبيرة في العذاب فليس يصحح، وليس من حكمة الله أن يفعل بصاحب الكبيرة مثل ما يفعل بالكافر سواء، والله أعلم.

(2) أي: إصدار، وقوله: المعزاة، أي: المعادة.

❁ باب في المعاصي التي هي فيما بينه وبين نفسه ❁

اعلم أن القوة السلوكية من الإنسان كُنْصَتْ بها القوة النفسية من جوانبها، وإنما نقلها في ذلك مثل طائر في فصر، سعاده أن يخرج من هذا القفس فيأجن بغيره الأصلي من الرياض الأريضة، ويأكل الحبوب الخفية والفواكه المذبذبة من هناك، ويدخل في دمرة أبناء نوعه فيصنع بهم كل الانهيار، فأشد شهوة الإنسان أن يكون:

دهرياً - حقيقة الدهري أن يكون مائلاً للعلوم العصرية المغلوقة فيه، وقد يشأ أن له ميلاً في أصل فطرته إلى الخيال جلّ جلاله، وميلاً إلى تعظيمه أشد ما يجد من التعظيم، وإليه الإشارة في قوله تبارك وتعالى:

﴿إِذْ أَسْرَأَ رَبُّكَ مِنْ سِجِّ جَانَّتٍ﴾ (الأعراف: الآية 172).

وقوله ﴿وَكَأَنَّ مَوْلَدَهُ يَبُولُ عَلَى الْفُطْرَةِ﴾⁽¹⁾.

والتعظيم الأقصى لا يتمكن من نفسه إلا باعتقاد تُشْرِف في بارة المقصد والاختيار، ومجازاة وتكثيف لهم وتشرح عليهم، فمن أنكر أن له رباً انتهى إليه سلطان توجده، أو اعتقد رباً معطلاً لا يتصرف في العالم، أو يتصرف بالإيجاب من غير زيادة، أو لا يجازي عباده على ما يفعلون من خير وشر، أو اعتقد به كمثل سائر الخلق، أو أشرك عباده في صباه، أو اعتقد أنه لا يكتفهم بشريعة على لسان نبي، فذلك هو الدهري الذي لم يجمع في نفسه تعظيم به، وليس لعله تعود إلى حيز القدس أصلاً، وهو بمنزلة الطائر المحبوس في قفس من حديد ليس فيه شغل ولا موضع إبرة، فمذا مات شغل الحجاب⁽²⁾ وبرزت السلوكية بروزاً جدياً، وتحرك العين المقطورة فيه، وعاقبه العراق في علمه بربه من الوصال إلى حيز القدس، فباحث في نفسه وحشة عظيمة، ونظر إليها بارتها والدلا لأعنى وهي في تلك الحالة الخبيثة، فأخففت أيتها بنظر كسخط والاضواء، وترسخت في نفوس الملائكة إلهامات السخط والعداوة، فغلب في المثال⁽³⁾ وفي الخروج.

أو كافرأ - تكبر على الشبان الذي تغوره أنه تعالى، كما قال:

(1) المقطوف: الابتداء والاختراع، والعصاة الحلة يريد: أنه يولد على نوع من الطبع فُسْخِيره لقبول الدين، فهو فُوق علمه لا يشعر على لزومها، وقيل: يريد كل مولود يولد على سقره⁽¹⁾ والإقرار به فلا فساد أبداً إلا وهو يقر إلى أنه مائة إلى سماء بغير لسمه أو هذا مع غيره.

(2) من شغل الثوب شغواً إذا ما واده ولم يسترد.

(3) أي: بلعه. وقوله لم كافرأ عَطَتْ على دهرياً، أي: لشد شغلوه الإنسان لم يكون دهرياً أو كافرأ. وقوله: فتمسك: أي: جعله طويلاً لنفسه.

(كُلُّ بَرٍّ مَرْءٍ غُلُوٌّ) [مؤمن: الآية 28].

وأعني بالشان أن للعالم أدياراً وأطواراً حسب الحكمة الإلهية، فلما جاء دوره أوحى الله تعالى في كل سماء أمرها، ودبر العلا الأعلى بما يناسبها، وكثب لهم شريعة ومصلحة، ثم ألهم العلا الأعلى أن يجمعوا نمشة هذا الطور في العالم، فيكون إجماعهم سبباً للإلهامات في قلوب البشر، فهذا الشان تلو المرتبة القديمة التي لا يشوبها حدوث، وهذه أيضاً شارحة لبعض كمال الواجب جل مجده، كالمرتبة الأولى، فكل من باين هذا الشان وأبغضه وحده عنه أتبع من العلا الأعلى بلغة شديدة تحبط بنفسه، فتعبط أعماله ويقسو قلبه ولا يستطيع أن يكسب من أعمال البر ما ينفعه، وإليه الإشارة في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَتَاكُمْ مِنَ إِلَهِكُمْ وَإِلَهِ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَا يَكُونُ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) [مائدة: الآية 139].

وقوله:

(عَسَى أَنْتُمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ مُسْمُونَ) [مائدة: الآية 17].

فهنا كطير في قفص له منافذ، إلا أنه قد غشي من قوته بغاشية عظيمة. وأدنى من ذلك⁽¹⁾ - أن يعتقد التوحيد والتفليم على وجههما، ولكن ترك الامتنال لما أمر به في حكمة البر والإثم، ومثله كمثل رجل عرف الشجاعة ما هي وما فائدها، ولكن لا يستطيع الاتصاف بها، لأن حصول نفس الشجاعة عبر حصول صورتها في النفس، وهو أحسن حالاً ممن لا يعرف معنى الشجاعة أيضاً، ومثله كمثل طائر في قفص شباك يرى الخضرة والفراخ، وقد كان فيها هنالك إلهاماً، ثم طرأ عليه العجز، فشقاق إلى ما هنالك ويضرب بجناحه ويمشغل في المنافع ضائفة، ولا يجد طريقاً يخرج منه، وهذه هي الكباتر بحسب حكمة البر والإثم.

وأدنى من ذلك - أن يفعل هذه الأوامر ولكن لا على شرطها التي تجب لها، فمثله كمثل طائر في قفص مكسور في الخروج منه حرج، ولا ينصور الخروج إلا بحدش في حلقه ونصف في ريشه، فهو يستطيع أن يخرج من قفصه ولكن يجد وكده، ولا ينتج في أبناء نوعه كل الابتهاج ولا يتناول من فواكه الرياض كما ينبغي، لما أصابه من الخدش والشف. وهؤلاء هم الذين (عَلَوْا عَمَلًا عَلَىكَ وَاتَّقَوْا رَبَّكَ) [مؤيدة: الآية 102]، وحوادثهم هذه هي الصفتان بحسب حكمة البر والإثم، وقد أشار النبي ﷺ في حديث الصراط إلى هذه الثلاثة حيث قال: «سقط في النار، ومخذول⁽²⁾ ناج، ومخدول ناج، والله أعلم».

(1) أي: من أن يكون دعوى أو كبراً.

(2) المخذول هو: المصروع، وقيل: المذموم، تعلقه كلاب كسرة حتى يهرى في النار والمخدول الذي تأخذ كسرة الخيل من لحيته وتسقط النار ثم يمر.

❁ باب الأثام التي هي فيما بينه وبين الناس ❁

اعلم أن أنواع الذنوب على مراتب شتى :

مما ما يتكرر كثيراً للبدان من الأرض، ومن حقها أن تنهب من يارئ انصور كيف تغدو، ولا تنهم كيف يدبر المنازل.

ومنها ما يتناقل، ويعتاد الذكّر والأُنثى منها في حصانة الأولاد، ومن حقها في حكمه الله تعالى أن تلهم تغير العازل أيضاً، فأولهم نظير كيه، يغذي رطير. وأولهم أيضاً كيف يصاد، وكيف يتحد عشاق، وكيف يؤرق الفراخ.

والإنسان من بينها مائة الفصح، لا تغيب إلا تعاون من بني دمه، فإما لا يتغذى الحشيش الثالث نفسه. ولا يتلوهاك سدا، ولا يتدأ بالثوب. إلى غير ذلك مما شرحنا من قبل. ومن حقه أن يكون تغيير البدن مع تغيير الذات، فإما لا يتغذى غير أن يتغير الأنواع منهم عند الاحتياج إلهاماً جسيماً إلا في حصنة قبله من علوم النعش، كحصن الذي عند الارتفاع، والسعدان من الجحيم^(١)، وروح نجفون صد يرددة الزوية، وبحو ذلك، وذلك لأن حباله دون صناعاتهم، ففوض نه علومه لتدبر المئات. وتدرس السدان، إلى الرسم وتقليد الحوذين بالثوب لتسكني فعا يوحى إليهم، وإلى حربة ورعداً^(٢) يدبر غيرة. ورؤية بالاستفراء، والناس والفرهان، ومنه في ظنهم الأمر الشائع الواجب بفسده من يارئ انصور مع الاختلاف الشجر من قبل استعدائهم، كمثل الواقعات التي يتلقاها في المنام، يفاض عليهم العلوم التوفيقية من سحرها. فتشع صدمه بالاحتياج شاذية، فتحتف السور لعمري في الغفاض على لا في المغير.

فمن العلوم العائسة على أفراد الإنسان جميعاً عربهم وعجمهم حصروهم وبلوهم، إلى مختلف صرخ الثقافي منهم - حرمة تحصن تدر نفاذ عليهم، وهي ثلاثة أصناف: منها أعمال شريفة، ومنها أعمال سيئة، ومنها أعمال ناشئة من سوء الأحاد، في الأممالان.

و لأصل في ذلك أن الإنسان من متوارد أبداً دمه في الشهوة وكفيرة والحارص، والعمول^(٣) منهم يُقْبَلُ العمل من ليهائم في الفسوح إلى الإثبات وفي علم تجويز العراصة على العوالم، غير أن التحول في الهائل فتحارب حتى يغلب السدا بظناً.

(١) البقرة: ١٧٥ وفيه قوله: وشاهد الجاه لخدمة خشومة العود وعصه.

(٢) النظار.

(٣) أي التثبور، والطلب، والصل.

وأحدنا نفساً ويفتخر بما دون ذلك، أو لا تشعر بالمرحمة لعدم رؤية المساندة^(١).

والإنسان القوي يظن أن كل ما يرى ويسمع، وأنهم أن التحارب لأجل دث منفر
لبنهم، لأنهم لا يحسنون ولا يتعاون من الرجال، والفتوح أدخل في البنون من الإناث،
فأنهم إناث، اختصاص كل واحد بزوجته. وزنا المرأة وما يخصها بأخوها، وهذا أصل
حرمة الزنا، ثم صورة الاختصاص بالزوجات أمر موافق إلى الرسم والشرائع، والصحوة
منهم أيضاً يشهدون الفحول من البهائم من حيث إنه سلامة فطرتهم لا تقتضي إلا الرغبة في
الإناث دون الرجال، كما أن البهائم لا تلتصق هذه الفقة^(٢) إلا قبل الإناث، غير أن رجلاً
خائفاً الشهوة الشاذة بمنزلة من يتلذذ بأكل النير والخطنة^(٣)، فاستحووا من سلامة
افطرتهم بخفي هذا شهوة بالرجال، وذلك صار مأثوماً سلك ما لا يسلكه الطبع السليم،
فأعقب ذلك تغيراً لأمزجتهم ومزاجاً في نفوسهم. كان مع ذلك سبباً لإعمال النسل من
حيث إنهم قسراً ما ينهم التي قض الله تعالى عليهم منهم ليل^(٤) بها نسلهم، ومن
طريقها، فعبروا النظام الذي خلقهم الله تعالى عليه، فصار فتح هذه الفتنة مفسداً في
نفسهم، فلذلك يبعثها النفس ولا تحرفون بها، ولو سبوا إليها تملأوا حياء، إلا أن يكون
استباحاً فوفاً بجهدهم ولا يحجون، فلا يؤمنون أن يعذبوا، كما كان في رس سبنا لولم
سبه إنسان، وهذا أصل حرمة الزنا.

ومع ذلك شيء أعم وتدبر متابعهم وسبابه منهم لا يشتر إلا عقل ونعيم، ودمان
الحمر^(٥) ترجع إلى لغامهم بخم قوي، وورث محاربات وصفات، غير أن أنفسهم غابت
شهوتهم الرديئة على عقولهم أبطوا على هذه الرذيلة، وأصدوا عليهم رذلتهم، فو لم
يخر الرسم يمنع عن فعلتهم تلك تهلك الناس، وهذا أمر حرمة دمان الخمر، وأما حرمة
قلبيها وكثيرها، فلا يبين إلا في بحث الشرائع.

والفحول منهم يشهدون الفحول من البهائم في الحصب على من يصد عن مطلوب،
ويجوز عليه ما لا في سبه أو من يلد، لكن الفحول من البهائم لا توجه إلا إلى مطلوب
محسوس أو مؤتمن، والإنسان يطلب المومن والمغفل، وحرمة أشد من حرمة البهائم،
وكامت البهائم تتقاتل حتى يتهم واحد، ثم يسر السبه: إلا ما كان من مثل الفحول من
الإنسان والفر والخل. والإنسان يحقد ولا يقتل، فلو فتح فيه باب المقاتل ففسدت مدبنتهم
واحتلت مدينتهم، فألهموا حرمة القتل والضرب إلا لمصلحة عظيمة من فضايل وتعود.

(١) أي المدح. (٢) أي الفقة.

(٣) أي الفقة، وقوله: هذا أي المدح، وقوله: الله أي الأمة، وقوله: مطلوب أي متلذذاً.

(٤) أي يسلو.

(٥) يدان تصعد شربة دماً، وقوله: يؤمنون أي قطع ونفس.

وهاج من الحقد في صدور بعضهم مثل ما هاج في صدور الأولين، وخافوا القصاص، فاحترقوا⁽¹⁾ إلى أن يدسوا السم⁽²⁾ في الطعام أو يقتلوا بسحر، وهذا حال يقتل بل إذا منه. فإن القتل ظاهرة يمكن التخلص منها، وهذه لا يمكن التخلص منها. وانحدروا أيضاً إلى القذف⁽³⁾، والعشي به إلى ذي سلطان ليقتل.

والعياش التي جعلها الله تعالى لعباده إنسا هي الالتئام من الأخرى الباحة والرمي والزراعة والصناعة والتجارة وسياسة المدينة والملة، وكل كسب تجاوز عنها فإنه لا مدخل له في تعذيبهم.

وانحدروا بمعضهم إلى أنساب ضارة، كالسرق والغصب، وهذه كلها مدمرة للمدينة، فألهم أنها محرمة، واجتمع من آدم كلهم على ذلك وإن ياترها العصاة عنهم في خيواء⁽⁴⁾ نفوسهم، وسعت الملوك العادلة في إيثارها ومحبتها، فاستلهم بمعضهم سعي الملوك في إيثارها فاحترقوا إلى اندحار الكاذبة، واليمين المنعوسة⁽⁵⁾، وشهادة الزور، وتطليف الكيل والوزن، والقمار، والربا أضعافاً مضاعفة، وعكسها حكم تلك الأكاب الضارة، وأخذ انشر النهك بمنزلة قطع الطريق، بل أبيع.

وبالجملة: فلهذه الأسباب، دخلت في نفوس بني آدم شُرمة هذه الأشياء، وقام أقوامهم عقلاً وأسئع رأياً وأعلمهم بالمصلحة الكلية يمنع عن تلك طبقة بعد طبقة، حتى صار رسماً قاسياً ودخلت في المذبيحات الأولية كسائر المشهورات المذائعة، فعند ذلك رجع إلى العلي الأعلى لون منهم حسب، كان انحدر إليهم من الإلهام أن هذه محرمة وأنها ضارة أشد الضرر، فصادروا كل ما فعل واحد من بني آدم شيئاً من تلك الأفعال نأذوا منه، مثل ما يضع أحداً رجله على الجمره فتنتقل إلى القوي الإدراكية في تلك اللحظة وتتأذى منه، ثم صار بتأثيرها خطوط شعاعية تحيط بهذا العاصي، وتدخل في قلوب المستعدين من الملائكة وغيرهم أن يؤذوه إذا أمكن إيذاؤه، ورضعت فيه مصلحته المكتوبة عليه المسجلة في الشرع بإلهام الملائكة: ما رزقته، وما أحله، وما عهده، وشفي أو سعيده، وفي المنعوم بأحكام الطاع، حتى إذا مات وهدأت⁽⁶⁾ عنه هذه المصلحة فرغ له بآفته كما قال:

(سَمِعَ لَكُمْ أَنَّهُ أَتَقَلَّدَ) [المؤمن: الآية 34].

وجازاء الجزاء الأوفى، والله أعلم.

(1) أي: ملوا.

(2) من السحس وهو كتمان المعكر والمعدة. والمعنى: يجهلوا لسم في طعام حقا.

(3) أي: لومة.

(4) أي: ظن.

(5) أي: فني لقسم صاحبه أي: تفرقه في الإثم.

(6) أي: سكنه.

باب الحاجة إلى هداة السبل ومقيمي الملل

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرٌ شَيْئَرٌ وَرَبُّكَ فِيهِ مَكْرٌ﴾ [طه، الآية 7].

واعلم أن أسنن الكنيسة لانقياد البهيمية لمملكية وإذتمام العائنة لها وإن كان العمل السليم يذل عليها ويذكر فائدة هذه ومصارف تلك، لكن الناس في غفلة منها، لأنه تغلب عليهم الحنك فيفسد وجدانهم، كمثل الصفر اوي، فلا ينصرون الحالة المقصودة ولا تفعلها ولا احانة لمخوفة ولا ضررها، فيحتاجون إلى عاين بالسنة الراشدة يسوسهم، ويأمر بها ويحضر عليها وينكر على مخالفتها.

ومنهم من رأي فاسد لا يقصد بالذات إلا لأضداد الطريقة المطلوبة فيحصل ويبطل، فلا يسفهم أمر القوم إلا بكنته وإخماله

ومنهم من رأي راشد في الجملة، لا يدرك إلا حصه ناقصة من الاعتماد، فيحفظ شيئاً ويعجب عنه أشياء، أو يظن في نفسه أنه المكامل الذي لا يحتاج إلى مكمل، فيحتاج إلى من ينهه على جهله.

وبالجملة: فالناس يحتاجون لا محالة إلى عاين من العلم يؤمن فلتائه.

ولما كانت المدينة - مع شيذاد^(١) العقل المعاشي الذي يوجد عند كثير من الناس - بإعراك النظام المصلح لها تضطر إلى رجل عارف بالمصلحة على وجهها يقوم بسياستها، فما ظنك بأمة عظيمة من الأمم تجمع استمدادات مختلفة جداً في طريقة لا يقبلها بشهادة القلوب إلا الأذكاء هن الفطرة الصالحة أو التجريد البالغ، ولا يهدي إليها إلا الدين هم حي أعلى درجة من أصفاء القوس؟ قليل ما هم.

وكذلك أيضاً لما كانت الحدود والسجارة وأمثالهما لا تتأني من جمهور الناس إلا سحن مأثورة عن أسلافهم وأمانة هديوتهم إليها وحضونهم عليها، فما ظنك بهذه المطالب انشقيقة التي لا يهني إليها إلا الموقنون، ولا يرغب فيها إلا المخلصون؟

ثم لا بد لهذا العالم أن يثبت على رؤوس الأشهاد أنه عالم بالثقة الرشيدة، وأنه معصوم فيما يقوله من الخطأ والإغلال، ومن أن يترك حصه من الإصلاح، ويترك حصه أخرى لا بد منها، وذلك يتحصر في وجهين: إما أن يكون رادياً عن وجل قبله انقطع عنه الكلام، لتكونهم مجمعين على اعتقاد كماله وعصمته وكون الرواية محفوظة عندهم، فيمكن له أن يأخذهم بما اعتقدوه ويحتج عليهم برفضهم، أو يكون هو الذي انقطع عنه الكلام وأجسروا عليه.

وبالجملة: فلا بد لناس من رجل معصوم يقع عليه الإجماع بكون فهم أو كون الرواية محفوظة عندهم، وعدمه بحالة الانقياد وتوليد هذه السنن منها ووجوه منافعتها، وبلغة الآثام ووجوه مضارها، لا يمكن أن يحصل بالبرهان ولا بالعقل المتصرف في المعاش ولا بالحق، بل هي أمور لا يتكشف عن حقيقتها إلا بالوجدان. فكما أن الجوع والعطش وتأثير الدواء المسخن أو المبرد لا يُدرك إلا بالوجدان، فكذلك معرفة ملازمة الشيء للروح ومباينة لها لا طريق إليها إلا الذوق السليم.

وكونه مأموماً عن الخطأ في نفسه إنما يكون بخلق الله تعالى ضرورياً فيه بأن جميع ما أدرك وعلم سقاً مطابقاً للواقع، بمنزلة ما يقع للمبصر عند الإبصار، فإنه إذا أبصر شيئاً لا يحتمل عنده أن تكون عينه موزة وأن يكون الإبصار على خلاف الواقع، وبمنزلة العلم بالموضوعات اللغوية، فإنه العربي مثلاً لا يشك أن أسماء موضوع لهذا المنصر، ولفظ الأرض لذلك، مع أنه لم يقم له على ذلك برهان وليس بينهما ملازمة عقلية، ومع ذلك فإنه يخلق فيه علم ضروري.

وأما بحصل ذلك في أكثر بأن يكون لنفسه منزلة جبرية يكون بها تلقى العلم الوجداني على سنن الصواب دائماً، وأن يتابع الوجدان وتكرر تجربة صدق وجدانه. وعند الناس^(١) إنما يكون بأن يصحح عنده بأدلة كثيرة برهانية أو خطابية أن ما يدعى إليه حتى، وأن سيرته سالمة بعد منها الكذب، وأن يروا منه آثار القرب، كالمعجزات واستجابة الدعوات، حتى لا يشكوا أن له في التعبير العالي منزلة عظيمة، وأن نفسه من النفوس القدسية اللاحقة بالسلافة، وأن بقله حقيق بالأكاذيب على الله، ولا يباشر معصية، ثم بعد ذلك تحدث أمور تولفهم تأكيداً عظيماً، وتصيرونهم أحب من أموالهم وأولادهم والعاء الزلال عند العطشان، فهذا كله لا يحقق اصباح أمة من الأمم بالحالة المنصودة بهدونه، ولذلك لم يزل المشغولون بنظائر هذه العبادات يُستبدون أمرهم إلى من يعتقدون فيه هذه الأمور، أصابوا أم أخطأوا، والله أعلم.

(١) أي: كونه مأموماً من الخفا عن الناس يكون إما صح عندهم أن ما يدعى إليه حق.

❀ باب حقيقة النبوة وخواصها ❀

اعلم أن أعلى طبقات الناس المُتفهمون، وهم نامر أهل اصطلاح، ملكيتهم في غيرة العلو، يمكن لهم أن يمتدوا إلى إقامة نظام مطلوب مداعية حَقَّانية، ويترشح عليهم من الملا الأعلى علوم وأحوال إنسانية^(١).

ومن سيرة المُفهم أن يكون معتد العزاج، سوي الخلق والخلق، ليس فيه خيابة^(٢) مفرطة بحسب الآراء الجزئية، ولا ذكاء مفرط لا يجذبه من الكلبي إلى الجزئي ومن الروح إلى الشبح سبيلاً، ولا غيرة مفرطة لا يخلط بها إلى الكلبي، ومن الشبح إلى الروح، ويكون ألزم الناس دائمة التواضع في سمته حس في عبادته، ذا عدالة في معاملته مع الناس، مدحاً للتدبير الكلبي، راغباً في النفع العام، لا يؤذي أحداً ولا ياتمرض، بأن يتوقف النفع العام عليه أو يلازمه، لا يزال مائلاً إلى عالم الميب، يُخسّر ثمراً مبه في كلامه ووجهه وشأنه كله، يُرى أنه مؤيد من الميب، يفتح له بأثر راحة ما لا يفتح لغيره من القرب والتسكينة.

والمفهمون على أصناف كثيرة، استعدادات مختلفة:

فمن كان أكثر حاله أن يلقى من الحق علوم تهذيب النفس بالعبادات فهو الكامل، ومن كان أكثر حاله تلقى الأخلاق الفاضلة وعلوم تدبير المنزل وشحو ذلك فهو الحكيم.

ومن كان أكثر حاله تلقى الميامات الكلية، ثم وُقِّد لإقامة العدل في الناس وذب الجور عنهم يسمى خليفة.

ومن أئمت به الملا الأعلى، معلّمته وخاطبته ونراة له وظهرت أنواع من كراماته، يسمى بالملوك بروج المقدس.

ومن يُجمل منهم في لسانه وقلبه نور، تنفع الناس بصحته وموعظته، وانتقل منه إلى حواريين من أصحابه سكباً وتور، فيلقوا بوساطته مبالغ الكمال. وكان حثيثاً^(٣) على هدايتهم يسمى هادياً مُرَكَّباً.

ومن كان أكثر علمه معرفة قواعد الهمّة ومصالحتها، وكان حثيثاً على إقامة التقدّس منها يسمى إماماً.

(١) حجة من أئمت لها حريصاً مبرماً

(١) كاشفون والتعبير لا غيرهما

(٢) أي: اضطراب وعدم استقلال

ومن كنت في قلبه أن يخبرهم بالهداية المقدرة عليهم في الدنيا، أو نطقن بلعن النحر
توماً فأخبرهم بذلك، أو جرد من نفسه في بعض أوقاته فعرف ما سيكون في القبر والحشر
فأخبرهم بذلك لأخبار يسى مطبوخاً.

وإذا انقضت الحكمة الإلهية أن يبعث إلى الخلق وحداً من المفهمين فيجعلهم سبباً
لخروج الناس من الظلمات إلى النور، ومرض الله على عباده أن يشبهوا وجوههم وقلوبهم
له، وتؤكد في العلم الأعلى الزبها عن انقاد له وانضم إليه، واللحن على من خالفه
وتراءه، فأخبر الناس بذلك والزهم طاعته، فهو النبي.

وأعظم الأنبياء شأناً من له نوع آخر من البعث أيضاً، وذلك أن يكون مراد الله تعالى
فيه أن يكون سبباً لخروج الناس من الظلمات إلى النور، وأن يكون قومه غير أمة أخرجت
لناس، فيكون بعث بتناول بعثاً آخر.

والى الأول ومعت الإشارة في قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَتْ مِنْهُ إِزْدَادٌ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ سَامِعٌ﴾ [البقرة: ١٩٠]

والى الثاني في قوله تعالى:

﴿كَانَتْ سَبْعٌ مِائَتٌ أَلْفٌ لَّيْلًا﴾ [الأنبياء: ١٠٠]، وقوله ﴿فَلَمَّا بَلَغْتُمْ مِائَةَ سَبْعِينَ﴾

ولم تكتبوا محجرين.

وبينا استوعب جميع فنون المفهمين، واستوجب أتم البعثين، وكان من الأنبياء

فيه من يردك فتاً أو قسراً ونحو ذلك.

واسلم أن انقضاء الحكمة الإلهية كبعث الرسل لا يكون إلا لانحصار الخير البشري

الحسن في التدبير في البعث، ولا تعلم حقيقة ذلك إلا علماً الغيوب، إلا أننا تعلم قطعاً أن

هناك أسراراً لا يتخلف عنها البعث البينة، واخترنا الصاعقة إنه يكون بأن يعلم الله تعالى

صلاح أمة من الأمم أن يطيعوا الله ويعبدوه ويكونوا بحيث لا تستوجب نفوسهم التلوي من

الله، ويكون صلاح أمرهم محصوراً يومئذ في اتباع النبي، فيفرض الله في حظيرة النفس

يرجوب اتباعه، ويفرر هناك الأسر، وذلك إما بأن يكون الوقت وقت ابتداء ظهور دولة

وكبر الدول بها، فيبعث الله تعالى من ينم دبر أصحاب تلك الدولة، فيبعث سناً

محمد ﷺ، أو بقدر الله تعالى هذا قوم واصطفاهم على البشر، فيبعث من يقوم بخرجهم

ويعلمهم الكائنات، كبعث سيدنا موسى عليه السلام، أو يكون نظم ما قضى لقوم من

استمرار دولة أو دين يقتضي بعث محدث، كداود وسليمان وجميع من أنبياء بني إسرائيل

عليهم السلام، ومزلاء الأنبياء قد قضى الله بخرابهم على أعدائهم، كما قال:

﴿وَلَقَدْ سَخَّرَ عَلَيْنَا الْيَمِينَ الْقُرْشِيَّ ﴿١٧٦﴾ إِنَّهُ فِى السُّورَةِ ﴿١٧٧﴾ لَمَّا جُنَا فِي قَتْلِهِ ﴿١٧٨﴾﴾

[المعاني: الآيات ١٧٦ - ١٧٨].

ورواه هؤلاء قوم يفترون لإتمام الحجة، والله أعلم.

إذا نُحِثَ النبي وجب على المبعوث إليهم أن يسبره وإن كانوا على سعة واسعة، لأن منزلة هذا المنور شأنه بمرتبة لثمة من الملأ الأعلى وإجماعاً على حد ذاته، فيسب سبيل تقرُّبهم من الله، ولا يتقيد كلهم شيئاً، وإذا عاثوا أحاطت اللعنة بنفوسهم. على أن هذه صورة مفروضة غير واقعة، ولك عبثة باليهود كانوا مخرج عن الله إلى بعث الرسول لتقوم في دينهم وتحريراتهم في كتابهم.

وثبت حجة الله على عباده ببعث الرسل إنما هو بأن أكثر الناس خلقوا بحيث لا يمكن لهم تلقي ما لهم وما عليهم بلا واسطة، بل استمدادهم إما ضعيف يتقوى بإخبار الرسل، أو هناك مفاسد لا تدفع إلا بالقسر على رغم أنفسهم، وكانوا بحيث يؤخذون في الغنى والأخرى، فأوجب لعن الله عند اجتماع بعض الأسباب العلوية والسفلية أن يوحى إلى أركى القوم أن يهدوهم إلى الحق ويدهوهم إلى الصراط المستقيم، فمثله في ذلك كمثل سيد مرض عياله فأمر بعض خواصه أن يكتفهم شرب دواء أشاؤوا أم أبوا، فلما أنه أكرههم على ذلك كان حذراً، ولكن تعام اللطف يقتضي أن يخليهم أولاً أنهم مرضى، وأن الدواء نافع، وأن يعمل أسوراً عارقة تظلمن نفوسهم بها على أنه صادق فيما قال، وأن يشرب الدواء بخلوا، فحسبوا يفعلون ما يؤمرون به على بصيرة من رغبة فيه، فليست المعجزات ولا استجابة الدعوات ونحو ذلك إلا أسوراً خارجة عن أصل النبوة لازمة لها في الأكثر، وظهور معظم المعجزات يكون من أسباب ثلاثة:

أحدها: كونه من المؤمنين، فإن ذلك يوجب انكشاف بعض الحوادث عليه، ويكون سبباً لاستجابة الدعوات وظهور البركات فيما يترك^(١) عليه.

والبركة إما زيادة نفع الشيء، بأن يخل إليهم مثلاً أن الجيش كثير فيقتلوا، أو بصرف الطبيعة لعناء إلى خلط صالح فيكون كمن تناول أصناف ذلك الغذاء، أو زيادة عين الشيء، بأن تشطب المادة الهوائية بتلك الصورة لحلول قوة مثالية، ونحو ذلك من الأسباب التي يمر إحصاؤها.

والثاني: أن تكون العلا الأعلى شجينة إلى تمشية أمره. فيوجب ذلك إلهامات وإحالات وتقريرات لم تكن تُعهد من قبل، ينبصر الأحباء ويخذل الأعداء. ويظهر أمر الله ولو كره الكافرون.

(١) من النبوة وهو: الدعاء بالبركة.

والثالث. أن تحدث حوادث لأسبابها الخارجية، من مجازاة العصاة وحدوث الأمور العظام في السجود فيجعلها الله تعالى معجزة له بوجه من الوجود، إما بتقديم خيار بها، أو ترتيب المجازاة على مخالفة أمره، أو كونها موافقة بما أصر من لئله المجازاة، أو أمر بما يشبه ذلك.

والعصاة لها أسباب ثلاثة: أن يخلي الإنسان نفياً عن الشهوات الرذيلة، سمحاً لا سيما فيما يرجع إلى محافظة الحدود الشرعية، وأن يوحى إليه حُسنٌ لحسنٍ وقُبحٌ لقيحٍ ومالكهء. وأن يُكَلِّمَ الله بينه وبين ما يريد من الشهوات الرذيلة.

واعلم أن من سيرة الأنبياء عليهم السلام ألا يأمرؤا بالتفكر في ذات الله تعالى وسمائه، فإن ذلك لا ينشطه جمهور الناس، وهو قول **عَلَيْهِ**: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله». وقوله تعالى في آية: ﴿وَلَوْ أَن رَّبَّكَ أَسْأَلْتَ﴾ [النجم الآية 42]. وقال **عَلَيْهِ**: «لا فكرة في الرب»⁽¹⁾.

ولأننا يأمرؤن بالتفكر في نعم الله تعالى وعظيم قدره.

ومن سيرتهم ألا يكلموا الناس إلا على قدر عقولهم التي خُلقوا فيها وعلمهم التي هي حاصلة عندهم بأصل الخلقة، وذلك لأن نوع الإنسان حيشاً وجد فله في أصل الخلقة حد من الإدراك زائد على إدراك مائر الحيوانات، إلا إذا عصت العادة جُداً، وله علوم لا يخرج إليها إلا بخلاف العادة المستمرة، كالتفكر في القدمية من الأنبياء والأولياء، أو بالرياضات شاقة تُهَيِّئ نفسه لإدراك ما لم يكن عنده، بحسب أو بممارسة قواعد انحرمة والكلام وممول اعقه ونحوها مدة طويلة. فالأنبياء لم يخاطبوا الناس إلا على منهاج إدراكهم الساذج المودع فيهم بأصل الخلقة، ولم يلفتوا إلى ما يكون ناهراً لأسباب قلما يفتق وجودها، فلذلك لم يكلموا أناس أن يعرفوا أنهم بالتجليات والشعاعات، ولا بالبراهين والافاضات، ولا أن يعرفوه منزهاً عن جميع الجهات، فإن ذلك كانممتنع بالإضافة إلى من لم يشغل بالرياضات ولم يخاطب العقوليين مدة طويلة، ولم يوشدوم إلى طرق الاستنباط والاستدلالات ووجوه الاستعمذات وافترق بين الأشياء والنظائر بتقديمات دقيقة المأخذ، وسائر ما يطاول⁽²⁾ به أصحاب الرأي على أهل الحديث.

ومن سيرتهم ألا يشتغلوا بما لا يتعلق بهنوب النفس وسبابة الأمة، كحين أسباب حوادث الحر، من المطر والكسوف والهاالف، وعباب النيات والحيوانات، ومقايير سير

(1) تقدم له لا يوجد في كتب لئله العسجمة.

(2) يخاض

الشمس والقمر وأسباب الحوادث اليومية، وقصص الأنبياء والملوك والملدان ومحروها، اللهم إنا نكلمات سيرة الأنبياء أسماؤهم وقبش عقولهم، يقرى بها في الذكر بالاء الله والتذكير بأيام الله على سبيل الاستعداد لكلام إجمالي سابع في ملك ياراد الاستعدادات وبالمجاهزات، ولهذا الأسفل لك سألوا النبي ﷺ من أجرة فقدان العمر وروادته أعرض الله تعالى عن ذلك بلو جان فو كد الشهور فقال:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ إِنَّمَا مَوْحٌ يُثَبِّتُ الْيَمِينَ وَالشَّيْخَ) [سورة الأنفال: 105]

وروى كثيراً من الناس عند ذوقهم بسبب الأنفة بهذه الثغور أو غيرها من الأسباب، فحسبوا كلام الرسل على غير محله. والله أعلم

❁ باب بيان أن أصل الدين واحد والشرائع والمناهج مختلفة ❁

قال الله تعالى:

(تَنَزَّلَتْ لَكُم مِّنْ أَنفُسِنَا وَمَن يَدْعُ لَدَيْهِ رَبُّكَ وَرَبَّنَا بِهِ يَرْجِعُ الْحُكْمُ) [سورة الفرقان: 1]

قال مجاهد: أوصياك يا محمد وإمام ديننا وأستاذ.

وقال تعالى:

(وَأَن يَدْعُوا إِلَهُهُم مُّشْرِكُونَ) [سورة البقرة: 175]

يعني ملّة الإسلام مشرك، **(تَقُولُونَ) [سورة البقرة: 175]** يعني المشركين اليهود والنصارى.

وقال تعالى:

(يَكُلُّ جَنَّتَا وَيَكُلُّ شَرْعًا وَمِنْهَا) [سورة البقرة: 175]

قال ابن عباس: ميلاً وشراً.

وقال تعالى:

(يَكُلُّ كَثُفًا مِّنْهَا وَمِنْهَا) [سورة البقرة: 175]

يعني شريعة هم حاملون بها.

اعلم أن أصل الدين واحد، الفرق عليه الأنبياء عليهم السلام، والله الاختلاف في الشرائع والمناهج.

تصريح ذلك أنه أجمع الأنبياء عليهم السلام على موجد الله تعالى عباده واستعانته،

وأنزله عدا لا يدين بجنايه. ونحريم الإلحاد في أسمائه. وأن حق الله على عباده أن يعظموه تعظيماً لا شوبه تعريض، وأن يُسلموا وحولهم وقلوبهم إليه، وأن يقرؤوا شعائره إلى الله، وأنه قدّر جميع السجود قبل أن يعلمها، وأن الله ملائكة لا يعصوه فيها أمر ويعصون ما يؤمرون، وأنه يُنزل الكتاب على ما يشاء من عباده، ويفرض عقابته على الناس، وأن القيامة حق، والبحث بعد الموت حق، والجنة حق، والنار حق. وكذلك أحصوا على أنواع البر من الطهارة والصلوة والزكاة والصوم والحج والبر إلى الله بتواضع الطاعات من الدعاء والذكر وال تلاوة الكتاب المنزل من الله. وكذلك تجمعوا على التكليف ونحريم السجود، وإقامة العدل بين الناس، ونحريم المظالم، وإقامة الحدود على أهل المعاصي، والجهاد مع أعداء الله. والاجتهاد في إشاعة أمر الله ودينه.

هذا أصل الدين، ولذلك لم يبحث القرن العظيم عن نية هذه الأشياء إلا ما شاء الله. وإنما كانت مفسحة فحين نزل القرآن عسى أنسيهم، وإنما الاختلاف في سائر هذه الأمور وأشياءها، فكان في شريعة موسى عليه السلام الاستقبال في الصلاة إلى بيت المقدس، وفي شريعة نبينا محمد إلى الكعبة، وذن في شريعة موسى عليه السلام الرجم فقط، وجاءت شريعتنا بالرجاء الأخوين وأجد أقبه، وكان في شريعة موسى عليه السلام قصاص فقط، وجاءت شريعتنا بالخصاص والدية جميعاً، وعلى ذلك اختلافهم في أوقات الصلوات وأماكن وأركانها.

وبالجسنة: فالأوضاع الخاصة التي فُهِدَت وُسِّت بها أنواع البر والارتقاقات هي الشريعة والمحتاج.

واعلم أن الطاعات التي أمر الله تعالى بها في جميع الأديان إنما هي أعمال نفعت من الهيات النفسانية التي هي في المعاد تليقوس أو عليها، وتعد فيها وتشرحها وهي أشحبها وتدينها، ولا تجزم أن ميزانها وملاك أمرها تلك الهيات، فليس لم يعرفها لم يكن من الأعمال على صيرة، فربما اكتفى بها لا يكفي. وربما ضلّ لا فزاة ولا دعاء، فلا يفيد، فلا يد من سياسة غارف حق المعرفة، يفسد الحقني المشبهة بأمارات واضحة ويجعلها أمراً محسوساً يميز الأثاني والأفاصي ولا يشبه عليهم، سلطانوا به ونز تحسوا عليه على نتيجة من الله وامتناعة منهم.

والأقسام ربما تشبه بها ليس برالم، كقول المشركين.

(إِنَّا نَسْجُ بِقُلْ أَرْبَابًا) (مائدة: ١٦٥)

إثم لنفوس الممنوع، أو يرضى ذنبه ضد بصيرته، ثمَّ الحاجة إلى أمارات يتغيَّر بها الإثم من غيره، ولو لم يؤثِّر الأوقات لاستكثر بعضهم التَّأجيل من الصلاة والصَّوم، فلم يُعَنِّ ذلك عنهم شيئاً، ولم تكن المعاقبة على تسلكهم واحتيايلهم، ولو سمَّ يَمِينُ لهم الأركان والشروط لخطبوا حيط عشو^(١)، ولو لا الحدود لم ينزجر أهل الطَّبْع.

وبالحقيقة فجمهور الناس لا يتم تكليفهم إلا بأوقات وأركان وشروط وعقوبات، وأحكام كاثرة ونحو ذلك، وإذا علمت أن تعرف للنشرع ميزاناً، فتأثَّل حال الطبيب الحاذق عندما يجتهد، في سياسة المرضى، ويخبرهم بما لا يعرفون، ويكلِّفهم بما لا يحيطون بدقائقه علماً، كيف يعمد إلى فطانت محسوسة فيلعبها مقام الأمور الخفية، كما يقيم حُرْمَةَ البشرة ويخروج الدم من اللثة مقام غلبه الدم، وكيف ينفر إلى قوة العرض وحسن الترضي وبذلك وفصله، وإلى قوة الدواء وجبج ما هناك، فيحسِّس^(٢) بمقدار حافض من الدواء يلائم الحال فيكلفه به، وربما اتخذ قاعدة كاثرة، من يلبس إمامة لمظنة مقام سبب المرض، وإمامة هذا الضرر الذي تفضي به من الدواء مقام إزالة المادة السَّوِيَّة أو تعبير هبتها الفاسدة، يقول مثلاً: من استمرَّ بشرته وقويَّتْ أُنْثَى وجب عليه بحكم كَلْب^(٣) على الريني شرب السَّحَاب أو ماء العسل، ومن لم يفعل ذلك فإله على شرف الهلاك، ويقول: من تناول من معجون كذا وكذا وزن مثقال زال عنه مرض كذا وأمن من مرض كذا، فيؤثِّر عنه تلك الكلبة ويُعمل بها، فيجعل لله في ذلك نفعاً كثيراً، وتأمل حال الملك الحكيم الناظر في إصلاح السُّدِينِ وسياسة الجيوش كيف ينظر إلى الأراضي وريعتها، وإلى المزراع ومؤتنيها، وإلى الحراس وكفائتهم، فيضرب العتر والخراج حسب ذلك، وكيف يقيم مراتب محسوسة ويوازن مقام الأخلاق والملكات التي يجب وجودها في الأعوان فيستلزم على ذلك القانون، وكيف ينظر إلى الحاجات التي لا بد من كفايتها، وإلى الأقوان وكثرتهم، فيوزعهم توزيعاً يكفي المقصود، ولا يفتقر عليهم، وتأمل حال معام الصبيان بالسِّبْ إلى صبيانهم، وإلى ما يُلْجِئهم إلى غلمانهم، يريد هذا تعليمهم وذلك تهيئة الحاجة المنصودة بأبيهم، وهم لا يعرفون حقيقة المصلحة، ولا يعرفون في إقامتها، ويستدلون، ويحتدرون، ويختلفون، كيف يعرفان مظنة الثمة قبل وقوعها فيسدان العمل، ولا يخطبهم إلا بمعرفة كَيْفَها مَهازها، ولهازها لينها، لا يحذون منها سبلة ولا يتمكنون من التسلل، وهو تفضي إلى المقصود من حيث يعلمون أو لا يعلمون؟

(١) والعضاء اتفاقية التي هي بغيرها ضعف، والمعنى لكأن على غير بصيرة

(٢) أي مثلاً

(٣) أي يشرب إذا تسع من خير أن يأكل شيئاً

والحيلة: فكل من تولى لإصلاح جرمٍ غير مختلفٍ استعان بهم، وليسوا من الأحرار بصرية ولا فيه معنى رغبة، يضطر إلى تقدير وتزجيف وتعميم أوضاع ومعدات يجعلها المعتمدة في المطالبة والعدالة.

واعلم أن الله تعالى لما أراد بعثة الرسل أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأوحى إليهم أمره لذلك وألقى عليهم نوره، وبث فيهم الرغبة في إصلاح العالم، وكان اعتناء لقوم يومئذ لا يتبعون إلا يأمرهم ومفادات، وحسب في حكمه أنه أن يثري^(١) جميع ذلك في إرادة بعثهم، وأن يكون اقتراض طاعة الرسل وانقيادهم منسجماً إلى اقتراض مقدمات الإصلاح، وقل ما لا يتم في الحلق أو العادة إلا به فإنه جملة بحر بعضها بمقدار، والله لا يخفى عليه غافية، وليس في دين الله جزاء، فلا يثني شيء، دون مفاخره إلا بحكم أسباب يطمحها الراشحون في المنصب، وسن نريد أن نتب على جملة مصادحة من تلك الحجج والأسباب، والله أعلم.



باب أسباب نزول الشرائع الخاصة بعصر دون عصر وقوم دون قوم



والأصل فيه قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِلَّا تَتَذَكَّرَ إِلَّا مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَى تَكْفِيرٍ. يَوْمَ تَكُونُ الْقُلُوبُ نَافِلَةً وَأَنفُسٌ كَافَّةٌ إِنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران الآية ١٥٠].

تفسيرها أن يعقوب عليه السلام مرمر مرصاً متليداً، خضر ليل عافاء الله ليحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه، فلما عوفي حرم على نفسه لحمان الإبل والبانها، واقتدى به بنوه في تحريمها، ونفى على ذلك القرون حتى أصبروا في نفوسهم التفرط في حق الأنبياء، إن خانهم بأكلها، فنزل التوراة بالتحريم، ولما بين النبي ﷺ أنه على سنة إبراهيم قالت اليهود: كيف يكون على ملته وهو يأكل لحوم الإبل وأنيانها، فرد الله تعالى عليهم أن كل الطعام كان حلالاً في الأصل، وإنما حرم الإبل لغاوض لجر باليهود، فلما ظهرت النبوة في بني إسرائيل، وهم يؤثرون ذلك الغاوض، لم يجب رعايته.

وقول النبي ﷺ في صلاة التراويح: «ما زال بكم الذي رأيتم من صفوكم حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولم يكتب عليكم ما فعلتم به، فصفوكم أيها الناس في بيوتكم»، فكبحهم النبي ﷺ عن جعلها شاملاً دائماً بينهم لئلا تنصر من شعائر الدين فيمتدروا تركها تفرطاً في جنب الله، فتقرض عليهم.

(١) أي: يتقصر.

وقوله ﷺ: «اعظم المسلمين في المستعين جرماً من سأل عن شيء عثرتم لاجل مسائلهم».

وقوله ﷺ: «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها، ولقي حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ودعوت لها في ثعنا وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكته».

وقوله ﷺ: لَمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الْحَجِّ: أَمْرٌ فِي كُلِّ عَامٍ؟ «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَّهْتُ، وَلَوْ وَجَّهْتُ لَمْ تَقُومُوا بِهَا، وَلَوْ لَمْ تَقُومُوا بِهَا لَخُفِّفَ».

واعلم أنه إنما اختلفت شرائع الأنبياء عليهم السلام لأسباب ومصالح، وذلك أن شعائر الله إنما كانت شعائر لعمدات، وأن السنادير بلا حظ في شرعها حال المكلفين وعادائهم.

فلما كانت أمزجة قوم نوح عليه السلام في غابة الفؤة والشدة، كما نبّه عليه الحق تعالى، استخرجوا أن يؤمروا بدوام الصيام ليقاوم سؤدة بهيمتهم، ولما كانت أمزجة هذه الأمة ضعيفة نهوا عن ذلك. وكذلك لم يجعل الله تعالى الفئام حلالاً للأولين وأحلها لنا لما رأى ضعفنا، وأن مراد الأنبياء عليهم السلام إصلاح ما عندهم من الارتقاقات، فلا يعمل عنها إلى ما يبين المأثوق إلا ما شاء الله، وأن مقان المصالح تختلف باختلاف الأعمار والعادات، ولذلك صح وقوع النسخ، وإنما مثله كمثل الطبيب يمسك إلى حفظ المزاج المستدل في جميع الأحوال، تختلف أحكامه باختلاف الأشخاص والزمان، فأمر الشاب بما لا يأمر به الشاب، وأمر في الصيف بالتوم في الجو لما يرى أن الجو مظنة الاحتفال حبيط، وأمر في الشتاء بالتوم داخل البيت لما يرى أنه مظنة البرد حبيط.

فمن عرف أصل الدين وأسباب اختلاف المناهج لم يكن عنده تغيير ولا تبديل، ولذلك أسبغت الشرائع إلى أقوامها، ورجعت الائمة إليهم حين استخرجوا بها بما عندهم من الاستعداد، وسألوها جهد سؤالهم بلسان الحال، وهو قوله تعالى:

﴿تَنْظُرُوا أَنفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ يُرِيدُ كُلُّ فِرْقَةٍ مِّنَ فِرْقِنِهِم مِّنَ الْإِشْرَاقِ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولذلك ظهر فضل أمة نبينا ﷺ حين استحقوا تعيين الجمعة لكونهم أميين برآء من العلوم المكتسبة، واستحقت اليهود السبت لاعتقادهم أنه يوم فرغ الله فيه من الخلق، وأنه أحسن شيء، لأداء العبادة مع أن الكل بأمر الله ووجه، ومثل الشرائع في ذلك كمثل العزيمة^(١)، يؤمرون بها أولاً ثم يكون هنالك أعلام وخرج فتشرح لهم الرخص^(٢) لمعنى

(١) أي لتأجيل المصير به.

(٢) جمع رخصة وهي ضد العزيمة والمراد: الإجازات والإبلات.

يرجع إليهم، فربما تَوَجَّهَ ذلك بعض الثلاثة إليهم استوجاباً ذلك بما عندهم. قال الله تعالى:

(وَإِنَّكَ لَكَلَّا لَا يَتَذَكَّرُ مَا نَذَرْنَا مِمَّا كَفَرْتُمْ) [سورة الأعراف: 101].

وقال النبي ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ خَالَصَتْ عَقْلٌ وَبَيِّنٌ أَتَقَبُّ نَبِيًّا فَرَحِلَ الْحُلُومُ مِنْ إِبْذَلِكُنَّ، وَيَبْنُ خَصَمٌ دِينَهُنْ بِقَوْلِهِ: «رَأَيْتُ أَنَّهَا لَقَدْ خَالَصَتْ لَوْ تَخَصَّرُ وَلَمْ تَخْطُمْ».

واعلم أن أسبابه نزول المصاحف في صورة خاصة كبيرة، نكتها فرجع إلى نوعين:

أحدهما كالأمر الطبيعي الموصوف لتكليفهم بتلك الأحكام. فكما أن لأفراد الإنسان جميعها طبيعة وأحوالاً ورشها من الشرع توجب تكليفهم بأحكام، وكما أن الأكمة لا يكون في عزالة خياله الأكران والصور، وإنما هناك الألفاظ والمعومات وبحر ذلك، فإذا قلبي من التيب حسناً في رؤيا أو واقعة أو نحو ذلك، فأنه يتشبع علمه في صورة ما اختزنه خياله دون غيره، وكما أن العربي الذي لا يعرف طير نقة العرب إذا تمثل له علم في نشأة اللفظ فإنما يتمثل له في لغة العرب دون غيرها، وكما أن البلاد التي يوجد فيها العمل وغيره من الحيوانات سيرة تعتظر ينراعي لأهلها إنعام الجن وتخريف الشياطين في صورة تلك الحيوانات، دون غير تلك البلاد، والتي يعظم فيها بعض الأشياء ويرجع فيها بعض الطيات من الأطعمة والآبسة تنراعي لأهلها فتنمة والنسائط الملاكمة في تلك الصور دون غير تلك البلاد، وكما أن العربي المتوجه إلى شيء ليفعله أو طريق يسلكه إذا سمع لفظه راشد أو نجح كان دليلاً على حسن ما يسفله، دون غير العربي. وقد جاءت السنة ببعض هذا الشرح... فكذلك يستمر في الشرائع علوم مخزونة في القوم واعتقادات كدسة نهم وعادات تتجاري لهم كما يتجاري الكلب⁽¹⁾.

ولذلك نزل تحريم تحريم الإبل وأنياتها على بني إسرائيل دون بني إسماعيل، ولذلك كان الطيب والتب في المطاعم مفضلاً إلى عادات العرب، ولذلك حُرِّمَت بنات الأخت على دون اليهود، فأنهم كانوا يَتَمَثَّلُونَهَا مِنْ قَوْمِ آبِيهَا، لا مخالفة بينهم وبينها ولا ارتباط ولا اصطحاب، فهي كالأجنبية، بخلاف العرب، ولذلك كان طيب العجل في لبن أمه حراماً عليهم دونها، لأنَّ عِلْمَ كَوْنِ ذَلِكَ تَبِيْرًا لَخَلْقِ اللَّهِ وَمَصَادِمَةً لَتَعْدِيرِ اللَّهِ، حيث حُرِّفَ ما خلقه الله لشربه العجل وسره إلى قُلَيْ سَنَةِ وَحُلْ تَرْكِيهِ، كَأَنَّ رَاسِحًا فِي الْيَهُودِ مَنَجَارًا مَبِيْهِ، وَكَأَنَّ الْعَرَبِ أَمْعَدَ خَلَقَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ، حَتَّى لَوْ أَلْقَى عَلَيْهِمْ لَمَّا مَبْمَرٌ وَلَمَّا أَعْرَكَوا الْمَطَا الْمَتَّاسِبَ لَمَعَكَ.

(1) هو بالتحريك: داء بعض من غنى الكد. فيسببه شبه حنون. فلا بعض أمداً إلا كجبة. ويرفقه له تحلوه، دبة ويستق من شرب أمداً حتى يمرت علفاً، وقوله: متجراً: أي أوه ثوب في بولطه ويؤثر فيها.

والجواهر في زوايا الشرائع ليس المعلوم والتجارات، بالتعاطف المتعقلة في مدورهم فقط، بل أعطوها اعتباراً وأولاًها اعتدافاً ما شئوا عليه واندمت عقولهم إليه من حيث يملكون ومن حيث لا يحسبون، كما يرى ذلك في علاقات تلك البيوت بصورة عمدة، كتمثيل منتج الناس من السحور في صورة الحتم على الأموال، وإن انجم شبح المنع عند الخوم، مستحضروه أم لا.

وحق الله على عباده في التواضع أن يُعَلِّمُوهُ غيبة التعظيم، ولا تُفَلِّدُوا على مخالفة أمره بوجه من الوجوه، وإن أحب فيما بين الناس أن يُقِيمُوا مصلحة المال، والتعاون، ولا يؤذي أحد أحدًا إلا إذا أمر به لرأي الكني، ونحو ذلك، وكذلك كان الذي وقع على امرأتها بعد أن أجنبية قد أخرجت بينه وبين الله حجاباً، وكنت ذلك من احتراقه على الله وإن كانت امرأة في الحديقة، لأنه أقدم على مخالفة أمر الله وحكمه، والذي وقع على أجنبية وهو يعلم أنها امرأة لا يُلَوِّحُ في ذلك معذوراً فيما بينه وبين نفسه، وكان الذي نذر لصرم مأشوراً بذره دون من لم يضر، وكان من تشدد في الدين شدة عليه، وكانت نطفة تبلى للثأب حسنة ولتعذيب سفة، وكان المخطئ والثاني مغفوراً عنهما في كثير من الأحكام، فهذا الأصل خلفاء علوم القوم، عادتهم الكرامة منها والبررة، فيشخص الشرائع في حقهم حسب ذلك.

واعلم أن كثيراً من العادات والمعلوم الكرامة تقع فيها العرب والعجم وجميع سكان الأقاليم المختلفة وأهل الأممية التابعة للأخلاق العاضدة، كالجنح عليهم واستحباب الرقيق، وما عاخر بالأحساب والأشياء، وكذلك في بعض ريع الليل أو نكته، أو نحو ذلك، والاستيقاظ في نياحة الصبح، إلى غير ذلك مما أومأ إليه في الإيضاحات. فذلك العادات والمعلوم أحياناً الأشياء بالاعتبار، ثم بعدها عادات وسفاهة تخص بالسفوت إليهم، فتغير تلك أحياناً، وقد جعل الله لكل شئ قدراً.

واعلم أن أجنبية كثيراً ما تكون من تحت الحلة، كما قال الله تعالى: ﴿يَلْبَسُكِ﴾ (البقرة: 178).

وكما قال (قوله بر ينفذكم كالأجنبية) (مشهد: ١٨٠٠)

وسر ذلك أنه قدما فروع كثيرة على الشئين يفي رعي تعليم شعائره وتصير أحكامه من مشهورات العامة للاطلاع على السببيات الأولية التي لا تكاد تدرك، فتجرب شدة أخرى لإقامة ما أوج منها وصلاح ما قصد منها بعد الحذول رواية فيها، فتتفنى عن الأحكام

المشهود عندهم، فما كان صحيحاً موافقاً لقواعد السياسة المملّية لا تغيره، بل تدعو إليه ونحث عليه، وما كان سقيماً فد دخله التحريف فأنها تغيره بقدر الحاجة، وما كان حربياً أن يرداد فأنها تزيد على ما كان عندهم، وكثيراً ما يشمل هذا النبي في مطالبه بما يلي عندهم من الشريعة الأولى، فيقال عند ذلك: هذا النبي في ملة فلان النبي، أو: من شيعته، وكثيراً ما يختلف النبوات لاختلاف الملل النازلة تلك النبوة فيها.

والنوع الثاني⁽¹⁾ بمنزلة طارئ مارض، وذلك أن الله تعالى وإن كان متعالياً عن الزمان، فله ارتباط بوجه من المرجح بالزمان والزمانيات، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله يخفضي بعد كل مائة بحادثة عظيمة من الحوادث، وأخبر آدم وغيره من الأنبياء منهم السلام في حديث الشفاعة شيء من هذا الباب حيث قال كل واحد منهم: ألم يري تبارك وتعالى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، وإن يغضب بعده مثله، فإذا نهى العالم لإفادته الخرائع وتعيين الحدود وتجلي الحق منزلاً عليهم الذين، وامثال الملا الأعلى يومه يومه حسب ذلك، يكون حينئذ أدنى سبب من الأسباب الطارئة كافياً في فتح باب الجود، ومن حق باب الكريم انفتح، ولت عبدة بفصل الريح يزتر في أدنى شيء من الغرس والبذر ما لا يؤثر في غيره أضعاف ذلك، وهمة النبي ﷺ واستشرافه للشيء ودعوته له ونشيطه إليه وحله إياه سبب قوي لزول القضاء في ذلك الباب، وإن كانت دعوته تحيي السنة الشريفة، ونفاد فئة عظيمة من الناس، وتزيد الطعام والشراب زيادة محسوسة، فما نزل في نزول الحكم الذي هو روح لطيف إنما يتبع بوجود مثالي، وعنى هذا الأصل ينبغي أن يخرج أن حدوث حادثة عظيمة فحسبة في ذلك الزمان يفرغ لها النبي ﷺ، كقصة الإفك، وسؤال مسائل يراجع النبي ﷺ ويحاووه فهم له ﷺ، كقصة الظاهر يكون مياً نزول الأحكام، وأن يكشف عليه فيها جبة الحال، وأن استبطاء القوم عن الطاعة وتبليدهم عن الانقياد وإخلاصهم عن العصيان، وكذا رغبهم في شيء وعرضهم عليه بأنواعه واعتقادهم التفریط في جنب الله عند تركه يكون سبباً لأن يشده عليهم بأساليب الأكيد والتشهير، ونزل ذلك كله في استبطاء الجود كمثل الإنسان الصالح قوي الهمة يتوكل⁽²⁾ ساعة انتشار الروحانية وقوة السعادة، فيأمر الله فيها بجهد همه، فلا ترخي إجابته، وإلى هذه المعاني وقعت الإشارة في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا عَنْ أَسِنَّةٍ إِنْ تُمْنَكُمْ تَكُفُّمْ وَإِنْ قَتَلْتُمْ عَمَّاءَ جُنٍّ يُمْنَكُمْ أَلَمْ تَكُونُوا أَهْلَ عِلْمٍ﴾ [نحله الآية 101].

وأصل المرضي أن يقل هذا النوع من أسباب نزول الشرائع لأنه يعد لنزول ما يفل

(1) من أسباب نزول الشرائع في صورة خاصة.

(2) أي: يفتقد.

به حكم الصعوبة الخاصة بذلك الوقت، فكثيراً ما كان نصيباً على الدين يأتون من بعد، ولذلك كثر السبب في بكرة الحلال، وكان يقول: «ذروني ما تركتكم، فإنما هك من قبلكم بكرة سؤاليهم واختلافهم على أنبيائهم»، وقال: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل شيئاً فحرم لأجل مسأله». وجاء في الخبر: «إن بني إسرائيل لو صحوا أي بقرة شازي، كُفَّت عنهم، لكن شذروا فنشذ عليهم، والله أعلم».

❁ باب أسباب المواخذة على المناهج ❁

لتبحث عن المناهج والشرائع التي ضربها الله تعالى لبيده، هل يترتب للثواب والعذاب عليها كما يترتب على أصول البر والإثم؟ أو لا يترتب إلا على ما جعلت نكبات وشياحاً وقوالب له؟ فمن ترك صلاة، وقت من الأوقات وقلبه مطمئن بالإخبات، هل يُعذب بتركها؟ ومن صلى صلاة وأدى الأركان والشروط حسبما يُخرج عن ثمهذة ولم يرجع شيء من الإخبات ولم يدح ذلك في صلب قلبه، هل يثاب على فعله؟ وليس الكلام في كون مصيبة المناهج منسوبة عظيمة من جهة كونها قدحاً في النسبة הראشدة وفتحاً باب الإثم وحشاً بالنسبة إلى جماعة المسلمين وقسراً لحي والمدينة والإقليم، بمنزلة ميل شئ مجراه لمصلحة المدينة فحاش رجل يثب لفسد وتجا بنفسه وأهلك أهل مدينته، ولكن الكلام فيما يرجع إلى نفسه من إحاطة الشبهات بها أو إحاطة الحقائق.

ذهب أهل العقل قاضية إلى أنها توجب للثواب والعذاب بنفسها، فأصحقون مهم والراسخون في العلم والحواريون من أصحاب الأنبياء عليهم السلام، يدركون مع ذلك وجه النسابة والارتباط لتلك الأشياح والقوالب بأصولها وأرواحها، وعامة حسنة الدين ووعاة الشرائع يكتفون بالأول، وذهب فلاسفة الإسلام إلى أن العذاب والثواب إنما يكونان على الصفات الشخصية والأخلاق المنسوبة بقيل لروح، وإنما ذكروا موابها وشياحها في شرائع تفهيماً وتقريباً للمعاني الدقيقة إلى أذهان الناس، هذا تحرير المقام على مشرب انقوم.

أقول: والحق ما ذهب إليه المصحقون من أهل السلف.

بيان ذلك: أن الشرائع لها معنات وأسباب شخصها وترجع بعض محملاتها على بعض، والحق يعلم أن تقويم لا يستطيعون الفعل بالتبيين إلا تلك الشرائع والمناهج، ويعلم أن هذه الأوضاع هي التي يلقى أن تكون عبيهم، متدرج في غاية الحق بالقوم أولاً، ثم لها نهيها العام فليضاه صور الشرائع وإيجاد شخصها العنانية، فأوجدتها وأفاضها وتقرر حقائق أمرها، كانت أصلاً من الأصول، ثم لما فتح الله على الملأ الأعلى هذا العلم

وأنهمه أن المحضات قائمة مقام الأصول، وأنها أشباحها وتمثيلها، وأنه لا يمكن تكليف القوم إلا بذلك، حصل في حقيقة القدس، جرد ما عني أنها هي بمنزلة اللفظ بالنسبة إلى الحقيقة الموضحة لها، والصور الذهنية بالنسبة إلى الحقيقة الخارجية المستزعة منها والصور التصويرية ماسة إلى من انطشت كشفاً، والصورة الخطية بالنسبة إلى الانطاط الموضحة هي لها، فإنه في كل ذلك لما قرئت العلاقة بين الدل والمطلول، وحصل منها تلازم وتدفق، فجمع في حيز ما من الأسياز أنه هو، ثم توضح شبح هذا العلم أو حقيقة هي مدركات بني آدم عربده وعجمهم، فاتفقوا عليه، من يرى أحد إلا ومصر في نفسه شعبة من ذلك، وربما سكتاه وجوداً شبيهاً للمطلول، وربما كان لهذا الوجود قدر عجيبة لا يخفى على المتتبع، وقد روي في انشراح بعض ذلك، وتلك جملة الصدفة من أوساخ المتصدين، وسرت شناعة العمل في الأجرة، ثم لما بعث النبي ﷺ وأيد بروح القدس ومُثِّت في رده إصلاح القوم، وفتح لجوهر روحه فبع واسع إلى القصة بقوة في باب نزول انشراح وسدود التخصيص المثالية، فغرم على ذلك أقصى مزيعة، ودعا المعوانين وأمن على المخالفين بجهد همة، وأن همهم تحرق السبع العياق، وأنهم يستنفون وما هنالك قرعة⁽¹⁾ سحاب فتشأ أشال الجبال في الحال، وأنهم يدعون فيحيي السموى بأعوتهم، تأكد انفضاء الرضا ونسخط في حقيقة العنصر، وهو قوله ﷺ «لن إبراهيم نبئت وعبدك دعا فمكة ولما لدعو للمدينة، الحبيب

ثم إن هذا العبد إذا علم أن الله تعالى أمره بكذا وكذا، رأى الملا الأعلى توبه النبي ﷺ فيه بأمر ربه، وسلم أنه إعمال هذا والإقدام على ذلك اجراء على الله وتغريط في جنب الله، ثم أقدم على العمل عن قصد وعمد وهو يرى، ويصير، فمن ذلك لا يكون إلا لغاشية عظيمة من الحجب وانكسار تام للملكية، وذلك يوجب قيام خطيئة بالنفس، وإذا أقدم على عمل شاق تنجم عنه طبيعته، لا لمرأاة الناس بل تقرباً من الله وحفظاً على مرضاته، فإن ذلك لا يكون إلا لغاشية عظيمة من الإحسان وانكسار تام للبهيمية، وذلك يوجب قيام حسنة بالنفس، أما من ترك صلاة وقت من الأوقات، فحجب أن يبعث عنه ثم تركها؟ وأي شيء حمله على ذلك؟ فإن نسبها أو نام عنها أو جهل وجوبها أو شغل عنها بما لا يجد منه بُدّاً، فنص الحلة أنه ليس بكم، وإن تركها وهو يعلم ويشكر وأمره ببد، فإن ذلك لا يكون إلا محالة إلا من عزازة⁽²⁾ في دونه، وغاشية شيعدية أو فسادية غشيت بصيرته، وهو رجع إلى نفسه، وأما من صلى صلاة وخرج عن ههنا ما وجب عليه،

(1) أي: قطعة من غيم، وجمع قرعة قرع.

(2) ولعله رجع في القلب من غط ونمو.

فيجب أن يُتَحَتَّ عنه أيضاً، إذ فعلها دينه وسمة أو جرماً على عادة قومه أو عيانه، فنص الحلة أنه ليس بسطع ولا عند بفعله ذلك، وإن فعلها تقرباً من الله، وأقدم عليها إسناً واحترافاً وتصديقاً بالموعود، واستحضر الآية وأخلص دينه لله، فلا جرم أنه أفتح بينه وبين الله باب، ولو كبرئس بيرة. وأما من أهلك المدينة ونجا نفسه، فلا نسف أنه نجا نفسه. كيف، وهتاك لله ملائكة أقصر همتهم أنداء لمن يسعى في إصلاح العالم، وعلى من يسعى في إفساده، وأن دعوتهم تفرج باب النجود ويكون سبباً لنزول المجزوء بوجه من الوجوه، بل هناك لله تعالى عناية بالناس توجب ذلك، ولقد عسرناها جعلنا ذممة الملائكة عنواناً لها، والله أعلم.

❁ باب أسرار الحكم والعدة ❁

اعلم أن للعداء فعلاً يرضى لأجلها رب العالمين عنهم، وأفعالاً يسخط لأجلها عليهم. وأفعالاً لا تقتضي رضى ولا سخطاً، فانقضت حكمته البائدة ورحمته النامة أن يبحث إليهم الأنبياء، ويحرمهم على كسبتهم بتعلق الرضى والسخط بتلك الأفعال، ويطلب منهم الفصل^(١) الأول وينتهي من الثاني ويخيرهم فيما سوى ذلك:

﴿يُفَصِّلُ لِمَنْ خَلَقْتَ حَافَةً وَيَجْعَلُ مَنْ حَرَّمَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [الأنفال الآية 42].

فتعلق الرضى والسخط بالنعى، وكونه غفلاً عنهم، وكون الشيء بحيث يطلب منهم وينهون عنه ويخبرون فيه، أي ما شئت فقل هو الحكم.

والطلب : ما يؤكد يقتضي الرضى والثواب على فعل المستطوب، والسخط والعقاب على تركه.

ومنه غير مؤكد يقتضي الرضى والثواب على فعل الله المأمور، دون السخط والعقاب على تركه.

وكذلك النهي : ما يؤكد يقتضي الرضى والثواب على الكف منه لأجل النهي، ويقتضي السخط والعقاب على فعل النهي عنه،

ومنه غير مؤكد، يقتضي الرضى والثواب على الكف منه لأجل النهي دون السخط والعقاب على فعله.

واعترض بما عندك من ألقاظ الطلب والنعى وبمحاورات الناس في ذلك، فإنه، منجد

(١) مكاناً بعد اللقب بالصفة المشروعة بالمطبعة الأميرية، وطه تحذوف عن الفعل.

تشية كل قسم، من جهة سريان الرضى والسخط في ضد المتعلقين أولاً، أمراً طبيعياً لا محيص عنه، فالأحكام خمسة: إيجاب، ونهية، وإباحة، وكراهية، وتحريم، والذي يؤتى به في مخالفة الدس لا يمكن أن يكون حال كل فعل على حدته من أفعال المكلفين، لعدم انحصارها ولعدم استطاعة الدس الإحاطة بملئها، فوجب إذاً أن يكون ما يخاطبون به قضايا كلية متوالية بوحدة تنظم كثرة، فيحيطوا بها علماً فيعرفوا منها حال أفعالهم، وذلك عبرة بالمصناعات الكلية التي جعلت لتكون قاتوناً في الأمور العامة، كأن يقول النحوي: الفاعل مرفوع، فيمي مثلكه السامع فيعرف بها حال زيد في قولنا: قام زيد، وعمر في قولنا: لقد عمر، وهلم حراً.

وتلك الوحدة التي تنظم كثرة هي اللغة التي يدور الحكم على دورانها وهي قسمان: قسم يعتبر فيها حالة توجد في المكلفين ولا يسكن أن تكون حانة دائمة لا تنفك عنهم، فيكون مصبون الخطاب تكليفهم بالأمر دائماً، إذ لا يستطيعون ذلك، اللهم إلا في الإيمان خاصة، فلا تجزم أن تُحذر حالة مركبة من صفة لازمة في المكلف بها يصح قوله مخاطباً وهذه طارئة تنوب مرة بعد مرة، وأكثر ما يكون هنا القسم في العبادات.

واللهي: إما وقت أو استطاعة مبصرة أو مقننة خرج أو زيادة شيء، ونحو ذلك. كقول الشارع: من أدرك وقت الصلاة وهو عاقل بالغ وجب عليه أن يصلها، ومن شهد اشهر وهو عاقل بالغ مطلق وجب عليه أن يصومه، ومن ملك تصاباً وحال عليه النحول وجب، أن يزكّيه، ومن كان عمن سفر جاز له التقصر والإنطار، ومن أورد الصلاة وكان مُخَذَّباً وجب عليه الوضوء، وبني مثل هذا ربما تسقط الصفات المعنوية في أكثر لأمر، وتخص الصفة التي بها امتاز بعضها من البعض فيسمح منسبتها عنه، فقال: عند الصلاة إدراك الوقت، وعلة الصوم شهود الشهر، وربما يجعل الشارع لبعض تلك الأوصاف دون بعض أثراً، كما يجوز تعجيل الزكاة سنة أو سنتين لمن ملك الثياب دون من لم يملكه، فيعطي قفية كل ذي حق حقه، فيحصن بعضها بسبب ولا أثر بالشرط.

وقسم يعتبر به حال ما يقع عليه العمل أو يلاسه، وهي:

إما صفة لازمة له، كقول، (يُحَرِّمُ شَرِبَ الْخَمْرِ وَيُحَرِّمُ أَكَلَ الْخَنزِيرِ، وَيُحَرِّمُ أَكَلَ ثُلٍّ فِي مَاءٍ مِنَ السَّاعِ، وَكُلَّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَيُحَرِّمُ نِكَاحَ لَأْمِهَاتٍ). أو صفة طارئة تنوبه، كقول، تعالى:

﴿وَالنَّكَاحُ وَالشَّارِكَةُ فَاقْكُمَا أَجْرَهُمَا﴾ (النساء: ٣٥).

وقوله تعالى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢٠).

وربما يجمع بين اثنين فاصلاً من أحوال ما يقع عليه الفعل، كقول الشارع: (يجب دمج الزمان المحض، وجعله زان غير محض) وربما يجمع بين حال المكلف وحال ما يقع عليه الفعل، كقول الشارع: (يُحرم الذبح والحرير على رجل الأمة دون نساءها).
وليس في دين الله جزاف، فلا يتعلق الرضى والسخط بتلك الأعمال إلا بسبب. وذلك أن مهنا شخصاً:

شخصاً يتعلق بها الرضى والسخط في الحقيقة: وهي نوعان: أحدهما البر والإثم والأورثاق وإضاعتها، وما يحذر حذر ذلك، وثانيهما ما يتعلق بالشرائع والمناهج، من سد باب التحريف، والاحتراز من السفل ونحو ذلك.

ولها محال ولوازم يتعلّقان بها بالامر من: "رُشيداً" إليها توسعاً، نظيره ما يقال من أن علة الشفاء تناول الدواء، وإنما العلة في الحقيقة تُضج الأخطا أو إخراجها، وهو شيء بعقب الدواء في العادة، وليس هو هو، وتعال علة الحمى قد تكون الجلوس في الشمس، وقد تكون الحركة المتعبة، وقد تكون تناول غذاء حار، والعلة في الحقيقة سخونة الأخطا، وهي واحدة في ذاتها ولكنها طرق إليها وأشباح لها. وكان الاكتفاء بالأصول وترك اعتبار تعدد الطرق والمحال لسان المتصفين في القبول النظرية دون القاعدة، وإنما نزل الشرع بلسان الجمهور، ويجب أن يكون بعلة الحكم صفة يعرفها الجمهور ولا تغنى عليهم حقيقتها ولا وجودها من عدمها، ويكون نتيجة لأصل من الأصول التي نعتق بها الرضى والسخط، إما لكونها مفضية إليه أو سبباً له ونحو ذلك، كشراب الخمر، قوله مفضة لمفسد يتعلق بها السخط، من الإعراض عن الإحسان والإخلاص إلى الأرض وفساد نظام المدينة والقصور، وكان لازماً لها غالباً، فتوجه المنع إلى نوع الخمر.

وإذا كان شيء لوازم وطرق به يُخصّس لعمليتها منها إلا ما تميز من سائر ما هنالك، برحمان من جهة الظهور والانقباط، أو من جهة نزوم الأصل أو نحو ذلك كترخصة القصر والإفطار - أديرت على السفر والرضى دون سائر مقتضات الحرج، لأن الأكابر الشاقة كالفلاحة والتعمدة وإن كان يلزمها الحرج لكنها مخلة بالطاعة، لأن السكتب بها يداوم عليها ويترقف عليها مناسه. وإما وجود الحر والبرد فيترتب تنضبط لأن لهما مراتب مختلفة يعسر إحصاؤها وتعيين شيء منها بآثار وعلامات، وإنما يستبر عند البر نقتات كانت في الأمة الأولى أكثرية معروفة، وكان السفر والمرض بحيث لا يشته عليهم الأمر فيهما، وإن كان اليوم بعض الاشتباه لانقراض العرب الأول وتعلق الناس في الاحتمالات حتى حسد ذوقهم الصليم الذي يجده نَحُّ العرب، والله أعلم.



باب المصالح للمقتضية لتعيين الفرائض والأركان والأدب ونحو ذلك



اعلم أنه يجب عند سيادة الأمة أن يجعل لكل شيء من الطاعات حدان. أحدهما الأدنى، فالأعلى هو ما يكون مقتضياً إما المقصود منه على الوجه الآتية، والأخرى هو ما يكون مقتضياً إما جملة من المقصود ليس بعدما شيء يعتد به، وذلك لأنه لا سبل إلى أن يُطلب منه الشيء ولا يبين لهم أجزأه وسوره ومقتار المصوب منه، فإنه يتأخر موضوع الشرح، ولا سبل إلى أن يكلف الجميع بإفادته الآداب والكيالات، لأنه سبيلة التكليف بالمعالي في حق المستغنيين أو المدعورين، وإما إبقاء سيادة الأمة على الأئمة الذين لا استقصاء، ولا سبل إلى أن يهملوا العمل ويكتفى بالأدنى، فإنه مشرب الصالحين وحفظ المصالحين، وإعمال مثله لا يلائم للطف، فلا محيص إلا إذا من أن يُبين الأدنى، ويُسجل على التكليف به، وينتدب إلى ما يزيد عليه من غير إيجاب، والذي يُسجل على التكليف به يقسم إلى مقدار مخصوص من العظمة، كالصلوات الخمس وقيام، وضأن، وإبر أبعادها، لا يحد بها بدونها، كالتكبير وقراءة فحة الكتاب للعبادة، وسمى بالآثار، وأمر خارجة منها لا يعتد بها بدونها، يسمى بالشروط كنواضيه للصلاة.

واعلم أن الشيء قد يُجهد في أسباب يشبه المذهب الطبيعي، وقد يُجعل بسبب مثري:

فالأول أن تكون الطاعة لا تنفرد ولا تُفقد فائدتها إلا به، كالركوع والسجود في الصلاة، والإيمان من الأكل والشرب والجماع في الصوم، أو يكون صيغاً لمذهب غني لا بد منه فيها، كالتكبير، فإنه غبط ثلثة واستحشار لها، وكالتفاحة، فإنها صبط للذم، وكالسلام، فإنه صبط للمروج من الصلاة سبل صانع لا يتأخر الوقار والتعظيم.

والثاني أن يكون واجباً بسبب آخر من الأسباب، فيجعل ركناً في الصلاة لأنه يكملها ويومر العرض منها، ويكون التوقيت بها أحسن توقيت، كقراءة سورة من القرآن على مدح من يجعلها ركناً، فإن القرآن من شعائر الله يحب تعظيمه، وألا يترك حقاً⁽¹⁾، ولا أحسن في التوقيت من أن يؤمروا بها في تلك عبادتهم وأكثرهم وجوداً وأكملها تكليفاً، أو يكون التمييز بين مشهورين، أو التمييز بين ممتدة الشيء، والشيء المستغل، موقوفاً على شيء.

(1) أي: معروفاً، وموجباً، أي: يدين.

(2) مسطور، أي: يظهر بظاهر اعتقاد، وهذا من معجزات النبوة، والله من أن العون لا يأتيه إن يُبدل رداء العبد ويؤمن به، ولا يُكفر به.

فيجعل ركناً ويؤمر به، كالقومة بين الركوع والسجود، بها يحدس الفرق بين الانحناء الذي هو مقدمة السجود وبين الركوع الذي هو تعظيم رأسه، وكذا لإيجاب والقول والشهود وحضور التولي ودخا المرأة في النكاح، فإن التمييز بين الفساح والنكاح لا يحصل إلا بذلك. ويمكن أن يخرج بعض الأركان على الوجهين جمعاً.

وعلى ما ذكرنا في الركن ينبغي أن يفرض حال الشروط، فربما يكون الشيء واجباً بسبب من الأسباب فيجعل شرطاً لفرض شعائر الدين تنبهاً به، ولا يكون ذلك متى تكون تلك الطاعة كاملة بانضمامها، فيستقبل الفسحة، لما كانت الكعبة من شعائر الله وحجب تعظيمها، وكان من أعظم التعظيم أن تستقبل في أحسن حالاتهم، وكان الاستقبال إلى جهة ناحية هناك بعض شعائر الله، منها للمصلي عن صفات الإتيان والخضوع، فذكرنا أنه هيئة قيام العبيد بين أيدي ساداتهم حمل استقبال قبله شرطاً في الصلاة.

وربما يكون الشيء لا يفرض فائدة بدون حياة فيشترط لصحته كاشية، فإن الأعمال إنما تؤثر لكونها أشباح حيوات، فالتوبة، والصلاة، شيع الإحسان، ولا إغيات بدون التوبة، والاستقبال القبة أيضاً على تخريج آخر، فإن توجيه القلب لما كان حقيقاً نصب بوجبه الوجه إلى الكعبة التي من شعائر الله مقامه، وكذا لوضوح وسر العورة وهجر الرجز، فإنه لما كان التعظيم أمراً حقيقاً نصت الهيئات التي يراعى الإنسان بها نفسه عند الملوك وأشباههم، ويعملونها تعظيماً، وصار ذلك كامناً في قلوبهم، وأصبح عليه عريته وعجمهم مقادير.

وبذا يميز شيء من الطاعات لفرضية فلا بد من ملاحظة أصول.

منها ألا يكلف إلا باليسر، وذلك قوله ﷺ: ولولا أن أشق على أمتي لأمرتكم بالسواك عند كل صلاة، وتفسيره ما جاء في رواية أخرى: ولولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء.

ومنها أن الأمة إذا اعتصمت في مقدار أن تركه وإعماله يفرض في حب الله: وأصابت به نفوسهم، إذا فكونه مأثوراً عن الأنبياء مجعاً عليه من السيف أو نحو ذلك، كانت الحكمة أو يكتب ذلك البمدار عليهم كما استوجبوا، كتحرير لحرم الإبل والباندا على بني إسرائيل، وهو قوله ﷺ: في قيام ليالي رمضان: حتى خشيت أن يكتب عليكم.

ومنها ألا يسجن على التكليف شيء حتى يكون ضرراً متضبطاً لا يخفى عليهم، فذلك لا يعمل من أركان الإسلام لجاء وسائر الأخلاق، وإن كانت من شعبه.

ثم الأدنى قد يختلف باختلاف حالتي الرفاهية والشدة، فيجعل القيام ركناً للصلاة في حق المطيق، ويجعل الضمرد مكانه في حق غيره.

وأما الحد الأعلى فيزيد كُثْرًا وكِثْفًا: أما الكم فتوافل من جنس الفرائض، كسكن الرواقب، وصلاة الليل، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وكأصلقات المندوبة ونحو ذلك، وأما الكيف فهيئات وأقندر وكف لا يلائم الطاعة يؤمر بها في الطاعة لتكامل، وتكون مُقْبِبةً إلى المقصود منها على الوجه الأنس، كتمهيد المغاير^(١) يؤمر به في الوضوء لتكامل النظافة، وكالابتداء باليمين يؤمر به لتكون النفس متنبهة على عظم أمر الطاعة وتقبل عليها حين أخذت نفسها بما يضل في الأعمال المهمة.

واعلم أن الإنسان إذ أراد أن يجعل خلقاً من الأخلاق، ويتصنع نفسه، ويحيط بها من جميع جوانبها، فحيلة ذلك أن يؤخذ نفسه بما ياسب ذلك الخلق من فعل وهيأت ولو في الأمور الغيبية التي لا يعبأ بها العامة، كالمتمرن على الشجاعة يؤخذ نفسه ألا يتحجم^(٢) عن الخوض في النوحل والعشي في الشمس والسر في الليلة الظلمة، ونحو ذلك، وكذلك المتمرن على الإخبات يحافظ على الآداب العظيمة كل حال، فلا يجلس على الغائط إلا مطرقاً مستحيباً، وإذا ذكر في جمع أطرافه ونحو ذلك، والمتمرن على العدالة يجعل لكل شيء حَقًّا، فيجعل اليمين للأكل والطيبات، واليسار لإزالة النجاسة، وهو سر ما قبل للبي في السواك كَبْرَ كَبْرَ^(٣)، وقوله ﷺ في قصة حويصة ومجيدة^(٤) دَكْبَرُ كَبْرَ، فهذا أصل أبواب من الآداب.

واعلم أن سر قوله ﷺ: «لن الشيطان بكل يشمعه» ونحو ذلك من نسبة بعض الأعمال إلى الشياطين - على ما فهمني ربي تبارك وتعالى - أن الشياطين قد أقدرهم الله تعالى على أن يتشكلوا في رؤيا الناس ولأبصارهم في البقطة بأشكال تعطيها أمزجتهم وأحوال طارئة عليهم في وقت التشكل، وقد علم أهل الوجدان السليم أن مزجهم يعطي

(١) جمع خين من خين ثوب إذا عطف، وهي معطف الجند ومخادعه التي تجمع فيها الوسخ والدماء يمتدحها غملاً.

(٢) أي: يستع.

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما في البي ﷺ قال: دلوني في المنام استك سواك فهاضي ويطان لدها كبر من الأخر فقولنا الأصغر منهما قليل لي: كَبْرَ يدلغته إلى الأكبر مدماه أخرجه لتبذل. قوله دَكْبَرُ أي: المص الكبير الفضل لسواك.

(٤) حُوَيْصَة وشُوَيْصَة، يضم. لأول وتشديد الياء المكسورة وقيل بتشديد الصاد مصفرتين: أبتا مسعود ولحمى أنه لما قتل عبد الله بن سهل في خيبر ولم يجر قتله جاء عبد الرحمن آخر المقتول وأبنا مسعود إلى النبي ﷺ ليبدأ عبد الرحمن بالكلام وكان أصغر سنًا فقال له النبي ﷺ: تكبر الكبير، يعني علم الأهل في الكلام وكبر لم الكبير. والتكبر - يضم الكاف وسكون الباء - أصل القوم.

التطهير بأفعال شعبة وأفعال تعميل إلى طيش^(١) وضجر والغربة من النجاسات والتقصوه عن ذكر الله والإعانة لكل نظام مستحسن مطلوب.

واعني بالأفعال الشيعية ما إذا فعله الإنسان اشعزت قلوب الناس عنه وانقشعت جلودهم وانطقلت المستنهم باللمع والطمع، ويكون ذلك كالمدح النبوي لبي آدم عليه الصورة التورعية، ومستوي فيه هوائف الأمم، لا للمحافظة على رسم قوم دون قوم أو ملة دون ملة، مثل أن يقبض على ذكره، ويشد، ويرقص، أو يدخل إصبعه في دبره، ويلطخ لحيته بالمخاط، أو يكون أجودع الأنف والأذن مسخماً^(٢)، أو ينكس لباسه، فيجعل أعلى الفمضي أسفل، أو يركب دابة فيجعل وجهه من قبل ذنبها، أو يمس خفاً في رجل والرجل الأخرى حافية، ونحو ذلك من الأفعال والهيئات المنكرة التي لا يراها أحد إلا لمن وسب وشتم. وقد شاهدت في بعض الترافعات الشياطين يفعلون بعض ذلك.

واعني بأفعال الطيش مثل انبثت يثوبه وبالحصى وتحريك الأطراف على وجه منكر. وبالجمبه، قد كشف الله على نبيه ﷺ تلك الأفعال، وأنها تعطيلها أمزجة الشياطين، فلا يشغل الشيطان في دنيا أحد أو يقطعه إلا رهو يلبس ببعضه، وأن كتموني في حق المؤمن أن يتباعه من شياطين وهيتاتهم بقدر الاستطاعة، فيبين النبي ﷺ تلك الأفعال والهيئات، ويكرها وأمر بالا فترار عنها.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «لن هذه الحشوش»^(٣) معترضة.

وفوله ﷺ: «إن الشيطان يلعب بمخاض بني آدم، وإنه يضحك إذا قال الإنسان هاه هاه»^(٤)، وقيل على ذلك الرغب في هينات الملائكة، وهو قوله ﷺ: «لا تمشقون كما تصف الملائكة»^(٥)، وهذا أصل آخر لأبواب من الآداب.

واعني أن من أسباب جعل انشي، مرهأ بالكفاية أن يكون اجتماع الناس عليه بأجمعهم معداً لمعاشهم ومقضيأ إلى أعمال ارتشافاتهم، ولا يمكن تعيين بعض الناس لوتعين آخرين لغيره، كالجهاد، لو اجتمعوا عليه وتركوا الفلاحة والتجارة والنصاعات لصل معاشهم، ولا يمكن تعيين بعض الناس للجهاد وآخرين للتجارة وآخرين للفقه وآخرين للقداء وتعليم العلم، لأن كل واحد يشتر له ما لا ينيسر لغيره، ولا يعلم المستعد لنشي من ذلك بالأسامي والأصناف لئلا انحكم عليها.

(١) أي خفة. (٢) أي مسوخة.

(٣) جمع شح بالثنيث وهو: قبيحان، واهراء مواضع قضاء حاجته، أي: تشكف ويعدو الدن واشتيلين المصدر الإوزة، قلها لمر بدنو الحيرات والاعتناء من التعرض لأبصار الناس.

(٤) عند الثنايب.

ومنها^(١) أن تكون المصلحة المنشودة به وجود نظام، ولا يلحق بتركه فساد حال التمر وغلبة الجهلية، كالغضاء وتعليم علوم الدين والقيم بالخلافة، فإنها شرعاً للنظام وتحصن بقيام رجل واحد بها، وكفاية المريض والصلاة عن الجنازة: فإن المنصود بالأصح المرض والموت. - انحصل بقيام البعض بها، والله أعلم

❁ باب أسرار الأوقات ❁

لا تتم سياسة الأمة إلا بتعيين أولات طاعتها، والأصل في تعيين المجلس المعتمد على معرفة حال الأمة، والخيار ما لا يتنق عليهم، وهو يكفي من المقصود، ومع ذلك فليكن معكم بعض ما يعلمها فراسخون في العلم، وهي تروى عن أصول ثلاثة:

أحدها: أن الله تعالى وإن كان متعالياً عن الزمان تكون قد تطامعت الآيات والأحاديث على أنه في بعض الأوقات يتغرب إلى عياده، وفي بعضها تغرب عنه الأعمال، وفي بعضها يقدر المعونات، إلى غير ذلك من الأحوال المتجددة، وإن كان لا يعلم كنه حقيقتها إلا الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «يتنزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»، وقال ﷺ: «إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس»، وقال ﷺ في ليلة النصف من شعبان: «إن الله يطلع فيها» وفي رواية «يتنزل فيها إلى السماء الدنيا»^(٢). والأحاديث في هذا الباب كثيرة معلومة.

وبالجملة: فمن ضروريات الدين أن هنالك أوقات يحدث فيها شيء من انتشار الروحانية في الأرض وسريان قوة مثالية فيها، وليس وقت أقرب لقول الطاعات واستجابة الدعوات من تلك الأوقات، فهي أغنى سبيحاً ينفتح باب عقولهم من اعتقاد الجهلية والملكية، والأصل الأعلى لا يعرفون انتشار تلك الروحانية وسريان تلك القوة بحساب الدورات الفلكية، بل بالذوق والوجدان، بأذن يتطبع شيء في قلوبهم فيعلموا أن هنالك قوة تاركة وانتشاراً للروحانية وأحد ذلك، وهذا هو المعبر عنه في الحديث «بمنزلة سلسلة على سفوان»^(٣).

والأنبياء عليهم السلام تنطبع تلك العلوم في قلوبهم من أمثال الأعلى، فيشاركونها بالوجدان دون حساب الدورات الفلكية. ثم يجدون في نصب مظنة لتلك المنة، فيأمرون القوم بالمحافظة عليها

(١) أي الأصول.

(٢) رتبه منظر لاكثر من عدد شمس ختم كلب.

(٣) يوم الجمعة من ضرب خمسة أمثلة كجود الفلك شبيهة الشريعة على السبر الأعلى

والنصوص في هذا الباب كثيرة معروفة وقد شاهدت منه أمراً عظيماً.

الأصل الثاني: أن وقت التوجه إلى الله هو وقت كون الإنسان غالباً عن الشهوات الطبيعية، كالجموع المفرط والشبع المفرط وغلبة التماس وظهور الكلال، وكونه حافياً حافئاً، والخيالية، كاستلاء السمع بالأراجيف والنفط والبصر بالصور المختلفة والألوان المشوشة، ونحو ذلك من أنواع الشهوات. وذلك مختلف باختلاف العادات، لكن الذي يشبه أن يكون كالذهب الطيبي لربهم وعصمهم ومشارقتهم ومقاربتهم، والذي ينبغي أن يتخذ دستوراً في التواضع الكلية، والذي يُعَدُّ مُخَالِفُهُ كالشيء النادر - هو القدوة والدلجة، والإنسان يحتاج إلى تصفُّلٍ تزيل عنه الرُّبِن بعد تمكنه من نفسه، وذلك إذا أدى إلى قوته ومال الثموم؛ ولذلك نهى ﷺ عن المسر^(١) بعد العشاء وعن قرضي الشعر بعده.

وصياصة الأمة لا تتم إلا بأن يؤمر بتعهد النفس بعد كل برهة من الزمان حتى يكون انتظاره لفصله واستعداده لها من قس أن يفعلها، وفيقة لونها وصياصة نورها بعد أن يفعلها في حكم الصلاة، فيستغل استيعاب أكثر الأوقات إن لم يكن استيعاب كلها، وقد جرى أن الثائم على عزيمة قيام الليل لا يتفعل في النوم البهيمي، وأن المتوزع خاضره على ارتفاق منوي وعنى محافظة وقت صلاة أو ورد الأيقونة، لا يتجرع للبهيمية، وهذا سر قوله ﷺ: «من تغفل من الليل» الحديث^(٢)، وقوله تعالى:

﴿يَهْدِلْ لَا تَهَيِّمُهُمْ يَهْدِلْ وَلَا يَجْعَلْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: الآية ٣٧).

يرسلح أن يجعل: الفصل بين كل وقتين ربع النهار. فإنه يحتوي على ثلاث ساعات، وهي أول حد كثره للضمار المستعمل عندهم في تجزئة الليل والنهار، عريهم وعصمهم، وفي الخير: «إن أول من جرد النهار والليل إلى لمساته نوح عليه السلام وتوالت تلك بقوه.

الأصل الثالث: أن وقت أداء الطاعة هو الوقت الذي يكون مذكراً لثمة من نعم الله تعالى، مثل يوم عاشوراء، نصر الله تعالى فيه موسى عليه السلام على فرعون، فصامه وأمر بصيامه، وكرمضانه نزل فيه القرآن، وكان ذلك ابتداء ظهور البطة الإسلامية.

أو يكون الوقت مذكراً لطاعة أنبياء الله تعالى لربهم وقبوله لها من متهم، كيوم الأضي: يذكُر قصة ذبح إسماعيل عليه السلام وفدائه بذبح عظيم.

(١) ابن السكيت: وقوله: «قرض الشعر» أي: تشده. وقوله: «معيابه أي: يفية وقوله: «يتفعل» أي: يستغرق.

(٢) ثعلب أي: تلب واستيقظ. وشام الحديث: «... فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وسبحان الله ربهم لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» ثم قال: رب اغفر لي، أو قال: ثم دعا استجيب له، فلهي توحها وصلّى قبلت صلاته.

أو يكون أداء الطاعة فيه تنويهاً ببعض شعائر الدين، كيوم الفطر - في إيقاع الصلاة والصدقة فيه تنويه برمضان وأداء شكر ما أنعم الله تعالى من توفيق صيانه، وكיום الأضحي: به تذكُّر بالحق وتعرض لتفحات الله المُعَدَّة لهم.

أو تكون جرت سنة الصالحين المشهود لهم بالخير على السنن الأمام أن يطيعوا الله تعالى فيه، مثل أوقات السنوات الخمس، لقول جبرائيل: «هذا وقت الأنبياء من قبله»، ومثل رمضان على وجه واحد في تفسير قوله تعالى:

﴿كَيْفَ عَلَيْكُمُ التَّيْبَاتُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الْوَيْمِ بْنِ قَيْصَظْمٍ﴾ (سورة: الأوبة 118).

وكصوم يوم عاشوراء بالنسبة إلينا.

ويجب أن يكون الأصل الثالث معبراً في أكثر الأوقات، والأصلان الأربعة أصل الأصل، والله أعلم.

❁ باب إمرار الأعداد والعقائير ❁

اعلم أن الشرع لم يخص عدداً ولا مقداراً دون نظيره إلا لوجهم ومصالح، وإن كان الاعتماد الكلي على الجنس لمعتمد على معرفة حال المكلفين وما يلبق بهم عند سياستهم. وهذه الحكم والمصالح ترجع إلى أصول:

الأول: أن الوتر عدد مبارك لا يُجَاوِزُ عنه ما كان⁽¹⁾ فيه كفاية، ومرو قوله ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر، فأتوا بما أهل للوتر». وسر أنه ما من كثرة إلا مبلغها وحدة، وأقرب الكثرات من الوحدة ما كان وترّاً؛ إذ كل مرتبة من الأعداد فيها وحدة غير حقيقة، بها نصير تلك المرتبة، فالعشرة مثلاً وحدات مجتمعة اعتبرت واحدة، لا خمسة وخمسة، «على هذا التقاس». وبلك الوحدة نموذج الوحدة الحقيقية في تلك العرايب وميراثها منها، وفي الوتر هذه ومثلها معها، وهو الوحدة، بمعنى عدم الانقسام إلى عددين صحيحين متساويين، فهو أقرب إلى الوحدة من الزوج، وأقرب كل موجود من مبدئه يرجع إلى قربه من الحق لأن مبدأ المبادئ، والأتم في الوحدة متخلق بخلق الله.

ثم اعلم أن الوتر على مراتب ثلث: وتر يشبه الزوج ويجنحه، كالسبعة والخمسة فإنهما بعد إسقاط الواحد يقسمان إلى زوجين، والسبعة وإن لم تنقسم إلى عددين متساويين

(1) ما دله وقوله: «الوتر يكسر الوتر ويحلج: الفرد، والله وتره أي: واحد في ذاته لا يقبل الانقسام. واحد في صفاته لا شبه له، واحد في إسمه فلا شعين له، ويصحب الوتر، أي: ثبت عليه ويقيه من هاتك فخرشوا يا أهل القرآن، يريد به تذكُّر أيام الذين على سبيل القرآن والامر بصلاة الوتر.

فإنها تنقسم إلى ثلاثة متساوية. كما أن الزوج أيضاً على مراتب: زوج يشبه الزوج، كالثاني عشر، فإنه ثلاث أربعاء، وكالتسعة فإنها ثلاث اثنيثاء. وإمام الأوتار وأعدها من مشابهة الزوج الواحد، ووصيه فيها وخليفته ووارثه ثلاثة وسبعة، وما سوى ذلك فإنه من قوم الواحد وأبيه، ولذا لم يختار النبي ﷺ الواحد والثلاثة والسبعة في كثير من المقادير، وحيث انتضت الحكمة أن يؤمر بأكثر منها اختار عدداً يحصل من أحدها بالترفع، كالواحد يرفع إلى عشرة ومائة وألف وأيضاً إلى أحد عشر، وكالثلاثة يترفع إلى ثلاثين وثلاثة وثلاثين وثلاثمائة، وكالتسعة إلى مئتين وسبعمائة، فإن الذي يحصل بالترفع كأنه هو بعينه، ولذلك من النبي ﷺ مرة كلمة بعد كل صلاة، ثم قسمها إلى ثلاثة وثلاثين ثلاث مرات، وأفضل واحداً يصير الأمر كله وترّاً راجعاً إلى الإمام أو وصيه، وكذلك لكل مقولة من مقولات الجوهري والقرطبي إمام ووصي، كالنقطة إمام والدائرة والكرة وصيابه وأقرب الأشكال إليه.

وحدثني أبي، قدس سره، أنه رأى راقعة عظيمة تمثل فيها الحياة والعلم والإرادة وسائر الصفات الإلهية - أو قال: الحي والعليم والمريد وسائر الأسماء - لا أدري أي ذلك قال - بصورة دوائر مضيئة، ثم نبهني على أن تمثل الشيء البسيط في نشأة الأشكال إنما يكون بأقرين، إلى النقطة، وهو في السطح الدائرة، وفي الجسم الكرة، انتهى كلامه واعلم أن الله جرت بأن نزول لوحدة إلى الكثرة إنما يكون بارتباطات متالفة، وعلى تلك الارتباطات تتمثل الوقائع، وإياها يراعي تراجمه لسان القدم ما أمكنت مراعاتها.

الأصل الثاني: في كشف سر ما بين في الترغيب والترهيب ونحو ذلك من العدد واعلم أنه ربما يعرض علي النبي ﷺ خصال من البر والإثم، ويكشف عنه فضائل منه ومثالب ثلثة، فيحبر عما علمه الله، ويذكر عدد ما علم حاله حينئذ، وليس من قصده الحصر. قال ﷺ: «عرضت علي أعمال امتي حسناتها وسيئتها، فوجدت في محاسن أعمالها الآتي يعلم^(١) عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها انتشاراً تكون في المسجد لا تخرج»، وقال ﷺ: «عرضت علي أجود أمتي، حتى أفضاها يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي فتوب أمتي، فلم أُنشأ أعظم من سورة من القرآن أو آية لوقتها لرجل ثم تسيها»، وعلى هنا يعني أن يخرج قوله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران» الحديث^(٢)، وقوله ﷺ: «ثلاثة لا يكفرهم الله

(١) أم: يزال وقوله: «انتشاراً» أي: يلقم.

(٢) ثلثة: رجل من أهل الكتاب آمن بنبِيِّهِ وَأَمَنَ بِمَعْبَدِهِ، وَالْعَبْدُ لِمَوْلَاكَ إِذَا دُعِيَ حَقُّهُ إِذْ يَحِلُّ مَوْلَاهُ، وَرَجُلٌ كَلَّمَ مَعَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ فَاحْتَمَلَ تَلْبِيحَهَا وَطَعْنَهَا فَاحْتَمَلَ تَعْلِيْقَهَا ثُمَّ اخْتَارَهَا فَخَرَّجَهَا عَنْ أَجْرَانِ.

تعالى... الحديث^(١)، وقوله ﷺ: «أربعون خسلة أعلن منحة العترة^(٢)» لا يملل عيد بفسلة منها رجاء نوابها أو تصديق موعودها إلا فضل الله بها الجنة.

وربما يُكشف عليه فضائل عمل أو أبعاد شيء إجمالاً، فيجهد في إقناعه ويُجِبْ ضيق لها ونضوب عدد يُحْطَرُّ فيه ما كثر وقوعه أو عظم شأنه ونحو ذلك، فخير بذلك، وعلى هذا ينبغي أن يفرح قوله ﷺ: «سلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد^(٣) بسبع وعشرين درجة، فإن هذا العدد ثلاثة في ثلاثة في ثلاثة، وقد رأى أن منافع الجماعة ترجح إلى ثلاثة أقسام: - ما يرجع إلى نفع نفسه، من تهذيبها وظهور الملكية ونهر البهيمية.

- وما يرجع إلى الناس، من شوق السُّنة الراشدة فيهم وتنافسهم فيها وتهذيبهم بها واحتجاج كلمتهم عليها.

- وما يرجع إلى السُّنة المصطفوية من بقاءها غضة طرية لم يخالطها التحريف ولا التهاون.

وفي الأول ثلاثة^(٤): القرب من الله والعلل الأعلى، وكتابة الحسنات لهم، وتكفير الخطيئات عنهم.

وفي الثاني ثلاثة: انتظام حُبهم ووليئتهم، ونزول البركات عليهم في الدنيا، وشفاعة بعضهم لبعض في الآخرة.

وفي الثالث ثلاثة: تحبُّية إجماع الملأ الأعلى، وتسكُّهم بحبل الله الممدود، ونعائس أنوار بعضهم على بعض.

وفي كل من هذه التسعة ثلاثة: رضا الله عنهم، وصلوات الملائكة عليهم، وانحناس الشياطين عنهم.

وفي رواية أخرى: «بخمسة وعشرين^(٥)». ووجهه: أن منافع الجماعة خمسة في خمسة: استقامة نفوسهم، وتألف جماعاتهم، وإقيام مآثرهم، رباط الملائكة، وانحناس الشياطين عنهم. وفي كل واحد خمسة: رضي الله عنهم، ونزول البركات في الدنيا عليهم، وكتابة الحسنات لهم، وتكفير الخطيئات عنهم، وشفاعة النبي ﷺ والملائكة لهم. ومبب اختلاف الروايات في ذلك اختلاف وجوه الضبط، وأنه أهل.

(١) تعامه: دولا بركتهم: شيخ وإن ملكه كقلب وعامل متكبر.

(٢) المنحة: العطية، والعترة: الإله من الأشياء، أي: يطوي شأن يتقرب بلبتها وسمنها زمناً لم تُرك.

(٣) أي: الفرد.

(٤) أي: منقطع.

(٥) أي: سلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة.

وربما يؤتى بالعدد إظهاراً لعظم الشيء وكبره، فخرج العدد مخرج المثل، يظهره - يقال: محبة فلان في قلبي مثل الجبل، وقدر فلان يصل إلى عنان السماء. وعلى هذا ينبغي أن يخرج قوله ﴿﴾ : «ينسخ في قبره»^(١) سبعون ذراعاً، وقوله ﴿﴾ : «مد البصر»، وقوله ﴿﴾ : «والذي بين الكعبة وبين المقص»، وقوله ﴿﴾ : «ويشقي لأبعد من ثلاثة» إلى عهد. وفي مثل ذلك ربما يذكر ثلثة مقدار وآخرى مقدار آخر، ولا تنافس في ذلك بحسب ما يرجع إلى الغرض.

الأصل الثالث: أنه لا ينبغي أن يفرد الشيء إلا بمقدار ظاهر معلوم يستعمل المخطوط في نظام الحكم، وله مناسبة بمقدار الحكم وحكمته، فلا ينبغي أن يقدر الدرهم إلا بالأواق، ولا الثمر إلا بالأوساق، ولا ينبغي أن يؤتى بجزء لا يستخرجه إلا المستحقون في الحساب، كجزء من سبعة عشر، وجزء من تسعة وعشرين، ولذلك ما ذكر الله تعالى في الفرائض إلا كسوراً يسهل تصنيفها وتضمينها ومعرفة مخرجها، وذلك فصلان: أحدهما سدس وثلث وثلثان، وثانيهما ثمن وربع ونصف، وبهره أن يظهر فضل ذي الفضل، ونقصان ذي النقصان بإدبي الرأي، وأن يسهل تخريج المسائل على الأدايني والأقاصي، وجبها وقعت الحاجة إلى مقدار دون المقدار المعبر أولاً لا تكون النسبة بينهما نسبة القسمة، فلا ينبغي أن يتعدى من الثلثين بين النصف والواحد، ومن الثلث بين الربع والنصف لأن سائر الأجزاء أخفى منهما، وإذا أريد تقدير ما هو كثير في الجملة فالمناسب أن يقدر بثلاثة، وإذا أريد تقدير ما هو أكثر من ذلك، فالمناسب تقديره بعشرة، وإذا كان الشيء قد يكون قليلاً وقد يكون كثيراً، فالنسب أن يؤخذ أقل حد وأكثر حد فينصف بينهما. والمعتبر في باب الزكاة خمس، وعشر، ونصف العشر، وربع العشر؛ لأن زيادة الصدقة تدور على كثرة الربع وقلة المونة. وكانت مكاسب جمهور أهل الأقاليم لا تنظم إلا في أربع مراتب، وكان المناسب أن يظهر الفرق بين كل مرتبتين أصح ما يكون، وذلك أن تكون الواحدة منها ضيقت الأخرى، وسيأتي تفصيله.

وإذا وقعت الحاجة إلى تقدير اليسار مثلاً ينبغي أن ينظر إلى ما يمتد في العرف يساراً، ويؤرى فيه ما هو من أحكام اليسار، وذلك سبب عادة جمهور المكلفين، مشاركتهم ومفادتهم عربهم وجمعهم، وبحسب ما هو كالمذهب الطبيعي لهم لولا السامع، فإن لم يكون بناء الأمر على عادة الجمهور لثبنت حالهم، فاستعبر حال العرب الأول الذين نزل

(١) أي: المقبور المزمع إذا لم يكن منكراً ومكبوراً بالقول الثابت، فيقولان له: قد كان عامك فاك تقول هذا ثم يفسح له... إلخ. وقوله: «مد البصر» أي: يفسح للمقبور المزمع بعد سؤال منكر وتكفير في قبره مد بصره.

(٢) يفتح الهمزة وسكونها: بلدة بين مصر والشام.

القوآن بلغتهم، وتميّنت الشريعة في عاداتهم، ولذلك نُفّر الشرع الكثير بخمس أوقاف^(١)، لأنها فكّفي أقل أهل بيت سنة كاملة في أكثر أطراف المصورة، اللهم إلا في الجذب أو البلاد العظيمة جداً أو أعمالها. ونُفّر الثالثة^(٢) الصغيرة من النعم بأربعين، والكبيرة بمائة وعشرين، ونُفّر الزرع الكثير بخمسة أوساق^(٣)، لأن أقل البيت زوج وروجة وثالث، إما خادم أو ولد بينهما، وأكثر ما يأكله الإنسان في اليوم واليلة عد أو رطل، ويحتاج مع ذلك إلى إدام، وهذا القدر يكفي من فلك سنة كاملة.

ونُفّر الماء الكبير بقأتين^(٤)، ولأنه حد لا ينزق منه المعادن ولا يرتقي إليه الأواني في حاجة العرب، وحق على ذلك سائر التقديرات، والله أعلم.

❖ باب تفسير القضاء والرخصة ❖

اعلم أن من السياسة أنه إذا أُجرَ شيء أو نُهي عن شيء، وكان المخاطبون لا يعلمون الغرض من ذلك حق العلم، وجب أن يُختملَ عندهم كالشيء المؤثّر بالخاصية، يُصنّفُ بآثاره ولا يُنزكُ سبب التأثير، وكالرقى لا يُنوّكُ سبب تأثيرها، ولذلك مكّت النبي ﷺ عن بيان أسرار الأوامر والنواهي نصريحاً في الأكثر، وإنما لُوحِ شيء من التماسخين في العلم من أمته. ولذلك كان اعتناء حملة الملة من الخلفاء الراشدين وأئمة العيين بإقامة أشباح الملة أكثر من الاعتناء بإقامة أرواحها، حتى روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: أحب جزيرة البحرين وأنا في الصلاة، وأجهز الجيش وأنا في الصلاة. ولذلك كانت سنة العفنين قديماً وحديثاً ألاّ يُشعرُصوا لدليل المسألة عند الإنشاء، ووجب أن يسجل على الأخذ بالأمور حق التسجيل، ويُلام على تركه أشد الملامة، وتُجعل أنفسهم تُرغب فيها وتُألّفها حق الرغبة والألفة، حتى تصبح داعية الحق محيطاً بظواهرهم وبواطنهم، وإذا كان كذلك، ثم نُنخ من الأمور به مانع ضروري، وجب أن يُشرع له بذلك يقوم مقامه، لأن المكلف حينئذ بين أمرين:

إما أن يُكلف به مع ما فيه من انقشقة والحرَج، وذلك خلاف موضوع الشرع. قال الله تعالى:

(١) جمع أوقية وهي أربعون يوماً، ذلك فيما مضى فلما اليوم فقد ثلث ذلك.

(٢) ثلاثة رطلين: جماعة النعم.

(٣) جمع وسق وهو ستون صاعاً.

(٤) ثلاثة رطلين: جرة تسع ملكتين وخمسين رطلاً بحدائق.

(تَرْكُ لَمَّةٍ بِحُكْمِ الْفُسْخِ وَلَا يُرِيدُ بِحُكْمِ الْفُسْخِ) [هفتة - ١٥٥].

وأما أن يُنْبَذَ وراء الظهر بالكفيه، فتَأَلَّفَ النفس بتروك وتسترسل مع إيمانها، وإنما تُعْرَضُ النفس تمييز الدانة النصبية بِفَتْحَتِهَا منها الألفة والرفقة، ومن اشتغل برياضة نفسه أو تعليم الأطفال أو تمرين الدواب وبحو ذلك، يعلم كيف تحصل الألفة بالخدمة وسهل بسببها العمل، وكيف تذهب الألفة بالتروك والإهمال، فتضيق النفس بالحرص وتثقل عليها، فإن راء العودة إليه احتاج إلى تحصيل الألفة ثانياً، فلا بد إذاً من شرح الغطاء إذا فات وقت العمل، ومن الرخصة في العمل، ليتأخر منه ويتيسر له، وتعتمد في ذلك لجلس المتعمد على معرفة حالة المكلفين وغرض العمل وأجزائه التي لا بد منها في تحصيل ذلك الغرض.

ومع ذلك فله أصول يعلمها المراسلون في العلم:

أحدها: أن الركن والشرط بهما شيئان.

أحدهما: الأصلي، الذي هو داخل حقيقة الشيء، أو لازمه الذي لا يعتد به بدونه بالنظر إلى أصل الغرض منه، كذا الدعاء، وفعل الانثناء النحال عسى التعظيم، والتبني بِنُحْيِي الطهارة والخشوع، وهذا القسم من شأنه ألا يُتْرَكَ في التكرار والتشطت سواء، إذ لا يتحقق من العمل شيء عند تركه.

وفاتهما: الكملي، الذي إنما شرع لكونه واجباً بمعنى آخر محتاجاً إلى التوقيت، ولا وقت له أحسن من هذه الطاعة، أو لأنه آلة صالحة لأداء أصل الغرض كنبلاً والفرأ، وهذا القسم من شأنه أنه يرخص فيه عند العكازة.

وعلى هذا الأصل ينبغي أن نخرج الرخصة في ترك استقبال القبلة إلى التحري في الظلمة والحرارة، وترك ستر العورة لمن لا يجد ثوباً، وترك الرضوء إلى التيمم لمن لا يجد ماء، وترك المباشرة إلى ذكر من الأذكار لمن لا يقدر عليها، وترك الغيابة إلى التعمود والاضطجاع لمن لا يستطيعه، وترك الركوع والسجود إلى الانحباء لمن لا يستطيعها.

الأصل الثاني: أنه ينبغي أن يلتزم في البدل شيء يُذَكِّرُ الأصلَ ويُشِيرُ بأنه نائبه وبذلك، وسرّ تحقيق الغرض المطلوب من شرح الرخصة، وهو أن تبين الألفة بالعمل الأول، وأن تكون انفسر كالمستظيرة، ولذلك اشترط في المسح على الجنتين الطهارة وقت النسي، وجعل له مدة ينهي إليها، واشترط التحري في القبلة.

والأصل الثالث: أنه ليس كل حرج يرخص لأجله، فلو وجب الحرج كثيراً، والرخصة في جميع ذلك، يلغى إلى إهمال الطاعة، ولا يستفاد في ذلك يغني العناء ومقاساة التعب، وهو المعروف لاقياد الشرع واستقامة النفس، فانقضت الحكمة ألا يدور

الكلام إلا على رجوع وفقرها وعظم الابتلاء بها، لا سيما في قوم نزل القرآن بلغتهم ونعمت الشريعة في عاداتهم. ولا ينبغي أن يجاوز من ملاحظة كون الطاعة مؤثرة بالخاصية متى ما أمكن، ولذلك شرع الفصح في السفر دون الأكساب الشاقة ودون الزُّرَّاع والعمال، ويجوز للمسافر المعترفة ما جاز لغير المعترفة.

والنقصاء: منه قضاء بحيثل معقول، ومنه يمثل غير معقول. ولما كان أصل الطاعة انقياد القلب لحكم الله ومزاخلة النفس بتعظيم الله، كان كل من عمل من غير قصد ولا عزيمة، أو هو من جنس من لا يتكامل قصده^(١) ولا يتمكن من مزاخلة نفسه بالتعظيم كما ينبغي، من حقه أن يُعذر وأن يهتق عليه كل التضييق.

وعلى هذا ينبغي أن يُخرَج قوله ﷺ: «ورفع قللم عن ثلاثة...» الحديث^(٢)، والله أعلم.

❖ باب إقامة الارتفاقات وإصلاح الرسوم ❖

قد ذكرنا فيما سبق تصريحا أو تلويحا أن الارتفاق الثاني والثالث مما جُبل عليه البشر وامتنأوا به من سائر أنواع الحيوان، محال أن يتركوهما أو يُهملوهما، وأنهم يحتاجون في كثير من ذلك إلى حكم عالم بالحاجة وطريق الارتفاق منها، متفاديا للمصلحة الكلية، إما مستبط بالفكر والثروة أو يكون نفسه قد جُبلت فيها قوة ملكية، فيكون مهيئا لنزول علوم من الملل الأعلى، وهذا أتم الأمرين وأوثق الوجهين، وأن الرسوم من الارتفاقات هي بمنزلة القلب من الجسد، وأنه قد يدخل في الرسوم مفاصد من جهة قُرْأُس^(٣) قوم ليس عندهم شُكَّة^(٤) العقل الكلية، فيخرجون إلى أعمال سعية أو شهوية أو شبطانية ليرزجونها، فيفتدي بهم أكثر الناس، ومن جهة أخرى نحو ذلك، فتس الحاجة إلى رجل قوي مؤيد من الغيب متفاد للمصلحة الكلية، لينوّر رسومهم إلى الحق بتدبير لا يهتدي له في الأكثر إلا المؤيدون من روح القدس.

فلئن كنت قد أحطت علما بما هنالك، فاعلم أن أصل بعثة الأنبياء وإن كان لتعليم وجوه العبادات أولاً وبالذات، لكنه قد تنضم مع ذلك إدخال إصلاح الرسوم الفاسدة والحث

(١) كلصبي

(٢) أي: القائم والسبي والمشرقة. قيل: المراد بالرفع: في نشر مودع الفهر، لقوله ﷺ: «سروهم بالملاءة».

(٣) أي: سبطه.

(٤) أي: بقية.

على رجوء من الارتفاقات، وذلك قوله ﷺ: «يَعْتَدُ لِمَنْشَقِّ التَّعَارُفِ»⁽¹⁾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «يَعْتَدُ لَأَنْتُمْ مَكْرَمُ الْأَخْلَاقِ».

واعلم أنه ليس رضى الله تعالى في إيمان الارتفاق الثاني والثالث، وأم بأمر بذلك أحد من الأنبياء عليهم السلام، وليس الأمر كما ظن قوم فُرُوا إلى الحبال وتركوا مخالطة الناس، رأس من الخير والنشر، وصاروا بمنزلة الوحش، ولذلك رد النبي ﷺ على من أراد التبرع وقال: «ما بُعِثَ بالرهبانية وإنما بُعِثَ بالعلمة لاحتياج البشرية». لكن الأنساء عليهم السلام أمروا بتعديل الارتفاقات، ولأجل بلغ بها حال المدمنين في الرفعة، كملوك العجم، ولا ينزل بها إلى حال سكان شرف الحبال اللاحقين بالوحش.

وما قياسان متعديان: أحدهما - أن الترفه تحسن، يصبح به المزاج ونستقيم به الأخلاق ويظهر به المعاني التي امتاز به آدمي من سائر بني جنسه، والقبولة والسجور ونحوهما تنشأ من سوء التدبير.

وثانيهما - أن الترفه فيجهد لاحتياجه إلى منازعات ومشركات وكذا ونعيب وإعراض عن جانب النبي وإهمال تشديد الآخرة، ولذلك كان المُرْخِي التوسط وإبقاء الارتفاقات وضم الأذكار معها وأداب واتهاد غرض للتوجه إلى الجبروت. والذي أنشأ به الأنبياء قاطبة من عند الله تعالى في هذا الباب هو أن ينظر إلى ما عند القوم من أدب الأكل والشرب والقباس والبناء ووجوه التزيين، ومن سعة الشكاح وسيرة المتكسجين، ومن طرق اتسيع والشراء، ومن وجوه المزاج من المحاصي، فيصل المقضايا ونحو ذلك، فإن كثر النواجب بحسب الرأي الكافي: «طوباً ما به» فلا معنى لتحويل شيء منه من موضعه ولا التعديل عنه إلى غيره، بل يجب أن يُحْتَسَنَ لثبوتهم على الأخذ بما اعتدوا وأن يصوب رأيهم في ذلك ويرشدوا إلى ما فيه من المصالح، وإن لم يطبق عليه ومشت الحاجة إلى تحويل شيء أو إصلاحه - بكونه مفصلاً إلى تأذي بعضهم من بعض، أو⁽²⁾ تعسفاً في نكث الحياة الدنيا وإصلاحاً عن الإساءة، أو من المصالح التي تؤدي إلى إهدال مصالح الدنيا والآخرة... ونحو ذلك - فلا ينبغي أن يفرح إلى ما يمين مألوفهم مألوفه، بل يحول إلى نظير ما عندهم أو نظير ما اشتهر من المصالحين المشهود لهم بالخير عند القوم.

وبالجملة: فالذي ما لم يلقى عليهم لم تدفعه عنهم بين نطحات أنه حق، ولهذا المعنى اختلعت شرائع الأنبياء عليهم السلام.

(1) - زيادة: «فقر» - واللام في قوله بالمعنى الإجماع.

(2) - أي لو كونه - شيئاً لمحو أو قبيل - شقاً - من هسليك التي عدي - (ج).

والتراسع في العلم يعلم أن الشرع لم يحن في النكاح والطلاق والمعاملات والزينة واللباس والنفقة والحدود وقصة العتقة - بما لم يكن لهم به علم، أو يتردوا فيه إذا كُفِّروا به - نعم، إنما وقع إقامة المذموم وتصحيح السفيم^(١) لأن قد كثر قهوم الربا فهو عند وكانوا يبيعون الثمار قبل أن يفسد صلاحها - يختصمون ويحتجون بهاها^(٢) تنصيبها فهو عن ذلك اتبع، وكانت المذمة على عهد عبد المطلب عشرة من الإبل، فلما رأى أن القوم لا يترددون، عن القتل بينها مائة فأبقاها النبي ﷺ على ذلك، وأول قساعة وقعت هي التي كانت بحكم أبي طالب، وكان لرئيس القوم مبراع^(٣) كس غارة، عمن يقول الله ﷻ الكفر من كل عبيد، وكان قباذ وابنه أودثروان وضعا عليهم الخراج والعشر - فجاء الشرع سحر من ذلك، وكان بنو إسرائيل يرحمون الزناة ويضعون الشرائق ويقتلون النفس باللبس - فزاد القوم لذلك، وأعتاك هذه كثرة حدا لا تخفى على العقنتع، بل لو كنت معطفا محيطا يحاسب لأحقاء لعلفت أيضا أن الأنبياء عليهم السلام لم يأتوا في المصافات غير ما عندهم هو أو نظيره، لكنهم نوا تحريمت الحاهلية وصبطوا بالآوقات والأماكن ما كان بينهما وأشاعوا بين الناس ما كان خاملا.

اعلم أن المعجم والروح لما توارثوا الخلافة قرونا كثيرة وحاضروا في لغة اللدب وسوا الدار آخرة واستحروا عليهم الشيطان، تسفروا في مراتق المعيشة ونباهروا بها، وورد عليهم حكماء الأفاق يسدبون لهم دقائق المعاش ومرافقه، فصاروا يعملون به ويزيد بعضهم على بعض ويتباهون بها، حتى قيل إنهم كانوا يعيرون من كان يلس من صناديدهم منصفة أو ناجت قسبتها دون مائة ألف درهم، أو لا يكون له قصبة شامخ وأيزن وحمام ويسانين، ولا يكون له دواب فارعة وتلمذ حساك، ولا يكون له توسع في السطاع وتجسل في السلاسل - ويكثر ذلك يطول، وما نراه من ملوك بلادك يغترب من حكاياتهم.

فدخل كل ذلك في أصول معاشهم، وصار لا يخرج من قلوبهم إلا أن تزعج^(٤)، وتؤثد من ذلك داء عضال دس في جميع أعضاء المدينة، وأفة عظيمة لم يبق منهم أحد من أسواقهم ورساقهم وغيرهم وفقيرهم إلا قد استولت عليه وأخذت بنلابيه^(٥) وأعجزته في نفسه وأهاجت عليه غموما وهموما لا أرحا^(٦) لها، وذلك أن تعدد الأشياء لم تكن

(١) أي: الحكيم.

(٢) أي: نوى تد في أن غلتاج، أي هذه الأموال من الغنجة كشد حوز قروصا.

(٣) أي: قطع.

(٤) أي: عجزه.

لتحصل إلا ببذل أموال خطيئة، ولا تحصل تلك الأموال إلا بتضعيف المضرب على الفلاحين والتجار وأتباعهم والتصيق عليهم، فإن امتنعوا قاتلوهم وعذبوهم، وإن أطاعوا جعلوهم منزلة الحمير والبقر يستعمل في النضج واللباس والحصاد، ولا تفتى إلا لثمان بها هي الحاجات، ثم لا تترك ساعة من العناء، حتى صاروا لا يرفعون رؤوسهم إلى السعادة الآخرة أصلاً ولا يستطيعون ذلك، وديعاً كان إقليم واسع ليس فيهم أحد يهجم دينه، ولم يكن ليحصل أيضاً إلا يقوم بتكسبون نفقة تلك المطاعم والملابس والأبنية وغيرها، ويتركون أصول الحكامة التي عليها بناء نظام العالم، وصار عامة من يطوف عليهم يتكلمون محاكاة المتعديدين في هذه الأشياء، وإلا لم يجسوا عندهم خطوة ولا كانوا عندهم على باء، وصار جمهور الناس عيالاً على الخيفة بكفوت منه، تارة على أنهم من الغزاة والتدبرون للسعية، يترسون يرسومهم، ولا يكون المقصود دفع الحاربة ولكن القيام بسيرة سلفهم، ونارة على أنهم شعراء جرت عادة الملوك بصلتهم، وطوراً على أنهم زعماء وفقراء يبيع من الخليفة ألا يتفقد حالهم، فيضرب بعضهم بعضاً، رشوق مكاسيهم على صفة الملوك والترف بهم وحسن المحاورة معهم والتعلق منهم، وكان ذلك هو الفن الذي تتمتع أنكارهم فيه وتضيق أودانهم معه، فلما كثرت هذه الأنغال تشجع في نفوس الناس ميئات حية، وأعرضوا عن الأخلاق الصالحة.

وإن شئت أن تعرف حجة هذا المرض، فانظر إلى قوم ليست فيهم الخلافة، ولا هم متعقبون في لذائذ الأطعمة والألبسة، تعد كل واحد منهم بيده أمره، وليس عليه من لصرائب التفتية ما يشغل ظهره، فهم يستطيعون التفرغ لأمر الدين والملة، ثم تصور حالهم لو كان فيهم الخلافة، وملووها، وسخروا الرعية وتسلطوا منيهم؛ فلما عظمت المصيبة واشتد هذا المرض سقط عليهم الله والملائكة المقربون، وكان رسال تعالى في معالجة هذا المرض بقطع مادته، فبعث نبياً أمياً ﷺ لم يحافظ المعجم والروم ولم يرسم يرسومهم، وجعله ميزاناً يُعرف به الهنئي الصالح المرضي عند الله من غير المرضي، وأنطقه بدم عادات الأعاجم وقبح الاستغراق في الحياة الدنيا والأطمئنان بها، ونفث في قلبه أن يحرم عليهم رؤوس ما اعتاده الأعاجم وشاهوا بها، كلبس الحرير والقسي والأرجوان واستعمال أواري الذهب، والقضة وخني الذهب غير المصطنع والثياب المصنوعة فيها الصور وتزويق البيوت بغير ذلك، وقضى بزول دولتهم بدولته ورياستهم برياسته، وبأنه ذلك كسرى فلا كسرى بعده، وهلك قيصر فلا قيصر بعده.

واعلم أنه كان في أهل لجامية منافسات ضيق على القوم وضيق، ولم يكن زوالها إلا بقطع رؤوسهم في ذلك الباب، كتار القتل: كان الإنسان يقتل إنساناً فيقتل وإن البقوت أحيا القاتل أو أبته، يرمود هنا فيقتل واحداً منهم، ويدور الأمر كذلك، فقل

وهذه أصول يُخرج عليها جملة عقيدة من احاديث النبي ﷺ، ونذكر هنا معظمها:

منها: أن الله تعالى إذا أجرى شئك على نحو، بأن رتب الأسباب مفضية إلى مبييتها، انتظام المصلحة المقصودة بحكمته الباقية ورحمته القائمة، فخصي ذلك أن يكون تنير خلق الله شراً ربيعاً في الإفساد وسبباً لترشح الثمرة عليه من السلام الأعلى، فلما خلق الله الإنسان على وجه لا يتكون في كثير الأوقات والأحيان من الأرض فكَوَّنَ الديان منها، وكانت حكمت تقتضي إلغاء روح الإنسان من انشراح أفراده وكثرهم في العالم، أودع فيهم قوى النفس ورغبتهم في طلب التمل. وجعل الغلبة^(١) مملكة عليهم مهم: يقضي الله بذلك أمراً أو يجهنهم المحكمة لثبته، فلما أطلع الله النبي ﷺ على هذا السر وكشف عليه حقيقة الحال، اقضى ذلك أن ينهر عن قطع هذا السبيل وإعمال تلك القوى المغضبة أو صرفها في غير محلها، ولذلك نهى أشد النهي عن الخشاء واللواط، وكره الغزل^(٢).

واعلم أن أفراد الإنسان - عند سلامة مزاجها وتمكين المادة أحكام النوع من نفسها - تكون على هيئة معلومة من سنن الغاية وظهور البشوة ونحو ذلك، وهذا حكم الله وسنن الغاية وكثر في الأفراد وفي الخير العالي طلب وإفضاء لغاية الأنواع وظهور أشباحها في الأرض، ولذلك كان النبي ﷺ أمر بقتل الكلاب ثم نهى عن ذلك، وقال: «إنها لمة من الأمم، يعني: أن النوع له مقتضى عند الله، ونفسي أشباحها من الأرض غير مرضية، وهذا الاقتضاء يحجر على اقتضاء ظهور أحكام النوع في الأفراد، فمماقتضة هذا الاقتضاء والسمي في رده قبح مانع للمصلحة الكلية

وعلى هذه القاعدة يُتَوَجَّهُ حُكْمُ التصرُّف في البلد بما لا يقتضيه حكم الشرع، كالخشاء، والتفُّلح^(٣) ونحو ذلك. أما الكحل والشرج، فإن ذلك كالأعانة على ظهور الأحكام المقصودة والموافقة بها، ولما شرع الله تعالى لبني آدم شريعة ينظم بها شئهم ويصنع به حالهم وكان في المنكوت داعية لظهورها، كان أمرها كأمورها الأنواع في طلب ظهور الأشياء في الأرض، ولذلك كان السعي في إحصائها محظوظاً عند الله الأسمى منافعاً لما هو مقتضاهم ومطمح مهم، وكذلك الارتفاقات التي أجمع عليها طوائف الناس من غريهم وعجمهم وأفاصهم وأدانيهم، فإنه كالأمر القبيح.

(١) أي غلبة الشهوة

(٢) أي الاعتزال عن زوجته وقت الجماع والإمزال خارج قبيلها لكي لا تعد

(٣) نافاج، موكبة، فزوجة ما بين النساء والربيع، وتثقيف معن لك والتمكيد - وقد ورد في نهج عن ذلك يقول ﷺ: «لن الله المتطلبات للفتنة أي الذي يعمله للتمسك - والنفس تلك الشجر عن توجه، والضمير الأمر به أي لا تلمز امرأة أخرى ينقل قدر من زوجها، وهو حرام.

ولما شرع الله تعالى الأيمان والبنات موضحة لجلبية الحال اقتضى ذلك أن تكون شهادة الزور واليمين الكاذبة مسخوطة عند الله وملانكة .

ومنها : أنه إذا أوصي إليه بحكم من أحكام الشرع واطلع على حكمته وسيئه ، كان له أن يأخذ تلك المصلحة ويتجنب⁽¹⁾ لها علة ويدبر حسبها ذلك الحكم ، وهذا قياس النبي ﷺ ، وإننا قياس أمته أن يعرفوا علة الحكم المتصورى عليه فبدلوا الحكم حيث دارت ، مثاله الأذكار التي وفها النبي ﷺ بالصبح والسماء ووقت النوم ، فإنه لما اطلع على جحشة شرع الصلوات اجتهد في ذلك .

ومنها : أنه إذا فهم النبي ﷺ من آية ووجه نزول الكلام ، وإن لم يكن غيره يفهم منه ذلك ، لدقة مأخذه أو تراجم الاحتمالات فيه ، كان له أن يحكم حسبما فهم ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ كُنَّا وَالنَّوْءَ مِنْ شَجَارٍ آفٍ﴾ [مفطرة: الآية 157] .

فهم منه النبي ﷺ أن تقديم الصفا على الحروة لأجل موافقة البيان لا هو الشرع لهم ، كما قد يكون لموافقة السوال ، ونحو ذلك ، فقال : « ليسوا يعابد الله به » .

وكقوله تعالى :

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [الصف: الآية 137] .

وقوله تعالى :

﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الانعام: الآية 76] :

فهم منهما النبي ﷺ استحباب أن يعبدوا الله تعالى عند الكوفة والخزول .

وكقوله تعالى :

﴿فَأَمَّا الْكُفْرُ فَالْزَيْنُ﴾ [مفطرة: الآية 115] :

فهم منه أن استبيان القبلة فرض يحتمل المقروط عند العشر ، فخرج حُكْمُ من تُسْرَى في الليلة الظلماء فأعطى جهة القبلة وصلّى فيها ، وحُكْمُ الراكب على الدابة يصلّي النافلة خارج البلد .

ومنها : أنه إذا أمر الله تعالى أحداً بشيء من معاملة الناس اقتضى ذلك أن يؤمر الناس بالانقياد له فيها ، فلما أمر الغضاة أن يقيموا الحدود اقتضى ذلك أن يؤمر العصاة بأن يغادروا لهم فيها ، ولما أمر المصدق بأخذ الزكاة من القوم أمروا ألا يصدر عنهم إلا راضياً ، ولما أمر الساء أن يتصرفن أمر الرجال أن يقضوا أبصارهم عنهن .

ومنها. أنه إذا بُشِيَ عن شيء، اقتضى ذلك أن يؤمر بقصد وجوباً أو نهيّاً، حسب اقتضاء الحال، وإذا أمر بشيء اقتضى ذلك أن ينهى عن ضده، فلما أمر بمصلاة الجمعة راعى إليها وجب أن ينهى عن الاشتغال بالبيع والشكائب حيث

ومنها. أنه إذا أمر بشيء، حتماً اقتضى ذلك أن يرغب في مقلعاته وجواحه، وإذا نهى عن شيء، حتماً اقتضى ذلك أن يبعد ذرائعه، ويحذل دواعيه⁽¹⁾، ولما كانت عبادة الصلوة إثمًا وكانت المخالطة بالصور والأصنام مفضية إليه كما وقع في الأمم السالفة، ووجب أن يحض عن أيدي المعصومين، ولما كان شرب الخمر إثمًا ووجب أن يقبض على أيدي المخضربين وينهى عن الحضور على المائدة التي فيها خمر، ولما كان القتال في القننة إثمًا ووجب أن ينهى عن بيع السلاح في وقت القننة.

ونظير هذا الباب من سياسة المدينة أنهم لما أطعموا على مصفة دس السم في الطعام واشتراب أخذوا الموائيق من بائعي الأدوية ألا يبيعوا إنهم لا قدرأ لا يهلك شاربهم غالباً، ولما أقتنعوا على خيانة قوم اشترقوا عليهم ألا يرمكوا التحيل ولا يحملوا تسلاح.

وكذلك باب العبادات: لما كانت الصلاة أعظم أبواب الخير ووجب أن يحض على الجماعة فإنها إغنة على الأخذ بها، ووجب أن يحض على الأذان ليحصل الاجتماع في زمان واحد في مكان واحد، ووجب الحث على بناء المساجد وتطهيرها وتخليتها، ولما كانت معرفة أول يوم من رمضان متوقفة عند الغيم ونحوه على عمة شعبان استحب إحصاء هلال شعبان.

ونظير من سياسة المدينة: أنهم لما رأوا في الرمي منفعة عظيمة أمروا بالإكثار من اصطاف القسي والنبل والتجارة فيها.

ومنها⁽²⁾. أنه إذا أمر بشيء أو نهى عن شيء، اقتضى ذلك أن ينوّه بشأن المتطيعين يزدري بالمتعصاة، ولما كانت قراءة القرآن مطلوباً بشيوخها والمواظبة عليها رجب أن يُسَبَّحَ إلا بزمهم إلا أمرهم، وأن يوزع القراء في المجالس، ولما كان القنفذ إثمًا ووجب أن يسقط اقتاذات من مرتبة قبول الشهادة، وعلى ذلك يخرج ما ورد من النهي عن مفاتحة المتدع والفاسق بالسلام والكلام.

ونظير من سياسة المدينة: زيادة حائزة الرتبة وتقديسهم في الإنابات والإعطاء.

ومنها. أنه إذا أمر القوم بشيء أو نهوا عنه كان من حق ذات أن يؤمروا معززة الإقدام على هذا والكف عن ذلك، وأن يأخذوا قلوبهم بإضمار اداعية حسب الفعل، ولذلك ورد التوبيخ عن إضمار أن يقصد عدم الأداء في انقراض والمهر.

(1) أي الأصل.

(2) أي بعدم تسليبه.

ومنها : أنه إذا كان شيء يحصل منفسدة كان من حقه أن تُكفَّر، كقوله **يُطْلَق** ، فلا يفسد^(١) بدد في الإثاء، فإنه لا يدرى أين بانته بدد.

وبتجسفة : علم الله تعالى به أحكاماً من العبادات والآداب : وبينها التي يخرج بهذا المحرم من ليدته ، ويخرج منها أحكاماً جزئية في كل باب باب ، وهذا أصاب من البيان مع الباب الذي يليه إن شاء الله تعالى تقامها فيها الأعم من بين عموم أمسي **يُطْلَق** ورعاها قلوبهم يسير ، **«الشرع فيها ما أودعوا في مصنفاتها وكثهم»** ، وقد أعلم.

❁ **باب ضبط العيهم وتضيئ للمشكل والتخريج من الكلية ونحو ذلك** ❁

أعلم أن كثيراً من الأشياء التي أثبتت الأحكام على أمسي معلوم بالمشكل والفسفة ، غير معلوم بالحد السامع المذيع التي يكشف حال كل فرد فرد أنه منه أو لا ، كالتفقه ، قال الله تعالى :

(وَالْحَكِيمُ وَالشَّارِقُ قَالَتُمَا لِيَرْبَهُمَا) **بِهتة** (١٠)

أجرى التحد على اسم السابق : ومعلوم أن الواقع في قصة بني الأبيرق وضعية المرأة^(٢) المخزومية هي السرقة ، ومعلوم أن أخذ مال الغير أنمام : دوا : سرقة ، ومنها قطع الطريق ، ومنها الإخلاص ، ومنها الحسنة ، ومنها الانقطاع ، ومنها النقص ، ومنها قلة العيافة ، وفي مثل ذلك ربما يدل أن الذي **يُطْلَق** عن صورة صورة هل هي من السرقة؟ سؤال مقاد أو سؤال حال ، فيجب عليه أن يبين حقيقة سرقة متعينة عما يشاركها بحيث يفتح حالاً ، كمن فرد فرد وطريق الذي يز أن ينظر إلى ذابسات هذه الأسامي التي لا توجد في السرقة ، وقع بها التدرج بين القبيحين ، وإلى ذابسات السرقة التي يفهمها أهل لغوة : من ملك الحقيقة ، أي يشهد بـ **«لغة»** مموه يحصل به التميز.

فيصم مثلاً أن قطع الطريق والحرمة وبحرهما من الأساس تثير عن اعتماد المقوم ، **«الفسفة»** ، **«المظلومين»** ، واختار مكان أو زمان لا يمتد فيه الغوث من الجعدة.

وأن الاختلاس يعني عن اختلاف على أمسي الناس وفي مرأى مهم ومسح ،

و لخانة تثير عن بقدام سرقة أو ماسطة وحفظ.

والاختلاف يعني عن وجدان شيء في غير سرقة.

(١) قوله : أن استقطاً أميكم من فوء ، فلا يفسد ، إلخ - كما في الصميمين

(٢) أي : قلعة بنت الأسود ، كتي سوت ، **«شفع فيها امرأة»** ، **«وعد الله ليل رسول الله جهة الشفاعة»** ، فإن الله أن غداة بنت سعد سوت **«أطعت»** بدده.

والغيب بين عن علة بالنسبة إلى المعلوم جبهة معتدلاً على جدل أو طعن ألا ترفع
الفضيلة إلى الرقعة، أو لا يتكشف عليهم جلبة الحال، أو لا يتقوا بحق نحو رشوة،
رقعة الحلال يقال في الشيء النافع الذي جرى العرف بصفه والمواساة به، كالماء
والعطب.

والسرفعة تنبئ عن الأخذ خفية، فحسب الشيء ^(١) السرقة ببيع دينار أو ثلاثة مائة،
ليتميز عن النافعة، وقال ^(٢) : ليس على خاشن ولا مقتضب ولا مختلس قطع. وقال ^(٣) : لا
تضع في ثمر معلق ولا في حويصة ^(٤) الجبل، يشير إلى اشتراط العز، والرقاعية البالغة،
فإنها مفسدة غير مضبوطة ولا تُشتملُ مرائعُ وجرداً بأمارات خاهرة يوحد بها الأدائي
والأفاسي ولا يشبه على أحد أن الرذعية متحققة فيها. ومعلوم أن عادة العجم في افتناء
المراكب الفاخرة، والأنسية الشامخة والنبات الرفيعة والحلي المتفرقة ونحو ذلك من الرقاعية
البالغة، ومعلوم أن الترفه مختلف باختلاف الناس، فترقه قوم تغش ^(٥) عند الآخرين،
وجيد إقلم ثمة في إقليم آخر، ومعلوم أن الارتفاق قد يكون بالجيد والردية، والثاني ليس
بترقه، والارتفاق بالجيد قد يكون من غير قصد إلى جودته، أو من غير أن يكون ذلك خاصاً
عليه في أكثر أموره، فلا يسمى في انعرف ترقيها، فأخلق الشرع التنبه على مذممة الرقاعية
مطلقاً، وعص أشياء وجنهم لا يرتفعون بها إلا لترقه، ووجد الترفه بها عادة قاسية فيهم،
ورأى أهل العصر من العجم والروم قائلين على ذلك، فتصحبها مظنة للرقاعية البالغة
وخرمها، ولم ينظر إلى الارتفاقات النادرة ولا إلى عادة الأقاليم التبعية، فتحریم لحريم
وأوتى الذهب وانقصة من هذا الباب. ثم إنه وجد ^(٦) حقيقة الرذعية اختيار الجيد من كل
ارتفاق والإعراض عن رديته، والرقاعية البالغة اختيار الجيد وترك الردية من جنس واحد،
ووجد من المعاملات ما لا يُقصَد فيه إلا اختيار الجيد والإعراض عن الردية من جنس
واحد، أنهم إلا في موارد قليلة لا يُعبأ بها في قوانين الشرائع، بحرماً لأنها كالتشجيع لعمى
الرقاعية وكالتشجيع لها، وتحریمها كالمقتضى الطبيعي لكرهه الرقاعية.

وإذا كانت مظان الشيء محرمة لأجله وجب أن يحرم شبهه ونحوه بالأولى، وتحریم
بيع الثقل واللعنم جنسهما متفاضلاً مخرجاً عن هذه القاعدة، وأم بحرماً اختيار الجيد
والإعراض عن الردي من جنس واحد، لأن التمس بصرف إلى ذات التبع دون وصفه عند الاختلاف الجنس، ولم

(١) أي العتيد.

(٢) يعني معروفاً، أي ولا قطع فيما يجرى بالجهل إذا مر من لسانه قصداً

(٣) أي صلب عيش.

(٤) أي، يعني الشيء.

بحرّم اشتراء حارّة بحاريتين، ولا ثوب بثوبين لأنها من ثروات القيم فتصرف زيادة الثمن إلى خواص الشخص، وتكون الجردة مضمورة في تلك الخواص، فلا يتحقق اعتبار الجودة بأي الرأي.

ومما مهّذنا يكتشف كثير من التكتات المتعلقة بهذا الباب. كمسبب كراهية بيع الحيوان بالحيوان وغير ذلك، فَلْيَتَدَبَّرْ.

وقد يكون شبان مشبهين، لا يتميزان لأمر خفي ولا بدويك إلا النبي ﷺ والراسخون في العلم من أئمتنا، فتمس الحاجة إلى معرفة علامة ظاهرة لكل منهما وإدارة حكم الغير والإتم على علامتهما، وأحكام التفريق بينهما:

(مثاله): النكاح والسقاج. فحقيقة النكاح إقامة المصلحة التي يُست عليها نظام العالم بالتعاون بين الزوج وزوجته، وطلب النسل، وتحسين الفرج، ونحو ذلك. وذلك قُرْبِيٌّ ههه مطلوب.

وسقجة السقاج جريانه النفس في غلواتها وإمعاتها في أشبع شهواتها، وعرق جلاب الحياء، والتفريط عنها، وترك التمرجيع إلى المصلحة الكلية والنظام الكلي، وذلك مسخوف عليه ممنوع عنه.

وهما مشبهان في أكثر أوصاف، فإنهما يشتركان في قضاء الشهوة وإزالة ألم الغلظة والميل إلى النساء ونحو ذلك، فتمست الحاجة إلى تمييز كل واحد عن صاحبه بعلامة ظاهرة، وإدارة الطلب والمص علىها، نخص النبي ﷺ النكاح بأمر:

منها: أن يكون بالنساء دون الرجال، فإن طلب النسل لا يكون إلا منهن.

وأن يكون من عزم ومشورة وإعلان، فشرط حضور الشهود والأولياء ورضى المرأة. ومنها توطيق النفس على التعاون، ولا يكون ذلك في الأكثر إلا بأن يكون دائماً لارماً غير مؤقت، فحرّم نكاح السر والتمتعة، وحرّم الملوأطة، وربما يكون بفعل من البر مشتهراً بما هو من مقدمات الآخر، فتمس الحاجة إلى التفرقة بينهما كالقومة، شرعت فاحلة بين الركوع والانحناء الذي هو من مقدمات السجود، وربما لا يكون الشيء مشتركاً الاوفاق، كالجنوس بين السجدين. وربما يكون شرط أو الزكن في الحقيقة أمراً خفياً وقملاً من أفعال القلب، فينصب له أماره من أفعال الجوارح أو الأحوال، ويجعل هو ركناً خفياً خفياً الخفي به، كالنية وإخلاص العمل لله أسر خفي، فنصب استقبال القبلة واتكبير له مظنة، وسجلاً أصلاً في الصلاة، وإذا ورد النص بصيغة أو اقتضى الحال إقامة نوع مبدراً للحكم، ثم حصل في بعض الموارد اشتباه، فمن حقه أن يرجع في تفسير تلك الصيغة أو تحقيق حد جامع مانع لذلك النوع إلى عرف العرب، كما ورد النص في الصوم بشهر

ومضان، ثم رفع الإشباء في عبودة الغيم، فكان الحكم ما عند العرب من إكمال عدة شعبان ثلاثين، وأن الشهر قد يكون ثلاثين يوماً وقد يكون تسعة وعشرين، وهو قوله ﷺ: **إِنَّمَا لَعَةُ لُعْمَةٍ لَا تَكْتَبُ وَلَا نَحْصِبُ أَشْهُرَهُ كَذَا** الحديث. وكما ورد النص في: **تَقْصُرُ بِصِغَةِ السَّفَرِ**، ثم رفع الإشباء في بعض المواد، فتحكم الصحابة أنه خروج من الوطن إلى موضع لا يصل إليه في يومه ذلك ولا أوائل ليلته تلك، ومن ضرورته أن يكون مسيرة يوم ونسيء فاعتد به من اليوم الآخر، فيضبط بأربعة بريد.

واعلم أن الممنة في تخصيص النبي ﷺ بحكم من بين أمة أن يكون الحكم راجعاً إلى مظنة شيء دون حقيقته، وهو قول طاوس في ركعتين بعد المصرا: **إِنَّمَا نَهَى عَنْهُمَا ثَلَاثًا** يتخذ سلباً، والنبي ﷺ يعرف الحقيقة، فلا اعتبار في حقه لمظنة بعد ما عرفت قميته^(١). كتزويج أكثر من أربع نسوة، هو مظنة ترك الإحسان في العشرة الزوجية وزهال امرئ، ويشبهه على سائر الناس، أما النبي ﷺ فهو يعرف ما هو المرفضي عنه في العشرة الزوجية، فأمر بضمه دون مظنته.

أو يكون راجعاً إلى تحقيق الرسم دون معنى تهذيب النفس، كنهيه عن بيع وشراء ثم إباح من جابر بعبراً على أن له فيه على المدينة.

أو يكون مفضياً إلى شيء بالسبب إلى من ليس له مسكة المعصية، وهو قول عائشة رضي الله عنها في قبلة القاتل: **أَيُّكُمْ يَعْلَمُ بِذِيهِ**^(٢) كما كان رسول الله ﷺ سلكه إزاره؟

أو تكون نفسه العالية حقتية لنوع من البر فيؤمر به، لأن هذه النفس تشاق إلى زيادة التوجه إلى الله وإلى زيادة شغل جلاباب الغفلة كما يشاق الرجل الغري إلى أكل طعام كثير، كالتهجد والضحى والأضحية على قول: **وَاللَّهُ أَعْلَمُ**.

❁ باب التفسير ❁

قال الله تعالى:

﴿فِيمَا يَشْتَرُونَ أَنَّهُ يَدُ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَوُ كُنْتُمْ لَمَّا عَلِيطَ الْغَلَبِ لَاتَقْتُلُوا بَنِيَّ﴾ (إبراهيم الآية 119).

وعاد:

﴿يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِكُمْ الْقِسْرَ وَلَا يُؤَيِّدُ بِكُمْ الْقِسْرَ﴾ (البقرة الآية 144).

(١) أي: الحقيقة

(٢) الإزب بكسر الهمزة ويكون قرأه المفسر: أي: فتأمر بربوبي لمضاً بقتلتين بمعنى الصلابة. أي: يطلب بول.

وكان رسول الله ﷺ لأبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما نقياً منهما إلى
 أيمن: «يُسْرًا وَلَا تُعْسرًا، وَمُسْرًا وَلَا نُسْرًا، وَلَا تَطْلُعَا وَلَا تَغْتَفَا، وَقَدْ رَفَعَهُ». «فإنما نُعْسرُ
 مُبْسرِينَ ولم نُعْسرُوا مُعْسرِينَ».

والتيسر يحصل بوجوه:

ومنها أن يُعْسرَ شيء يثنى عليهم ركنٌ أو شرطاً لطاعة، والأصل في قوله ﷺ: «لولا
 أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك بعد كل صلاة».

ومنها أن يجعل شيء من الطاعات رسوماً يتباهون بها داخلية فيما كانوا يفعلونه بدعية
 من عند أنفسهم، كالتبديل والجمعة. وهو قوله ﷺ: «لأعلم أليهود أن في ديننا فسخة»،
 فلو التحل في الأحكام العظيمة، والمنافسة فيما يرجع إلى الشاهي دَيْنًا⁽¹⁾ الناس.

ومنها أن يُسْرَ لهم في الطاعات ما يعرفونه بطبيعتهم لتكون الطاعة داعية إلى ما
 يسرع إليه العقل فتعاهد الرعابة، ولذلك سُرَّ تطيب المساجد وتقليمها والاتصال يوم
 الجمعة والتطيب فيه، واستحب التمثي بالقول وحس الصوت بالأذان.

ومنها أن يوضع عنهم الإصر وما يتفرون منه بطبيعتهم، وبذلك كره إمامة العبد
 والأعرابي ومجهول النسب، فإن المقوم يتحججون من الاقتداء بمثل ذلك.

ومنها أن يقي عنهم شيء مما تعصيه طيبة كثرهم، أو يجدون عند نوره حرجاً في
 أنفسهم، كالسلطان حر أحق بالإمامة، وصاحب ثبوت أحق بالإمامة، والذي ينكح امرأة
 جديدة يجعل لها سبعاً⁽²⁾ أو ثلاثاً، ثم يُقيم بين أزواجه.

ومنها أن يجعل السنة بينهم تعليم العلم والموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر؛ لئلا يترتب به أوجعية قلوبهم فيفقدوا الثواب من غير كلفة، وكان وسيل الله ﷻ
 يتخولهم بالموعظة⁽³⁾.

ومنها أن يفعل النبي ﷺ أفعالاً ما يأمرهم به أو يرخصهم فيه ليعتبروا بفعله.

ومنها أن يدعو الله تعالى أن يجعل القوم مهتدين كاملين.

ومنها أن تنزل عليهم ملكية من ربهم بواسطة الرسول، فيصيروا بين يديه منزلة من
 على رأسه الغير.

(1) أي طريق.

(2) أي يجعل سبعة أيام المنكر وثلاثة أيام للثبوت ما ينتج ثم يجعل بينهم.

(3) أي يمددهم بالموعظة مخافة المسألة.

ومنها أن يُرغم آنف من أراد غير الحق بتأبيسه^(١)، كالقاتل لا يبرئ، والمكروه في المطلاق لا يند طلاقه، فيكون كتاباً^(٢) للجارين من الإكراه إذ تم يحصل غرضهم.

ومنها ألا يشرع لهم ما فيه مشقة إلا شيئاً قليلاً، وهو قول عائشة رضي الله عنها: إنما أنزل أول نزل منه^(٣) شؤراً من الفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل العلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولن نزل: لا تزنا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً.

ومنها ألا يفصل النبي ﷺ ما تختلف به قلوبهم، فيترك بعض الأمور المستحبة لتلك، وهو قوله ﷺ لعائشة: ولولا جيشان^(٤) قويم بالكلد لتقصفت الكعبة وبنيقها علي لعاس إيواهيم عليه السلام.

ومنها أن الشارع أمر بأنواع البر، من الوضوء والغسل والحللة والزكاة والصوم والصح وغيرها، ولم يتركها مقوضة إلى عقولهم، بل صطبها بالأركان والشروط والآداب ونحوها، ثم لم يقيض الأركان والشروط والآداب كثير ضيق، بل تركها مقوضة إلى عقولهم وإلى ما يفهمونه من تلك الألفاظ وما يعتدونه في ذلك الباب، فيبين مثلاً أنه لا صلاة إلا بتمام الكتاب ولم يبين مخارج الحروف التي توقف عليها صحة قراءة المائدة وتشديداتها وحركاتها وسكناتها؛ ويبين أن استقبال القبلة شرط في الصلاة ولم يبين قانوناً تعرف به استقبالها، ويبين أن نصاب الزكاة مائة درهم ولم يبين أن الدرهم ما وزنه، وحيث شئ من مثل ذلك لم يرد صريحاً ما عندهم ولم يأثم بما لا يجدونه في عاداتهم، فكان ﷺ في مسألة حلال شهر رمضان: فإذا غم عليكم فكمولوا عدة شعبان ثلاثين، وقال ﷺ في العاء: يكون في فلاة^(٥) من الأرض ترده السباع والسهائم: إنما بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً^(٦)، وأصله معناه فيهم كما يشاء.

والسر في ذلك أن كل شيء منها لا يمكن أن يُبين إلا بحقائق مثلها في الظهور والخفاء وعلم الانضباط، فيحتاج أيضاً إلى البيان وغلط جزاء، وذلك خرج عظيم من حيث إن كل توقيت تعيين عليهم في الجملة، فإذا كثرت التوقيتات ضاق المجال كل الضيق، ومن حيث إن الشرع يكلفه به الأدائي والأفاسي كلهم، وفي حفظ تلك المحدود على

(١) أي: هدمته.

(٢) أي: قارئ.

(٣) جيشان يعني: بلكنس: قوله وهو مصدر، حدث، أراد قرب: عهدهم بالكلد والندرج منه إلى الإسلام وأنه لم يتمكن لدين في قلوبهم، فهو هدمت الكعبة وما نفروا منه.

(٤) أي: صغره وصل وسع.

(٥) أي: نجسة.

[illegible]

ومنها أن الدافع لم يخاضهم إلا على ميزان الدافع المودع في أصل حائضهم قبل أن يدرى دقائق الحكمة والكلام والأصول، فأثرت نفسه بهذه الحال.

(الْمُحَلِّقُونَ عَنِ الْمَرْبِ نَسَائِدًا) [ص ١٤٦]

قال النبي ﷺ لأمرأة سوداء: «أين الله؟» وأشارت إلى السماء. وكان: «هي مؤمنة».
وهم يكلمهم في معرفة استقبال القبلة وأوامر وأحكام، والأعيد حفظ مسائل الهيئة وأحكامها،
وأشار بقوله ﷺ: «العبلة ما بين المشرق والمغرب» إذا استقبل ككعب إلى وجه القبلة.
وقال: «الحج يوم تكبى» ويعلم يوم تكبى: «الله أعاد»

❁ باب استعوار القرعيع والقرعيع ❁

من رحمة الله تبارك وتعالى على عباده أنه أوحى إلى أنبيائه صلوات الله عليهم ما شئت على لأعدائهم من الشواب والعداب فيخبروا بنقود به فتطعن قلوبهم وخذل يديهم، وينفوا بالشرائع بدعية ومعة من أنفسهم. كما أن ما فيه ضمير أو جلب نفع، وهو قوله:

(وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ) الْخَلْفَاءُ لَا عَلَى النَّبِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ يَكُونُونَ أَيْمَنَهُمْ ثَلَاثَةً وَهُمْ
الْأَمَّةُ وَالْمُسْلِمَةُ ﴿٥٠﴾ الْمَعْرُوفَةُ وَمِنْهَا ٤٨

ثم إن ههنا قواعد أدبية لإيراد ترجع حذائهم الشرعيت والرهيب. وكان فيها الصداقة
يتمتعون بها إحصاءاً وإن لم يكونوا أحزروا من الغيب. ومما يدل على ما ذكرنا ما جاء في
الحديث أن نبي الله صلى الله عليه وآله وفي بضع أحكم صنعة، فكانت أبي أمية شهوة ويكون
له فيها أجر؟ قال: لا، بل يرضى به ووضعها في حرام كان عليه وزره، فما توففوا في هذه
المألة دون غيرها، وما أشبه عليها لمشيها إلا إنما تدعى من معرفة مناسبة لأفعال
الأجر فيها وأنه ترجع إلى أصل معقول السعي، وتولوا ذلك لم يكن لتزنيهم ولا لحروب
النبي صلى الله عليه وآله - بالاعتناء بأهل المصاح - وجه.

وقولي هذا نظير ما قاله الفقهاء في حديث: «لو كان على أبيك دين أكنف قاضيه»^{١٠} فقال: نعم، قال: «هذه إن الحق أن يفضى» - س: أنت على أن الأحكام محكمة بأصول الدين.

وحاصل السؤال أن الصفحات ترجع إلى تهذيب النفس، كالتمسح والتهليل والتكبير، أو إقامة المصلحة في نظام المدينة، وأن السيئات ترجع إلى أخذاد هاتين. وقضاء شهوة الفرج اتباع لداعية البهيمية، ولا يعقل فيه مصلحة زائدة على العادات أو نحو ذلك مما يرجع إلى معرفة كلية واستغراب وجوع المسألة إليها.

وحاصل الجواب أن سماع الحليمة يمحض قريشها وقرجه، وفيه خلاص مما يكون قضاء الشهوة في غير محلها افتحاضاً فيه.

وللتغريب والترهيب طرق، ولكل طريق سر، ونحن تنبهك على معظم تلك الطرق: فمتى بيان الأثر المترتب على العمل في تهذيب النفس، من انكسار إحدى القوتين أو خلبتها وظهورها، وإسناد الشارح أن يُعبر عن ذلك بكتابة الحسنات ومحو السيئات، كقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في اليوم مائة مرة كان له جُلُّ عشر رقبلي وتُكتب له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكنت له حُرّاً من قسطنطين يومه ذلك حتى يمسي، ولم يك له بعد بافضل مما جاء به [أ] رجل عمل أكثر منه، وقد ذكرنا سره فيما سبق.

ومنها بيان أثره في الحفاظ عن الشيطان وغيره، كقوله ﷺ: «وكان في حُرِّ من الشيطان حتى يمسي»، وقوله ﷺ: «لا يمتطعها البهيلة»⁽¹⁾، أو توسيع الرزق وظهور البركة ونحو ذلك.

والسر في بعض ذلك أنه طلب من الله السلامة، وهو سبب أن يُستجاب دعاؤه، وهو قوله ﷺ: «روياً عن الله تبارك وتعالى: «ولئن لم تعلقني لأبيذنه، ولئن لم تعلقني لأخيلتيه»⁽²⁾.

وفي البعض الآخر أن الخوص في ذكر الله والتوجه إلى الجبروت والاستمداد من الملوك يقطع المناسبة بهؤلاء، وإنما التأثير بالمناسبة.

وفي البعض الآخر أن الملازمة تدهو لمن كان على هذه الحالة، فيدخل في شراح⁽³⁾ كثيرة، فتارة في جلب نفع وطوارة في دفع ضرر.

ومنها بيان أثره في المعاد: وسره يتكشف بمفطنين:

أحدهما: أن الشيء لا يُحكم عليه بكونه سبباً للثواب أو العذاب في المعاد حتى يكون له مناسبة بأحد سببي المجازاة:

- (1) قوله: «لقد روي في سورة البقرة: لئن لم تعلقني لأبيذنه، ولئن لم تعلقني لأخيلتيه».
- (2) قوله: «ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورفقه الذي يطوق به وأجبهه التي يمشي بها، فإدركه البقاري عن أبي هريرة، جمع شريح بالكسر. وهو: سبيل الماء، والدرج الشريح.

إذاً أن يكون له دخل في الأخلاق الأربعة الستة عليها السجدة ونهذب النفس شيئاً أو نغياً، وهي: النظافة، والتشجيع لرب العالمين، وصداقة النفس، والسمي في إقامة العدل بين الناس.

أو يكون له دخل في شئ ما أجمع الملا الأعلى على تشبته من التمكين للشرائع والنصرة للأنبياء عليهم السلام إيماناً أو نغياً.

ومعنى المناسبة :

أن يكون العسل نظيفاً لوجود هذا المعنى أو ملازماً له في المادة أو طريقاً إليه، كما أن كونه يُصَوَّرُ وكهتين لا يُخَذَّرُ فيهما نفس نظيفة الإغيات وتَذَكَّرُ جلال الله والترف من فضيلته البهيمة، وكما أن إسباغ الوضوء طريق إلى النظافة المؤثرة في النفس، وكما أن بقاء المال الخطير الذي يُشَجُّ به عادة والنفس عمن ظلم وترك المراء فيه هو حق له ففئة لمساحة النفس وملازم لها، وكما أن إطفاء الجائع وسقي الظمآن والسعي في إطفاء نار الحروب من بين الأفعال نفقة إصلاح العالم وطريق إليه، وكما أن حب العرب طريق إلى اخيرهم، وذلك طريق عطف إلى الأخذ بكلمة الحنفية لأنها تشخصت في عاداتهم، ونويه بأمر الشريعة المصطفوية، وكما أن المحافظة على تعجيل الفطر تباعد عن الاختلاف الحار وحرفها.

وما زالت طوائف الناس من الحكماء وأهل المصناعات والأطباء يشيرون الأحكام على مظاهرها، وما زال العرب جارين على ذلك في خطبهم ومحاوراتهم، وقد ذكرنا بعضاً من ذلك.

أو يكون⁽¹⁾ عملاً شافاً أو خائلاً أو غير موافق الطبيعة، لا يقصده ولا يُقدم عليه إلا لمخلص حق الإخلاص، فيصير شرحاً لإخلاصه كالصنيع من ماء وحزم وكحب علي رضي الله عنه، فإنه كان شديداً من أمر الله، وكحب الأنصار، فإنه لم تزل العرب التخليقة والبينة متباغضين فيما بينهم حتى ألقمهم الإسلام، فالتأليف مُعَرَّفٌ لدخول بشاشة الإسلام في القلب، وكانظلوب على الجبل والسهل في حراسة جيوش المسلمين فإنه مُعَرَّفٌ بصدق عزمه في إخلاء كلمة الله وحب دينه.

المقدمة الثانية : أن الإنسان إذا مات ورجع إلى نفسه وإلى هياته التي انصبت بها، الملائمة لها والمنافرة لياها، لا بد أن تظهر ضرورة التألم والتنعيم بأقرب ما هنالك، ولا اعتبار في ذلك للملازمة العقلية بل لنسج آخر من الملازمة، لأجلها يُجَرُّ بعض حديث

(1) حلف على أن يكون العمل مستمراً.

النفس بعضاً، وعلى حسبها يقع تشجيع المعاني في السلام: كما يظهر مع التمزؤد الناس عن
التجماع والأكس بصورة الختم على الفروج والأفواه. ثم إن في عالم المثال مناسبات تنبئ
عليها الأحكام، فما ظهر سمير في صورة دمية⁽¹⁾ دون غيره إلا إلهي، ولا ظهرت النار
على مرس عليه السلام إلا إلهي. فالعارف بتلك المناسبات يعلم أن وراء هذا العمل في
أي صورة يكون، كما أن العارف بأزابل الرؤيا يعرف أنه أي معنى ظهر في صورة ما و⁽²⁾

وبالجملة فمن هذا الطريق يُعلم النبي ﷺ أن الذي يكتم العلم ويكف نفسه عن
التعليم عند السجدة إليه يُعذب سبحانه من نار، لأنه تألمت النفس بالكف والمكف⁽³⁾ شرح
الكف وصوته، والذي يحب المال ولا يربى يعلق به خاضره يُطوق بشجاع أقرع⁽⁴⁾،
والذي يتعاني في حفظ الثواب والمغناير والأنعام ويحوط بها عن البذل لله يُعذب بنفس
تلك الأشياء على ما تقرره عندهم من وجه التأذي، والذي يُعذب نفسه بحديدة أو سُم
ويُخالف أمر الله بذلك يُعذب بتلك الصورة، الذي تَكُفُّ الفقه يُكف، يوم القيامة من
مجلس الجنة، والذي يعتق مساماً ويحك رأيه عن آفة الرق المحيص به يُعذب بكل عضو من
عضو منه من النار.

ومنها شبيه ذلك العمل بما نثر في الأذهان حسنه أو قبحه، ربما من جهة التشريع أو
العادة، وفي ذلك لا يد من أمر جتمع بين الشيبين مشترك بينهما ولو بوجه من الوجوه، كما
نرى أكره⁽⁵⁾ في المسجد بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس يصاحب شبح وعسرة وشبه
العانة في جنبه بالكواب العند في قبه، ونسبه إلى المحبوبين أو المخبوضين، والدعاء لعاه
أو عليه. ولكن فسد يته على حال العمل إجمالاً من غير تعرض لوجه الخشن أو النقيح.
كقول الشاعر: تلك صلاة المنافق⁽⁶⁾، و: ليس منا من فعل كذا، وهذا العمل عمل
الشياطين، أو: عمل الملائكة، و: رحم الله امرأة فعل كذا وكذا، وسبح هذه العبارات

ومنها حال العمل في كونه متعلقاً برضا الله أو سخطه وسبباً لانتعاط دعوة الملائكة
إليه أو حيله، كقول الشاعر: من لله يحب كذا وكذا، و: يبغض كذا وكذا، وقوله ﷺ: من
الله تعالى وملائكته يُصلُّون على ميم من الصغوف، وقد ذكرنا سرّاً، والله أعلم.

(1) نسبه الكبي من ابن خليفه الصقلي. كل جعلاً من صورة

(2) أي قلب

(3) الذي لا شعر على رأسه، أي تعبط جلد راسه كثرة شح وطلوع عسرة وقوله: «يتعاني» أي: يعتدل لتعب
وشمسة

(4) أي: مستعار الحشي العكف.

(5) تبادله - يجلس يوقب اشعش حتى إذا صفرون وكانت بين قروني الشيطان قام فنفخ راساً لا ينكر هذا
فيه إلا قليلاً، رواه مسلم



باب طبقات الأئمة باعتبار الخروج
إلى الكمال المطلوب أو ضده



والأصل في هذا الكتاب توله تعالى في سورة الواقعة:

[illegible]

وقوله سبحانه

﴿فَرِيقًا تَكْسِبُ الْإِيمَانَ تَسْلَبُونَا مِنْ حَيْدَرٍ أَمْشَقُوا مِنْهُ لَمَّا خَسِبُوا فَذَلِكُنَّ أَفْئِدَتُهُنَّ الْمَوَدَّةَ الَّتِي فِي بَيْنِكُمْ يَوْمَئِذٍ فَكَيْفَ يُقْبَلُ مِنْكُمْ إِذَا أُفْزِعُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَوْدَعُوا فِئَافَ الْأَنْجَارِ وَهُمْ لَا يَكُونُونَ فِيهَا بِآيَاتٍ لَكِن مِمَّنْ يَبْدُونَ وَأَنْتُمْ أَعْتَدْتُمْ لَكُمْ يُنْفِخُونَ فِي الصُّورِ فَتَخْرُجُ أُمَمٌ مِمَّنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لِقَاءُ أُنثَى وَلَا يَخَفُوْنَ أَيُّ شَيْءٍ أَفْزَعُكُمْ فِي أَنْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ مُبْدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥-١٠٢]

قد علمت أن أعني مراتب التدرج هي نصوص لثمة هجين، وقد ذكرناه، وتلهم
المفاهيم جماعة تُسمى بالناشئة، وهم جبال

جنس أصحاب اصطلاح وعلوم، كان استعدادهم كاستعداد الفقهاء في شئ تلاك الكلمات، إلا أن السادة لم يبلغ بهم مبلغهم، فكان استعدادهم كالكلام يحتاج إلى من يوفقه، فلما أبغظه أخبار الرسل أقبلوا على ما يُناسب استعدادهم من تلك العلوم مسربة خفية في باطن نفوسهم، فصابروا كالمستعدين في المذهب: وصار إلهامهم أن يتلقوا من الإلهام الجسماني الكلي الذي توجه إلى نفوسهم بما يشملهم من الاستعداد في حظيرة القدس - وهو الأمر المشترك في أكثرهم، وترجم عنه لرسول.

وجندى أصحاب الجادب وغيره، صافهم سائق لتوقيق لى رياضات وتوجيهات فهدت
 بوجهدهم، فقاموا الحى تملأ عسكاً وكما على، وصاروا على بصيرة من أمرهم، فكانت
 لهم رفاهية إلهية وارشاد وسراى، مثل اكابر طرق المسوية.

وَجَمَعَ اسْتَأْذِنَ اسْرَأَى: أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ يَسْتَفْخِخُونَ طَائِفَتَهُمْ فِي التَّوْحَى إِلَى اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
وَالْأُخْرَى أَنَّهُمْ قَوِيَّةٌ فَتُكَلِّمُ الْمَلَائِكَةَ الْمَطْلُوبَةَ عَنْهُمْ عَلَى وَجْهِهَا مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ
إِلَى أَسْرَاحِهَا. وَلَمَّا يَحْتَابُونَ إِلَى الْأَسْبَاحِ شَرَحَ لَتِلْكَ الْمَلَائِكَةِ وَتَوَسَّلَ بِهَا إِلَيْهَا.
مِنْهُمْ الْمَطْرُودُونَ الْمُتَوَجِّهُونَ إِلَى النَّبِيِّ، فَظَنَّ الْمَذْكُورَ مِنْهُمْ أَقْنَتَهُمْ.

والصَّابِقُونَ السَّامِعُونَ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ بِطَرَفِ انْقِيَادِ الْحَقِّ وَالتَّجَرُّدِ لَهُ.

والشهداء الذين أخرجوا للناس وحده فيصحب العلاء الأعلى، من لعن لكافريه
والرغضا عن المؤمنين، والأمر بالعمروف والنهي عن العتكر، إعلال الحلة بواسطة
النبي ﷺ. أما كان يوم القيامة قاموا بخاصة الكفرة ويشهدون عليهم. وهم بمنزلة
أعضاء النبي ﷺ في حنة بهم ليكسر الأمر الحادي في البعثة، ولذلك وجب تفضيلهم على
غيرهم وتوقيرهم.

والمستحقون في العلم، أولو ذكاء وعقل. لذا سمعوا من النبي ﷺ العلم والحكمة
صادت ذلك منهم استعداداً نصراً يُعْقِلُهُمْ في باطنهم ففهم معاني كتاب الله على وجهها،
وبإله أشار عيسى الله عنه حدث قال: «أَوْفَهُمْ^(١) أَغْفَقَهُ رَجُلٌ سَلِمَ».

والعباد الذين أدركوا مرقاة العبادة عياناً وانصرفت نفوسهم بأنوارها ودخلت في صميم
أفئدتهم، فهم يمدون الله على بصيرة من أمرهم.

والرهاد الذين أيقنوا بالمعاد وببدا هالك من الله، فاستحقوا في جنبها لذة الدنيا،
ومار الناس عندهم كأباهر الأبل.

والمستعدون لخلافة الأنبياء عليهم السلام ممن يمدون الله تعالى بخلق العدالة،
فصبرونه فما أمر الله تعالى.

وأصحاب التخلق الحسن، أعني أهل السماحة، من الجود والتواضع والدعوى حسن
علم.

والمتشبهون بالملائكة والمخالطون بهم، كما يذكر أن بعض الصحابة كان يُسَمَّى
عليهم الملائكة.

وبكل فرقة من هذه الفرق استعداد جزئي، فتضي كماله بلفظ بأعداد الأسماء عليهم
السلام، واستعداداً كسبي يتوابع بأخذ الشرائع، فبهما يحصل كمالهم ومن كان من الغفلة
لم يهتد إلى الخلق فينه يعد في انشراح من العائدين.

ويشتر السابقين جماعة تسمى بأصحاب اليس، وهذه أحوال

حسن نفوسهم قريبة المأخذ من السابقين، لم يوفقوا لتكميل ما حبلوا به واقتصروا
على الأشباح دون الأرواح، لكنهم ليسوا بأخيين منها.

وجنس أصحاب التصديب، نفوسهم ضعيفة الملائكة قريبة البهيمية، ولقوا تزيات
شاقة قاسمت، أنهم ما الملائكة السابق، أو ضريبة البهيمية، يستهنون بذكر الله تعالى فتوشح
عليهم إلهامات حربية وتغلب وتظهر حروباً.

وحسن أهل الاصطلاح، ضعيفة الملائكة جداً، عضوا على الرغبات الشاقة إن كانوا
قريبين البهيمية، أو لأراد الدائمة إن كانوا ضعيفين، فلم يشعر ذلك بهم شيئاً من
الانكشاف، لكن دخلت الأعدال والهيئات التي هي أشد المعاكسات الجديدة في حذر
نفوسهم، وكثير منهم لا يشترط في عمده الأخلاص التام والتميز، من مقتضى الطبع ولعادة

(١) أي استعداد من القلوب لله تعالى عنه رباً راعم القشيرة من النبي ﷺ ضمن أهل بيت - سيما علياً -
لمدركو فوجهم يعني ما أسر النبي ﷺ إلى شيطانهم من خبري، من هذه الاستعدادات العقلية وهي

بالكسبة، فيتصدفون بيَّنة مسترجة من دقة الطعام ورجاء الثواب، ويصلون جريان سنة قومهم على ذلك ولرجاء الثواب، ويستمتعون من الزنا وشرب الخمر حوثاً من الله وحوثاً من الناس، أو لا يستطيعون أتباع المتطلبات ولا يبالوا بالأمور في الملاهي، فيقبل منهم تلك، بشرط أن تُصنَّف قلوبهم عن الإخلاص المنصرف وأن تَمسك نفوسهم بالأعمال أُنعمها لا بما هي شروح للملكات.

وكان في المحكمة الأولى: (إن من الحياء حبراً ومنه فسقاً)، فقال النبي ﷺ: «هيه خير لك» بيَّنة على ما ذكرنا.

ونشر منهم يرق عليهم بارقة ملكية هي أرواح يسيرة، فلا يكون ملكة لهم ولا يكونون أجنيين منها، كالمستغربين النُّزَّ من أنفسهم، وبالله الذي يذكر الله حالاً وقاضيت عيناه، وكأني لا تمسك نفسه الشر لضعف في جوارحه إنما قلبه كقلب الطير، أو لتحليل طارئ على مزاجه، كالبيطون وأهل المصائب تُعزِّت بلاياهم عطاياهم.

وبالحكمة: فأصحاب الحسن فقدوا إحدى نصاتي السابقين وحفظوا الأخرى.

وبمنهم جماعة تسمى بأصحاب الأعراف وهم جنات:

قوم سمحت أرواحهم وزكَّت عطرهم، ولم تلعهم الدعوة الإسلامية أصلاً، أو بلغتهم ولكن بنحو لا تقوم به الحجَّة ولا تزول به التشبه، فتشذروا غير متعديين في الملكات الخسيسة والأعمال العزوبية، ولا متفتحين إلى جنات الحق لا نفاً ولا إثباتاً، كان أكثر أمرهم الاشتغال بالارتفاقات العاجلة، فأولئك إذا ما تروا رجعوا إلى حافة عيباء لا إلى عذاب ولا إلى ثواب، حتى تسمع بهميتهم يبرق عليهم شيء من بوارق المعذبة.

وقوم قصت غيوبهم، كأكثر النساء، والمعتمدين والفلاحين والأرقاء، وكثير يزعمهم الناس أنهم لا بأس بهم وإذا نفع حائهم عن الرسوم بقوا لا عقل لهم، فأولئك لكفى من إيمانهم بمثل ما اكتفى رسول الله ﷺ من التجارة السوداء حين سألهما: «ذين الله» فأشارتا، إلى النساء⁽¹⁾، إنما يراد منهم أن يتشبهوا بالمسلمين لئلا تُفرض تكلمه.

أما الذين شذروا، منهمكين في التفاضل والتفتوا إلى جناب، احتج على غير الوجه الذي ينبغي أن يكون فهم أهل الجاهلية، يقدِّرون بأصناف العذاب.

وبمنهم جماعة⁽²⁾ تسمى بالمناققين نقاق العمل، وهم أجتانس لم تبلغ بهم السعادة إلى وجود الكمال أسامير به على ما هو عليه، إنما علب عليهم:

عذاب المطايمة فتوا في ملكة رذيلة، مثيرة شره الظلم والنساء والنفقة، أولئك ما

(1) وقد قال: «هي مؤمنة وقد مر ألقاً» (2) هم أصحاب الأعراف.

وَضَعَتْ عَنْهُمْ طَاعَتِهِمْ أَوْزَارَهُمْ أَوْ حِجَابَ الرِّسْمِ، فَلَا يَكْدُونُ بِمَحْرَمٍ بِمَرْكَ وَسُومِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا بِمَهْجَرَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَرْطَانِ.

أَوْ حِجَابٍ سَوْدٍ الْمَعْرُوفَةِ، مِثْلُ الْعُثْبَةِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا بِإِلَهِ عِبَادَةٍ أَوْ اسْتَعَانَهُ - شِرْكاً عَقِيباً، زَاعِمِينَ أَنَّ الشِّرْكَ الْمُبْتَغَصَ غَيْرُ مَا يَفْعَلُونَهُ، وَذَلِكَ لِجَمَاعَةٍ لَمْ تُصَبِّحْ فِيهِ الْعِلَّةُ وَلَمْ يَكْشَفْ عَنْهُ الْفُطَاءُ.

وَمِنْهُمْ أُولُو ضَعْفٍ وَسِمَاخَةٍ وَأَهْلُ مَجُونٍ وَسَخَاةٍ، لَمْ يَنْفَعِ حُبَّ اللَّهِ وَحُبَّ رَسُولِهِ فِيهِمْ الشَّرُّ مِنَ الْمَعَاصِي، كَقَضَاةٍ مَنْ كَانَ يَشْرِبُ - الْخَمْرَ وَكَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِشَهَادَةِ أَنْبِيَاءٍ ^(١).

وَجَمَاعَةٌ تَسْمَى بِالْمَاسِقِينَ، وَهِيَ الَّذِينَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمْ أَعْدَالُ السُّوءِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَلَكَاتِ الرَّذِيَّةِ، مِنْهُمْ أَصْحَابُ مَهِيْمَةٍ شَدِيدَةٍ انْدَقَعُوا إِلَى مَقْتَضِيَاتِ السَّعْيَةِ وَالْبَهِيْمَةِ، وَمِنْهُمْ أُولُو أَمْرُجَةٍ عَاسِدَةٍ وَأَرَاءٍ كَاسِدَةٍ، سَنَزَلَةُ الْمَرِيضِ الَّذِي يُحِبُّ كُلَّ الطَّيِّبِ وَالْخَيْرِ الْمَحْشُوقِ، فَصَارُوا يَنْدَقِعُونَ إِلَى الشَّيْطَانَةِ.

وَبَعْدَهُمْ ^(٢) الْكَفَّارُ، وَهِيَ الْمَرَّةُ الْمُتَمَرِّدَةُ، أَيْبُوا أَنْ يَقُولُوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مَعَ تَبَامٍ عَقْدِهِمْ وَصَحَّةِ الذَّلِيلِ بِهِمْ، أَوْ نَاقَضُوا إِرَادَةَ الْحَقِّ فِي تَعْشِيَةِ أَمْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْهُمْ السَّلَامَ، فَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاطْمَأَنَّنُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا بَعْدَهَا، فَأَوَازِلُ يَكْفُرُونَ لِعَمَلٍ مُؤَبَّدٍ، وَيُجَنِّونَ سَجَنًا مُخْلَدًا.

وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ.

رَبِّهِمْ الْمُتَأَنِّفُ الَّذِي تَمَنَّى بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ بَاقٍ عَلَى الْكَثْرِ الْغَالِصِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

❁ بَابُ الْحَاجَةِ إِلَى دِينِ يَنْسَخُ الْأَدْيَانَ ❁

الْمُشْفَرِّقُ الْعَمَلِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، هَلْ تَرَى مِنْ تَفَاوُتٍ عَمَّا أَخْبَرْنَاكَ فِي الْأَبْوَابِ السَّابِقَةِ؟ كَلَّا، اللَّهُ، هَلْ لِمَلَلٍ كُنْهًا لَا نَخْشَى مِنْ اعْتِقَادِ صَدَقِ صَاحِبِهِ الْعَمَلَةَ وَدَعَايِهِ، وَأَنَّهُ كَامِلٌ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ، إِنَّمَا رَأَوْا مِنْهُ مِنَ الْاسْتِقَامَةِ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ وَالْمُتَجَلِّبَةِ الدَّعَوَاتِ، وَمِنْ الْحُدُودِ وَالشَّرَائِعِ وَالْمُزَاجِرِ مَا لَا تَنْتَقِمُ السَّلَافُ بِغَيْرِهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ تُفِيدُ الْاسْتِظْلَافَةَ الْمُبْشِّرَةَ بِمَا ذَكَرْنَا بِمَا بَضَاعِهِ.

وَنُكَلِّ قَوْمَ سَنَةٍ وَشَرِيفَةٍ، يَتَّبِعُونَ فِيهَا عَادَةَ أَوَائِلِهِمْ وَيَخْذَلُونَ فِيهَا مَسِيرَةَ حَمَلَةِ الْعَمَلَةِ

(١) أُولُو بَدَنِ الْفَاسِقِينَ.

وأنبتها، ثم أخرجهم بناتها وشده أركانها، حتى صار أهلها يصبرونها وينفذون دونها
ويذاون الأموال والمهج لأجائها، وهـ، ذاك إلا لتسييرات، وحكمة ومصلح متفة لا تبلغها
نفوس العامة.

ولما انقز كل قوم سعة، وانحلوا سناً وطرقوا، وانحروا دونها بالسهم، وفانوا
عليها بأسهم، ووقع بهم الحور، إما لقيام من لا يستحق إناعة المنة بها، أو لاختلاف
الشرائع الانتداعية ودسها فيها، أو لتهاون حملة السعة، فاهملوا كثيراً مما ينبغي، فلم يبق
إلا دمنة^(١) لم تنكلم من أم لؤي، ولامت كل ملة أحقها، وأنكرت عليها وقابلتها، واحتضى
الحق. عندها مس الحاجة إلى إمام راشد يعامل مع العطل معاملة الخليفة الرشيد مع
المنوك الجائرة.

ولك عزة بيد ذكره باقل كتاب (كليفة ودنة) من الهندية إلى الفارسية، من اختلاط
الملل، وأنه أراد أن يتحقق الصواب فلم يفكر إلا على شيء يسير، وفيما ذكره أهل التاريخ
من حال الجاهلية واضطراب أديانهم.

وهذا الإمام الذي يجمع الأمم على ملة واحدة يحتاج إلى أصول أخرى غير الأصول
المذكورة فيما سبق:

منها أن يدعو قوماً إلى السعة الرشيدة ويرغبهم ويصلح شأنهم، ثم يتخذهم منزلة
جوارحه فيجزمدهم أهل الأرض، وغرفهم في الآفاق، وهو قوله تعالى:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [فرج من الآية ١١٠].

وذلك لأن هذا الإمام نفسه لا يتأني منه مجاهدة أمة غير محصورة. وإذا كان كذلك
وجب أن تكون مادة شريعته ما هو بمنزلة المذهب العظيم لأهل الأقاليم الصالحة عربهم
ومسلمهم، ثم ما عند فوحه من العلم والارتفاقات. ويراعي فيه حالهم أكثر من غيرهم، ثم
يحمل الناس جميعاً على أتياع تلك الشيعة، لأنه لا سبيل إلى أن يفرض الأمر إلى كل
قوم أو إلى أمة كل عصر، إذ لا يحصل منه فائدة التشريع أصلاً، ولا إلى أن ينظر ما عند
كل قوم، ويأمر كل منهم يجعل لكل شريعة، إذ الإحالة يعادتهم وما عندهم، على
اختلاف بلدانهم وتباين أديانهم، كالمنسج، وقد عجز جمهور الرواة عن رواية شريعة
واحدة، فما ظنك بشرائع مختلفة، وأكثر أنه لا يكون انقياد الآخرين إلا بعد عدد ومدد
لا يطول عصر النبي إليها، كما وقع في الشرائع السرجوة الآن، حال اليهود والنصارى
والمسلمين ما آمن من أولادهم، إلا جشع ثم أصبحوا ظاهرين بعد ذلك، فلا أحسن ولا أسر

(١) هي قار قدر، وعدا مؤن.

من أن يعتبر في الشعائر والحدود والارتقافات عادة قومه المبعوث فيهم، ولا يُضَيِّق كل التضييق على الآخرين الذين يأتون بعد، ويبقى عليهم هي الجملة، والأولون يتيسر لهم الأخذ بثلث الشريعة بشهادة قلوبهم وعاداتهم، والآخرون يتيسر لهم ذلك بالرغبة في سير أئمة الهدى والخلفاء، عليها كالأمر الطبيعي لكل قوم في كل عصر قديماً أو حديثاً.

والأناليم الصالحة لتولد الأمزجة المتعددة كانت مجموعة تحت ملكين كبيرين يومئذ: أحدهما كسرى - وكان منسلطاً على العراق واليمن وحراسان وما وليتهما، وكانت ملوك ما وراء النهر والهند تحت حكمه، يحس إليه منهم الخراج كل سنة. والثاني قيصر - وكان منسلطاً على الشام والروم وما وليتهما، وكان ملوك مصر والمغرب والإفريقية تحت حكمه، يحس إليه منهم الخراج.

وكان كسر دولة هذين الملكين والتنسيط على منكهما بمرحلة الغلبة على جميع الأرض، وكانت عاداتهم في الترفه سارية في جميع البلاد التي هي تحت حكمهما، وتغيرت العادات وصنعت منها مفضيلاً في الجملة إلى تنبيه جميع البلاد على ذلك وإن اختلفت أمورهم بعده. وقد ذكر الهمزمان شيئاً من ذلك حين استنصره عمر رضي الله عنه في غزاة المعجم. أما سائر النواحي البعيدة عن اعتدال المزاج، فليس بها كثير اعتداد في المصلحة الكلية، ولذلك قال النبي ﷺ: «اتركوا لترك ما ترككم، ودعوا لحبشة ما ترككم».

وبالجملة: فلو أراد الله تعالى إزاحة السنّة العوحاء، وأن يخرج للناس أئمة تأمرهم بالمعروف ونهّاهم عن المنكر وتغير بسيرهم الفاسدة، كان ذلك موقوفاً على زوال دولة مدين متيسراً بالتمعرض لحالهما، فإن حالهما يسري في جميع الأناليم الصالحة أو يكاد يسري، ففرضي الله بزوال دولتهما، وأخبر النبي ﷺ بأن «هلك كسرى فلا كسرى بعده»، و«هلك قيصر فلا قيصر بعده» ونزل الحق الدامغ لباطل جميع الأرض، في فتن باطل العرب بالنبي ﷺ وأصحابه وذئب باطل هاتين الملكتين بالعرب وذئب سائر البلاد بعلتهما، والله الحجة البالغة.

ومنها أن يكون^(١) تعينه الذين إياهم مضموماً إلى القيام بالخلافة العامة، وأن يجعل الخلفاء من بعد أهل بيته وعشيرته الذين نشؤوا على تلك العادات والسنن، وليس التكلل في الميتين كالكلل، وتكون الحمية الدينية بهم مقرونة بالحمية الشيعية. ويكون علو أمرهم ونباة شأنهم علواً لأمر صاحب الأمة ونباة لشأنه. وهو قواء ﷺ، «اللائمة من طوبى»، ويوصي الخلفاء بإقامة الدين وإشاعته، وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه. بتأولكم عليه ما استقامت حكم أئمتكم.

(١) أي من الأصول التي ينبغي للإمام الذي يجمع الاسم على سنة واحدة

ومنها أن يجعل هذا الدين غالباً على الأديان كلها، ولا يترك أحداً إلا قد غلبه الدين، بحر عزيز أو ذل ذليل، فيقلب الناس ثلاث فرق: متفاداة للسين ظاهراً وباطناً، ومتفاداة بظاهره على رغم أنها لا تستطيع التحول عنه، وكافرة مهانة يسخرها في الحصاد والدياس وسائر الصناعات كما تسخر الهائم في الحرث وحمل الأثقال، ويلزم عليها شدة زاجرة. وتؤلف العجزة من يد وهي صاغرة.

وغلبة الدين على الأديان لها أسباب:

منها إعلان شعائره على شعائر سائر الأديان، وشعائر الدين أمر ظاهر يختص به يمتاز صاحبه به من سائر الأديان كالحنان، وتعظيم الساجد، والأفان، والجمعة، والجماعات ومنها أن يفيض^(١) على أيدي الناس ألا يظهروا شعائر سائر الأديان.

ومنها ألا يجعل لمسلمين أكثر من الكافرين في القصاص والذنابات ولا في المناكحات ولا في القيام بالرياسات ليلجئهم ذلك إلى الإيمان إلجاء.

ومنها أن يكلف الناس بأشباح البر والإثم ويلزمهم ذلك لزوماً عظيماً، ولا يلوح لهم بأرواحها كثير تلويح، ولا يخبرهم في شيء من الشرائع، ويجعل علم أسرار الشرائع الذي هو مأخذ الأحكام التفضيلية علماً مكتوناً لا يتله إلا من اوتسخت فدهه في العلم، وذلك لأن أكثر المتكلمين لا يعرفون المصالح ولا يستضيئون سمرقتها إلا إذا غلبت بالضوابط وصارت محسوسة بتمامها كل متعاط، فلو رخص لهم في ترك شيء منها وبين أن المقصود الأصلي غير تلك الأشباح، لتوسع لهم مذاهب الخوض ولاختلفوا اختلافًا فاحشاً ولم يحصل ما أراد الله فيهم، والله أعلم.

ومنها أنه لما كانت الخلية بالسيف فقط لا تدفع دين^(٢) قلوبهم، ففسى أن يرجعوا إلى الكفر عن قليل، وجب أن يثبت بأسور برهانية أو خطبية نائمة في أذهان الجمهور أن تلك الأديان لا ينبغي أن تتبع. لأنها غير مأثورة عن المصنوع، أو أنها غير متعلقة على قوانين الملّة، أو أن فيها تعريضاً ورضعاً للشيء في غير موضعه، ويصحح ذلك على رؤوس الأشهاد، ويبين موجبات الدين النور، من أنه سهل سمح، وأن حدوده واضحة يعرف العقل حسنها، وأن ليلها نهارها، وأن منها أنفع للجمهور وأشد ما بني عندهم من سيرة الأنبياء السابقين عليهم السلام، وأمال ذلك، والله أعلم.

(١) أي: صلب قلعة.

(٢) لورين: المحبب التكليف.

❦ باب إحكام الدين من التحريف ❦

لا بد لصاحب السياسة الكبرى الذي يأتي من الله بدين ينسخ الأديان من أن يُفكر منه من أن يتطرق إليه تحريف، وذلك لأنه يجمع أمماً كثيرة ذوي استعدادات شتى وأغراض مغاوتة، فكثيراً ما يحملهم الهوى أو حب الدين الذي كانوا عليه سابقاً أو الفهم الناقص، حيث غفلوا شيئاً وغابت عنهم مصالح كثيرة، أن يهتموا بما نصب الله عليه، أو يدسوا^(١) فيها ما ليس منها، فيخلل الدين، كما قد وقع في كثير من الأديان قبلنا، ولنا لم يمكن الاستقصاء في معرفة مداخل الخلل فإنها غير محصورة ولا متبينة، وما لا يُنكر كله لا يُذكر^(٢)، ويجب أن ينذرهم من أسباب التحريف إجمالاً أشد الإنذار، ويخص مسائل قد علم بالمدى^(٣) أن التهاون والتحريف في مثنها أو بسببها جاء مستمر في بني آدم، فيسد منخل الفساد منها بآتم وجه، وإن بشرع شيئاً يحالف مألوف الضلال القاسية فيما هو أشهر الأشياء عندهم، كالصلوات مثلاً.

ومن أسباب التحريف: التهاون. وحقيقته أن يخلف بعد الحوارين خلُف أضاعوا الصلاة وأنهبوا الشهوات. لا يهتمون بإنشاعة الدين تعلماً وتعليماً وعملاً، ولا بأمرؤ بالصروف ولا ينهون عن المنكر، فينقض مما قريب رسوم خلافات الدين، وتكون رعية الطوائع خلاف رعية الشرائع، فيجيء خلُف آخرون يزيدون في التهاون، حتى يُنسى معظم العلم. والتهاون من سادة القوم وكبرتهم أكثر بهم وأكثر إفساداً، وهذا السبب ضاعته ملّة نوح وإبراهيم عليهما السلام، فلم يكن يوجد منهم من يعرفها عسى وجهها.

ومبدأ التهاون أمور:

منها عدم تحمّل الرواية عن صاحب الملّة والعمل به، وهو قوله ﷺ: «ألا يوشك رجل شبعان على لويكته يقول: عليكم هذا القرآن، فما وجنتم من خلال لأجلوه وما وجنتم نيه من حرام فخرسوه. ولأن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله..» وقوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً أخذ الناس رؤسهم جهالةً فاستولوا فافتروا بغير علم، فسلّوا وفسدوا».

ومنها الأغراض الفاسدة الحاملة على المأويل الباطل، كطلب مرضاة الملوك في أتباعهم الهوى، لقوله تعالى:

(١) سمه مثلاً إذا فحشه في شيء بغير وجهه.

(٢) أي: لن.

(بِمَا كُتِبَ بِكُتُبُهُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْعَالَمِينَ وَتَشَارَكَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا مِمَّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ) [البقرة: الآية 174].

ومنها شرح السنكات ونزل علانهم انتهى بها، وهو قوله تعالى

(فَقُلْ لَا تَأْكُلْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَمْوَالًا بَيْنَهُمْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَيَكْفُرُ بِاللَّهِ يَكْفُرُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ خَلِيفَةً لِمَا بَيْنَهُمْ وَاللَّهُ يَكْتُبُ لِمَنْ يَشَاءُ غَدِيرَهُ وَكَذَلِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ) [البقرة: الآية 188].

وقوله **يَكْتُبُ** : ولما وقعت بنو إسرائيل في الخصام في نهتهم على قومهم، فلم يشهروا، فخالسهم في مجالسهم وأكلوا من أموالهم، ففسدوا، فكتب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم **(عَنْ)** فكأنه **أَكْرَمَ** و**جَبَلَسَ** التي مررت ذلك بينا عسروا **وَسَكَنُوا** **مَشَقَّتْ** **(عَنْ)** [البقرة: الآية 174].

ومن أسباب التحريف: التعمق. وحقيقته أن يأمر الشارع بأمر وينهى عن شيء، فيسبغ، جل من أمته ويحبه حسنا يلقي بدعته، فيكفي الحكم إن ما يشاكل الشيء، بحسب بعض الرموز أو بعض أجزاء الحق أو إلى أجزاء الشيء ومقتضاه ودواعيه، وأما إسنه عليه الأمر فتعارض الروايات التزم لأشد وجهه واجبا، ويحمل كل ما فعله لشيء **يَكْتُبُ** على البرادة والحق أنه فعل أشياء على العادة، فظن أن الأمر والنهي تحلا هذه الأمور، فيجهر بأن الله تعالى أمر بتكذيب ونهي عن كذا، كما أن الشارع لما شرع الصوم فغير الصيام ومنع عن الخمر فيه، ظن قوم أن المحذور خلاف المصروع لأنه يخاص بهم النفس، وأنه يحرم على الصائم قبله إمرأته لأنها من دواعي الجسد، ولأنه يشاكل الجماع في قضاء الشهوة، فكشف رسول الله عن ماء هذه المقالة وبين أنه تحريف.

ومنها **الاستدلال** : وحقيقته اختيار عبادات شاقة أم يأمر بها الشارع، كدوام الصيام والنفاس والليل ونزاع الشروع وأن يلتزم نفس والآداب كالإتيان الواجبات، وهو حديث **نَهَى** النبي **يَكْتُبُ** عبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون عما فصدوا من العبادات الشاقة، وهو قوله **يَكْتُبُ** : **لَمْ يَشَأْ** **الْحَقِيقُ** **أَحَدٌ** إلا غلبه، فإذا صار هذا الشئ أو الاستدلال **مَعْلُوم** ورفق بهم ظنوا أن هذا أمر الشرع ورضاه، وهذا داه رهاب اليهود والنصارى

ومنها **الامتثال** : وحقيقته أن يرى رجلا الشارع يضرب لكل حكمه خطة مناسبة، ويراه يحفظ الشريعة، فيخالس بعض ما فكره من أسرار الشريعة، فيشرح للناس حبيبا غفل من المصاحفة، كما أن اليهود رأوا أن الشريعة إنما أمر بالحدود ذجرا عن السعاسي للإصلاح، ورأوا أن شرعهم مودع اختلافه ومقتضاه بحيث يكون في ذلك أشد الفساد،

(3) أي ومن أسباب التحريف

(4) أي نفس.

(5) أي من يتمنى أحد في قلبه بترك الرمي. ويؤكد نفسه من لعمدة خلق فاته. لا محذور عنه فله نو

واستحسنوا تحميم^(١) الرجله والجلد، فبين النبي ﷺ أنه تعريف وتبذ لحكم الله المتصور في التوراة بآرائهم.

عن ابن سيرين قال: أول من قاس إبليس، وما حُلبت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. وعن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَكَلَّمَنِي مِنْ نَارٍ﴾ [١٢: ٨٥] فقال: قاس إبليس وهو أول من قاس. وعن الشعبي قال: والله لئن أخذتم بالمقاييس لثُخِرْتُمُ العلال ولثُجِلْتُمُ الحرام. وعن معاذ بن جبل: يفتح القرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والعبي والرجل، فيقول الرجل: قد قرأت القرآن فلم أُنْبِ، والله لأخوشتُ به فيهم لمعني أُنْبِ، فيقوم به فيهم فلا يُنْبِ، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أُنْبِ، وقد خست به فيهم فلم أُنْبِ، لأحفظون في بيتي مسجداً لمعني أُنْبِ، فيحظر في بيته مسجداً فلا يشع، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أُنْبِ، وفمت به فيهم فلم أُنْبِ، وقد احتفظت في بيتي مسجداً فلم أُنْبِ، والله لأتنبههم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسموه عن رسول الله ﷺ لمعني أُنْبِ. قال معاذ: فأياكم وما جاء به، فإن ما جاء به ضلالة. وعن عمر رضي الله عنه قال: يَهْدِمُ الإسلامُ زُكَّةَ العالم وجناله الصائغ بالكتاب وحكم الأئمة المضلين.

والمراد بهذا كله ما ليس استباطاً من كتاب الله وسنة رسوله.

ومنها: اتباع الإجماع. وحقيقته أن يفتن قوم من حملة العلم اللعين اعتقد العامة فيهم الإصابة غالباً أو طامساً على شيء، فيظن أن ذلك دليل قاطع عن ثبوت الحكم، وذلك فيما ليس له أصل من الكتاب والسنة. وهذا غير الإجماع الذي أجمعت الأمة عليه، فإنهم اتفقوا على القول بالإجماع الذي مستنده الكتاب والسنة، أو الاستنباط من أحدهما، ولم يجوزوا القول بالإجماع الذي ليس مستنداً إلى أحدهما، وهو قوله تعالى:

﴿وَمَا يَفْعَلُ فِتْنَةُ الْفِتْنَةِ أَنَّ الْقَوْلَ بِلَا بَيِّنَةٍ﴾ [١٧: ٨١].

وما تمسكت اليهود في نفي نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام إلا بأن أسلافهم تحصوا عن حالهما، فلم يجدوهما على شرائط الأنبياء. والتصارى لهم شرائع كثيرة مخالفة للتوراة والإنجيل، ليس لهم فيها منكم إلا إجماع سلفهم.

ومنها: تقليد غير المعصوم. أعني غير النبي الذي ثبت عصمته. وحقيقته أن يجتهد واحد من علماء الأمة في مسألة، فيظن متيقنوه أنه على الإصابة قطعاً أو غالباً، فيردوا به حديثاً صحيحاً. وهذا التقليد غير ما اتفق عليه الأمة المرحومة، فإنهم اتفقوا على جواز التقليد للمجتهدين مع العلم بأن المجتهد يخطئ ويصيب، ومع الاستئثار لمن النبي ﷺ

(١) تسديم.

في المسألة والعزم على أنه إذا ظهر حديث صحيح حلائل ما قلّد فيه أثراً. تغلبد وأنعم الحديث. قال الرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَسْمَاءَكُمْ وَتَعَسَفْتُمْ أَرْبَابَكُمْ﴾ (دُوب الله) ﴿فَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ﴾

«إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أطعوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حُرّموا عليهم شيئاً حُرّموا».

ومنها: نخط ملّة بمنّة، حتى لا تتميز وحلة من الأخرى. وذات أن يكون إنسان في دين من الأديان تعلق بقلبه عليهم تلك المطبقة. ثم يدخل في العلّة الإسلامية فينبى ميل قلبه إلى ما تعلق به من ملّة، فيطلب لأجله وجهاً في هذه الملّة، وهو ضيق أو موضوعاً وربما جزؤ الموضع ورواية الموضوع لذلك، وهو قوله ﷺ: «من يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم العولون»^(١) وأبناء سبيلنا الأمم، فذكوا بالرأي فضلوهم وفسطوهم. ومما دخل في دينا عليهم بني إسرائيل، وتذكير خطب، الجاهلية، وحكمة اليونانيين، ودعوة الباطنيين، وتاريخ الفارسيين والتجوم والرملي والكلام، وهو سر غضب رسول الله ﷺ حين قرأ بين يديه نسخة من التوراة، وضرب عمر رضي الله عنه من كان يطلب كُتُب دأبال، راثه أعلم.



باب أسباب اختلاف بين نبينا ﷺ وبين اليهود والنصارى



عزم أن الحق تعالى إذا بعث رسولا في قوم، فأقام العلّة لهم على لسانه، فإنه لا ينزاه فيها عوجاً ولا أمناً، ثم إنه تعضي الرواية عنه، ويحملها الصوارسون من أنه كما ينبغي برهة من الزمان، ثم بعد ذلك يخلف بحرفونها ونهاونون فيها، فلا تكون حقاً جبراً، بل موزجاً بالباطل، وهو قوله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في امتة إلا كان له من امتة حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، يقتلون بأموه، ثم يطلب من بعدهم خوف يقرأون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون»^(٢) الحديث.

وعذا الباطل منه إشراك جلي وتحريف صريح يؤمنون عليه على كل حال، ومنه إشراك خفي وتحريف مصر لا يؤمنه الله بها حتى يبعث الرسول فيهم، فيقيم الحجّة ويكشف الغمّة^(٣) ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة. فإذا بعث فيهم الرسول رد كل شيء إلى أصله، فظهر إلى شرائع الملّة الأولى.

(١) التوراة: من كان لهم من قوم وثقه من أثر. وكان أبناء سبيلنا الأمم عطف لتسيريهم وهسايلا الأسراء

(٢) بقية الحديث. «من جاءهم بعد مهر مؤمن، ومن جاءهم للسان فهو مؤمن، ومن جاءهم بقلبه فهو مؤمن وكيس وراء ذلك من الإيمان حبة حوله، دولة مسلم»

(٣) الخلفاء

فما كان منها من شعائر الله لا يخالفها شرك ومن سنن العبادات أو طرق الانغادات التي يطبق عليها القرآن الميمنة، أبقاها ونزه⁽¹⁾ بالخال من مهاد لكل شيء أركانا وأسبابا.

وما كان من تحريف وتهاون أبطله دين الله ليس من الدين.

وما كان من الأحكام المنوطة بمطابق المصالح يرمض ثم اختلفت المظان بحسب اختلاف انعدادات، تذلها، إذ المقصود الأصلي في شرع الأحكام هي المصالح، وتغلق بالمظان، وربما كان شيء مطبقة لمصلحة ثم صار ليس مطبقة لها، كما أن علة التحريم في الأصل توران الأخلاق، فيتحد الطيب له مطبقة ينسب إليها الحسن، كالشمس في الشمس والحركة المستعينة وتدارك القضاء القلاني. ويمكن أن تزول مطبقة هذه الأشياء فتختلف الأحكام حسب ذلك.

وما كان انعقد عليه إجماع السلا الأعلى فيما يعملون ويمتادون وفيما يثبت عليه علومهم ودخل في جدر نفوسهم، زاده.

وكان الأنبياء عليهم السلام قبل نبينا ﷺ يؤيدون ولا يقصرون، ولا يبدلون إلا قليلا، نزاد إبراهيم عليه السلام على ملة نوح عليه السلام أشياء من المناسك وأعمال الفطرة والنحنان، وزاد موسى عليه السلام على ملة إبراهيم عليه السلام أشياء، كتحرير العوم الإبل ورجوب السبت ورجم الزناة وغير ذلك، ونسبنا ﷺ زاد ونقص ويدق.

والتأخر في دقائق الشريعة إذا استقرأ هذه الأمور⁽²⁾ وجدناها على وجه.

منها أن العلة اليهودية حملها: لأجبار والرهبان فحرفوها؛ بالرجوع المذكورة فيما سبق، فلما جاء النبي ﷺ ود كل شيء إلى أصله، فاعتنقت شريعتهم بالنسبة إلى اليهودية التي هي في أيديهم تلقاوا. هذا زيادة ونقص وتبديل، وليس بيديا في الحقيقة.

ومنها أن النبي ﷺ لو أن بعضه تضمن بقية أخرى:

فالأولى إنما كانت إلى بني إسرائيل وهو قوله تعالى:

(مَنْ آتَى مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ رِسَالًا فَتِلْكَ أَمْرُهُمْ) [البقرة: الآية 136].

وقوله تعالى:

(يَسْجُدْ قِرَامًا تَنْبُذُ أَنْبَرُ) [البقرة: الآية 136]. [يعني: الآية 136].

وهذه البيعة تستوجب أن يكون مادة شريعته ما عندهم من الشعائر وسنن العبادات

(1) أي: حفظت شأن ما كان معصيا لهم منها.

(2) أي: فريضة والنقص والتبديل.

ووجوه الارتفاقات، إذ الشرع إنما هو إصلاح ما عندهم، لا تكليفهم بما لا يعرضونه أصلاً، ونظيره قوله تعالى:

﴿وَمَا مَرْغَبُكُمْ مِّنْهُ﴾ [يوسف: ١٢]

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ جَاءَتْكُم مِّنْهُم مَّيْمَةٌ لَّأَوَّاهُمْ وَلَا تُؤْثِرُهُمْ يَتَكَبَّرُونَ فِي مَقَاعِدِهِمْ﴾ [صافات: ٤٥]

وقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَنْصَلِحُ النَّاسَ﴾ [يوسف: ١٥]

والبيعة الثانية كانت إلى جميع أهل الأرض عامة بالاتفاق الرابع، وذلك لأنه لمن في زمانه أقواماً وقضى بزوال دولتهم، كالحشم والروم، فأمر بالقيام بالاتفاق الرابع، وجعل شرفه وعكته ترمياً لإتمام الأمر المراد، وأتاه مفااتيح كنوزهم، فحصل له بحسب هذا الكمال أحكام أخرى غير أحكام التوراة كالخراج، والحزبة، والمجاننات، والاحتياط من مداخل التعريف.

ومنها أنه يُبحث في زمان غرة، قد اندرست فيه العلل الحقة والخُروت، وغلب عليهم التعصب والجهل^(١)، فكانوا لا يتركون ملتهم الباطلة ولا عادات الجاهلية إلا بتأكيد بالغ في مخالفة تلك العادات، فصار ذلك معدداً لكثير من الاختلافات.

باب أسباب الفسخ

والأصل فيه قوله تعالى:

﴿مَا تَفْعَلُونَ إِنَّمَا لَكُمْ فِي مِلَّةِ اللَّهِ أَنْ تَنْتَهِوا عَنْ ذُنُوبِكُمْ وَأَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [مائدة: ١٠٤]

اعلم أن النسخ ثمان:

أحدها: أن ينسخ النبي ﷺ في الارتفاقات أو وجوه الطاعات، فيضبطها بوجوه الضبط على قوانين التشريع، وهو اجتهاد النبي ﷺ، ثم لا يقرره الله عليه بل يكشف عليه ما قضى الله في المسألة من الحكم، فلما ينزل القرآن حسب ذلك أو تغيير اجتهاده إلى ذلك وتقريره عليه، مثال الأول: ما أمر النبي ﷺ من الاستيفاء قبل بيت المقدس، ثم نزل القرآن بنسخه، ومثال الثاني: أنه ﷺ نهى عن الانتياز إلا في المصفاة^(٢)، ثم أباح لهم

(١) أي: لا تعالى (المن) في زمان قسبي ﷺ (٢) الإحصار.

(٣) المصفاة بكسر: ظروف طعام من جلد، والانتياز تفادى الفتنة.

الاتحاد في كل آية. وقال: «لا تشربوا مسكرته، وذلك أنه لما رأى أبو الإسكندر أمر جميع نصابه بقتل شافره، وهي الأسياف في الأوعية التي لا مقام لها، كالمأخوذة من الخرف والخشب والدمار، فإنه يسرع الإسكندر فيما يبد فيها، وتفتت الأسياف في الماء، مجتة لعدم الإسكندر إلى ثلاثة أيام، ثم تغير اعتقده بخيطة إلى إدارة الحكم على الإسكندر، لأنه عرفت العبداء، وقذف الزيت، وأمر به ما هم من التزام المذكي أو من صفات الشبهة المسكره بقتل أولي من مص... ما هو أمر أبيي. وعلى تحريج آخر يقول: رأى النبي ﷺ أن نفوس المؤمنين بالمسكر، فلو لمها عنه كان مدخلا أن يشبهه أحد معتبرا^١ لأنه ملن أنه ليس بمسكر وأنه يشبهه عنه علامات الإسكندر، أو كانت أوليهم ملطخة بالمسكر، والإسكندر يسرع إلى ما يشاء في مثل ذلك، «لما قوي الإسلام وهدموا عرك المسكرات وغدت تلك لأمرني، أدار الحكم على من الإسكندر. وعلى هذا التحريج، هذا مثال لاغلاء. الحكم حسب اختلاف الصفات.

وفي هذا تقسيم قوله ﷺ: «كلامي لا ينسخ كلام الله وكلام الله يقبض كلامي، وكلام الله ينسخ بعضه بعضا».

القسم الثاني: أن يكون شيء مقلداً لمصلحة أو مفسداً لمحكم عليه حسب ذات، ثم يأتي زمان لا يكون فيه مقلداً لها فيه تغير الحكم. مثله: لث حاضر النبي ﷺ إلى المدينة وانقطعت النخلة سهم وبين ذوي أرحامهم. وأما كانت... لإحباء النبي ﷺ جعده النبي ﷺ لمصلحة ضرورية وأما... نزل القرآن بإدارة لتواوت ضمن الإحباء، وبين الله تعالى ذلك أنه حيث قال:

﴿إِذَا تَغَيَّرَتْ شَأْنُكَ فَتَكُنْ فِي آخِرِهِمْ زَكَاةً سَعِيدَةً﴾ [البقرة: ٢١٧].

ثم لما قوي الإسلام، ولحق بالمتهاجرين أولو أرحامهم رجع الأمر إلى ما كان من التوارث سابق.

أو لا يكون شيء ممتنحاً في النبوة، التي لم يظم معها الخلافة، كما كان في النبي ﷺ، وكما كان في زمانه قبل الهجرة، ويكون ممتنحاً في النبوة المسمومة بالخلافة. مثله: أن الله تعالى لم يجعل القضاء من قبلة، وأحباها لنا، ويظهر ذلك في سميت وجبين. أحدهما أن الله رأى بعضنا فأحلها لنا، وثانيهما أن ذلك من تفضيل الله علينا ﷺ على سائر الأبياء وأمه على سائر الأمم.

(١) منسوخاً بعد

وتدعى لوجهين: أن الأنبياء قبل النبي ﷺ كانوا يُدْعَوْنَ إلى إقوامهم خاصة، وهم محصورون بين الجهاد معهم في سنة أو سنين ونحو ذلك، وكان أممهم أقوياء يقفون على الجميع بين الجهاد والتسليم بمثل الفلاحة والتجارة، فلم يكن لهم حاجة إلى القتال، فأراد الله تعالى أن لا يسلط مسلحهم عرض دشري، ليكون أتم لأجورهم، وبعث نبياً ﷺ إلى الناس كافة، وهم غير محصورين، ولا كان زمان الجهاد معهم محصوراً، وكانوا لا يستطيعون الجمع بين الجهاد والتسليم بمثل الفلاحة والتجارة، فكان لهم حاجة إلى إباحة القتال، وكانت أمة لعموم دعوته تشتت ناساً ضعفاء في الدنيا، وفيهم ورع: بأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل القادر، لا بمجاهد أولئك إلا تفرغ عاجل، وكانت الرحمة شملتهم في أمر الجهاد شمولاً عظيماً، وكان الغضب مشرباً إلى أعدائهم توجهاً عظمياً، وهو قوله ﷺ: «لأن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقت عربهم وجعلهم»، فأوجب ذلك زواج عصمة أمرهم ودمائهم على الموجد الأنبياء، وأوجب إعطاء قلوبهم بالتصرف في أموالهم، كما أملى إلى الحرم رسول الله ﷺ حين أمر بهل في أنفه برة قصة بغيض الكفار، وكما أمر بقطع الخيل وإمرائها إعطاءً لأهلها، فلذلك نزل القرآن بركة التمس لهذه الأمة.

ثم إن آخر ما لم يحرم لهذه الأمة قتال الكفار في أول الأمر، ولم يكن حينئذ هناك جند ولا خلافة، ثم لما عاجز النبي ﷺ وثاب المسلمون وظهور الخلافة وتمكنوا من مجاهدة أعداء الله أنزل الله تعالى:

﴿لَنْ يَدْرِي تَنْتَحِرُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمًا أَوْ أَنَّهُمْ نُورٌ كَرِيمٌ﴾ (فتح: الآية 39).

وفي هذا القسم قوله تعالى:

﴿مَا تَسْبِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْغَمَ نَارٌ أَوْ يَمْرُؤٌ نَارٌ أَوْ يَمْرُؤٌ نَارٌ﴾ (نور: الآية 18).

فقول: ﴿يَمْرُؤٌ نَارٌ﴾ قيد تكون النبوة مصحومة بالخلافة وقوله: ﴿أَوْ يَمْرُؤٌ نَارٌ﴾ قيد: يختص الحكم باختلاف العظام، والله أعلم.



باب بيان ما كان عليه حال أهل الجاهلية



فصله النبي ﷺ

إن كنت تريد النظر في معاني شريعة رسول الله ﷺ فتحقق أولاً حال الأميين الذين بُعث إليهم النبي في مادة تشريع، وثاني كيفية إصلاحه لها بالانضام المذكورة في باب التشريع والتعمير وأحكام الأمة.

فأعلم أنه ﷺ بُعث بالملّة الحنيفية الإسماعيلية⁽¹⁾ لإقامة عرجها وإزالة تحريفها وإشاعة نورها، وذلك قوله تعالى:

(يَقُلْ أَتُحِبُّونَ) (ص: ١١٠).

ولما كان الأمر على ذلك وجب أن تكون أصول تلك الملّة مُسلّمةً ومُشهاة مقروّة، إذ النبي إذا بُعث إلى قوم فيهم بقيةٌ شُئِرَ واشتدّ فلا معنى لتغييرها وتبدّلها، بل الواجب تقريرها، لأنه أطوع لنفوسهم وأبش، عند الاحتجاج عليهم، وكان بنو إسماعيل توارثوا منهاج أبيهم إسماعيل، فكانوا على تلك الشريعة إلى أن وجد عمرو بن لحي، فأدخل فيها أشياء بوأبه الكاسد، فدخل وأضل، وشرح عبادة الأوثان، وسبّب المساوي، وبخّر الحائر، فهناك بطلّ الدين، واختلط الصحيح بالعاسد، وغلب عليهم جهل والشرك والكفر، فبعث الله سيدنا محمداً ﷺ مقيماً لعرجهم ومصلحاً لعادتهم، فظهر ﷺ في شريعته، وما كان منها موافقاً لمنهاج إسماعيل عليه السلام أو من شعائر الله أيّاه، وما كان منها تحريفاً أو إفساداً أو من شعائر الشرك والكفر أبطله وسجّل على ريعاله، وما كان من باب العادات وغيرها فبيّن أمانها ومكروها عما يخترع به عن غوائل الرسوم، ونهى عن الرسوم العاسدة وأمر بالصالحات، وما كان من مسألة أصلية أو عملية شُركت في الفترة أعادها غضة طرية كما كانت، فثبت بذلك نعمة الله واستقام دينه. وكان أهل الجاهلية في زمان النبي ﷺ يُسلمون جواز بعث الأنبياء، ويقولون بالمعجزات، ويعتقدون أصول أنواع البر، ويتعاملون بالارتعافات⁽²⁾ الثاني والثالث.

ولا يتأني ما قلناه وسود فوفّين بهم وظهورهما وشيوعهما:

أحدهما: الغشاق والريادة. فالغشاق يعملون الأعمال البهيمية أو لبيعية بخلاف الملّة، فغلب نفوسهم وقلة تدبّثهم، فأولئك إنما يخرجون عن حكم الملّة شاهدين على أنفسهم بالفسق، والزيادة يُجبنون على تفهم الأثر، لا يستطيعون التحقيق التام الذي قصد صاحب الملّة، ولا يقدرون، ولا يسلمونه فيما أخبر، فهم في ريبهم يتوحدون، هنّ خوف من ملتهن، والناس ينكرون عليهم ويرونهم خارجين من الدين خالعين وثقة العلة عن أعتاقهم، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا من الإنكار وتفتح أحوال فخورهم لا يضر.

والثانية: الجاهلون الغافلون الذين لم يرفعوا رؤوسهم إلى الدين رأساً، ولم ينتفتوا لغة أهل، وكان هؤلاء أكثر شيء في فريش وما والآهاء، بعد عهدهم من الأنبياء، وهو قوته تبارك وتعالى:

(1) التي شاعت في العرب لاختاراً عن اليهودية.

(2) هكذا بالاسم ولعله الارتعاش.

﴿يُخْتَلِفُ قَوْلًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَبِيرٍ﴾ [المجندة: الآية 3].

غير أنهم لم يبعدوا عن المسحبة⁽¹⁾ كل البعد، بحيث لا تثبت عليهم المسحبة ولا يرجع عليهم الإلزام ولا يتحقق فيهم الإنحاء⁽²⁾.

فمن تلك الأصول⁽³⁾ القول بأنه لا شريك لله تعالى في خلق السموات والأرض وما فيها من الجواهر، ولا شريك له في تدبير الأمور العظام، وأنه لا راد لحكمه ولا مانع لفضاله إذا أيرم وجزم، وهو قوله تعالى:

﴿وَلَيْسَ سَالِتُهُمْ مَنْ سَخَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ أَهْلُ﴾ [الملك: الآية 24].

وقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ قَدْحٌ﴾ [الأنعام: الآية 41].

وقوله تعالى:

﴿عَلَّمَ مِمَّا مَدَّوْنَ إِلَى اللَّهِ﴾ [القصص: الآية 67].

لكن كان من زندقته قولهم: إن هناك أشخاصاً من الملائكة والأرواح تدبر أهل الأرض فيما دون الأمور العظام، من إصلاح حال العباد فيما يرجع إلى حريصة نفسه وأولاده وأمواله، وشؤونهم بحال الملوك بالنسبة إلى ملك السرك، وبحال الشغناء والندماء بالية إلى السلطان المتصرف بالجيوش. ومنشأ ذلك ما تعلقت به الشرائع من تفويض الأمور إلى الملائكة واستجابة دعاء المقربين من الناس، فظنوا ذلك تصرفاً منهم كتصرف الملوك. قياساً للغائب على الشاهد، وهو الفساد.

ومنها تزويجها مما لا يليق بجنابه، وتحريم الإلحاد في أسمائه. لكن كان من زندقته زعمهم أن الله اتخذ الملائكة بنات، وأن الملائكة إنما جُعِلُوا واسطة ليكتسب الحق منهم علماً ليس هذه، قياساً على الملوك بالنسبة إلى الجواسيس.

ومنها أن الله تعالى فتر جميع الحوادث قبل أن يخلقها، وهو قول الحسن البصري: لم يزل أهل الجاهلية يذكرن القدر في خطبهم وأسماعهم، ولم يزدوا شرع إلا تأكيداً.

ومنها أن هناك موطناً يتحقق فيه القضاء بالحوادث شيئاً فشيئاً، وأن هناك لأدعية الملائكة المقربين وأفاضل الآدميين تأثيراً يرجع من الوجوه. لكن صار ذلك في أذهانهم متشابهاً بشفاة دعاء الملوك إليهم.

ومنها أنه كلف المساء بما شاء، ماحل وحرم، وأنه مجازي على الأعمال إن خيراً فخير

(1) أي: فلسفة عنهم.

(2) الاستحالة.

(3) أي: الطريق.

وإن شئاً فشر، وأن الله تعالى ملائكة هـ، مغرور بالحكمة والكابر للملكة، وأنهم مشهورون في العالمين يؤذي الله وبأموره، وأنهم

﴿لَا يَصْبِرُونَ عَلَيْهِمْ لَدُنْكَ وَبَدَّخَوْنَهُمْ وَأَخَذَ بِهِمْ لَبِئْسَ الْقَاسِمِينَ﴾ (التغوى: الآية ٥)

وأنهم لا ياكلون ولا يشربون ولا يتغوطون ولا يتكحون. وأبعد قد يظهر من الآية الأولى الأسماء فيشرهم وينزلونهم، وأن الله قد بعث إلى عباده بصفته بصفته رجلاً منهم فيلقي وجهه إليه. وينزل الملك عليه، وأنه يفرح طاعته عليهم فلا يحسبون منها شيئاً ولا يستطيعون دونهما شيئاً.

بعد ذكر الملوك الأعلى وحصة العرب في انحصار الخافلية. ومن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صدق أمية بن أبي الصلت في بيت من شعره فقال:

رجل وشور تحت رجل بمبته
وقنسر للأحرى وليت مرصد^(١)
فقال النبي ﷺ: صدق، فقال:

والشمس شخاع كثر لذي ليل
حده راة يصبح لونها يثور^(٢)
قاله فما شطنت لذي قبي رثها
إلا معشية وإلا ثجرت^(٣)
فقال النبي ﷺ: صدق.

وتحقيق هذا أن أهل الجاهلية كانوا يزعمون أن حجة العرش أربعة أملاك: أحدهم في صورة الإنسان، وهو شميم بني آدم عند الله، والثاني في صورة الثور، وهو شنيع الهائم، والثالث في صورة النسر، وهو شبيع الطيور، والرابع في صورة الأسد، وهو شمع السباع. فقد ورد الشرع أقرب من ذلك^(٤) إلا أنه ساءهم حديدهم وعرفاء. وذلك بحسب ما يظهر في عالم المثال من سورهم. فهذا كله كان معلوماً عندهم مع ما دخل به من قياس الغائب على الشاهد وخلص المألوف بالأمور العلمية. وإن كنت في ريب مما ذكرنا، فانظر في قص الله تعالى في القرآن العظيم واحتج عليهم ساء عدتهم من بغيه العلم، وكشف ما أدخله به من الشبه والشكوك، لا سيما قوله تعالى لما أنكروا نزول القرآن

﴿قُلْ مَنْ نَزَّلَ الْكِتَابَ الَّذِي سَاءَ بِهِمْ وَقُسِيَتْ أَلْسِنُهُمْ لِمَا أَخَذُوا مِنْهُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (التغوى: الآية ٥)

ولما أنزلوا

(١) حضر الشعر أن هذه أربعة أشبه بقهرون، نبت قهره القهر. وهم يزعمون حجة العرش وشفعاء الانبياء والمسيوات عند الله تعالى. وانصر تحت طائر واليت اسم الأسد.

(٢) وأما أن الشمس تنعم على خد كل أمة بشك أنموذج من ردي ولا تطلع بالوقت والظهور بل مغشاة بالسماط ومعدلة أي مشدودة فهي مشهورة عند قسوة خلقها.

(٣) كما قال كثر: وبعد. عرش ريت فاتهم بوجه شاميه، هكذا أجد في الأهل: وهي الآية ١٢ من سورة الحاق.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ أَصْوَاحًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا بَأْسٍ) [المائدة: ٥٠]

أمرن قوله تعالى.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ أَصْوَاحًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا بَأْسٍ) [المائدة: ٥٠]

ومما يشاهد ذلك: فَنَقَلْنَا مِنْ مَتْلُبَاتِكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ أَصْوَاحًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا بَأْسٍ. المستحب لكن كانوا يبحثون عنهم الحقبة بغير ما عندهم من العلم.

وانظر إلى حطب حكمتهم، كقصة بن ساعدة وريد بن عمرو بن ثعلبة، وإلى اختيار من كان قبل عمرو بن لحي نجد ذلك مُعَصَّلًا، بل هو أُمِّيت من نَصَحَ أحدهم غاية لأمور وجدت أفاضلهم وحكماءهم. كانوا يقولون بالسمعاء والحفظة وغير ذلك، ويشنون ترويح على وجهه، حتى قال زيد بن عمرو بن ثعلبة في شعره:

عبيدك يخطئون وأنت رب بتقريبك المنيا والحقوم^(١)
وقال أيضاً:

أَرَأَيْتُمْ إِذَا تَقَرَّرْتُمُ الْأُمُورَ أَدِينُوا بِمَا تَقَرَّرْتُمُ الْأُمُورَ
نزلت ثلاث وقمرى جليلاً كذلك يفعل الرجل إذا هو و
وقال: رسول الله ﷺ في أمية بن أبي الصلت: «أمن شعره ولم يؤمن عليه».

وذلك مع توارثه من مناهج سبيل ودخل فيهم من أهل الكتاب، وكان من السليم عندهم أن كمال الإنسان أن يتعلم وجه لربه، ويعد أفضى مجهود.

وإن من أبواب العبادة الظاهرة، وما زال الخصال من الحنابلة شئة مضمونة عندهم، وكذلك الختان وسائر خصال المنطوق، وفي التوراة أن الله تعالى جعل الختان مربية على إبراهيم وذريته، وهذا الرضوة يفعلها المجوس واليهود وغيرهم، وكانت تفعله حكماء العرب.

وكانت فيهم الصلاة، وكان أبو ذر رضي الله عنه يصلي قبل أن يقدم على النبي ﷺ ثلاث سنين، وكان من ساعدة الأديني يُصَلِّي، والمنحرف من الصلاة في أمم اليهود والمجوس وبقية العرب أمثال تنظيمية لا سيما المجوس، وأقوال من النعمان والذكر.

(١) هذه زعمون من أبي حنيفة، كان يمر بالعراق مرة فوجد بها جماعة يقولون: لا أن يصلي العرب لأمت بل الذي لحق الأعر بعد بيئتها مسيحية الطعام وهي رميم ومنهم غلب من العرب، وكان من خصالهم وقد حرم الشعر على نفسه، ومن كان يؤمن بالله ويقولون الآخر: حد الله من خلت وبرة بن قناسة وعلم من شهاب السعدي، راجعة ثلاث العرب في الجماعة كرم لتياء حول قنطرة بترابها.

(٢) الحقوم: الأميرة، وتبين الغنى.

وكانت فيهم الزكاة، زكاة المعول عديم منها، فزى الضيق، وابن السبي، وحمل الكل، والصدقة على المساكين، وصلة الأرحام، والإهانة في نوابس الحق، وكانوا يمدحون بها ويعترفون أنها كمال الإنسان وسعادته. قالت خديجة فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتغري الضيف، وتثمل الكل⁽¹⁾، وتعين على نوابس الحق. وقال ابن الدقنة⁽²⁾ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مثل ذلك.

وكان فيهم الصوم من الفجر إلى غروب الشمس، وكانت فريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان الجوار في المسجد وكان عمر نزلوا اعتكاف ليلة في الجاهلية فاستغنى في ذلك رسول الله ﷺ، وكان عاصم بن وائل أوصى أن يُعش عنه كذا وكذا من العبد.

ومناجيله: كن أهل الجاهلية يفتشون بأنواع التحشاش.

وأما حج بيت الله وتعظيم شعائره والأشهر الحرم، فأمره أظهر من أن يخفى، وكان لهم أنواع من الرقى والتعوذات وكانوا أدخلوها في الأشرار، ولم تزل ستهم الذبيح في الحلق والنحر في البية، وما كانوا يخفون ولا يسمجون⁽³⁾، وكانوا على بقية دين إبراهيم عليه السلام في تولد النجوم وترك الخوض في دقائق الطليسمات، غير ما ألجأ إليه البلاهة، وكان النعمة عندهم في تقدم المعرفة الرزقاً ومشاراة الأبياء من قبلهم، ثم دخل فيه الكهانة والاستقسام بالأزلام والظنونة، وكانوا يعرفون أن هذه لم تكن في أصل الملّة، وهو قوله ﷺ حين رأى صودة إبراهيم وسجد على عليهم السلام في أيديهم الأزام: لقد علموا لئهما لم يستقسما قط، وكان بنو إسماعيل على منهاج أبيهم إلى أن وجد فيهم عمرو بن لحي، وذلك قبل بعث النبي ﷺ قرناً من سبعة مئة، وكانت لهم سنن مؤكدة يلاومون على تركها، في مكائهم ومشربهم ولياسهم وروائحهم وأعيادهم ودين موتاهم وتكاحهم وطلاقتهم وعدتهم وإخداهم⁽⁴⁾، وبيعهم ومعاملاتهم، وما زالوا يهرمون للمحارم، كاليات والأمهات والأخوات وغيرها. وكانت لهم مواجر في مظالمهم، كالقصاص والعيات والمسامة وغنويات على الزنا والسرقة، ودخلت فيهم من الأكاسرة والمفاصرة علوم الاربعاء الثلاث والرابع، لكن دفعهم الفسوق والفظالم، بالسبي والنهب وشيوع الوثنا والتكاحات الفاسدة والراء، وكانوا تركوا الصلاة والمذكر وأعرضوا عنها، فبعث النبي ﷺ

(1) لكن يفتح فكيف وتشديد اللام: ليل ومن لا يستقل يصره والمضمر ثوبن ياتنق على القيد والمضغفة. وقوله: نوابس الحق: أي حرامات تكون في حق دين ليل.

(2) واسم سبيعة بن ربيع، والدقنة اسم له. وهو الذي أجاب بكر رضي الله عنه. والجوار الإعتكاف. ويتحششون: يتعجب.

(3) شق البطن بالسكن

(4) إحداء المرأة: امتناعها من الزينة.

فيهم وهذا حالهم، فنظر في جميع ما عند القوم، فما كان بقية الملة الصحيحة إبقاء وسجل على الأحذ به، وصيغ لهم لمعاملات، بشرح الأسباب والأوقات والشروط والأركان والآداب والتفصيدات والرحمة والعدا، والنصاء، وضيعة لهم المعاصي، بيان الأركان والشروط، وشرع فيها حدوداً ومزاجاً وكفارات، وسر لهم الدين، بيان الترغيب والترهيب وسد ذرائع الإثم والبحث على مكمالات الخير، إلى غير ذلك مما سبق ذكره، ومالح في إشاعة الملة الحنينية ونعنيها عن الملل كلها، وما كان من تعريفاتهم لغاه وبالع في تنبيه، وما كان من الاتفاقات الصحيحة سجل عليه وأسر به، وما كان من رسومهم الفاسدة منعه عنه وقبض على أيديهم، وقام بالسلامة تكريه، وجاهد بين معه من دونهم حتى ثم أمر الله وهم كادموه.

وجاء في بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ بِالْمِلَّةِ الصَّامِعَةِ الْحَقِيقَةِ السَّابِقَةِ». يريد بالنسحة: ما ليس فيه مشائ الطاعات كما ابتدعه الربان، بل فيها لكل عذر وخص، يأتي العمل بها لتقري والمضعف والمكسب والطارح، ويريد بالحنينية: ما ذكرنا من أنها ملة إبراهيم صلوات الله عليه، فيها إقامة شعائر الله وذات شعائر الشرك وإبطال التحريف والرسوم الفاسدة، ويريد بالبيضاء: أن عائلها وحكمها والمقاصد التي بيت عليها واضحة لا ريب فيها لمن تأمل وكان سليم العن غير سكاير، والله أعلم.

المبحث السابع: مبحث استنباط الشرائع من حديث النبي ﷺ

باب بيان أقسام علوم النبي ﷺ

اعلم أن ما روي عن النبي ﷺ ودون في كتب الحديث علم، فليس

أحدهما: ما سببه سبل تبليغ الرسالة، وفي قوله تعالى:

﴿وَمَا تَنْكُمُ أَرْسُلُوهُ تَعْلَمُونَ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ﴾ [مفسر: الآية ٢٢].

فه علوم المعاد ومعانيب الملوكوت، وهذا كله مستند إلى الوحي^(١).

ومنه شرائع وضبط لمعاملات والاتفاقات بوجوه انضبط المذكورة فيما سبق. وهذه بعضها مستند إلى الوحي وبعضها مستند إلى الاجتهاد، واجتهاده ﷺ بمنزلة الوحي؛ لأن الله تعالى عصبه من أن يتقرر رأيه على الخطأ، وليس يجب أن يكون اجتهاده استنباطاً من

(١) أم: ليس للاجتهاد فيه بشر.

المنصوص كما يظن، بل أكثره أن يكون غلته الله تعالى مقاصد الشرع وقانون التشريع والتيسير والأحكام، فبين المقاصد الثلاثة بالوحي بذلك القانون.

ومنه ^(١) جُكِّمُ مُرْسَلَةٌ ومُصَالِحَةٌ مَطْلَبَةٌ، لم يوفتها ولم يبقَ حدودها، كإيادٍ، الأخلاق الصالحة وأصداها، وبمسارها غالب الاحتياط، بمعنى أن الله تعالى علمه قوانين لأرغافات فاستطاع منها حكمته وجعل بها حياة.

ومنه فضائل الأعداء ومقابض المآل، وأولى أن بعضها مُسْتَدِيرٌ إلى (أخرى) وبعضها إلى الاحتياط، وقد سبق بيان تلك الغرائب. وهذا القسم هو الذي نقصد شرحه وبيان معانيه.

القسم الثاني، ما ليس من بناء تبايع الأرواح، وفيه قوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُشْرِكُ بِهِ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا لِمَنْتُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»، وقوله ﷺ: «مَنْ تَأَمَّرَ النَّحْلَ، فَإِنَّمَا تَنَفَّسْتَ ضَعْفًا، وَلَا تُؤَاخِذُونِي بِلُغْنٍ، وَلَكِنْ ذَا حِلَّتِكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ، لِنَاتِي لَمْ أَكُفِّ عَلَى اللَّهِ». فنهى الناس.

ومنه بابيه قوله ﷺ: «عَابِدُوا اللَّهَ بِالْإِسْلَامِ» ^(٢)، ومسلته اشتمل به. ومنه ما فعله النبي ﷺ على سبيل التبعة دون العبادة، وبحسب الاتفاق دون التقصد.

ومنه ما ذكره كذا كان يذكره قومه، كحديث لم يرح وحديت حرافة، وهو قول زيد ابن أبي، حيث دخل عليه من فخالو به: حَدَّثَكَ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قال: كنت جاره. فكان إذا تولى عليه الراس يمشي إلي فكنيته ثم: فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الضعفاء ذكرها معنا. فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ ^(٣).

ومنه ما قصد به مصلحة حزبية يومئذ وتيسر من الأمور اللازمة لجميع الأمة، وذلك مثل ما يأمر به الخليفة، من تعبئة الجيوش وتعيين الشعائر ^(٤)، وهو قول عمر رضي الله عنه: «مَا أَنَا وَلِلْعَرَبِ؟ كُنَّا بَشَرًا» ^(٥)، ثم فرمأ قد أهلكتهم الله، ثم عشي أن يكون له سبب آخر، وقد سئل كثير من الأحكام عليه. كقوله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ شَبْهُهُ»، ومنه حكمه وقضاء حاسر، وأما كان يتبع فيه نبيات والأيمان، وهو قوله ﷺ: «لَعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». الشاهد يرى ما لا يواد الخلفاء.

(١) أي مما سببه سبيل تبايع الأرواح.

(٢) لإدخاله من قبل الذي يشترطه، والإقرار، فأي في حبه سبيل، سره من الأمة.

(٣) أي لا يستطيع أن يتكلم هذه الأمور لئلا هذا بمعنى أني هذا يعني الاستعانة بالذكور.

(٤) هو علامة شجرة بين الأفواج ليُعرف بها المتوافق من المختلف.

(٥) أي: تظهر وتُرى المشركين ما يزيل أبناء أديانهم.

❁ باب الفرق بين المصالح والشرائع ❁

اعلم أن الشارع أفاض ما عرّف من العلم، متمايزين بأحكامهما متباينين في عازلهما.

فأبعد التوحيين: علم المصالح والمناسد. أعني ما يتّبع من تهذيب النفس، باكتساب الأخلاق النافعة في الدنيا أو في الآخرة وإزالة أضرارها، ومن تمييز المنزل وآداب المعاش وسياسة المدينة، غير مُقَدَّر لذلك بمقادير معينة ولا ضابط لمهمة محدود مضبوطة ولا مميّز لمشكلة بأمارات معلومة، بل رغب في الجمائد وزهد في الرذائل، تاركاً كلامه إلى ما يفهم منه أهل اللغة، مديراً للطلب أو المنع على أنفس المصالح لا على مظان متصورة لها وأمارات مُعرَّفة إياها، كما مدح الكيس والشجاعة، وأمر بالرفق والتوّدّد والمقصد في المعيشة، ولم يبيّن أن الكيس مثلاً: ما عدّه الذي يدور عليه الطلب؟ وما مَقْلَقُه لشي يؤخذ الناس بها؟ وكلّ مصلحة حتّى الشارع عليها وكلّ مقصد رديّاً⁽¹⁾ عنها فإن ذلك لا يخلو من الرجوع إلى أحد أصول ثلاثة: أحدها تهذيب النفس بالخصال الأربع النافعة في السعادة أو سائر الخصال النافعة في الدنيا، وثانيها إهلاء كلمة الحق وتمكين الشرائع والسعي في إشاعتها، وثالثها انتقام أمر الناس وإصلاح ارتغافاتهم وتهذيب رسومهم. ومعنى رجوعها إليها أن يكون للنسيء دخل في تلك الأمور، إيجاباً لها أو نقياً إياها، بأن يكون شعبة من خصلة منها أو ضللاً لشعبتها، أو مظنة لوجودها أو عدمها، أو متلازماً معها أو مع ضدها، أو طريقاً إليها أو إلى الإعراض عنها.

والرّضى في الأصل إنّما يتعلق بذلك المصالح، والسخط إنّما يتناول تلك المفاسد، قبل بعث الرسل وبعده سواء. ولولا تعلق الرضى والسخط بتلك التبعاتين لم يبعث الرسل، وذلك لأن الشرائع والحدود إنما كانت بعد بعث الرسل، فما كان في التكليف بها والمواظفة عليها ابتداءً لظنهم، ولكن المصالح والمفاسد كانت مؤثرة مقتضية لتهذيب النفس أو تنويعها، أو انتظام أمرهم، أو عبادتها قبل بعث الرسل، فالتنضي لطف الله أن يُخَبِّرُوا بما بهم ويكفُّوا بما لا بد لهم منه، ولم يكن يتم ذلك إلا بمقادير وشرائع، فالتنضي اللطف تلك الفيلة⁽²⁾ بالقرض، وهذا النوع معقول المعنى، فمنه ما تستغل العفول العامة بهمهم ومنه ما لا يفهمه إلا عقول الأذكياء، فالتنضي عليهم الأنوار من قنوب الأنبياء، تبهيم الشرع فنبهوا، ولوّح لهم فخطبوا، ومن أنقذ الأصول التي ذكرناها لم يتوَلَّف في شيء منها.

والنوع الثاني: علم الشوائع والحدود والقرائن. أعني ما يبيّن الشارع من المقادير،

(1) أي: تقدير العفول.

(2) أي: زجور.

فانصب للنصالح مظان وأمارات مضبوطة معنوية وأدوار الشكوك عليها وكلف الناس بها، وضبط أنواع البر بتعيين الأركان والشروط والآداب، وجعل من كل نوع حداً يُطلب منهم لا مخالفة، وحداً يُلبثون إليه من غير إيجاب، واعتار من كل بر عدداً يوجب عليهم وأخر يُكفيون إليه، فصار التكليف متوجهاً إلى أنفس تلك المظان، وصارت الأحكام دائرة على أنفس تلك الأمارات، ومرجع هذا النوع إلى قوانين السيادة الحيئية، وليس كل مظنة لمصلحة توجب عليهم، ولكن يوجب عليهم ما كان منها مضبوطاً، أمراً محسوساً أو وصفاً ظاهراً يُقَلَّمُ الخاصة العامة. وربما يكون للإيجاب والتحريم أسباب طارئة يختب لأجلها في الملا الأعلى فيتحقق هنالك صورة الإيجاب والتحريم، كسؤال سائل رغبة قوم فيه أو إعراضهم عنه، وكل ذلك غير معقون المعنى، سمعنا أنا وإن كنا نعلم قوانين التفسير والتشريع، فلا نعلم وجود كتابته في الملا الأعلى ونحقق صورة المرجح في حظيرة القدس إلا بنص الشرع، فإنه من الأمور التي لا سبيل إلى إدراكها إلا بالإخبار الإلهي، مثل ذلك كمثل التكيف: تعلم أن سبب حدوثه يروده تقرب الماء، ولا تعلم أن ماء القعب في ساعدا هذه صار جفداً أو لا إلا بالمشاهدة أو إخبار من شاهد، فعلى هذا القياس نعلم أنه لا بد من تقدير النصاب في الزكاة، ونعلم أن ماشي درهم وخمسة أوسان قدر صالح للنصاب، لأنه يحصل بهما غرض محدد به. وهما أمران مضبوطان مستعملان عند القوم، ولا نعلم أن الله تعالى كتب علينا هذا النصاب وأدار الرخص والسخطة عليه إلا بنص الشرع، كيف؟ وكمن من سبب له؟ لا سبيل إلى معرفته إلا بالخبر، وهو قوله ﷺ: «اعظم للمسلمين في المسلمين جرماً... الحديث»^(١)، وقوله ﷺ: «خشيت أن يكتب عليكم»

وقد اتفق من يعتد به من العلماء: على أن القياس لا يجري في باب المقادير. وعلى أن حقيقة قياس: تعنية حكم الأصل إلى الفرع لعل مشتركاً، لا جعل مظهر مصلحة عدل، أو جعل شيء مناسب دكناً أو شرطاً،

وعلى أنه لا يصلح القياس لوجود لمصلحة، ولكن لوجود علة مضبوطة أدير عليها الحكم، فلا يقاس بقيم به حرج على المسافر في رخص الصلاة والصوم، لأن دفع العرج مصلحة الترخيص لا هلة العصر والإنعاز، وهذا العلة هي المسفر

فهذه المسائل لم يختلف فيها العلماء إجماعاً، ولكن يحملها أكثرهم عند التفصيل، وذلك لأنه ربما تشبه المصلحة بالعلة والتشريع، وبعض الفقهاء عندما خاضوا في القياس تحيروا فنبجوا ببعض المقادير وأنكروا استنباطها بما يترتب منها، وتسامحوا في بعضها، فتصبروا أشياء مقامها، مثال ذلك: تقديرهم نصاب القطن بخمسة أحمال، ونعبيهم ركوب

[١] وقيل: «... من سبب له شيء» لم يعتد فقهاء أهل السنة.

السببية منقطة لدوران الرأس، وإدارة رخصة العمود في انحرافه عليه. وتقدير الماء بالعشر في العشر

وكلمة أفهم لشرح المصلحة في موضع، فوجدنا تلك المصلحة في موضع آخر عرفنا أن الرضى يتعلق بها بمعنىها لا بخصوص ذلك الموضع، بخلاف المقادير، فإنه الرضى يتعلق هناك بالمقادير أنفسها، تفصيل ذلك: أن من ترك صلاة وقت كان آثماً وإن شغل ذلك الوقت بالذكر وسائر الطاعات، ومن ترك زكاة مفروضة وصرف أكثر من ذلك المال في وجوه الخير كان آثماً، وكذلك إن يئس التحرير والذهب في الخلوة حيث لا يتصور كسر قلوب الفقراء ويحمل الناس على الإكثار من الدنيا ولم يقصد به الترفه كان آثماً، وكذلك إن شرب الخمر بنية التداوي ولم يكن هناك فساد ولا ترك صلاة كان آثماً، لأن الرضى والسخط متعلقان بأنفس هذه الأشياء وإن كان الغرض الأصلي كبحهم عن الفساد وحملهم على المصالح، ولكن الحق علم أن سياسة الأمة لا تمكن في هذا الوقت إلا بإيجاب أنفس هذه الأشياء وتحريمها لفتوحيه الرضى والسخط إلى أنفسها وكتب ذلك في الملل الأعلى بخلاف ما إذا لبس الصوف الرفيع الذي هو أعلى وأعلى من الحرير، واستعمل أواني الباقوت فإنه لا يأنم بنفس هذا الفعل، ولكن إن نجح كسر قلوب الفقراء وحمل الناس على فعل ذلك أو قصد الترفه بغد من الرحمة لأجل تلك المقاسد، والأخلا، وحيث وجدت الصعابة والتأجيل فعلا ما يشبه لتقدير، عثما مرادهم بأن المصلحة والترقب فيها، والمفسدة والترهب عنها، وإنما أخرجوا تلك الصورة مخرج المثل^(١) لا يقصدون إليها بالخصوص، وإنما يقصدون إلى المعاني وإن أشبه الأمر بأيدي الوأي، وحيث عوذ الشرع استبدال مقام بيمينه، كتبت الخاصي بقبتها على قول، فعلى التسليم هو أيضاً نوع من التقدير، وذلك لأن التقدير لا يمكن الاستقصاء فيه بحيث يقضي إلى التضييق، ولكن ربما يفتقر الأمر بتطبيق على أمور كثيرة كتبت المتأخر نفسها، فإنها ربما كانت بثت مخاض أرقه من بثت مخاض، وربما كان التقدير بالقيمة تقديراً بعد معلوم في الجملة، كتقدير نصاب القطع بما يكون قيمته وبع دينار أو ثلاثة دراهم.

واعلم أن الإيجاب والتحريم نوعان من التقدير، وذلك لأنه كثيراً ما يؤمر^(٢) مصلحة أو مفسدة لها صور كثيرة، فتعين صورة للإيجاب أو التحريم، لأنها من الأمور المضبوطة أو لأنها مما عرفوا حالها في الملل السابقة أو رغبوا فيها أكثر رغبة، ولذلك اعتذر النبي ﷺ وقال: «خشيت أن يكتب عليكم»، وقال ﷺ: «ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسوء». وإذا كان الأمر على ذلك لم يجوز حمل غير المنصوص حكمه على المنصوص

(١) تقدير أربع بوز حد السفر. (٢) لها: تفرد.

حكمه، أما الحديث والكرامة فمفهوم تفصيل: الذي مرسوم أو الشارع بعينه ونحو أمره، ومنه تنفاس قوله حال الواجب، رأي منسوبة، اقتصر الشارع على بيان مصدقته، أو اختار العمل هو من غير أن يشترط بقاءه، فهو باق على الحالة التي كانت قبل انقراضه، وإنه نصاب الأمر به من قبل المصلحة التي وجدت معه لا بأعيان نفسه، وكذلك حال التكميل، علم هذا التفصيل.

وإذا تحققت هذه الخدمة تنضح عندك أن أكثر لمطالعني التي يقتصر بها الغرض ويتناولون لأجله على معشر أهل الحديث بعده، وبالأغلب من حيث لا يعلمون.

❁ باب كيفية تلقّي الأئمة الشرع من النبي ﷺ ❁

واعلم أن تلقّي الأئمة من الشرع على وجهين:

أحدهما: تلقي الظاهر، ولا بد أن يكون، بقلي، إما سماعاً أو غير سماع.

ومعنا من هذه المنواتر لفظاً، كالشراء، لعظيم، وكيفية يسر من الأحداث، منها قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم»، ومنه المنواتر معترضة، ككثير من أحكام الشهادة والصلاة والزكاة والعموم والحج والبيع والشكاح والمنزوات، مما تم إبطاله، فيه فرقة من فرق الإسلام.

وغير المنواتر أصح درجان المستفيض، وهو: ما رواه ثلاثة من الصحابة فصاعداً، ثم لم يزل يزداد الرواة إلى الطبقة الخامسة، وهذا قسم كثير لوجود رغبته شاء رؤوس الخلق ثم الغرض الخفض له بالصحة أو الحسن على السنة حفلة المحدثين وكبريائهم ثم أخذوا فيها كلام فقه بعض ولم يقبلها آخرون، فما اعتصم منها بالشواهد أو قول أكثر أهل العلم أو العقل، صريح وجب اتباعه.

وثانيهما: التلقي دالة، وهي أن يرى الصحابة رسول الله ﷺ يقول وينقل، واستظروا من ذات حكمك، من أنه جوب وغيره، فأجروا بذلك الحكم فقالوا: الشيء لفلان واجب، وذلك لأمر جرائر ثم تلقى التابعون من الصحابة كذلك، فمدّوا الطبقة الثالثة فذاوهم

(١) أي أخذ

(٢) قوله: «كذلك شروا هذا القدر لا تصالحوا في دينه» يدل على استعانتهم في لا تقليد على صلاة قبل خلوعه من رسول عربياً فقاموا ثم قرا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ شُرُوعِ النَّسْأِ﴾ (١) (٢) وهذا الحديث قاله حريز بن عبد الله كما جالساً عند رسول الله ﷺ فسطر إلى القدر ليله الجبر فقال: «أشكر»

الح

وقضايهم وأحكموا الأمر. وأكابر هذا الوجه⁽¹⁾: عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، لكن كان من سيرة عمر رضي الله عنه أنه كان يشاور الصحابة ويأخذهم حتى تنكشف الغمة⁽²⁾، ويأتيه النُّجج، فصار غالب قضايه وقاره، مُتَّبِعَةً في مشارق الأرض ومغاربها، وهو قول إبراهيم: لَمَّا مات عمر رضي الله عنه ذهب ثلثة أئمة العلم، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: كان عمر إذا سلك طريقاً وجدها سهلاً وكان علي رضي الله عنه لا يشاور غالباً، وكان أغلب قضايه بالكوفة، ولم يحملها عنه إلا ناس⁽³⁾، وكان ابن مسعود رضي الله بالكوفة، فلم يحمل عنه غالباً إلا أهل تلك الناحية، وكان ابن عباس رضي الله عنها اجتهد بها هجر الأولين، فنافسهم في كثير من الأحكام، وأثبته في ذلك أصحابه من أهل مكة، ولم يأخذ بها تفرده جمهور أهل الإسلام.

وأما غير هؤلاء الأربعة فكانوا يروون دلالة، ولكن ما كانوا يميزون الركن والشرط من الآداب والسنن، ولم يكن لهم قول عند تعارض الأخبار وتقابل الدلائل إلا قليلاً، كابن عمر وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم.

وأكابر هذا الوجه من التابعين بالمدنية الفقهاء السبعة، لا سيما ابن السيب بالمدينة، وسكة عطاء بن أبي رباح، وبالكوفة إبراهيم وشريح والشعبي، وبالبصرة الحسن.

وفي كل من الطريقتين خلل إنما ينجم بالأخرى، ولا غنى لإحداهما عن صاحبتها: أما الأولى لغير غلبتها ما يدخل في الرواية بالتمني من التبديل، ولا يؤمن من تغيير المعنى، ومنه ما كان الأمر في واقعة خاصة فقطع الراوي حكماً كلياً، ومنه ما أخرج فيه الكلام مخرج التأكيد ليعضوا عليه بالتواجد فظك الراوي وجوباً أو حرمة، وليس الأمر على ذلك، فمس كان قتيها وحضر المرافعة استبسط من القرائن حقيقة الحال، كقول زيد رضي الله عنه في النهي عن المزادة وعن بيع الثمار قبل أن يَبْكُرَ صلاحها: إن ذلك كان كالعشيرة.

وأما الثانية فيدخل فيها قياسات الصحابة والتابعين واستنباطهم من الكتاب والسنة، وليس الاجتهاد مصيباً في جميع الأحوال، وربما كان لم يبلغ أحد منهم الحديث أو بلغه بوجه لا يتنقض بشئله المستجبة، فلم يعمل به، ثم ظهر جليلة الحال على ثمان صحابي آخر بعد ذلك، كلون عمر وابن مسعود رضي الله عنهما في التيمم من الجنابة، وكثيراً ما كان اتفق رؤوس الصحابة رضي الله عنهم على شيء من يزيل دلالة الغفل على اتفاق، وهو قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي». وليس من أصول الشرع، نعم كان متبحراً في الأخبار وألفاظ الحديث ينسُر له النقصي عن مَرَأَى الأقدام. ولَمَّا كان الأمر

(1) أي: أثبت دلالة.

(2) أي: لعل، وفتح هـ ليفين.

(3) أي: قليل.

كذلك وجب على المخاض في القفه أن يكون متصلاً من كلا العشريين ومتيحاً في كلا المذهبين، وكان أحسن شعائر الملة ما أجمع عليه جمهور الرواة وحيلة العلم، وتطابق فيه الطريقتان جميعاً، والله أعلم.

❦ باب طبقات كتب الحديث ❦

اعلم أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الشرائع والأحكام إلا بخبر النبي ﷺ، بخلاف الصالح، فإنها قد تدرك بالتجربة والنظر الصادق والعدل ونحو ذلك، ولا سبيل لنا إلى معرفة أخباره ﷺ إلا بخلق الروايات المنتهية إليه بالانصال والعتقة، سواء كانت من لعنه ﷺ أو كانت أحداث موقوفة قد صحت الرواية بها عن جماعة من الصحابة والتابعين بحيث يبعد إقدامهم على الجزم بعله لولا النص أو الإشارة من الشارع. فمثل ذلك رواية عنه ﷺ دلالة وتلقي تلك الروايات لا سبيل إليه في يومنا هذا إلا تتبّع الكتب المدونة في علم الحديث، فإنه لا يوجد اليوم رواية يُعتمدُ عليها غير مدونة. وكتب الحديث على طبقات مختلفة ومتأثر متباينة، فوجب الاعناء بمعرفة طبقات كتب الحديث.

فتقول: هي باعتبار الصلوة والشهرة على أربع طبقات، وذلك لأن أعلى أقسام الحديث كما عرفت فيما سبق: ما ثبت بالتواتر واجمعت الأمة على قبوله والعمل به، ثم ما استفاض من طرق متعددة لا يبقى معها شبهة يعتد بها، وانفق على السبل به جمهور فقهاء الأمصار، أو لم يختلف فيه علماء الحرمين خاصة، فإن الحرمين محل الخلاء الراشدين في القرون الأولى ومحط رجال العلماء طبقة بعد طبقة. يُعتمدُ أن يُتسلموا منهم الخطأ الظاهر،

أو كان قولاً مشهوراً معمولاً به في نظر عظيم، مروياً عن جماعة عظيمة من الصحابة والتابعين،

ثم ما صح أو حُسن سننه. وشهد به علماء الحديث، ولم يكن قولاً متروكاً لم يذهب إليه أحد من الأمة.

أما ما كان ضعيفاً موضوعاً أو منقطعاً أو مقلوباً في مسنده أو سننه أو من روايته المجاهيل أو مخالفاً لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة، فلا سبيل إلى القول به، فالصلحة أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه إبراء ما صح أو حُسن، غير مقلوب، ولا شاذ، ولا ضعيف إلا مع بيان حاله، فإن إبراء الضعيف مع بيان حاله لا يقدح في الكتاب.

والشهرة أن تكون الأحاديث المذكورة فيها دائرة على السنة المبسطين قبل تدوينها وبعد تدوينها، فيكون أئمة الحديث قبل المؤلف ورواها بطرق شتى وأوردوها في مسانيدهم

ومجاميعهم، وبعد المؤلف استعملوا برواية الكتاب وحفظه وكشف مشكبه، وشرح عربي،
وبين إمراده، وأخرج طرق أحاديثه واستنبط فقهها والنحس عن أخوان رواها طيفه بعد
طيفه إلى يومنا هذا حتى لا يبقى شيء مما يتعلق به غير مبحوث عنه، إلا ما شاء الله،
ويكون شأن الحديث قبل المصنف وبعد واقعه في القول بها وحكموا بصحتها ورفضوا
رأي المصنف فيها وتلقوا كتابه بالمدح والثناء، ويكون أئمة الفقه لا يزالون يستنبطون عنها
ويستدلون عليها ويبحثون بها، ويكون العامة لا يعلمون عن اعتقادها وتعطيلها.

وبالجملة: إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في كتاب كان من الطبقة الأولى. ثم وثم،
وإن فخذنا رأساً لم يكن له اعتبار، وما كان على حد في طريقة الأولى فإنه يصل حد
النوتر. وما دون ذلك يصل إلى الاستفاضة، ثم إلى النسخة الطعنية، أي القطع التامخوذ
في عدم الحديث المفيد للعمل، والطبقة الثانية إلى الاستفاضة أو النسخة الطعنية أو
الطبعة... وهكذا ينزل الأمر.

فالطبعة الأولى محصورة بالاستمرار في ثلاثة كتب: الموطأ، وصحيح البخاري،
وصحيح مسلم. قال الشافعي: أصبح أكتب بعد كتاب ربه موطأ مالك^(١)، واتفق أهل
التحديث على أن جميع ما فيه صحيح على رأي مالك وممن وافقه، وأما على رأي غيره
فليس فيه مرسى ولا منقطع إلا قد انفصل عنه من طرق أخرى، فلا حرجم أنها صحيحة
من هذا الوجه. وقد صنف في زمان مائت مرفقات كثيرة في تخرج أحاديثه ووضعي
مقطعه، مثل كتاب ابن أبي ديب وابن عثمة والثوري ومختر وغيرهم من شارك مالكاً في
الشيخ، وقد رآه عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل، وقد ضرب الناس فيه أكباد
الإبل إلى ذلك من قاضي البلاد كما كان أنس يبيع ذكره في حديثه، منهم الشوكرون من
العتقاد، كالشافعي وحشد من الحسن وابن وهب وابن القاسم، ومنهم تحارير المعدنين،
كجحي بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق، ومنهم العلوت والأمراء،
كالرشيد وإبويه. وقد اشتهر في عصره حتى بلغ عن جميع ديار الإسلام، ثم لم يأت زمان
إلا وهو أكثر له شهرة وأقرب به عناية، وعليه بنى فقهاء الأصناف مذاهبيهم، حتى أهل
المرافق في بعض أمرهم. ولم يزل العلماء يخرجون أحاديثه ويذكرون متابعيه وشواهد
وسرحدون غريبه ويضبطون مشكبه ويبحثون عن فقهه ويخبرون عن رجائه، إلى غاية ليس
بعد ما عايناه. وإني شئت الحق الصراح فينبى كتب الموطأ بكتابات الآثار لمحمد والأماشي
لأبي يوسف نجد به وبينهما بُعد الأعترقين: فهل سمعت أحداً من المعدنين والفتهاء
تعرض لهما واعتنى بهما؟

(١) فلذلك قال جميع صحيح الإمام البخاري، وألا فإن مذهب البخاري أصبح ثقب الحديث من غير استثناء.

أما الخصمان فقد اختلف المحققون على أن صحيح ما فيها من الاستنباط المرفوع صحيح بالفتح، ونهما متواتران إلى مصنفيهما، وأنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع مخرج عبر سبيل المؤمنين، وإن ثبت الحق، لفرار قبيلتهما بكتاب ابن أبي شيبة وكتاب الصعدي ومسد الخوازمي ومخرهما نجاحاً بينهما بينهما، بشرطين. وقد استلزم الحاكم عليهما أحاديث هي على شرطهما ولم يذكرها، وقد ثبتت ما استدركه فوجده في أصاب من وجه ولم يصب من وجه، وذلك لأنه وجد أحاديث مروية عن رجال الشيخين بشرطهما في الصحة والاتقان فالحق استدراك عليهما من هذا الوجه، ولكن الشيخين لا يمكن إلا حديثاً قد شاطر فيه مشايخهما وأجمعوا على القول به ولما صحح له كما أشار مسلم حيث قال: لم أذكرهما إلا ما أجمعوا عليه. وأحل ما انفرد به المستدرک كالنموذج^(١) عليه لمخفي مكانه في زمن مشايخهما وإن اشتهر أمره من بعد، أو ما اختلف المحققون في رجاله. فالشيخان تأساندهما كانا يعتنان بالبحث عن خصوص الأحاديث في التوصل والانتفاع وغير ذلك حتى يفتح الحال، الحاكم يعتمد في أكثر على قواعد مخرجة من صانعهما، كقوله: زيادة المثلثات مقبولة. وإذا اختلفت أسس في التوصل والأوصال والوفاء، وانزع وغير ذلك، فالخفي حفظ الردة حجة على من لم يحفظ، ولحق أنه كثيراً ما يدخل الخلل في الدعاية من قبل الموقوف ورحل المنقطع، لا سيما عند رغبته في المتصل المرفوع وتوبيههم به، فالشيخان لا يقولان بكثير مما يقوله الحاكم، وأنه أعلم

وهذه الكتب الثلاثة التي اعتمدنا عليها في (الشافعي) بعيدة مثلكم. رزق تصحيحها^(٢).

الطبعة الثانية: كتب أم زياد مخرج النووي والمصنفين ونكتها زادوها، كان مفسرهما مبرزين بالوثوق والعدالة والحفظ والتحرر في فنون الحديث، ولم يرهبوا في شبهة هذه بالتسامح فيما اشترطوا من أنفسهم، فدعاها من بعدهم بالثبوت، واعتنى بها المحققون والفتهاء طبقة بعد طبقة، واشتهرت فيما بين الناس، وتعلق بها أقوم شراً لعربها وفحصاً عن رجائها واستنباطاً عفيها. وعلى نكت الأحاديث بناء عامة العلوم، كسني أبي داود وجامع الترمذي ومجتمعي النصابي. وهذا نكت مع الطبقة الأولى اعتمدنا بأحاديثها وزين في التحريد (المصباح) وابن الأثير في (جامع الأصول) وكاد (مسند أحمد) يكون من صنعة هذه الطبقة، فإن الإمام أحمد جمع أصلاً يعرف به الصحيح والسليم. قال: ما ليس فيه إلا غلو.

(١) طبعه ككتابه رده القدي وفيه ما وكذا، من شد وأشد فهو وثق وأركى عليها شد، إنها ولعله من المولى عليه منور له ل
(٢) ويسمى هذا الكتاب الشافعي وطبع في المغرب

والطبقة الثالثة: مائيد وجوامع ومصنفات سُئِلَتْ فِيهَا البخاري ومسلم وفيهما
وربما عداء جُمِعَتْ بَيْنَ المصنفين والحسين والغزير والعمروفي والعريبي والنادي وتمنكر
والخنف والسواب والثالث والمغروب، ولم تشتهر في العلم ذلك الاشتهار وإن زال عنها
اسم التذكار، السطيفة، ولم يتداول ما تفرقت به لعقبات كثير من ادول، ولم يُفحص من
محدثي وصنف المحدثون كثير، فمضى، ومنه ما لم يخلفه لغوي تشرح لغريب، ولا فنية
بتطبيق بمذاهب المسافر، ولا معلّك بيان مشكك، ولا مؤرخ يذكر أسماء رجاله.

ولا أريد المتأخرين اهتمت في، وإنما كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث.
فهو بابي على استشارها واختصاصها وخمولها، كذا (مسند أبي يعلى)، ومصنف عبد
الرزاق، (مصنف أبي بكر بن أبي شيبة)، (مسند عبد بن حميد والطبراني)، ركن البيهقي
والطحاوي والعريبي. وكان قصدهم جمع ما وجدوه لا تلخيصه وتهذيبه وتثريته من العمل.

والطبقة الرابعة: كتب، فقد أُصُوها بعد فزون مطابقة جمع ما لم يوجد في الثنتين
الأولين، وكانت في المصنفين والمسند المخطئة، فزعموا بأمرها، وكانت على كسنة من
ثم يكتب حديثه المحدثون، فكثير من الرغاط المشدود^(١) وأهل الأهواء والضعفاء، أو
كانت من أثر الصحابة والتابعين، أو من أخبار بني إسرائيل، أو من كلام الحكماء
والوعاظ، جعلها الرواة بحديث الذي ~~هو~~ سهواً أو عمدًا، أو كانت من محتلات الفرقان
والحديث الصحيح فرواه بالمعنى قوم صالحون لا يفرقون عوامض الرواية، فجعلوا
المعنى أحاديث مرفوعة، أو كانت معاني مفهومة من إشارات الكتاب واللفظ جعلوها
أحاديث مسندة^(٢) برأيهم عمداء أو كانت جعلاً لشيء في أحاديث مختلفة جعلوها حديثاً
واحداً بنسق واحد. ومطنة هذه الأحاديث كتاب الضعفاء لابن حبان وكامل أبي حنيفة
وتسب الخطيب، وأبي يعين، والحواراني، وابن عكرمة، وابن النجار، ولديلي، وكاد
مسند البخاري، يكون من هذه الطبقة. وأصبح هذه طبقة ما كان ضعيفاً محتملاً،
وأصولها ما كان موضوعاً أو مقلوباً شديد التكرار. وهذه الطبقة مادة كتاب الموضوعات
لابن الجوزي.

ههنا طبقة خامسة بها ما اشتهر على ألسنة الفقهاء والصوفية والمؤرخين ونحوهم
وليس له أصل في هذه الطبقات الأربع، ومنها ما دُشَّه لما سن في دينه لعالم بلسانه، فأنس
بإساءة قوي لا يمكن الجرح فيه وكلامه لا يبلغ لا يبعد صدوره عنه ~~هو~~، فأنز في الإسلام
معية عناية. لكن الجاهلية من أهل الحديث يوردون مثل ذلك على المناجيات والشواهد،
فهذه الأسماء ويظهر العوار.

(٢) أي مستندة

(١) أي المبالغين في الكلام

أو: ناطقة الأولى والثانية فعليه، اعتماد المتحدثين، وحواء، حمدهما مرتفعهم
ومرحومهم.

وإن الشك فلا ياترهما لحمل عليها ولقولها إلا لتجاري الجهادة الذين يحتفلون
أدواء، لرجال وعلى الأحاديث، نعم، ربما يؤخذ من المذاهب والشرايع،
(قَدْ جُمِلَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَذَكَرَ) (علاق: الآية ٥).

وأما الرابعة فالاشتغال بجمعها أو الاستنباط منها شيء تعمق من المتأخرين، بل
شئت الحر، فطوائف الجند من المرافعة والمعتزلة وغيرهم يتمكنون، بل عاية أن
ينحصوا منها شواهد مداعبتهم، فالانتصار بها غير صحيح في سائر العلماء بالحديث،
والله أعلم.

❁ باب كيفية فهم المراد من الكلام ❁

علم أن تمييز المتكلم عما في ضميره وهم السامع يراه يكون على درجت مرتبة في
الوصح والخفاء:

أعلاها ما صرح فيه بثبوت الحكم للمعرض له عينة، وسبق الكلام لأجل تلك
الإفادة، وتم يحتمل معنى آخر.

وتلوها ما عدم فيه أحد القيود الثلاثة:

إما أثبت الحكم لغيره عام يتناول جميعاً من المنسبات نحولاً أو بدلاً، مثل:
الذم، والمسلمون، والقوم، والرجال، وأسماء الإشارة إذا غمّت مطلقاً، والموصوف
بوصف عام، والسلفي بلا الجنس^(١)، فإن العام يلحقه انتحاص كثير.

وإما لم يسبق الكلام خلف الإفادة إن لزمت سدا هنالك، مثل: جاءني زيد الفاضل -
بالنسبة إلى نقص - وإيا زيد النضر - بالنسبة إلى ثبوت لقفر له -

وإما احتفل معنى آخر أيضاً، كاللفظ المشترك والذي له حقيقة مستعجلة ومجاز
متعارف، والذي يكون معروفاً بالثال والقصة غير معروف بالحد الجاسع المتاع، كالمنفرد
معلوم أن من أمته، الخروج من المدينة قاصداً لمكة. ومعوم أن من الحركة: - نَزَحَ،
ومها: - تَزَدَّ في الحاجة بحيث يؤدي إلى القفرة في يومه، ومنها: - سَفَر، ولا يُعرف
الحد الدافئ بين شخصين، كاسم الإشارة والمصير، عند تعارض القراني أو سلف الفصل
عليهما.

(١) أي (لا) أي لغوي الحمير

ثم يلووه ما أتتهه للكلام من غير توسط استعمال اللفظ فيه . ومجمله ثلاثة .

المقصود . وهو يفهم أن الكلام حال المحكوت عنه بواسطة المعنى الحامل على الحكم . مثل .

﴿قُلْ قَدْ شَأْنِي﴾ [الاسراء: ١١٠] . يفهم منه حرمة التصريح بالمعنى الأولى . ومثل
«من كان في ذمهم ومضاي وجب عليه القضاء» يفهم منه أن الزيادة تقضي الصوم . ونحوه . فخص
الأولى لأنه موصورة تجدد إلى المدعى .

والانقضاء . وهو أن يفسحها بواسطة لزومه للمستعمل فيه عادة أو عقلاً أو شرعاً .
مثل «اعتدت» واعتده . يقضيان مثلاً . ومثلاً «يقضي» «بالأجر» «مضراً»
يقضي أن على الظهارة .

والإجماع . وهو أن أده المتصور يكون بعبارة الاعتبارات المناسبة . فيفسد
البناء مطابقة . فصار للاعتبار المناسب الزائد على أصل المتصور . يفهم الكلام الاعتبار
الخاص به . كالتفريق بالوصف . أو الشرط . يدل أن على هذه الحكم . على عدمها . حيث أم
بفقد مشاركة الزوايا ولا بيان الصورة المتبادرة إلى الأدهان ولا بيان فائدة الحكم .
وكيفهم الاستثناء والعناية والتميز . وشروط اعتبار الإجماع أن يجري التناقض به في عرف
أهل الشأن . مثل (خُلِّي عشرة ولا شيء) (لما عُلِّي واحد) : إجماع عليه الجاهل بهور
بالتناقض . وأما ما لا يدركه إلا المتحققون في علم الصافي فلا عورة به .

ثم يتلو ما استدل به مفسرون الكلام . ومجمله ثلاثة :

الفرج في العموم . مثل . النيب در باب وكل ذي ناب حرم . وبيانه بالانترائي . وهو
قوله ﴿وَمَا أُتِيلَ عَلَى فَيَ لَخْمُ شَرِّهِ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَلَاةُ الْجَامِعَةُ﴾

﴿تَرَى بِحَسْرَةٍ بَشَرًا مَرَّتَ خَيْرًا مِّنْهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَمْشِكْ بِشَفَتَيْ دَوْرَ شَرِّهِ بَرَّ﴾ ﴿٢٥﴾
[الزَّيْنَةُ : ١٢٥] .

ومنه استدلال ابن عباس بقوله تعالى :

﴿يُؤَذِّنُهُمْ أَفْئِدَةً﴾ [الانعام : ١٠٥] : وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ وَتَقْتَضِرُ رَفْعُ
رَحْمَتِي وَأَكْبَرُ﴾ [الحج : ٢٤] .

حيث قال : نبيكم أمر بأن يقتدي به

والاستدلال بالعملازمة أو العناية : مثل لو كان النور واجباً لم يؤد على الراحلة لك
يؤدي كذلك .

وبيانه بالشرطي : ومنه قوله تعالى :

﴿أَزْ كَانَ يَوْمًا ذِيَنَّةً إِلَىَّ فَكَانَتْ﴾ (الأنبياء: ٨٨)

والقباس: وهو تمثيل صورة بصورة في سنة جامعة بينهما، مثل: الحمض دهي كالمنطة، ومنه قوله ﷺ: «أرايت لو كان علي إبيك نين لفضيته عنه لكان يجزي منه» قال: نعم، قال: «فاحج عنه، والله أعلم».

❁ بَابُ كَيْفِيَّةِ فَهْمِ الْمَعْنَى الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ❁

واعلم أن الصيغة الدالة على الرضى والسخط هي الحب والبغض، والرحمة والنفرة، والمقرب والبعيد، ونسبة الفعل إلى المَرْضِيين أو المَسْخُوطِينَ، كالمؤمنين والمنافقين، والملائكة والسيّاحين، وأهل الجنة والنار، والطلب والمنع، وبيان الحرام المشرّب على الفعل، والتشبيه بمحمود في العرف أو مذموم، واعتناء النبي ﷺ بفعله أو اجتنابه عنه مع حضور دواعيه.

وأما التمييز بين درجات الرضى والسخط من الوجوب والندب والحرم والكراهية: فأمرح ما يُشَيَّرُ حال مخالفة، مثل قوله ﷺ: «من لم يؤدّ زكاة مالك خُذْ له... الحديث»^(١)، وقوله ﷺ: «ومن لا فلا حرج».

ثم اللفظ، مثل: «يجب» ولا يحل، وجعل الشيء ركن الإسلام أو الكفر، واشتدّد البالغ على فعله أو تركه، ومثل: «ليس من المروءة ولا ينبغي».

ثم حكم الصحابة والتابعين في ذلك، كفول عمر رضي الله عنه: إن سجدة التلاوة ليست بواجبة، وقول علي رضي الله عنه: إن الزور ليس بواجب.

ثم حال العفص، من كونه تكميلاً لطاعة أو مدّاً للذريعة يتم، أو من باب الوفاء وحسن الأدب.

وأما معرفة العنة والركن والشرط:

فأمرحها ما يكون بالنصر، مثل: «كل مسكر حرام» و: «لا صلاة لمن لم يقرأ بام الكتاب» و: «لا تقبل صلاة أحدكم حتى يتوضأ».

ثم بالإشارة والإيماء، مثل قول الرجل: واقمت أهلي في رمضان، قال: «أعني رقية»، ونسبة الصلاة قياماً وركوعاً وسجوداً يفهم أنها أركانها، وقوله ﷺ: «عنها فإني استأثمتها طاهرين» يفهم اشتراط الصهاة عند لبس الخفين،

(١) تامة. «الله يوم القيلة شجاعة فروع له زيبينان يطولها يوم القيلة» الخ.

ثم إن يكثر الحكم بوجود الشيء عند وجوده، أو عدمه عند عدمه، حتى يقرر في الذهن بعلية الشيء أو ركنيته أو شرطيته، بمنزلة ما يُدَبُّ في ذهن الفارسي من معرفة موضوعات اللغة العربية عند مقارنة العرب واستعمالهم لها في المواضع المفروقة بالقوانين من حيث لا يدري، وإنما ميزته نفس تلك المعرفة، فإذا رأينا الشارع كلما صلى رُكع وسجد ودفع عنه الرجز^(١)، وتكرر ذلك جزماً بالمقصود، وإن شئت الحق، فهذا هو المعتمد في معرفة الأوصاف لنفسه مطلقاً، فإذا رأينا الناس يجمعون الخشب ويصمون به شيئاً يجلس عليه ويسمونه السرير، نزعاً من ذلك أوصافه النفسية.

ثم تخريج لمناط اعتماداً على وجدان مناسبة أو على السر والحدف

وأما معرفة المقاصد التي بني عليها الأحكام فعملٌ دقيق لا يحضر فيه إلا من لُفَّت ذهنه واستقام فهمه. وكان فقهاء الصحابة تَلَفَّت أصول الطاعات والآثام من المشهورات التي أجمع عليها الآمم الموجودة يومئذ، كمشركي العرب واليهود والنصارى، فلم تكن لهم حاجة إلى معرفة ليعانها ولا البحث عمداً يتعلق بذلك.

أما فواتين التشريع والتيسير وأحكام الدين فتَلَفُّوها من مشاهدة مواقع الأمر والنهي، كما أن جلساء الطبيب يعرفون مقاصد الأدوية التي يأمر بها يطول المخالطة والممارسة، وكانوا في الدرجة العليا من معرفتها، ومنه قول عمر رضي الله عنه لمن أراد أن يصلح الثاقل بالفرصة: بهذا عليك من قبلكم. فقال النبي ﷺ: «أصاب الله بك يا ابن الخطاب»، وقول ابن عباس رضي الله عنهما في بيان سبب الأمر بنزل يوم الجمعة، وقول عمر رضي الله عنه: وافق، وبني في ثلاث، وأقول زيد رضي الله عنه في البيوع المنهي عنها. إنه كان يصيب الثمار ثم يرضى فثاماً فثاماً... إلخ^(٢)، وقول عائشة رضي الله عنها: لو أدرك النبي ﷺ ما أحبك النساء لسمهن من المساجد كما سُمِّت نساء بني إسرائيل.

وأصرح طرقها ما بيّر في نص الكتاب والسنة، مثل:

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاتٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) [مائدة: ١٧٨]

وقوله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنْفُسَكُمْ كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ لَتَسْعَیَنَّ مَنَّا عَلَيْكُمْ وَكُنَّا عَلَيْكُمْ)

[سورة: الآية ١٥٧]

وقوله تعالى: (أَفَلَا حَسِبْتَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ رُسُلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَكُنَّا عَلَيْكُمْ)

(١) الجوز. بكسر الجيم، الفجر وهداية الأوتار والمذاب والشره.

(٢) المراضى بالضم، يدق في الشدة فضله والقشام: كعرب أن ينقلق كدخل قول استواء يسره، والدملى بالضم: قعد الشمر وعفته قيل إركه.

يقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُوكُمْ نَكْرًا فَنُكْرِتُ بِهِ أَكْرَمًا وَفَنُكْرِمُكَ سَكْرًا﴾ [الأنفال: الآية 33].

ويقوله تعالى: ﴿لَهُ نَقَبَاتُ الْمَغَارِبِ مَدْخُلُهَا وَمَخْرُجُهَا وَالْأَنْهَارُ﴾ [مفرد: الآية 34].

وهوله ينفذ - لا يدري أين بنت يده - . وقوله ينفذ: «إن الشيطان يبني على خبثونه».

ثم ما أشير إليه أو أومن، مثل قوله ينفذ: «انفقوا اللامعين» . وقوله ينفذ: «وكأنه نسي».

العينان»

ثم ما ذكره الصحابي لنفسه.

ثم تخرج لحنط بوجه يرجع إلى مقصده غير اعتباره أو اعتبار نظيره في تلبيز المسألة، وليس في الأمر جواز، فيجب أن يصح عن المغادر لم حيث دون نظائرها، وعن تخصصات المصوم لم. سئلت^١ لفق، المقصد أو لقيام مانع يرجع عاد التعارض؟ وإن أهم.

باب القضاء في الأحاديث المختلفة

الأصل أن بعض بكل حديث، وأما أن يمنع البعض الجميع للضعف، وأنه ليس هي الحقيقة خلاف ولكن في نظرها فقط. فإذا ظهر حديثان مختلفان:

فإن كانا من باب حكمة الفعل فحكمي صحابي أنه ينفذ فعل حيث وحكي آخر أنه غير شيئاً آخر، فلا تعارض، ويكونان صحيحين إن كانا من باب عادة دون العبادة.

أو أحدهما مستحب والآخر جائزاً إن لاج على أحدهما أثار الضربة دون الآخر، أو يكونان جميعاً مستحبين أو واجبين فكفي أحدهما قضاة الآخر إن كانا جميعاً من باب لقصة. وقد نرى حفاظ الصحابة علم مثله لم كثير من السنن، كاللوزن بإحدى عشرة ركعة وربع ربيع. وكذلك الجهر من السجدة والمخافة. وعلى هذا الأصل ينبغي أن يقضى في رفع اليدين إلى الأفتين أو المتكئين، وهي تشهد عمر وبين مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم، وفي التوشح هو ركعة مفردة أو ثلاث ركعات^٢، وفي الأضحية الأضحية ذات رابعة الصباح والمساء وسفر الأسباب والأوقات.

أو يكونان مختصين عن مصبق إن تقدم ما يوجب ذلك، كخصال الكفارة في كل حرفة المحارب في فو.

أو يكون ذلك علة حفية توجد. أو يكون أحد المصلين في وقت والآخر في وقت، أو يوجب شيئاً وقتاً وترخص وقتاً. فيجب أن يخصص عنها.

أو يكون أحدهما عربية والآخر وحيدة. إن لاج أثر لأصله في الأول واعتبار

المرج في الثاني، وإن ظهر دليل النسخ قبل به: وإن كان أحدهم حكاية فعل الآخر رفع قول: فإن لم يكن القول قطعي الدلالة على تحريم أو وجوب أو قطعي الرفع احتسلاً وجوهاً، وإن كان قطعياً حملاً على تخصيص الفعل به ﷺ أو النسخ، فيحصر عن قرائنها، وإن كان تولي: فإن كان أحدهما ظاهراً في معنى مؤولاً في غيره وكان التأويل قريباً، حمل على أن أحدهما بيان للأخر، وإن كان بعيداً لم يعمل عليه إلا عند قرينة قوية جداً أو نقل التأويل عن صحابي مقبى، كقول عبد الله بن سلام في الساعة المرجوة إنها قبل الغروب، فأورده أبو حمزة أنها ليست وقت صلاة، وقد قال النبي ﷺ: «لا يسأل الله فيها مسلم قائم يصلي»، فقال عبد الله بن سلام: المنتظر للصلاة كأنه في الصلاة، فهذا تأويل بعيد لا يقبلُ مثله لولا ذهب الصحابي الفقيه إليه، وضابطه الجحد: أنه إن عرض على المقول السلبه بدون القرينة أو تجشم الجدل لم يحتمل، وإذا كان مخالفاً لإيماء ظاهر أو مفهوم واضح أو مورد نص لم يجز أصلاً. فمن الغريب قصر عام جرت العادة باستعمال بعض أفرادها فقط في نظير ذلك التحكم على ذلك النقص، وعام يستعمل في موضع حرث العادة بالتسامح به، كالمدح والذم، وهام بين نشره وضع في حكم بعد إفادة أصل المحكم، فيجعل في قوة القضية المحسنة، كقوله: «ما نُقِيتُ السَّاءَ فَنِيَّ الْعَشْرَاءُ»، وقوله: «ليس فيما بين خمسة أوسق صلقة».

ومن تنزيل كل واحد على صورة إن شئت المضط والمناصب، وخالفهما على الكواهي، وبيان الجوار في الجنة إن أمكن. وحمل التشديد على الزجر إن تقدم لجرح

أما قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [مائدة: ٤٠]

أي: أكلها.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [نساء: ٢٣].

أي: تكاثرها.

وقوله ﷺ: «الحين حق، أي تأخيرها ثابت»، و«رسول حق، أي مبعوث حقاً». وقوله: «رفع عن أمشي الخطأ والنسيان، أي بشم ما أوقعنا فيه». وقوله: «لا صلاة إلا بطهر»، «لا تكاح إلا بولي»، «إنما المال بالنايك، أي لا يفرقه» على هذه الأشياء آثارها التي جعلها الشارع لها.

﴿إِنَّا فَتَنَّا بِذَلِكَ الْقَبِيلَ فَغَابُوا﴾ [مائدة: ٤٦]

(١) بسبب وقوله أني «تظلمه» غيره، وما بينهما مقطعتان على الجبلة.

(٢) أي النبي ﷺ.

نحو: إن به تكونوا على أقدامهم، فظاهر ليس مؤنثاً، لأن العرب يستعملون كل لفظة منها في محل ويريدون ما يتناسب ذلك المحل، وبذلك لعنهم التي لا يروون بها صرفاً من الظاهر، وإن كان أعم من باب الفتوى في مسألة القضاء في وقتها، وإن ظهرت عنه غارقة فظني غير حبيب، مثلاً: سأله ثار عن اتقية نصائم قنهاء، وشيخ فرأى له، وإن دل اليباء في أحدهما دون الآخر على وجود الحاجة، أو إلحاح الحاجة، أو كون إحصاء عن إمكان أو ردّها للتمسك المتشدد على نفسه فظي بالفرجة والمروضة، وإن كانا مختلفين لميل إلى حقوقيين معاً، أو كقارئ من حيث جازر الحمل على صحة الوجهين، واحتمل النسخ.

وعلى هذا الأصل يظني في الاستحسان أنفذ نكرة بالمسار كل مملاتين، وخيراً وانحصر أيام عاقبتها أو أيام فهور الدم الشديدة، على قول أنه كان خبرها بين أمرين، وأن الحادة وأذن أيام كلاهما يصلحان نقطة للتجهر في القيام والإضمار معن مات وعله محرم على قول.

والثاني في الصلاة يلغى شكه أحد أمرين: بشعري، تصواب أو أحد المتخلفين على قول.

والغرض من إثباته السلب بالخالف أو الفرقة على قول.

ورن ظهر دليل النسخ حمل حديث، ويعرف النسخ بنص أبي يونس: كذا ما كنت توبتكم عن زيادة مقبول الاغزويهما، ومعروفة تأخر أحدهما عن الآخر مع عدم إمكان النسخ، وإذا شرح شرايع شرايع شريع مكنه آخر، مكنت عن الأول، عرفت فيها، استحباب أن ذلك سبق للأول، أو اختلاف الأحاديث ونقص الصحابي بكون أحدهما لاحقاً للآخر، فذلك ظاهر في النسخ غير قطعي.

وقول الفقهاء لنا يجعلونه خلاف حمل مشايخهم، مشايخ، غير مفتح، والنسخ فيما بعدهما: تحيز حكم مغير، وفي الحقيقة، انتهاء الحكم لانتهاء سنده، أو انتهاء كونه مصنف للمنفرد الأصلي، أو حدوث مانع من الغناء، أو ظهور ترجيح حكم آخر على الذي شكك، بالوحي الحديث أو بالاحتياط، وهذا إذا كان الأول، انتهى أولاً، قال الله تعالى في حديث (صحيح):

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ)

وإذا لم يكن للصحاح والتأويل معانٍ ولم يعرف النسخ، تحقق التعارض، فإن ظهر

ترجيح أحدهما، ما معنى في السند: من كثرة الرواة دفعه كراوى وقوة الاتصال وتصريح صيغة الترفع وكثر الراوي صاحب المعاملة بأن يكون هو المستفى أو المخاطب أو المباشر، أو معنى في المعنى: من التأكيد والتصريح، أو بمعنى في الحكم وعقلته: من كونه ماسياً بالأحكام الشرعية وكونها علّة شديدة المناسبة عرف تأثيرها، أو من خارج: من كونه مُتَشَكِّك أكثر أهل العلم، أخذ بالراجع ولا تساقط. وهي صورة مفروضة لا تكاد توجد.

وقول الصحابي: «أمرنا ونهينا» ونفى، وفرخص، ثم قوله: «أمرنا ونهينا»، ثم قوله: «من السنة كذا» ومضى أيا انقسام من فعل كذا، ثم قوله: «هذا حكم النبي» ظاهر في الرفع، وحتمل ظروف اجتهاد في تصوير الجلة المدار عليها، أو تعيين الحكم من الوجوب والاستيجاب، أو عمومته وخصوصه.

وقوله: «وكان يفعل كذا» - ظاهر في تعدد الفعل، ولا يتأخر قول الآخر: «كان يفعل غيره».

وقوله: «صيته فلأمره بنهي» - «وكانا نعمل في عهد» - ظاهر في التثنية، وليس نقلاً.

وقد تختلف صيغ حديث لاختلف الطرق، وذلك من جهة نقل الحديث والمعنى، فإن جاء حديث، ولم يتطابق الثقات في لفظه كان ذلك لفظه ﷺ طامراً، وأمكن الاستدلال بالتقديم والتأخير والحوار والمفاء ونحو ذلك، من التسامح الرائدة على أهل العراء. وإن اختلفوا اختلافًا مستحقاً وهم متقاربون في اللغة والحفظ والكثرة سقط الظهور، فلا يمكن الاستدلال بذلك إلا على المعنى الذي جازوا به جميعاً.

وجمهور الرواة كانوا يعتنون برؤوس المعاني لا بحواشيها، وإن اختلفت مراتبهم أجد يقول الثقة والأكثر والأمراف بالقصة، وإن أشعر تولّى زيادة الضغط، مثل قوله: «قالت: وثب وما قالت: قدم» و«قالت: أفاض على جلد الماء وما قالت: غسلي» - أخذ به.

وإن اختلفوا اختلافًا فحشياً وهم متقاربون، لا مرجح سقطت الخصوصيات المختلف فيها.

والمرسل إن اقترن بقرينة، مثل: أن يُغْتَضَبَ بموقوف صحابي، أو مسنده الضعيف، أو مرسل غيره والشيوخ متغايرة، أو قول أكثر أهل العلم، أو قياس صحيح، أو إساءة من نص أو عرف أنه لا يرسل إلا عن عدل - صح الاحتجاج به وكان نازلاً من السند، وزلاً لا.

وكذلك الحديث الذي يرويه قاصر الضبط غير متهم أو مجهول الحال - المختار أنه يصل إن اقترن بقرينة، مثل: موافقة القياس، أو عمل أكثر أهل العلم، وإلا لا.

وإذا تعرّض الثقة بزيادة لا يستلزم سكوت الباقيين عنها فهي مقبولة، كإساءة المرسل

ورسده وحل في الإسناد. وذكر مورد الحديث وسبب إدراجه وإطاب الكلام وإيراد جملة مسئلة لا تغير معنى الكلام.

وإنما استع، كالتزيادة المخبره ليعني أن نادرة لا يترأ ذكرها عادة - لم يقبل.

وإنما جعل المحامي حديثاً على محسن، فإن كان كلاً جهاد فيه مساع كان ظاهراً في الجملة لأن أن تقوم الحجة بخلافه، وإلا كان قولاً، كما إذا كان فيما يعرفه العاقل المتعرف بالامعة من القرائن الحانية والقائمة.

أما اختلاف ثمار الصحفية والتابعين، فإنه يفسر الجمع بينها ببعض توجزه المذكورة سابقاً فذلك، وإذا كانت المسألة على قولين أو أقوال، فينظر أيها أصح. ومن العلم المكنون معرفة مأخذ مذاهب الصحابة، فاشتهد نزل به حقاً، والله أعلم^(١).

(١) أعلم في المصنف رحمه الله رب القسم الأول في هذا الكتاب في سمة مباحث في سبعين باباً كما أنه عليه في حاشية الكتاب. لكن إلى هذا هل عند الأبول واحد أو اثنين في جميع الفصح الموجودة حتى وقت الطبع، والأول المؤلفة إلى ما كتبه من بعد كتاب التوبة الثانية، أو وقع لسبب من رحمه الله في السيرة، أو كان بعد عدم الأبول، مصداقاً لتمام ما كتبه في قوله، والله أعلم.

تتمة (*)

باب أسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع

اعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن المذهب في زمانه الشريف مدوناً، ولم يكن البحث في الأحكام يرمز مثلاً البحث من هؤلاء الفقهاء، حيث يبنون بأقصى جهدهم الأركان والشروط وآداب كل شيء، مختاراً عن الآخر بديله، ويفرضون الصور، يتكلمون على تلك الصور المفروضة ويحدثون ما يقبل الحد ويحضورون ما يقبل الحصر، إلى غير ذلك من مسائلهم. ثم رسول الله ﷺ، فكان يتوضأ فيرى الصحابة وضوءه، يأخذون به من غير أن يبين أن هذا ركني وذلك أدب، ركان يحمي قوزن صلاته، فيصلون كما دأبوا بصلتي، وحج فرقت الناس حجة، فعدوا كما فعلوا، فهذا كان حالهم، ولم يبين أن مروض الوضوء سنة أو سنة، ولم يعرض أنه يحتمل أن يتوضأ بماء، بغير مائة حتى يحكم عليه بالصحة أو الفداء إلا ما شاء الله، وقلما كانوا يسألونه عن هذه الأخطاء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهم في الفرائض منهم:

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْفَتْرِ الْغَوَارِ فَإِنَّهُ قَدْ بَدَأَ نِيَّوْكَ بِشَيْءٍ﴾ [البقرة: الآية 187].

﴿وَسَأَلُوكَ فِي التَّجْبِيزِ﴾ [البقرة: الآية 182]

قال: ما كانوا يسألون إلا عنه بتفهم.

قال ابن عمر: لا نسال عمداً لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمداً لم يكن.

(*) هذه الفقرة المستقلة على الأيوبي الأربعة من هنا إلى القسم الثاني لم توجد إلا في نسخة واحدة وأبقيتها في معتدلاً، مطبوعاً للنسخة المذكورة ويكون مشهورها مثلاً للكلام. وكلام المصنف في نسخة أخرى على أنها ينبغي أن يكون في العمل للكتاب ومن عموماً يعلم أن المصنف رحمه الله لم يشترط أن ينظر الثاني في هذا الكتاب كما هو مشهور عند الناس.

(1) هكذا وجدته بالأسر. رجل مدونه. إلا من.

قال لقاسم: إنكم تآلون عن أشياء ما كنا نآل عنها، ونفرون⁽¹⁾ من أشياء ما كنا نثفر عنها. تآلون عن أشياء ما كُذِّبَ ما هي، ولو علمتها ما حل لنا أن نكتمها. عن عمر ابن إسحاق قال: لست أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبني منهم، فسا رأيت قوماً أبصر سيوة، ولا أقل تشديداً منهم. وعن عروة بن سمر الكندي، وسئل عن امرأة ماتت مع قوم ليس لها ولي، فقال: أدركت أقواماً ما كانوا يشهدون تشديدهم، ولا يآلون ما نآلكم. أخرج هذه الآثار الدامية.

وكان ﷺ يستغني الناس في لوفائع نية زهم، ويُرفع إليه القضايا فيفضي فيها، ويرى الناس يفعلون معروفاً فيبدعه، أو منكراً فينكر عليه، وكل ما انتهى به مستغنياً أو قضى به في قضية أو أنكره علم، فاعلم كان في الاجتماعات، وكذلك كان الشيخان أبو بكر وعمر، إذا لم يكن لهما علم في المسألة يسألون الناس عن حديث رسول الله ﷺ، وقد أبو بكر رضي الله عنه ما سمعت رسول الله ﷺ قال فيها شيئاً، يعني - العدة - وسأل الناس، فقام صلى الظهر قال: أياكم سمع رسول الله ﷺ قال في العدة شيئاً؟ فقال المنعيرة بن شعبة: أنا، قال: ماذا قال؟ قال: أمطأها رسول الله ﷺ سداً، قال: أعلم ذلك أحد غرك؟ فقال محمد بن سلمة: صدق، فأعطاها أبو بكر المئتين. وقصة سؤال عمر الناس في الفوة، ثم وجوهه إلى خير منيرة، وسؤاله إياهم في النوى، ثم رجوعه إلى خير عبد الرحمن بن عوف، وكذا رجوعه في قصة المجوس إلى خير، وسؤال عبد الله بن مسعود بحبر معقل بن يسار لما وافق وأيه، وقصة رجوع أبي موسى عن باب عمر وسؤاله عن الحديث، وشهادة أبي سعيد له، وأما ذلك كثيرة معلومة مروية في الصحيحين والسنن.

والجملة فهذه كانت عادته الكريمة ﷺ، فرأى كل صاحب ما بشره الله له من عبادته وقراءته وأقضية، فيحفظها وعمره لكل شيء وجهاً من قبل خوف القرائن به، فحمل بعضها على الإباحة وبعضها على النسخ. لأرايات وقرائن كانت كافية عنده، ولم يكن العدة عندهم إلا وجدان الاطمين والثقة من غير التفت إلى طرق الاستدلال، كما ترى الأعراب يهيمون مقصود الكلام فيما بينهم وتكلم حدودهم بالتصريح والتلويح والإيحاء من حيث لا يشعرون.

وانقضى عصره الكريم ﷺ وهم على ذلك، ثم انهم تفرقوا في البلاد، وصار كل واحد مقتدي ناحية من الراعي، فكثر التناقض ودان المسائل، فاستفتوا فيها، فاجاب كل واحد حسب حفظه أو استنبط، وإن لم يجد فيها حفظه أو استبط ما يصلح للجواب اجتهد برأيه، وعرف العلة التي أدار رسول الله ﷺ عليها الحكم في مصوصائه، فطرد

(1) من تشقير وهو التفتيش والاستقصاء في البحث والمطابقة فيه

لحكم حينما وجدها لا يألوا جهداً في موافقة غرضه عليه الصلاة والسلام، فعند ذلك وقع الاختلاف بينهم على ضرورة:

منها: أن صحابياً سمع حكماً في قضية أو فتوى ولم يسمعه الآخر، فاجتهد برأيه في ذلك. وهذا على وجه:

أحدها أن يقع اجتهداه موافقاً للحديث. مثاله: ما رواه السائي وغيره أن ابن مسعود رضي الله عنه سئل عن امرأة مات عنها زوجها ولم يهرض لها^(١)، فقال: لم أر رسول الله ﷺ ينصي في ذلك، فاختلفوا عليه شهراً والحوا، فاجتهد برأيه وقضى بأن لها مهر نسائها لا زكس ولا شطط^(٢)، وعليها العدة، ولها الميراث، فقام معقل بن يسار فشهد بأنه ﷺ قضى بذلك في امرأة منهم، ففرح بذلك ابن مسعود فرحة لم يفرح مثلاً قط بعد الإسلام.

ثانيها أن يقع بينهما المناظرة، ويظهر الحديث بالوجه الذي يقع به غالب الظن، فيرجع عن اجتهداه إلى المسموح. مثاله: ما رواه الأئمة من أن أبا هريرة رضي الله عنه كان من مذهبه أنه من أصبح حنبلاً فلا صوم له، حتى أخبرته بعض أزواج النبي ﷺ بخلاف مذهبه، فرجع.

وثالثها أن يبلمه الحديث ولكن لا على الوجه الذي يقع به غالب الظن، فلم يترك اجتهداه بل طعن في الحديث. مثاله: ما رواه أصحاب الأصول من أن فاطمة بنت جبر شهدت عند عمر بن الخطاب بأنها كانت مطلقة الثلاث فلم يجعل لها رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى، غره شهادتها وقال: لا أترك كتاب الله يقول امرأة لا تدري أصدقت أم كذبت. لها النفقة والسكنى. وقالت عائشة رضي الله عنها لفاطمة: ألا تنفي الله؟ يعني في قولها: لا سكنى ولا نفقة.

ومثال آخر: روى الشيخان أنه كان من مذهب عمر بن الخطاب أن التيمم لا يجزئ للجنب الذي لا يجد ماء، فروى عنه عمار أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصابته جنابة ولم يجد ماء، فتمسك في التراب^(٣)، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لما كلن يكتيك لئ تفعل هكذا وضرب يديه على الأرض، فمسح بهما وجهه ويديه، فلم يقبل عمر ولم ينهض عنه حجة، لقادح غني رآه فبه، حتى استفاض الحديث في الطبقة الثانية من طرق كثيرة، واشتمل زعم الغادح، فأخذوا به.

(١) أي لم يهرض لها أمهر.

(٢) أي لا شطط ولا زهلة.

(٣) أي شرب لما غل لئ التيمم بدل من غسل جميع البدن.

ورويها ألا يصل إليه الحديث أصلاً. مثله: ما أخرج مسلم أن ابن عمر كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينفضن رؤوسهن، فسمعت عائشة لذلك. فقالت: يا عجباً لابن عمر هذا. يأمر النساء أن ينفضن رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟ لقد كنت أفضل أنا ورسول الله ﷺ من إتياء واحد، وما يؤيد علي أن أفرغ على رأسي ثلاث إمرافات⁽¹⁾.

مثال آخر: ما ذكره الزهري من أن حنداً لم تبلغها رخصة رسول الله ﷺ في المستحاضة، فكانت تبيكي لأنها لا تفعل.

ومن تلك الضرورة أن يروى رسول الله ﷺ فعل فعلان، فحمله بعضهم على القرية وبعضهم على الإيالة. مثله: ما رواه أصحاب الأصول في قضية التحصيب - أي النزول بالأبطح عند الفرس - نزل رسول الله ﷺ به، فذهب أبو هريرة وابن عمر إلى أنه على وجه القرية، فجلدوه من سنن الحج، وذهبت عائشة وابن عباس إلى أنه على وجه الاتفاق وليس من السنن.

ومثال آخر: ذهب الجمهور إلى أن الرمس في الطواف سنة، وذهب ابن عباس إلى أنه إنما فعله النبي ﷺ على سبيل الارتفاق لعرض عرض، وهو قول الشريكين: خطمهم حمى يثوب، وليس بشنة.

ومثل: اختلاف الموحم. مثله: أن رسول الله ﷺ حج، فرآه الناس، فذهب بعضهم إلى أنه كان مشتملاً، وبعضهم إلى أنه كان نازلاً، وبعضهم إلى أنه كان مفرداً.

مثال آخر: أخرج أبو زرعة عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لعبد الله بن عباس: يا أبا العباس، عجب لا اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ حين أوجب⁽²⁾، فقال: إني لأعلم الناس بذلك، إنما كانت من رسول الله ﷺ حجة واحدة، فمن هناك احتلموا. خرج رسول الله ﷺ حاجاً، فلما صلى في مسجد ذي الحليفة وكمة أوجب في محله وأهل بالتحج حين خرج من ركعتيه، فصاح ذلك منه أقوام يحفظه عنه، ثم ركب، فلما استقلت به ناقته أعلل، وأورك ذلك منه أقوام، وذلك أن الناس إذا كانوا يأتون أرسالا⁽³⁾، فسمعوه حين استقلت به ناقته يهلل، فقالوا: إنما أهل رسول الله ﷺ حين استقلت به ناقته، ثم مضى رسول الله ﷺ، فبنا على شرف البيداء أهل، وأورك ذلك منه أقوام، فقالوا: إنما أهل حين علا على شرف البيداء. وأمرهم الله لقد أوجب في مضلأه، وأهل حين استقلت به ناقته، وأهل حين علا على شرف البيداء.

(1) جمع إرافة وهي المرة من الإرماع، من قرعت الإتياء وفعلت لنا ثلث ما فيه

(2) أمر أهل، وأمر يساوجب من فعل الإحرام.

(3) جمع رسل، يسلح الآرن والثاني بعضه القطيع، أي كانوا يجيئون مطيراً قداماً

ومنها: اختلاف النسيب والنسب: مثله: ما روي أن ابن عمر كان يقول: عمر رسول الله ﷺ عمه في رجب، فسمعت بذلك عائشة عفتت عليه بالسهر

ومنها: اختلاف الصبيد: مثاله: ما روي ابن عمر - أو عمر - عنه ﷺ من أن الميت يُعدُّ بكذا أهله عليه، فقصت عائشة عليه أنه لم يأخذ التحديث على وجهه، ثم رسول الله ﷺ على يهودية بيكي عندها أهله. فقال: «لأنهم يبيكون عليها وإنها تعطي في قبرها» فظن الخذاب معلولاً لبيكاه، فخص الحكم عائلاً على كذا بيت.

ومنها: اختلافهم في سنة الحكم: مثاله: انقياد للجارية، فقال قتائل الشصين السلائكة، فيعم المؤمن والكافر، وقال قتال: نهول الموت، فيعمهما. وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: مر على رسول الله ﷺ بجارية يهودي فقام لها، فزاعمة أن تعلم مرق وأه، فيخص الكافر.

ومنها: اختلافهم في الجمع بين التمسكين: مثاله: رخص رسول الله ﷺ في التمسك عام خبير، ثم رخص فيها عام أو طاس، ثم نهى عنها، فقال ابن عباس: كانت الرخصة للضرورة، والنهي لأغضاء الضرورة، والحكم ياق على ذلك، وقال الجمهور: كانت الرخصة راحة والنهي تسخاً لها.

مثال آخر: نهى رسول الله ﷺ عن استقبالات القبلة في الاستحابة. فذهب قوم إلى عموم هذا الحكم وكونه غير منسوخ، ورأى حاتم يئوس قبل أن يتوفى بعام مستقبل القبلة، فذهب إلى أنه نسخ انتهى المذهب، ورواه من عدم قضى حاتم بمقتضى الفدية منقش الشام. فرد به قولهم، وجمع قوم بين الروايتين، فذهب الشعبي وغيره إلى أن انتهى مخصص بالصحرى، فلذا قال في المواضع⁽¹⁾ فلا بأس بالاستقبال والاستحابة، وذهب قوم إلى أن القول عام محكم، والتمل يحتمل كونه حاشاً بالنبي ﷺ فلا يتنقض ناسخاً ولا محصاً.

وبالجملة: فاختلقت مذهب أصحاب النبي ﷺ، وأخذ عنهم التابعون كذلك، كل واحد ما تيسر له، فحفظ ما سمع من حديث رسول الله ﷺ ومذاهب الصحابة وعقيدتها، وجمع المختلف على ما تيسر له، ورجع بعض الأقوال على بعض، واضمحلت في نظرهم بعض الأقوال وإن كان مأثوراً عن كبار الصحابة، كالذهب بالمأثور عن عمر وابن مسعود في تبيثم الجند. فتمحلت عندهم إباحة استدراك من الأحاديث عن عائشة وعمران بن الحصين وغيرهما، فحدث ذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب على حياته، فانقسم في كل بلد إمام، مثل سعيد بن المسيب وسائر بن عبد الله بن عمر في المدينة،

(1) ابن خزيمة الاختلاف.

(2) جمع مواضع بالكسر وعد موضع قضاء الحاجة كالكتيف.

وبعدهما الزهري والقاضي يحيى بن سعيد وريثه بن عبد الرحمن فيها، وعطاء بن أبي رباح بسكة، وإبراهيم النخعي والشمسي بالكوفة، والحسين البصري بالبصرة، ومطاس بن كيسان باليمن، ومكحول بالشام، فأطاع الله أكيداً إلى علومهم فرعوا عنها، وأخذوا عنهم الحديث وفنّواي الصحابة وأقاربهم.

ومذاهب هؤلاء العلماء وتحقيقاتهم من عند أنفسهم، واستفتى منهم المستفتون، ودارت المسائل بينهم، ورُفعت إليهم الأسئلة، وكان محمد بن السيب وإبراهيم وأمثالهما يجمعون أبواب الفقه لجمعها، وكان لهم في كل باب أصول تفرعها من السلف، وكان سيب وأصحابه يذهبون إلى أهل الحرس، أثبت الناس في الفقه، وأصل مدعهم فتاوى عبد الله ابن عمر وعائشة وابن عباس، وقضايا قضاء المدينة، فجمعوا من ذلك ما يشره الله لهم، ثم نظروا فيها نظر اعتناء ونقشبش، فما كان منها مُشجعاً عليه بين علماء الدين فلمهم يأخذون عليه بنواجزهم، وما كان فيه اختلاف عندهم فذهبوا بأخرون بأقوالهم وأرجحها، إما بكثرته من دفع، إني منهم أو لموافقته بقياس قوي أو تخريج صريح من الكتاب والسنة أو نحو ذلك، وإذا لم يجدوا بما مفظوا منهم جواب المسألة خرجوا من كلامهم وتبعوا الإجماع والاعتناء، فحصل لهم مسائل كثيرة في كل باب، وكان إبراهيم وأصحابه يرون أن عبد الله بن مسعود وأصحابه أثبت الناس في الفقه، كما قال علقمة لمسروق: هل أحد منهم أثبت من عبد الله؟ ومولى أبي حنيفة رضي الله عنه للأوراعي: إبراهيم أفقه من سابقهم، ولولا فضل الصحبة لقلت إن علقمة أفقه من عبد الله بن عمر.

وعبد الله هو عبد الله وأصل مدعيه فتاوى عبد الله بن مسعود وقضايا علي رضي الله عنهما وفتاوى فضايبا شريح وغيره من قضاة الكوفة، فجمع من ذلك ما يشره الله، ثم صنع في آثارهم كما صنع أهل المدينة في آثار أهل المدينة، وخرج كما خرجوا، فلخص له مسائل الفقه في كل باب.

وكان سعد بن السيب لسان فقهاء المدينة، وكان احتفظهم لقضايا عمر والحديث أبي هريرة. وإبراهيم لسان فقهاء الكوفة، فإذا تكشأ بشيء ولم يسيأه إلى أحد فإنه في الأئمة منسوب إلى أحد من السلف صريحاً أو إسماء ونحو ذلك، فاجتمع عليها فقهاء بلدتها وأخذوا عنها ومفظوا وخرجوا عليه، والله أعلم.

باب أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء

اعلم أن الله تعالى أنشأ بعد عصر النبيين نبياً^(١) من سبطه العلم إنجازاً لما وعده

(١) أبي جمانة

رسول الله ﷺ حيث قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف مُعَوِّدُهُ»، فأخذوا عن اجتماعه معه منهم صفة الموصوف والمُسَلِّ والصلوة والسجود والكُفَّاء والبُرج وسائر ما يكثر وقوعه، ورووا حديث النبي ﷺ وسمعوا قصايب قضية اللذان وفتوى مفتيها، وسألوا عن المسئلة، واجتهدوا في ذلك كله، ثم صاروا كبراء قوم، وروى إليهم الأمر، فنجوا على سواك شيوخهم، ولم يلبوا في تنقيح الإساءات والانتقادات، فقصوا وأتوا، ورووا وعلموا، وكان صنيع أعلام في هذه الطبقة مثبهاً.

وحاصل صنيعهم:

أن يمتسك بالمد من حديث رسول الله ﷺ والموسل جميعاً، ويستدل بأنوال الصحابة والتابعين، علماء منهم أمها إما أحاديث منقولة عن رسول الله ﷺ احتقروا فيجعلوها موقوفة، كما قال إبراهيم وقد روى حديث: نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة والمزادة^(١)، فقبل له: أما تحفظ عن رسول الله ﷺ حديثاً غير هذا؟ قال: بلى، ولكن أقول: قال عبد الله: «قال عليهما أحب إلي». وكما قال الشعبي - وقد سُئل عن حديث وقبل به برقع إلى النبي ﷺ - قال: لا بأعلى، من دون النبي ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة وتقصان كان على من دون النبي ﷺ.

أو يكون استباطاً منهم من المنصرح أو اجتهداً عنهم بأرائهم، وهم أحسن صنيحاً في كل ذلك ممن يجهل بعدهم وأكثر إصابة وأقدم زماناً وأوعى علماً، فتعين العمل بها، إلا إذا اختلفوا وكان حديث رسول الله ﷺ يحالف قولهم مخالفه ظاهراً.

وأه^(٢) إذا اختلفت أحاديث رسول الله ﷺ في مسألة وجبوا إلى أقوال الصحابة، فإن قالوا يشخ بعضهما أو يصرفه عن ظاهره، أو سم بصريحاً بذلك ولكن اتفقا على مرکه وعدم القول بموجبه، فإنه كإبداء علة فيه أو التعميم بنسخه أو تأويله، اتبعوهم في كل ذلك، وهو قول مالك في حديث رفع الكلب^(٣)، جاء هذا الحديث ولكن لا أثر في ما حقيقته، يمس حكاية ابن الحارث في (مختصر الأصول) ولم يؤلفه، يملكون به.

وأه إذا اختلفت مذاهب الصحابة والتابعين في مسألة فالمتأخر عند كل عالم مذهب

(١) المحاقلة: هي اختراع الأمر بالمنطق، ومثل: هي الموقوفة على نصيب مطوم كالكثك وغيره، وقيل: بيع الطعام في سنبله بالبر، وقيل: بيع الفرج قبل إدرائه، والمشهور هذا، والذهبي للجهلة والسرابة في بيع الرطب في رؤوس الشتل بالقر، وهي عنها لما فيها من لغتين والجهلة.

(٢) عطف على، أي يمتسك.

(٣) إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام: منور إن الله لكم إذا رفع فيه الكلب أن ينسكه سباعاً، وعند مالك كتاب طاهر بهذا الحكم تعديدي.

أهل بيته وشيوخه. لأنه أعرف بجميع أقوالهم من الضميمة، وأولى للأصول المتقدمة لها. وقوله **أقبل** إلى قصصهم وشيوخهم، فعذبته **الحمر** و**شدن** و**ابن حمر** وعائشة، وابن عباس و**زيد** من ثبات وأمرائهم. مثل سعيد بن المسيب، فإنه كان أعظم نقضاً عنهم وحديث أبي هريرة، ومثل غيرة سالم وعطاء بن رسلان وداود وعبيد الله بن عبد الله والمزهرى، و**حسن** بن سعيد و**زيد** بن أسلم و**دريعة**، أحرز بالأخذ عن غيره عند أهل المدينة، لما بينه النبي ﷺ في فضائل المدينة، ولأنها مأوى المقبلة، ومجمع العلماء في كل عصر، وثبتت شري مالكاً ملازم محققهم.

ومذهب عبد الله بن مسعود وأصحابه وقضايا علي وشريح والنسبي وفتاوى إبراهيم، أبقى بالأخذ عند أهل الكوفة من غيره. وهو قوة عظيمة حين مال مسروق إلى قول زيد بن ثابت في الامتناع، قال: **هو أحد متكم أثبت من عبد الله** فقال: لا، ولكن رأيت زيدا بن ثابت وأهل المدينة يشركون.

فإن اتفق أهل بيته على شيء أخذوا به وحده، وهو الذي يقول في مثله **سالك السنة** التي لا اختلاف فيها عندما كذا وكذا. وإن اختلفوا أخذوا بأقواهم وأرجحها، إما بخبره نقائض يده، أو موافقة نقباس قوي أو تخريج من الكتاب والسنة، وهو الذي يقول في مثله **مالك**. هذا أحسن ما سمعت.

فإن لم يجدوا شيئاً أخذوا منهم جواب المسألة خرجوا من كلامهم، وتبعوا الأئمة والافتضاء والنسب في هذه الصفة الذوقية، فاذن مالك ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب بالمدينة. وأما جريج وابن عينة بسكة، والثوري بالكوفة، وربع بن الصبح بالبصرة. وكانهم مشوا على هذا الصنيع الذي ذكره. ولما سمع المصور ذلك لذلك. قد عزمت أن أمر بكتبت هذه التي مرافها فوسج، ثم أبحث في كل مصر من أمصار المسلمين منها ما دخل، وأمرهم بأن يفتنوا بما فيها ولا ينعوه إلى غيره، فقال: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وساموا أحاديث ورووا روایات، وأخذ كل قوم بما سنن أبوهم وأبائهم من اختلاف الناس، ففزع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأئمتهم. ويحسني سببه هذه الفضة إلى هارون الرشيد، وأن سامر مالكاً في أن يعلق الموطن في الكوفة ويحمل الأمر على ما فيه. فقال: لا تفعل، فإن أصحاب رسول الله ﷺ احتفوا في القروعة وأمرقوا من السواد، وقل سنة مضت. قال: رقتك الله يا أبا عبد الله. حكاية البرقي.

وكان مالك بين أئمتهم في حديث المدنيين عن رسول الله ﷺ وأمرهم إعاداً

وَأَعْنَتُهُمْ بِغَضَائِي عَصَرُوا قُلُوبَهُمْ نَحْيَةً إِلَيَّ مِنْ عَذَابِي وَعَاشَتْهُ وَأَحْسَنَهُمْ مِنْ الْقَبْضَاءِ الْإِسْمَاءِ وَهِيَ
وَيَا أُمَّتَانِ قَامَ عِلْمُ الرُّوَايَةِ وَالْقِتْوَى، فَلَمَّا وَجَّهَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ خُذْتُ رَأْسِي وَأَفَدْتُ وَأَجَانَدْتُ وَعَلَيْهِ
سَلَامِي قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَنْسُوبَ ثَلَاثُ أَكْبَادٍ الْإِسْلَامَ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، فَلَا يَجْعَلُونَ لِمَنْ أَعْلَمَ
مِنْ عَالِمٍ لِحَقِّهِ، عَسَى أَنْ يَفَادَهُ مِنْ سَبِيْنَةٍ وَهِيَ: الشَّرَاقُ - وَنَعْيَاكَ بِهِمَا - فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ
رَوَايَتَهُ وَمَحْتَوَاتَهُ، وَالْخُصُوفَ وَخَيْرَهُ حَا وَشَرَّحُوهُ وَغَرَّحُوا عَيْنِيهَا وَتَكَلَّفُوا قَبْلَ أَصُولِهَا
وَدَلَالَتِهَا، وَتَمَرَّقُوا رِجْلَ السُّغُوبِ رِجْلِي الْأَرْضِ، فَتَمَرَّقَ فِيهِمْ تَمَرَّقاً مِنْ حِلَّتِهِ.

وإذ كنت أذكر ما حققته من أصل مذهبي، فإنظر في كتاب الموعظة نجده كما
يذكرنا.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه كثرهم مذهب إبراهيم وأقرانه، لا بماوراء إلا ما شئت الله. وكان عظيم الشأن في التحريج على مذهبه دقيق استقر في وجوه التخريجات مقبلاً على الخروج ثم إقبال. وإن شئت أن نعلم حقيقة ما قلنا منخص أنوار إبراهيم وأقرانه من كتاب الآثار لمحمد رحمه الله ودام عبد الرزاق، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ثم فاشته بهذه نجده لا يفارق تلك المحبة إلا في مواضع يسيرة، وهو في ثلث البيوت أيضاً لا يخرج عفا ذهب إليه فقهاء الكوفة. وكان أشهر أصحابه ذكر أبو يوسف وحيد الله، فولي نفسه الفسفاة أيام هرون الرشيد فكان سبباً فيظهور مذهبه والقضاء به في قضاة العراق وحراسان وما وراء النهر. وكان أحسنهم نفسياً وأزهدهم دوماً محمد بن الحسن، وكان من خبره أنه فقفا على أبي يوسف، ثم خرج إلى المدينة فقرا الموطأ على مالك، ثم رجع إلى نفسه، نصيب مذهب أصحابه على الموطأ مسألة، فوأن وافق فيها وإلا فإن واني طائفة من أصحابه والتابعين ذهب إلى مذهب أصحابه فكلكت، وإن وجد قبيساً ضعيفاً أو حرجياً لئلاً يخالته حديث صحيح فيما عمن به الفقهاء أو يخالفه عمر أكثر العلماء تركه إلى مذهب من مذهب السلف مما يراه أرجح ما حاله.

وهداه لا يزال على فمجة إبراهيم وأقرب ما أمكن لها، كما كان أبو حنيفة رضي الله عنه يعلم ذلك.

وأما كون اختلافهم في أحد شيئين، إما أن يكون تشبيهماً لتعريب على مذهب إبراهيم بزمكانه فيه، أو يكون هناك إجماعاً ونظراً، أو أن يكون مختلفاً باختلاف تشبيهماً في خروج بعضها عن بعض، فكيف محمد رحمه الله وسمع رأي هؤلاء الثلاثة، ونفع كثيراً من الناس، فترجعه أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه إلى تلك التمايز تلخيصاً وتغريباً، أو شرباً، أو تعريباً، أو تأسيماً، أو استلزاماً، ثم تزايدوا إلى حرامان وما وراءها، فوصلوا ذلك مذهباً، أي حنيفة.

وثبت الشافعي في أوائل ظهور المذهبين وترتيب أصريتهما وبرودعهما، فظهر في صنيع الأرائل فوجد فيه أموراً كسحت عنه عن الحريث في طريقة، وقد ذكره في أوائل كتاب الأمل

منها أنه وجدهم يأخذون بالمرسل والمنقطع، فيدخل فيهما الخلل، فإنه إذا جمع طرق الحديث يظهر أنه كم من مرسل لا أصل له، رغم من مرسل بخلاف مستند، فقرر ألا يأخذ بالمرسل إلا عند وجود شروط. وهي مذكورة في كتب الأصول.

ومنها أنه لم تكن قواعد الجمع بين المخططات مضبوطة عندهم، فكان يتطرق بذلك خلل في مجتهداتهم، فوضع لها أصولاً، ودونها في كتاب، وهذا أول تدوين كان في أصول الفقه.

مثاله ما يلبث أنه دخل على محمد بن الحسن وهو يعلم على أهل المدينة في فضائهم بالشاهد الواحد مع اليمين، ويقول: هنا زيادة على كتاب الله. فقال الشافعي: أثبت عندك أنه لا تجوز الزيادة على كتاب الله بخير الواحد؟ قال: نعم، قال: قلب قلت إن الوصية للورث لا تجوز، لقوله **﴿ثُمَّ لَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾**، قال لا وصية للورث، وقد قال الله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا هَلَكَ أَحَدُكُمْ أَنْ تُوَصِّيَهُ﴾ [البقرة: الآية ١٨٠] ^١. وأورد عليه أشياء من هنا القيل، فانقطع كلام محمد بن الحسن.

ومنها أن بعض الأحاديث الصحيحة لم يبلغ علماء التابعين ممن وُعد إليهم التقوى، فاجتهدوا بأرائهم أو اتبعوا العمومات أو اقتدوا بمن مضى من الصحابة، فأتوا حسب ذلك. ثم ظهرت بعد ذلك في العسفة الثالثة، فلم يعلموا بها طلقاً منهم أنها تخالف عمل أهل مدينتهم وشبههم التي لا اختلاف لهم فيها، وذلك قاذح في الحديث وعلة مضطربة له. أو لم تظهر في الثالثة وإنما ظهرت بعد ذلك، عندما آمن أهل الحديث في جمع طرق الحديث ورحلوا إلى أقطار الأرض وبعثوا عن حملة العلم، فكثرت من الأحاديث ما لا يرويه من الصحابة إلا رجل أو رجلان، ولا يرويه عنه أو عنهما إلا رجل أو رجلان، وهكأن جراً، فبني على أهل القنفذ وظهر في عصر الحماة الساجدين لطرق الحديث كثير من الأحاديث، روى أهل العسرة مثلاً وسائر الأقطار، في علة منه، فيش الشافعي أن العلماء من الصحابة والتابعين لم يزل شأنهم أنهم يقدون الحديث في المسألة، فإذا لم يجدوه تمسكوا بمرجح آخر من الاستدلال، ثم إذا ظهر عليهم الحديث تنكروا رجحوا من اجتهدوا في الحديث، فإذا كان الأمر على ذلك لا يكون عدم تمسكهم بالحديث قدحاً فيه، اللهم إلا

(١) فإن ذلك خبراً قويين في إسناده والأقرب في فضائل الاعتراض أن هذه الآية تنص على أن الوصية للورث تنص على منع الزيادة عليها في علم جيل الوصي بخير قواعد، قال لا وصية للورث

إذا بُشُوا الْعَلَّةُ فَفَادحة. مثاله: حديث القُتَيْن، فإنه حديث صحيح وروي بطرق كثيرة بعضها ترجع إلى أبي الوليد بن كثير عن محمد بن جهم عن ابن الزبير عن عبد الله - أو محمد بن عباد بن جعفر - عن عبيد الله بن عبد الله كلاهما عن ابن عمر، ثم تشعبت الطرق بعد ذلك. وعذان وإن كانا من النفاذ، فكنتهما لهما من وسد إليهم الفتوى وعزل الناس عنهم، فلم يصهر الحديث في عصر سعيد بن المسيب ولا في عصر الزهري، ولم يمش على السالكية ولا الحقيقة، فلم يعملوا به، وعمل به الشافعي.

وحدثني حيار المجلس: فإنه حديث صحيح وروي بطرق كثيرة، وعمل به ابن عمر وأبو هريرة من الصحابة، ولم يظهر على الفقهاء السمة ومعاصريهم. فلم يكونوا يقولون به، فرأى مالك وأبو حنيفة هذه هلة فادحة في الحديث، وعمل به الشافعي.

ومنها أن أقوال الصحابة جُمعت في عصر الشافعي، فتكثرت واختلفت وتشعبت، ورأى كثيراً منها يخالف الحديث الصحيح حيث لم يبلغهم. ورأى السلف ثم يزالوا يرجعون في مثل ذلك إلى الحديث، فترك التسلك بأقوالهم عما لم ينفقوا، وقال: هم رجال ونحن رجال.

ومنها أنه رأى غوماً من الفقهاء يخلطون الرأي الذي لم يسوغه الشرع بالقياس الذي أنشأه، فلا يميزون وحداً منها من الآخر، ويسمونه قارة بالاستحسان - وأعني بالرأي: أن ينصب مقلداً حرج أو مصلحة عنده لحكم - وإنما القياس أن تخرج العلة من الحكم المنصوص ويشار عنده بالحكم. فأبطل هذا النوع ثم طأ، وقال: من استحسن فإنه أراد أن يكون شارحاً، حكاه ابن الحاجب في (مختصر الأصول).

مثاله: رُشد النبي أمر غففي، فأقاموا مضنة الرشد - وهو يلوي خمس ومشرين سنة - مقامه. وقالوا: إذا بلغ النبي هذا العمر سَلَّمَ إليه مائة. وقالوا: هذا استحسان، والقياس ألا يسلم إليه.

وبالجملة: ثلثاً رأي^(١) في صنع الأوائل مثل هذه الأمور أخذ القفه من التراس، فأسس الأصول ومرتج القروج ومشت الكتب، فأعاد وأعاد، واجتمع عليه الفقهاء، وتصرّفوا اختصاراً وشرحاً واستدلالاً وتخرجاً، ثم تفرقوا في السداد، فكان هذا مذهباً للشافعي، والله أعلم.

❀ باب الفرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأي ❀

اعلم أنه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب وإبراهيم والزهري وفي عصر

(١) أي الشافعي.

مالك وسفيان وبعد ذلك، قوم بكم هذه الخرافة بالرائد وبهاون لعبا ولا تستنبطوا إلا
 ضرورة لا يحذرون منها بذلك، وكان أكثر منهم رواية حديث رسول الله ﷺ. مثل حديث أنه
 ابن مسعود عن شيء فقال: إني لأكره أن أحمل لك شيئا حرره الله عليك، أو أحرم ما أحله
 الله لك. يقال ساذج من جنس يا أيها الناس، لا تتعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فإنه لم ينفك
 المسلمون إذ يكبرون فيه من إنا مثل سواد. وروي نحو ذلك عن عمر وعلي وابن عباس
 وابن مسعود، في كراهة التكلم فيه لم ينزل. وقال ابن عمر لجابر بن زيد: إنك من تقها،
 البصرة، ولا تقاتل إلا قرائنا طلقوا أو سئنا ما حبسنا، فإنك إن فعلت غير ذلك فمكرك،
 ومهلكك. وقال أبو النصر: لما قدم أبو سلمة البصرة أتته أنا والحنين، فقال أحسن:
 أنت الحسن؟ ما كان أحد بالبصرة أحب إليّ قنأ منك، وذلك أنه بلغني أنك غفني برأيتك،
 فلا تفك، رأيك إلا أن يكون سئنا عن رسول الله ﷺ أو غريب منزل. وقال ابن المنكسر: إن
 العالم بدعي مما بين الله وبين عباد الله، فبطك، لثمة المخرج، وسئل الشعبي: كيف كنتم
 تصنعون في مثل هذه؟ قال: عن الخبير وقصد. كان إذا شئ الرجل قال لصاحبه: أفتهم،
 فلا يراد حتى يرجع إلى الأول. وقال الشعبي: ما حدثوك هؤلاء عن رسول الله ﷺ فخذ
 به، وما قالوه برأيه فآلته في الحش. أخرج هذه الآثار عن آخرها ندامي.

فوقع شيوع تدوير الحديث والآثر في بغداد الإسلام، وكتابة المصحف والنسخ، حتى
 قل من يكون من أهل الرواية إلا كان له تدوين أو صحيفة أو نسخة من حاجتهم لموضع
 عقلم، فطاف من أحرك من عقلاءهم ذلك الزمان بلاد القسطنطينية والفسطاط والعمارة، ومصر
 واليمن وغيرها، وحملوا الكتب، وشبعوا النسخ، وأمنوا في التفتيش عن عرب
 الحديث وفوائد الآثار، فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث والآثر ما لم يحتج لأحد
 قبلهم، وشك لهم ما لم يتيسر لأحد قبلهم، وخلص إليهم من ضروب الأحاديث شيء كثير،
 حتى كان يكثر من الأحاديث عندهم ما لا طريقتين فما قواها، فكشفت بعض الطرق ما استتر
 في بعضها الآخر، وعرفوا محل كل حديث من التزوير والاستضافة، وأمكن لهم النظر في
 الكتابات والنواهد، وظهر عليهم أحاديث صحيحة كثيرة لم تظهر على أهل الفتوى من
 قبل.

قال الشافعي لأحمد: أنتم أعلم بالأخبار، تصحروا هذه فلا تخذلوا خير صحيح
 فاعلموني حتى أذهب إليهم، كوفيًا كان أو مصريًا أو شاميًا، حكاية من الهمام، وذلك لأنه
 كم من حديث صحيح لا يرويه إلا أهل بلاد غاصية، كأفراد النسيين والمراغيين، أو أهل
 بيت لحمية، كتسعة بيد عن أبي بردة عن أبي موسى، ونسخة حمزة بن شعيب عن أبيه

عن جده، أو قد الصحابي مُقْبِلًا عداً لا ثم يخرج عن هذه إلا بترجمة قليلون، فمثل هذه الأحاديث يجعل عنها عامة أهل الفتوى. واحديث عندهم آثار قليلة كل ياد من الصحابة والتابعين، وكان الرجل فيما بينهم لا يتمكن إلا من جمع حديث بلد وأصحابه، وكان من قبلهم يعتمدون في معرفة أسماء الرجال ودرجات عدالتهم على ما يحضرون إياهم من مشاهير الرجال ونسب العوائل، وأمن هذه الطبقة في هذا الفن وبما يروونه شيئاً مستغلاً بقدرة من ربحته، وانظروا في الحكم بالصفة وغيرها، فكم كشف عليهم بهذا الثوب والمناظرة. كان خديفاً من حال الاتصال والانقطاع. وكان سميان روكيع وأمثالهما يعتمدون غاية الاجتهاد، فلا يسكتون من الحفريات المرفوعة بالنسب إلا من دون ألف حديث كما ذكره أبو داود السجستاني في رسالته إلى أهل مكة.

وكان أهل هذه الطبقة يروون أرويس آلاف حديث قد يذهب منها، بل صبح عن البخاري أنه اختصر صحيحه من ستة آلاف حديث، وعن أبي داود أنه اختصر سننه من خمسة آلاف حديث، وجمع أحمد مسنده ميزاناً يعرف به حديث رسول الله ﷺ، فما وجد فيه ولو بطريق واحد منه فله أصل، وإلا فلا أصل له، فكان رويس هؤلاء عبد الرحمن بن مهدي، وبخاري بن محمد لفظان، ويزيد بن هرون، وعبد الرزاق، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومسلم، ومعاذ وأحمد بن حنبل، وإسحق بن عمار، والفضل بن دكين، وعلي بن المديني وأقرانهم.

وهذه الطبقة هي السواك الأول من طبقات المحدثين، فراجع انه حقيقون منهم بعد إحصاء في الرواية ومعرفة مراتب الأحاديث إلى الفقه، فلم يكن عندهم من إراي أن يجمع على تقليد رجل ممن مضى مع ما يروون من الأحاديث والآثار التي عصبه في كل مذهب من تلك المذاهب، فأخذوا يتبعون أحاديث أبي يونس وآثار المدنية والتابعين والمجتهدين على قواعد أحكموها في تفوسهم، وأما أيها لك في كلت بيرة:

كان منهم أنه إذا روى في المسألة قرآن ناصح فلا يحوز التحول منه إلى غيره، إذا كان القرآن محضاً لوجوه قاضية عليه، فإذا لم يجدوا في كتاب الله أخذوا سنة رسول الله ﷺ، سواء كان مستنبطاً داخراً بين الغفهاء أو يكون مختصاً بأهل بلد أو أهل بيت أو بطريق خاصة، وسواء عمل به الصحابة واتفقوا أو لم يجمعوا به. ومن كان في المسألة حديث فلا يتبع عنها خلاف أثر من الآثار، ولا يجوز أحد من المجتهدين. وإذا فرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث وتم يحدو في المسألة حديثاً أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين، ولا يتبعون يقوم دون قوم ولا يلد دون بلد، كما كان يفعل من قبلهم، وإن تفرق جمهور الخلفاء والفتهاء على شيء فهو الصحيح، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أحببهم سداً وأروجهم ورعاً أو أكثرهم صلوا، ما اشتهر عنهم، وإن وجدوا شيئاً يستوي

فيه قولان فهي مسألة ذات قولين، فإن عجزوا عن ذلك، أيضاً تأمّنوا في حموات الكتاب والسنة وإيعاءاتها وانقضاء انقضاء وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب إذا كانت متقاربتين بإدبي الرأي، لا يمتنعون في ذلك على قواعد من الأصول ولكن على ما يخلص إلى الفهم ويتلج به العدم، كما أنه ليس ميران التواتر هذه الروايات، ولا حالهم، ولكن اليقين الذي يتبعه في قلوب الناس، كما نهيته على ذلك في شأن حال لصحابة، وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صحيح الأئمة وتفسيراتهم.

وعن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخضم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياء خرج فقال المسلمين وقال: أنا في كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بشيء؟ فربما اجتمع إليه الأمر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه أهواء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فيها من يحفظ على سنة، فإن أعياء أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جميع رؤوس الناس ويخبرهم فاستأذنهم، فإذا احتج رأيهم على أمر قضى به.

وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب إليه: إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلتفت عن الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد فلتك فاعتز أي الأمرين شئت: إن شئت أن تستهد برأيك ثم تتقدم فتقدم، وإن شئت أن تأخو فتأخو، ولا أرى التأخر إلا حسراً لك. وعن عبد الله بن مسعود قال: أتى عينا وعمان لست نقضي ولنا هناك، لأن الله قد قدر من الأمر أن قد يُلغى ب نرون، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بعد في كتاب الله عز وجل، فإن جاء ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله ﷺ، فإنه جاء ما ليس في كتاب الله ولم يقض به رسول الله ﷺ فليقض بما قضى به الصحابون، ولا يقل: إني أخاف رأيي أرى، ولأن العلوم بين، والحلال بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، فادع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وكان ابن عباس إذا سئل عن أمر: فإن كان قول القرآن أحقر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخير به، وإن لم يكن نص أبي بكر وعمر، فإن لم يكن قال فيه رأيي. عن ابن عباس: أما تخافون أن تُعْلموا أن يخف بكم أن تفعلوا؟ قال رسول الله ﷺ وقال فلان؟ عن قتادة، قال: حدثت ابن سيرين رجلاً يحدث عن النبي ﷺ فقال الرجل: قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين: أحذرك عن النبي ﷺ وتفعل: قال فلان كذا وكذا؟ عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز أنه لا رأي لأحد في كتاب الله، وإنما رأي الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم

تعطى فيه سنة من رسول الله ﷺ. ولا رأي لأحد في سنة سنها رسول الله ﷺ عن الأعمش قال: كان إبراهيم يقول: ^(١) عن يساه، حدثته عن سبيع الزيات عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: من يهتد، فأخذ به عن النبي. جاءه دهر يسأله عن شيء، فقال: كان ابن مسعود يقول فيه قدا وكذا، قال: أخبرني أنت براك، فقال: ألا تجدون من هذا أخبرته عن ابن مسعود إسائي عن رأيي، وبني عندي أثر من ذلك، وأنه لأن اتقني بأعني أحد إلى من أن أخبرك بوني. أخرج هذا الآثار كلها بالمرس.

وأخرج الترمذي عن أبي السائب قال: كنا عند وكيع، فقال: لرجل ممن يظنني بأبي أنتم ^(٢) رسول الله ﷺ، ويقول أبو جعفر: هو شئ، قال الرجل: فإنه قد أوي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الإنصار مثله قال: رأيت وكيعاً غصب غصباً شديداً وقال: أقول لك: فإن رسول الله ﷺ، ونقول: قال إبراهيم؟ ما أحففت بأن تحسن ثم لا تخرج حساً تنزع عن نفسك هذا. وعن عبد الملك بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس ومنهم من قال: إنهم كانوا يقولون: ما من أحد إلا بعد ما يؤخذ من كلامه ويردود عليه إلا رسول الله ﷺ.

وبالجملة: فأنهم مهدوا، لثقة على هذه القواعد، فلهذا كان مسألة من المحدثين التي قالكم فيها من قبلهم ولبي وقعت في دماغهم إلا وجدوا فيها حديثاً مرفوعاً، متصلاً أو مرسلاً أو موقوفاً، صحيحاً أو حسناً أو صالحاً للاعتبار، أو رخصوا أكثر من أن يشرحوا أو سادوا الاختلاف، وأضاد الأمر. وفيه إيهام بالآحاد، أو مستنداً من عمدة أو يده أو انضمام، بشر أنه لهم العمل بالثقة على هذا الوجه، وكذا أعطتهم شيئاً وأوسعهم رواية وأعزهم حديث مرفوعاً وأعمقهم ثقة: أحمد بن محمد بن حنبل، ثم إسحق بن راهويج، وكان ترتيب الثقة على هذا الوجه يتوقف على جمع شيء كثير من الأحاديث والآثار، حتى قيل: أحمد بن حنبل يكتفي برجل مائة ألف حديث حتى يفتي قال: لا. حتى قيل: حسنة أمة، حديث؟ قال: أرحو كما في علمه تقتضي. ومراده الإثبات على هذا الأصل.

ثم أنشأ الله تعالى أوماً آخرى، فأرأوا أصحابهم قد كثروا فؤاداً جمع الأحاديث ونهتد النفع على أصنافهم، ففرغوا لثرون أخرى، كتببب الحديث، لمصحيح المجمع عليه بين كبار أهل الحديث. كرك، بن مروي، وحيي بن سبت القطان، وأحمد، وإسحق، وأصحابهم،

(١) أبو العتق عن بعض الأسماء، والأغنية واحدة الألفي.

(٢) الإصعلا (بضم الصاد) في صفحة ستام يهدي من كتاب الأمير بديعة حتى يتألف ملام خلافة، والثقة حجاج الأندلس أو أكثر في شيء من الأسماء. (وإذا تأمل الإصعلا على شيء، فثقة إن قال على وجه يحدث منه ذلك الحديث، ولا فهو).

وكجميع أحاديث لفقه التي، بر، عليها فقهاء الأمصار وعلماء البلدان مذاهبيهم، وكان الحكم على كل حديث بما يستحقه، وكذلك الفوائد والفائدة من الأحاديث التي لم يرووها، أو طرفها التي لم يخرجوها من جهتها الأولي، مع فيه اتصال، أو علو سند، أو رواية فقه عن فقه، أو حافظ عن حافظ، ونحو ذلك من المطالبات العلمية. وهؤلاء هم البخاري، ومسلم، وأبو داود، وعبد بن حميد، والدارمي، وابن ماجة، وأبو يعلى، والترمذي، والنسائي، وإنداقطني، والحاكم، والبيهقي، والخطيب، وإندلسي، وابن عبد البر وأمثالهم. وكان إسماعيل عالماً عندي وأغصهم تصنيفاً أشهرهم ذكر رجال أربعة متقاربون في العصر:

أولهم أبو عبد الله البخاري. وكان غرضه تجريد الأحاديث الصحاح المستنبضة المتصلة من غيرها، واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها، فكتب جامعاً لصحيح، ووثق بما شرط. وبلغنا أن رجلاً من الصالحين رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول: أما لك استغلت يفقه محمد بن إدريس وترك كتابي؟ قال: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: «صحيح البخاري».

والمعري إنه نال من الشهرة والتبول درجة لا يرام فوقها.

وثانيهم مسلم النيسابوري. تولى⁽¹⁾ تجريد الصحاح، لمجمع عليها بين السعديين المتصلة المرفوعة بما يشيط منه السنة، وأراد تقريبها إلى الأذهان وتسهيل الاستنباط منها. فرتب ترتيباً جيداً، وجمع طرق كل حديث في موضع واحد؛ لينتفع باختلاف المتن، وتشتب لأسياد أصرح ما يكون، وجمع بين المستقلات فلم يدع لمن له معرفة كان العرب عذراً في الإعراض عن السنة إلى غيرها.

وثالثهم أبو داود النجستاني. وكان منه جمع الأحاديث التي استدل بها الفقهاء ودارت فيهم رينى عليها الأحكام علماء الأمصار، فصنّف سنته، وجمع فيه الصحاح والحسن والليس والمصالح للعمل. قال أبو داود: ما ذكرت في كتابي حديثاً أحصح الناس على تركه. وما كان منها ضعيفاً صرح بضعفه، وما كان فيه علة يتيها بوجه يعرفه الخافض في هذا الشأن، وترجم على كل حلت بما قد استنبط منه عالم وتعب إليه ذاهب، ولذلك صرح الغزالي وغيره بأن كتابه كفي للمجتهد.

ورابعهم أبو عيسى الترمذي. ركّنه استحسن عريفة الشبهين: حيث يتيها وما أبيها، وطريقة أبي داود: حيث جمع كل ما ذهب إليه ذاهب، فجمع كذا الطريقتين وزاد عليهما بيان مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، فجمع كتاباً جامعاً واختصر طرق الحديث

(1) قصد.

اختصاراً لطيفاً، فذكر راحداً وأوماً إلى ما عداه، ويشرُّ أمرٌ كثر حديث من أنه صحيح أو حسن أو ضعيف أو منكرو، ويشرُّ وجه الضعف، ليكون الطالب على بصيرة من أمره فيعرف ما يصلح للاعتبار وما لا، وذكر أنه مستفيض أو غريب، وذكر مذاهب الصحابة وفقهاء الأمصار، وسأل من يحتاج إلى التسمية، وكثي من يحتاج إلى التكنية، ولم يزع خفاء تبيين هو من رحمة العلم، ولذلك يقال: إنه كافٍ للمجتهد مُعَرِّفٌ للمقلد.

وكان بلزاه هؤلاء في عصر مالك وسفيان وبعدهم فورم لا يكرهون المنازل ولا يهابون الثغيا، ويقولون: على الفقه ساء الذين، فلا بد من إحصاءه، ويهابون رواية حايث رسول الله ﷺ وترويع أبيه، حتى قال الشعبي: على من دون النبي ﷺ أحب إلينا، قد كان فيه زيادة أو نقصان كان على من دون النبي ﷺ. وقال إبراهيم: أقول: قال عبد الله وقال علقمة: أحب إلينا. وكان ابن مسعود إذا حدث عن رسول الله ﷺ ثرثا وجهه^(١) وقال: مكفأ أو نحو هكذا ونحوه. وقال عمر حين بعث رجلاً من الأنصار إلى الكوفة: إنكم تأتون الكوفة، فتأبون قوماً نهم أزي،^(٢) بالقرآن، فيأبونكم يقولون: قدم أصحاب محمد قدم أصحاب محمد. فيأبونكم بمألونكم عن الحديث، فأقبلوا الرواية عن رسول الله ﷺ. قال ابن عيون: كان الشعبي إذا جاء شيء اتقى، وكان إبراهيم يقول ويقول: أخرج هذه الآثار التوامي.

فوقع تدوين الحديث والفقه والمنازل من حاجتهم بموقع من وجه أمر، وذلك أنه لم يكن عندهم من الأحاديث والآثار ما يقارون به علم، استنبط الفقه علم، الأصول التي اختارها أهل الحديث، ولم تشرح صدورهم للنظر في أقوال علماء البيان وجمعها والبحث عنها، واتهموا أنفسهم في ذلك، وكانوا اعتقدوا في أنفسهم أنهم في الدرجة العليا من التأصيل، وكان قلوبهم أمين شيء إلى أصحابهم، كما قال علقمة: هل أحد منهم أثبت من عبد الله؟ وقال أبو حنيفة: إبراهيم أفقه من مالك، روي فضل التسمية فثبت: علقمة أفقه من ابن عمر، وكان عندهم من الفطانة والحديث وسرعة انتقال الذهن من شيء إلى شيء ما يقدرين به على تخرج جواب المسائل على أقوال أصحابهم، وكلُّ مَنَسُو لما خلق الله.

(كُلُّ جَزِيرٍ بِمَا تَجِبُهُ قِيَمَتُهُ) [مؤوم: الآية ٧٩].

فمُتَّبِعُوا الفقه على قاعدة التخرج، وذلك أن يحفظ أن أحد كتاب من هو لسان أصحابه وأخبرهم بأقوال القوم وأصبحهم نظرًا في الترمييز، مبتأس في كل مسألة وجه الحكم، فكما سُئِلَ عن شيء أو احتج إلى شيء، رأى فيما يحفظه من تفسيرات أصحابه،

(١) أي صورته. (٢) أي صورته.

(٣) أي تغير.

فإن وجد الحواشي فيها ولا نظر إلى عموم كلامهم تأخرنا على هذه الصورة، أو إشارة نسبية لكلام فاستنبط منها، وربما كان لبعض الكلام إيماء أو قضاة بينهم المقصود، وربما كان للمألف المصريح بها نظير يحمل عليها، وربما نظروا في علة التحكم المصريح به التخييع أو ليس والحذف تأدروا حكمه على غير المصريح به، وربما كان له كلامان لم اجتماعاً على هيئة انقياس الاقترني أو الشرطي أثناء جواب المسألة، وربما كان في كلامهم ما هو معلوم بالنسبة والقسمة غير معلوم بالعدد الجامع المانع، فيرجعون إلى أهل الشأن، ويتكفون في تحصيل ذواته وترتيب حد جامع مانع له، ويصط بهمه وتعمير مثلك، وربما كان كلامهم محتملاً يوجهين فينبطون في ترحيب أحد المحتملين، وربما يكون تقريب الدلائل خفياً فينبطون ذلك، وربما استدل بعض المحررين من فعل أنهم وسكتهم ونحو ذلك. فهذا هو التخييع، ويقال له: القول السراج لفلان كذا، ويقال على مذهب فلان، أو: على أصل فلان، أو: على قول فلان جواب المسألة كذا وكذا، ويقال لهذا: المجتهدون في الطهيب. وعنى هذا الاجتهاد على هذا الأصل من قال: من حفظ البوط كان مجتهداً، أي وإن لم يكن له علم برواية أصلاً ولا بحديث واحد، فوقع التخييع في كل مذهب وكثر، نأى مذهب كان أصحابه مشهورين بربط إليهم القضاء والإنشاء، واشتهر تصاليفهم في الناس، ودرسوا درساً ظاهراً انتشر في أقطار الأرض، ولم يرب ينتشر كثر حين، رأي مذهب كان أصحابه حامليين لم يؤثروا القضاء وإنشاء وتم يرضب فيهم الناس اندرس بعد حين

❦ باب حكاية حال الناس قبل المائة الرابعة وبعدها ❦

اعلم أي الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير محمدين على التقابل الخالص لمذهب واحد بعينه. قال أبو طالب المكي في [قوت القلوب]: أن نكتب والمجتمعات محدثة، والقول بمقالات الناس والنسب بمذهب الواحد من الناس، وتتخذ قولاً والحكمة له من كل شيء، والتفتة على مذهب - ثم يكن الناس قديماً على ذلك في القرنين الأول والثاني أسهى.

أقول: ربح القرنين حدث فيهم شيء من التخييع، غير أن أهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص علم مذهب واحد، والتفتة له والحكاية لقوله، كما يظهر من النسخ، بل كان فيهم انقسام وانتماء وكان من حيز العامة أنهم كانوا في انقسامات الإجماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أو جمهور المجتهدين لا يقدرون إلا صاحب الشرع، وكانوا يتعلمون صفة توصي، والغسل والحلابة والزكاة ونحو ذلك من إياتهم أو معلمين بلدانهم، فينبطون حسب ذلك. وإذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها أي كتب وجدوا

من غير تعيين مذهب. وكان من حبر الخاصة أنه كان أهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث، فيخلص إليهم من أحاديث النبي ﷺ وكثر الصحابة ما لا يحتاجون معه إلى شيء آخر في المسألة، من حديث مستفيض أو صحيح قد عمل به بعض الفقهاء، ولا عذر لتأنيدهم، أو أقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتها، فإن لم يجد⁽¹⁾ في المسألة ما يطمئن به قلبه، لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك، رجع إلى كلام بعض من مفسر من الفقهاء، فإن وجد قولين اختار أو ثقتهما، سواء كان من أهل السنة أو من أهل الكوفة، وكان أهل التخرج منهم يخرجون مما لا يجدونه مصرحاً، ويجتهدون في المذهب، وكان هؤلاء يُنسبون إلى مذهب أحدهم فيقال: فلان شافعي. وفلان حنفي، وكان صاحب الحديث أيضاً قد يُنسب إلى أحد المذاهب لكثرة موافقته له، كالنسائي والبيهقي ينسبان إلى الشافعي، فكان لا يولى القضاء ولا الإفتاء إلا مجتهد، ولا يسمى الفقيه إلا مجتهداً.

ثم بعد هذه القرون كنن ناس آخرون ذهبوا بسيناً وشمالاً، وحدث فيهم أمور، منها انجهد والخلاف في علم الفقه. وتفصيله على ما ذكره الفزاري: أنه لما انقرض عهد الخلفاء الراشدين المهديين أمضت الخلافة إلى قوم ثوئوها بنير استحقاق ولا استئلال بعلم الفتاوى والأحكام، فاضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع حوزاتهم، وقد كان بقي من العلماء من هم مستمر على انطوائهم الأولين وملازم صفو الدين، فكانوا إذا طُلبوا هربوا وأعرضوا، فرأى أهل تلك الأعصار عن العلماء وإقبال الأئمة عليهم مع إعرضهم، فاشترأبوا بطلب العلم تروصاً إلى نيل المزدك الجاه، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبيين، وبعد أن كانوا أمزة بالإعراض عن السلاطين أدلة بالإقبال عليهم، إلا من وثقه الله.

وقد كان من قبلهم قد حشنت الناس في علم الكلام وأكثروا القول والقبل والإيراد والجواب وتعميد طريق المجدل، فوقع ذلك منهم بموقع من قبل أن كان من الصدور وأسلوبك من مالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رحمه الله، فترك الناس الكلام وفتون النسم. وأقبلوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة رحمه الله على الخصوص، وتساخروا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد بن حنبل وغيرهم، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتعميد أصول الفتاوى، وأكثروا فيها التصانيف والامتنعاطات، ورثبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرين عليه إلى الآن، ولست أدري ما الذي فُكر الله تعالى فيما بعدها من الأعصار انتهى حاصله.

ومنها أنهم اطمأنوا بالتقليد، وحب المثقيد في صدورهم ذنب الثعلب وهم لا شعرون، وكان سبب ذلك نزاحم الفقهاء ونجادهم فيما بينهم، فإنهم لما رقت فيهم الراحة في الفتوى كان كل من أفتى بشيء يرقص في فتواه ورؤد عنه، فلم ينقطع الكلام إلا مسجور إلى تصريح رجل من المتضادين في المسألة.

وأيضاً جور القضاة، فإن القضاة لما جاز أكثرهم ولم يكتروا أثناءه، لم يقبل منهم إلا ما لا يربب إجماع فيه، ويكون شيئاً قد قيل من قبل.

وأيضاً جهل رؤوس الناس، واستغناء الناس من لا علم له بالحديث ولا بطريق التخریج، كما ترى ذلك ظاهراً في أكثر المتأخرين، وقد نبه عليه ابن الهمام وغيره، وفي ذلك الوقت يسمى غير المجتهد فقيهاً.

ومنها أن أتوا أكثرهم على العمقات في كل فن، فممن من زعم أن يؤسس علم أسماء الرجال وسمرته مراتب الحجج والتعديلات ثم خرج من ذلك إلى التاريخ قديمه وحديثه، وممن من تخاصن عن أوادر الأخبار وغرائبها وإذا دخلت في حد الموضوع، ومنهم من كثر القيل والقال في أصول الفقه واستنبط كل لأصله قواعد جلية، فأورد ما ينقص وأجاب وينقص وعرفه ونظم فحوز، خزل الكلام تارة وتارة أخرى اختصر، ومنهم من ذهب إلى هذا بترغص الصور المتبعة التي من حقها ألا يتعرض لها حاشيء، وينحصر في العمومات والإحصاءات من كلام المخرجين فمن دونهم مما لا يرتضي استماعه عالم ولا جاهل.

وفي هذا الجدل والخلاف والتعمق قربة من الفتنة الأولى، حين شاجروا في الملك وانصر كل رجل لصالحه، فكما أعقب تلك منكاً عضواً ووقائع صماء عمياء، فكذلك أعقب هذه جهلاً واختلاطاً وشكوكاً وريباً ما لها من أوجاء، فنشأت بعدهم فروع على التقليد الصرف لا يميزون الحق من الباطل ولا الجدل عن الاستنباط، فالفقيه يومئذ هو الثنار⁽¹⁾ المشتبك الذي حنق أفراس الفقهاء فوقها وشعرها من غير تمييز، وشرد⁽²⁾ ينقشقه شديده⁽³⁾، والمحدث من حد الأحاديث صحيحها وسقيبه⁽⁴⁾ وهذا الأسرار

(1) فائز من غشوة وهي كثرة الكلام وتزبيده، أي: الذي يكثر الكلام تكلفاً وغشواً عن الحق، ويستشلق في الكلام بلا احتياط.

(2) أي حكاها.

(3) ششقة بالكسر، الجدة السمرية التي يفرجها الجمل من برفه، ويقال للتطبيق: إن ششقه واششقه جندب لعم.

(4) أي: تنظم بغير مدلول.

بقوة لمبيد. ولا أقول: كان ذلك كلياً مطرماً، فإن لله طائفة من عباده لا يضرهم من خذلهم، وهم شجرة الله في أرضه وإن ذلوا. ولم يأت قرآن بعد ذلك إلا وهو أكثر ذلّة وأقرب نصباً وأشدّ انزعاجاً للأمانة من حدود الرجال، حتى اطمأنوا بترك الخوض في أمر الدين وبأن يقولوا: ﴿إِنَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَنُذُرًا وَإِنَّا عَلَى الْكَافِرِينَ مُتَحَدِّثُونَ﴾ [مذحج: ١٠٦] وإلى الله المشتكى وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان.

❁ فصل ❁

ومما يناسب هذا المقدم التنبيه على مسائل ضلّت في برادها الأنعام، وزلت الأقدام، وطمت الأقدام:

منها: أن هذه المذاهب لأرسله المدونة لمحروقة قد اجشعت الأمة - أو من يعتد به منها - علم - جواز تقليدها إلى يومنا هذا، وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى، لا سيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جدّاً، وأشرت النفوس الهوى وأعجب كل ذي رأي برأيه، فما ذهب إليه ابن حزم حيث قال:

«التقليد حرام، لا يحل لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله ﷺ ولا برهانه، لقوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ إِذَا تَوَلَّى سُبُوطَهُ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُ يَحْتَكُم بَيْنَهُم بِالْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا إِنَّا نَسْتَعِينُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ الْهَادِيَ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وذلك مادحاً لمن له يكلد.

﴿فَمَنْ عَادَ ۖ﴾ الآية ﴿يَتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَيُطِيعُوا آيَاتِهِ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ أُولَئِكَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ إِلَهُكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ أُولَئِكَ ۖ﴾ [البقرة: ١٧٦].

فلم يبيح الله تعالى الرد عند التنازع إلى أحد دون القرآن والسنة، وحرم بذلك الرد عند التنازع إلى قول قائل، لأنه غير القرآن والسنة، وقد صح إجماع الصحابة كنهم أولهم عن آخرهم، وإجماع التابعين أولهم عن آخرهم، على الامتناع والمنع من أن يقصد منهم

(١) (ما) مبتدأ، خبره قوله فيما يأتي: وما يمتنع فيمنع له غروب من الإجماع المسطحة الثانية المسطر الحادي عشر.

أحد، إلى قول إنسان منهم أو ممن قباهم فيأخذ كله، فليقدم من أخذ بجميع أقوال أبي حنيفة أو جميع أقوال مالك أو جميع أقوال الشافعي أو جميع أقوال أحمد رضي الله عنهم، ولم يترك قول من أشع منهم أو من غيرهم إلى قول غيره، ولم يعتمد على ما جاء في القرآن والسنة غير صارف، ذلك إلى قول إنسان بعينه أنه قد خالف إجماع الأمة كلها أولها من آخرها، يفتن لا إشكال فيه، وأنه لا يجد لنفسه سلفاً ولا إنساناً في جميع الأعمار المصنوعة الثلاثة، فقد اتسع غير سائر المؤمنين عوداً بالله من هذه المخرطة.

وأيضاً، فإن هؤلاء الفقهاء كلهم قد نهوا عن تقليد غيرهم، فقد خالفهم من قلدهم، وأيضاً فما الذي جعل رجلاً من هؤلاء أو من غيرهم أولى أن يُقلد من عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب أو ابن مسعود أو ابن عمر أو ابن عباس أو عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهم؟ فلو سأل^(١) التعبد لكل واحد من هؤلاء أحق بأن يُسج من غيره؟ انتهى^(٢).

إنما يتبين له صرب من الاجتهاد ولو في مسألة واحدة، وبين ظهر عليه ظهوراً بيئاً أنه النبي ﷺ أمر بكذا ونهى عن كذا، وأنه ليس بمسوخ، إما بأن ينتزع الأحاديث وأقوال المخالف والموافق في المسألة فلا يجد لها نسخاً، أو بأن يرى جمعاً كثيراً من المشكرين في العلم يدهشون إليه، ويرى انشغال له لا يحتاج إلا بقياس أو استنباط أو نحو ذلك، فحينئذ لا سبب لمخالفة حديث النبي ﷺ إلا اتفاق خفي، أو حلق جلي.

وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام حين قال: ومن اعجب العجيب أن الفقهاء المقلدين ينف أحدهم على شخص ما أخذ إمامه بحيث لا يجد لضيقه مدفعاً، وهو مع ذلك يُقلده، ويترك من شهد الكتاب والسنة والأئمة بالصحة إمامهم، جموداً على قدود إمامه، بل يتخيل لنفع ظاهر الكتاب والسنة، ويشأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة فضلاً^(٣) عن مُقَدِّمِهِ.

وقال: لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تعييد لمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين، إلى أن ظهرت هذه المذاهب وتمتعوها من المقلدين، فإن أحدهم يتبع إمامه - مع يُقَدِّم مذهب عن الأدلة - مُقلِّداً له فيما قال كأنه نبي أرسل، وهذا ثأني عن الحق ويُنْزَعُ عن الصواب لا يرضى به أحد من أولي الأنساب.

وفار الإمام أبو شامة: ينبغي لمن اشتغل بالفقه ألا يقتصر على مذهب إمام، ويعتقد في كل مسألة صحة ما كان أقرب إلى دلالة الكتاب والسنة والجماعة، وذلك سهل عليه إذا كان أكثر معظم العلوم المجتعة، وليجنب التعصب والنظر في فرائق الخلاف المتأخرة،

(١) أي خلا.

(٢) أي كلام ابن هدم.

(٣) أي سلفاً.

فإنها مضمومة للزمان ولضيقه مكثرة، فقد صح عن الشافعي أنه نهى عن تقليده وتقليد غيره.

قال صاحبه المزمعي في أول مختصره: اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معني قوله، لا يترك به حلي من أراد، مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره، ليظهر فيه أنه يهتبه وسنطاق نفسه. أي: مع إعلامي من أراد علم الشافعي نهى الشافعي عن تقليده وتقليد غيره. انتهى.

ويمكن بكون عامياً ويقلد رجلاً من الفقهاء بعينه ويرى أنه يستحق من مثله الخطأ وإن ما قاله هو الصواب لينة وأهسر في فقيهه إلا يترك تقليده وإن ظهر الدليل على خلافه، وذلك ما رواه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته - يعني رسول الله ﷺ - يقول:

﴿لَمَّا كُنْتُمْ أَهْلَ مَنْزِلِكُمْ وَرَبَّيْتُمْ لَوْ كُنْتُمْ بِرَأْيِكُمْ شَيْئاً لَمَّا كُنْتُمْ أَهْلَ مَنْزِلِكُمْ﴾.

قال: «لأنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه».

رئيس لا يجوز أن يستثنى الحنفى مثلاً فقيهاً شافعيًا وبالعكس، ولا يجوز أن يقتضي الحنفى إمام شافعي مثلاً، وإن هذا قد حائف إجماع القرون الأولى، وانقضى الصحابة والتابعين، وليس مجله⁽¹⁾ فمعن لا يلزم إلا بقول النبي ﷺ، ولا يعتد خلافاً إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حراماً إلا ما حرم الله ورسوله، ولكن لما لم يكن له علم بما قاله النبي ﷺ ولا بطريق الجمع بين الميخلفات من كلامه ولا بطريق الاستنباط من كلامه، اتبع عالماً راشداً على أنه مصيب فيما يقول، ويقتي ظاهراً متبعاً من رسول الله ﷺ، فإن خالف ما يفتي ألق من ساعته من غير جدال ولا إصرار، فهذا كيف تنكر، أحد مع أن الاستفتاء والإفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي ﷺ، ولا فرق بين أن يستفتى هذا دائماً أو يستفتى هذا حيناً وذلك حيناً بعد أن يكون مجيباً على ما ذكرناه، كيف لا، ولم يؤمن بفتي أبيه كان أنه أوحى الله إليه الفتى وفرصه عليها طاعته، وأنه معصوم، فإن اقتلنا بواحد منهم فذلك تعلمنا بأنه عالم بكتاب الله ورسوله، فلا يخفى قوله: إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة أو مستنبطاً عنهما بنحو من الاستنباط، أو حرف بالفرائض أن الحكم في ضرورة ما منوطه بعبئة كذا، وإطمأن قلبه بشك المعرفة، ففاس غير المستصحب على المستصحب: فكانه يقول: طئنت أن رسول الله ﷺ قال: قلنا وجدت هذه الآية فالحكم لنا هكذا، والمفسر متزوج في هذا المصوم. فهذا أيضاً ما يروي⁽²⁾ إلى النبي ﷺ، ولكن في طريقه ظنون، وتوالت تلك لما قلنا مؤمن بمحدثه، فإن باء: حديث من الرسول المعصوم،

(1) أبو: قول ابن حزم.

(2) أي منسوبة.

الذي فرض الله علينا طاعته، بسند صحيح يذكّر عن خلاف مذهبه، ونكرنا حديثه وأثبتنا ذلك الخميني فمن أظلم منا؟ وما عدونا يوم يقوم الناس لرب العالمين؟.

ومنهذا أن التذخريج على كلام الفقهاء، رتب لفظ الحديث، نكل منها أصل أصيل في الحديث، ولم يزل المحققون من العلماء في كل عصر يأخذون بهد، فمنهم من يقل من ذا ويكثر من ذلك، ومنهم من يكتب من ذا ويقل من ذلك، فلا ينبغي أن يعمل أمر واحد منهما بالمرّة كما يفعله عامة التفرّيقين، وإنما الحق البحث أن يطبق أحدهما بالآخر، وأن يُتخَرَجَ حُكْلٌ كُلُّهُ بِالْأُخَرِ، وذلك قول الحسن البصري: سنكم - والله الذي لا اله إلا هو - بهما، بين العالي والخاص، فمن كان من أهل الحديث ينبغي أن يعرض ما اختاره ويذهب إليه على رأي المجتهدين من التابعين، ومن كان من أهل التذخريج ينبغي له أن يحمل من السنن ما يحتج به من مخالفة التصريح الصحيح ومن القوّن برأيه فيما فيه حديث أو أثر بقدر الطائفة.

ولا ينبغي لتحدث أن يضمن بالقواعد التي أحكمها أصحابه رابست مما يصح عليه التشارع، فبذلك حديثاً أو نياً صحيحاً، كرد ما فيه أكثر شائبة الإرباب والانتطاع، كما فعله ابن حزم: رد حديث تحريم المعازف الشاذية بالانتطاع في رواية البخاري، على أنه في نفسه متصل صحيح، فإن منه إنما يشار إليه عند التعارض، وكتبتهم: فلان أحفظ لحديث فلان من غيره، فيرجحون حديث على حديث غيره لذلك، وإن كان في الآخر ألف وجه من الترجيحان.

وثان اعتناء جمهور الرواة عند الرواية بالمعنى - برؤوس المعاني دون الاعتبارات التي يعرفونها - المتعمقون من أهل العربية فكان استدلالهم بنحو الفاء والواو وتقديم كلمة وتأخيرها ونحو ذلك من التعمق. وكثيراً ما يغير الراوي الآخر عن تلك القصص، فيأتي مكان ذلك الحرف بحرف آخر. والحق أن كل ما يأتي به الراوي فظاهره أنه كلام النبي ﷺ، فإن ظهر حيث آخر أو دليل آخر وجب التصحيح إليه.

ولا ينبغي للتذخريج أن يخرج قولاً لا يبيده نفس كلام أصحابه، ولا يفهمه منه أهل الحرف والعلماء باللفظ، ويكون بناء على تخريج مناهج أو حمل نظير المسألة عليها مما يختلف فيه أهل الوجوه وتتعارض فيه الآراء، ولو أن أصحابه شئوا عن سنك المسألة ربما يحملون انظير على النظر لما، وربما ذكروا علة غير ما حرجه هو. وإنما جاز التذخريج لأنه في الحقيقة من تقليد المجتهد، ولا يتم إلا بعدا بفهم من كلامه، ولا ينبغي أن يردّ حديث أو أثر تطابق عليه أقوم لقاعدة، منخرجها هو أو أصحابه: كرد حديث المنصورة وكاسقاط سهم ذوي القربى، فإن رعاية الحديث أوجب من رعاية تلك القاعدة المستحجة.

وليس هذا السني أشار الشافعي حيث قال: «حيثما كنت من قول أو أشك من أصل فلتبع من رسول الله صلى الله عليه وآله خلاف ما كنت» فالقول بانه رطل.

ومنها أن تتبع الكتاب والأثر^(١) لمعرفة الأحكام الشرعية على مراتب:

أولها: أن يحصل له من معرفة الأحكام بالفعل أو بالقوة القريبة من الفعل ما يتمكن به من جواب المسئلتين في الوقائع غالباً بحيث يكون جواب أكثر مما يتوقف فيه، وتخصراً^(٢) باسم الاجتهاد.

وهذه الاستعداد يحصل:

أولاً بالإيمان في جمع الترويات وتبني الشادة والقادة منها: كما أشار إليه أحمد بن حنبل، مع ما لا يفكك منه العاقل المعارف باللغة من معرفة مواقع الكلام، وصاحب العلم بأكثر السلف من طريق الجمع بين المختلفات وترتيب الاستدلالات ونحو ذلك.

ثانياً بإحكام طرق التخرج على مذهب شيخ من مشايخ نفسه، مع معرفة جماعة صالحة من السن والأثر بحيث يعلم أن قوله لا يخالف الإجماع. وهذه طريقة أصحاب التخرج.

وأوسطها من كل الطريقتين أن يحصل له من معرفة القرآن والسنة ما يتمكن به من معرفة رؤوس مسائل الفقه المجمع عليها بأصولها التفصيلية، ويحصل له غاية العلم ببعض المسائل الاحتشادية من أدلتها، وترجيح بعض الأنوال على بعض، وفقد التخریجات ومعرفة الجيد والرفيد، وإن لم يتكامل له الأدوات كما يتكامل للمجتهد، فمطلق فيجوز له مثله أن يلتزم من المذهبين. إذا عجز، دليلهما وعلم أن قوله ليس مما لا يتقد فيه اجتهاد المجتهد ولا يكفل فيه قضاء انقاضي ولا يجري فيه فتوى المفتين، وأن يترك بعض التخریجات التي سبق الناس إليها إذا عرف عدم صحتها ولهذا لم يزل العلماء ممن لا يدعي الاجتهاد المطلق يصنفون ويرتبون ويخرجون ويرجعون. وإذا كان الاجتهاد بجزء عند الجسور والتخرج بجزء، إنما المقصود تحصيل النظر وعمل به مزار التكليف، فما الذي يستبعد من ذلك؟

وأما دور ذلك من الناس، فلهذه فيما يرد عليه كثير^(٣) ما أخذه عن أصحابه وأئمة وأهل سنة من المذاهب الشيعة وفي الوقائع النادرة: تناهى عنه، وفي القضايا ما يحكم القاضي. وعلى هذا وجدنا معلمي العلماء من كل مذهب قديماً وحديثاً، وهو الذي وضع به أئمة المذاهب أصحابهم.

وفي (اليقين والجرح) أنه روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يقول: لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يقضي بكلامي. وكان رضي الله عنه إذا قضى يقول: هذا رأي النعمان بن ثابت - يعني نفسه - وهو أحسن ما فُتوا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالنصواب. وكان الإمام مالك رضي الله عنه يقول: ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ.

وروي الحاكم والبيهقي عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وفي رواية: إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحدث، واضربوا بكلامي الساحط. وقال يوماً للمزني: يا إبراهيم لا تقلدني في كل ما أقول، وانظر في ذلك بعينك، فإنه دين. وكان رضي الله عنه يقول: لا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ وإن كثروا، ولا في قياس ولا في شيء، وإن لم إلا طاعة الله ورسوله. انقسم وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: ليس تأخذ مع الله ورسوله كلام. وقال أيضاً لرحل: لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعي ولا الشافعي، ولا غيرهم، وعذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة.

ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا أن يعرف أقوال العلماء في الفتاوى الشرعية ويعرف مذهبهم، فإن سئل عن مسألة يجد أن العلماء الذين يتخذ مذهبهم قد اتفقوا عليه، ولا بأس بأن يقول: هذا جائز، وهذا لا يجوز، ويكون قوله على سبيل الحكاية، وإن كانت مسألة قد اختلفوا فيها فلا بأس بأن يقول: هذا جائز في قول فلان، وفي قول فلان لا يجوز، وليس له أن يختار فيجيب بقول بعضهم ما لم يعرف حجة.

وعن أبي يوسف وزفر وغيرهما رحمهم الله أنهم قالوا: لا يحل لأحد أن يقضي بقرينة ما لم يعلم من أين قلت. قيل لعصام بن يوسف رحمه الله: إنك تكثر الخلاف لأبي حنيفة رحمه الله قال: لأن ما حنيفة رحمه الله أربي من الفهم ما لم تؤت، فأدرك بفهمه ما لم تدرك، ولا يسهل أن أفتي بقوله ما لم تفهم. عن محمد بن الحسن أنه سئل: متى يحل للرجل أن يقضي؟ قال محمد: إذا كان صوابه أكثر من خطئه. عن أبي بكر الإسكافي البجلي أنه سئل عن عالم في بلد ليس هناك أعلم منه، هل يسهه إلا يقضي؟ قال: إن كان من أهل الاجتهاد فلا يسهه، قيل: كيف يكون من أهل الاجتهاد؟ قال: أن يعرف أصول المسائل، ويأخر أثره إذا خالفوه.

قيل: أدنى الشروط للاجتهاد حفظ الميسرة، انتهى⁽¹⁾.

(1) أي: درويش التي تفتك، عن القزويني والبيهقي.

وفي (البحر الرائق) من أبي الليث قال: سئل أبو نصر عن مسألة وردت عليه: ما تقول رجعت الله؟ وقعت عندك كتب أربعة: كتاب إبراهيم بن رستم، وأدب القاضي عن الخصائص، وكتاب المجرد، وكتاب التواتر من جهة هشام، هل يجوز لنا أن نفتي منها أو لا؟ وهذه الكتب محدودة عندك؟ فقال: ما صح عن أصحابنا فذلك علم محبوب مرغوب فيه مرضي به، وأما لغيتنا فإني لا أرى لأحد أن يفتي بشيء لا يفهمه، ولا يحمل أثقال الناس. فإن كانت مسائل قد اشتهرت وظهرت وانجلت عن أصحابنا رجوت أن يسع لي الاعتماد عليها وفيه أيضاً: لو احتجتم أو اغتاب فظن أن يفطره ثم أكل: إن لم يستفت فظن أن يفتي فأنه لا كفارة عليه، لأن العامي يجب عليه تقليد العالم (إذا كان يعتمد على فتواه، فكان معفوياً فيما صنع وإن كان لفتي مخطئاً فيما أفتى، وإن لم يستفت ولكن بلغه الخبر وهو نوله ﷺ: «أفطر لحاجه ولمحجوم، وقوله عليه السلام: «الغيبه تقطر للصائم» ولم يعرف الشيخ ولا تاريله، لا كفارة عليه عندهما، لأن ظاهر الحديث واجب العمل به، خلافاً لأبي يوسف، لأنه ليس للعامي العمل بالحديث لعدم علمه بالناسخ والمنسوخ. ولو لمس امرأة أو فلكها بشهوة أو اكتحل، فظن أن ذلك يفطره ثم أفطره، فظن أنه أفطر، إلا إذا استفتى ففتها فأنه أفطره، أو بلغه خبر فيه. ولو نوى الصوم قبل الزوال ثم أفطر لم يلزمه الكفارة عند أبي حنيفة رضي الله عنه، خلافاً لهما. كذا في (المحيط).

وتد علم من هذا أن مذهب الحنفي فتوى مفتية. وفيه أيضاً في باب قضاء الفوات: إن كان عامياً ليس له مذهب معين فعنده فتوى مفتية كما صرحوا به، فإن افتاء حنفي أعاد العصر والمغرب، وإن افتاء شافعي فلا يعيدهما، ولا عبرة براه. وإن لم يستفت أحداً أو صادف الصلوة على مذهب مجتهد أجزاء ولا إعادة عليه. قال ابن الصلاح: من وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبهم يُظن: إن كملت له آلة الاجتهاد مطلقاً أو في ذلك الباب أو المسألة كان له الاستقلال بالعمل به، وإن لم يكمل وشق مخالفة الحديث بعد أن يبحث فلم يجد للمخالفة جواباً شافعياً عنه، فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي، ويكون هذا علواً له في قرئته مذهب إمامه ههنا وحسنه النروي وقرره.

ومنها: أن أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء لا سيما في المسائل التي ظهر فيها أقوال الصحابة في الحائضين، كتكبيرات الشريق، وتكبيرات العيد، وتكاح المحرم، وتشهد ابن عباس وابن مسعود، والإعفاء باليسطة وبأمين، والإشضاع والإناء في الإقامة، ونحو ذلك، إنما هو في ترجيح أحد القولين. وكان السلف لا يختلفون في أصل المشروعية، وإنما كان خلافهم في أولى الأمرين، وتظيره اختلاف الفقهاء في وجوه القراءة. وقد علموا كثيراً من هذا الباب بأن النصحاءة يختلفون وأنهم جميعاً على الهدى،

وذلك لم يزل العلماء يجوزون فتاوى المهين في المسائل الاجتهادية، ويسلمون قضاء القضاة، ويمسكون بي بعض الأحيان بخلاف مذهبيهم، ولا ترى أئمة المذاهب في هذه المواضع إلا وهم يرضعون القول ويبسبون الخلاف، بقوله أحدهم: هذا أحرف، وهذا هو المختار، وهذا أحب إلي، ويقول: ما بلغنا إلا ذلك... وهذا كثير في المبسوط وأثار محمد رحمه الله وكلام الشافعي رحمه الله.

ثم خلف من بعدهم قوم معروفون بسلامة القوم، فتوزعوا للخلاف، وثبتوا على مختار ائمتهم، والذي يروي من السلف من تأكيد الأخذ بمذهب أصحابهم وألا يخرج منها بحال، فإن ذلك إما لأمر جلي، فإن كل إنسان يحب ما هو مختار أصحابه وقومه حتى في الرأي والسطاع، أو لصولة ناشئة من ملاحظة الدليل، أو لنحر ذلك من الأسباب، فظن البعض تعصياً دينياً، حاشاهم من ذلك. وقد كان في الصحابة والتابعين ومن بعدهم من يفرق المسئلة، ومنهم من لا يفرقها، ومنهم من يجهز بها، ومنهم من لا يجهز بها، وكأنه منهم من يقت في الفجر، ومنهم من لا يقت في الفجر، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرهاف والقيء، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من مس الذكر ومس النساء بشهوة، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ مما سته انتار، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الإبل، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك.

ومع هذا فكان بعضهم يعلني خلف بعض، مثل ما كان أبو حنيفة أو أصحابه والشافعي وغيرهم رضي الله عنهم يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم، وإن كانوا لا يقرؤن البسمة لا سرا ولا جهراً، وصلى الرشيد إماماً وقد احتجهم، فعلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يُعبد، وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاة والحجامة، فقبل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل تنسني خلفه؟ فقال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب. وروى أن أبا يوسف ومحمداً كانا يكبران في المدين تكبير ابن عباس، لأن هرون الرشيد كان يحب تكبير جدّه. وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله، فلم يقت نادباً معه، وقال أيضاً: ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق. وقال مالك رحمه الله للمختار وهرون الرشيد ما ذكرته عنه سابقاً. وفي النزاهة عن الإمام الثاني - وهو أبو يوسف رحمه الله - أنه صلى يوم الجمعة متحلاً من العدم، وصلى بالناس ونفرتوا، ثم أحبر بوجود فأرة مية في بئر الحمام فقال: إذا تأخذ يقول إخواننا من أهل المدينة: «إذا بلغ الماء ثلثين لم يحمل خبثاً»، انتهى. وسئل الإمام الخجندني رحمه الله عن رجل شافعي المذهب ترك صلاة من أو مستنيز، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة رحمه الله: كيف يجب عليه القضاء، أيقضيها

على مذهب الشافعي أو على مذهب أبي حنيفة؟ فقال: على أي المذهبين قضى بعد أن يعتقد جوازها جازاً، انتهى. وفي (جامع الفتاوى) أنه: إن قال حنفي: إن تزوجت فلانة فهي طالق ثلاثاً، ثم استغنى شافعيًا، فأجاب أنها لا تطلق ويعينه باطل، فلا يأمر باقتدائه بالشافعي في هذه المسألة، لأن كثيراً من تصحابة في جانبه. قال محمد رحمه الله في أماليه: لو أن قاضيًا قال لامرأته: أنت طالق البتة، وهو ممن يراها ثلاثاً، ثم قضى عليه قاضٍ بأنها رجعية، زينه المقام معها. وكذا كل فصل مما يختلف فيه الفقهاء من تحرير أو تحليل أو إعتاق أو أخذ مال أو غيره، يعني للفقهاء المقتضي عليه الأخذ بقضاء القاضي وادع رايه، ويكفر نفسه ما ألزم القاضي، ويأخذ ما أعطاه. قال محمد رحمه الله: وكذلك رجل لا علم له بتولي يدي، فسأل عنها الفقهاء فأفتوه فيها بحلال أو بحرام، وقضى عليه قاضي المسلمين بخلاف ذلك، وهي مما يختلف فيه الفقهاء، فيضحي أنه يأخذ بقضاء القاضي وادع ما أفتاه الفقهاء. انتهى.

ومنها: أنه وجدت بعضهم يزعم: أن جميع ما يوجد في هذه الشروح الطويلة وكتب الفتوى، الخاصة - وهو قول أبي حنيفة وصاحبه - ولا يفرق بين القول المتخرج وبين ما هو قول من الحقيقة، ولا يحصل معنى قولهم: على تخريج الكرخي كذا، وأعلى تخريج الطحاوي كذا، ولا يميز بين قولهم: قال أبو حنيفة كذا وبين قولهم: جواب المسألة على مذهب أبي حنيفة أو على أصل أبي حنيفة كذا، ولا يُعني إلى ما فاته المحققون من الحنفيين كتاب الهمام وبين النجيم في مسألة العشر في العشر، ومثله مسألة اشتراط البعد من الماء ميلاً في النسيم، ومثلهما - أن ذلك⁽¹⁾ من تخرجات الأصحاب وليس مطعياً في الحقيقة. وبعضهم يزعم أن بناء المذهب هو على هذه المحاورات الجدلية المذكورة في مبوط نسرخي والهداية والتبيين وتعو ذلك، ولا يعلم أن أول من أظهر ذلك فيهم المعتزلة، وليس عليه بناء مذهبيهم، ثم استطاب ذلك المعتزليون توسعاً وتشجيلاً لأنصار الطالبيين ولو غير ذلك والله أعلم.

وهذه الشبهات والشكوك يحل كثير منها مما مهدته في هذا الباب.

ومنها: أنه وجدت بعضهم يزعم: أن بناء الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله هو على هذه الأصول المذكورة في كتاب الزدوي ونحوه، وإنما الحق أن أكثرها أصول مخرجة على قولهم. وعندني: أن المسألة الثالثة بأن الخاص مبني ولا يلحقه لبيان، وأن الزيادة نسخ، وأن العام قطعي كالخاص، وأن لا ترجيح بكثرة الرواية، وأنه لا يجب العمل بحديث غير الفقهاء إذا اختلفت أبواب الرأي، وأن لا عبرة بمفهوم الشرط والوصف

(1) أي يزعم أن ذلك.

أصلاً، وأن موجب الأمر هو الوجوب البتة... وأمثال ذلك، هي أصول مخرج على كلام الأئمة، وأنه لا يصح بها رواية عن أبي حنيفة وصاحبيه، وأنه ليست المحافظة عليها والتكليف في جواب ما يرد عليها من حذع المتقدمين في احتياقاتهم - كما يفعله البرهزي وغيره - أحق من المحافظة على خلافها بالجواب عما يرد على.

مثاله: أنهم أقبلوا أن المتأخر ميسر ولا ينحصر لبيان، وخرجوه من صنيع الأوائل في قوله تعالى:

﴿ارْكَبُوا نَسُنَّ﴾ [فتح الآية 37].

وقوله **نَسُنَّ**: لا نتميز سلافة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود، حيث لم يتذكر غرابه الاطمئنان، ولم يحمله التحذير بدءاً للآية، فورد عليهم صيغهم في قوله تعالى:

﴿وَأَسْكَبُوا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: الآية 14].

ومسحه **نَسُنَّ** على رأسه، حيث حملوه بدءاً.

وقوله تعالى:

﴿الزَّيْنَةُ وَالزُّرِّيَّةُ﴾ [النور الآية 2].

وقوله تعالى:

﴿وَالْكَافِرِينَ وَالشَّارِقِينَ قَاقُضُوا﴾ [المائدة: الآية 38].

وقوله تعالى:

﴿مَنْ شِئْتَ تَتَّخِذْ مِنْهُمْ﴾ [يوسف: الآية 100].

وما لحقه من البيان بعد ذلك.

فتكلموا بالجواب، كما هو مذكور في كتبهم، وأنهم أقبلوا أن العام انعمى كالتخصص، وخرجوه من صنيع الأوائل في قوله تعالى:

﴿مَاقَرُونَا مَا نُحْسِنُ مِنَ الْفُرْقَانِ﴾ [العنكبوت: الآية 20].

وقوله **نَسُنَّ**: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، حيث لم يحملوه مخصصاً. وفي قوله **نَسُنَّ**: فيما سقت لعيون العشرة الحادثة، وتوله **نَسُنَّ**: ليس فيما بين خمسة أولي صدقة، حيث لم يخصوه به. . . ونحو ذلك من المراءى. ثم ورد عليهم قوله تعالى:

﴿فَاَسْكَبُوا عَلَى الْقَبْرِ﴾ [مذمومة: الآية 191].

وإما هو المشاء فما فوقه بيان النبي **نَسُنَّ**، فتكلموا في الجواب.

وأيضاً، أضادوا أن لا عبرة بمثلهم الشرط والوصف، وخرجوه من صيغهم في قوله تعالى:

ثم ورد عليهم كثير من ميثاقهم، فقولهم بطلان، فممن الإبل الصائمة وكذا، فتكلموا في الجواب، وأشبهوا أنه لا يجب العمل بحديث غير الصحيح إذا استدل به باب الرأي، وخرجوه من صانعهم في ترك حديث المصنف (٢) ثم ورد عليهم حديث الفقهية وحديث عدم نفاذ الخصم بالأكل ناساً، فتكلموا في الجواب، وأمثال ما ذكرنا كثيرة لا تعمى على الاستيعاب، ومن لم ينبع لا تكفيه الاشارة قدراً عن الاشارة، وتكفيك حيلة على هذا قول المحققين في مسألة (لا يجب العمل بحديث من اشتهر بالعيب والعلة دون المعقود إذا استدل باب الرأي) كحديث المصنف: أن هذا مذهب عيسى بن إبلان، واختاره كثير من المتأخرين. وذهب الكليني وتبعه كثير من العلماء إلى عدم اشتراط فقه الروي لبقائه الخبير على القياس، ولو لم يفتل هذا لقول عن أصحابه، بل لسفوف عنهم أن غير الواحد يفتقر على القياس، لا نرى لهم عملوا بحديث أبي هريرة في نكاحهم إذا كمل أو شربه نسباً وإن كان محالاً للقياس، حتى قال أبو حنيفة رحمه الله: لو لا الرواية لقلنا بالقياس، ويريدون أيضاً اختلافهم في كثير من التبرعات، أخذوا من ميثاقهم ورد بعضهم على بعض.

ومنها: أني وجدت أنا بعضهم يرون: أن هناك فرقاً لا ثالث لهما: أهل الظاهر وأهل الرأي، وأن كل من قاس واستنبط خبر من أهل الرأي.

ولا والله، بل ليس انفراد بالرأي نفس المذهب والمفعل، فإن ذلك لا يفتك من أحد من العلماء، ولا الرأي الذي لا يعتمد على سنة أصلاً، فإنه لا يفتكه مسلم أثبت، لا الفقيه على الاستنباط والقياس، فإن محمد وإسحق بن العباسي أيضاً ليسا من أهل الرأي بالاتفاق، وهم يستنبطون ويقنون، بل السواد من أهل الرأي: قوم تولىوها بعد السنان المجمع عليها بين المسلمين أو بين جمهورهم إلى تخرج من أهل رجل من المتأخرين، فكان أكثر منهم حمل الظاهر على الظاهر وأورد على أهل من الأصول دون تتبع الأحاديث والآثار.

والظاهر من لا يقول بالقياس ولا تأثير النصابة والمناجاة. كداود وابن سريج وبينهما المحققون من أهل السنة، فأحمد وإسحاق.

(١) هو من التصديقه، وهو حسن، لأن في معنى الإبل الصائم إشاع بكاء، معارها المشافهة والقدرة في التي يلعب بها تلك وحديث المصنف من الشروط شاة مسرفة فهو ملغول ثلاثة أيام ملاز وبعادها معها حاشاً من طعام لا سواد، انتهى، والبحث في ثبوت الظاهر، ورد لضعاف عند الشافعي، وبعدهما عند أبي حنيفة فذكر في كتب الأصول.

ولقد أُلِيبَ الكلامُ من هذا النظام عليه لإعطاء حتى خرجنا من الغي الذي وسعنا فيه هذا الكتاب، وليس ذلك لي خلق وديار، وإنما كان ذلك بوجهين

أحدهما أن الله تعالى جعل في نفسي وقتاً من الأوقات مبرأناً أعرف به سبب كل أحسن، وقع في السنة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، وما هو الحق عند الله بعد رسوله، ومكني من أدب قلت ما لا تلي لعقبة وسفلية بحيث لا يفي فيه شبهة ولا إشكال، صرحت على تكليف كتاب أسسه بهعاية الإقتضات في بيان أسباب الاختلاف وأبرز فيه هذه المطالب بياناً شافياً، وأكثر فيه من ذكر المروءة والأعداء والتشريعات مع المحافظة على الانحصار من الإفراط والتشريط في كل مقام، والإحاطة بحواشي الكلام وأصول المقصود والمراد، ثم لم أتفرغ له إلى هذا الحين، فلهذا سحر الكلام يؤول إلى الاختلاف، حسبي ما أجد من أن اثنين بعض ما يثير من ذلك.

والثاني شغب أهل زمان واختلافهم وتعميم في بعض ما ذكرنا حتى كانوا يصفون بالذين يتلون عليهم آيات الله، **(وَيُنَادُوا بِرَبِّهِمْ أَتَمْنَوْنَ غُلًّا مَعَهُمْ)** الآية 102.

ولكن هذا أمر ما أردنا برده في القسم الأول من كتاب زجاجة الله إلى العالمين، من علم أسرار الحديث وحججه أولاً وأخيراً، وإظهاراً وباناً، وبالله إلهنا الله تعالى لقسم الثاني من باب، معاني ما جاء عن النبي ﷺ تفصيلاً.



القسم الثاني

في بيان أسرار ما جاء عن النبي ﷺ تفصيلاً
والمقصود ههنا ذكر جملة صالحات من الأحاديث
المعروفة عند أهلها، السائرة بين حملة العلم، الروية في
صحيح البخاري ومسلم وكتابي أبي داود والترمذي،
وقلما أوردت عن غيرها إلا استعطر ذلك، ولذلك
نعم أتعرض لنسبة كل حديث لخرجه، وربما ذكرت
حاصل المعنى أو طائفة من الحديث، فإن هذه الكتب
تيسر مراجعتها وتتبعها على الطالب

البواب مختلفة

من لبواب الإيمان

اعلم أن النبي ﷺ لما كان مبعوثاً إلى الخلق بعثَ عاماً يغلب فيه على الأديان كلها، بعز عزيز أو ذل ذليل، حصل في دينه أنواع من الناس، فوجب التمييز بين الذين يذهبون بدين الإسلام وبين غيرهم، ثم بين الذين اهتدوا بالهداية التي بُعث بها وبين غيرهم ممن لم تدح شاشة الإيمان قلوبهم، فجعل الإيمان على ضربين:

أحدهما: الإيمان الذي يدور عليه أحكام الدنيا من عصاة الدماء والأموال، وضبطه مأمور ظاهرة هي الانتفاء، وهو قوله ﷺ: وأمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام^(١) وحسابهم على الله^(٢)، وقوله ﷺ: من صليّ سلاتنا واستقبل قبلتنا وأكّن نخبتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفوه^(٣)، قد هي ذمة، وقوله ﷺ: من أسلم الإيمان^(٤) الكلف عن قال لا إله إلا الله، لا تكلفه منقب ولا تخرجه من الإسلام بفعل... الحديث، وثانيهما: الإيمان الذي يدور عليه أحكام الآخرة، من السجدة والعمود بـالدرجات، وهو متفاوت، لكل اعتقاد حق وعمل قرضي وفلكه فاضافة، وهو يزيد وينقص، وسنة الشارع أن يسمى كل شيء منها إيماناً ليكون تبيهاً بليماً على جزئيه، وهو قوله ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، وقول ﷺ: والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده... الحديث، وله شعب كثيرة، ومثله كمثلي الشجرة: يقال للدرسة والأغصان والأوراق والأثمار والأزهار جميعاً إنها شجرة، فإذا قطع أغصانها ونحط^(٥) أوراقها وعرفت ثمارها قيل: شجرة ناقصة، فإذا قلعت الدرسة بطل الأصل، وهو قوله تعالى:

(١) يعني: الأملاك التي تجري بين المسلمين، كالقصاص والرحم وغيرهما.

(٢) أي: فيما يسرون من الكفر والفساد بعد ذلك.

(٣) الإخفاء: نقض العهد والقبلة فيه، والمعنى: لا تخفوا الله في عهده، فلا تتعرضوا للإسلم لي يراه أو يبه له عرضه.

(٤) خواصه التي لا تنك من

(٥) خبط للشجرة: شحها ونفقر، نوء الله، وقوله: شرف لها، أي: تطلب وجبي.

(إِنَّمَا تُنَادُوا زَكَّيًّا بِمَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَبُذِرَ ظَوْنُهُ) [١٧٥] - ١٧٦

ولم يكن ثلث الأشياء حبسها على حد واحد ١٠٠٠. الذي يُنَادَى على مناديه
 منها لا كان الذي هي حبسها أجزائها. وهو قوله يُنَادَى وَيُنَادِي "الإسلام على دعوى
 شهادة أن لا إله إلا الله ولا محمداً عبده ورسوله. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم
 رمضان

ومنها سائر الشئب، وهو قوله يُنَادَى. الإيمان يضع وسببونه شعباً، وافضلها قول لا
 إله إلا الله. ولذا إمامنا الذي عن الطريق والصعب شعباً من الإيمان.

ويسمى مقادير الإيمان الأدب بالكفر. ولما مقابل الإيمان الشك: فإن كان شكوكاً
 تنصديقاً. ولما يكون الانقياد بحسب السبب. فهو اتفاق الأهل، والتوافق بهذا المعنى لا
 فرق بينه وبين الكفر في الآخر، بل السائقون في ذلك الأسس من الشك. وإن كان
 مُضْمِناً مثلاً في فائدة الجوارح شئب فمستأه أو معرفة لوطيعة الحناء، فير المافق سفاق
 غيره. وقد ساء بعض السلف على العمل، وذلك أن يفت عليه ما من الضم أو توسم
 أو سر، المعرفة، فيكون مُضْمِناً من جهة ذلك. انعقاد الأولاد، وقد في قلبه استبعاد
 المحاراة والأجزاء على المعاصي من حيث لا يدري وإن كان مغفوقاً بالتميز الشبهاني ما
 ينبغي الاستغفار به، أو رأى التشاك في الإسلام فخره. أو أفت الكفر بأعوانهم فعد
 ذلك من إجماع كلمة الله.

والإيمان معناه أفعال

أحدهما: تصديق الجنان بما لا يد من تصديقه. وهو قوله يُنَادَى في جواب جميل.
 الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وحديثاً

والثاني: السكينة والهمة الوجدانية التي تحصل من قلوبهم. وهو قوله يُنَادَى. والحبور
 شطر الإيمان. وهو قوله يُنَادَى. إذا زنى العبد خرج من الإيمان فمثل فوق وأنه كائناً، فلا
 خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان. قول بعد رضي الله عنه: "إن كان يؤمن بـ

تلايته أربعة أوجه: مجرد مستعملة في الشريعة، إن جعلت كل حديث من الأحاديث
 المتداوية في آيات على محمله فذهبت عليك الشكوك والشبهات

والإسلام أوسع من الإيمان في المعنى الأول. ولذلك قال الله تعالى:

(قُلْ لِمَ تُؤْمِنُونَ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) [المعجزة: ١٥]

(١) - إمامه تركب ورثه واليوم لأمر وفوقه والأمر غيره وشبهه من غيره

وقال النبي ﷺ: «أمر مسلماً»، والإحسان أوضح منه في المعنى الرابع

ولما كان نطاق الحسن وما يقابله من الإحسان أمراً خفياً وجب بيان صفاته كل واحد منهما، وهو قوله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من استغنى حتى يسعها، إذا تضمن خاف، وإن حدث كذب، وإذا عاهد غر، وإذا خانهم غبر»، وترويه ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعوج في الكفر كما يكره أن يقتل في الذم»، وقوله ﷺ: «إذا رأيتم العبد يلزم المسجد فاستمعوا له بالإيمان»، وكذا قوله عليه السلام: «صبي طيب له الإنسان، ومعض طيب آية التقوى»، والحق فيه: أنه وصي الله عنه كان شديداً في أمر الله، فلا يتحمل شدة إلا من ركزت طبيعته وغلب عقله على هواه. وقوله ﷺ: «حب الانصراف آية الإيمان»، والحق فيه: أنه العرب تغذية واليهودية ما زاولوا يتنازعون بينهم حتى جمعهم الإيمان، فمن كان جامع الهممة على إعلاء التكملة زال عنه الفسد، ومن لم يكن جامعاً بقي فيه الفناء.

وقال ابن النبي ﷺ في حديث: «بني الإسلام على خمس، وحديث هشام بن عتبة، وحديث عمراني قال: «أدبني على عمل إذا فعله دخلت الجنة، إن هذه الأشياء الخمسة أركان الإسلام، وأن من فعلها ولم يعمل غيرها من الطاعات قد خُصَّص ربيته من العتاب، وجوب الجنة، كما شئ أن أدبني الصلاة، وأدبني الخوض، ماذا».

وأما حجر الخمسة بالركنية:

لأنها أشهر عبادات التيسر، وليست ملية من الملل إلا قد أحدث بها والتزمته، كاليهود والنصارى والمجوس وبنو العرب، على اختلافهم في أوضاع أدائها.

ولأن فيها ما يكفي عن غيرها وليس في غيرها ما يكفي عنها.

وذلك لأن أصل أصول البر: التوحيد وتبديق الشرائع الإلهية. ولما كانت طبيعة عامة وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا، لم يكن بد من علامة ظاهرة بها يُمَيِّزُ بين المواقف والمخالفات وعليها يدار حكمهم (سلام) وبها يؤخذ الناس، ولولا ذلك لم يفرق بينهم بعد طول التماسية إلا بمرقاً ظاهراً ليس معتمداً على ترائف، ولا اختلاف الناس

(١) لغيره الخمسة إذا لم يمتنع عن سعد بن أبي وقاص قال: أعطى رسول الله ﷺ رطلاً ولت حنك، فترك رطلاً منهم هو جمعهم إزاء، فقلت: ما لك عن حلاز؟ والله أني لأراه مؤسناً فقال رسول الله ﷺ: لم سلفاً، الحديث، والله بعضي به، وكمره بل ينبغي لك أن تقول: لأراه... في الظاهر، وقوله: «مجرة» أي شتم ربي بالآتياء الضميمة.

(٢) أي استلذه الطاعات وتوكل المشاق في ربه. الله ورسوله ﷺ.

في الحكم بالإسلام. وفي ذات اختلال كثير من الأحكام كما لا يخفى، وليس شيء كالإقرار طوعاً وريغة كاشفاً عن حقيقة ما في القلب من الاعتقاد والتصدّق.

وأما ذكرنا من قبل - من أن مدار السعادة السعيدة وملاك النجاة الأخروية هي الأخلاق الأربعة - فجدلت الصلاة المفرونة بالطهارة سبحانه ومظنة لخلقي الإختبات والنظافة، وشملت الزكاة المفرونة بشروطها الضرورية إلى مصادفها مظنة للمساهة والتعدالة.

وأما ذكرنا أنه لا بد من مائة فاعرة على النفس لرفع بها الشكوك العليية، كما لا شيء في ذلك كالصوم.

ولما ذكرنا أيضاً من أن أصل أصول الشريعة هو تعظيم شعائر الله، وهي أربعة منها الكعبة وتبجيلها الصبح

وقد ذكرنا فيما سبق من فوائد هذه الطاعات ما يعلم به أنها تكفي عن غيرها وأن غيرها لا يكفي عنها.

والآن باعتبار البلية على قسمين: صفائر وكبائر

والكبائر ما لا يصدر إلا بفحشاء عظيمة من البهيمة أو السبية أو الشيطنة، وفيه اتساع سبيل الحق وفكك حرمة شعائر الله، أو مخالفة الارتفاقات الضرورية والتضرر العظيم بالناس، ويكون مع ذلك منابذاً للشرع، لأن الشرع نهى عنه أشد نهى وعظّم التهديد على فاعله وجعله كأنه خروج من البلية.

والصفائر ما كان دون ذلك، من دواهي الشر ومفاسدات إليه، وقد ظهر نهى الشرع عنه حشداً ولكن لم يلفظ فيه ذلك التعليل.

والحق أن الكبائر ليست محصورة في عدد، وأنها تكثر بإيعاد النار في الكتاب والسنة الصحيحة، وشرع النهي عليه، وتسميته كبيرة، وجعله خروجاً عن الدين، ويكون الشيء أكثر مفسدة مما نهي النبي ﷺ على كونه كبيرة أو مثله في المفسدة.

وقوله ﷺ: «لا يورث الزاني حين يذني وهو مؤمن» الحديث معناه أن هذه الأفعال لا تصدر إلا بفحشاء عظيمة من البهيمة أو السبية، فتصير حينئذ الملكية كأن لم تكن والإيمان كأنه زائل، دل بذلك على كونها كبائر.

قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع به أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».

أقول: يعني من بلغته الدعوة ثم أضرب على الكفر حتى مات داخل النار، لأنه تافه تدبير الله تعالى لعباده، وممكن من نفسه لعنة الله والملائكة المقربين، وأخطأ بطريق الكتاب فأنجاه.

وَقَالَ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١)
وَقَالَ ﷺ: «حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ».

أَقُولُ: كَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَنْ يَغْلِبَ الْعَقْلُ عَلَى الطَّاعِ بِحَيْثُ يَكُونُ مُقْتَضِي الصَّحِيحِ بَادِي الْأَمْرِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي حُبِّ الرُّسُولِ. وَتَعْبِرُ هَذِهِ مَشْهُودٌ فِي الْكَامِلِينَ.

قِيلَ^(٢): يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. وَفِي رِوَايَةٍ: غَيْرُهُ، قَالَ ﷺ: «مَنْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ لَسْتُكُمْ».

أَقُولُ: مَعْنَاهُ أَنَّ يَحْصُرَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ عِبَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِسْلَامِ، ثُمَّ يَعْمَلُ مَا يَنْبَغِي وَيَتْرَكُ مَا يَخْتَلِفُهُ، وَهَذَا قَوْلٌ كَرِهِي بِصِيرَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى بَعِيرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَفْصِيلاً، فَلَا يَخْتَرُ مِنْ حِلْمِ إِجْمَالِي بِجَعْلِ الْإِنْسَانِ سَائِقاً.

وَقَالَ ﷺ^(٣): «مَا مِنْ لَحْدٍ يَشْهَدُ لِي إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا اللهُ وَإِنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَدَقْتُ مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَى فِتْنَاهُ» وَفَرَلَهُ ﷺ^(٤): «وَلَنْ رَضِيَ وَلَنْ سَرَقَ»، وَقَوْلُهُ ﷺ^(٥): «عَلَى مَا كُنْتُ مِنْ عَمَلٍ».

أَقُولُ: مَعْنَاهُ حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ الشَّدِيدَةِ الْمَوْجُودَةِ انْتِي أَهْدَعُ لِنُكَاتِهِمْ وَإِنْ حَمَلَ الْكِبَارُ

وَالنَّكْتَةُ فِي سَوْقِي الْكَلَامِ هَذَا السَّبَاقُ، أَنَّ مَرَاتِبَ الْإِثْمِ بَيْنَهَا تَفَاوُتٌ بَيِّنٌ وَإِنْ كَانَ يَجْمَعُهَا كُلُّهَا اسْمُ الْإِثْمِ، فَالْكِبَارُ إِذَا قَبِيتَ بِالْكَفْرِ لَمْ يَكُنْ لَهَا قَدَرٌ مَحْسُوسٌ وَلَا تَأْثِيرٌ يُعْتَدُ بِهِ وَلَا سَبِيَّةٌ لِدَاخِلِ النَّارِ تُسَمَّى سَبِيَّةً، وَكَذَلِكَ تُصَوِّرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكِبَارِ، قَبِيْنُ النَّبِيِّ ﷺ الضَّرُوبُ بَيْنَهَا عَلَى أَكْثَرِ وَجْهِ، بِمَنْزِلَةِ الصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ، فَإِنَّ الْأَعْرَاضَ^(٦) الْإِيَادِيَّةَ، كَالرُّكَامِ وَالنَّصَبِ، إِنْ قَبِيتَ إِلَى سَوَاءِ الْمَزَاجِ الْمُتَحَكِّزِ، كَالْجِنَامِ وَالسَّلِّ وَالْأَمْسِقَاءِ، يُحْكَمُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا صَحَّةٌ وَأَنْ صَاحِبِهَا لَيْسَ بِمَرِيضٍ وَأَنْ لَيْسَ بِهِ قَلْبَةٌ^(٧)، وَرُبَّ دَاهِيَةٍ تُنْسِي دَعِيَّةً، كَمَنْ أَصَابَهُ شَوْكَةٌ ثُمَّ وُزِيَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، قَالَ: أَمْ يَكُنْ بِي مَعْصِيَةٌ قَبْلُ أَصْلًا.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَنْ يَلْبِسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْعَمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سُرْفِيَاءَ يَفْتَقِنُونَ النَّاسَ»^(٨) الْحَدِيثُ^(٩).

(١) كَلَّمَ النَّاسَ سَفَرِيَانِ بْنِ عِيْدٍ أَنَّهُ لَقِيتَنِي. (٢) أَيُّ فِي حَدِيثِ أَشْجَثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) كَمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي نُوَيْرٍ. (٤) كَمَا فِي حَدِيثِ عِلَالَةَ بْنِ أَسْلَمَةَ.

(٥) أَيُّ: الْأَمْرُاسِي.

(٦) يَقُولُ مَا بِهِ قَبِيَّةٌ - يَفْتَحِرِيكُ - عَلَ وَزَيْنَ خَلْبَةٍ. أَمْ لَيْسَ بِهِ عِلَّةٌ. وَيُؤَيِّرُ تُكْمَلُ وَتُجَلِّبُ - السُّوَالِي: الْقَبُولُ.

(٧) شَمَاهُ: ضَمَانُهُمْ مِنْهُ حَثْلَةٌ أَغْصَمُوهُمْ غَتَّةً، بِجَرِّ أَحَدِهِمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ مَا صَنَعْتُ شَيْئاً، قَالَ: ثُمَّ يَسِيءُ لِسَدَمِهِ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ هُنَّ فَرَكْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَعْنَتِهِ. قَالَ: «فَيَنْفِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ، كَذَبَ وَبَدَعَهُ» يَتَجَرَّجُ.

اعلم أن الله تعالى خلق الشياطين وجعلهم على الإغواء، بمنزلة الدود التي تفعل أنما لا يحتسب مزاجها - كالجمل يُفقد الحذاء - ، وأن لهم ولها يصح عرشه على السماء، ويصومون لتكميل ما هم قبله قد استوجب أنم الشقاوة وتوفر الضلال - وهذه مُنة الله في كل نوع وفي كل صنف، وليس في هذا سباز، وقد تخففت من ذلك ما يكون بمنزلة الرؤية بالمرين .

قوله ﷺ : « د الصد لله الذي رد امره إلى الوسوسة^(١) .

وقوله ﷺ : « إن الشيطان قد ليس من فن يُفئنة المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التصريح^(٢) بينهم .

وقوله ﷺ : « ذلك^(٣) صريح الإيمان .

اعلم أن تأثير وسوسة الشياطين يكون مختلفاً بحسب استعداد الموصوم إليه : فأعظم تأثيره الكفر والخروج من الملة، فإذا عصم الله من ذلك بقوة اليقين انقلب تأثيره في صورة أخرى، وهي البفائنات ونساذ تدمير المنزل والتعريض بين أهل البيت وأهل المدينة، ثم إذا عصم الله من ذلك أيضاً صار خاطراً بجبه ويذهب ولا يبعث النفس إلى عمل، لضعف أثره، وهذا لا يضر، بن إذا اترد باعتماد قبح ذلك كان دليلاً على صراحة الإيمان . نعم، أصحاب النفوس القدسية لا يجدون شيئاً من ذلك، وهو قوله ﷺ : « إلا أن الله اعانني عليه^(٤) فاسلم فلا يكرهني إلا بخيره ، وإنما مثل هذه التأثيرات مثل شعاع الشمس، يؤثر في الحية، والأجسام الضعيلة ما لا يؤثر في غيرها، ثم وثم .

وقوله ﷺ : « فن للشيطان لمة وللملك لمة^(٥) .

الحاصل أن عبوة تأثير الملائكة في نشأة الخواطر : الأتس والرغبة في الخير، وتأثير الشياطين فيها : الوحشة وقطر الخاطر والرغبة في الشر .

قوله ﷺ : « من وجد من ذلك^(٦) شيئاً فليقل كسفت بالله ورسوله ، وقوله ﷺ : « فليستعد

(١) الله في جواب رجل جاءه فقال: بني لصحت نفسي بفتنة، لأن كنت خفتة لعب إني من أن تكلم به .

(٢) أي: في إغواء بعضهم على بعض، والتعريض بلشر بين الناس . وقوله: جزيرة العرب، إنما جعلت لأن أمين يومئذ له يشاؤون عنها .

(٣) ذلك لمة سلك الأصحاب، إلا نجد في التفتة ما يتعلق أمتنا أن يتكلم به، قال: قوله وحشوه، قالوا: نعم، قل: ذلك لله الخ .

(٤) أي: على عيني من الحي .

(٥) لمة بالفتح: المنزل والغرب والفراد يده: ما يقع في قلب يرأسه شيطان أو ملك . وتام الحديث: فعلمنا لمة الشيطان فليعد بالشر وتكتيب بالحق، ولما لمة الملك فليعد بالخير وتصديق بالحق .

(٦) أي: الوسوسة في الله رجل السعيد، لا يزال قلبه يتسلطون حتى يلاقى: هذا الله خلق الشئ، فمن خلق الله .

بأنه وليقتل عن يسره... سره أن الالتحاء إلى الله وتذكره وتضيح حال الشايطين وإهانته أمره بصرف وجه النفس عنهم ويصد عن قبول إترهم. وهو قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ الْأَوَّلُ كَتَبْنَا إِذًا مَكَّهُ كَتَبْتَ مِنْ أَتَيْتَنِي لَذَخَّرُوا لِيَا كُمْ تُصِرُونَ﴾ (الاعراف الآية 170).

قوله ﷺ: «أحفظ آدم وموسى عند ربهما»⁽¹⁾.

أقول: معنى قوله: «عند ربهما» أن روح موسى عليه السلام انجذبت إلى حظيرة القدس، فوافقت هناك آدم.

يرى هذه البركة وسرها أن الله فتح على موسى علماً على لسان آدم عليهما السلام، شبه ما يرى النائم في منامه ملكاً أو رجلاً من الصالحين يأتته ويواجهه الكلام حتى يغيب عنه يعلم لم يكن عنده. وهنا علم دقيق كان قد خفي على موسى عليه السلام حتى كتبه الله عليه في هذه الواقعة، وهو أنه احتمل من قصة آدم عليه السلام وجهان

أحدهما: ما يلي خويصة نفس آدم عليه السلام، وهو أنه كان - ما لم يأكل الشجرة - لا نظاماً ولا بضحية ولا يعوق ولا يعرى، وكان بمنزلة السلائكة، فلما أكل غلبت الهيبة وكنت الملكة، فلا جرم أن أكل الشجرة إثم يجب الاستغفار عنه.

وثانيهما: ما يلي التدبير الكوني الذي قصده الله تعالى في خلق العالم وأوحاه إلى السلائكة قبل أن يخلق آدم. وهو أن الله تعالى أراد بعقله أن يكون نوع الإنسان خليفة في الأرض، يُتَّبَعُ وَيُسْتَفْتَى فيُتَغَرَّ له، ويتحقق فيهم التكليف ويثبت الرسل والثواب والعقاب ومراتب الأكمال والفضائل، وهذه نشأة عظمية على جديتها، وكان أكل الشجرة حسب مراد الحق ووفق حكمته، وهو قوله ﷺ: «لو لم نذهب لذهب الله بكم، جله يقوم آخرون ينتهون ويستغفرون فيغفر لهم». وكان آدم أول ما غلبت عليه بهيمته استمر عليه العلم الثاني وأحاط به الوجه الأول، وعوتب عتاباً شديداً في نفسه، ثم سرى عنه ولبس عليه بارق من العلم الثاني، ثم لما انتقل إلى حظيرة القدس علم الحال أصرح ما يكون، وكان موسى عليه السلام يظن ما كان يظن آدم عليه السلام حتى فتح الله عليه العلم الثالث، وقد ذكرنا أن الوقائع الخارجية يكون لها تغيير كميير الشمام وأن الأمر والتهي لا يكونان جزأين، بل لهما استبعاد بوجههما.

(1) لحاصل الاحتجاج أن موسى عليه السلام اعترض على آدم إله انت أهبطت الخلق إلى الأرض فليجاب فم عليه السلام: فومني على عمل كنه الله على قل أن أحق: فطلب آدم لي الحق.

فإن رسول الله ﷺ : « كل مخلوق رواء على القطرة. ثم لبواه يهويانه ويستشرابه ويمسكاه، كما تنقع فيهية جماعة⁽¹⁾ هل شجرون فيها من جذعها ».

أقول : علم أن الله تعالى أخرى مُشْتَبِهَةٌ بأن يخلق كل نوع من الحيوانات والنباتات، وغيرهما على شكل خاص به، فخص لإنسان مثلاً بكونه يادي لبشره، مستوي القامة، عريض الأصفار، مائلًا ضاحكًا... إلخ، وبذلك الخوص يعرف أنه إنسان، اللهم إلا أن يغيروا العادة فَرَدُّ مادوه كما نرى أن بعض المخلوقات يكون له خرطوم أو حافر، فكذلك أجرى مُشْتَبِهًا أن يخلق في كل نوع فسطاً من العلب والإدراك معهود بعد مخصصاً به لا يوجد في غيره مخلوقاً في أفرادها، مخصص النحل بإدراكه الأشجار المناسبة نهاء ثم اخذاف الإنسان وجميع لعل فيها : « من نرى فرداً من أفراد النحل إلا وهو يدرك ذلك، وحصر الحشم بأذه كيف يهدر وكيف يمشي وكيف يركب فرجه، وكذلك حص الله تعالى الإنسان بإدراك ذاته وعقل مستوفى. ومن فيه معرفة بآرك ولما أذه أنه وأنزج ما يرتضون به في معاشهم، وهو الفطرة، فلو أنهم لم يستعمل ما فيهم، فكيف قد تعارض الموارهم. كإشلال الأبوين، فينقلب العلم جهلاً، كمثل الزهبان يتمسكون بأنواع الحيل، فيقطعون شهرة انماء ولحوم مع أنهم مذسوسون في فطرة الإنسان ».

قوله ﷺ : « خلقهم لها وهم في أصلا بلانهم »، وقوله ﷺ : « هم من لسانهم »، وقوله ﷺ : « الله أعلم به كانوا عندين »، وقوله ﷺ في ستامه الخترول : « نسف نؤية في أنم تكون عاد إبراهيم عليه السلام ».

أعلم أن الأخير أن يولد الولد على لفطره كما مر، فكيف قد يُخلق بحيث يستوجب النعم لا عمن : كالذي قتله الخضر، فُضِعَ كافرًا، وأما من آبتهم فمحمول على أحكام الدين، وليس أن اتوقف في الخوايسر إنما يكون علم الله : بل قد يكون لعدم تعبط الأحكام بدطنة ظهرف، أو لعدم الحاجة إلى بيانه أو تعرض فيه بحيث لا يفهمه المخاطبون.

قوله ﷺ : « بيده الميزان يخفف ويرفع ».

قوله : « هذا إشارة إلى التدبير، فإن ميناء على حيار الأوفى بالمصاحفة. فما من دابة يجمع فيها أسباب متارعة إلا ونقصي الله في ذلك ما هو العدل، وهو قوله تعالى : ﴿ تَلَى يَوْمَ هُرَ فِي نَارٍ ﴾ [المؤمن الآية 29].

(1) أي سلبية الأخرى، والمجدد على مطبوعة الأطراف. والمهم أن يجد ونحن في قديمه متشبهاً بقول الحق طبعاً، ولو خلقه شياطين الناس والمجنون لم يضر غير الحق.

قوله **فَلْيُحْيِي** : إِنَّ قُلُوبَ نَفْسِ أَمَّ كَلَّمَا بَيْنَ لَمَسَ مِنْ مِّنْ صَاحِبِ الرَّحْمَنِ ، وَقَوْلُهُ **يُحْيِي** : رَاشِدٌ
الْقُدْرَةِ ، كَرُوشَةُ الرُّضَى فَلَاقَ مَقْلَبَهُ الرِّيَاحَ ظُهُورًا لِنَظَرِهِ .

قوله: أفعل العباد اختيارية، لكن لا اختيار لهم في ذلك الاختيار، وإنما منه كمال
من أنزه أن يرسي حجرًا، ولو أنه كان قادراً حكماً على الحجر اختيار الحركة ابتداءً
ولا قوة عليه أن يفعل ذلك، كانت مخلوقة في عالمي، وكذلك الاختيار، فقيم لغيره؟
لأنه من الجزاء يرجع إلى شرط، بعض أفعال الله التي على بعض، ببعض أن الله تعالى
عنه الخلق في تلك فاعصى ذلك في حكمته أن يختار به حالة أخرى من النعمة أو
الآلم، كما أنه يخلق في الدنيا حراره، فيقتضي ذلك أن يتصور صورة الهواء، وإنما بشرط
وجود الاختيار وكسب العبد في الجزاء بالعرض لا بالثبات، وذلك لأن النفس الناطقة لا
تفعل كون الأعمال التي لا تستند إليها بل إلى غيرها من جهة الكسب، ولا لأفعال التي لا
تستند إلى اختيارها وقصدتها، وليس في حكمته أنه أن يميز العبد عما لم تفعل نفسه
الناطقة لونه، فإذا كان الأمر على ذلك كثر هذا الاختيار غير المستقل في الشرعية إذ كان
مصححاً لقبول كون العمل، وهذا الكسب غير المستقل إذا كان مبرحاً فاصبح هذا
العبد يخلق العادة المتأخرة فيه دون غيره، وهذا التفسير شريف مفهوم من كلام السحابة
التي هي وحده.

قوله ﷻ: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا فَاخْذِرْ عَذَابَ نَارِهِمْ مِنْ نُورِهِ» فمن أصله من ذلك النور مقتدى ومن أمثلة ذلك.

فلذلك أقول: جف النظم على عظم الله، ومعه: أنه قدّمهم قبل أن يخلقهم، فكانوا هناك عزة عن التكامل في حدة أنفسهم، فاستوحوا أن يبحث إليهم ونحوهم عليهم، فاهتدى بعض منهم ونزل الآخرون، وقادر جميع ذلك مرة واحدة، لكن كان لما من أنفسهم تقدّم على... بهم يبحث الرسول، كقولنا في رتبة عن الله تعالى: «كلكم خلق إلا من أمددته، وكلكم صال إلا من هبته».

أو نقول: هذا إشارة إلى واقعة مثلي واقعة إخواني فربما قوم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ الْعَبْدُ﴾ أي يموت بأرض عمر له إليها حاجة.

أقول: فيه (إشارة إلى أن بعض العبارات نوحد مثلا بنحو " نظام الأسماء، وذلك لم يكن استعجال من إلزام أو بحث تقريبي، كما قد أن يفهم ذلك

فَذَلِكُمْ الَّذِي مَثَّلَ لَكُمْ الْخَلَائِقَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ أَلْسِنَ وَأَنْفَ وَأَنْفُ
يَكُنْ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ .

ای یسقطم.

أقول: خلق الله تعالى العرش والماء أول ما خلق، ثم خلق جميع ما أراد أن يوجد في قوة من قوى العرش يشبه الخيال من قوانا، وهو المسمى عنه بالذكر - على ما بينه الإمام الغزالي -.

ولا نظن ذلك مخالفاً للثبوت، فإنه لم يصح عند أهل المعرفة بالحديث من بيان صورة القلم والفرج على ما يلهم^(١) به العامة شيء يمتد به، والذي يروونه هو من الإسرائيليات وليس من الأحاديث المصحفة، وذهاب المتأخرين من أهل الحديث إلى مثله نوع من التعمق^(٢) وليس للمتقدمين في ذلك كلام.

وبالجملة: فتحقق هنالك صورة هذه السلسلة بنسائها، غير أنه بالكتابة أهدأ من إطلاق الكتابة في السباسة السنية على التبيين والإيجاب، ومنه قوله تعالى:

﴿كَيْفَ خَلَقْتُمْ الْإِنْسَانَ﴾ [مطروحة الآية ١٨] ... الآية.

وقوله:

﴿كَيْفَ خَلَقْتُمْ إِنْ شَاءَ سَمَرُ﴾ [مطروحة الآية ١٨] -

وقوله ﷺ: «إن الله كتب على عبده حقه من الزنا» الحديث، وقول الصحابي: كتب في غزوة كذا، ولم يكن هناك ديوان^(٣) كما ذكره كعب بن مالك. ونظير ذلك في أشعار العرب كثير جداً. وذكر - خمسين ألف سنة - يحتمل أن يكون تميماً ويحتمل أن يكون بياناً لطول المدة.

قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم ليكون أباً للبشر الثقل في وجوده خلقت بني، فأعطاه الله

تعالى وثناً من أرقائه علم ما تفتنه وجوده بحسب القصد الإلهي، فأراد إلهام رأي عين بصورة مثالية، وتثل سعادتهم وشقاوتهم بالنور والظلمة، وتثل ما جبلهم عليه من اعتماد التكليف بالسؤال والجواب والالتزام على أنفسهم، فهم يؤاخذون بأصل استعنادهم، وتنسب المؤاخذة إلى شبحه في الظاهر.

قوله ﷺ: «إِنَّ خَلْقَ أَدَمَ كَمِجَاسٍ فِي بطن امراة» الحديث^(٤).

(١) أي: يلهم.

(٢) أي: التعمق.

(٣) شامة - فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: هؤلاء النار ويعمل أهل النار يعملون - الحديث.

(٤) شامة - فريدين يورعه لم يكون عطفه مثل ذلك لم يكون مشقة مثل ذلك، ثم بيحت الله إني خلقاً يلهم كلامه، يكتب رزقه وليله وعمله وشغلي لم سعيد، ثم يفتح لب الفرج - الحديث فقولته «يهمهم» أي: ما يخلق منه ليدكم يار ويبرز في بطنها.

أقول: هذا الانتقال تدويجي غير ذمعي، وكل حد يُبين السابق واللاحق، ويسمى ما لم يتغير من صورة الدم تعبيراً فاحشاً: عطف، وما فيه انجساد خريف: عطف، وما فيه انجساد أشد من ذلك: مضعة، وإن كان فيه عضم رخر، وكما أن التوبة إذا أنقبت في الأرض، وذلك في وقت معلوم، وأحاط بها تدبير معلوم، فخلع المطلق على خاصية نوع انشغل وخاصية تلك الأرض وذلك الماء وذلك الوقت أنه يحسن شأنه، ويحقق من شأنه على بعض الأمر، فكذلك يُجلى إله على بعض الملائكة حال المونود بحسب الميزة التي تُجِبُّ عليها.

وقوله ﷻ: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب له مقعده من النار ومقعده من الجنة».

أقول: كل صنف من أصناف البشر له كمال ونقصان، عذاب وثواب. ويحتمل أن يكون المعنى: إما من الجنة وإما من النار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أُخَذَ رُجُوكَ مِنْ بَيْتِكَ أَبَدًا﴾ [الأعراف: الآية 312] لا يخالف حديث: «ثم مسح ظهره بيده، ومخروج منه نُورته، لأن آدم أُجِنَتْ عنه ذرية ومن ذريته ذريتهم إلى يوم القيامة على الترتيب الذي يحدون عليه، فذكر في القرآن بعض القصة ويبين الحديث نسبها».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى أَغْلَرٌ وَقُلُوبُهُمْ وَخُذْلَةٌ مُنْجَمَةٌ كَلْهَفًا﴾ [التكوير: الآية 84].

أي من كان متصفاً بهذه الصفات في علمنا وقتلنا (مسيرو) لثنت الأعمال في الخارج، وبهذا الترجيح ينطبق عليه الحديث.

قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِمَا يُحْكُمُ لَكَ رَبُّكِ وَقُلِي لِمَن كَانَ صَدُوقُكِ مِنَ الْوَحْدَانِ﴾ [التكوير: الآية 85].

أقول: المراد بالإلهام هنا خلق صورة القصور في النفس، كما سبق في حديث ابن مسعود، فالإلهام في الأصل خلق الصورة العنيفة التي يعبر بها عالمها، ثم نُقِلَ إلى صورة إجمالية هي مبدأ آثاره، وإن لم يصر به عالمها تجوزاً، والله أعلم.

❁ من أبواب الاعتصام بالكتاب والسنة ❁

قد حارب النبي ﷺ مداحل التحريف بأنفسها، وغلظ النهي عنها، وأعد العهود من أمته فيها. فبعض أعظم أسباب الشهاون ترك الأحكام بالسنة، وفيه قوله ﷺ: «ما من نبي بعث

الله في لمة قبلي إلا كان له من لمة حوليون والمسلم باغنون بسنة⁽¹⁾، ويقتلون بلمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمنون، فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن، ومن جاهدكم لمسلنه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل⁽²⁾، وقوله ﷺ: «لا أقبل⁽³⁾ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أموي مما أقرت به أمي⁽⁴⁾، فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله تبعناه» ورغب أبي الأحوذ بالسنة جداً لا سيما عند اختلاف الناس.

وفي التشديد⁽⁵⁾ قوله ﷺ: «لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم،» ورده على عبد الله بن عمرو والرهط الذين نزلوا عبادة النبي ﷺ وأرادوا شاق الطاعات.

وفي التعمق قوله ﷺ: «ما يال لقوام يتشبهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم باله والشد من خشية له،» وقوله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجمل،» وقوله ﷺ: «أنتم أعلم بأمر دينكم،»

وفي الخلط قوله ﷺ لمن أراد⁽⁶⁾ الخوض في علم اليهود، «أنتهزكون أنتم كما تهركت لليهود والنفصاري؟ لقد جنتكم بها ببضاه نقياء، ولو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي،» وجملة ﷺ⁽⁷⁾ من أمضى الناس من هو منج في الإسلام سنة الجاهلية

وفي الاستحسان قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وتبرأ المسلمة له ﷺ «كُل رجل⁽⁸⁾ بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعية⁽⁹⁾،»

أقول: هذا إشارة إلى تكليف الناس به وجعله كالأمر المحسوس إكمالاً للتعليم.

(1) أي: يهبط وسيرته وقوله: «تخلف، أي: تبيت. وقوله: «خلوف» بضم حاء - جمع خَلْف - يسكنون اللام -

وعمر هضب السود، ويقال للصالح خَلْف - بفتح اللام - وجمعه الخَلَف.

(2) أي: لاه لسانل محارم الله.

(3) أي: لا آمن. وقوله: «أريكته» أي: سريرته العزيز بالعلل والآثاف. والمعنى: لا ينبغي لأحد أن يقول لا أعلم غير الحق، ولا يجوز لأحد أن يعرض عن السنة، لأن التعرض عنها معرض عن القرآن.

(4) أي: الذي من تسليب القلوب. وقوله: «لا تشددوا على أنفسكم، أي: لا تاملن الشدة. وقوله: «يشدد الله عليكم، أي: يرض الشدة عليكم.

(5) كان هو عمر القنوق وجمي الله عنه، فقال للنبي ﷺ: إنا نسلم لماليت من يهود تعبيننا لغزى أن نكتب بمشاهة فقال: «لتهزكون أنتم» - إلخ. وقوله: «تتهزكون أي: متصيفون.

(6) أي: في حديث بن عباس. وقوله: «سيتبع» أي: سلب. وسنة الجاهلية: طريقته.

(7) أي: كرم. والمأدبة: بضم الدال: طعام يدعو القلي إليه كالأطعمة.

(8) شمله. لمعن أيلب الداعي شغل الفار وكل من العائبة ومن لم يصب لم يدخل ولم يكل من العائبة. وفي آخر الدار العائبة والداعي محمداً، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله.

قوله ﷺ: «مَنْ كَفَلَ رَجُلًا فَسَوَّدَ نَارًا»، الحديث⁽¹⁾، وقوله ﷺ: «إِنَّمَا سَتِي وَمَنْ مَ بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَفَلَ رَجُلًا أَوْ قَوْمًا فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي وَجَدْتُ الْمَيْمَنَ بَيْتِي...» الحديث⁽²⁾.
 دليل ظاهر على أن هنالك أعمالاً تستوجب في أنفسها عذاباً قبل البعثة، وقوله ﷺ: «مَنْ مَ بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ قَوْمٍ وَالْعِلْمُ كَمَنْ كَفَلَ الْغَيْثَ الْكَثِيرَ فَسَلَبَ أَرْضًا...» الحديث⁽³⁾.
 فيه بيان قبول أهل العلم هدايته ﷺ بأحد وجهين، الرواية مسيحياً والرواية دلالة بأن مستنبطوا وأُشْعِرُوا بالمستنبطات، أو علموا بالشرع فاهتدى الناس بهديهم، وفيه علم قبول أهل الجهل رأساً.

قوله ﷺ في المعصية النابغة: «وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَبِينَ...»
 أقول: انتظام الذين عرفت عن أئمة من النبي ﷺ، وانتظام السيادة الكبرى بتوقفه على الانقياد للخلفاء فيما يأمرهم به والاجتهاد في باب الارتفاعات وإقامة الجهاد، وأما ذلك ما لم يكن إبداعاً لشرعة أو مخالفاً لنص.

حديث: حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهْمَ عَطَا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثم حَطَّ عَطْوَهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَفَرَاكَ هَكَذَا يَرْطِي سُنَّتِي فَأَتَّبِعُ وَلَا تَتَّبِعُوا الشُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِي»، [الاصطلاح: الآية 133].

أقول: الفرقة الناجية هم الآخرون في العقيدة والعمل جميعاً، بما ظهر من الكتاب والسنة وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين وإن اختلفوا فيما بينهم فيما لم يشهر فيه نص ولا ظهر من الصحابة اتفاق عليه، استدلالاً منهم ببعض ما هنالك أو تفسيراً لمجمله.

وغير الناجية كل فرقة انحلت عقيدة خلاف عقيدة السلف أو عملاً دون أعمالهم.

قوله ﷺ: «لَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى الضَّلَالَةِ»، وقوله ﷺ: «يَبْعَثُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُحْيِيهَا لَهَا نَبِيًّا»، وتفسيره في حديث آخر: «يَعْلَمُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ حَلْفٍ حُلُولُهُ بِتَنْوِينٍ عَنْ تَحْرِيفِ الْفُلُكَيْنِ وَاتِّعَاجِ الْمِيطَلَيْنِ وَتَلْوِينِ الشَّيْءَيْنِ»،

أعلم أن الناس لنا اختلفوا في الدين وأُتُودُوا فِي الْأَرْضِ فَرَحَ ذَلِكَ بِأَبِ جُودِ الْعَن

(1) تلمذه: «وَمَا لَمْ تُصَلِّتْ مَا حَرَّاهَا مِنْ جِلِّ الْقُرْلَانِ وَهَذِهِ الْقُرْبَانِ الَّتِي تَلْعَ لِي الْقَارِ يَقَعْنَ قَبِيهَا وَجَعَلَ يَسْمُرُ مِنْ وَيَنْتَبِئُ فَيُخَفِّضُنَّ لَهَا، فَإِنَّ لَهَا بِكَتْرَكُمْ عَنِ الْقَارِ وَأَنْتُمْ تَشْعُونَ قَبِيهَا.

(2) تلمذه: «وَأَيُّ لَنَا الْقَتِيرِ لِمَرْبِئِ الْغَنِيَّةِ لِنَجَلِهِ، لِنُطْلَعِ طَائِفَةً مِنْ قَوْمِهِ فَنُطْلَعُوا فَنُطْلَعُوا عَلَى مَعْلُومِ نَجْوَاهُ، وَكَتَبَتْ طَائِفَةٌ عَنْهُمْ فَنُطْلَعُوا مَعْلُومِ مَعْلُومِ قَبِيَّتِهِمْ فَنُطْلَعُوا مَعْلُومِ مَعْلُومِهِمْ.

(3) تلمذه: «وَكُنْتُ مِنْهَا طَائِفَةً طَبِيعَةً خَلِقَتْ، الْعَادَةُ فَكَرِهَتْ الْكَلَا وَالْعَشَبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجْلَابُ أَسْكَنْتِ الْمَاءَ فَنُطْلَعُ إِلَيْهَا فَتُفَارِسُ لَشْرِبُوا وَبَقُوا بِذَوْعُوا، وَلَصَابُ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا مَيَّ قَبِيلُهَا لَا نَسْكُ مَا وَلَا نَبِيٌّ تَمَّزَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ فِي بَيْنِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَرْغَبْ بِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَشْعُرْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِمْ بِهِ.

صحت مسندُك وأراد بذلك إثبات الصحة الموحدة، ثم أتى نوفي النبي ﷺ بحديث ثلث العناية مدعى من جهة إلى حفظ جلوس وركبته وما بينهم، فذكرت فهم زعماء وغريبات، فمن حظيرة القدس دعوى لإقامة الهداية بهم من ثم زعم لسانه، فوجب لذلك أن يكون بهم لا محالة أمة قائمة بأمر الله، وأن لا يجتمعوا على صلاة بأمرهم، وأن يحفظ أئمتهم فيهم. وأوجب اختلاف استعانةهم، أن يلحقوا بما عندهم مع ذلك شيء، من التغيير، فانظرت العناية لناس مستعدين قضي لهم بالشريعة، فأوردت في قلوبهم الرغبة في العلم، وهي تحريف الغالب، وهو إشارة إلى اشتداد وانعقاد، والاختلاف الباطني وهو إشارة إلى الاستعداد وحلطة ملة بسلة، وتأييد أهلها، وهو إشارة إلى الثبات وترك الأمر به بأمره ضعيف.

قوله ﷺ: «من يريد الله به خيراً يدفعه في الدين»، وقوله ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء»، ونحوه ﷺ: «ممثل العلم على المبدأ كعسلي على انكاف»، وأمثال ذلك: اعلم أن العناية بالإله إذا حلت شخص وميزه الله بقية لتدبير تقي، لا بد أن يصير مرحباً، وأن تومر الملائكة بمعبيته وتعظيمه، لحديث محبة جبرائيل ووضع القول في الأرض. ولما انتقل النبي ﷺ تركت العناية الخاصة به بحسب حلقه منه إلى حملة العلم وورثته وشيعته، فتأخر يوم فواته لا تحصى.

قوله ﷺ: «نصرت الله عدداً سمع بقلته فحفظها ووعاها وأذاها كما سمعها». قول: «بب هذا الفصل أنه مظنة لسبل الهداية النبوية إلى الخلق». قوله ﷺ: «من كذب عني متعمداً فسنموا مقلعه من أشلاء فواء ﷺ» «يكون في آخر الزمان شاكرون كذابين».

أقول: لما كان سريع بلوغ الدين إلى الأعصار السائرة إنه في الرواية، وإذا دخل الفرد من جهة الرواية لم يكن له علاج الله، كان الكذب على النبي ﷺ كبيرة، ووجب الاحتياط في الرواية فلا يروى كذا.

قوله ﷺ: «حفظوا عن بني إسرائيل ولا حرم»، وقوله ﷺ: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم».

أقول: الرواية عن أهل الكتاب نحوز فيما سبيله سبل الاعتناء، وحيث يكثر الأسس على الاحتياط في شرايع الدين، ولا نحوز نوب سوى ذلك، ومما يبقى أن يعلم أن غالب الأساليب المنسوبة في كتب التفسير والأخبار المنسوبة عن أهل الكتاب لا ينبغي أن يؤس عنها حكم وعقوبة، فتدبر.

قوله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»، يعني رجلاً.

أقول: يُحَرِّمُ ذلك المعلم الديني لأجل الدنيا، ويُنْهِيهِمْ تعليم من يرى فيه الغرض العائد لوجوه: منها أن ذلك لا يخلو غالباً من تحريف المدين لأغراض الدنيا بتأويل ضعيف، فوجب منه المذبة. ومنها ترك حرمة القرآن والسنة وعدم الاكثار بها.

قوله **يُنْهِيهِمْ**: من سئل عن علم خليفة ثم كتمه فليعلم يوم القيامة يلجام من ناره.

أقول: يُحَرِّمُ كتم المعلم عند الحاجة إليه، لأنه أصل التباين وسبب لبس الشرائع، وأجرية العباد تبني على المناسبات، فلما كان الإنم كف نسيانه عن النطق جوزي بشبع الكتم وهو اللجام من ناره.

قوله **يُنْهِيهِمْ**: العلم ثلاثة: ^(١) كية مُحْكَمَةٌ، أو سُنَّةٌ قَدِيمَةٌ، أو مَرِيضَةٌ عَطْلَةٌ، وما كان سوى ذلك فهو فضيل.

أقول: هذا ضابط ونحديد لما يجب عليهم بالكفاية، فيجب معرفة القرآن لفظاً، ومعرفة محكمه بالبحث عن شرح غريبه وأسباب نزوله ونزجيه معضله وناسخه ومتنوخه. أما المشابهة فنحكمه بالتوقف أو الإرجاع إلى المحكم، والسنة القائمة ما ثبت في العبادات والافتقادات من الشرائع والسنة، مما يستعمل عليه علم الفقه، والقائمة ما لم يُنسخ ولم يُهجر ولم يشد راويه وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين، أعلاها ما اتفق فقهاء المدينة والكوفة عليه، وآيته أن يفتق على ذلك المذاهب الأربعة.

ثم ما كان فيه قولان لجمهور الصحابة أو ثلاثة، ذلك كل قد عمل به طائفة من أهل العلم، وآيته ذلك أن تظهر في مثل الموهبة وسامع عبدالوهاب رولهاهم، وما سوى ذلك وإنما هو استنباط بعض الفقهاء دون بعض تفسيراً وتحريجاً واستدلالاً واستنباطاً، وليس من الغالبة والفريضة العادة الانصاف للورثة، ويلحق به أبواب القضاء، مما سبب قطع المنازعة بين المسلمين بالعدل، وهذه الثلاثة يحرم شلؤها عن خاليتها فتوقف الدين عليه، وما سوى ذلك من باب الفضل والزهادة.

وهي **يُنْهِيهِمْ** عن الأغلوطنات، وهو الماشي التي يلج المسؤون عنها في الخط ويحتج بها أفغان الناس، وإنما نهى عنها لفسادها.

منها أن فيها إيذاء وإذلالاً للمسؤون عنه وعجاً وبطراً لنفسه.

ومنها أنها تفتح باب التمسق، وإنما الصواب ما كان عند الصحابة والتابعين أن يوقف

(١) أي علم الشريعة منحصر فيها. قوله: مُحْكَمَةٌ أي غير معسوبة، وسنة قائمة أي النعمة تتوجه إليها لورثك البركة صحيحة، وفريضة عطفه أي أحكام مستنبطة من الكتاب والسنة، والعبادة بمعنى المسؤولية لما ثبت بالكتاب والسنة وقوله: منفصل أي لا خير فيه، من قيل: اعوذ بالله من علم لا ينفع.

حتى صاعر السنة، وما هو بمنزلة الطاهر من الإيحاء والاقتضاء والفحوى، ولا يسمى جدياً،
وإذا يفتحم في الاجتهاد حتى يصطر إليه وتفتح الحادثة، فإن الله يفتح عند ذلك^(١)، أعلم،
عناية من بالناس، وأما تهمة من قبل فمضة الغلط.

قوله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار».

قوله: «يُخَرِّجُ الْحَقُّ فِي التَّعْبِيرِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ كَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهِ وَالْأَثَرُ
عَنِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ شَرَحِ غَرِيبٍ وَسَبَبِ نَزُولٍ وَتَأْسِغٍ وَمَنْسُوحٍ».

قوله ﷺ: «المراء في القرآن كفر».

قوله: «يُعْذَرُ الْحَقُّ فِي الْقَدَائِمِ» وهو أن يرى الحكم المنصوص بشبهة يجعله في

نفس

قوله ﷺ: «إِنَّ هَذَا مِنْ كُلِّ قَبْلِكُمْ بِهَذَا شَرِبُوا كَلِمَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِيَعْضٍ».

قوله: «يُعْذَرُ الْعَادِلُ بِالْقُرْآنِ» وهو أن يفسد واحد بآية، فيرده أخرى أخرى طلباً
لإثبات مذهب بعضه وعدم وضع صاحبه، أو ذهاباً إلى نصرة مذهب بعض لأئمة على
مذهب بعض، ولا يكون جامع الهمة على ظهور الثواب. والدارل بالسنة مثل ذلك.

قوله ﷺ: «كُلُّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهَرَ وَبَطُنٌ وَلِكُلِّ حَدِّ مَطْلَعٌ».

قوله: «أَكْثَرُ مَا فِي الْقُرْآنِ بَيَانُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ، وَالْأَحْكَامُ، وَالْمُنْصَرَفُ،
وَالْإِحْتِجَاجُ بِعَرِ الْكَلَامِ، وَالْمَوْعِظَةُ بِالْبَيِّنَةِ وَتَنَاهٍ، فَالظُّهُورُ: الْإِحَاطَةُ بِنَفْسِ مَا سَبَقَ الْكَلَامُ
لَهُ، وَالْبَطْنُ فِي آيَاتِ الْمَصَفَاتِ: التَّفَكُّرُ فِي آيَةِ اللَّهِ وَالْمِرَاقِبَةِ، وَفِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ:
الِاسْتِثْنَاءُ بِالْإِيضَاءِ وَالْإِشَارَةُ وَالْفَحْوَى وَالْإِنْفَاءُ، كَاسْتِثْنَاءِ عَنِّي وَفِيهِ، اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَقَدْ كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الاحقاف: الآية ١٩] «أَمْ مَنَّا الْحَسَنُ قَدْ تَكُونُ سَنَةً أَشْهَرُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿حَرَّيْكَ كَلْبَيْنِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٥].

وفي القصص معرفة ساطع الثواب والمدح، أو العذاب، ونظم، وفي العظة رقة القلب،
وظهور الخوف والرجاء وأمثال ذلك، ومطلع كل حد الاستعداد الذي به يحصل كسرقة
اللسان والآثر وكلف الذم واستقامة الفهم.

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَكُفِّرْ كُفْرًا أَتَى الْكُفْرَ وَأَتَى مُفْتِنَتَهُ﴾ (١) [مزدان: الآية ١١]

قوله: «الظاهر أن المحكم ما لم يحتمل إلا وجهاً واحداً مثل:

(٢) أي: الصانع.

(١) أي: الوثوق.

﴿حُوتٌ عَلَيْكُمْ الْأَيْمَانُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آلِ قَارِئَةَ﴾ (النساء: ١٠١).

والمتشابه ما احتمل وجوهاً وإنما المراد بعضها، كقوله تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ الْبَرَكَةُ نَاشِئًا وَمَوْلَاكَ الْعِلَادَةُ كُنْتَ فِيهَا كَافِرًا﴾ (الشورى: ١٩).

الزائنون عنى بإباحة الخمر ما لم يكن بني أو إنسان في الأرض، والصحيح حملها على شاربها قبل التحريم.

قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية».

أقول: النية المقصد والعزيمة، والمراد هنا العلة الغائية التي يتصورها الإنسان فنية على العمل، مثل طلب ثواب من الله أو طلب رضى الله. والمعنى: ليس للأعمال أثر في تهذيب النفس وإصلاح عرجها إلا إذا كانت صادرة من تصور مقصد مما يرجع إلى التهذيب، دون المادة وموافقة الناس أو الرياء والسمة، أو قضاء جيلة، كالقتال من الشجاعة الذي لا يستطيع الصبر عن القتال، فلولاً مجاهدة الكفار لصرف هذا الخلق في قتال المسلمين، وهو ما شُيِّلَ النبي ﷺ: الرجل يقاتل رياءً ويقال شجاعةً فأيهما في سبيل الله؟ فقال: «من قتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، والنفقة في ذلك أن عزيمة القلب روح والأعمال أشياخ لها.

قوله ﷺ: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

أقول: قد تتعارض الوجوه في المسألة، فتكون النية حيث الاستبراء والاحتياط.

فمن التعارض أن تختلف الرواية نصيحاً، كمن الذكر هل ينفذ الرضوء أثبه البعض ونفاً الآخرون، ولكل واحد حديث يشهد له، وكذلك كحاشي المصنوع، شَوْغُهُ^(١) طائفة ونفاً آخرون، واختلفت الرواية.

ومنه أن يكون اللفظ المستعمل في ذلك الباب غير منضبط المعنى، يكون معلوماً بالقصة والمثال ولا يكون معلوماً بالحد الجامع المانع، فيخرج ثلاث مواد: مادة يطلق عليه النقط يقيناً، ومادة لا يطلق عليها يقيناً، ومادة لا يدري هل يصح الإطلاق عليها أم لا.

ومنه أن يكون الحكم شرطاً يقيناً بعلّة هي مظنة لمقصد يقيناً، ويكون نوع لا يوجد فيه المقصد ويوجد فيه العلة، كالآلة المشتراة سن لا يجلب مثله، هل يجب استيرازها؟ فهذه وأمثالها بتأكد الاحتياط فيها.

قوله **يُطَهَّرُ** ، يقول لمجرد أن على خمسة وجوه خلال، وحرم، ومحكم، ومقتضى والمقال.

أقول: هذه التوسيم أسماء للكلمات ولو بتسبيحات شتى، فلا حرم نس فيها تماع حقيقي، فالحكم يكون بأية خلافة وأخرى حراماً، ومن أسماء الدين نواه الخوض والمغفل في العشائير، من الآيات والأحاديث، ومن ذلك أمور كثيرة لا يدري ألوحد حقيقة الكلام أم لم يمتحار بينها، وذلك فيه لم تصح عليه الأسماء، ألم يرفع فيه الشبهة، وله أعام

❁ من أبواب الطهارة ❁

أعام أن الطهارة على ثلاثة أقسام: طهارة من الحدث، وطهارة من النجاسة المتصلة بالبدن أو الثوب أو المكان، وطهارة من الأوجاح الخاصة من يدين، كشمرة العانة والأظفار،

أما طهارة من الأحداث فمأخوذة من أصول كثيرة، والحكمة في معرفة الحدث وروح طهارته وجبات النفس التي ظهرت فيها أمور ملكية، فأحدثت بمفرتها لنعالة التي تدعى حدثاً، وسرورها وانشرها في الحالة التي تسمى طهارة.

وفي معنى هبات الطهارة وبرجاتها ما أشهدني بالمراسلة من اليهود والنصارى والمجوس، وقالوا: الحائض الإسلامية، فكثيراً يجعلون الحدث على قسمين: الطهارة على شريسي، كما ذكرنا من قبل، وكان الحاصل من النجاسة ستة سائر في العرب، فوئق التي تسمى الطهارة على نوعي النجاسة، فمما قيل في طهارة الكبرى بلزاء الحدث: الأكثر، أنه أتى وتوعداً وأكثر تولاً وأدوح إلى آية النفس بعمل شاق فمما يتبع منه، والطهارة الصغرى يلزم الحدث الأصغر لأنه أكثر وقوعاً وأقل تولد، ومكفيه الله في الحجة

والأمور التي فيها معنى الحدث كثيرة جداً، يعرفها أهل الأدواق السلفية، لكن الذي يصلح أن يخاف به الناس كافة ما هو مصدر أمور محسوسة ظاهرة، الأثر في النفس يمكن الماء إذا به جهرة، فلذلك نعين ألا يدر الحكم على اشتغال النفس بما يختلج في الماء، ولكن يطر على خروج شيء من المصيبين، فإن الأول غير مضبوط الضمان، وإذا تمكن لا يرتد الوضوء من خارج، ولشأنه منوم بالحسن، وإذا فلتحت تقاضى النفس في شبح محسوس، وحاقة ظاهرة، وهو الألفح بالخاصة، وأيضاً إن يترى التردد، عند زوال اشتغال النفس وذلك بالمعروف، وقد تسمى **يُطَهَّرُ** في قوله، ولا يُصَلُّ الحَكَم وهو يصاح الأختيار، أنه نفس لا اشتغال فيه معنى من معاني الحدث.

والأمور التي يهد معنى الطهارة كثيرة: كالتطهيب، والأذكار المندم: لهذه الحنة، التوبة: ثم اجعلني من التوابين واجعلني من الصغيرين وقوله، اللهم تقني من نصايا

كما تَقَبَّلَتْ ثَنُوبُ الْأَبْيَضِ مِنْ أَسْنَى^(١) ، وَالْعُلُولُ بِالْمَوَاضِعِ الْمَتَبَرِّكَةِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ، لَكِنَّ النَّبِيَّ يَصْلُحُ أَنْ يُخْتَلَفَ بِهِ جَمْعُ بَعْضِ النَّاسِ مَا يَكُونُ مُضْطَبّاً مُتَبَرِّكاً لَهُمْ كَرَحِيْنٍ وَكُلِّ مَكَانٍ ، وَالنَّبِيُّ يُحَسِّنُ أَثَرَهُ بِأَدَبِي الْأَدَبِ ، وَالنَّبِيُّ جَرَى عَلَيْهِ طَوَائِفُ الْأَمْرِ .

وَأَصْلُ الْوُضُوءِ غَسْلُ الْأَعْضَاءِ غَسْلُ^(٢) الْوُجْهِ وَالْيَدَيْنِ إِلَى الْكَرْفَيْنِ ، لِأَنَّهُ دُونَ ذَلِكَ لَا يُعْنَى أَلَرُّهُ ، وَالرَّجُلُ يُدْنِي الْإِثْمَ الْكَعْبَيْنِ ، لِأَنَّهُ دُونَ ذَلِكَ لَسَ بِحَقْوِ مَا ، وَجَعَلَ وَضِئَةَ الرَّأْسِ الْمَسْحَ لِأَنَّهُ فَضْلُهُ نَوْعٌ مِنَ الْحَرَجِ ، وَأَصْلُ تَغْسِلُ تَغْسِمُ الْيَدِ ، بِالنَّسْلِ .

وَأَصْلُ مَوْجِبِ الْوُضُوءِ الْخَارِجُ مِنَ الْأَسْبِيلِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مَحْضُوعٌ عَلَيْهِ . وَأَصْلُ مَوْجِبِ الْعَمَلِ الْمَصَالِحُ وَالْمَجْمُوعُ ، وَكَانَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ كَانَا مُتَكَلِّمَيْنِ فِي الْعَرَبِ قَبْلَ أَنْ يَنْبَغِي بَيِّنَةٌ ، وَأَمَّا التَّصَدُّقُ الْآخِرَانِ مِنَ الظَّاهِرَةِ فَمَأْجُودَةٌ مِنَ الْأَرْتِقَانَاتِ ، فَزَانَهُمَا مِنْ مَقْتَضَى أَصْلِ طَبْعَةِ الْإِنْسَانِ لَا يَنْفَكُ عَنْهُمَا قَرْمٌ وَلَا مَتْنٌ ، وَالشَّارِعُ اعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا عِنْدَ الْعَرَبِ الْفَتْحُ^(٣) مِنَ الْوُضُوءِ الْمَتَوَسِّطَةِ ، كَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ مَا صَبَّحَ مِنَ الْأَرْتِقَانَاتِ ، فَلَمْ يَرِدْ النَّبِيُّ بَيِّنَةٌ عَلَى تَعْيِينِ الْأَدَبِ وَتَعْيِينِ الْمَشْكَالِ وَتَقْدِيرِ الْمَجْمُوعِ .

فصل في الوضوء

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَلْيَهْدُوا شَطْرَ^(١) الْإِيمَانِ » .

قَوْلُ : الْإِيمَانُ بِالْإِيمَانِ هَهُنَا هِيَ تَفْسِيَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ بَوْرِ الظَّاهِرَةِ وَالْإِخْبَارِ ، وَالْإِحْسَانُ أَوْضَحُ مِنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الظَّاهِرَ شَطْرَهُ .

قَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ مَوْصَاً فَاحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنَ الْفَقَارِ » .

أَقُولُ : النِّظَافَةُ الْمَوْثُورَةُ فِي جِلْدِ النَّفْسِ تُقَدِّسُ النَّفْسَ وَتَسْقِيهَا بِالْمَلَائِكَةِ ، وَتَنْسِي كَثِيراً مِنَ الْحَالَاتِ الدُّنْيَا^(٢) ، فَجَعَلَتْ خَاصِيَّتَهَا خَاصِيَّةَ الْوُضُوءِ الَّذِي مَوْصَحُهَا وَمُطَهَّرُهَا وَمُزَوَّنُهَا .

قَوْلُهُ ﷺ : « لَنْ أَقْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْآنًا^(٣) مَخْجُلِينَ مِنْ أَثَارِ الْوُضُوءِ » فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

(١) أَيْ : الشَّارِعَ . (٢) أَيْ : لِلنَّفْسِ .

(٣) أَيْ : نَصْفَ . (٤) أَيْ : مُوَضَّعَةً .

(٥) لَمْ يَجْعَلِ الْأَمْرَ بِهِ لِبَعْضِ الْبُحْبُوحَةِ وَالْمَحْجُورِ مِنَ الْخِيَالِ ، إِنَّمَا قَوْلُهُمَا بَيِّنٌ وَالْمَعْنَى لِمَنْ إِذَا دَعَا عَلَى رَأْسِ الشَّهَادَةِ نَوَّالِي أَجَدَةٍ كَانُوا عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَعَرَّاهُ بِمِثْلِ الْخَلَاءِ (بِصَالِ الْمَاءِ أَكْثَرَ مِنْ مِثْلِ الْغُلَى) .

عنكم أن يطير. ثَوَانَةٌ خَلِيقَةٌ. . . وقوله: ﴿تَلْعَلْ﴾: «تَلْعَلْ» حَبِيْبَةٌ^(١) من المؤمنين حيث يبلغ موضوعه. .

أقول: لَمَّا كَانَ شَيْخ الطَّهَّارَةُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَعْضَاءِ الْخَمْسَةِ تَذَكُّرٌ لِنَعْمِ النَّصْرِ بِهَا حَلْبَةً
فَلَيْتَ الْأَعْضَاءِ وَغَرَّةً وَتَحَمُّلاً، كَمَا يَتَمَثَّلُ الْكَيْفُ وَرَبّاً وَاتِّجَاعَةً أَسَدًا.

قوله: ﴿لَا يَصَافُ﴾^(٢) عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ^(٣).

أقول: لَمَّا كَانَتْ الْحَفَافَةُ حَلْبَ شَاقَّةٍ لَا تَنَاقِي [إِلَّا مَرَّ خَالٍ عَنِ بَسْرَةٍ مِنْ أَمْرِ
الضَّيَارَةِ مَوْفَقاً بِفِيهَا لِحْجِيٍّ جُمِلَتْ عَلَامَةً الْإِيمَانِ].

❁ صِفَةُ الْوُضُوءِ ❁

صِفَةُ الْوُضُوءِ. عَنِ مَا ذَكَرَهُ سَتَمَاءُ، وَعَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
عَنِ ابْنِ سُلَيْمٍ: ﴿تَلْعَلْ﴾، بَلْ تَرَانِي عَنْهُ تَلْعَلْ، تَلْعَلْ عِبَ الْأَمَةِ، كَذَا يَخْلُفُ بِسَبِّهِ قَبْلَ رَدِّهَا لَهَا: الْإِيمَانُ.
وَرَدَّهَا صَحْفًا، وَيُسْتَفْتَى: «وَيُسْتَفْتَى» فَيُفْصَلُ رَحِمَهُ تَذَرُّعُهُ إِلَى تَعْرِفَقِينَ، فَيُصْبِحُ بِرَأْسِهِ،
فَيُجْمَلُ رَجُلُهُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.

وَلَا عَرَبِيَّةٌ بِقَوْمِ نِجَارٍ، بِهِمُ الْأُمُورُ، فَاتَذَكُّرُوا تَعْمَلُ الرَّجُلَيْنِ مَسْمُوكَيْنِ بِظَاهِرِ الْآيَةِ،
فَوَافَهُ لَا قَرَّةَ عَنَّا فِي بَيْتٍ مِنْ عَالِ سَهْطٍ لَعُزْلٍ وَبَيْنَ مَنْ أَتَكَرَّ عَزْوُهُ بِهِ، أَوْ أَحَدُهُ، مِمَّا هُوَ
كَالْخَسِيِّ فِي رَاحَةِ النَّهْرِ، نَعْمَ، مِنْ فَوْضٍ بِأَنَّ الْإِحْتِطَاطَ الْجَمْعَ بَيْنَ الْحَلِّ وَالْمَسْحِ، أَوْ أَنَّ
أَدْنَى الْفَرَصِ الْمَسْحِ، وَإِنْ كَانَ الْخَسِيُّ مِمَّا يَلَامُ أَشَدَّ الدَّلَامَةِ عَلَى تَرْكِهِ، فَذَلِكَ أَمْرٌ يُمَكِّنُ
أَنْ يَرَفَقَ فِيهِ بِطَعْمٍ حَتَّى تَتَكَلَّفَ فِيهِ جَبِيَّةُ الْحَالِ، وَلَمْ أَجِدْ قَرِيبَ رَوَايَةٍ صَحِيحَةٍ بِصَرِيحٍ
بِأَنَّ ابْنِي ﴿تَلْعَلْ﴾ تَوَضَّأَ بِمِرْغَفَةٍ وَاسْتَبْشَرَ، وَرَبِيبٌ، فَهِيَ مُتَأَكَّدَةٌ فِي كَوْنِهِ غَايَةُ الْوَكَاةِ،
وَمِمَّا ظَهَرَ أَنَّ مَسْئَلَهُ أَنَّ مِنْ عَدَالَةِ الْفَاطِمَةِ فَهِيَ مَعَ الْوُضُوءِ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَوَضُّعًا لَهَا،
وَلَا يُمْكِنُ مِنْ بَابِ تَعْمُّدِ الْمُتَعَابِ^(٤)، وَالْوُضُوءُ بَيْنَهُمَا أَصَحُّ مِنَ الْقَصْلِ.

وَأَدَبُ الْوُضُوءِ تَرْجِعُ إِلَى مَعَانٍ.

مِمَّا تَعْمَّدُ الْمُتَعَابِينَ الَّتِي لَا يَمْلِكُ لَهَا شَاءَ إِلَّا بِعَاقِبَةٍ^(٥)، كَالْمَصْنُوعَةِ وَالْإِسْتِشْقِ
وَتَخْلِيلِ أَصْبَحِ الْبَدَنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَاللِّحْيَةِ وَتَحْرِيكِ الْغَاوَةِ

(١) أي: المباشرة، وقيل: رتبة معينة.

(٢) أي: أسلوب.

(٣) أي: كمال الإيمان.

(٤) الاستشقال: إخراج ماء الأنف، والامتتنال: جني الماء، النفس إلى الأنف.

(٥) أي: من مكرس الجسد والماكن يتجمع فيها الرغبة.

(٦) أي: يمشق.

ومنها إكمال التنظيف، كتنظيف لسان ركاب الإصباح - وهو إهانة القرة - ولحجج الإنقاء - وهو الدلك - ومسح الأذنين مع الرأس والوضوء على الوضوء .
ومنها موافقة عاداتهم في الأمور المهمة، كالإدانة بالإنسان، فإن البعير أقوى وأزلي، وكان أحق بالبداء فيما كان بهما، واختصاصه بالطيقات والمحاسن دون أعداءها فما كان بإحداهما .

ومنها ضبط نعل القلب بالفاظ صريحة في المراد، وضم الذكر النساني مع القلب قوله **يَكْفَى** : لا وضوء لمن لم يذكر الله .

أقول : هذا الحديث لم يجمع أهل المعرفة بالحديث على تصحيحه . وعلى تقدير صحته فهو من المواضع التي اختلف فيها طروق السلفي من النبي **ﷺ** ، فقد استمر المسلمون بحكم وضوء النبي **ﷺ** ولعلمون الناس ولا يذكرون التسمية، حتى ظهر زمان أهل الحديث، وهو نص على أن التسمية ركن أو شرط . ويمكن أن يجمع بين الوجهين بأن المراد هو التذكير بالقلب، فإن العبادات لا تقبل إلا بالنية، وحسنه يكون صحيحة، لا وضوء . على ظاهرها نعم، التسمية أدب كسائر الأدب، فقله **يَكْفَى** : لكل امرئ ما لم يبدأ باسم الله فهو أبعد وقبلاً على موضع كثيرة .
ويحتمل أن يكون المعنى : لا يكفل الوضوء .

لكن لا يرضي مثل هذا التأويل، فإنه من التأويل البعيد الذي يعود بالمخالفة على اللفظ .

قوله **يَكْفَى** : فإنه لا يدرى أين بلغت يده .

أقول : معناه أن يبعد المهد بالنظير والغفلة عنهما ملياً⁽¹⁾ مظنة لموصوف النجاسة ولأوساخ إليهما، مما يكون إدخال الماء معه نجساً له أو تكديراً وشناعة، وهو على النهي عن التلذذ في الشرب .

قوله **يَكْفَى** : فإن الشيطان يبيت على خيشومه .

أقول : معناه أن استماع المخاط والمواد الغليظة في الخيشوم سبب لتبدل الذهن وفساد الفكر، فيكون لأثر الشيطان بالوسوسة وحده عن تدبر الأذكار .

قوله **يَكْفَى** : ما منكم من أحد يتوضأ فيلبي الوضوء ثم يقول : أشهد⁽²⁾ : إنني وفي رواية : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .

(1) أي زللاً طويلاً .

(2) أي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أقول: روح الطهارة لا يتم إلا بترجُّه النفس إلى عالم الغيب واستفراغ الجهد في طهيها، فحفظ لذلك ذكراً ورثه عليه ما هو فائدة الطهارة الداخنة في جُذر النفس.

قوله ﷺ لمن لم يستوعبه: «ويل للأعقاب من النار».

أقول: السر فيه أن الله تعالى لما أوجب غسل هذه الأعضاء، اقتضى ذلك^(١) أن يحقق معناه فإذا غسل بعض العضو ولم يستوعب كله لا يصح أن يقال: غسل العضو. وأيضاً: فيه سد باب التهاون، وإنما تخطت النار في الأعقاب لأن تراكم الحدث والإصرار على عدم إزالة خصلة مرجبة للنار، والطهارة مرجبة للنجاسة منها وتكثير الخطايا، فإذا لم يحقق معنى الطهارة في عضو وخالف حكم الله فيه كان ذلك سبب أن يظهر تألم النفس بالخصلة الموجبة لنساقط النفس من قبل هذا العضو، والله أعلم.

❦ موجبات الوضوء ❦

قوله ﷺ: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»، وقوله ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور»، وقوله ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور».

أقول: كل ذلك تصريح باشتراط الطهارة والطهارة طاعة مُستقلة وُقنت بالصلاة لتوقف فائدة كل واحدة منها على الأخرى، وفيه تعظيم أمر الصلاة التي هي من شجائر الله.

وموجبات الوضوء في شريعتنا على ثلاث درجات:

إحداها: ما اجتمع عليه جمهور الصحابة، وتطابق فيه الرواية والعمل الشائع، وهو البرل والنائط والتريع والمذي والنوم الثقيل وما في معناها.

قوله ﷺ: «يكاه الشؤ^(٢) المينئ^(٣)»، وقوله ﷺ: «فإنه إذا اضطجع استرخت مفاصله».

أقول: معناه أن النوم الثقيل مظنة لاسترخاء الأعضاء ومخرج الحدث، وأرى أن مع ذلك له سبب آخر، هو أن النوم يُؤلِّد النفس، ويضمِّل فعل الأحداث.

قوله ﷺ في المذي: «يفسل نكروه ويتوضأ».

أقول: لا شك أن السلي الحاصل من الملاعبة قضاء شهوة دون شهوة الجماع، فكان من حقه أن يستوجب طهارة دون الطهارة الكبرى.

(١) أي: الإيجاب.

(٢) الكاه: ما يشد به رأس الكيس وغيره. والمه: الإست. والسلة: كحشف لئلا. والعينان: كناية عن البقلة، والمعنى أن البقلة سبب لعدم خروج شيء من الجذر، فإنما يتم استرخت مفاصل العظم والعروق فلا يتلو عن خروج شيء عادة.

قوله **يُخَالَفُ فِي الشَّكِّ** . لا يفرض من السمود متى يسمح صوتاً لم يجد ربحاً .

قول: معه حتى يستقر . إذا أورد الحكم على الخارج من السبعين كان ذلك مقتضياً أن يُسَيَّرَ بين ما هو في الحقيقة وبين ما هو مشبه به وليس هو . والمقصود في العمق^(١) .

والثانية : ما اختلف فيه السلف من فقهاء الصحابة والتابعين وأعرض فيه الرواية عن الشيء **يُخَالَفُ** : كما من الذكر لقوله **يُخَالَفُ** . من منكره فليقتضاه ، قال به ابن عمر وسائر وعروة وغيرهم ، وزده علي ومن مسعود وفيه الكوفة ، ولهم قوله **يُخَالَفُ**^(٢) . هل هو إلا بضعة^(٣) منه . ولم يحى الثلج^(٤) يكون أحدهما منبجاً .

وليس المرأة ، قال به عمر وابن عمر وابن مسعود وغيرهم ، لقوله تعالى :

(أَوْ تَتَّبِعْتُمُ أَيَّامَهُ) [الفصل: الآية ٦] .

ولا يشهد له حديث . بل يشهد حديث عائشة^(٥) بخلافه ، لكن فيه نظره لأن في إسناده انقطاعاً .

وعندي أن مثل هذه الحلة^(٦) إنما تشير في مثل تزيين أحد العذبتين على الآخر ، ولا تعبر في ترك حديث من غير تعارض ، والله أعلم .

وكان عمر وابن مسعود لا يرون التجمع عن الجنابة ، فتعين حمل الآية عندهما على النفس . لكن صح الشئم عنها عن عمران بن حصان وعمر بن العاص . والعدد عليه لإجماع . وكان ابن عمر يذهب إلى الاحتياط ، وكان إبراهيم يقلد ابن مسعود حتى وضح على أبي حنيفة ذلك الدليل الذي تمسك به ابن مسعود فترك قوله مع شدة أتباعه مذهب إبراهيم .

وبالجملة : فجاء المنشاء من مدغم في هذين^(٧) على ثلاث طبقات : أخذ به على ظاهره ، ونارك له رأساً ، وفارق بين الشهوة وغيرها .

وقال إبراهيم بالوصوء من الدم المائس والقى الكثير ، والحسن بالوضوء من القهقهة

(١) أي فتشيد .

(٢) ما سئل **يُخَالَفُ** من من الرجل **يُخَالَفُ** بعدما شرباً لل : موافق هو . لا يخ

(٣) أي قطعة لحم .

(٤) أي تقيض .

(٥) قلت : كان النبي **ﷺ** يقل بعض أتباعه ثم يسلّي ولا ينوح ؛ وقد صح الحديث .

(٦) أي الانتظام .

(٧) أي الدمس والميس .

في الصلاة، ولم يقل بذلك آخرون، وفي كل ذلك حديث لم يجمع أهل المعرفة بالحديث على تصحيحه، والأصح في هذه أن من احتاط فقد استبرأ ليوثه وعرضه، ومن لا فلا سبيل على في صراح الشريعة.

ولا شبهة أن لمس المرأة للشهوة مظنة لهواه شهوة دون شهوة الجساع، وأن من الذم فعل شنيع، وبذلك جاء انهي عن مس المرأة يمينه في الاستجماء، وإذا كان قبيحاً عليه كان من أفعال الشياطين لا محالة، وإنما السائل والقي الكثير ميزان قلبه مبني على النفس، والفتنة في الصلاة غطية تحتاج إلى كفارة، فلا عجب أن يأمر الشرع بالوضوء من هذه، ولا عجب ألا يأمر، ولا عجب أن يرغب فيه من غير عزيمة.

والثالثة⁽¹⁾: ما وجد فيه شبهة من لفظ الحديث، وقد أجمع الفقهاء من النصحية والتابعين على تركه، كالوضوء مما شئت النار، فإنه يظهر عمل الذي ينجى والخلفاء وابن عباس وأبي قلحة وغيرهم بخلافه، ويترى جابر أنه منسوخ، وكان السبب في الوضوء منه أنه ارتفاق كامل لا يفعل مثله الصلاة، فيكون سبباً لانقطاع مشابهتهم، وأيضاً فإن ما يطرح بالنار يذكر نار جهنم، ولذلك نهى عن اسكي إلا لضرورة، فلذلك لا ينبغي للإنسان أن يشغل قلبه به.

أما⁽²⁾ لحسم الإبل فالأمر فيه أشد، لم يقل به أحد من فقهاء العمحية والتابعين ولا سبيل إلى الحكم بنسخه، فلذلك لم يقل به من يثقل عليه التخييع، وقال به أحد وإنسخ: وعندي أنه ينبغي أن يحتاط فيه الإنسان، والله أعلم.

والمر في إيجاب الوضوء من أحوم الإبل - على قول من ذل به - أنها كانت محرمة في الثورة، وانفق جمهور أنبياء بني إسرائيل على تحريمها، فلما أباحها الله لما شرع الوضوء منها لعينين:

أحدهما: أن يكون الوضوء شكراً لما أنعم الله علينا من إباحتها بعد تحريمها على من قبلنا.

والثانيها: أن يكون الوضوء علاجاً لما عسى أن يخلج في بعض الصدور من إباحتها بعدما حرّمها الأنبياء من بني إسرائيل، فإن الثاني من التحريم إلى كون مباحاً يجب منه الوضوء أقرب لأطمئنان نفوسهم، وعندي أنه كان في أول الإسلام من نسخ.

(1) أي: من مرجع الوضوء.

(2) أي: قسم الثالث من مودعات فريسة.

✽ المسح على الخفين ✽

لما كان معنى الموضوع على غسل الأعضاء الظاهرة التي تسرى إليها الأوساخ، وكانت الأرجلان يدخلان عند لبس الخفين في الأعضاء الباطنة، وكذا لبسهما عادة متعارفة عندهم، ولا يخلو الأمر بوضعهما عند كل صلاة من حرج، سقط غسلهما عند لبسهما في الجملة، ولما كان من إبداء التيسير الاحتمال مما لا يفسد من مع الخفين بترك المطبوع استعمله الشارع ههنا من جرح ثلاثة^(١)

أحدها: اشترطت يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام وباليه للمسافر، لأن اليوم ليلة مقدار صالح للمؤبد يستعمله الناس في كثير مما يريدون تعهده، وكذلك ثلاثة أيام وباليها، مؤزج المقارن على المقيم والمسافر تمكنتهم من الحرج.

والثاني: اشترط أن يكون لبسهما على طهارة، ليشتمل بين يمين التكليف أنهما كاللباس على الطهارة قياساً على فلة وصول الأوساخ إلى الأعضاء المستورة، ومثال هذه التبرعات مؤثرة بما يرجع إلى تنبيه النفس

والثالث: أن يصح على طاهرهما عوض الغسل، إبقاء لمذكر بسرفح.

وفاء على فرض الله عند لو كان الشؤن بالترابي المكان أسفل الحف أولى بالسح من أعلاه.

أقول: لو كان المسح إبقاء لنموذج الغسل لا يراد به إلا ذلك، وكان الأسفل مظنة لتسرب الخفين عند المشي في الأرض كان المسح على ظاهرهما دون باطنهما مضمراً موافقاً بالرأي، وكان رضي الله عن من أعظم الناس علماً مدعي الشرع كما يظهر من كلامه وحده، لكن أراد أن يثبت مدخل لرأي لئلا يفقد العامة على أنفسهم دينهم.

✽ صفة الغسل ✽

على ما رونه عائشة وميمونة ونظير عليه الأمة، أن غسل يده قبل إدخالهما الإزار، ثم غسل ما وجد من نجاسة على يده ورجله، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ويضمه رأسه بالتخليل، ثم يغسل الماء على صدره.

(١) هكذا روى الأئمة وأصحابنا وعلينا وجهه

وكانت لها في حرف واحد يزعم غسل القدمين أو لا^(١) وقيل بالتفريق بين ما إذا كان في موضع^(٢) من الأرض وما إذا لم يكن كذلك.
أما غسل اليدين فلما أمر اللوضوء.

وأما عن الشرح فإذ لا تتكرر الجملة بإسالة الماء عليها، فيعبر غسلها ويحتاج إلى ماء كثير، وإيضاً لا يصفو الغسل بطهارة الحدث.

وأما اللوضوء فلأن من حق الطهارة الكبرى أن تستمس على طهارة الصغرى وزيادة، ليتضاعف منه الغسل لثقله الصلابة، وأيضاً فالوضوء في الغسل من باب تمهيد المتأخر في، إذا أقاض على رأسه الماء لا يتوجه بالأطراف، إلا بتعهد واعتناء.

وأما بأجل غسل القدمين فلأنه يتكرر غسلهما بلا فائدة، فمهم إلا المحافظة على صورة اللوضوء، ثم كمل غسل بالتمسك إلى التثبيت ولذلك وتمهد المقام وتأكيد تسير قوله ﷺ: «لَنْ يَكُنِي بِمُتَّقٍ» نصيبه قوله: «يُحِبُّ لِحَاءَهُ وَاسْتَوَى».

والأمر من تعيين لئلا واجب، وكونه بحيث لو حرم إسان بالوجه المعتاد لم ير عورته مستحب.

قوله ﷺ: «مَنْ خَذِيَ فَرْصَةً^(٣) مِنْ مَسَكٍ فَتَطْهَرِي بِهَا» يعني تنجي بها أثر الدم.

أقول: إنما أمر بالفرصة المتحركة لعدم.

مسا زيادة الطهارة. إذ الغلب يعمل بعمل الطهارة، وبما تم بين في مائر الأوقات حثوا عن الشرح.

ومنها إزالة الرائحة الكريهة التي لا يخلو عنها الحيض.

ومنها أن اتقاء المفسر والشرع في الظاهر وقت انتهاء الولد، والغلب يهيج عند القوة.

واختار الصاغ إلى حصة أمدد للغسل والسند للوضوء، لأن ذلك مقدار صلاح في الأحكام المتوسطة.

قال النبي ﷺ: «اسْتَمْسِكْ كُلَّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٍ فَاغْسِلُوهَا بِالْمَاءِ وَاتَّقُوا الْبِشْرَةَ» وقوله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّعَ شَعْرَةً مِنَ الْجَنَابَةِ لَمْ يَسَاهَا فَعَلْ بِهَا كَذَا وَكَذَا».

سر ذلك مثل ما ذكرناه في استحباب اللوضوء من أنه تحقيق لصحة الغسل، وإن الإقاء

(١) أبو بكر صلاه

(٢) غرضه، بكسر الفاء، قطعة من صوف أو غزل أو حرقة تدحج به المرأة من الحيض

على الجنابة والإصرار على ذلك موجبة للنار، وأنه يظهر تألم النفس من قبل الغسل الذي جاء منه الخلل.

❁ موجبات للغسل ❁

قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها^(١) الأربع، ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم يَنْزِلْ».

أقول: اختلفت الرواية: هل يُحمل الإكمال - أي الجماع من غير إنزال - على الجماع الكامل في معنى قضاء الشهوة، أم على ما يكون معه الإنزال؟ والذي صحح رواية وعنه جمهور الفقهاء هو أن من جمعا فقد وجب عليهما الغسل وإن لم ينزل.

واختلفوا في كيفية الجمع بين هذا الحديث وحديث: «إنما الماء^(٢) من الماء»^(٣):

فقال ابن عباس: «إنما الماء من الماء للإحلام». وفيه ما يرد^(٤)، وقال أبي: «إنما كان الماء من الماء وخاصة أول الإسلام، ثم نهى».

وقد روي عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وأبي بن كعب وأبي أيوب رضي الله عنهم فبين جامع أمراته ولم يَنْزِلْ قالوا: يتوضأ بها يتوضأ للصلاة، ويغسل ذكره. ووقع ذلك إلى النبي ﷺ.

ولا يبعد عندي أن يحمل ذلك على المباشرة الفاحشة، فإنه قد يطلق الجماع عليها. وسُئِلَ النبي ﷺ عن الرجل يجد البُلبُل ولا يذكر الإحلام قال: «يفتسل»، وعن الرجل الذي يرى أنه قد احتلم ولا يجد بلبلاً قال: «لا يغسل عليه».

أقول: إنما أدار الحكم على البلبُل دون الرُّوْيا لأن الرُّوْيا تكون تارة حديث نفس، ولا تأثير له، وطوراً تكون قضاء شهوة، ولا تكون بغير ملل، فلا يصلح لإدارة الحكم إلا البلبُل، وأيضاً فإن البلبُل شيء ظاهر يصلح للانقباض، وأما الرُّوْيا فإنها كثيراً ما تُخس.

ولا شك أن طول مدة الظهر والحوض وقصرها يختلفان باختلاف المزاج والغذاء ونحوهما، ولا يكادان يسطان بشيء مفرد، فلا يجوز أن الأصح هو الرجوع إلى عادتهما، فإذا رأين أنه حيض فهو حيض، وإذا رأين أنه استحاضة فهو استحاضة.

(١) بينها ورجلها. وقوله: ثم جهدها، أي: جمعا من إكمال تمام كمشقة.

(٢) أي: الغسل.

(٣) أي: النبي.

(٤) أي: يردّه سبب وجود الحديث كما أخرجه مسلم.

واختلاف الأصحاب والتابعين في ذلك مشؤم الاستقرار والتخريب .

واستفتت حمزة⁽¹⁾ في الاستحاضة فأمرها بالكرف⁽²⁾ والتلجيم، وغيرهما من
أئمة⁽³⁾ .

أقول: الأصل في ذلك أنه يجب لنا رأى أن الاستحاضة ليست من الأمور الصحيحة،
وبرك اتصالها فيها يؤدي إلى إبطالها مدة مدته أو د أن يحسنها على الأمر المعروف
عندهم، فبها وجهان:

أحدهما: أنها عرقى - أي: جاء حيي المأخذ - وليست حيفة، بمنزلة الرغاف، فردعا
إلى ما كان في الصحة من حبسها وطهرها في كل شهر، ولا بد حيتن من نيز الحيفة من
غيرها، إما بالغون - دلائل كالأسد للحي - أو بأيمانها المبرقة عندها.

والثاني: أنها حيفة فاسدة؛ فكونها حيفة ينفي أن تزمر بالفضل عند كل صلاة،
وإنما تغتر فعند كل صلاتين، وكونها فاسدة لم تمنع الصلاة. والحكمة في الكرف
والتلجيم أن يلحق التيم بما استمر في مكانه ولا يدور، ولأنه يحب منها وتياها، وأتى
جمهور الفقهاء بالأول إلا عند نذرهم.

❀ ما يباح للجنب والمحدث وما لا يباح لهما ❀

لنا كان نعظم شتم الله وأهله، ومن الشتمات الصلاة والكعبة والقرآن. وكان أعلم
نعظيم إلا يترك من لإنسان ألا بطهارة كدقة، وتنبه النفس بفعل منأف وجب ألا
يقربها إلا مطهراً، وأن بشرط الرضوء لقراءة القرآن لأن المتزيم الرضوء عند كل قراءة يخل
في سمط القرآن وثاقبه. ولا بد من فتح هذا الباب والترغيب فيه والتخفيف على من أراد
حفظه، ووجب أن يؤكد الأمر في الحديث الأكبر، فلا يجوز نفس القراءة أبداً⁽⁴⁾ ولا أن
يدخل المسجد جنب أو حائض، لأن المسجد مهيا للصلاة والذكر، وهو من شتمات
الإسلام وسوء الفكرة.

- (1) أي بنت حمزة.
- (2) الكرف: القطن، وقتلحكم به الحرقه المرسنة حتى لتجام. أي: بأن تحشوها بالقطن وتنسها على الفرج
وتشد طرفيها من وسطها.
- (3) الأول: أن تحبس مدة أيام أو مدة أيام من كل شهر وتسللي في الأيام ليلانيه، والثاني: أن تؤخر الطهور
وتأجل المسر ومسمى ويجمع بين الصلاتين وهكذا تغسل للفاسين وتغسل للمسور.
- (4) يراجع تحقيق هذا في الجزء الأول من كتابنا هذه السنة.

ولم يشترط الطهارة في مجالس النبي ﷺ، لأن كل شيء له تعظيم يناسبه، وكان بشراً يروى من الأحداث والجنابة ما يروى للبشر، فكان اشتراط الطهارة في ذلك قسماً للموضوع، قال النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا شئبه».

أقول: نمراد أن هذه تنقُرُ منها الملائكة، وأنها أعدد ما فيه الملائكة من الطهارة والتنقُر من عبدة الأصنام.

وقال النبي ﷺ: فمَنْ تَعَبَ الْحَتَابَةَ مِنَ اللَّيْلِ: «تَوَضَّأَ، وَغَسَّ فُكْرَهُ، ثُمَّ نِمَ».

أقول: لما كانت الجنابة منافية لمهيات الملائكة كان العزمي في حق المؤمن ألا يترسل في حوائجه من النوم والأكل مع الجنابة إذا تعذرت الطهارة الكبرى لا ينبغي أن يدع الطهارة للصغرى، لأن أمرهما واحد غير أد الشارح وزعهما على الحدثين.

القيِّم

لما كان من سنَّة الله في شرائعه أن يسهل عليهم كل ما لا يستطيعونه، وكان أحق أنواع التيسير أن يسقط ما فيه حرج إلى بدل، لتعظم نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم بإحمال ما التزموا غاية الالتزام مرة واحدة ولا يألوا ترك الطهارات - أسقط الوضوء والغسل في المرض والسفر إلى القيم، ولما كان ذلك، كذلك أزيل القضاء في العلل الأعلى بإقامة التيمم مقام الوضوء والغسل، وحصل له وجود تشبيهي أنه طهارة من الطهارات، وهذا القضاء أحد الأمور المعطاة التي تميزت بها الملة المصطفوية من سائر الملل، وهو قوله ﷺ: «جُعِلَتْ تَوْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِنَّا لَمْ نَجِدَ لِمَاءً».

أقول: إنما خص الأرض لأنها لا تكاد تفقد، فهي أحق ما يرفع به الحرج، ولأنها طهور في بعض الأشياء كالخف والسيوف بدلاً عن الغسل بالماء، ولأن فيه تذلاً بمنزلة تغيير الوجه في الثراب، وهو يناسب طلب العفو. وإنما لم يفرق بين بدن الغسل والوضوء ولم يشرع التمرغ، لأن من حق ما لا يعقل معناه بائني الرأي أن يجعل كالمؤثر بالشامية دون المصادر، فإنه هو الذي اطمانت نفوسهم به في هذا الباب، ولأن التمرغ فيه بعض الحرج، فلا يصلح رافعاً للحرج بالكلية.

وفي معنى المرض البرد الفصار، لحدث عبور من الماضي، والسفر ليس بقيد إنما هو صورة لعدم وجدان الماء يتبادر إلى الذهن، وإنما لم يزم بصح الرجل بالتراب لأن الرجل محل الأوساخ وإنما يزم بما ليس ماصلاً ليحصل به التيمم.

أما صفة التيمم فهو أحد ما اختلف فيه طريق النطق من النبي ﷺ، وإن أكثر لمقامه

من التابعين وغيرهم - قبل أن تعهد طريقة المحدثين - على أن التيمم ضربتان: ضربية للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين.

وأما الأحاديث فأصحها حديث عثمان: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك». وروى من حديث ابن عمر: «لتيمم ضربتان: ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين». وقد روي عمل النبي ﷺ والصحابة على الوجهين، ووجه الجمع ظاهر، يرشد إليه لفظ: «إنما يكفيك». فالأول⁽¹⁾ أفنى التيمم، والثاني هو السنة، وعلى ذلك يمكن أن يحمل اختلافهم في التيمم. ولا بعد أن يكون تأويل فعله ﷺ أنه علم عماراً أن المشروع في التيمم إيصال ما تقصى باليدين بمسبب الضربة، دون التمرغ، ولم يرد بيان قدر المسوح من أعضاء التيمم ولا عدد الضربة، ولا بعد أن يكون قوله لعمار أيضاً محمولاً على هذا المعنى، وإنما معناه الحصر بالنسبة إلى التمرغ، وفي مثل هذه المسألة لا ينبغي أن يأخذ الإنسان إلا بما يخرج به من العهدة يقيناً، وكان عمر وابن مسعود رضي الله عنهما لا يريان التيمم على الجنب، وحملوا الآية على التمس بأنه ينقض الوضوء، لكن حديث عمران وعمار يشهد بخلاف ذلك. ولم أجد في صحيح نصريحاً بأنه يجب أن يتيمم لكل فريضة، أو لا يجوز التيمم للأبى ونحوه، وإنما ذلك من التخريجات.

قوله ﷺ في الرجل المشجوع: «إنما كان يكفيك أن يتيمم ويصعب على جرحه خوفة، ثم يمسح طمها بيقل سائر جسده».

فيه: أن التيمم هو الأيدل من العضو كتمام البدن، لأنه كائناً المؤثر بالخاصية.

ونبه: الأمر بالمسح، لما ذكرنا في المسح على الخفين.

قوله ﷺ: «إن قصيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين».

أقول: المقصود منه سد باب التعمق، فإن مثله يتعمق فيه المتمتعون، ويخالفون حكم الله في الترخيص.

❁ آداب الخلاء ❁

هي ترجع إلى سبأ:

تطهير النيلة، وهو قوله ﷺ: «إذا تيمم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها».

(1) أي: الانفصال على الضربة الواحدة، والثنتي: أي الضريقتان.

وفيه حكمة أخرى : وهي أنه لما كان تولُّه القلب إلى تعظيم الله أمراً خفياً لم يكن بد من إقامة حُطَّة ظاهرة مقامه ؛ وكان الشرائع المتقدمة تجعل تلك الحُطَّة الحُرول بالصوامع والمنية لله تعالى التي صارت من شعائره ودينه ، وجعلت شريعته الحُطَّة استبدال القلة والتكبير ، فلما جعل الله تعالى استقبال القبلة قائماً مقام توجه القلب إلى تعظيم الله وجمع الخاطر في ذكر الله وكان سبب إقامته أن هذه الشهادة تذكر الله ، استبط النبي ﷺ من هذا الحكم أنه يجب أن يجعل هيئة الاستقبال مختصة بالتعظيم ، وذلك بالأستعمال في الحياة الدنيا ، للصلاة كل المباشرة ، وروى استقباله واستدباره ، فجميع بتزليل التحريم على الصمراء ، والإذاعة على البيان ، وجميع يحمل النهي على الكراهية وهو الأظهر .

ومنها : تحقيق معنى التنظيف ، فورد النهي عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار - أي ثلاث مسحات - لأنها لا تُكْفَى غالباً ، واستحب الجمع بين الحجر والماء .

ومنها : الاحتراز عما يضر الناس ، كالتخني^(١) في ظل الناس وطرتهم وتعتقنهم والماء الدائم والاستنجاء بالمعظم ، لأنه طهارة الجن ، وكذا ما سائر ما يُنتفع به . وأنهى قوله ﷺ : « لا تقفوا إلا على نيتي »^(٢) : أن الحكمة الاحتراز عن لعنهم وتأذيتهم ، أو ما يضر بقسمه ، كالقول في الخبر ، فإنه قد يكون مأوى حية أو مثلها فيخرج ويؤذي .

ومنها : اختيار محاسن العادات - فلا يمسح بيمينه ، ولا يأخذ ذكره بيمينه ، ولا يستحي ، يرجع ، ويوتر في الاستنجاء .

ومنها : رعاية السر ، فينبغي أن يبعد ثلثا يُسمع منه صوت ، أو يُشم منه ريح ، أو يُرى منه عورة ، ولا يوقع ثوبه حتى يذهب من الأرض ، ويسير بمثل حاشش^(٣) نخل مما يورث أسافل بلدته ، فمن لم يجد إلا أن يجمع ثياباً من رمل فليستدبره ، فإن الشيطان يلعب بسقاذه بين آدم^(٤) ، وذلك لأن الشيطان جيل على أفكار فاسدة وأعمال شنية .

ومنها : الاحتراز من أن يصيب به أثره نجاسة . وهو قوله ﷺ : « إذا ارتكبت أحدكم أن يبوله فليوترد لبوله »^(٥) .

(١) أي التخييل .

(٢) أي التقط في طريق الناس وفي ظلم .

(٣) حشيش النخل . جماعة حشها أي الملقح المبتلع . وقوله : « فليستدبره » أي يجعله خلفه .

(٤) أي يحضر أشكة الاستنجاء ويرسدها بالأذى والفساد .

(٥) قاله لما أمر أن يبول فلقى أيضاً سهوة في فصل جدار ليل ثم قال : « إذا ارتكبت أحدكم أن يبول فليوترد لبوله موضعاً مثل هذا الموضع » وهو من الزود بمعنى اللتب . والمستنقع جمع منقعة ، وقوله : « لا تبول قائماً » قاله لعمر .

ومنها: إزالة الرخاوس، وهو قوله ﷺ: «لَا يَبُولُونَ لِحُكْمٍ فِي سَمْتِكُمْ» فإن عامة الرخاوس منه، وقوله ﷺ: «لَا تَقُلْ قَاتِلًا».

أقول: إنما كره البريء فائماً لأنه يهيبه الرشاش، ولأنه يتأني الرقار ومحاسن المعادات، وهم عظة التكشافي العورة.

قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ^(١) مُخْتَصَرُهُ قِيلَ لَمْ يَأْمُرْ أَحَدَكُمْ بِالْخَلَاءِ فَلْيَقُلْ: أَحَدُ يَاللهُ مِنَ السَّبْتِ وَالضَّمَانَةِ، وَإِلَّا خَرِبَ مِنَ الْخَلَاءِ هَالِ، غَفَرْنَاكَ .

أقول: يستحب أن يقول عند الدخول: «قلهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»، لأن الخبثوش محتضرة، يحضرها الشياطين لأهمهم يحبون التجاسس، وعند الخروج: «عقلوك»، لأن وقت ترك ذكر الله ومخالطة الشياطين.

قوله ﷺ: «أما لهما فكلن لا يستيري من البول»، الحديث⁽²⁾.

أقول: به أن الاستبراء واجب، وهو أن يسكت ويشتر حتى يغني أن لم يبق في قصة الذكر شيء من البول.

وفيه: أن مخالطة النجاسة والعمل الذي يؤدي إلى قساوة ذات البين يوجب عذاب القبر.

أما شئ الحرية والفرز في كل قبر فيه، الشفاعة المفيدة إذ لم تمكن المطلقة
لنكحهما .

✦ خصال الفطرة وما يتصل بها ✦

قال النبي ﷺ: «عشر من الغفلة: قهر الشارب، وإغفاء للحية، والسجود، والاستغراق بالماء، وفجر الأظفار، وغسل الثوب لجم، ووقف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» يعني الاستحذاء. قال الراوي: «وسبت العاشرة إلا أن تكون: والعوضنة».

أقول: هذه النظاهرة منقولة عن إبراهيم عليه السلام متداولة في طوائف الأمم الخفيفة، أشربت في قلوبهم ودخلت في سميم اعتقاداتهم، عليها محياهم وعليها مماتهم

(١) جمع عش وهو الكفيف. وقوله مدحسوة أي يحقرها الجبن والشياطين يتراصمون فهي لهم بالآفة والفساد.

(2) قول الحديث: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِمَا تَحْتَسِبُ، وَهِيَ تَحْتَسِبُ لَهَا عَذَابٌ كَبِيرٌ» (أما أعداها... الخ) وتمام الحديث: «وَأَمَّا الْأَنْفُسُ الَّتِي قَتَلْتُمْ بِمَا تَحْتَسِبُ، ثُمَّ أَخَذْتُمْ حُرُوبًا رَغْبَةً فَتَشْلُوهَا تَسْلُونَ عَنْ غُرَّتِ فِي كُلِّ قَبْرِ وَاحِدَةٍ» فالأول ما يرسن الله لم يصنع هذا الخلق لئلا يظلم عندها عالم يهدأ.

عصراً بعد عصر، ولذلك سُمِّيَتْ بالفطرية، وهذه شعائر السنة لحينية، ولا بد لكل ملة من شعائر يبرعون بها ويَزَاهِدُونَ عليها، لتكون طاعتها وعصيتها أمراً محسوساً، وإنما ينبغي أن يجعل من الشعائر ما كثر وجوده وتكرر وقوعه وكان ظهراً، وفيه فوائد حية تقبض أذهان الناس أخذ قبول.

والجملة في ذلك: أن بعض الشعور الثابتة من جسد الإنسان يفعل فعل الأحداث في قضي الخلط، وكذا شعث الرأس والمخية. ويرجع الإنسان في ذلك إلى ما ذكره الأطباء في الشري^(١) والحكمة وغيرهما من الأمراض الجلدية أنه تحزن القسب وتذهب الخلط.

واللحمة هي انقارفة بين الصغير والكبير، وهي حمال الفحول وتعام حياتهم فلا بد من إعفائها وقضائها سنة المحسوس، وفيه تعبير خلق الله، ونحو أهل السوء والكبرياء بالزجاج^(٢). ومن طائفت شواربه نطق الطعام واشرباء بهاء واجتمع فيها الأوساخ وهو من سنة المحسوس، وهو قوله **يُجْذَى**: «خالفوا المشوكين، قُضُوا الشوارب وأطوا القسب».

وفي المصمصة: «لا تشدق السوا» إزاحة المخاط والحر.

والسنة^(٣) عضو زائد اجتماع فيها الوسخ ويمنع الاستبراء من البول وينقص لذة الجماع. وهي السوا: (إن الختان يسمى الله عني إبراهيم وفريته)، معناه أن المنيك حرمت حادتهم بأن يسخرها ما يفسدهم من الذوات المتدبر من غيرها. والمعبود الذين لا يريدون بختانهم، فكذلك حمل الختان ميسماً عليهم. وشائر الشعائر يمكن أن يبدلها تغيير وتكليس بالختان لا يتغرق إليه نسر إلا بحدته، ونقصان الماء^(٤) كناية عن الاستسحابة.

قوله **يُجْذَى**: «أربع من سفن المومنين في الدنيا» يروى: «الختان والتمطر والسوك والفتاح».

أقوله «أرى أن شاء كلها من الظهيرة ذكياً» ترك انقارفة والبذاء والفواحش، وهي تلوث النفس وتكثرها، والنعطر يهيج سرور النفس واشراحها، ويُنَبِّه على العبادة تبيها قوياً، والسكاح ينشر الحاشية من الثوبان إلى السماء ودوران أحاديث تمل إلى قضاء هذه الشهوة.

قوله **يُجْذَى**: «لولا أن ألقى على أمي لأمرتهم بالسوك عند كل صلاة».

(١) على حسب ما في يهود حصار حمو حكاية مخربة تحدث على فجدة معة عالية

(٢) حتى لا يذوقوا أذى من مضطهم وأخلاصهم. جمع دعه.

(٣) فلقته.

(٤) نشره وكبح الاستسحابة، وغيره بالانكس الأول، الماء إذا سبى الدنكاري به. والله محسن الإنانكس أو أريد به البول، وقامت له أريد به ما يغسل به، وهو يجره لزماً ومعنوياً.

أقول: مناه لولا خوف إخراج لحيث السواك شرطاً للصلاة كالتوضوء، وقد ورد بهذا الأسلوب أحاديث كثيرة جداً، وهي دلائل واضحة على أن لاحتواء النبي ﷺ، مدخلاً في الحدود الشرعية، وأنها منوطه بالمقاصد، وإذا رفع الحرج من الأصول التي بُنيَتْ عليها الشرائع.

قول الرازي في حقه نسوكة ﷺ: يقول: ما أع، كأنه ينهض^(١).

أقول: يعني الإنسان أن يبتلع بالسواك أقاصي أظم، فيخرج بلاغم الحلق والصدر، والاستقصاء في السواك يذهب بالقلاع^(٢)، ويصفي الصوت، ويطيب النكهة.

قوله ﷺ: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً، يغسل فيه جسده وداية».

أقول: هذا يدل على أن الاختصاص في كل سبعة أيام سبعة مستقلة شرعت لدفع الأوساخ والأدران وتبب النفس لصفة الطهارة، وإنما رقت الصلاة لجمعة لأن كل واحد منهما يكفل ما آخر وفي تطم صلاة الجمعة.

وكان النبي ﷺ يغتسل من أربع: من الحنابة، ويوم الجمعة، ومن الحجامة، ومن غسل ثيابه.

أقول: أما الحجامة فلأن الدم كثيراً ما ينتشر على الجسد، ويتمر غسل كل نقطة على جدها، ولأن المص بالملازم يجاذب للنم من كل جانب فلا يفيد، نقص الدم من العصور، والغسل يزيل السيلاز ويمنع انجذابه.

وأما غسل الثياب فلأن الرشاش ينتشر في البدن. وجلت عند محتضر، فرايت أن الملائكة اسوكة بغض الأرواح لها تكاة عجيبة في أرواح الحاضرين، ففهم أنه لا بد من تغيير لحالة لقبه النفس لمخالفتها.

أمر ﷺ من أسلم بأن يغتسل بهاء وسدر، وقال لآخر: «ألق عتق شعرك للكفر».

أقول: مره أن يمتل عند الخروج من شيء، أصرح ما يكون، والله أعلم.

❁ احكام للمياه ❁

قوله ﷺ: «لا يؤمن احكم لمي الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه».

(١) من جموع رمي، أي يتقيه والمراد أنه ﷺ يتلقى في سواكه حتى يوصله قميصه حتى

(٢) ماء لخم.

أقول: معناه التهي عن كل واحد من البول في الماء والمسل فيه، مثل حديث: «لا يخرج الرجلان يضربان لفاتهما كاشفين عن عورتكما ينعتلان» فإن الله يسقط طي الله، ويبين ذلك رواية التهي عن البول في الماء فقط، ورواية أخرى في التهي عن الاغتسال فقط، والحكمة أن كل واحد منهما لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يغير الماء بالفعل، أو ينضمي إلى التغير بأن يراه الناس يفعل، فيتأيموا، وهو بمنزلة الملايين⁽¹⁾، اللهم إلا أن يكون الماء مسجوراً أو جارياً⁽²⁾، والمعاف لفصل كل حال.

وأما الماء المستعمل فما كان أحد من طوائف الناس يستعمله في الطهارة، وكان كالمهجر المطرود، فأبغاه النبي ﷺ على ما كان عندهم، ولا شك أنه ظاهر.

قوله ﷺ: «إذا بلغ ماء قلقتين لم يحمل خبثاً»،

أقول: معناه لم يحمل خبثاً معنوياً، إنما يحكم به الشرع دون العرف والعادة، فإذا تغير أحد أوصافه بالنجاسة ونقضت نجاسة كذا أو كيفاً فليس معاً ذكر، وإنما جعل الثنتين حداً فاصلاً بين الكثير والقليل لأمر ضروري لا بد منه، وليس تحكماً ولا جزافاً، وكلنا سائر المقادير الشرعية، وذلك أن للماء محطين: معدن ووران، أما المعدن فالأبار والعيون، ويلحق بها الأرضية، وأما الأواني فالخزف والجلال والجبان⁽³⁾ والمخاضب والإفارة، وكان المعدن يضررون بتسببه يفسدون العرج في نوحه، وأما الأواني فثلاث في كل يوم ولا خرج في إزالتها، والمعدن ليس لها غطاء ولا يمكن منعها من دوث الدواب ووثع السباع، وأما الأواني فليس في تغطيتها وحفظها كثير حرج، اللهم إلا من الطوائف والطوائف، والمعدن كثير غزير لا يكثر فيه كثير من النجاسات بخلاف الأواني، فوجب أن يكون حكم المعدن غير حكم الأواني، وأن يرخص في المعدن ما لا يرخص في الأواني، ولا يصنع فارقاً بين حد المعدن وحد أواني إلا الثنتين، لأن ماء البئر والمين لا يكون أقل من الثنتين البتة وكل ما دون الثنتين من الأودية لا يسمى حوضاً ولا بيرة وإنما يقال له حفرة، وإذا كان قدر فلنتين في مئونة من الأرض يكون غالباً سبعة أشبار، وذلك أدنى الحوض، وكان أعلى الأواني الثلثة، ولا يعرف أعلى منها عندهم نية.

وليس الفلال سراء: قلثة عندهم تكون قلثة ونصفاً، وقلثة وربعاً، وقلثة وثلاثاً، ولا

(1) أي: الذين ورد تكريمهم في حديث طهروا الفلاحين، يعني الأسرى لاجلين للمعة، وما لتخلي في الظل والطريق.

(2) وقد ورد التهي عن البول في الماء الجاري أيضاً.

(3) جمع جفة وهي القسعة الكبيرة، والمخاضب جمع مخضب بالكسر وهو إنجلى تقس في القباب، والإفارة بالكسر بناء صغير من جلد يشتر الماء.

نُعرف قلَّةً تكون كقُلُوبين، فهذا حد لا يلبثه الأواني، ولا ينزل منه المعدن، فحُضِبَ حَدًّا حاصلًا بين الكثير والقليل، ومن لم يقل بالقُلُوبين اضطر إلى مشاهدتها في ضغط انحاء الكثير - كالماتكة - والرخصة في آبار الفلوات من نحر أمار الرمل.

فمن هنا ينبغي أن يعرف، لأنَّ أمر الحدود الشرعية، فإنها نازلة على وجه ضروري لا يجدون منه بدءًا، ولا يُعَوِّزُ العَقْدُ غيرها.

قوله **﴿وَالْعَاءُ طَهْرٌ لَا يَتَجَسَّسُ فِيهِ﴾**، وقوله **﴿إِذَا﴾**، العاء لا يجسس، وقوله **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ لَا يَتَجَسَّسُونَ﴾**، ويقلُّ ما من الأخبار من أن الذين لا تجسس والأرض لا تنجس.

أقول: محس ذلك كله يرجع إلى نفي نجاسة خاصة، ندل عليه القرائن الحالية والناقية.

قوله **﴿الْعَاءُ لَا يَنْجَسُ﴾**، عاء المعادن لا تنجس بمخالطة النجاسة إذا أخرجت وزويت ولم يبق غير أحد أوصافه ولم تَحْش. والذين يفسون فيطهرون، والأرض يفسونها المطر والشمس وتذكيها الأرض بل تطهره، وهل سكن أن نطق بتر بقناعة أنها كانت تستقر فيها النجاسات؟! كيف، وقد جرت عادة بني آدم بالاجتناب عما هذا شأنه، فكيف يستفي بها رسول الله **﴿ﷺ﴾** بل كانت تقع فيها نجاسات من غير أن يفقد إلقاؤها، كما تشاهد من تيار زماننا، ثم تخرج تلك النجاسات، فلما جنى الإسلام سألوا عن الطهارة الشرعية الزائدة على ما عددهم، فقال رسول الله **﴿ﷺ﴾**، والعاء طهور لا يتجسس شيء، يعني لا يتجسس نجاسة غير ما عندكم، ونيس هذا تأويلًا ولا حصرًا عن الظاهر بل هو كلام العرب، فقول تعالى:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَهَارَةٍ﴾ [الأنعام: ١٥٥] الآية.

معناه: مما اختلفتم فيه.

وإذا سُئِلَ الطيب عن شيء، فقال: لا يجوز استعماله، عُرف أن السواد بقي الجواز باعتبار صفة البذر، وإذا سُئِلَ فقيه عن شيء، فقال: لا يجوز، عرف أنه يريد نفي الجواز الشرعي.

قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَسُكُ﴾ [نساء: ٢٢].

وقوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْتَانُ﴾ [مائدة: ١١].

فالأول في السكاح والثاني في الأكل.

قوله **﴿وَالْعَاءُ طَهْرٌ لَا يَتَجَسَّسُ فِيهِ﴾**، لا نجاس إلا يوني، تعني للجواز الشرعي لا الوجود الخارجي. وأمثال هذا كثيرة وليس من الأوائل.

وأما الموضوع من الساء المقيد الذي لا يطلق عليه اسم اثناء بلا قيد فأمر تدفعه الملة يادي الرأي. نعم، إزالة الخبث به محتفل، بل هو الرجوع.

وقد أقال القوم في فروع: موت الحيوان في البشر، والعشر في العشر، والساء المجاري... وليس في كل ذلك حديث عن النبي ﷺ البتة، وأما الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين كأثر ابن الزبير في الرنحي، وعنه رضي الله عنه في الفارة، والنخعي والشمسي في نحو السور، فليست مما يشهد له المحدثون بالصحة، ولا مما اتفق عليه جمهور أهل القرون الأولى، وعلى تقدير صحتها يمكن أن يكون ذلك نظيماً للقلوب وتنظيفاً للماء لا من جهة الوجوب الشرعي، كما ذكر في كتب المالكية، ودون نفي هذا الاحتمال غرض القناد^(١).

وبالجملة: فليس في هذا الباب شيء يُعتد به ويجب العمل عليه، وحديث الثقلين أثبت من ذلك كله بغير شبهة. ومن السحال أن يكون الله تعالى شرع في هذه المسائل لعباده شيئاً زيادة على ما لا يتفكر من الارتفاقات، وهي مما يكثر وقوعه وتتم به النوى ثم لا ينص عليه النبي ﷺ نصاً جلياً، ولا يستغفر في الصحابة ومن بعدهم ولا حديث واحد فيه، والله أعلم.

تطهير النجاسات

النجاسة كل شيء يستغفروه أهل الطبايع السليمة ويتعظرون عنه ويغسلون الثياب إذا أصابها، كالمذرة والبول والدم. وأما تطهير النجاسات فهو مأخوذ عنهم ومستنبط مما اشتهر فيهم.

والمرث ذكر^(٢)، لحديث ابن مسعود، ويول ما يؤكل لحمه لا شبهة في كونه شيئاً تستغفروه الطبايع السليمة، وإنما يرضع في شربه لضرورة الاستشفاء، وإنما يحكم بغيره أو بخفة نجاسته لفتح المرح، وألحق الشارع بها الخمر وهو قوله تعالى: ﴿يَمْسِرُ مَا كَانَ مَلَكًا مَّقْطَرًا﴾ [الحج: ١٩].

لأنه حرّمها وأثّر تحريمها، فاختصت الحكمة أن يجعلها بمنزلة البول والعدرة، لينبئ نجيها عنهم ويكون ذلك أكبح نفوسهم عنها.

(١) خوطه فاجز: لانتزع لوزي منه عليه خرباً، والقتاد: شجر سلب له شوك. وهذا مثّل، وصوته خوطه لقتاد. يضرب للأمر المشكل الصعب والممتنع.

(٢) بالكسر: شيء المعنى بالرجوع من قولهم رجعتم شيء إلى دينه ورجعته.

قال النبي ﷺ : « إذا شرب الكلب في إناء أحكم فليغسله سبع مرات » وفي رواية :
« لولا أن بالقراب » .

أقول : أُلحق النبي ﷺ سؤر الكلب بالنجاسات ، وجعله من أشدها ، لأن الكلب حيوان ممنوع نظر منه الملائكة ، ويُنْفَعُ اقتناؤه والمخالطة معه بلا عذر من الأحرار كل يوم غير أطاف . والسر في ذلك أنه ينسب الشيطان بجفئته ، لأن ديدنه لمب وغضب والمطرح في النجاسات وليده للناس ، وبخل الإكهام من الشياطين ، فَرَّقَ⁽¹⁾ بينهم صوداً وتهاوناً ، ولم يكن سبيل إلى النهي عنه بالكيفية لضرورة الزوج والعاشية والحراسة والصيد ، فعالج ذلك باشتراط أتم الطهارات وأوكدها وما فيها بعض الحرج ليكون بمنزلة الكفارة في الروع والمنع .

واستشعر بعض حَمَنَةِ الْعَلَّةِ⁽²⁾ بأن ذلك⁽³⁾ ليس بتشريع بل نوع تأكيد ، واختار بعضهم رعاية ظواهر الحديث ، والاحتياط انفس .

قوله ﷺ : « هريقاً⁽⁴⁾ على بوله شيئاً من ماء »

أقول : البول على الأرض يظهر مكافرة الماء عليه ، وهو مأخوذ مما تقرر عند الناس فاطمة أن المطر الكثير يظهر الأرض ، وأن المكافرة تذهب بالرائحة المنة وتجعل البول صلاءً⁽⁵⁾ كأن لم يكن .

قوله ﷺ : « إذا أصاب ثوب إحداكم قدم من الحبيضة فلتقرصه ، ثم لثغصه بماء⁽⁶⁾ ثم ائتمأ⁽⁷⁾ فيه » .

أقول : تحصل الظهارة بزوال عين النجاسة وثوبها ، وسؤر الخصوصيات بيان لصورة صالحة لزوالها وتبي على ذلك لا شرط .

وأما لمني فالأظهر أنه نجس بوجوده . ذكرنا في حد النجاسة ، وأن الفرق بظهور بابه إذا كان له حجم .

قوله ﷺ : « يغسل من بول الجارية ويرش⁽⁸⁾ من بول الغلام » .

(1) أي: النبي ﷺ .

(2) أي: الفصل سبعاً .

(3) أوله حميد بن قيس قال: « قال النبي ﷺ : « من شرب من ماء الكلب فهو ملعون » .

(4) أي: القرس تلك الأطراف الأصابع . والنشيم: صب الماء شيئاً شيئاً . والتمني: تلمسه . أي: يقرصه .

(5) أي: يمسح به حتى يغلب البول ، ولا يبالغ في الفسل وتعمدها .

أقول: هذا أمر كان قد تقرر في الجاهلية، وأبقاه النبي ﷺ. والحاصل على هذا الفرق أمور:

منها: أن يرك الغلام ينتشر فيسر إزالته، فبناسبه التخفيف، ويول الجارية يجتمع، فيسهل إزالته،

ومنها: أن يرك الأنثى أخظ وأثن من يرك الذكر.

ومنها: أن الذكر ترغب فيه النفوس والأنثى تعانده.

وقد أخذ بالحديث أمر المدينة وإبراهيم الأنخي، وأصبح فيه القول محمد فلا تنتشر بالمشهور بين الناس.

قوله ﷺ: «إنا أبيع الإهاب فقد نهر».

أقول: استحسان جلود الحيوانات المذبوحة أمر شائع مسلم عند طوائف الناس، والسرة فيه أن المباع يزيل الشئ والمراتحة الكريمة.

قوله ﷺ: «إنا وطني المحكم ينعله الأدنى فإن التراب له ظهور».

أقول: النعل والخف يظهر من النجاسة التي لها جرم بالذات، لأنه جسم صلب لا يتخلل فيه النجاسة، والظاهر أنه عام في الرطبة واليابسة.

قوله ﷺ في النهر: «إنها من الملوثة والمولثة».

أقول: معناه على قول أن النهر وإن كانت تلج في النجاسات وتقتل المارة فهذه تلك ضرورة في الحكم بتطهير سورها، ودفع الحرج أصل من أصول الشرع.

وعلى قول آخر حدث على الإحسان على كل ذات كبد رطبة وشبهها بالمسائلين والمسائلات، والله أعلم.

من أبواب الصلاة

اعلم أن الصلاة أعظم عبادات شأناً وأوضحها برهاناً وأشهرها في الناس وأنها من الثننى، ولذلك اعتنى الشارع ببيان فضلها وتعيين أوقاتها وشروطها، وأركانها وأدائها ورخصها وبراعتها اعتناء عظيماً ثم يفعل في سائر أنواع الطاعات، وجعلها من أعظم شعائر الدين، وكانت مسلمة في اليهود والنصارى والمجوس وقايا السلة الإسماعيلية، فوجب ألا يذهب في تركها وسائر ما يتعلق بها إلا إلى ما كان عندهم من الأمور التي اتفقوا عليها، واتفق عليها جمهورهم، وأما ما كان من تعريقهم - كترك اليهود الصلاة في الخفاف والصدأ وسحو ذلك - فمن حقه أن يسجن على تركه، لأن يجعل سلة المسلمين غير سنة

مولاه، وكذلك كان المجوس حرّقوا دينهم وجعلوا الشمس؛ فوجب أن تُعزَّز مائة الإسلام من ملّتهم غاية التمييز، فنهى المسلمون عن الصلاة في أوقات صلواتهم أيضاً.

ولاستيعاب أحكام الصلاة وكثرة أحوالها التي ثبتت عليها لم تُذكر الأصول في فاتحة كتب الصلاة كما ذكرنا في سائر الكتب، بل ذكرنا أصل كل عصر في ذلك الفصل.

قوله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ لِمَنَاءٍ سَبْعَ سَنِينَ وَتَضْرِبُ بِهِمُ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْدَاءُ عَشْرِ سَنِينَ، وَتَقَرُّوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».

أقول: بلوغ الصبي على وجهين:

بلوغ في صلاحية النفس والصحة النفسانية، ويتحقق بالعقل فقط، وأما ظهور العقل سبع، فابن السبع ينتقل فيها لا محالة من حالة إلى حالة انتضالاً ظاهراً، وأما تمام العشر، فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عقلاً يعرف نفعه من ضرره ويحذق في التجارة وما يشبهها. وبلوغ في صلاحية الجهاد والعبادة والمواظفة عليه، وأن يصير به من أكرام النعمان يعانقون⁽¹⁾ المكابدة ويعتبر حالهم في الميامسات المدنية والسياسة، ويُجبرون قسراً على الصراط المستقيم، ويعتمد على تمام العقل ونعمان الجثة وذلك بخمس عشرة سنة في الأكثر، ومن علامات هذا البلوغ الاحتلام وإنبات العانة.

والصلاة لها اعتباران: فاعتبار كونها وسيلة فيما بينه وبين مولاه متخذة من التردّي في أسفل السفلين أمر بها عند البلوغ الأول.

وباعتبار كونها من شعائر الإسلام يؤخذون بها، ويُجبرون عليها أشاؤوا أم أبوا حكمها حكم سائر الأمور.

ولما كان من العشر برزخاً بين الحثثين جامعاً بين الجهتين جعل له نصيباً منهما. وإنما أمر بتخريق المضاجع لأن الأيام أيام مراعاة فلا يجد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه.

فصل الصلاة

قوله تعالى:

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ شَتَّىٰ عَلَىٰ مَا نَدَّبُوا إِلَيْهِ غَوًى ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتْلُونَ

قوله ﷺ: «لَنْ يَكُنَّ الْجَمَاعَةُ بَعْدَ الْمُنْتَهَى: وَلَنْ يَكُنَّ غُرُكُ نَفْسِكَ»، وقوله ﷺ:

(1) أي يتقربون.

«لو أن نهرًا جيب أحكم يختصر فيه كل يوم خمسمائة رجل يبغى من دونه شيء»^(١)، قالوا: لا، قال: «فذلك مثل السلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطيئة». وقوله ﷺ: «والسلوات الخمس تجمعن إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكتوبات لمن لم يلهنهما إذا اجتنب الكبائر».

أقول: الصلاة جامعة للنظف، والإحسان، مقدسة للنفس إلى عالم المستكبر. ومن خاصية النفس أنها إذا انتصت بصفة رقت شديداً وتباعدت عنه، وصار ذلك منها كاللم يكن شيئاً مذكوراً. فمن أدى الصلوات على وجهها، وأحسن وضوءها، وسلاها، لوقتها، وأتم ركوعها، وخشوعها، وأذكارها، وهباتها، وفشت بالأشباح أرواحها، واتصرت بمعانيها، لا بد أنه يخوض في كفة عظيمة من الرحمة، ويحور الله عنه الخطايا.

قوله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة».

أقول: الصلاة من أعظم شعائر الإسلام وعلاماته كثرة إذا فقدت يبغى أن يحكم بفقد، لقوة اتلاسة بينها وبينه. وأيضاً الصلاة هي المحفلة بمعنى إسلام الوجه لله. ومن لم يكن له حظ منها فإنه لم يؤمن بالإسلام إلا ما لا يعا به.

❁ أوقات الصلاة ❁

لما كانت فائدة الصلاة - وهي الخوض في لجة الشهوة، والانسداد في سلك الملاذنة - لا تحصل إلا بسداً عليها، وملازمة بها وإكثار مهدها حتى تطرح عنهم أفتانهم، ولا يمكن أن يؤمروا بما يغضي إلى ترك الاشتغالات الضرورية والانسلاخ عن أحكام الطبيعة بالكلية، أوجبت الحكمة الإلهية أن يؤمروا بالمحافظة عليها والتمسك بها بعد كل برهة من الزمان، ليكون انتظارهم لفصلها وتبليغهم لها قبل أن يفعلوها، وبغية لونها وصباة نورها بعد أن يفعلوها، في حكم الصلاة، وتكون أوقات انقلاص مضبوطة بطمح بصر إلى ذكر الله وتعلق خاطر بظاعة الله، فيكون حال المسلم كحال الصائم^(٢) مروط بأخيه^(٣) بسن شرفاً أو شرفين ثم يرجع إلى أخيه، ويكون ظلمة الخطايا والفظة لا تدخل في جوار القلوب، وهذا هو الدوام المتيسر عندما امتنع الدوام الحضيضي. ثم لما آل الأمر إلى تعيين أوقات الصلاة لم يكن وقت أحق بها من الساعات الأربع التي تنتشر فيها الروحانية وتنزل

(١) صحيح بخاري.

(٢) الآية بعد وتشديد حبيل أو عويد يعرض في حادثة لو حبيل وبينهم طوفاء فيصير وسطه كالقروية وتشد عليها الدنيا، وقوله يسائر، هو أن يرجع بيني ويخرجهما معاً ويخرجها معاً ويخرجها معاً، والقشوف المقصود بسكون القراء لشروط والعقد من موضع إلى موضع. وفي القاموس بفتح الأول والتثنية وهذا قبله من الحديث وهو قوله ﷺ: «سكن المؤمن كسكن المحرم بأخيه، الصبي».

فيها السلامة ويعرض فيها على الله أعمالهم ويستجاب دعائهم، وهي كالأمر المسلم عند جمهور أهل النظم من الصلاة الأعلى، لكن وقت نصف الليل لا يمكن تكليف الجمهور به - كما لا يخفى - فكانت أوقات الصلاة في الأصل ثلاثة: الضحى والمشي وغسق الليل، وهو قوله تبارك وتعالى:

﴿لَيْلٌ الْقَوْلُ الثَّلَاثُ إِذْ عَسَى اللَّيْلُ وَقَدْ كَانَ الْفَجْرُ إِذْ قُرْآنُ الْقَهْرِ كَأَنَّكَ مُتَهَيِّئٌ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨].

وإنما قال: ﴿إِنْ عَسَى اللَّيْلُ﴾ لأن صلاة المشي مستندة إليه حكماً - لعدم وجود الفصل - ولذلك جاز عند الضرورة الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، فهذا أصل.

ولا يجوز أن يكون الفصل بين كل صلاتين كثيراً جداً فيحوت معنى المحافظة وينسى ما كسبه أول مرة، ولا قليلاً جداً فلا يتفرغون لابتغاء معاشهم، ولا يجوز أن يضرب في ذلك إلا حداً ظاهراً محسوساً يبينه الخاصة والعامة، وهو كثرة ما للجزء المستعمل عند العرب والمجموع في باب تقدير الأوقات، وليست بالكثرة المفرطة، ولا يصلح لهذا إلا ربع النهار فإنه ثلاث ساعات، وجزء الليل والنهار إلى اثنتي عشرة ساعة أمر أجمع عليه أهل الأقاليم الصالحة، وكان أهل الزراعة والتجارة والصناعة وغيرهم يعتادون غالباً أن يتفرغوا لأشغالهم من البكرة إلى الهاجرة، فإنه وقت ابتغاء الرزق وهو قوله تعالى:

﴿وَبَيْنَكَ أَتْلُكُ تَلَكُ﴾ [الحج: الآية ١١].

وقوله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ رِجْلَ تَلِيَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٤٤].

والتصاف كثير من الأشغال ينجر إلى مدة طويلة، ويكون التهيؤ للصلاة والغرض لها من الناس أجسامهم في أثناء ذلك حرجاً عظيماً، فلفلك أسقط الشارع الضحى ورجب فيها فرغياً عظيماً من غير إيجاب، فوجب أن تشق صلاة المشي إلى صلاتين بينهما نحو ربع النهار، وهما الظهر والعصر، وغسق الليل إلى صلاتين بينهما نحو من ذلك، وهما المغرب والعشاء، ووجب ألا يرضع في الجمع بين كل من شطبي الوقتين إلا عند ضرورة لا يجد معها بُدّاً، وإلا لطلبت المصلحة المحتبرة في تعيين الأوقات. وهذا أصل آخر.

وكان جمهور أهل الأقاليم الصالحة والأمزجة المعتدلة الذين هم المقصودون بالفتاوى في الشرائع لا يزالون متيقظين مترعدين في حوائجهم من وقت الإسفار إلى غسق الليل، وكان أحق ما يؤدي فيه الصلاة وقت خلوص النفس عن ألوان الأشغال المعاشية المثنية ذكر الله، ليصادف قلباً فارغاً فيستكن منه، ويكون أشد تأثيراً فيه، وهو قوله تعالى:

﴿وَقَدْ كَانَ الْقَهْرِ إِذْ قُرْآنُ الْقَهْرِ كَأَنَّكَ مُتَهَيِّئٌ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨].

ووقت الشروع في الصوم يكون كطعام، لذا سئى وتصلياً للفصل، وهو قوله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصفه» (الأمم الأولى)، ومن صلى الحسنة والفجر في جماعة كان كقيام ليلة، وودت اجتماعهم كالقدحى يكون مهناً للابصار في الدنيا وترباً له، غير أن هذا لا يجوز أن يضطرب به الناس جميعاً لأنهم حينئذ بين أمرين: إما أن يتركوا هذا أو ذلك. وهذا أصل آخر.

وأخيراً لا أفتي في باب تعيين الأوقات من أن يذهب إلى المأثور من سنن الأنبياء السافرين من قبل، فإنه كالمصية للنفس على أداء الطاعة تنبهاً عطشاً، والمهيج لها على مخالفة التكميم، والباعث على أن يكون للصالحين فيهم ذكر جميل، وهو قول جرير على السلام: «ما وقت الأنبياء من قبل».

لا يقال: ورد في حديث معاذ في العشاء: «يلم يصلونها أحد قبلكم» لأن الحديث رواه جماعة، فقال بعضهم: إن الناس ضلوا وخذلوا، وقال بعضهم: ولا يصلونها أحد إلا بالهدى، ونحو ذلك، فالظاهر أنه من غير الرواية بالمعنى. وهذا أصل آخر.

وبالجملة: بقي تعيين الأوقات من عتيق من وجوه كثيرة، فتش جرير على السلام وصلى بالنبي ﷺ بعلمه الأوقات، ولما ذكرنا طهر واحد مشروعاً للجمع بين الصلاتين في الجمعة، وسبب وجوب التهجئة والضحى على النبي ﷺ والأنبياء - على ما ذكرنا - ومكونها نافلة للناس، وسبب تأكيد أداء الصلوات على أوقاتها، والله أعلم.

ولما كان في التكليف بأن يصلي جميع الناس في ساعة واحدة يعينها، لا يتقدمون ولا يتأخرون، غاية الحرج - وسع في الأوقات توسعة ما -

ولما كان لا يصلح للتشريع إلا استحداث الظاهرة عند العرب غير المخفية على الأديان والأقاصي، جعل لأوائل الأوقات وأواخرها حدوداً مضبوطة محدودة.

وتتأخر هذه الأسباب فحصل للصلوات أربعة أوقات. وقد الاختيار وهو الوقت الذي يجوز أن يصلي فيه من غير كراهة، والمعملة به حدان:

حديث جرير^(١)، فإنه صلى بالنبي ﷺ يومين

وحديث برينة، ففيه أنه ﷺ أجاب أسائل عنها بأن صلى يومين، والسنن منهما قاصر على المعهود، وما اختلف بين فيه حديث برينة لأنه مدني متأخر، والأول مكبر مثقم، وإنما ينبع الآخر فالآخر. وذلك أن آخر وقت المغرب هو ما قل أن يغيب الشفق،

(١) وهو ما رواه أبو داود والترمذي عن ابن عباس، وقوله جندب: رواه هو ما رواه مسلم عن بريدة، وقوله وأسائل عنها أي الأوقات.

ولا يبعد أنه يكون جبريل نُحِرَ المغرب في اليوم الثاني قليلاً جداً لفصر وقته، فقال الراوي: صلى المغرب في يومين في وقت واحد، وما نخطو في جهته، أو سباً لعباً القلة، والله أعلم.

وكثير من الأحاديث يدل على أن آخر وقت العصر أن تغرب الشمس، وهو الذي طبق عليه الفقهاء، قلل المشيخون بين آخر الوقت لمختار والذي يستحب فيه، أو تقول: بل الشرع نظر أولاً إلى أن انفصود من اشتقاق العصر أن يكون انفصل بين كل صلاتين حراً من ربح النهار، فجعل الأمد الآخر يلزم النقل إلى الصلوتين، ثم ظهر من حوائجهم وأشغالهم ما يوجب الحكم بزيادة الأمد، وأيضاً معرفة ذلك الحد تحتاج إلى صرب من التأمل وحفظ للقيء الأصلي وروعه، وإنما ينبغي أن يخطب الناس في مثل ذلك بما هو محسوس ظاهراً، فتنت الله في روجه ﷺ أن يجعل الأمد تغير قرص الشمس أو ضوئها، والله أعلم.

ورقت الاستحياء الذي يستحب أن يسأل فيه هو أوائل الأوقات، إلا العشاء، فالمستحب الأصلي تأخيرها لما ذكرنا من الرخص الطبيعية، وهو قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء»، ولأنه أتبع في نصفية الباطن من الأشغال الشبيبة فُتِرَ الله، وأتبع لمادة المعمر بعد العشاء، تكون التأخير ربما ينضمي إلى تقبل الجماعة وتغير القوم، وفي قلب الموضوع.

فهذا كان النبي ﷺ إذا فُتِرَ الناس عَمِلَ، وإذا غلوا أخر، والأظهر الصيغة، وهو قوله ﷺ: «إذا كنت لحراً فأبرئوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم»⁽¹⁾.

أقول: معناه معدن الحنة والشار هو معدن ما يعاض في هذا العالم من الكيفيات العنسية والمنافرة، وهو أوائل ما ورد في الأخبار في الهندية وغيره.

قوله ﷺ: «اصبروا بالفجر فإنه أعظم للأجر».

أقول: هذا الخطاب لغوم غشراً تغلب الجماعة جداً أن ينتظروا إلى الإسفار، أو لأهل المساجد الكبيرة التي تجمع الضعفاء والصبيان وغيرهم، كقوله ﷺ: «ليكن صلى ينشئ فليخفف، فإن فيهم الضعيف»، انصبت⁽²⁾. أو معناه: طوّلوا الصلاة حتى يقع أثرها في وقت الإسفار، لحديث أبي هريرة: كان يتغفل في صلاة الغداة حين يعرف الرجل

(1) أي: من غلبتها وحولتها.

(2) شانه: إذا صلى أحكم للناس فليخفف. من فيهم المستقيم والضعيف والكبير وإذا صلى لمحكم لنفسه فليطوّل ما شاء.

حينه، وبغية المضي إلى السابعة. فلا منافاة بينه وبين حديث القليس^(١).

وثبت التصريح هو ما لا يجوز التأخير إليه إلا بعد، وهو قوله **يُحْتَظَرُ**، من ترك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد ترك ركعة، ومن ترك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد ترك ركعة، وقوله **يُحْتَظَرُ**، هذه صلاة فداخلى برقيب الشمس حتى إذا انقضت... الحديث^(٢). وهو حديث ابن عباس في صحيح ابن الظاهر والعمري وابن أبي عمير في المعنوية مثل أسير والمرص والمطر، وفي المعنوية ابن شريك الفجر والله أعلم وروى القضاء إذ ذكره وهو قوله **يُحْتَظَرُ**، من نسي صلاة أو نام عنها فتسبها إذا ذكرها.

أقول: والعمدة في ذلك ألا تستمر في النفس تركها، وأن يدرك ما فات من فاداة ذلك الصلاة. وأحق العزم الثمريت بانضوت نظراً إلى أنه أحق بالتكفارة وروى **يُحْتَظَرُ** أبا ذر إذا كان عليه امرأة يمتدح الصلاة^(٣)، حصل لصلاة لوقتها، فإن تركتها معهم فصلها فإنها لك نافذة. .
أقول: راعى في الصلاة محاربين، اختيار كونها وصيلة بينه وبين الله، وكونها من شعائره تلام على تركها.

قوله **يُحْتَظَرُ**، لا تزال أصلي بخير ما لم يؤخروا الصلوة إلى أن تشتبك الحجوم. .
أقول: هذا إشارة إلى أن الشهاون في الحدود الشرعية سب بحريف التلمذ.
قال الله تعالى: ﴿كَذَّبُوا عَنْ آلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالْعَقْبَةِ﴾ (التوبة: ٢٤) والجماد بها للمعسر.

قوله **يُحْتَظَرُ**، من صلى البرزخين^(٤) دخل الجنة.

قوله **يُحْتَظَرُ**، من ترك صلاة العصر دبط عنه.

وقوله **يُحْتَظَرُ**، الذي تفوته صلاة العصر فكانما هو إلهه به، قوله **يُحْتَظَرُ**، ليس صلاة أقل على الصائقين من أفجر وقبشاه، ولو يعلمون ما فعلها لأنهما دس حبوا^(٥).
أقول: إنما حوس هذه الصلوات الثلاث بزيادة الانتماء شرعياً ورتبياً، لأنها مقفلة

(١) هو ما روي في الصحيحين من محمد بن عمرو بن الحسن بن علي أنه قال كان يصلي الصبح بثلث

(٢) خلفه، وكنت بين قرني كسيف، فلم يثر نرساً لا ينكر الله فيها إلا قليلاً.

(٣) أي يأمرونها من وقتها.

(٤) أي الصلاة والمشي.

(٥) هو حيا الرجل، إذا مشى على يديه وخطاه، والمشي مشى على السدة، والوقوف على صدره.

التهاون والتكاسل، لأن العصر والمساء وقت النوم لا يتنهض له من بين قراشه ووطاه عند
لبدل نومه وروسته إلا مؤمن تقى، وأما وقت انمصر فكان وقت قيام أسواقهم واشغالهم
بالبيع وأهل الزراعة أتعب حلالهم هذه.

قوله ﷺ : « لا يظلمكم الأعراب على اسم سلاتكم المغرب »^(١)، وفي حديث آخر « على
اسم صلاة المساء ».

أقول: يكره تسمية ما ورد في الكتاب والسنة من شيء اسماً آخر بحيث يكون
ذريعة لهجر الاسم الأول، لأن ذلك يلبس على الناس دينهم ويحجم عليهم كتابهم.

الاذان

لما غلبت الصحابة أن السجدة مطبوعة مؤكدة، ولا ييسر الاجتماع في زمان واحد
ومكان واحد بدون إعلام وتنبه، تكلموا فيما يحصل به الإعلام، فذكروا النار فردها رسول
الله ﷺ، لمشابهة المجرس، وذكروا القرن فردوا، لمشابهة اليهود، وذكروا المناقوس فردوا،
لمشابهة النصارى، فرجعوا من غير تعيين، فأبى عبد الله بن زيد الأذان والإقامة في
منامه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « يؤيا حق ».

وهذه القصة دليل واضح على أن الأحكام إنما شرعت لأجل المصالح، وأن
للاجهاد فيها مديلاً، وأن التيسير أصل أصيل، وأن مخالفة أقوام تعادوا في خلافاتهم فيما
يكون من شعائر الدين مطلوبية، وأن غير النبي ﷺ قد يطلع بالمتنام أو التفت في الروج^(٢)
على مراد الحق، لكن لا يكف الناس به ولا تقطع الشبهة حتى يفره النبي ﷺ، واقتضت
الحكمة الإلهية ألا يكون الأذان مبرقاً إعلام وتنبه، بل يضم مع ذلك أن يكون من شعائر
الدين، بحيث يكون النداء به على رؤوس الخامل والنبه ثوباً مانعاً، ويكون قبوله من
القوم آية اقتبادهم لدين الله، فوجب أن يكون مُركَّباً من ذكر الله ومن الشهادتين والدعوة إلى
الصلاة ليكون مبرقاً بما أريد به.

وللأذان طرق: أحدها طريقة بلال رضي الله عنه، فكان الأذان على عهد رسول
الله ﷺ مرتين موثنتين والإقامة مرة مرة^(٣)، غير أنه كان يقول: قد قامت الصلاة قد قامت
الصلاة.

(١) وشمله قال حننول الأعراب في المساء، وشام فلاني غلبها في كتاب قد المساء.

(٢) انفت بدقم مثل الفتق، والمراد هنا الإثارة والروم بالقسم القلب.

(٣) وهو مذنب لتطليحي رحمه الله.

ثم عرفت أن محاورته عليه السلام في الأذان تبع حثرة كلمة " والإقامة مع صلاة
كلمة، وعندي أنها فأحرف القرآن، كلها شاذ كاف.

قوله **يحيى** : فليكن كان صلاة تصبح قلب الصلاة خير من انوم الصلاة خير من النوم .
أقول : بعد ذكر ما عرفت وقب له وعطفه ، وكانت الحجة على التنبيه القوي شديدة ،
استحب زيادة هذه الظنفة .

قوله **يحيى** : من أشق فهو يقيم .

أقول : سره أنه لما شاع في الأذان وجب على إخوانه ألا يزاخموه فيما أراد من
المتابع ليلته . فحذرة قوله عليه الصلاة والسلام ، لا يخطب لرجل عنى خفية أخيه .

ومضت الأذان ترجع إلى أنه من شعائر الإسلام ، وبه نصير السار دار الإسلام ،
ولهذا كان الذي يقرأه ، يسمع الأذان مسلماً ، وإلا أعاد ، وأنه نعمة من شعيب السوق ، لأنه
حد ، على أقدم الأركان وأهم المقررات ، ولا يرضى الله ولا يغضب لشعائر مثل ما يكون ،
في تخوير المأمري وإعلاء كلمة الحق ، وهو قوله **يحيى** ، وفيه وبعد أشد على الشيطان من
كف عبده ، وقوله **يحيى** ، وإنا نودى للصلاة أمير المؤمنين له خضراء .

قوله **يحيى** : المؤمنون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقوله **يحيى** : كما يؤمن بغفر له مدى صوته .
ويشهد له لجن والإنس .

أقول : أمر المجازاة مبني على مناسبة المعاني بالصور وعلاقة الأرواح بالأشباح ،
فوجب أن يصحرب ببلغة شأن المؤمن من جهة حقه ، ومعرته ، وتشمححة الله عيب ، شامح
بعونه إلى الحق .

قوله **يحيى** : من يؤمن سبع سنين محضاً فكيف به براءة من النار .

ذلك لأنه غير صحيح تصديقه ، لا تصور الموقلة عليه له إلا من أسلم وجهه لله ،
لأنه يمكن من نفسه عيشة عظيمة من الرجحة الإلهية .

لذلك أنه هو داعي جاء في رأسه **يحيى** ، وانظروا إلى سبي هذا يؤمن ويقوم الصلاة
سلفه ، قد غدت له وأسلطته لجة .

قوله : ويخاف مني . دليل من أن الأعمال تدرج دواعيها ، تمنعها هي منها ، وأن
الأسرار الشباح ، الملك القدوس (أرواح لها) فكان سره من الله ، وإخلاصه له سبب معرفته .

ولما كان الأذان من شعائر الدين تحمل الجهر في فوئ القوم للمهادنة الإلهية ، أمر

(١) ومما قال هو سبحانه .

(٢) القسمة على وزن سبعة من قسمة مائة والبر أربع

بالإحاجة لتكون مصرية صا أريد منهم، فيجيب الذكر والشهادتين بهما، ويجيب الدعوة به فيه توحيد في الحول والقوة دعاء لما عسى أن يترجم منه إقدامه على الظاهرة من العجب، من قبل ذلك حالاً من قلبه دخل الجنة، لأنه شارب الألقية وإسلام لوجه الله، وأمر بالدعاء، ثم يبيّن كيفية التمسك بربوبه واختياره.

قوله ﷺ: «لا يُبَدُّ الدعاء بين الأذن والإقامة».

أقول: ذلك بشروط الموحدة الإلهية ورسود الانقياد من الداعي.

قوله ﷺ: «وإن بلائاً ينادي بلين، فكلوا واشربوا حتى ينادي لين لم مكتوم».

أقول: يستحب للإمام إذا رأى الحاجة أن يتخذ مؤذنين يعرفون أصواتهما، ويُنسئ الناس أن فلائاً ينادي بلين، فكلوا واشربوا، حتى ينادي دلائاً، ليكون لأول^(١) منهما المقام والعشعر أن يرجعا، وينتقم أن يقوم إلى صلاته، ويشاركه، فاته من سجوده.

قوله ﷺ: «إذا قيست الصلاة فلا تلتوها تشقون، وأتوها تمشون».

أقول: هذا إشارة إلى رد التمسك في التمسك^(٢).

المساجد

فَصِّلْ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ وَمَلَاظِمَهُ وَانْتِصَارَ الصَّلَاةِ فَتَرْجِعْ إِلَى أَنَّهُ مِنْ شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِداً لَمْ تَسْمَعُوا مؤذناً فَلَاحِقُوا أَحَدَهُ».

وإنه نزل الصلاة، مُتَعَكِّفُ الْمَدِينِ وَمُتَفَرِّجُ الرَّحِمِ، وَبِشْبَهِ الْكَعْبَةِ مِنْ وَجْهِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّراً إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَلَجَرَهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ» وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضَّحَى لَا يَنْصَبُ إِلَّا إِلَيْهِ فَاجَرَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا» قِيلَ: وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «الْمَسَاجِدُ».

وإن الترجمة إليه في أوقات الصلاة من بين شغله وأعباه لا يقصد إلا الصلاة لِمَنْزِلِ لإحلاسه في دينه وإضافته لربه من جدار قلبه، وهو قوله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ فَاحْسَنَ الْوَضُوءَ» ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَخْرُجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رَفَعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَعْمَلُ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مَسْجِدٍ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ لِلَّهِمَّ لِرَحْمَةِ، وَلَا يَزَالُ أَحْبَبَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا تَنَفَّرَ الصَّلَاةُ».

وإن بناءه إيمانية لإعلاء كلمة الحق.

(١) أي: المأذون.

(٢) أي: الأذن الأولى.

قوله ﷺ: « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح ».

أقول: هذا إشارة إلى أن كل غداة وروحة تمكن من إتياء التهيئة للمعركة

قوله ﷺ: « من بقي لله مسجداً بقي الله بيتاً في الجنة ».

أقول: سره أن المحاراة تكون بصورة العمل، وإنما «نقضى» ثواب الانتظار بالتحدث، لأنه لا يبقى شيئاً للصلاة.

والله فضل مسجد أبي ﷺ المسجد الحرام بسفاعة الآخر لمعان:

منها: أن مالك ملائكة موكفة بلك المواضع يحفرون لأهلها ويدعون لمن حلها.

ومنها: أن عباده تلك المواضع من تعظيم شعائر الله وعلا، كسنة الله.

ومنها: أن الخلوي بها مدكو بحال لئلا يسهو

قوله ﷺ: « لا تشد الرحل^(١) إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى،

ومسجدي هذا ».

أقول: كان أهل الحامية يفسدون مواضع معظمة يزعمهم يزورونها وينزلون بها، وفيه من التعريف والاحسان ما لا يحصى، فسألتني ﷺ الفساد تلاً يلتحق به الشعائر والشعائر، وتلاً يصير ذريعة لعبادة غير الله والحزب هندي أن انظر ومحل عبادة ولي من أولياء الله والطور كل ذلك سواء في النهي. والله أعلم

وأذاب المسجد فراجع إلى معان:

منها: تعظيم المسجد ومواخذة نفسه أن يجمع لخواطر ولا يترسل عند دخوله، وهو

قوله ﷺ: « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس ».

ومنها: تنظيها بما يتفكر ويتفكر منه، وهو قول الراوي: أمر - يعني النبي ﷺ - بيتا،

المسجد، وأن ينظف ويطيب^(٢)، وقوله ﷺ: « عرضت علي أجور أمي حتى القذاة يخرجها

الرجل من المسجد »، وموته ﷺ: « القبر في المسجد ذخيرة وكفارتها بفنها ».

(١) يعني أنه جاء في حديث: « لا يزال أحدكم في صلاة إلا دخل المسجد ما كانت الصلاة توجب ما لم يحدث فيه »، وقوله: « وإنما غفل » الخ كما وقع في الصحيحين أنه قال رسول الله ﷺ « صلاة في - جدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ».

(٢) جمع رطل: وهو كوز الجير، والمراد نظف نفسه تدعى إلا إلى ثلاثة مساجد تلاً يكون غيرها مقلداً (١٤٤)

(٣) أي من القانريك ويطيب بالعطر غيره.

ومنها: الاحترار غير شرش العباد ومبشرات^(١) الأسواق، وهو قوله ﷺ: «لما جاء

بصلاتها^(٢)».

قوله ﷺ: «من سمع رجلاً يشهد^(٣) ضالة في المسجد فليقل لا ردما الله إليك، فإن

المسجد لم يبق لهذا».. قوله: «إذا رايت من يبيع أو يشتري في المسجد فقولوا لا أبيع الله

شجاركم^(٤)».. ونهى عن تأييد الأشعار في المسجد، وأن يستأجر في المسجد، وأن تقام فيه

الحدود.

أقول: أما نفي الفسادة - أي: رفع الصوت بطنها - فلأنه صخب ولغو يشوش علم

المصلين والمعتكفين، ويستحب أن يكره عليه بالدعاء بخلاف ما يطنه إرعاءاً له، وعلمه

الذي ﷺ بأن المساعدة لم تكن لهذا أي إنما يبيت للذكر والصلاة، ولما النهي، والبيع مثلاً

بغير المسجد موافقاً يتعامل فيه الناس، فتذهب حرمة، ويحصل التشويش على المصلين

والمعتكفين، وأما تأييد الأشعار فلما ذكرنا، لأن فيه إهراءاً عن الذكر وحكاً على

الإعراض عنه، وأما القود والحدود فلأنها تنطه لالوث والزعزع والبذاء، والعصب

والتشويش على أهل المسجد، ويحس من الأشعار ما كان فيه الذكر وادع الذي ﷺ ويغبط

الكفار لأنه غرض شرعي، وهو قوله ﷺ: «لأن».. فادعهم إليه بروج القدس.

قوله ﷺ: «إني لا أحسن المسجد احتلف ولا جنب».

أقول: السبب في ذلك تعظيم المسجد، فإن أعظم التعظيم ألا يفره إنسان إلا

بطهارته، وكان في منع دخول المحدث حرج عظيم، ولا حرج في الجنب والحائض،

ولأنهما أبعد الناس عن الصلاة، والمسجد إنما بني لها.

قوله ﷺ: «من كفل هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن».. جذا، فإن الملائكة تنادي من

يتلوا منه الإنس».

أقول: هي النخل أو التوم، وفي سماء كل حتر. ودمى تنادي: تكرو وتكفر، لأنها

نحب محاسن الأخلاق والطيّبات، وتكرو أعداءها.

قوله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج

فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

أقول: الحكمة في تخصيص النخل بالرحمة والحاج بالفضل أن الرحمة في كتاب

(١) تهيئة مثل ليوثة، يئن. عاش القوم في تروكة.

(٢) وذلك عندما مر رجل في المسجد بهام فقال له رسول الله ﷺ: «لمست بصلاتها».

(٣) أي يطلب بجمع الصوت.

(٤) أي لا تجعل أشجاركم، ذلك، ومع، وقوله: «يستأجر» أي يقتصر.

إِنَّهُ أَرِيدَ بِهَا التَّعْمُّ الْبَشَرِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ، كَالْوَلَايَةِ وَالْبَيْتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَزَقْنَاكَ مِنْكَ حَيًّا مَبْنًى يَبْتَنُونَ﴾ [الزخرف: الآية 32]

وَالْفَضْلُ عَلَى التَّعْمِ الدُّبُورِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: الآية 198].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُحَنِّتُونَ الْقُلُوبَ فَأَلَتُمْبَرُوا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية 199]

[10]

وَمِنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ إِذَا بِطَابَ تَقَرُّبٍ مِنْ اللَّهِ، وَالْمَخْرُجَ وَفَتْ أَبْقَاءَ قُرُوقٍ.

قَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا نَحَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ لِلرَّكْعَةِ رَكْعَتَيْنِ قَبْرٌ لَنْ يَجْلِسَ».

أَقُولُ: إِذَا شَرُعَ ذَلِكَ لَأَنْ تَرُكَ الصَّلَاةَ إِذَا دَخَلَ بِالْمَكَانِ الْمَعْدُ لَهَا ثَرَةً وَحَرَةً، وَفِي غِبْطِ الرِّقَّةِ فِي الصَّلَاةِ بِأَمْرٍ مُحْسُوسٍ، وَفِي تَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْغُبُورَةُ وَالْحِمَامَةُ».

وَنَبِيٌّ أَنْ يُصَلِّيَ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْمَرْبِطَةِ، وَالْمَغْرِبَةِ، وَالْمَجْرُورَةِ، وَقَارَعَةِ الْمَطْرِيقِ، وَفِي الْحِمَامِ، وَفِي سَاعَتَيْنِ الْإِبْلِ، وَفَوْقَ تَاهِرِ بَيْتِ اللَّهِ، وَنَبِيٌّ عَنِ الصَّلَاةِ فِي أَرْضِ بَابِلَ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ.

وَأَقُولُ: الْحِكْمَةُ فِي انْتِهَائِهِ عَنِ الْمَرْبِطَةِ وَالْمَجْرُورَةِ: أَنَّهَا مَوْضِعَا النِّجَاحَةِ، وَالْمَنَاطِيبِ لِلصَّلَاةِ هُوَ انْتِظَاهُ الرَّاقِظِطِيفِ، وَفِي الْمَغْرِبَةِ: الْإِحْتِرَازُ عَنِ أَنْ تَتَخَذَ قُبُورَ الْأَحْيَارِ وَالْمَرْغَبَاتِ مَسَاجِدَ بِأَنْ يُسْجَدَ لَهَا كَالْأَوْتَانِ، وَهُوَ الشُّرْكُ الْجَلْبِي، أَوْ يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ بِالصَّلَاةِ فِي تِلْكَ الْمَقَامِيرِ، وَهُوَ الشُّرْكُ، وَهَذَا مِنْهُمْ قَوْلُهُ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَتَخَفُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وَتَفْصِيحُهُ نَهْيٌ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ وَقَدْ طَلُوعُ وَالْأَسْوَاءِ وَالْمَغْرُوبِ لِأَنَّ الْكُفَّارَ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ حِينَئِذٍ، وَفِي الْحِمَامِ: أَنَّهُ مَحَلُّ انْكَشَافِ الْحَوَارِثِ وَمِطْلَقُ الْأَزْدَحَامِ، فَيُشْغَلُهُ ذَلِكَ عَنِ الْمَاجَاةِ بِحُضُورِ الْقَلْبِ، وَفِي سَاعَتَيْنِ الْإِبْلِ: لِأَنَّ الْإِبْلَ لِعَظَمِ جَسَدِهَا وَشِدَّةِ بَطْشِهَا وَكَثْرَةِ جِرَائِمِهَا كَادَتْ تُؤْذِي الْإِنْسَانَ فَيُشْغَلُهُ ذَلِكَ عَنِ الْحُضُورِ، بِخِلَافِ الْغَنَمِ، وَفِي قَارَعَةِ الْمَطْرِيقِ: اشْتِقَالُ الْقَلْبِ بِالْمَاضِي وَتَضْيِيقُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمْ، وَلَئِنْهَا مَرُّ الْبَاعِ كَمَا وَرَدَ صَرِيحاً فِي انْتِهَائِهِ عَنِ التَّزَوُّلِ فِيهَا، وَفَرَقَ سَبْتُ اللَّهِ: أَنَّ التَّرَفُّقَ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ مَكْرُوهَةٍ هَائِلَةٍ لِحَرَمَتِهِ، وَلِئَلَّيْكَ فِي الْأَسْفَافِ خَالِطٌ، وَفِي الْأَرْضِ الْمَبْعُونَةِ يَنْسُجُ خَسَفٌ أَوْ مَطَرُ الْحِمَامَةِ: (هَاجَتِهَا) وَالْبُعْدُ عَنْ مَقْدَنِ الْقَضْبِ هَيْبَةٌ مِنْهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا تَسْخَنُوهُ إِلَّا بِالْكَيْنِ»⁽¹⁾.

(1) قَالَ تَعَالَى: «وَلَا تَسْخَنُوهُ إِلَّا بِالْكَيْنِ» (1) - قَسَمَ قَسَمَانِي - تَسْجُدُ

❁ ثياب المصلي ❁

اعلم أن لبس الثياب مع احترامه الإنسان عن سائر البهائم ، وهو أحسن حالات الإنسان ، وفيه شمه من معنى الطهارة ، وفيه تعظيم للصلاة وتبجيل لأدب المناجاة بين يدي رب العالمين ، وهو واجب أصلي يجعل شرطاً في نفاذ تكميل معناها ، وجعله الشرع على حدين :
 حد لا بد منه وهو شرط صحة الصلاة ، وحد هو مندوب إليه

فالأول منه السوأتان ، وهو الكاهن ، والخمر بهما المفسدان ، وفي المرأة سائر بدنها ، لقوله ﷺ : لا تقبل صلاة حائض إلا بحمل ، ، يعني الناحية ، لأن المحض مثل الشهوة ، وكذا بدن المرأة ، فكان حكمهما : حكم السوأتين .

والثاني قول ﷺ : لا يصلي أحدكم في ثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء ، ، وقال : إلا كان واسعاً لخلاف بين طرفيه ، ، وأقر به أن القرب والمعجم وسائر أهل الأمانة المستثناة إنما نمام هبائهم وكمات رهبهم على اختلاف أوضاعهم في لباس الثراء والفقير والحلة وغيرها أن يستعان العافان والظهير . ومثل أنني ﷺ عن الصلاة في ثوب واحد قتل : ، تؤتكم ثوبان ، ، ثم مثل عمر رضي الله عنه قال : إذا وسع الله قوسه جمع : حل الخ .

أقول : الظاهر أن رسول الله ﷺ مثل عن الحد الأول ، وقول عمر رضي الله عنه بيان للحد الثاني ، ويحتمل أن يكون السؤال في الثاني أي هو مندوب ، فلم يأمر ثوبين لأن جريان التشريع ولو بالحد الثاني بالشرط الثوبين خرج ، ولعل من لا يجد ثوبين يجد في نفسه فلا تكمل صلاته لما يجد في نفسه من التضييق ، وعرف عمر رضي الله عنه أن وقت التشريع المنقضى ومعنى ، وكان قد عرف استصحاب الجمال الذي في الصلاة ، محكم على حسب ذلك ، والله أعلم .

وقال ﷺ في الذي يصلي رؤاه معفوض من وراءه : ، وإنما مثل هذا مثل الذي يصلي وهو مكتوف . .

أقول : ك على أن سبب الكراهية الإخلال بالنجاء وتمايم الهيئة وري الأدب .

قوله ﷺ في خبيصة عا : "علام" ، إنما القهني أنقأ عن صلاتي ، وفي قرآن^(١) عائشة : ، كسيلي عفا عرفت هنا فإنه لا يزال قصاويره تعبر في صلاتي ، ، وفي فروع التحرير ، لا ينبغي هذا للتقنين ،

(١) هو مكة القفلة - القفر لرفق وكنت مسرعة مثل حيلة العروس وميل كل مزينة مستأشأ وقوله - وفي مروج - هو يفتح لفاء وتشديد لواء القياء الذي شق من خلفه ، وكان يحمي له ﷺ ثيابه وصلى فيه ثم نزعها نزعاً شامهاً كقوله له ، وقال لا ينبغي . الخ .

أقول: ينبغي للمصلي أن يدفع عن نفسه كل ما يلهيه عن الصلاة لحسن ميته أو لمحبب النفس به تكميلاً لما نُقِضَ له الصلاة.

وكان اليهود يكرهون الصلاة في نعالهم وخفافهم لما فيه من ترك التعظيم، فإن الناس يخلعون النعال بحضرة الكبراء، وهو قوله تعالى: ﴿لَتُخْلَعَنَّ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَارِثِ لَمُعَذِّبٌ مَكْرِي﴾ [طه: الآية 12].

وكان هنا وجه آخر وهو أن الخف والنعل تمام ذي الرجل، فترك النبي ﷺ القياس الأول وأيد الثاني مخالفة لليهود، وهو قوله ﷺ: «خالفوا اليهود، لأنهم لا يُسلون في نعالهم وخفافهم، فالصحيح أن الصلاة متلاً وحافياً سواء».

ونفى النبي ﷺ عن السدل في الصلاة، نقول: هو أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه فيه، وسببه أن اشتمال الصماء⁽¹⁾ أقبح لبة لأنه مخالف لما هو أصل طبيعه الإنسان وحادثه من إبقاء اليدين مسترسلتين، ولأنه على شرف انكماش المعودة، فبها كثيراً ما يحتاج إلى إخراج اليدين للبطن، فتكشف. وقيل: إرسال الثوب من غير أن يُضمم جانيه، وهو إخلال بالتحصيل وتعام الهيئة، وإنما نعني بشام الهيئة ما يحكم الحرف والعادة أنه غير نافذ ما ينبغي أن يكون له وأوضاع لباسهم مختلفة ولكن في كل لبة تمام هيئة يعرف بالسبر، وقد بنى النبي ﷺ الأمر على عرف العرب يومئذ.



لما قدم ﷺ المدينة صلى إلى بيت المقدس مئة أو سبعة عشر شهراً، ثم أمر أن يستل الكعبة، فاستقر الأمر على ذلك.

أقول: السر في ذلك أنه لما كان تعظيم شعائر الله وبيوته واجباً، لا سيما فيما هو أصل أركان الإسلام وأم الغزوات وأشهر شعائر الدين، وكان التوجه في الصلاة إلى ما هو مختص بالله يطلب رضاء الله بالتقرب منه، أجمع للخواطر وأحدث على صفة الخضوع وأقرب لمصور القلب، لأنه شبه مواجهة الملك في مناجاته - اقتضت الحكمة الإلهية أن يجعل استيفان قِيَلِهِ ما شرطاً في الصلاة في جميع الشرائع.

وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومن تدبّر بينهما يستقبلون الكعبة، وكان إسرائيل عليه السلام وبنوه يستقبلون بيت المقدس، هذا هو الأصل المسلم في الشرائع.

(1) هو أن يجلب قلب شوب ولا يبرح شهاً من جواربه ولا يمكن إخراج يديه إلا من أسطه وقوله والصماء أي كالمصغرة الصماء التي ليس فيها خرج ولا صدر، وهذه الصماء تشتعل الصماء أن يقطر شوب واحد ليس عليه غيره فيلده من جانيه فيضمه على منكبه فتكشف هورته.

فلما قدم النبي ﷺ المدينة، وتوجهت العناية إلى تأليف لآلئ والحزج وحلفائهم من اليهود، وصاروا هم الفائزين بنصرتهم والأمة التي أخرجت للنبي، ومبارك مفضلهم وألاها أعدى أعديه وأبعد الناس عنه، جنهد وحكم باستقبال بيت المقدس؛ إذ لأصل أن بُرأس في أوضاع القدرات حال الأمة التي بُعثت ترسوق فيها وقاعدت بنصرتهم رسالتهم شهداء على الناس، وهم الأوس والنخزج يومئذ، وكانوا أخضع شيء للعلوم اليهودية، بيته ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا حُرَّتَكُمْ أَنْ يَشْتَرُوا﴾ [سورة البقرة: ٢١٦] حيث قال: إنما كان هذا الحري من الأمصار، وهم أهل وثق، مع هذا الحري من اليهود، وهم أهل الكتاب، فكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في التعلم، فكانوا يشتدون بكثير من فعلهم... الحديث.

وأيضاً الأصل أن تكون الشرائع موافقة لما عليه السبل الحققة ما لم تكن من تحريفات القوم وتعضائهم، ليكون أتم لإقامة الحجة عليهم وأشدّ لطمائنة قلوبهم، واليهود هم القائمة برواهم الكتاب السماوي والعمل بما فيه، ثم أحكم الله أباته وأفعل فيه على ما هو أوفق بالمصلحة من هذا وأعدت قوانين التشريع.

بالنقد في روعة^(١) أولاً، فكان ينبغي أن يؤمر باستقبال الكعبة، وكان يذنب وجهه في السماء طمعاً أن يكون عراييل نزل بذلك،

وبعد أنزل في القرآن العظيم ثانياً، وذلك لأن النبي ﷺ بُعث في الأسمين الأخذ بهن بالنبيلة^(٢) الإسلامية، وقدّر الله في سابق علمه أنهم هم لفشون بتصرة دينه، وهم شهداء الله على الناس من بعده. وهم خلفاءه في أمته، وأن اليهود لا يذمن منهم إلا شزيمة قليلة، والكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن بها أقاصيهم وأدانيهم، وجرت السنة عندهم باستقبالها شامعاً ذاتماً، فلا معنى للشدون عن ذلك.

ولذا كان استقبال القبلة شراً إنما أريد به تكميل الصلاة، وليس شراً لا يتأتى أصل فائدة الصلاة إلا به، تلا رسول الله ﷺ حين تحرى في ليلة مظلمة وصلّى لغير القبلة قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تُؤْمَرُونَ بِمَا رَأَيْتُمُ اللَّهُ يُفْعَلُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

يؤمن إلى أن صلاتهم بحدثة المفروزة.

الجزء الأول من بحثهم

حجة الله البالغة

وبليه الجزء الثاني مبتدئاً بالكلام عن «الاستوف»

(١) روعة، بالفتح في روعة أي كعبة، والفتت شيء مفتح، وهو من من الفتح، والامرك به فوجي.

(٢) مكة لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَّابٌ) (١)	5	120
سورة النحل		
(خُذْ مِنْهُ لَكُمْ رِزْقًا وَلَا يَغْنَمِ) (١)	7	149
(فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ) (٢)	18	104
(وَاتَّبِعُوا مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَلَا تُقِرُّوا كُنُوزَكُمْ إِلَىٰ يَدَيْكُمْ وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ مُسْلَمُونَ) (٣)	43 - 46	199
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (٤)	81	71
(فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ) (٥)	106	215 - 217
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (٦)	115	191
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (٧)	115	330
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (٨)	157	151
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (٩)	159	149
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (١٠)	161 - 162	71
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (١١)	110	212 - 263
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (١٢)	174	211
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (١٣)	179	237 - 28
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ) (١٤)	179	28

284	180	(كُنْتُ عَلَيْكُمْ إِذْ حَضَرَ)
282	180	(كُنْتُ عَلَيْكُمْ إِذْ حَضَرَ أَهْلُكَ أَتَوْكَ)
286	183	(كُنْتُ عَلَيْكُمْ أَنْيَتَهُم)
179	183	(كُنْ عَلَيْكُمْ الْبُيُوتَ كَمَا كُنْتَ عَلَى الْبُيُوتِ مِنْ قَبْلُكُمْ)
186 , 184	185	(كَرِيهُهُ اللَّهُ يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يُهْبِدْ بِكُمْ الْقَسْرَ)
28	185	(إِذَا لَقِيتَ الْفُلُكَ وَالْمَرْءَ مِنْ شَعْبٍ قَوْمٍ)
237 , 29	181	(عَلِمَ أَنَّ الْحَكَمَ كُنْتُ عَمَّا كُنْتُ أَنْتُمْ كُنْتُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْكَ وَمَعَا عَمَّا)
159	89	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَمْثِلِ عَلَى مِنْ تَوْبَةٍ إِذَا بَرَأَ وَكُنْتُ)
98	103	(وَكَانَ لَهُمْ عَلَى لَا أَكُونُ بَلَاءً)
272	190	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)
227	192	(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَتَزَوَّجُوا مِنْ زَوَاجِكُمْ)
243	217	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَمْثِلِ الْفُلُوكِ وَالْأَمْثِلِ الْفُلُوكِ الْفُلُوكِ الْفُلُوكِ)
243	222	(وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
130	222	(وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
150	223	(مَاذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يَسْأَلُوا)
272	230	(عَلَى نَتِجَ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
292	233	(تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
321	238	(تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
33	269	(عَلَى وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
57	264	(أَنْتَ قَدْ تَحَضَّرَ تَحَضَّرَ بِكَ سَبِيلَ الْفُلُوكِ)
160	275	(إِنَّمَا تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
189	279	(لَا تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
238	282	(أَوْ تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)
72	284	(وَإِنْ تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ فَزَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلُوكِ)

سُورَةُ الْفَتْحَةِ

292	7	(مَا أَتَاكُمْ مِنْ فَتْحٍ مُقَاتِلٍ إِنْ أَتَاكُمْ فَاصْبِرُوا) (١)
109	40	(يَقُولُ مَا يَسَّرَ)
162	93	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٢)
26	95	(إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٣)
207, 156	110	(كُنْتُمْ خِزْيَانًا خَالِفِينَ) (٤)
51	156	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٥)
196	156	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٦)
98, 170	156	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٧)
27	180	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٨)

سُورَةُ الْفَتْحَةِ

293	23	(فَرِحْتُمْ بِبَيْعَتِكُمْ الْبَيْعَتِ الْكَبِيرَةِ) (١)
312, 239	23	(فَرِحْتُمْ بِبَيْعَتِكُمْ الْبَيْعَتِ الْكَبِيرَةِ) (٢)
273	25	(وَمَا كُنْتُمْ بِمُعْظِمْ عُقُوبَةٍ) (٣)
261	99	(فَرِحْتُمْ بِبَيْعَتِكُمْ الْبَيْعَتِ الْكَبِيرَةِ) (٤)
77	123	(فَرِحْتُمْ بِبَيْعَتِكُمْ الْبَيْعَتِ الْكَبِيرَةِ) (٥)

سُورَةُ الْفَتْحَةِ

109	1	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (١)
312, 239	2	(فَرِحْتُمْ بِبَيْعَتِكُمْ الْبَيْعَتِ الْكَبِيرَةِ) (٢)
123	3	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْبَاطِنُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ لِيَسْرُبَ إِلَيْكُمُ الْمَعَادُ إِنَّ الْفَتْحَ كَانَ لَكُم مَكِيدًا) (٣)

299	6	﴿أَوْ نَسْتَكْفُرُ﴾
272	6	﴿وَأَسْكُرُوا يَوْمَهُمُ﴾
239	6	﴿إِذَا نَسْتَكْفُرُ﴾
193, 270	18	﴿وَالْكَافِرُ وَالْكَافِرَةُ سَوَاءٌ مَقْصُورٌ أَمْ مَبْطُونٌ﴾
272	38	﴿وَالْكَافِرُ وَالْكَافِرَةُ سَوَاءٌ﴾
134	48	﴿يَكْفُرُ جَمْعٌ مِنْكُمْ بِزُرْقٍ وَمِنْهَا﴾
72	66	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَا هُمْ عَلَى الْغُرِّ إِذَا جَاءَ الْغُرَّةَ وَالْجَبَلَ وَكَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ يُرْمَوْنَ مِنْهَا كَالْحِجَارِ يُدْرَكُونَ مِنْهَا﴾
211	78	﴿عَلَىٰ يَسْبُلُوهُ زَكَاةٌ وَيُسَبِّحُ اللَّهَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَكَانُوا مُسْتَكْبِرِينَ﴾
313	90	﴿يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُ﴾
293	93	﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ آيَاتِهِ﴾
28	95	﴿لَقَدْ كَفَرَكَ﴾
166	101	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مِثْلَ مَا قَالُوا مِنْ قَبْلِهِمْ إِنَّ كُفْرَهُمْ كَانَ أَكْبَرَ﴾
122	103	﴿مَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَتُوبُوا﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

121	41	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾
219	41	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾
141	76	﴿فَتَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا﴾
233	90	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾
220	91	﴿فَتَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا﴾
312	145	﴿فَتَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا﴾
25	149	﴿فَتَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا﴾
289	153	﴿فَتَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

263	1	﴿تَقِيَهُمْ﴾
-----	---	--------------

﴿عَلَيْهِمْ مِنْ لَدُنْهِمْ رَاقِبِينَ﴾

12 212

94 - 96 74

﴿وَمَا لَكُمْ فِي قَوْلِهِمْ كَيْدٌ وَإِنَّ لَكُمْ فِي أَلْقَائِهِمْ رَاقِبِينَ فَلَمَّا يُدْرِكُهُمْ الْكَفَرُ الْكَفَرَةُ كَتَلَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِ﴾

189 - 190 122

﴿وَمَا لَكُمْ فِي قَوْلِهِمْ كَيْدٌ وَإِنَّ لَكُمْ فِي أَلْقَائِهِمْ رَاقِبِينَ فَلَمَّا يُدْرِكُهُمْ الْكَفَرُ الْكَفَرَةُ كَتَلَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِ﴾

172 148, 287

﴿وَمَا لَكُمْ فِي قَوْلِهِمْ كَيْدٌ وَإِنَّ لَكُمْ فِي أَلْقَائِهِمْ رَاقِبِينَ فَلَمَّا يُدْرِكُهُمْ الْكَفَرُ الْكَفَرَةُ كَتَلَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

195 116

﴿وَمَا لَكُمْ فِي قَوْلِهِمْ كَيْدٌ وَإِنَّ لَكُمْ فِي أَلْقَائِهِمْ رَاقِبِينَ فَلَمَّا يُدْرِكُهُمْ الْكَفَرُ الْكَفَرَةُ كَتَلَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِ﴾

201 283

﴿وَمَا لَكُمْ فِي قَوْلِهِمْ كَيْدٌ وَإِنَّ لَكُمْ فِي أَلْقَائِهِمْ رَاقِبِينَ فَلَمَّا يُدْرِكُهُمْ الْكَفَرُ الْكَفَرَةُ كَتَلَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِ﴾

سُورَةُ الْفَتْحَةِ

2 278

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

39 28

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

42 169, 63

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

66 237

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

73 238, 216

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

31 121

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

31 265, 213

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

34 140

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

102 149

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

سُورَةُ الْيُونُسَ

49 72

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

سُورَةُ صُورٍ

36	88	(إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَعِذْتُ بِمَا تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكَ عَلَيَّ مَكْرَهُكَ نَزَّاهُ) (يُسَبِّحُ)
139	168	(إِنْ أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِهِ النَّاسَ)

31*

211	416	(ثُمَّ لَا يَأْتِي مِنَ الْقُرُونِ بِكُمْ أَهْلًا يَحْكُمُ الْأَوَّلَ وَلَا يَنْهَى الْآخِرَ إِلَّا ظَهْرًا يَنْفَعُ الْغُنَى وَالْفَقْرَ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَا يَرَوْنَ بِهَا خَيْرًا وَهُمْ فِي شَكٍّ)
-----	-----	---

سُورَةُ الزُّمَرِ

215	2	(وَمَا نَرْجُوا لِلنَّاسِ مُقَرَّبَتَهُ)
56	38	(وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ)
23	53	(وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ) (وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ)

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

157	7	(إِنَّمَا لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا حَقٌّ عَظِيمٌ)
164	161	(بَلَدًا اللَّهُ لَا يَمُوتُ مَا هُوَ عَلَى يَفْعَةٍ أَمَّا يَأْتِيهِمْ)
126	36	(يَسْمَعُونَ أَلْفًا مَا يَسْمَعُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ) (يَسْمَعُونَ أَلْفًا مَا يَسْمَعُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

215	4	(وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ) (وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ)
1-1	18	(كُلُّهُمْ فِئَةٌ يَوْمَ الْقِيَامِ) (كُلُّهُمْ فِئَةٌ يَوْمَ الْقِيَامِ)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

145	22	(وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ)
186	44 - 43	(وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ) (وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ)
		(وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ) (وَمَا أَرْبَاهُ أَهْلًا يَوْمَ الْحَشْرِ)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

67	14 - 13	(وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ)
		(وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ)
53	20	(وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ)
215	23	(وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَعَرِفُونَ)

318	66	﴿يَنْتَظِرُونَ فَصَلِّ﴾
219	67	﴿سَلِّ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ لَا يَمُنَ﴾
318	78	﴿أَبِي اسْتَوَىٰ يَذْكُرِ الْفَجْرَ إِنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ الْفَجْرَ إِنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ الْفَجْرَ﴾
63	84	﴿فَلْيَسْأَلْهُمْ عَنْ مَقَامِهِ﴾
51	85	﴿وَيَسْأَلُهُمْ فِي الْوَجْهِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ لَدُنْهِ إِنَّهُ لَمِنَ السَّاعِدِينَ﴾
		سُورَةُ الْفُرْقَانِ
44	17	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يَصْعَدُ فِيهِ السَّمَاءُ كَالْعِظَامِ﴾
		سُورَةُ الْفُرْقَانِ
199	5	﴿الْمُتَّقِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
329	12	﴿مَنْعَ تَلَوِّهِ إِنَّهُ بِالنَّاسِ عَلِيمٌ﴾
27	14	﴿وَلَا يَسْأَلُهُمْ فِيهِمْ﴾
60	41	﴿وَمَنْعَهُمْ فِيهِمْ﴾
		سُورَةُ الْفُرْقَانِ
236	22	﴿لَوْ كَانَ فِيهَا أَهْلٌ لَ وَجِدُوا فِيهَا آتُونَ﴾
82	92	﴿إِنْ مَدَّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ لَمَّا يَلْمِزْكُمْ فِيهِ﴾
274	112	﴿وَيَوْمَ الْأَعْقَابِ لَنَسْتَأْذِنُ عَنْكُمْ﴾
		سُورَةُ الْفُرْقَانِ
57	18	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي السَّمَاءِ فِي السَّحَابِ الْمُبِينِ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾
133	32	﴿وَمَنْ يَتَّبِعْهُ يَكْفُرْ أَفَرَأَيْتُمْ أَفَرَأَيْتُمْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾
27	37	﴿لَوْ يَرَىٰ اللَّهُ الْخَوَافِ لَا يَخَافُكَ بَلَاءُ الْفَقِيرِ بِكُمْ﴾
217	39	﴿أَبَا يَفْعَلُ يَنْتَظِرُونَ إِلَهُكُمْ فَلْيَسْأَلُوا اللَّهَ عَلَىٰ تَرْبِهِمْ﴾
98	40	﴿وَلَوْ لَا نَفَعُ الْفَقِيرُ تَرْبِهِمْ يَسْأَلُكُمْ فِيهِمْ﴾
159	67	﴿يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَسْأَلُونَ عَنْهُمْ﴾

مجلس الوزراء

17	18	19	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
20	21	22	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
23	24	25	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
26	27	28	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
29	30	31	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
32	33	34	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
35	36	37	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
38	39	40	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
41	42	43	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
44	45	46	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
47	48	49	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
50	51	52	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
53	54	55	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
56	57	58	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
59	60	61	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
62	63	64	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
65	66	67	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
68	69	70	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
71	72	73	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
74	75	76	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
77	78	79	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
80	81	82	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
83	84	85	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
86	87	88	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
89	90	91	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
92	93	94	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
95	96	97	﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُفْعَلُ فِي قَرْيَةٍ قَدْ آمَنَ﴾
98	99	100	﴿وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَاجِعْ صَافِيَةً تَمَّ غُلُوبُ الْغَنَمِ وَالْأَرْبَعُ كَرَامٌ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

219 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُمْ سَوَافٍ﴾

شركة الأخشاب

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ) (١) خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ مِنْ نَارٍ سَمِيمٍ وَأَخَذْتُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي مَعَكُمْ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ سَعْيٌ لَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّسُولُ الْكَافِرِينَ أَتَوْا بِهِنَّ فَعَمَرُوا وَنَمَسُوا لَكُمْ وَلَمَّا جَاءُوكُمْ أُخْتِفُوا فَظَنُّوكُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ خَائِضُونَ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢)

12/25/2011

(لا تَحْزَنْ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ وَتَحْزَنْ مِنْ بَعْدِ)

سیدنا و سیدتنا

293 32 (وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْبَيْنُ لَأَنفُسِكُمْ مِن جَدِّهِ فَجَاءَهُمُ الْمَلَكُ
وَقَالَ قُلُوبُهُمْ لَوْ كُنَّا نَبْغِي الْإِنْسَانَ بِبُيُوتِهِمْ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي الْعَالَمِ
الْأُولَىٰ)

مِنْهُ

234	6	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَدَّاعِ)
235	87	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَدَّاعِ)

2022/22

[illegible]

سُورَةُ الزُّحُرِفِ

263	22	﴿إِنَّا وَجَدْنَا مُتَّحِفِينَ عَلَىٰ أُنُوفِهِمْ رَبَّنَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ﴾
327	37	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَخْتَارُ﴾

سُورَةُ الدُّخَانِ

69	4 - 3	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
177	3 - 1	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
61, 48	4	﴿يَا بَشَرُ إِنَّا جَاءُوكَ بِبَشِيرٍ﴾

سُورَةُ الْاِحْقَافِ

221	9	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِ الْاَوَّلِينَ﴾
292	15	﴿وَتَكْفُرُ وَهَكَذَا نَقُودُ الْغِيَا﴾

سُورَةُ الْمُلْجَمَاتِ

278	14	﴿قُلْ لَّيْسَ بِي رَيْبٌ مِّنْهُمَا﴾
-----	----	--------------------------------------

سُورَةُ الْاِنشَادِ

240	29	﴿إِنَّا نَقُولُ لَهَا﴾
-----	----	------------------------

سُورَةُ الْحَمْدِ

158, 109	42	﴿وَلَا يَكُنْ لَّكَ﴾
----------	----	----------------------

سُورَةُ الْفَتْحِ

41	15	﴿وَتَحَقَّقَ الْاَمْرُ مِنْ قَدَمِ﴾
149, 50	29	﴿عَلَىٰ يَوْمِ تَرْوَدُ النَّارُ﴾
284		
152, 74	31	﴿سَبِّحْ تَكْمِ لَهُ الْاَمْرُ﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

(وَقَدْ كُنَّا أَنْفُسًا فَاسِدَةً فَلْنَمَسْتِ بِالتَّوْبَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُكْثِرَ لَكُمْ فِيهَا أَنْفُسُكُمْ وَالَّذِينَ أُكْثِرُوا الْعِلْمَ فَأُتُوا بِالنَّارِ الَّتِي هُمْ فِيهَا مُدْخَرُونَ)

سُورَةُ الْمُلْكِ

(وَعِبَادِي آتُوا صَبْرًا مَا كُنْتُمْ عَنْهُمْ إِلَّا آيَةً وَمَنْ لَهُمْ) 27 146

سُورَةُ الْحَجِّ وَالزَّكَاةِ

(مَا يَعْلَمُونَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاسِقٍ إِلَّا أَوْ هُوَ بِمَا يَعْمَلُونَ لَا يَخْفَى مِنْهُ شَيْءٌ) 7 109

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

(مَا يَخْلَعُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَجَدَدًا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِمْ) 7 113

سُورَةُ الْمَغْضَةِ

(هُوَ الَّذِي يَنْفَخُ فِي الْأُصْبُعِ مِنْ دُونِهِمُ) 2 214, 116

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَاصْبِرُوا فِي قُلُوبِ اللَّهِ) 10 327

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(مَا يَسْأَلُ اللَّهُ لِيُجْزِيَ هَذِهِ) 3 234

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(لَا يَسْأَلُ اللَّهُ مَا أَزْنَمْتُمْ يَهْتَكِرُ مَا يُؤْمَرُونَ) 6 120

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(لَا تَقْرَأُوا فِيهَا كُفْرًا) 18 121

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(كَلِمَاتٍ لَا تَكُنْ مِنْ الْكَلِمَاتِ) 20 272

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(فَرَأَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) 43 138

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(وَبَشِّرِ الْكَافِرِينَ) 11 318

سُورَةُ الْحَجَرِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تُنْفَعُونَ إِنَّهُ يَبْدَأُ خَلْقَ كُلِّ نَفْسٍ فَإِذَا فُتِنَ فِي عَمَلِهَا وَأَعْلَى خَبَرُهَا ﴾

98 30 - 31

سُورَةُ الْغَافِرِ

﴿ تَعْلَمُ مَا تُكَلِّمُهَا فَلَا تَفْزَحُهَا وَفَلَا تَهِنُهَا ﴾

787 3 - 4

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

﴿ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنْتَ الْكَافِي ﴾

217 6 - 5

﴿ مَا تَنْزِلُ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكَ إِنَّكَ تَكُنُّ مَعَهُمْ وَلَا تَذَرُهُمْ إِذَا تَجَلَّىٰ أَمْرُهُمْ إِلَىٰكَ فَتَلَقَهُ بِكَلِمَاتٍ مِّنْ لَّدُنْكَ يَتَنَبَّهُونَ بِهَا ﴾

55 10 - 9

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

﴿ لَيْسَ بِمُسْكِلٍ لَّكَ دَرُؤُهُمْ إِنَّكَ أَعْلَمُ الْبَاهِلِينَ ﴾

235 3 - 4

- أمرت أن أقاض الناس 217
- أمسك بصلاتها 326
- آمن شجرة ولم يؤمن قلبه 221
- أمبلى عنا فراك 328
- إن إبراهيم حرم مكة 163
- إن إبراهيم نياك 168
- إن إيلس يفتح ممرته 241
- إن أعظم المسلمين جرماً 36
- إن أعمال العبد تعرضي 176
- إن أمي بدعوى يوم القومة 299
- إن أول من جزأ النهار 172
- إن البقرة وال عمران رأيتي 43
- إن الحرام بيني 258
- إن العشوش محضرة 303
- إن الشيطان قد أس 282
- إن الشيطان يكن شمالة 174
- إن الشيطان يبث على خشومه 233، 297
- إن الشيطان يذبح سقعد 175
- إن الصديق لأدب 301
- إن العلماء رولة لأدب 290
- إن القلوب بين يمينين 129
- إن الله أدخلك الجنة 47
- إن الله إذا أحب عبداً 19
- إن الله تعالى وفلائته يصدون 207
- إن الله تعالى يبعث الأيام 46
- إن الله حيي 302
- إن الله خلق آدم 285
- إن الله خلق آدم من قبضة 49
- إن الله خلق خلقه 285
- إن الله كتب على نبيه 286
- إن الله لا يقبض العلم 210
- إن الله لمطلع فيها 176
- إن الله نظر إلى أهل الأرض 217
- إن الله مؤيد هذا الدين 17
- إن الله يحب كذا 202
- إن المعروف والعنكر 3
- إن بلالاً يادي سبل 324
- إن بني إسرائيل لو نبحوا 167
- إن حوصلي 182
- إن حفز أحدكم يجيب 256
- إن رمي ترك وتغافل 166
- إن رجلاً من أهل الجنة استادن 81
- إن في الليل ساعة 177
- إن قلوب بني آدم 285
- إن للشيطان أدب 282
- إن هذه الجنون منجنونة 175
- أنا عند طعن صني في 146
- لأبء بر علامه 62
- أنتم أنتم بأمور دنياكم 283
- إنكم مشركون بركم 138
- إنما أنا بشر 224
- إنما أنت رقيق 51، 118
- إنما الأعمال بالنيات 27، 255، 293
- إنما الماء من السماء 303
- إنما جعي الاستفان 28
- إنما كان يكفيك 308
- إنما كان يكفيك أن تفعل كذا 245
- إنما كان يكتفي 300
- إنما مثل هذا مثل الذي بهني 328
- إنما مثلي ومثلي ما بعثني 289
- إنما مثلي ومثلي ما بعثني الله به 63
- إنما ملك من كان قبلكم 252
- إنما هو مخالفة مرور الوقت 28
- إنما هي أعمالكم 4
- إنما هي أعمالكم أعصيتها 63
- إنه لإقامة ذكر الله 28
- إنه الهني أتفا 328
- إنما أمة من الأمم 190
- إنها مداعة تمنح فيها 28، 177
- إنها لمعدت يوصي 28

- إيه من الطواغيت 316
- إيه من يكفر بعبادهم 265، 266
- إيه يهك عبيها 147
- إيه قص من الليل 41
- إيه لا أصل المسجد 175
- أو ذكركم ليه 76
- أو لكم ليه 178
- أو سنة 278
- أياكم من يافان ملهف 320
- الإيهان أو تومي باله 278
- لاهن وضع ربهو، شعة 278
- إيه لاه 290، 295
- عذو! ما بدأ الله به 191
- لاكوا لاهك، ذكرك 208
- الهه علاهين 288، 307
- إيهي آدم وموسى 80
- إيهي آدم وموسى 282
- مشهوا من الهه 126
- نظروا إلى عبادي 343
- لاهن في المسجد خطية 323
- ضح لها ناع ثم فر 140
- بعث باله المسحة 274
- بعث لآتم مكره الأخلاق 184
- بعث لبعث لآتم مكره 185
- بي الإسلام على خمس 274، 279
- بلاء البهوان 50، 284
- بين البهوان وبين الكفر 47، 48
- بي وبين بلاء البهوان 44
- تناه الحية من المزمور 299
- ضعي الأقدام يوم القدمة 43
- تحت كل شعرة حياه 302
- تحرس الحن على المبوب 68
- تفكروا في الخلق 133
- تفكروا في خلق الله 135
- التوبة مبعية لآتم المزمور 43
- توم من المذنب 202
- توما لا يهككم الله 80
- توم لاهه آدموس 176
- توم أبوه مبعو 80
- توم مسج مبعو بعينه 287
- توما تومها ما صهرراً 135
- توما الليل 77
- توما مبعو 43
- حب الأنصار آية الإيمان 374
- حب عني آية الإيمان 379
- حني حني أن يهك عليكم 379، 374
- الحبح يوم تحبون 199
- حذروا من بني إسرائيل 340
- حذروا مبعو بالهكاه 44
- حني على كل مبعو 310
- الحلال بين 291
- الحلاله الذي رد أمر 281
- حوسي لأيه من آيه 133
- الحبه غير لله 201
- حانقو، المشركين 309
- حانقوا البهوان، تومها لا يهكوا 329
- حادي فرامة من مبعو 392
- حشيت أن يهك، عبيكم 276
- خلق الله المبعو 43
- حشيتك لاهه 284
- حشيتك لاهه فرامة حياه 43
- دح ما يهك 285
- الدعاء مع العبد 143
- دهمما لاهي أدخلهم طاهرته 285
- ذروني ما مبعوكم 167
- ذلك مبعو الإيمان 282
- الهه نفوت حلاله مبعو 321
- ولما خلق 342

- رأيت جعفر بن أبي طالب، ملكاً لله، 78
- رجع من طاراً 30
- رجع الله امرأته، مثل كذا 262
- رسول من 239
- وقع الغلم من ثلاثة 185
- وقع من أمي الغلظة 239
- صافق في النار ومغزول 145
- مسرون وبكم 27
- السيد هو الله 113
- الشاهد يرى ما لا يراه العبد 234
- شفاء للذرية 42
- شفاء من كل داء 47
- مثل الصلاة لوقتها 321
- صلاة الجمعة أفضل 181
- صلاة الرجل في جماعة 29
- الصلوات الخمس بالجمعة 317
- صورت في الجنة والنار 44
- الصوم في وأنا أجزي به 141
- انظروا شعر الإيمان 278، 298
- عروفت علي أجود أمي 180، 325
- عروفت علي أعلم أمي 150
- عشر من القطرة 308
- العلم ثلاثة آية 291
- على ما كان من عمل 781
- عليكم بالأدوم الأفرح 224
- عليكم بستي وسنة الغلاء 229
- العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة 139
- العبي حل 239
- الغيبة فطر الصائم 207
- فأخبرهم أن الله تعالى قد مر من 37
- فإذا أربعة أثمار 4
- فإذا غم عبيكم 198
- فدا الشهادت بستان على شيشوم 38
- فدا الصوم له وجاء 24، 141
- فإن الله قد غفر لك 110
- فإن كان صلاة الصبح 122
- فلما سمع ميسرين 136، 157
- فله إذا اضطجع 28، 198
- فإني إنما ظننت ذلك 24
- فضل العالم على العابد 240
- فعليكم بستي وسنة الغلاء 229
- فقيه واحد أشد 171
- فلا يبولى أحدكم 308
- فلا بنفس يدي، في الإذن 193
- فليست له باله 162
- في الزمان النجاسة زكاة 273
- في يرفع أحدكم حلقة 29، 199
- فيما سقت العيون العشر 272
- انزلة بين المشرق والمغرب 199
- قل أنت مالك ثم اعظم 281
- قال الله ولم يكن شيء، فله 41
- كانوا يعملون لهم أشياء 121
- كثير المكبر 174
- كثير كرم 174
- كتب الله عقابير الحديث 285
- كل أمر ذي بال 792
- كل دم موضوع 199
- كل شيء أدرك الإسلام 169
- كل مسكر حرام 250
- كل مولود يولد بولده على الفطرة 80، 148، 284
- كلامي لا يسبح كلام الله 216
- لكم جامع 285
- كنت نهيتكم عن رواية الصور 240
- لا العين أحدكم منكراً 238
- لا إيمان لمن لا أمانة له 277
- لا تقل قائماً 308
- لا تضيع هذه الأمانة على الصلاة 289
- لا تجزئ صلاة الرجل 272
- لا تدعوا الصلاة بينة 309

- لا تزل أمي بخير 321
- لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة 325
- لا تشدهوا 146
- لا تشددوا على أنفسكم 288
- لا تشربوا مكرراً 216
- لا تصدقوهم ولا تكذبوهم 290
- لا تقبل صلاة أحدكم 236
- لا تقبل صلاة بغير طهور 298
- لا تقبل صلاة حائض 328
- لا تقبل صلاة من أحدث 298
- لا صلاة إلا بطهور 239
- لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب 272
- لا صلاة لمن لم يقرأ 236
- لا غسل عليه 303
- لا فكة في الرب 123، 138
- لا قطع في شر 194
- لا تكلم إلا بولي 239، 312
- لا وضوء لمن لم يذكر الله 297
- لا يؤمن أحدكم حتى يكون 281
- لا يؤمن عبد حتى يلزم بالقر 126
- لا يؤمن أحدكم في الماء المتكاثف 310
- لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن 296
- لا يخرج الرجلان بطريق 311
- لا يخرج من المسجد 299
- لا يخطب الرجل على خطبة 323
- لا يدري أين بابت يده 28، 238، 297
- لا يرد الدعاء بين 324
- لا يرد الدعاء إلا الدعاء 140
- لا يزني الزاني حين يزني 280
- لا يسأل الله فيها مسلم 239
- لا يستطعمها البطة 200
- لا يصل أحدكم 294
- لا يصل أحدكم في الثوب 328
- لا يظلمكم الأعراب 322
- لا يظني هذا للثنين 125
- لا يخلق في الأصنام 141
- لقد علموا أنهما لم يستقسما قط 222
- لكل آية منها ظهر وظهر 292
- لكل شيء مصفلة 143
- لم يزل أمر بني إسرائيل 213
- لما خلق الله الرحم 43
- لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي 211
- لن يدخل أحدكم الجنة عمله 51
- من يشأ القهي أحد 211
- الله أعلم بما كانوا عاملين 284
- اللهم إني أعوذ بك من الخيث 308
- اللهم أهد بروح القدس 326
- اللهم اجعلني من التوابين 294، 297
- انلهم نفسي من الخطايا 294
- لو أن نهراً باب أحدكم 317
- لو كان على أهلك دين 199
- لو لم تذنبوا لذهب الله بكم 283
- لو قلت نعم لوجبت 163
- لو لا أن أشق على أمتي 173، 197، 227، 309
- لو لا حدثان قومك 198
- يبلغ المشاهد الغائب 123
- ليس أفتى على المنافقين 321
- ليس هنى خائن 194
- ليس فيها دون خمسة أوسق صدقة 239، 272
- ليس مثا من غفل 136، 202
- ليسبط على الكافر 44
- يعلم اليهود أن في جنتا 197
- المؤمن يقرر له مدى صوته 323
- المؤمن أطول الناس أمناً 323
- المؤمن لا يجس 312
- ما أنزل علي في آخر 235
- ما بال أقوام يتزهدون 288
- ما بعث بالهوانة 186

- ما وذي الشيطان يوماً 142
- ما رأيت من ناقصات عقل 143
- ما زال بكم الذي رأيت 162
- ما سقته السماء فغيه العشر 239
- ما ضلّ قوم بعد عدى 288
- ما من أحد يشهد 281
- ما من مسلم يصيه لأذى 74
- ما من نبي بعثه الله 213، 287
- ما من يوم يصبح العباد فيه 47
- ما منكم من أحد 281
- ما منكم من أحد يتركها 247
- الماء طهور 312
- الماء لا يجنب 312
- مثل القلب كروية 285
- مثل المؤمن كمثل الحماة 73
- مثل ما يحشي الله 289
- مثلي كمثل رجل استوفى 289
- المرء في القرآن كفر 292
- مررا أولادكم بالصلاة 316
- المسلم من سلم المسلمون 277
- محتاج الصلاة الطهور 298
- ملائكة النهار تصعد 177
- الملائكة تنزل في الصلوات 51
- الملائكة يصلون على أحدكم 47
- من أحدث في أمرنا هذا 283
- من أدرك ركعة من الصبح 321
- من أدنى سبع سنين 323
- من أذى فهو يقيم 323
- من أصل الإيمان 277
- من أقل في نهار رمضان 235
- من أكل هذه الشجرة 326
- من اقتبس شعبة من الحرام 51
- من يسي لله مسلماً 325
- من ترك صلاة العصر 321
- من ترك موضع شجرة 302
- من نزل من الليل 178
- من تعلم شيئاً 290
- من توبها فأحسن الوضوء 295
- من حلف بغير الله 122
- من خرج من بيته متطهراً 324
- من سئل عن علم علمه 291
- من سمع رجلاً يثب 326
- من صلى التوراة 321
- من صلى انشاء في جماعة 319
- من صلى صلاة 277
- من غدا إلى المسجد أو راح 325
- من قاتل تكون كلمة الله 293
- من قال في القرآن برأيه 292
- من قال لا إله إلا الله 200
- من قتل قبل أن يلقاه عليه 224
- من كذب عني متعمداً 290
- من لم يني بغير الأرض 115
- من لم يؤد زكاة ماله 236
- من لم يؤمن بالقرآن 126
- من من ذكره فليتبوأ 299
- من نسي صلاة 321
- من وجد من ذلك شيئاً فليقل 282
- من يرد الله به خيراً 290
- الناس معادن 63
- نزل القرآن على خمسة 294
- سم ذرية بني آدم 284
- نصيب المؤمن من العذاب 144
- نصر الله عبداً صم 290
- النفس تمنى ونشهى 67، 68
- هذا سبيل الله 289
- هذا وقت الأمانة 219
- هذان كتابان من رب العالمين 64
- هذه سبيل 285
- هذه محاجة الله العبد 72
- هربوا حتى يولد 314

- هل ترون ما أرى 43
- هل مر إلا بضعة منه 299
- هلك كسرى 188
- صم من أبائهم 284
- هي من قدر الله 129
- وإن ربي وإن سرق 281
- والذي نفس محمد بيده لا يسمع 284
- وعاء الله المهيان 238
- وعاء الله المهيان 298
- وثمن استاذني 200
- ولا تدخلوا إلا بآئين 377
- ولم يسنها أحد قبلكم 319
- ومن لا فلا حرج 236
- ويل للأعقاب من النار 298
- يأتى بالنبأ يوم القيامة 43
- يؤتى بالموت كأنه كبش 44
- ما بماء عسل تجري ما حن الله 124
- يبعث الله لهذه الأمة على رأس 289
- يحمل هذا العلم 249
- يد الله ملاقى 123
- يثرا ولا تفسرا 187
- يتنسل 303
- يعمل ذكركم ويتوخا 298
- يغسل من بول الجارية 314
- يفسح في أمره سبعون خراعا 282
- يكون في آخر الزمان 290
- ينزل البلاء فجأة ودعاء 44
- ينزل ربنا كل ليلة 176
- يوشك أن يضرب الناس 251



- ابن الجوزي 233
- ابن الحاجب 253
- من الدعاء 222
- ابن الفلاح 269
- ابن القاسم 231
- ابن العاجل 43
- ابن الميار 136
- ابن المنكر 264
- ابن النجار 233
- ابن النجم 271
- ابن همام 254، 262، 272
- ابن حريص 250
- ابن حبان 273
- ابن حجر (المنهاج) 171
- ابن حرم 263، 264، 271
- ابن عبد الله 258
- ابن عبد السلام 29
- ابن عدي 233
- ابن حبان 233
- ابن عوف 259
- ابن ماجة 256
- ابن وهب 231
- البخاري 231، 253، 259
- بريد 254
- بريدة 319
- البردعي 271، 272
- بلاد (المؤلف) 322، 324
- البغدادي 53
- البهقي 233، 238، 262، 265
- القرمطي 233، 232، 231، 238، 265
- جابر بن زيد 234
- جابر بن عبد الله 247، 248، 300
- جبريل 44، 45، 47، 48، 179، 202
- 268، 290، 319، 320
- جعفر بن أبي طالب 48، 78، 81
- الجوزي 233
- الحاكم 232، 255، 268
- الحسن البصري 212، 219، 229
- 248، 254، 256
- الحسن بن علي بن أبي طالب 23، 247
- الحسن بن علي بن أبي طالب 23
- حنبل 314
- حواء 122
- حريص بن محمود 174
- الحجازي 270
- حريص 272
- حران 224
- الخطمي 29
- الحطاب 233، 258
- الحنوزمي 232، 233
- الحارثي 218
- الدرس 244، 244، 252، 259
- دانيال 213
- دار 273
- دار 273، 274، 275
- الدجال 43
- دحية الكلبي 202
- الديلمي 233، 258
- ربيع بن الصبيح 250
- ربيعة بن عبد الوهب 248، 250
- ربيع 233
- الربر بن القوام 303، 313
- ربر 268
- الزهري 246، 248، 250، 253
- زيد بن أسلم 250
- زيد بن ثابت 29، 31، 234، 239
- 237، 238
- زيد بن عمرو بن نفيل 221
- سالم بن عبد الله بن عمر 247، 248
- 250، 259، 259

- السرعسي 231
- سعد بن أبي وقاص 239
- سعيد بن المسيب 81، 229، 247، 248، 250، 253، 270
- سعيد بن جبير 246
- سفيان الثوري 123، 231، 250، 254، 255، 259
- سيان بن عبيدة 123، 231، 250، 251
- سليمان عليه السلام 156
- سجع الزيات 257
- السبرطي 250
- الشافعي 231، 252، 254، 261، 264، 265، 267، 269، 271، 273
- شريح 229، 250، 256
- الشامي 212، 229، 248، 250، 254، 257، 259، 313
- شمام بن ثعلبة 279
- طلوس 196، 238
- الطبراني 233
- الطحاوي 232، 233، 271
- طلحة بن عبيد الله 303
- الصالسي 233
- عائشة 31، 35، 196، 198، 237، 243، 244، 248، 250، 251، 264، 299، 301، 328
- عاصم بن واثل 222
- عبادة بن بسر الكندي 244
- عبد الحارث (وُلد حواء) 127
- عبد الرحمن بن صوف 244
- عبد الرحمن بن مهزي 231، 255
- عبيد الرزاق 231، 233، 251، 255، 291
- عبد الله بن زيد 296، 322
- عبد الله بن سلام 50، 79
- عبد الله بن عباس 31، 159، 220، 256
- عبد الله بن عمرو 288
- عبيد الله بن مسعود 45، 52، 229، 238، 244، 245، 247، 248، 250، 251، 256، 257، 259، 264، 269، 287، 299، 306، 313
- عبد المطل 187
- عبد من حميد 233، 258
- عبيد الله بن عبد الله 250، 253
- عثمان بن عفان 81، 250، 296، 303
- عثمان بن مظعون 211
- علي بن حاتم 121، 265
- عروة 250، 290
- عز الدين بن عبد السلام 264
- عصام بن يوسف 268
- عطية بن أبي رياح 229، 248
- عطية بن يسار 250، 257
- عثمة 248، 250، 259
- علي البديني 255
- علي بن أبي طالب 31، 201، 204، 224، 229، 236، 248، 250، 254، 264، 296، 299، 301، 303، 313
- عمار بن ياسر 243، 247، 299، 306
- عمر بن إسحاق 244
- عمرو بن الخطيب 29، 31، 81، 129، 183، 208، 213، 222، 224، 229، 237، 239، 243، 245، 247، 248، 250، 251، 254، 256، 264، 299، 306، 328
- عمرو بن عبد العزيز 256

- عمرو بن الحصين 217، 290، 306
- عمرو بن العاص 305، 308
- عمرو بن شعيب 254
- عمرو بن لحي 218، 221، 222
- عيسى بن تاران 73
- العنبري 39، 33، 43، 53، 64، 255
- 261، 285
- فاطمة بنت فليس 445
- فرعون 178
- الفضل بن دكين 299
- القاسم 244، 256
- قفاسم، صاخر 232
- نبال 137
- قتادة 236
- فليس بن ساعدة 32
- قيس 208
- الهكاشي 251، 271
- كسرى 208
- كعب بن مالك 286
- لوط (عليه السلام) 151
- مالك بن أسير 233، 234، 249، 250
- 251، 253، 254، 257، 259، 261
- 264، 268
- مجاهد 154، 237
- محقق بن إبراهيم 253
- محمد بن الحسن 231، 251، 252
- 298
- محمد بن جعفر بن المبرور 281
- محمد بن طلحة 244
- محمد بن سيرين 207، 213، 256
- محمد بن عمار بن جعفر 251
- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب 250
- صحيفة بن مسعود 174
- الحربي 265، 268
- حصة 299
- هروث 218، 250
- سالم 432، 233، 246، 259
- السج 316، 312
- معاذ بن جبل 197، 212، 279
- 39
- معقل بن يسار 244، 245
- مصر 231
- المغيرة بن شعبه 244
- مكحول 248
- المنصور 250، 260
- موسى (عليه السلام) 78، 80، 89، 156
- 160، 163، 174، 202، 214، 245
- 268
- ميمونة 301
- النعام 232، 245، 258، 261
- نوح (عليه السلام) 163، 178، 210، 214
- الثوري 269
- حازم القرظي 231، 250، 251، 270
- الهوزلي 268
- هشام 269
- هاد 255
- هند 246
- وكيع 252، 257
- يحيى بن سعيد النطائي 231، 248، 250
- 257، 259
- يزيد بن هارون 255، 257
- يعقوب بن عتبة 167
- يوسف (عليه السلام) 117

فهرس الموضوعات

5	بين يدي الكتاب
27	مقدمة
	القسم الأول: في القواعد الكلية
	التي تستنبط منها المصالح المرعية في الأحكام الشرعية
41	المبحث الأول: في أسباب التكليف والمجازاة
41	باب الإبداع والتخييل والتدبير
43	باب ذكر عالم المثال
46	باب ذكر الملأ الأعلى
49	باب ذكر سنة الله التي أشهر إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجِدَ إِشْرَاقَ آفَؤِ مُبِيلًا﴾
51	باب حقيقة الروح
53	باب سر التكليف
55	باب اشتقاق التكليف من التقدير
60	باب اقتضاء التكليف المجازاة
63	باب اختلاف الناس في جبلتهم المصنوع
66	باب في أسباب الخواطر الباعثة على الأعمال
67	باب لصوق الأعمال بالتفسير وحصاتها عليها
69	باب ارتباط الأعمال بالهيئات البشرية
71	باب أسباب المجازاة
72	المبحث الثاني: بحث كمية المجازاة في الحياة وبعد الممات
72	باب الجزاء على الأعمال في الدنيا
74	باب ذكر حقيقة الموت
77	باب اختلاف أحوال الناس في النزع
79	باب ذكر شيء من أسرار الوقائع الخشوية
82	المبحث الثالث: مبحث الارتفاقات
82	باب كيفية استنباط الارتفاقات

85	باب الارتفاق الأول
86	باب في آداب المعاش
88	باب تدبير المنزل
90	باب في المعاملات
92	باب سياسة المدينة
94	باب سياسة الملوك
95	باب سياسة الأعوان
97	باب الارتفاق الرابع
99	باب اتفاق الناس على أصول الارتفاقات
100	باب الترميم السائرة في الناس
101	المبحث الرابع: بحث السعادة
101	باب حقيقة السعادة
104	باب اختلاف الناس في السعادة
105	باب ترويع الناس في كيفية تحصيل هذه السعادة
106	باب الأصول التي يرجع إليها تحصيل الطريقة الثانية
109	باب طريق اكتساب هذه الخصال وتكميل ناقصها ورد فائتها
111	باب اقتطع المانة عن ظهور القطرة
112	باب طريق رفع هذه الحجب
114	المبحث الخامس: بحث البر والإثم
114	مقدمة في بيان حقيقة البر والإثم
115	باب التوحيد
117	باب في حقيقة الشرك
119	باب أقسام الشرك
122	باب الإيمان بصفات الله تعالى
126	باب الإيمان بالقدرة
129	باب الإيمان بأن المعبود حق الله تعالى على عباده
133	باب تعظيم شعائر الله تعالى
134	باب أسرار الوصو، والمنفل
137	باب أسرار الصلاة
139	باب أسرار الزكاة
140	باب أسرار الصوم

باب أسرار الحج	141
باب أسرار أنواع من البر	143
باب طبقات الأنبياء	144
باب مقامات الأنبياء	146
باب أسرار المعاصي التي هي فيما بين وبين غصه معصية	148
باب الآثام التي هي فيما بين وبين الذنوب	150
المبحث السادس: محال المصائب والآفة	151
باب الحاجة إلى هذه السبل ومقاصد الشئ	153
باب حقيقة الشدة وجوارحها	155
باب بيان أن أهل الخير واحد والمشرع والمصالح مختلفة	158
باب أسباب براءة الشرائع العامة لبعض هذه عشر وقوم دون قوم	162
باب أسرار المواخذ على المصالح	167
باب أسرار التمسك بالجملة	168
باب المصالح المستغنية لتعين المراضى والأركان والآداب ونحو ذلك	172
باب أسرار الأوقات	175
باب أسرار الأعداء والعقابر	179
باب أسرار القضاء والرحمة	183
باب إقامة الأورثاق وإصلاح الرسوم	185
باب الأحكام التي يجوز إقصاء بعض	189
باب حفظ المصالح وسبب المشكل وتضييق من الكلية ونحو ذلك	193
باب التيسير	195
باب أسرار التعجب وكثيره	199
باب دفعات الأمانة باعتبار الخروج إلى الكتمان المطلوب أو ضده	207
باب المدح إلى دين ينسج الأعيان	208
باب إحصاء المذنب من التعريف	210
باب أسرار اختلاف دين ربنا في حق اليهود والنصارى	213
باب أسباب السخ	215
باب بيان ما كان عليه حال أهل الجاهلية وأصلحه الشرع	217
المبحث السابع: مبحث سبب تواتر من سبب لبس رثاء	221
باب بيان أقسام علوم النبي	223
باب الفرق بين المصالح والمفاسد	225

باب كيفية تلقي الأمة الشرع من النبي ﷺ	229
باب ولغات كتب الحديث	230
باب كيفية فهم السور من التعليل	231
باب كيفية فهم المعاني للمعاني من الكتاب والسنة	236
باب انقسام من الأخوات المختلفة	238
باب	241
باب أسباب اختلاف استحباب والتابعين من خروج	243
باب أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء	248
باب تعريض من أهل الحديث وأصحاب الرأي	251
باب حكاية حذر الناس قبل الفتنة الربعة ومثلها	260
فصل	261

القسم الثاني:

في بيان أسرار ما جاء عن النبي ﷺ تفصيلاً

[أبواب مختلفة]	277
من أبواب الإيمان	277
من أبواب الاعتقاد بالكلام والسنة	287
من أبواب الفقه	294
فصل في الوضوء	295
صفة الوضوء	295
موجبات الوضوء	298
البحر على التحسين	301
صفة غسل	301
موجبات الغسل	303
ما يأم بالتحسين واحديث وما لا يباح نهياً	304
التبسم	305
آداب التحلة	305
غسل الفطرة وما يغسل بها	308
أحكام التيمم	310
تتميم الحجرات	313
من أبواب الصلاة	318
فصل الصلاة	318

317	توقات الصلاة
322	الزكاة
324	المعاجل
338	نيات المصلي
329	القبلة

حجة الله البالغة

للإمام الكبير الشيخ أحمد
المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الداملوي

حققه وراجعه
أستاذ سابق

المعزم الثاني

والزاهد



دار الجيل

للنشر والطباعة والنزوح

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005م - 1426هـ

ISBN: 9953-78-021-0

بيروت: أبوشربة - شارع القردوس - ص.ب.: 8737 (11)
هاتف: 687950 - 687951 - 687952 / فاكس: 687953 (00961)

E-mail: daraljit@inco.com.lb

Website: www.daraljit.com

القاهرة، هاتف: 5843629 / فاكس: 5870842 (00202)

تونس، هاتف: 71923644 / فاكس: 71923634 (00216)



السترة

قوله ﷺ: «لو يعلم العارُ بين يدي المصلي ما كان عليه لكان يُنْ يَغْف (أربعين) ⁽¹⁾ خذراً له من أن يمر بين يديه».

أقول: السر في ذلك أن الصلاة من شعائر الله يجب تعظيمها، ولما كان المنظور في الصلاة التشبه بقيام العبد بخدمة مولاهم ومثولهم بين أيديهم كان من تعظيمها ألا يمر العار بين يدي المصلي، فإن المرور بين السيد وعبيد القانين إليه سوء أدب، وهو قول ﷺ: «لئن أتيكم إذا قام في الصلاة علينا ينلحي ربه ولأن ربه بينه وبينه للقبلة... الحديث» ⁽²⁾.

وهو مع ذلك أن مروره ربما يؤدي إلى تشويش قلب المصلي، ولذلك كان له حتى في دره ⁽³⁾، وهو قوله ﷺ: «غاية ⁽⁴⁾ فإنه شيطان».

قوله ﷺ: «تقطع صلاة المرأة والحمار والكلب الأسود».

أقول: مفهوم هذا الحديث أن من شروط صحة الصلاة غفوس ساحتها من المرأة والحمار والكلب، والسر فيه أن المقصود من الصلاة هو المناجاة والمواجهة مع رب العالمين، واحتياط النساء والتغريب متين والصحة معهن مظنة الانشغال إلى ما هو ضد هذه الحالة، والكلب شيطان لما ذكرنا، لا سيما الأسود، فإنه أقرب إلى قساة المزاج وداء الكلب، والحمار أيضاً يسزله الشيطان لأنه كثيراً ما يسافد سن زهراني بني آدم وينتشر دُقره، فتكون رؤية ذلك مخلة بما هو يصدده.

وكان لم يعمل به -وألف المصاحبة ونهاؤهم- منهم علي وهائلة وابن عباس وأبو سعيد وغيرهم رضي الله عنهم، ورواه منسوحاً - وإن كان في استدلالهم على المنع كلام -، وهذا أحد المواضع التي احتلف فيها طرفا التلقي من النبي ﷺ.

(1) قال الطحاوي: المراد أربعين سنة.

(2) ونسبه: فلا يبرح منكم حتى تغتسل ولكن عن سكره أو شدة قنعه... الحديث.

(3) في: بضعه.

(4) قول الحديث: إذا سأل أحدكم إلى شيء يستتره من الناس فاركع له أن يجترق بين يديه فليبعده فإن ليس قليلاً... إلخ.

وما ذكره⁽¹⁾ النبي ﷺ بلفظ الركبة - كقوله ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وقوله ﷺ: «لا تُبْرَأُ صلاةُ الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود» - وما سقى الشارع الصلاة به فاتحة نبيه يليغ عن تركه ركاً في الصلاة، كقوله ﷺ: «من قلم ومضن⁽²⁾، وقول ﷺ: «فليركع ركعتين⁽³⁾»، وقوله تعالى:

﴿وَارْكَعُوا مَعَ رَبِّكُمُ﴾ [البقرة: الآية 43]

وقوله تعالى

﴿وَأَنزِلْ لِّلشُّرُكِ﴾ [آية 40]

وقوله تعالى:

﴿وَيُزَكِّكُمُ اللَّيْلُ﴾ [الإسراء: الآية 78]

وقوله تعالى:

﴿وَقَوْمًا بَرًا ذُنُوبِهِ﴾ [يوسف: الآية 28]

وما ذكره مما يشعر بأنه لا بد منه، كقوله ﷺ: «تصريحاً⁽⁴⁾ للتكبير وتحليلها للتسليم»، وقوله ﷺ: «في كل ركعتين السجدة⁽⁵⁾»، وقوله ﷺ في الشهادتين: «إذا فعلت ذلك تمت صلاتك»، وحو ذلك، وما أنه يختلف فيه المسلمون أنه لا بد منه في الصلاة وتوارثوه فيما بينهم وتلاوه على تركه.

وبالجملة: فالصلاة على ما توارث عنه ﷺ وتوارثته الأمة: أن يمشي، ويسير عورته، ويقوم، يستقبل القبلة بوجهه، ويوجهه إلى الله بقلبه، ويخلص له العمل، ويقول: الله أكبر بلسانه، ويقرأ فاتحة الكتاب، ويضم معها - إلا في فاتحة القرض ورابعته - سورة من الفرقان، ثم يركع، وينحني بحيث يقدر على أن يمسح بركبته برؤوس أصابعه حتى يطمئن رانكاً، ثم يرفع رأسه حتى يطمئن فائتاً، ثم يسجد على الآراب⁽⁶⁾ السبعة: اليدين والرجلين والركبتين والوجه، ثم يرفع رأسه حتى يستوي جالساً، ثم يسجد ثانياً كذلك، فهذه ركعة، ثم يقعد على رأس كل ركعتين، ويشهد، فإن كان آخر صلاته صلى على النبي ﷺ ودعا أحب، النعم إليه، وصلى على من يليه من العائكة والمسلمين، فهذه صلاة النبي ﷺ لم يشك أنه ترك

(1) عطف على ما يجب، لفظة الصلاة بتركه

(2) صلاة، أي بدأ واحضاراً فقرأ له ما تقدم من فنيه.

(3) كما في حديث: «من هذا الشهر جدد وثقل، فإذا أوتر لصكم فليركع ركعتين» إلخ.

(4) أي الصلاة.

(5) أي الشهادتين.

(6) أي الأعضاء.

شيئاً من ذلك قط صنفاً من غير عدد في فريضة، وصلاة الصلابة والتأنيب ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وهي التي توارثوا أنها مسنونة الصلاة، وهي من ضروريات العلة. نعم، اختلف الفقهاء في أحرف منها: هل هي أركان الصلاة لا يعتد بها بدونها، أو واجباتها التي تنقص بنوكها، أو أبدانها بلام على تركها ونجس سجدة السهو؟

والأصل في ذلك أن خضوع القلب لله وتوجهه إليه تعظيماً وروية ورغبة، أمرٌ غفني لا يبدل من ضبطه، فضبطه النبي ﷺ: أن يستقبل القبلة بوجهه وبدنه، وأن يقول بلسانه: الله أكبر، وذلك لأن من جبلته الإنسان أنه إذا استقر في قلبه شيء جرى حسب ذلك الأركان⁽¹⁾ واللسان، وهو قوله ﷺ: لمن لم يمسجد لله لم يمسجده... الحديث⁽²⁾، فيقول اللسان والأركان أقرب منقطة وخليفة لفعل القلب، ولا يصلح للضبط إلا ما يكون كذلك.

ولما كان الحق متعالياً عن الجهة نصب التوجه إلى الله، وأعظم شعائره مقام التوجه إليه، وهو قوله ﷺ: استقبالاً إلى الله بوجه وقلبه.

ولما كان التكبير أوضح عبارة عن انقياد القلب للتعظيم لم يكن لفظ الحق أن يصيب مقام توجه القلب منه.

وفيها وجه آخر:

منها أن استقبال القبلة واجب من جهة تعظيم بيت الله وقت الصلاة، ليكمل كل واحد بالأخر.

ومنها أنه أشهر علامات الملة الحنيفية التي يتميز بها الناس عن غيرها، فلا بد من أن ينصب مثله علامة الدخول في الإسلام، فوقت بأعظم الطاعات وأشهرها، وهو قوله ﷺ: من صلى صلاته واستقبل قبلته، وكل ليبحثنا لذلك المسلم الذي له ذمة الله وقمة رسوله.

ومنها أن القيام لا يكون تعظيماً إلا إذا كان مع استقبال.

ومنها أنه لا بد لكل حالة ثبائن سائر الحالات في الأحكام من ابتداء وانتهاء، وقوله ﷺ: تحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

أما التعظيم بحسب الأصل فيه ثلاث حالات: القيام بين يديه، والركوع، والسجود، وأحسن التعظيم ما جمع بين الثلاث. وكان التدرج من الأدنى إلى الأعلى أنفع في تنبيه النفس للخضوع من غيره، وكان السجود أعظم التعظيم يظهر أنه المقصود بالذات وأن الباقي طريق إليه، فوجب أن يؤدي حق هذا الشبه وذلك بتكراره.

(١) أي: الأعضاء.

(٢) تعالوه فلا صلحت صلح لجسد كذا، الخ.

وأما نكوح الله فلا بد من توقيته أيضاً. فإن التوقيت أجمع لشملهم وإطوع لغايرهم. ولبعد من أن يذهب كل أحد إلى ما يقتضيه رأي، حسناً كان أو قبيحاً، وثمًا تفويض إليهم الأدعية كخافذة التي يحاسب عليها المسافرين، على أنها أيضاً ثم بتركها التي ينفق خبير توقيت وير استجاباً.

وإن تعين التوقيت دلائل من لفاتحة، لأنها دعا، جامع أثره الله تعالى على السنة عادة ينسبهم كيف بجمود الله وشؤون عليه وتعودت به بتوحيد السعادة والاستعانة، وكيف يسألونه الطريقة الجامعة لأصناف الخير، وتعودون به من طريقة المغضوب عليهم والفاضلين، وأحسن لدعاء أجسه.

ولما كان تعظيم القرآن وتلاوته واجباً في الصلاة، ولا شيء من التعظيم مثل أن ينزه به في أعظم أركان الإسلام وثم القرباب وأشهر شعائر الدين، وكانت تلاوته قربة كاملة تُكمل الصلاة وتنمها، شرع لهم قراءة سورة من القرآن، لأن السورة كلام تام تحدى^(١) كني، يجلد بدلائله المتكررين للبطولة، ولأنها مقرزة بعبثتها ومحتشاه، ولكل واحد منها أسلوب أتيق، وإذا قد ورد من الشارح قراءة بعض السورة في بعض الأحيان جعلوا في معناه ثلاث آيات قصار توفية طويلاً.

ولما كان القيام لا يستوي أركانه، قسمهم من يقوم مطرقاً، ومنهم من يقوم متحنياً، ويُعَدُّ جميع ذلك من القيام، منته الحاجة إلى تمييز الانحناء المقصود مما يسمى قياماً، فصيح بالركوع، وهو الانحناء المفرط الذي يصل به رؤوس الأصابع إلى الركبتين.

ولما لم يكن الركوع ولا السجود تعظيماً إلا بأن يركب على تلك الهيئة زماناً وينخضع لرب العالمين، يستنشر التعظيم قلبه في شدة الحاجة، يُجمل ذلك ركناً لازماً.

ولما كان السجود والاستلقاء على البطن رسائر الهيئات القريبة منه مشتركة في وضع الرأس على الأرض، والأركان تعظيم دون الدني، منته الحاجة إلى أن يقبض لما يقبض يهيم، فقال ﷺ: «أمرت أن تسجد على سبعة أواب»^(٢) الحديث.

ولما كان كل من يهوي إلى السجود لا بد له من الانحناء حتى يصل إليه، وليس ذلك، وكرداً بل ذو معنى إلى السجدة، منته الحاجة إلى التفريق بين الركوع والسجود بعمل أجنبي يتميز به كل من الآخر، ليكون كل واحد طاعة مستقلة يفسدها مستانداً فتنبه النفس لشدة كل واحد بالمرادها، وهو العزيمة.

(١) آية: نظم.

(٢) قوله السجدة، سبعة المقام، وتعدله، معنى السجدة، واليدلين والركبتين والطارف القدمين ولا تكف عن التذلل والتواضع.

ولمَّا كانت السجدة لا تميزان اثنين إلا بخلل فعل أجني شُرعت لتجلمة بينهما
ولمَّا كانت القومة والسجدة بدون الطمأنينة طيشاً رلياً منافياً للطاعة أمر بالطمأنينة
فيهما.

وأما كان الخروج من الصلاة - ينقض الطهارة أو غير ذلك من موانع الصلاة
ومفسداتها - فيحياً مستنكراً منافياً للتعظيم، فلا بد من فعل تنتهي به الصلاة ويباح به ما
حُرِّم في الصلاة، ولو لم يضبط للتعجب كل واحد إلى هواه - رجب ألا يكون الخروج إلا
بكلام هو أحسن كلام الناس، أعني السلام، وأن يرجب ذلك، وهو قوله ﷺ: «تحليها
للتسليم».

وكان الصحابة استحبوا أن يقدموا على السلام قولهم: السلام على الله قبل عباده،
السلام على جبرائيل، السلام على فلان، فغيَّر رسول الله ﷺ ذلك بالتحيات، وسبب
التغير حيث قال: «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام»، يعني أن الدعاء بالسلامة
إنما يناسب من لا تكون السلامة - من عدم وإلحاقه - فائياً له، ثم اختار بعد السلام
على النبي ﷺ بذكره وإثباتاً للإقرار برسالة وأداء لبعض حقوقه، ثم عزم بقوله: «السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين». قال ﷺ: «فلما قال ذلك لصلى كل عبد صالح في السماء
والأرض». ثم أمر بالشهادة لأنه أعظم الأذكار. قال ﷺ: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه
إليه». وذلك لأن وقت الفراغ من الصلاة وقت الدعاء، لأنه تنقش بغاشية عظيمة من الرحمة
وحبشة يستجاب الدعاء.

ومن أدب الدعاء تقديم الشاء على الله والتمثل بنبي الله ليستجاب^(١٢)، ثم تقرر الأمر
على ذلك، وتُجمل الشهادة ركناً لأنه لولا هذا الأمر لكان الفراغ من الصلاة مثل فراغ
المحضر أو التام.

وهناك وجوه كثيرة بعضها خفي المأخذ وبعضها ظاهر لم نذكرها اكتفاء بما ذكرت.
وبالجملة: من تأمل فيما ذكرنا وفي القواعد التي أسلفناها عليم تفسحاً أن الصلاة بهذه
التكيفية هي التي ينبغي أن تكون، وأنها لا يتصور العقل أحسن منها ولا أكمل، وأنها هي
الخاتمة الكبرى للمستم.

ولما كان القليل من الصلاة لا يفيد فائدة معتك بها، والكثير جداً يعسر إقامته،
اقتضت حكمة الله ألا يشرع لهم أقل من ركعتين، فالركعتان أقل الصلاة، ولذلك قال^(١٣):
«في كل ركعتين التحبة».

(٢) - بسلامة وسلام عليه.

(١) - أي: النبي ﷺ.

(٢) - أي: النبي ﷺ.

ومنها سر دقيق، وهو أن سنة الله تعالى في خلق الأفراد والأشخاص من الحيوان والنبات أن يكون هناك شقان يقسم كل واحد بالآخر ويجعلان شيئاً واحداً، وهو قوله تعالى:

﴿وَنُلْقِيهِمُ الرِّقَّةَ﴾ [المعجزة: الآية 3].

أما الحيوان فشقاء معلومان، وربما نقرض الأفة شقاً دون شق، كالفالج، أما النبات فالنواة والحبة فيهما شقان، وإذا ثبتت الحزمة فإنما نبت ورقتان كل ورقة ميراث أحد شقي النواة والحبة، ثم يتحقق النمو على ذلك النمط، فانتقلت هذه السنة من باب الخلق إلى باب التشريع في حظيرة القدس، لأن التدبير فرع الخلق، وأنه كس من هناك في قلب النبي ﷺ.

فأصل الصلاة هو ركعة واحدة، ولم يشرع أقل من ركعتين في عامة الصلاة، وضمت كل واحدة بالأخرى وصارت شيئاً واحداً. حالت عائشة رضي الله عنها: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأثرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وفي رواية: إلا المغرب، فإنها كانت ثلاثاً.

أقول: الأصل في عدد الركعات أن المراجع الذي لا يسقط بحال إنما هو إحدى عشرة ركعة، وذلك لأنه تضمنت حكمة أنه ألا يشرع في اليوم والليلة إلا عدداً مباركاً متوسطاً، لا يكون كثيراً جداً، فيعسر إقامته على المكثفين جيعاً، ولا قليلاً جداً فلا يلب لهم ما أريد من الصلاة، وقد علمت فيما سبق أن الأحد عشر من بين الأعداد أشبهها بالوتر الحقيقي، ثم لما حاصر النبي ﷺ واستقر الإسلام وكثر أهله، وتوفرت الرغبات في الطاعة زادت ست ركعات، وأبقيت صلاة السفر على النمط الأول، وذلك لأن الزيادة لا ينبغي أن تصل إلى مثل الشيء، أو أكثره، وكان المناسب أن يجعل نصف الأصل، لكن ليس لأحد عشر نصف بخير كسره، فبدل عددان خمسة وستة، وبالنصفه يصير عدد الركعات شفعاً⁽¹⁾ غير وتر، فتعيت السنة، وأما توزيع الركعات على الأعداد فعبء على آثار الأنبياء السابقين على ما يُذكر في الأخبار، وأيضاً فالمغرب آخر الصلاة من وجه، لأن المغرب يفتنون النياهي قبل الأيام. فناسب أن يكون الواحد التوفو للركعات فيها، ورغبتها حتى فلا تنادب زيادة ما زيد فيها آخرها، ووقته الفجر وقت يوم وكل ظم يرد في عدد الركعات، وزاد فيها استحباب طول القراءة لمن أطالها، وهو قوله تعالى:

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الأنعام: الآية 78].⁽²⁾

والله أعلم.

(1) أي إذا زويت خمسة على أحد عشر يصير العدد ستة عشر، وهو شفع.

(2) أي صلاة الفجر يستشهد بها ملائكة الليل والنفوس.

أذكار الصلاة وهيئاتها المنجوبة إليها

اعلم أن الحمد الأكمل الذي يستوفي قائمة الصلاة كاملة زائد على الحمد الذي لا بد منه بوجهين: بالكيف والكم.

أما الكيف: فاعني به الأذكار والهيئات، ومواعيده، وأتساق قلبه بأن يصلي شه كأنه يراء. ولا يحدث فيها نفسه، وأن يحترق من هيئات تكروحه ونحو ذلك.

وأما الكم: فصلوات يتنفلون بها، وسبائك ذكر النوازل من بعد إن شاء الله تعالى. والأصل في الأذكار حديث علي رضي الله عنه في الجلاء، وأبي هريرة وعائشة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم في الاستفتاح، وحديث عائشة وابن مسعود وأبي هريرة ونوابك وكعب بن عجرة رضي الله عنهم في سائر المواضع، وغير هؤلاء. وذكره تفصيلاً.

والأصل في الهيئات حديث أبي حمزة الساعدي الذي حشده في عشرة من أصحاب النبي ﷺ سألوا به. وحديث عائشة ووائل بن حجر رضي الله عنهما في تحنئة، وحديث ابن عمر رضي الله عنه في رفع اليدين، وغير هؤلاء. وذكره.

والهيئات المدونة تروح إلى سنان: منها تحقيق الخضوع، وضيم الأطر، وتثنية للنفس على مثل الحالة التي تعري المسوفة عند مناجاة المولى من الهيئة والذهن. كصف القدمين ووضع اليمنى على اليسرى وقصر الظهر وترك الالتفات.

ومنها: مجازاة ذكر الله وإشراؤه على من سواه، بأسمائه ویده جفر ما يحضه بجنانه ويقول بلسانه، كرفع اليدين والإشارة بالمسبحة، ليكون بعض الأمر معاصداً لبعض.

ومنها: اختيار هيئات لوقار وحاسن العادات، ولاحتراز عن البش والهيئات التي يندبها أهل الرأي ويسبونونها إلى غير ذري العقول، كقرف لديدك، إغناء الكلب، واحتراز

(1) ذكر القيد: كناية عن تخفيف السجدة والإقامة. أن يسمع إيمته على الأرض ويتصب ركبتيه. والاحتراز: الاحتشام والإجتماع في السجدة والبرود. أن يضع ركبتيه قبل يديه وهو منفي عن سميت أبي هريرة عند ملك وعت أحمد في رواية. لكن عند جمهور الأئمة عليه لعمل بعداً بحديث عائشة بن عمر، وهذا السميت ليد من سميت أبي هريرة فهذا القول ليس كما زعم المصنف بل هو سكا مأخوذة من رواية.

تسببته، وبذلك السحر، واقتضى الجمع: والتي تكون للمتحيرين وأهل الجهل،
كالاخصار⁽¹⁾

ومنها: أن تكون لظنة يصدّقون وسكوتهم، وعلى ذلك قيل: قسمة الاستقامة، وحب
النبي واقتضى اليسرى أي تقدمه لأولى لأنه أسير الضمّة والقعود على الورك في الثانية
لأنه أكثر راحة

وأما الأركان فترجع إلى معاني منها إيقاظ النفس لنتبه الشخص الذي وضع له
التعليل، كأدراك الركوع والسجود.

ومنها: التحية، الذي الله، ليكون سرّاً المقرب بالانفصال الإمام من ركن إلى ركن،
فالتكبيرات عند كل حضرة ورفع

ومنها: ألا يخلو حالة من الصلاة من ذكر، كالتكبيرات وتذكّرات التوبة والتجسّد،
فإنّ كلّ رفع يديه يُدعَى بأداء أعزّ من عند سرى الله تعالى ودخول في حيز الصلاة، ورفع
إلى أذنيه أو منكبيه، وكل ذلك منه، ويومض يده اليمنى على اليسرى، وصفة القدوس،
وقد نظرت على محل السجدة تحضياً وجمعاً لأشرف الشان وهو جمع الأضراس، ودعا
دعاء الاستسحاح تنهيداً لحضور القلب وإزعاجاً للعامل بالو الصلاة.

وقد جمع في ذلك سبع، منها: «اللهم باعد بيني وبين شاذلي كما باعد بين شعورك
وإعذار، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من السوس، اللهم فصل خطيئتي بالماء
والطهر والبرق».

أقول: ليس بالثلث والقرء كتاباً من تكسر الخطايا مع إجماع أهل المدينة وسكون
القلب، ولعرب يقول: برء قلبه أي سكن وانقضى، وأنه الثلج أي البقي.

ومنها: ﴿وَلَقَدْ دَخَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ لَمَّا هَمَّ بِشَيْءٍ فَمِثَالُ بَرٍّ هَاشِمٍ ذَكَرَهُ الْكُفَرَاءُ وَالْمُنَافِقُ وَالْبَاطِلُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
[آية 19]

﴿إِنْ مَلَكَ زُلْجَانِي وَزُلْجَانِي وَتَمَكَّنَ بِرُؤُوسِ الْفُلْجَانِ فَتَمَكَّنَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ لَمُرُؤُهُ وَأَنَّ أَوَّلَ
لُكْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 132، 133].

وفي رواية: «وَأَنَا مِنْ مُسْتَمِينٍ».

ومنها: «سَمِعْتُكَ اللَّهُمَّ وَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، هَذَا أَكْبَرُ
كَمْرَأَةٍ ثَلَاثًا، وَسَمِعْتُكَ اللَّهُ بِكْرَةٍ وَاسْمُكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَتَعَوَّدُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(1) وضع اليد على الكتف.

(2) أي يرفع.

﴿وَكَانَ الْقُرْآنُ مُتَشَتِّتًا يَأْتُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ الرَّحِيمِ﴾ [النجم: الآية ٢٨].

أقول: السر في ذلك أن من أعظم ضرر الشيطان أن يوسوس له في أول كتاب الله ما ليس بمنزلي، أو يقصده عن التدبر.

وفي التوعد صريح. منها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ومنها: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم

ومنها: أعوذ بالله من الشيطان، من صفحة^(١) وفضة وحمز.

ثم يسئل سرّاً لما شرع الله لنا من تقديم التبرك باسم الله على القراءة، ولأن فيه احتياطاً، إذ قد اختلفت الرواية هل هي آية من الفاتحة أم لا؟ وقد صح عن النبي ﷺ: أنه كان يفتح الصلاة - أي القراءة - بالحمد لله وبالعالمين، ولا يجهر باسم الله الرحمن الرحيم.

أقول: ولا يبعد أن يكون جهراً في بعض الأحيان ليعلمهم الصلاة.

والظاهر أنه ﷺ كان يخص بتعليم هذه الأذكار الخواص من أصحابه، ولا يجعلها بحسب بواحد بها عامة ويلازمون على تركها. وهذا تدليل ما قاله مالك رحمه الله تعالى عدي. وهو مفهوم قول أبي هريرة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته، فقلت: بأي وأمي إسكانك بين التكبير والقراءة، ما تقول فيه؟

ثم يرثل سورة الفاتحة وسورة من القرآن ترتيلاً بعد الحروف ويفف على رؤوس الآي^(٢) يخالف في الظهر والمصر.

ويجهر الإمام في الفجر وأولئك المغرب والعشاء، وإن كان مأموراً وجب عليه الإنصات والاستماع، فإن جهر الإمام لم يقرأ إلا عند الإسكان، وإن خافت منه الخيرة، فإن قرأ فليقرأ الفاتحة قراءة لا يشوش على الإمام، وهذا أولى الأقوال عندي. وفيه يجمع بين أحاديث الباب. والسر في ما نص عليه من أن القراءة مع الإمام تنوش عليه وتنفوت التنبيه وتختلف تعظيم القرآن، ولم يقرم^(٣) عليهم أن يقرؤوا سرّاً لأن العامة متى أروادوا أن يصححوا الحروف بأجمعهم كانت لهم لجة^(٤) مشوشة، فجل في السهمي عن التشوش، ومن يقرم عليهم ما يؤدي إلى السهمي، وأبقى خيرة من استطاع، وذلك غاية الرحمة بالامة.

(١) اعراد بنفحة: فكذا المعرفي إلى الكفر، والتفت: استعصر، والهمز: الهمزة. وقال عمر رضي الله عنه: نفخة تكبر وتفتة الشعر وهمزة الموت، وهي قرع من الحديد.

(٢) جمع كاي (٣) أي الشراخ.

(٤) بالضمير صوت.

والسر في مخافتة الظهور وانعصر أن النهار مظنة الصمت واللمظ في الأسواق والدور، وأما غيرها فوقت مدو الأصوات والجهر أقرب إلى تذكر النوم وانما عليهم قوله ﷺ: «لَمَّا أَشْنِ الْإِمَامُ فَاثْتَوَا، فَإِنَّهُ مِنَ اللَّقِّ تَلْمِيْهُ تَأْمِيْنُ الْعَلَانِيَةِ فَفَرَّ لَهُ مَا تَقَرَّبَ مِنْ نَبِيٍّ»

أقول: الملائكة يحضرون الذكر رغبة منهم فيه، ويؤمنون على أدينتهم لأجل ما يروى عليهم من الملا الأعلى، وفي إظهار الناسي بالإمام وإقامة لئلة الافتداء. ورويت إسكانات: إسكانة بين التكبر والفراة، ليحرم القوم بأجمعهم ليعا بين ذلك فيقبلوا على استماع الفراءة بعزيمته، وإسكانة بين قراءة الفاتحة والسورة، قبل: لييسر لهم الفراءة من غير تشويش وترك إنبات.

أقول: الحديث الذي رواه أصحاب السنن ليس بصريح في الإسكانة التي يفهمها الإمام لقراءة المأمومين، فإن الظاهر أنها تلتطف آمين عند من يسر بها، أو سكتة⁽¹⁾ لطيفة تميز بين المندحة وآمين فلا يشبه غير القرآن بالقرآن عند من يجهر بها، أو سكتة لطيفة إيراد إلى القارئ نفسه وعلى التبتل، فاستمررت القرن الأول لها يدل على أنها ليست سكتة مصفورة ولا مما عمل به الجمهور، والله أعلم.

وبتراً في العجز متبن آية إلى ساقه، تداركاً لغية ركعائه بطول قراءته، ولأن دين الأتصال المعاشية لم يستحكم بعد، فيعتمد الفوعة لتدبر القرآن وفي العشاء.

﴿سَبَّحْ اسْمَهُ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: الآية 1] و﴿وَأَتْلُوْهُ إِنَّا يَسْنُوْهُ﴾ [قلب: الآية: 1]، ومثلها: وقصة معاذ وما كره أنسي ﷺ من تغير النجوم مشهورة⁽²⁾.

وخلف الظاهر على الفجر، والمصر على العشاء في بعض الروايات، والظاهر على انشاء والمصر على المغرب في بعضها.

وفي المغرب بقصار المفضل لتقريب الوقت

وكان رسول الله ﷺ بطول ويخفف على ما يرى من المصلحة الخاصة بالوقت، وإثما أمر الناس بالتخفيف، فإن فيهم الضعيف وفيهم السقيم وفيهم ذا الحاجة، وقد اختار رسول الله ﷺ بعض السور في بعض المناسبات لموائد من غير حتم ولا طلب مؤكداً فمن اتبع فقد أحسن، ومن لا فلا حرج

(1) غير مدخول في فتية. (2) مذكورة في صحيحين من جابر فيسأ.

(1) خير مدخول في فتية.

كما اختار في الأضحية والفطر: ﴿قَدْ﴾ [ق: الآية 1] و﴿أَفْرَنِي﴾ [هشر: الآية 1] ليدفع أسلوبهما وجمعهما لغاية مقاصد القرآن في اختصار، وإلى ذلك حاجة عند اجتماع الناس، أو: ﴿سَجِ اسْتَرْ﴾ [ص: الآية 1] و﴿قُلْ أَتُكَلِّمُ﴾ [عنشبة: الآية 1] للتخفيف وأسلوبهما البديع.

وفي الجمعة سورة الجمعة والمناقضين، للمناسبة والتخدير، فإذا الجمعة تجمع من المناقضين وأشباههم من لا يجسه غير الجمعة.

وفي الفجر يوم الجمعة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [نمل: 1] عسجة «اليتن 1» و﴿قُلْ لَّيْسَ﴾ [الإنسان: 1] تذكيراً للساعة وما فيها. والجمعة تكون اليهائم فيها مسبعة⁽¹⁾ أن تكون الساعة. فتلكك يبنني لبني آدم أن يكونوا فرحين بها.

ولذا مر العاوي على ﴿سَجِ اسْتَرْ تَكْ أَكَلْ﴾ [ص: 1] [الاعلى: الآية 1] قال: سبحان ربي الأعلى، ومن قرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ﴾ [عنشبة: الآية 1] نيل: بلى وأنا على ذلك من الشاعلين، ومن قرأ ﴿قُلْ لَّيْسَ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ [قليلة: الآية 1] فليقل: بلى، ومن قرأ ﴿قُلْ لَّيْسَ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية 1] فليقل: آمين بالله. ولا يخفى ما فيه من الأدب والمساواة إلى الخير، فإذا أراد أن يرفع يديه جفو منكبه أو أذنيه، وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع، ولا يفعل ذلك في السجود.

أقول: السر في ذلك أن رفع اليدين فعل تعظيمي يُنبه النفس على ترك الاشتغال المتأنية للصلاة والدخول في حيز المناجاة، فخرج ابتداء كل فعل من التعظيمات الثلاث به لتنبه النفس لشمرة تلك الفعل مستأنفاً، وهو من الهيئات فعله النبي ﷺ مرة وتركة مرة، والمكمل شئة، وأخذ بكل واحد جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهذا أحد المواضع التي اختلف فيها الفريقان: أهل المدينة والكوفة، ولكل واحد أصل أصيل، والحق عندي في مثل ذلك أن الكل شئة، ونظيره الترتير بركعة واحدة أو ثلاث، والذي يُرفع أحب إلي من لا يرفع، فإن أحاديث الرفع أكثر وأثبت، غير أنه لا ينبغي لإنسان في مثل هذه الصور أن ينير على نفسه فتنة عوام بلده، وهو قوله ﷺ: «لَوْ لَا خُفَّتْ⁽²⁾ قُرُوبُكَ بِالْكَفْرِ لَنَقَضْتُ الْعَبْدَةَ». ولا يبعد أن يكون ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ظن أن السنة المتقوية تخيراً هو تركه، لما تلقن من أن حيز الصلاة على سكون الأطراف، ولم يظهر له

(1) لما روي عنه ﷺ يوم الجمعة: «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ مَسْبُوءَةٌ لَنْ تَكُونَ لِمُسَافَةٍ إِلَّا مَسْبُوءَةً مَسْبُوءَةً وَبِوَيْدِي بِعَصَا لَيْسَ».

(2) الصنكان بالكسر، مصدر حدث يعني ضد القدم، والتعطيل لعائشة رضي الله عنها والعراك لولا قرب عيدهم بغيره والخروج منه إلى الإسلام ليمتد الحمية وينبئها على أسس إبراهيم، فلو حدثت الآن وما شقوا من الذين.

أن الروح فعل تعظيمي ولذلك يثبت به في الصلاة، أو لما تلقى من أنه يفعل بينين عن الترك فلا يناسب كونه في أثناء الصلاة، ولم يظهر له أن تحديد لنتيجه لترك ما سوى الله عند كل فعل أصل من الصلاة مطلوب، والله أعلم.
قوله: «لا يفعل ذلك»⁽¹⁾ في السجود.

القول: القومة شُرعت فارقة بين الركوع والسجود، فالرفع معها رفع للسجود فلا معنى للتكرار، ويكبر في كل خفض ورفع لنتيجه المذكور ويسمع الجماعة فيسبِّحوا للانتقال.

ومن هينات الركوع أن يفتح راحتيه على ركبتيه، ويجعل أصابعه أسفل من ذلك كما في بعض، ويجافي برقبته ويعدن. فلا يصح رأسه، ولا يفتح.

ومن أذكاره: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»، وفي العمل بقوله تعالى:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَمِعْ إِنَّكَ هَكَذَا تُؤْتَى﴾ [النجم: الآية 1].

ومنها: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

ومنها: «سبحان ربِّي العظيم» ثلاثاً.

ومنها: «اللهم لك ركعت وبك أمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي

وعظمي وعصبتي».

ومن حيث القومة أن يستوي قائماً حتى يبرد كل فتار مكانه، أن يرفع يديه.

ومن أذكارها: «سمع الله لمن حمده».

ومنها: «اللهم ربنا لك الحمد حمداً كثيراً خيباً مباركاً فيه». رجاء زيادة «مولى

السموات ومولى الأرض ومولى ما شئت من شيء بعد»، وزاد في رواية: «أهل لثاء والمجده أحق ما قال العبد وكلفاً لك عبيد: اللهم لا ملجأ لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفعنا الجد منك الجدة»⁽²⁾.

ومنها: «اللهم طهرني بالثلج والبرد»⁽³⁾ ولعماء البلاد: اللهم طهرني من الفتن والاضطهاد

كما ينقى الثوب الأبيض من الغندس».

واختلفت الأحاديث وملاهب الصحابة والتابعين في تنوت الصبح، وعندي أن

الفتوت وتركه سيان، ومن لم يفتت إلا عند حادثة عظيمة أو كرامة بسيرة إخفاء قبل

(1) أي: الروح.

(2) أي: لا ينفع صاحب الفتن منك قضاء بل ينفذه العمل بطاعتك.

(3) الثلج والبرد معروفان. وهما لأنهما على خلقتهما لم يستعلا ولم تلتهما الأيدي ولم تنسهما الأرجل.

الركوع أحب إليّ، لأن الأحاديث شاهدة على أن الملاءة على رجل ودُّوكان^(١) كان أولاً ثم تُركت. وهذا وإن لم يدل على نسخ سطر القنوت لكنها مؤمن إلى أن القنوت ليس سنة مستثناة، أو يقول: ليس وظيفة راتبة، وهو قول الصحيح: أي بُنِيَ مَحْذُومٌ^(٢)، يعني المواظبة عليه، وكان النبي ﷺ وخلفاؤه إذا نهضوا دعوا المسلمين وعنى الكافرين بعد الركوع أو فيه، ولم يتركوه بمعنى عدم القنوت عند النشأة.

ومن هيات السجود أن يضع ركبتيه قبل يديه، ولا يسط ذراعيه اليسار الكلب، ويجافي يده حتى يدر يرض إبطيه، ويستقبل بأطراف أصابع رجله اليمنى.

ومن أدكاره: «سبحن ذي الأعلى ثلاثاً، ومنها: «صلى الله عليكم ربنا ويحكمك اللهم اغفر لي»، ومنها: «اللهم لك سيدتك وبك أمنت ولك أسلمت، سيد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فثبارك الله لحسن الخلقين»، ومنها: «مُشْرِجُ قُورُسَ رَبِّنا وَرَبَّ الْعَالَمَةِ وَالرُّوحَ»، ومنها: «اللهم اغفر لي ذنبي كله بغير رجاء، وأخره، وعلاتيه وصوره»^(٣)، ومنها: «اللهم إني أسود برضائك من سخطك، وبمعافتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحمي ثناء عليك أنت كما ألتفت على نفسك».

ربنا قال ﷺ: «فأجئني على فديت بكثرة السجود»^(٤)، لأن السجود غاية التذلل، فهو معراج المؤمن ودقت خلوص ملكيته من أسر اليهيمية، ومن سَكَنَ من نفسه للنشأة الإلهية فقد أعان مخلص الخير.

قوله ﷺ: «لَقَسْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَرًّا»^(٥) من السجود مُتَجَلِّونَ من الوضوء.

أقول: عالم المثال مبني على مناسبة الأرواح بالأشباح، كما ظهر مع الصائمين من الأكل والجماع بالتحتم على الآخر، وانفروج.

ومن هيات ما بين السجدين أن يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى، وضع واحتبه على ركبتيه.

ومن أدكاره: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وأهمني، وعافني، وارزقني».

ومن هيات الصلاة: أن يحدس عا، رجلاه اليسرى ويصلي اليمنى. وروي في

(١) قينان من بني سليم.

(٢) قاله والد أبي مالك الأشجعي: له لما سأل عن القنوت.

(٣) أي: عذ غفر الله تعالى.

(٤) قاله لربيعة بن كعب لما سأل موافقة من الجنة، فمروا قينان على معارفك وإصلاح نفسك بكثرة الصلاة التي هي سبب قربك ومروج إلى مقام لائق.

(٥) أي: سمع ما حور ومشوهة، ومسمون أي: يضر، لا يدي، والآداب.

الأخيرة: قدم رجاء اليسرى ونصب الأخرى وتعد على مفعلاته، وأن يصح يديه على ركبتيه، ويردد: ينقم كفة اليسرى ركنته، وأن يعد ثلاثاً وخمسين⁽¹⁾، وأشاد ماسية وروي: ينضم ثنتين⁽²⁾ وحلق حنفة⁽³⁾، وأشير في رفع الأصبع الإشارة إلى التوحيد، ليتعاهد بالقول والفعل، وتصير المعنى متحلاً منصوراً، ومن قال: إن مانع أبي حنيفة رحمه الله توك الإشارة بالمسبحة فقد أخصاً، ولا يعصده رواية ولا دراية، فانه ابن التهام، نعمه لم يذكره محمد رحمه الله في الأصل وذكره في الموطأ، ووجدت بعضهم لا يميز بين قولنا: (ليست الإشارة في ظاهر كنعاب) وقولنا: (ظاهر المنعاب أنها ليست)، ومفاسد الجهول والتخصيص أكثر من أن نحصى.

وإذا في التشهد صريح: «صحبنا الشُّهَداءَ ابن مسعود⁽⁴⁾ رضي الله عنه، ثم تشهد ابن عباس وعمر رضي الله عنهما» وهي كأحرف القرآن كنه شاف كاف، وأصبح صبح انصلاء: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم صلِّ على محمد وأزواجه ونبيته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه ونبيته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وقد ورد في صبح الدعاء في الشُّهَداء: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من شر للمسيح النجاشي، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»، ويردد: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»، ويردد: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أشرت وما لم تُشر، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»، ومن أذكار ما بعد الصلاة: «أستغفر الله ثلاثاً»، «اللهم أنت سلام ومثل السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا إله إلا الله، ولا تعبد إلا إياه، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصني له اثنين ولو كره الكافرون، اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الغرل، وأعوذ بك من الرذل

(1) مائة من مئة الخمس والخمسة والوسطى ويرسل المسبحة ويصعد الإبهام إلى لسان المسبحة

(2) الخمس والبنصر.

(3) بالوسطى والإبهام.

(4) كما يقرأ الأئمة في صلاتهم، ويشهد ابن عباس رواه مسلم هناك وفيه تركيز الصلوات على ذلك هذا السلام عليه للذي روحمة الله وبركاته، السلام عليها وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

تعمد وأعوذ بك من فتنة غضبا وعشرين القيد . وثلاث وثلاثون تسبيحة . وثلاث وثلاثون تحبيرة . وأربع وثلاثون تكبيرة . روي: من كل ثلاث وثلاثون، وتمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إلخ . روي من كل خمس وعشرون . والرابع: لا إله إلا الله . روي: يسبحون في غير كل صلاة عشراً ويصنعون عشرًا ويكثرون عشرًا . روي من كل مائة .

والأدعية كلها بشرى أخرى المقررة، من قرأها شيئا قال بالثواب الموعود . والأولى أن يأتي بهذه الأدعية قبل الرواتب فإنه جاء في بعض الأدكار ما يدل على ذلك بقاء كقوله: «من قال قبل أن يتصرف» ويثني^(١) وجنب من صلاة المغرب والصبح لا إله إلا الله إلخ^(٢) . وكقول الراوي: كان إذا سلم من صلاته يقول بصلوة الأعلى: لا إله إلا الله إلخ . قال ابن عباس: كنت أعرب انفسه صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير . وفي بعضها ما يدل ظاهراً . كقوله: «خير كن صلاته» وأما قول عائشة: كان إذا سلم ثم يقول: إلا مقدار ما يتوزع . اللهم أنت السلام . فيحسن روحاً

منها أنه كان لا يفتد بهيأة الصلاة إلا هذا القدر . ولكنه قد قيل من لو يتأخر أو يعجل على التمام وجبته فأتى بالأدعية للتلا على الظن أن لا ذكر من الصلاة .

ومنها أنه كان جاً بعد حين يترك الأدكار غير هذه الكلمات: يعلمهم أنها ليست فريضة وإنما هي منصوصة بخود هذا الفعل شرأ لا مرة ولا مرتين ولا استباضة

والأصل في الرواتب أن يأتي بها في سنة، والسر في ذلك أنه إن يقع انفصل بين الفرض والرواتب بما ليس من جنسهما، وإن يكون فصلاً محضاً به بذلك يبادي الراي، وهو قول غير رضي الله عنه لمن أراد أن يشيع بعد الصلوة: اجلس . فإنه ثم يهتف أهل التكبير . إلا أنه لم يكن بين صلاتهم فصل . فصل الشيء يفرقه . وأصل الله بك يا ابن الخطاب، وفعله يفرقه . . اجعلوها في بيوتكم . والله أعلم

(١) أي من ثمان صلاة

(٢) أي يدهان

(٣) تعلمه وحده لا شريك له . إلخ . أي وله الحمد بيزه التحم يحس ويميت وهو على كل شيء قدير .

ما لا يجوز في الصلاة وسجود السجود والتلاوة

❁ ما لا يجوز في الصلاة ❁

واعلم أن سبب الصلاة على جميع الأوقات وحضور القلب، وكف القلب، إلا عن ذكر الله وقراءة القرآن، فكيف هيئة بائنة الخضوع، وذكر كلمة ليست بذكر الله، فإن ذلك يُبطل الصلاة، لا تتم الصلاة إلا بتركه والترك عنه، لكن هذه الأشياء متفاوتة، وما كل نفس يبطل الصلاة بالكلية، والتمييز بين ما يبطلها بالكلية وبين ما يُبطلها في الجملة شرع مذكور إلى نص الشارع، وللمفتي في ذلك كلام كثير، وتطهير الأحاديث الصحيحة عنه غير، وأودع المؤلف الحديث في هذا الباب أوسعها.

ولا شك أن الفعل الكثير الذي يشبهه المجسر، والنزل الكثير الذي يستكثر جداً، لا يفسد.

فمن أتى قوله **يُفَوِّضُ** إلى هذه الصلاة لا يفسد فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، وسببها **يُفَوِّضُ** ترك ذلك السلام **الْبَدْوَةُ**، وإن في الصلاة لشغلاً، وقوله **يُفَوِّضُ** في الرجل يسري الثياب حيث يسجد، وإن كنت قائلاً فواحدة، ونهيه **يُفَوِّضُ** عن العصر، ومن وضع اليد على الخافضة، وغلبه راحة أهل السر، يعني هيئة أهل البلاء المتحيزين المدعوسين، وعن الالتفات بغيره لئلا يفسد، ويخلصه فتشيعان من صلاة العبد، يعني يكتفي الصلاة ويأني كمالها.

وقوله **يُفَوِّضُ**، إذا تشبه أحبك في الصلاة فليكنم ما استطاع، فإن للشيطان إدخال في.

أقول: يريد أن التذوُّب مقلد تدخل ذات أو سجدة مما يشوش خاطره، ويصعبه عما هو به.

(١) قال عبد الله بن مسعود: **يُفَوِّضُ** كنا نسلم عليك في صلاة فرد علينا

(٢) أي أحد بسرعة

وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: أي اصبروا على ما أتاكم من أمر الله تعالى، ولا يزل الله تعالى متعبداً على العبد وهو في صلواته ما لم ياتكم، فإذا انتهت أعمركم هذه، وكذا ما ورد من إجابة الله للعبد في الصلاة.

أقول: هذا يشاؤنا إلى أن جود الحز عام فانص. وأنه إنما تنطوي الفلوس بيد جها باستماداع الجبني أو الكبي، فلا ترجه إلى أنه يتبع له بقدر من جوده، وإذا أدرى حرمة، فإن استحق العفو بأعاصه.

فوائد ❁ . اجلس والنمط في الصلاة والحيض والقيء والغث من
الشمطان .

أقول: ربه، لأنها مفعلة بعينه الصلاة، وماها

وأما الأولى^١ فإن نبي ﷺ قد فعل اتباعاً في الصلاة ما لنا للشرع، وقد روي على أنباء
فذلك وما دونه لا يظن الصلاة.

والحاصل من الاستقراء أن القول البير، شيء: أحدث بلمنة الله ثلاثاً، ويرسك الله. وما نكل أمام، وما شأنكم تطرون إلي، والظن البير، مثل وضع حبيته من لعلق ورفعها، وغير التبريز، ومثل فتح الباب، والقصي البير، كالزهد من دوح السحر إلى مكان يثاني منه السجود في أصح العنبر. والآخر من موضع الإيمان إلى الصفه والغفم إلى الثاب السعيل لمفتح، والبكاء خوفاً من الله، والإشارة التمهيم، ومثل الحيه والمقرب. والالحظ بدياً ومسلماً من غير الحق... لا يفسد، وإن نعلق القفر بحسه أو ثوبه إذا لم يكن معه أو كان لا يعلمه لا يفسد. هذا والله أعلم بحقيقة الحال.

سجود السهو

وَسَيُرْسِلُ اللَّهُ بِحُجَّتِهِ إِذَا فُضِرَ الْإِنْسَانُ فِي صَلَاتِهِ أَنْ يَسْجُدَ سَجْدَتَيْنِ تَارِكًا لِمَا
فُضِرَ بِهِ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَتَارِكًا لِمَا فُضِرَ بِهِ مِنَ الْكِبَرِ

والسراخم التي يظهر فيها اخضر أربعة

الأول: قوله ﷺ: «إذا شك أحكم في صلاته ولم يتذكر كم صلى إلا أن أو لا، فليشرم بالشك وليتخير على ما استوفى». ثم يبيت سبعين قبل أن يسنم، فإن كان صلى خمسة شكها، واثنتين المدعتين، وإن كان صلى تسعاً لأربع كانت مرغياً للشيعلة، أي زيادة في الخير. وفي معناه: الشك في تركي أو المسحود.

(1) أي الفعل الكبير.

الثاني: أنه ﷺ صلى الظهر خمساً فجد سجدتين بعدما سَلَّمَ وفي معنى زيادة تركعة زيادة الركن.

الثالث: أنه ﷺ سَلَّمَ في ركعتين، فقبل له في ذلك، فصلى ما ترك ثم سجد سجدتين. رُيَاضاً رُوي أنه سَلَّمَ وقد بقي عليه ركعة بحله. وفي معناه أن يفعل سهواً ما يطل عنه.

الرابع: أنه ﷺ قدم في الركعتين م يجلس حتى إذا قضى الصلاة سجد سجدتين قبل أن يسَلَّمَ. وفي معناه ترك التشهد في النعوى.

قوله ﷺ: «إذا قدم الإمام في الركعتين، فليكن لركعتين أن يستوي قائماً فليجلس، وإن استوى قائماً فلا يجلس، ويسجد سجدتي السهو».

أقول: وذلك أنه إذا قام فأتى موضعه، فليكن راح لا احتكم بطلان صلاته. وفي الحديث دليل على أن كان قريب الاستواء ولما يُشترَفُ فداءً يجلس، خلافاً لما عليه العامة.

سجود القلاوة

ومن رسول الله ﷺ لمن قرأ أية فيها أمر بالسجود أو بياك تراب من سجد وعقاب من أبيه عنه. أن يسجد تعظيماً للكلام وبه وصارعة إلى الخير. وليس منها مواضع سجود الثلاثة لأوم عليه السلام لأن الكلام في السجود لله تعالى.

والآيات التي ظهر فيها النفس أربع عشرة آية أو خمس عشرة، وبين غير رضي الله عنه أنها مستحبة وليست بواجبة على رأس العبد، فلم يذكر السامعون وسأموه له.

وتأويل حديث: سجد لسي ﷺ بالانحسار وسجد معه المسلمون والمشركون والذين والإس

عدي: أن في ذلك الوقت ظهر الحق ظهوراً شياً، فلم يكن لأحد إلا الخضوع والامتناع، فلما رجعوا إلى طريقتهم كفر من كفر وأسلم من أسلم، ولم يقبل شيء من فريش تلك الغاشية الإلهية، لقوة الخضم على قلبه، إلا بأن وقع التراب إلى السجدة، فاجل تعذب بأن يُقبل سجد.

ومن أوكار سجدة القلاوة: مسجد وجهي بشي خلقه، وشق سمعه وبصره ببوله وقوته، وسهاه، اللهم لكاتب لي بها عنك أجراً، وضع بها عني وزراً، واجعلها لي عندك نفراً، وتقبلها مني كما تقبلها من عبدك داود.

لأنه كان من الرحمة التَّجَبُّه في الشرائع أن يُشَيِّ لهم ما لا بد منه وما يحصل به فائدة الطاعة كاملة، ليأخذ كل إنسان حظه، ويتمسك المشغول والمقبل على الأرضيات بما لا بد منه، ويؤدي ابتداءً المستقبل على تهذيب نفسه وإصلاح آخرته المكامل، توفَّهت العناية التشريعية إلى بيان صلاوات يتنقلون بها، ونوحيها بأسباب وأوقات تليق بها، وأدبُ بُنْيَ عليها، وتَرَقَّب فيها، ويُفَضِّل من فوائدها، وإلى تربيهم في الصلاة النافلة غير الموقوفة إجمالاً إلا عند مانع، كالأوقات المنهية.

فمنها: روائب الغفلة والاضلال فيها أن الأشغال الدنيوية لما كانت شبيبةً ذُكر الله صافاً عن تدبر الأفكار وتحصيل ثمرات الطاعات، فأنها تورث إخلالاً إلى الهيئة البيسية وقسوة وذهناً لمحاكية، وجب أن يترفع لهم معصية يستعملونها قبل الغفلة؛ ليكونوا لخدماء فيها على حين صدق الذوق وجمع الجمع، وكثيراً ما لا يصني الإنسان بحيث يستوفي فائدة الصلاة، وهو انشغال أنه في قوله ﷻ: «مَنْ مَضَى لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا نَصْفُهَا شَيْئاً، وبعبارة أوضح: أن يسر بعدما صلاة تكتمل للمقصود.

وأكدتها عشر ركعات أو اثنا عشرة ركعة، متروكة على الأوقات؛ وذلك أنه أراد أن يبرد بعد الركعات الأصلية، وهي إحدى عشرة لكنها أشنع، فاختار أحد العلويين.

قوله ﷻ: «بَنِي لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

أقول: هذا إشارة إلى أنه مكَّن من نفسه لحظ عظيم من الرحمة.

قوله ﷻ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ قِيلِيٍّ وَمَا فِيهَا».

أقول: إنما كانتا خيراً منها لأن الدنيا دانية، وبعبارة لا يخلو عن كبر العصب واضمح، وتوابعها بأن غير كسر.

قوله ﷻ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حُجَّةٍ وَعُمْرَةٍ».

أقول: هذا هو الاعتكاف الذي سنَّه رسول الله ﷺ كل يوم، وقد مر فوائد الاعتكاف

(١) الحديث ما رواه الترمذي عن أم حبيبة له قال: «سُئِلَ عَنْ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، قَالَ: «مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثِينَ رَكْعَةً، بَنِي لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» قِيلَ: «فَبِمَاذَا كَانَتْ خَيْرًا مِنْ قِيلِيٍّ وَمَا فِيهَا؟» قَالَ: «بِمَا فِيهَا مِنْ تَذَكُّرِ اللَّهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» وَرَكْعَتَيْنِ يَدُ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلُ صَلَاةِ الْفَجْرِ.

قوله ﷺ في أربع قبل الظهر: «تفتيح لمن قبل الرب السماء»، وقوله ﷺ: «إنها» ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأجيب أن يصعد لي فيها عمل صالح»، وقوله ﷺ: «ما من شيء إلا يسبح في تلك الساعة».

أقول: قد ذكرنا من قبل أن المشغالي عن الوقت في تعجيلات في الأوقات، وأن الروحانية تنتشر في بعض الأوقات، فراجع هذا الفصل

وإنما شئ أربع بعد الجمعة لمن صلاها في المسجد وركعتان بعدها لمن صلاها في بيته، لتلا يحصل مثل الصلاة في وقتها ومكانها في اجتماع عظيم من الناس، فإن ذلك يفتح على المومنين الذين الإعراف عن الجماعة ونحو ذلك من الأوهام، وهو أمره ﷺ إلا يوصل صلاة صلاة حتى يتكلم أو يخرج. روي. وأربع قبل العصر وست بعد المغرب. وثم يسر بعد الضجر لأن السنة في الجوس من موضع الصلاة إلى صلاة الإشراف، فحصل المقصود، ولأن الصلاة بعده تفتح باب المشاهدة بالمجوس، ولا بعد العصر للمشاهدة المذكورة.

ومنها: صلاة الليل. اعلم أنه لما كان آخر الليل وقت صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشة وجبع القلب وهشوه الصوت ونوم النفس، وأبعد من الرياء والسمعة، وأفضل أوقات الطاعة ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر، وهو قوله ﷺ: «وصلوا بالليل والنفس نيل». وقوله تعالى: ﴿لَيْلٌ كَثِيرَةٌ آتَىٰ فِي أَثَدِهَا وَقَدْ جَاءَ الْغَوَّاتُ﴾ ﴿١﴾ ﴿إِذَا لَقِيَ فِي الْفَجْرِ سَكَا مَوْلَاكَ﴾ ﴿٢﴾ [المزمل: ١-٤].

وأيضاً فذلك الوقت وقت نزول الرحمة الإلهية، وأقرب ما يكون الرب إلى العبد فيه، وقد ذكرناه من قبل

وأيضاً فللسهر خاصية عجيبة في إضعاف الهيبة، وهو بمنزلة الترواق، وتلك جرت عادة طوائف الناس أنهم إذا أرادوا تسخير السباع وتعليمها الصيد لم يستطيعوه إلا من قبل السهر^(١) والجوع، وهو قوله ﷺ: «إن هذا السهر جهاد»^(٢)، وتقل... الحديث^(٣) لما كان كل هذا كانت العناية بصلاة التهجيد أكثر، فيبين النبي ﷺ فضائلها، ويحيط آدابها وأذكارها.

(١) السهر لما بعد الترواق.

(٢) «كَيْفَ الْبَرِّ» بقيامه بعد الترواق، وقوله: «وَأَلَدُ وَطَاءِ» أي: موثقة السمع للقلب على تفهم القرآن في هذا الوقت لله. وقوله: «وَأَلَدُ وَطَاءِ» أي: يبين قولاً، وقوله: «كَيْفَ الْبَرِّ» أي: تحسناً في إتيان الله ٧ تهجد فرصة ثلاثة ألقون

(٣) أي: علم الترواق.

(٤) مثله: مثلاً لغيركم للتركع وركعتين. فإن من من الليل ولا كسلاً له أي: كفتين له من قيام الليل.

قوله **﴿١٣﴾** : «يَعِدُ الشَّيْطَانُ عِى قَائِمَةٍ رِى اَتَكْتُمُ اِنَّ هُوَ لَمُ ثَلَاثَ عَشْرَ ...» الحديث ^(١) .
 اقوله : الشَّيْطَانُ لَمَّا ذَا اِنَّهُ التَّوْبُ ، وَبِوَسْوَسِ اِلَيْهِ اَنْ اَلْبِى طَرِبِلَ ، وَوَسْوَسَتْهُ تِلْكَ اَكْبَدَةُ
 شَدِيدَةٌ لَا تَنْقُصُ اِلَّا بِتَدْوِيرٍ بِأَلَمٍ يَنْفَعُ بِهِ تَوْبُهُ وَيَنْفَعُ بِهِ بَأْسٌ مِّنَ التَّوْبَةِ اِلَى اللّٰهِ . فَتِلْكَ
 مِمَّنْ اَنْ يَذْكُرَ اللّٰهُ اِذَا هَبَّ ^(٢) وَهُوَ يَعْصِي اَمْرَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، تَهْ يَتَوَضَّأُ وَيَسْتَوْدُ ، ثُمَّ يَسْلِي
 رِجْلَيْهِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ يَطْوِلُ بِالْأَدَابِ وَالْأَذْكُرِ مَا شَاءَ .
 وَبِئْسَ حَرْثٌ تِلْكَ الْعَقْدُ اَتَلَاثُ وَشَاعَصَتْ خَيْرُهَا وَتَأْتِيهِمَا مَعَ عَامِي حَيْثُهَا ، اِنَّهُ مِّنَ
 الشَّيْطَانِ ، وَفَكَّرِي هَذَا الْحَبَثَ .
 قوله **﴿١٤﴾** : «وَبِئْسَ كَاسِيَةٌ فِي الْعَفْيَاءِ اَيُّ بِأَصَافِ اللِّبَاسِ ، عَارِيَةٌ فِي الْاَخْوَةِ ، اَيُّ جَزَاءٍ
 وَغَاثًا ، لِحُلِّهِ مَسْجُودًا عَنِ التَّغْضَالِ اَتَغْضَايَةٍ .
 قوله **﴿١٥﴾** : «مَاذَا اَنْزَلَ ...» الحديث ^(٣) .
 اقوله : هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَنِ تَمَثُّلِ الْعَمَانِي وَتَوَزُّنِهَا اِلَى الْاَرْضِ فَبِى وَجُودِهَا
 اَتَحْسُوسُ .

قوله **﴿١٦﴾** : «وَنَزَلَ رَبُّنَا بِعِلَّةٍ وَتَعَالَى اِلَى السَّمَاءِ اَتَبْنِيَاءِ» الحديث ^(٤) .
 قالوا : هَذَا كِتَابَةٌ عَنِ تَهَيُّؤِ لِنَعْرِسِ لَاسْتَنْزَارِ رَحْمَةِ اللّٰهِ مِنْ عَهْدِ هَدْوِهِ الْاَصْرَاتِ
 الشَّاعِيَةِ عَنِ الْحُضُورِ ، وَصَفَاءِ قَلْبِهِ عَنِ الْاَشْفَالِ الْمَثْوِيَّةِ ، وَابْعَدَ مِنْ اَتْرَابِ .
 وَتَعَدِّي ، اَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كِتَابَةٌ عَنِ شَيْءٍ مُّشْجَعٍ يَسْتَحِقُّ اَنْ يُحَرَّرَ عَنْهُ بِالْاَنْزُولِ ، وَفَدَّ اَتُرْتَا
 اِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ ، وَلِهَذَا فِي السَّرِيحِ قَالِ اَتَبْنِي **﴿١٦﴾** : «وَبِئْسَ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ اَعْيَادِ فِي جَوْفِ
 لَيْلٍ الْاَخْرَءِ ، وَفَدَّ **﴿١٧﴾** : «اِنْ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةٌ لَا يَوَاقِفُهَا عَبْدٌ مُّسَمِّ بِسَئْلِ اللّٰهِ فِيهَا خَيْرًا اِلَّا
 اُعْطَاهُ ، وَفَدَّ **﴿١٨﴾** : «عَارِيَكُمْ وَفِيَّامِ اللَّيْلِ فَلَئِنَّ دَابَّ لِمُصْلِحِيْنَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُوَّةٌ لَّكُمْ اِلَى رَبِّكُمْ ،
 مُّكَفِّرَةٌ ^(٥) لِلْمَسِيئَاتِ ، مُقْضِيَةٌ عَنِ الْاِثْمِ ، فَدَّ ذِكْرُ «سُرَرِ التَّكْبِيرِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْاِثْمِ وَغَيْرِهِمَا
 فَرَاغِ .

(١) تَعَالَى : مَعْرُوبٌ عَلَى كُلِّ عَنِيَّةٍ عَدَتْ تِلْكَ لَدَيْهِ طَرَفُهُ ، فَبِئْسَ سَقَطَ فَنَكَّرَ اِنَّ اَتَمَلَّتْ عَنِيَّةً ، فَبِئْسَ تَوَضَّأَ لِنَعْتِ
 هَذِهِ ، فَبِئْسَ حَرْثٌ تِلْكَ الْعَقْدُ اَتَلَاثُ وَشَاعَصَتْ خَيْرُهَا وَتَأْتِيهِمَا مَعَ عَامِي حَيْثُهَا ، اِنَّهُ مِمَّنْ
 الشَّيْطَانِ ، وَفَكَّرِي هَذَا الْحَبَثَ .

(٢) اَيُّ جَزَاءٍ .

(٣) وَلِهَذَا فِي السَّرِيحِ قَالِ اَتَبْنِي **﴿١٦﴾** : «وَبِئْسَ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ اَعْيَادِ فِي جَوْفِ
 لَيْلٍ الْاَخْرَءِ ، وَفَدَّ **﴿١٧﴾** : «اِنْ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةٌ لَا يَوَاقِفُهَا عَبْدٌ مُّسَمِّ بِسَئْلِ اللّٰهِ فِيهَا خَيْرًا اِلَّا
 اُعْطَاهُ ، وَفَدَّ **﴿١٨﴾** : «عَارِيَكُمْ وَفِيَّامِ اللَّيْلِ فَلَئِنَّ دَابَّ لِمُصْلِحِيْنَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُوَّةٌ لَّكُمْ اِلَى رَبِّكُمْ ،
 مُّكَفِّرَةٌ ^(٥) لِلْمَسِيئَاتِ ، مُقْضِيَةٌ عَنِ الْاِثْمِ ، فَدَّ ذِكْرُ «سُرَرِ التَّكْبِيرِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْاِثْمِ وَغَيْرِهِمَا
 فَرَاغِ .

(٤) تَعَالَى : مَعْرُوبٌ عَلَى كُلِّ عَنِيَّةٍ عَدَتْ تِلْكَ لَدَيْهِ طَرَفُهُ ، فَبِئْسَ سَقَطَ فَنَكَّرَ اِنَّ اَتَمَلَّتْ عَنِيَّةً ، فَبِئْسَ تَوَضَّأَ لِنَعْتِ
 هَذِهِ ، فَبِئْسَ حَرْثٌ تِلْكَ الْعَقْدُ اَتَلَاثُ وَشَاعَصَتْ خَيْرُهَا وَتَأْتِيهِمَا مَعَ عَامِي حَيْثُهَا ، اِنَّهُ مِمَّنْ
 الشَّيْطَانِ ، وَفَكَّرِي هَذَا الْحَبَثَ .

(٥) اَيُّ جَزَاءٍ .

قوله ﷺ: «من قرأ يس غرسته طاهراً بذكر الله حتى يدركه الفعل لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه».

أقول: سعادته من ثام على حالة الإحسان الجامع بين التثبُّت بالسلوك والتطلُّع إلى التجبروت، ثم يزل طول ليله على تلك الحالة، وكانت نفسه راجعة إلى الله في عبادة المقربين.

ومن سنن التهجد: أن يذكر الله إذا قام من النوم قبل أن يتوضأ. وقد ذكر فيه صحيح: منها: «اللهم لك الحمد أنت غيُّمُ⁽¹⁾ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض⁽²⁾ ومن فيهن، ولك الحمد أنت حك السعرات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق وعدك الحق، ولغاياك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والقيوم حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وليك ألتبت⁽³⁾ وبك خاسمت وليك حلكت، فاعفُ لي ما قدعت وما أخرت، وما أسروا وما أعلنت، وما أنت أعلم به عني، أنت المقدم وأنت المؤخر. لا إله إلا أنت ولا إله غيرك».

ومنها: أن كثر⁽⁴⁾ الله عشرأ، وعبد الله عشرأ، وقال: «سبحان الله ومحمده، عشرأ، وفان: «سبحان لك اللطيف» عشرأ، واستغفر الله عشرأ، وغلَّ عشرأ، ثم قال: «اللهم إني أهو بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة» عشرأ.

ومنها: «لا إله إلا أنت. سبعاً لك اللهم وسبعاً لك، استغفرك لتتبي، وسألك رحمتك، اللهم زيني علماً، ولا تُزع قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من ليلتك رحمة إله أنت الوهاب».

ومنها: تلاوة: ﴿لَكَ فِي حَقِّ السَّكُونِ وَالْأَنِينِ الْمَغْلُوبِ الْكَلْبِ وَالْقَاهِرِ لَاسِقِ الْأُتْبِ﴾ (إلا عدل الآية 190)، إلى آخر السورة، ثم يتروك ويتوضأ، ويصلي إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة منها الوتر.

ومن آداب صلاة الليل: أن يراغب على الأذكار التي سنها رسول الله ﷺ في أركان الصلاة، وأن يسلم على كل ركعتين، ثم يرفع يديه يقول: يا رب يا رب، يستن في الدعاء. وكان في دعائه ﷺ: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وقوتي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً».

(1) أي: الغمام للظلم بغيرها.

(2) أي: رحمت، وبه أي: بعلمك وقوتك، «مخلص»، «الغناء»، «مهلك»، أي: رغب لعمري.

(4) أي: كثري.

وقد صلاها النبي ﷺ على وجهه، ولكل سنة، والأصح أن صلاة الليل هو الوتر، وهو معنى قوله ﷺ: «إن الله أمكنكم بصلاة هي الوتر، فمصلوها ما بين العشاء إلى الفجر»، وأما شرعها النبي ﷺ وتره لأن الوتر عدد مبارك، وهو قوله ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر»^(١)، فليؤتوا يا أهل القرآن. لكن لما رأى النبي ﷺ أن القيام لصلاة الليل جهد لا يطيقه إلا من وثق له لم يشرعه تشريعاً عاماً، وخصص في تقديم الوتر أول الليل، ورغب في تأخيرها، وهو قوله ﷺ: «من خاف ألا يلوذ من آخر الليل فليؤثر أوله، ومن طمع أن يؤثر آخره فليؤثر آخره، فإن صلاة الليل مشهودة، وذلك أفضل». والحق أن الوتر سنة هو أوكد السنن، يثبت على وابن عمر وعبد الله بن الصامت رضي الله عنهم.

قوله ﷺ: «إن الله أمكنكم بصلاة هي خير لكم من حمر البقر»^(٢).

أقول: هذا إشارة إلى أن الله تعالى لم يفرض عليهم إلا مقداراً بشأن منهم، ففرض عليهم أولاً إحدى عشرة ركعة، ثم أكملها بيأتي الركعات في الحضر، ثم أكملها بالوتر للمحضرين، يعلمه ﷺ أن المستعدين للإحسان يحتاجون إلى مقدار زائد، فجعل الزيادة قصر الأصل إحدى عشرة ركعة، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه للأعرابي: ليس لك ولا أصحات.

ومن أذكار الوتر كذا: «عنهما النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، فكان يقولها في نوبة اثنتي عشرة ركعة، فقالهم أهدني فيمن عنيت، وعافني فيمن عافيت، وتوكلني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يجزي من عافيت، تباركت وربنا وتعليت».

ومنها: أن يقول في آخره: «اللهم إني أعوذ بوضائك من سخطك، وأعوذ بدمعائك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا تحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

ومنها: أن يقول إذا سلم: «سبحان الملك القويوس» ثلاث مرات، يرفع صوته في الثالثة، وكان النبي ﷺ إذا صلاها ثلاثاً يقرأ في الأولى: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّكَ الْأَكْبَرُ﴾ [الأعلى: الآية ١]،

وفي الثانية: ﴿قُلْ يَكُنْ لَكُمْ اللَّهُمَّ الْعَكْبَرُونَ﴾ [المعارج: الآية ١]،

وفي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية ١]

والمعجزتين.

(١) الوتر بكسر الهمزة وتشديد اللام، مفرد من العدد، وقد يطلق على كل تعالى بمعنى المفرد الواحد في ذاته وفي صفاته، بمعنى لا شبيه له فيها، وفي اللغة، بمعنى لا شريك له ولا معين. فله معنى الوترية بمعنى: الفردانية، وبوجه الخامسة يجب الوتر من الأعمال، أي: يقبله ويثبت عليه.

(٢) المعنى منها الأول، وهي أحد الأموال عند العرب.

ومنها: قيام شهر رمضان. والسر في مشروعيته أن تمقصود من رمضان أن يلحق المسلمون بالملائكة وتشبهون بهم، فحمل النبي ﷺ ذلك على درجتين: درجة العوام - وهي صوم رمضان والاكتفاء على الفرض. ودرجة لمحمدين.. وهي صوم رمضان وقيام لياليه وتزينة اللسان مع الاعتكاف وشد العشر في العشر الأواخر. وقد علم النبي ﷺ أن جميع الأمة لا يستطيعون الأخذ بالدرجة العليا، ولا بد من أن يفعل كل واحد مجتهداً.

قوله ﷺ: «ما زال بكم الذي رأيتم من صلتكم حتى خشيت أن يكتب عليكم ولو كُتِب عليكم ما قعتم به».

اعلم أن اتعادات لا تُؤت عنهم إلا بما اضاعنت به نفوسهم، فخشي النبي ﷺ أن يعتاد ذلك «أهل الأمة فتطمئن به نفوسهم، ويحدوا في شوقهم عند التخصير فيها التفرقة في جنب الله، أو يصير من شعائر الدين يفرض عليهم، ينزل القرآن فيضل على أواخرهم، وما خشي ذلك حتى نفوس أن الوحمة التشريعية تريد أن تكلفهم بالنسبة بالملكوت، وأن ليس يبعد أن ينزل القرآن لأدنى تشهير فيهم وأطمعناهم به وعظمهم عليه بالتواجد. ولقد صدق الله عز وجل قراءته، فنش في قلوب المؤمنين من بعده أن يحضروا عليها يتواجدون».

قوله ﷺ: «من قلم رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وذلك لأنه بالأخذ بهذه الدرجة أمكن من نفسه لتفحات ربه المقتضية لظهور الملكية وتكثير الثبوت.

وإذا ثبت المسحابة ومن بعدهم في قيام رمضان ثلاثة أشياء: الاجتماع له في مساجدهم، وذلك لأنه يغيد التيسر على خاصتهم وعامتهم، وأداءه في أول الليل مع القول بأن صلاة آخر الليل مشهودة وهي أفضل، كما أنه عمر رضي الله عنه لهذا التيسر الذي أشرنا إليه، وعنده حشرون ركمة، وذلك أنهم وأوا النبي ﷺ شرع للمحسين إحدى عشرة ركمة في جميع السنة، فذكروا أنه لا ينبغي أن يكون حظ المسلم في رمضان عند قصده الاتصاف في ثمة التشبه بالملكوت قبل من ضلها.

ومنها: الضحى. وسرهما أن الحكمة الإلهية ابتضت ألا يخلو كل ربح من أرباع النهار من صلاة يذكر له ما دخل عنه من ذكر الله، لأن الربيع ثلاث ساعات، وهي أول كثرة للمنفاد استعمل عندهم في أجزاء النهار، عربهم وعجمهم، ولذلك كانت الضحى شأنه الصالحين قبل النبي ﷺ.

وأيضاً فأول النهار وقت ابتداء البرق والسعي في المباشرة، فمن في ذلك الوقت صلاة ليكون شيء ما لسم الغفلة الضاربة فيه بمنزلة ما سئل النبي ﷺ لماذا دخل السوق من ذكر: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له... إلخ».

واللصحرى ثلاث درجات :

أولها ركعتان ، وفيها أنها تحيى عن المصنفات الواجبة على كل سلامي^(١) ابن آدم ، وذلك أب دقة ، كل مفصل على صحته التماسية له نعمة عظيمة نستوجب الحمد بأداء العشرات له ، والصلاة أعظم الحبات ثلثي بجميع الأعضاء الظاهرة والظاهرة أنباطه .

وثانيها أربع ركعات ، وبها عن الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، كونوا على أربع ركعات من كل صلاة ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أقول : معناه أنه مضى صالح من تهذيب النفس وإن لم يعمل عملاً منه إلى آخر النهار . وثالثها ما زاد عليها ، كتصاتي . ركعات وثلث عشرة .

واكمل أوقاته حين يترحل النهار وترمض^(٢) الضيفان .

ومنها : صلاة الاستخارة . وكان أهل الجاهلية إذا عثت لهم حاجة من سفر أو نكاح أو بيع استقسموا بالأزلام ، فهو عن النبي ﷺ لأنه غير معتد على أصل ، وإنما هو محض الخرافة ، ولأنه مضى على الله يقولهم : أمرني ربي ونهاني ربي ، فمروهم من ذلك الاستخارة ؛ فإن الإنسان إذا استمطر العلم من ربه وطلب منه كشف مرضه ، فله في ذلك الأمر ونجح قلبه بالمعروف عنى به ، لم يتراج من ذلك قبضان سر [بهي] .

وأيضاً من أعظم مراتبها : أن يعنى الإنسان عن مراد نفسه وينقاد بهمت لملكته وتسلم وجهه له ، فإذا فعل ذلك ، صار بمنزلة الملائكة في مقاديرهم لأنهم إذا ، فإذا ألهموا سعوا في الأمر بتابعة إلهية لا داعية نفسانية .

وعندي أن يكمل الاستخارة في الأمور تزيان مجرد لتحصيل شبه الملائكة .

وحسب النبي ﷺ أدبها ودعاءها . فشرع ركعتين ، وأعلم : اللهم إني استخيرك بعلمك ، والمستفكر بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إني كنت نعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعآلة أمري ، أو قال : في عاجل أمري وأجله ، فاقتره لي ويسره لي ، ثم يترك لي فيه ، فإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعآلة أمري ، أو قال : في عاجل أمري وأجله ، فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقتر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني به . قال : « ويسمي حالته »^(٣) .

(١) جمع سلامية . وهي الأمانة من اللؤلؤ الأصنع ، وهي سلامي كل عظم معروف . وقيل : هي كل عضو من الأعضاء .

(٢) أي : تسمى الضيفان . وهي الدمل . فترك الضيفان أي : لو كان لثوق - جمع ثقلة - من شدة غمر الطروق الأعداء .

(٣) أي : حاله ، فواء . هذا الأمر .

ومنها: صلاة الحاجة. والأصل فيها أن الاستغناء من الناس وطلب الحاجة منهم مظنة أن يرى إعانة ما من غير الله تعالى، فيحل بتوحيد الاستغناء، فشرع لهم صلاة ودعاء، يبدع عنهم هذا الشر، ويغير وقوع الحاجة مؤثراً، فيما هو سبيل من الإحسان، فمن لهم أن يركعوا ركعتين ثم يقرأ على الله، ويقرأوا على النبي ﷺ، ثم يقولوا: «لا إله إلا الله الحكيم الكريم، سبحانه الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، السالك موجبات رحمته»، وعزائم مغفرته، والغنيمة من كل بر، وإسلامة من كل إثم، لا تدفع لي شيئاً إلا غفرته، ولا محاسباً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها برحم الرحمن».

ومنها: صلاة التوبة، والأصل فيها أن الرجوع إلى الله لا سببا عقيب الذنب قبل أن يرتسخ فيه ومن الذنب، مكفر مؤجل عنه السر،

ومنها: صلاة الوضوء، وفيها قوله ﷺ لبلال^(١) رضي الله عنه: «إني سمعت دف نعليه بين يدي في الجنة».

أقول: وسرها أن السر غلبة على التطهارة عفيها نصاب صالح من الإحسان لا يتأني إلا من ذي حظ عظيم.

وقوله ﷺ^(٢): «بسم سمعتني إلى الجنة».

أقول: معناه أن المسبب في هذه الواقعة شبح التعمم في الإحسان، والسر في تقدم بلال على إمام المحسنين أن الكمال يزاه كل كمال من شعب الإحسان تلقياً^(٣) هو مكشف حاله، ومنه يفيض على قلبه سرقة ذلك الكمال ذوقاً ووجداناً، نظير ذلك من المؤلف أن زيد الشاعر المحاسب ربما يحضر في ذهنه كونه شاعراً، وأنه في أي منزلة من الشعراء فيذهل عن الحساب، وربما يحضر في ذهنه كونه محاسباً، فيستغرق في بهجته، ويذهل عن الشعراء، والأشياء عندهم السلام أعرف الناس بشي الإيمان العامي، لأن الله تعالى أراد أن يثبتوا حقيقة المذوق، فيثبوا للناس سببهم فيما ينوبهم في تلك التبرئة، وهنا سر ظهور الأنبياء عنهم السلام من استبقاء المذات الحسنة وغيرها في صورة عامة المؤمنين، فأرى رسول الله ﷺ تدليه الإيمان بتقدمة بلال، معرف وروح تقدم في الإحسان.

ومنها: صلاة التسبيح - سرها أنها صلاة ذات حظ جسيم من الذكر بمثابة الصلاة

(١) أي الأعمال التي تحب في رحمتك، وعزائم مغفرتك، أي الأعمال التي تتأكد بها في مغفرتك، وقوله: «بسم» أي حاله.

(٢) قوله: «سمعتني» يا بلال بطرحي على عقله في الإسلام، أي «سمعتني» أي «سمعتني» أي صوت.

(٣) أي لبلال أيضاً وقوله: «علم المحسنين» أي الناس.

(٤) أي لغفلاً وتدريجاً، وقوله: «ومنه» أي لتدلي.

الدعة الكاملة التي سبها رسول الله ﷺ بأدكارها للمحسنين، فذلك تكفي عنها لمن لم يحفظ بها، فذلك بين النبي ﷺ عشر خصال⁽¹⁾ في فضلها.

ومنها: صلاة الآيات، كالسوف والفسوف والظلمة والأصل فيها أن الآيات إذا ظهرت انتذرت لها الفرس والنجاة إلى الله وانمكت عن الدنيا نوع انكسار، خلق الحالة غيصة المؤمن ينبغي أن يتوكل في الدعاء والصلاة وسائر أعمال البر. وإيضاً فإنها رأت قصاصاً في الحوادث في عالم المثال، ولذلك يستشعر فيها العارفون الغرض، وفزع رسول الله ﷺ عندها لأجل ذلك، وهي أوقات سريان الروحانية في الأرض، فالماسب للمحسن أن يتقرب إلى الله في تلك الأوقات، وهو فواء ﷻ في الكسوف في حديث أنس بن مالك: «فإذا تجلّى الله لشعبه من خلقه شمع له، وإيضاً فالكفار يسجدون للشمس والقمر، فكان من حق المؤمنين إذا رأى آية عدم استحقاقها لآلهة أن يصرّح إلى الله ويمجد له، وهو قوله تعالى:

﴿لَا تَسْبُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَكُنْتُمْ أَشْرَكًا بِالَّذِي الَّتِي سَلَّمْتُمْ﴾ [صافات: 22]

ليكون شعاراً للمسلمين وجواباً مستكناً لمكثريه.

وقد صح عن النبي ﷺ أن قام قاسم وركع ركوعين حملاً لهم على السجدة في موضع الابتهاال، فإنه خضرع منه، فنبهني تكرارها، وأنه صلاة جامعة، وأمر أن يتأذى بها: إن الصلاة جامعة، وجهر بالقراءة، فمن اتبع فقد أحسن، ومن صلى صلاة معتداً بها في الشرع فقد عمل بقوله عليه السلام⁽²⁾: «فإذا رأيتم تلك فادعوا الله وكبروا، وهشوا، وتصلّوا».

ومنها: صلاة الاستسقاء. وقد استسقى النبي ﷺ لأمت مرات على أنحاء كثيرة، لكن الوجه الذي سبب لأمت أن يخرج بالناس إلى المصطفى متبذلاً متواضعاً متضرعاً، فعلى بهم ركعتين جهراً فيهما بالقراءة، ثم تحضّب، واستقبل فيها القبلة، يدعوا ويرفع يديه، وحول رداءه. وذلك لأن اجتماع المسلمين في مكان واحد راغبين في شيء واحد بأقصى جنونهم واستغفارهم وفضلهم أنواراً، شراً عظيماً في استجابة الدعاء، والصلاة أقرب أحوال العبد من الله، ورفع اليدين حكاية عن التضرع التام والابتهاال العظيم تُنبئ النفس على التخشع، وتحويل رداءه حكاية عن تقبّل أحوالهم كما فعل المسغيث بحضرة العلوكة.

وكان من دعائه عليه «تصلاة والسلام إذا استسقى: اللهم لعل عبادك وبهيبتك وانشر

(1) كما هي منكرة في حديث أبي داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) قوله: «فإذا رأيتم» إلخ لفرقة الشيعة من عائشة.

رحمته، وأخي بلفظ الميت، ومنه أيضاً: «فلنوم استقنا غيباً مقيناً»^(١) مريئاً مريباً ناعماً غير ضار عاجلاً غير آجل.

ومنها: صلاة العيدين، وسبائيت بنهما.

ومما يناسبها^(٢) - جود الشكر عند مجيء أمر بسرٍّ، أو انتفاع نعمة، أو عند علمه بأحد الأمرين، لأن الشكر فعل القلب ولا بد له من شبح في الظاهر ليعتضد به، ولأن للنعم بضرراً، فيعالج بالتذلل للنعم.

هذه هي الصفوات التي سنّها رسول الله ﷺ لاستعدي الإحسان والسبق من أمته زينة على المراجيب المحتوم على خاصتهم وعادتهم.

ثم الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر منها فليفعل، غير أنه نهى عن خمسة أوقات: ثلاثة منها أوكد تهباً عن الباقين، وهي الساعات الثلاث، إذا طلعت الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل، وحين تضيق للغروب حتى تغرب، لأنها أوقات صلاة المتجوس، وهم قوم حرقوا الدين، جعلوا يعبدون الشمس من دون الله، واستجود عليهم الشيطان. وهذا معنى قوله ﷺ: «فإنها تطلع حين تطلع بين قرني الشيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار»، فوجب أن يعزّز منه الإسلام وملة الكفر في أعظم الطاعات من جهة الوقت أيضاً.

وأما الأخران فنقوله ﷺ: «لا صلاة بعد فصبح حتى تبرز الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب».

أقول: إنما نهى عنهما لأن الصلاة فيهما تفتح باب الصلاة في الساعات الثلاث، ولذلك صلّى فيهما النبي ﷺ نازة لأنه مأمون أن يهجم عليه المكروه، وروى امتثناء نصف النهار يوم الجمعة، واستنظ جوارها في الأوقات الثلاث في المسجد الحرام من حديث: «يا بني عبد مناف من ولي منكم من أمر الناس شيئاً^(٣) فلا يمتنع أحداً طالع بهذا البيت وصلّى أي ساعة شاء من ليل أو نهار»، وعلى هذا فأنشأ في ذلك أنهما^(٤) وقت ظهور شعائر الدين ومكانه فعارضها المانع من الصلاة.

(١) مغيثاً أي مسبباً وحريئاً أي محموداً بما لا غير ضار، ومريئاً، يعني: أتياً بطريق والمنصب.

(٢) أي: الترتيل.

(٣) أي: لخلقة.

(٤) أي: الجمعة والمسجد الحرام.

❁ الاقتصاد في العمل ❁

اعلم أن أدواء الداء في الطاعات ملال النفس، فإنها إذ ملّت لم تنب لصفة الخشوع، وكانت تلك المشاق تخالية عن معنى العبادة، وهو قوله ﷺ: **إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً⁽¹⁾**، وإن لكل شِرَّةً فتنة، ولهذا سر كان أجر الحنة عند تدريس الرسم بعملها وظهور التهانن فيها مضاعفًا أضعافًا كثيرة، لأنها والحالة هذه لا تنجس⁽²⁾ إلا من ثبته شديد وعزم مؤكد، ولهذا جعل الشارع للطاعات قدرًا كمقدار الدواء في حق المريض، لا يزد ولا ينقص.

وأيضاً فالحكمة صودت من تحصيل صفة الإحسان على وجه لا يفضي إلى إحسان الارضاقات اللازمة ولا إلى غبط⁽³⁾ حق من المعروف، وهو قول سلمان رضي الله عنه: **إِذَا لَبِيتَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَمْ يَرْجُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصَدِّقْهُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَنَا أَسْؤُهُمُ وَالْأَطْرُ»**، ولقوم وإرفده، وتزوج للفساد، فمن رغب عن شئني قلبي مني.

وأيضاً فالمقصود من الطاعات هو استقامة النفس ودفع اعوجاجها، لا الإحصاء، فإنه كالسعد في حق الجمهور، وهو قوله ﷺ: **«اسْتَقِيمُوا، وَإِنْ تَعَصَّوْا، وَأَثَرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ»**، والاستقامة تعمل بمقدار سعيه إليه النفس لاكتنائها بلذات الملكية وتأنسها من خاصس البهيمية، ويغفلها بكيفية اتقياد البهيمية للمساكية، فهو أنه أكثر منها اعتادتها النفس، ومنسحبها ولم تنب شمرتها.

وأيضاً فمن المقاصد الجارية في التشريع: أن يحد باب التعمق في الدين فلا يعضوا عليها بنواجنهم، فيأتي من يدهم قوم فيثبوا أنها من الطاعات المساوية المفروضة عليهم، ثم تأتي طلبة أخرى يمسير الظن عندهم بقدرة والمحمّل مضاعف، فيظل الدين محرفاً، وهو قوله تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا أَعْقَابَهُمْ تَا كَنَّهُمْ خَبَرُهُمْ﴾ [الحج: ٢٧]

وأيضاً فمن ظن من نفسه - وإن أمر بخلاف ذلك - من لسانه - أن الله لا يرضى إلا بتلك الطاعات اشاقة، وأنه لو نشر في حقها فقد وقع بينه وبين تهذيب نفسه حجاب عظيم وأنه فرط في جنب الله، فإنه يؤاخذ بما لم، ويطلب ما يتفريط عن التفريط في جنب الله.

(١) يقنعون: شدة العزم، ويكرهون: تشديد لواء التشط، والعفة: الضبط، والمعنى: إن العبد يبالغ في العبادة وكل مبالغ يغر ويسكن حقه.

(٢) أي: لا تسجل.

(٣) غبط: اللذة، يستحرمهم، والمغفرة: لم يشكروها.

حسب اعتقاده، وإذا فُسر انقلب علمه عليه خسارة مظلعة، فلم تُقبل طاعته لِهَيْبَةٍ في نفسه، وهو قوله ﷺ: «لَنْ يَبِينَ شَيْءٌ، وَلَنْ يُشَدَّ قَبْضٌ» (1) أحد إلا غلبه.

فلِهذه المعاني عزم النبي ﷺ على أمته أن يقتصدوا في العمل، وألا يجاوزوا إلى حد يُغضي إلى ملال واشتياؤ في الدين أو إعمال الارتقافات، وبِشْن تلك المعاني بصريحاً أو تلويحاً، قوله ﷺ: «لَتُنَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ كَوْنُهَا وَلَوْ قُرْءً».

أقول: وذلك لأن إدامتها والمواظبة عليها آية كونه راحياً فيها، وأيضاً فالنفس لا تحب أثر الطاعة ولا تشرب قائدها إلا بعد مدة ومراوطة واطمئنان بها ووجدان أوقات تصادف من النفس فراغاً بمنزلة الفراغ الذي يكون سبباً لانطباع العنوم من الملل الأعلى في رذياه، وذلك غير معلوم الغدوء فلا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا الإدامة والإكثار، وهو قول لقمان عليه السلام: وعوذه نفسك كثرة الاستغفار، فإن لله ساعة لا يرد فيها سائلاً.

قوله ﷺ: «دخلوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا» أي لا يترك الإثابة إلا عند ملالهم، فأطلق الملل (2) مثلاً.

قوله ﷺ: «لَنْ أَهْلِكُمْ إِذَا صَلَّيْ وَهُوَ نَاصِرٌ لَا يَبْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ لِنَفْسِهِ».

أقول: يريد أنه لا يميز بين الطاعة وغيرها من شدة الملل، فكيف ينسب بحقيقة الطاعة.

قوله ﷺ: «فَصَبِّحُوا» (3) يعني غدوا طريقة السداة، وهي المتوسط الذي يمكن مراعاته والمراوطة عليه، وقاسوا، يعني لا تَنَكَّرُوا أنكم بعداء لا تصلون إلا بالأعمال الشاقة، وليصبروا، يعني حملوا الرجز، والنشاط، ولستمعونيوا بالغدوة والروحة وشيء من المتلعب، هذه الأوقات أوقات نزول الرحمة وصفاً لروح القلب من أحداث النفس، وقد ذكرنا من ذلك فصلاً.

قوله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ لَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ لَعَرَاهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، تَكَبَّرَ لَهُ كَلِمَاتُ قَوَامِهِ مِنَ اللَّيْلِ».

أقول: النسب الأسبلي في القضاء شيتان: أحدهما ألا تسترسل النفس بترك الطاعة فيعتاده ويعسر عليه اقتزامها من بعده، والثاني أن يخرج عن المعهدة، ولا يضمر أنه فُرط في جنب الله، فيؤاخذ عليه من حيث يعلم أو لا يعلم.

(1) أي: أن يقولوه بكثرة لعد إلا عجز عن العمل به.

(2) أي: على الله.

(3) أي: إذا دعا لنفسه وهو لا يفعل خوفاً يدعو على نفسه.

(4) هذا سمع حديث أبي هريرة الذي مر عن قبل، يعني: «لَنْ يَبِينَ شَيْءٌ» إلخ، ويقول: «مَنْ تَلَبَّصَ بِهِ كَثُرَ اللَّيْلُ».

ولما كان من تمام التشريع أن يبين لهم الرخص عند الأعذار، ليأتي المكلفون من الطاعة بما يستطيعون، ويكون قدر ذلك مفوضاً إلى الشارع ليراعي فيه التوسط لا اليهم، فَنَزَّلُوا، أو يَنْزِلُوا. اعتنى رسول الله ﷺ بضبط الرخص والأعذار.

ومن أصول الفقه أن ينظر إلى أصل الطاعة حسماً تأمر به حكمة البراء فيقتض عليها بالتواجد على كل حال، وينظر إلى حدود وضوابط شرعها الشارح ليتبين نعم الأخذ بالبر، فيصرف فيها إسقاطاً وإبدالاً حسبما تؤدي إليه الضرورة.

فمن الأعداء: السفرة، رغبة من الحرج ما لا يحتاج إلى بيان، فشرع رسول الله ﷺ وسلم به رخصاً:

منها: القصر، فأبقي أصل أعداد الركعات - وهي إحدى عشرة ركعة - وأسقط ما يزيد بشرط الطمأنينة والحضر. ولَمَّا كان هذا العدد فيه شائبة العزسة لم يكن من حقه أن يقدر بفطر الضرورة ويضيق في ترخيجه كل التضييق، فلذلك بين رسول الله ﷺ أن شرط الخوف في الآية⁽¹⁾ لبيان الفاقدة، ولا مفهوم له، فقال: «صنعة تصنع الله بها عليكم فاقبلوا صديقتي»، والصدقة لا يضيق فيها أهل السروعات، ولذلك أيضاً وأظب رسول الله ﷺ على القصر وإن جاوز الإتمام في الجحلف، فهو سنة مؤكدة. ولا اختلاف بين ما روي من جواز الإتمام وأن الركعتين في السفر تمام غير قصر، لأنه يمكن أن يكون الواجب الأصلي هو ركعتين ومع ذلك يكون الإتمام مُجَرِّثاً بالأولى، كالمرضى والعبد يُصَلِّيَانِ الجسفة فيسقط منهما الظاهر - أو كالذي وجب عليه بنت مخاض فتصلي بالكل، ولذلك كان من حقه أنه إذا مسح على المكثف إطلاق اسم المسافر جاز له القصر إلى أن يزول عنه هذا الاسم بالكلية، لا يُنظر في ذلك إلى وجود الحرج ولا إلى عدم القدرة على الإتمام، لأنه وظيفة من هذا شأنه ابتداءً، وهو قول ابن عمر رضي الله عنه: سُنُّ رسول الله ﷺ صلاة السفر ركعتين، وهذا تمام غير قصر.

واعلم أن السفر والإقامة والزنا والرفقة وسافر ما أدار الشايع عليه الحكم، أمور يستحبها أهل النعوف في مظانها ويعرفون معانيها، ولا يملك حده الجامع المانع إلا بضرب من الاجتهاد والتأمل، ومن المهم معرفة طريق الاجتهاد؛ فنحن تعلم نموذجاً منها في

[illegible]

المسافر، فتقول: هو معلوم بالتحقق، والمثال: يعلم جميع أهل اللسان أن الخروج من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى حرس سفر لا محالة، وقد ظهر من فعل الصحابة وكلامهم أن الخروج من مكة إلى جدة، وإلى الطائف، وإلى عسقلان⁽¹⁾ وسائر ما يكون المقصد فيه على أربعة يوم⁽²⁾ سفر، ويعلمون أيضاً أن الخروج من الوطن على أقسام: فتردد إلى المزارع والبساتين، وتجهذاً بدون تعيين مقصد وسفر، ويعلمون أن اسم أحد هذه لا يطلق على الآخر، وسبيل الاجتهاد أن يستفترق الأسماء التي يطلق عليها الاسم عرفاً وشرعاً. وأن سائر الأوصاف التي بها يفارق أحدها نفسه، فيجعل أعدها في موضع الجنس وأعضائها في موضع الفصل، فمثلاً أن الانتقال من الوطن جزء نفسي: إذا من كان ثوباً من محل إقامته لا يقال له: مسافر، وأن الانتقال إلى موضع معين جزء نفسي، وإذا كان غيباً لا سفر، وأن كون ذلك الموضع بحيث لا يمكن له الرجوع منه إلى محل إقامته في يومه وأوائل ليلته جزء نفسي، وإذا كان مثل التردد إلى البساتين والمزارع، ومن لازمة⁽³⁾ أن يكون سيرة يوم تام - وبه قال سائر - لكن سيرة أربعة يوم متيقن وما دونه مشكوك، وصحة هذا الاسم بكونه بالخروج من سور البلد أو حقه القرية أو بيوتها بمقصد موضع هو على أربعة يوم، ووزان هذا الاسم إنما يكون بنية الإقامة مدة حالته يفتد بها في بلدة أو قرية.

ومنها: الحسب من الظهور والعصر، والمغرب والعشاء، والأصل فيه ما أشرنا أن الأوقات الأصلية الثلاثة: الظهر، والعصر، والمغرب، وإنما اشتمل العصر من الظهور والعشاء من المغرب لئلا تكثر المدة الطويلة صفة بين الفجر، ولا يكون المزمع على صفة الغداة، فشرع⁽⁴⁾ لهم جمع الضميمة والتأخير لكنه لم يوافق عليه ولم يعزم عليه مثل ما فعل في الفجر.

ومنها: ترك الليل: فكان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لا يسيرون إلا شدة الفجر والوتر.

ومنها: الصلاة على الإحسان حيث توجهت به يومين إيماناً، وذلك في الأوتار وشدة الحجر والوتر لا اقتراض.

ومن الأعداء: الخوف: وقد حلت بكثرة صلاة الخوف على أنحاء كثيرة:

(1) مرصع على مرحلتين من مكة

(2) اليوم بمسنتين جمع يوم وهو أربعة فراسخ، فربعة يوم تكفي ستة عشر فرساحاً، والمرصع ثلاثة أميال

(3) أي يستلزم.

(4) أي: شرع.

(5) أي: عدس بكسر.

منها: أن رُئِبَ القومُ صُفُنَ، فصلى بهم^(١)، فلما سجد سجد معه صفٌّ سجدتين، وخرس منسجاً، فلما قاموا سجد من خرس ولحقوه، وسجد معه في الثانية من خرس أولاً وخرس الآخرون، فلما جلس سجد من خرس، رتشد بالهامين وسلم.

والحالة التي تقتضي هذا النوع أن يكون العدو في جهة القبلة.

ومنها: أن صلى مرتين كل مرة بقرعة^(٢)، والحالة التي تقتضي هذا النوع أن يكون العدو في غيرها، وأن يكون توزيع الركعتين عليهم مشوشاً لهم، ولا يحيطوا بأجمعهم بكيفية الصلاة.

ومنها: أن رفعت غرفة في رجبها، وصلى بقرعة^(٣) ركعت، فلما قام للثانية فارثته وأتت وذبحت وجاء العدو، وجاء الواقفون فارتدوا به فصلى بهم الثانية، فلما جنس لمشهد قاموا فأتوا ثابتهم والحضر وسلم بهم.

والحالة المتضمنة لهذا النوع أن يكون العدو في غير القبلة، ولا يكون توزيع الركعتين عليهم مشوشاً لهم.

ومنها: أنه صلى بطائفة منهم^(٤)، وأقبلت طائفة على العذر، فركع بهم ركعة، ثم نصرعوا فكانت الطائفة التي لم تُصلَّ وجاء أولئك فركع بهم ركعة، ثم أتم هؤلاء وهؤلاء.

ومنها: أن صلى كل واحد كيفما أمكنه، واكباً وماشياً، لقبلة أو غيرها. رواه ابن عمر^(٥) رضي الله عنهما.

والحالة المتضمنة لهذا النوع أن يستند الخوف، أو ينشعب القتال.

وبالجملة: مكلُّ نحو روي عن النبي ﷺ فهو جائز، ويفعل للإنسان ما هو أخف عليه وأوفى بالصلحة حالته.

ومن الأعداء: المرضى. وفيه قوله ﷺ: «صَلُّ قَلْباً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ففَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى حَيْثُ».

وقال ﷺ في الأئمة: «مَنْ صَلَّى قَائِماً فَهُوَ مُتَّعِلٌ، وَمَنْ صَلَّى قَائِماً فَلَهُ نِصْفُ آمِيرٍ لِقَائِهِ».

(١) كما جاء في رواية مسلم عن جابر.

(٢) كما معنى في شرح السنة عن جابر.

(٣) كما هو مروي في السبعين عن يزيد بن رومان.

(٤) كما جاء في البخاري عن مسلم بن عبد الله بن عمر.

(٥) أخرجه البخاري عنه.

أقول : لما كان من حق الصلاة أن يُكَيِّزَ منها، وأصل الصلاة بئاني قلنا وقاعداً كما
يُنَى، وإدعاء وجب العيام عند التشريع، وما لا بُدَّ كذا لا بُدَّ كذا، انفتحت الرحمة أن
يسوغ لهم الصلاة النافذة قاعداً، ومن عهد ما بين التدرجيين.

وقد وردت صلاة الطالب، وصلاة المظفر، وصلاة الفوجي : وأم يرحمهم أحد من
الصحاب في الضوابط والحدود من ضرورة لا يجد منها بدأ من غير شائبة الإنكار والشهوان
إلا وسعها النبي ﷺ، وقوله ﷺ : «فلما أمرتكم بأمر فلتأثروا منه ما استطعتم» كلمة جامعة،
والله أعلم.

الجماعة

اعلم أنه لا شيء أنفع من غلبة الرسوم من أن يُجسَّس شيء من الطاعات وسعاً
فائداً، يزدى على رؤوس الشمل واليه يستوي فيه الحاضر والباد ويستوي فيه التفاضل
والبهر، حتى تدخل في الانقذات الضرورية التي لا يمكن تهم أن يتوكلها ولا أن
يهملها لتسير مزيداً لعبادة الله، والنسبة تدعو إلى الحق، ويكن الذي يخاف منه تفرد
هو الذي يجلبهم إلى الحق.

ولا شيء من الطاعات أهم شأناً ولا أعظم برهاناً من الصلاة، فوجب إتباعها فيما
ينهم والاجتماع لها وموافقة الناس فيها.

وأيضاً فالملة تسبح ناساً عناء يقتدي بهم، وراسماً يحتاجون في تحصيل إحسانهم إلى
دعوة حشنة، وناساً ضعفاء اليأس لو لم يكلفوا أن يزدوا على أعين الناس تهاوتوا فيها. فلا
أنفع ولا أوفى بالمصلحة في حق هؤلاء جمعاً أن يكلفوا أن يطعوا الله على أعين الناس،
ليعتز فاعلها من تاركها، وراغبها من ازهد فيها، ويُقنَّدي بعالمها، ويُعلم جاهلها، وتكون
طاعة الله فيهم كسبيكة تُعرض على صائف الناس، يُنكر منها، يُنكر ويُعرف منها المعروف
ورؤى غشها وخالفها.

وأيضاً فاجتماع المسلمين وراغبين في الله، وراغبين من مسلمين ووجههم إليه،
غاية عجيبة في نزول نبركات وتُذني الرحمة، كما يثاب في الاستفتاء، والتعج.

وأيضاً فعبد الله من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هي العليا، والأ يكون في
الأرض دين أعلى من الإسلام، ولا يُصور ذلك إلا بأن يكون مُنتهم أن يجتمع خاصتهم
رحمتهم وحاضرهم وياتيهم وصنبرهم وكبرهم لما هو أعظم شعائره وأشهر ضاعته.

فهذه المعاني انصرفت العناية التشريعية إلى شرح الجمعة والجماعات والترغيب فيها
وتغليب النهي عن تركها.

والإشاعة إثناعشان: إشاعة في الحي، وإشاعة في المدينة. والإشاعة في الحي تيسر في كل وقت صلاة، والإشاعة في المدينة لا تيسر إلا عبر طائفة من الزمان كالأسبوع. أما الأولى فهي الجماعة، وفيها قوله ﷺ: «صلاة الجمعة تفضل صلاة الله» بسبع وعشرين درجة. روي رواية: مئتين وعشرين درجة. وقد مرَّح النبي ﷺ، أو لَوْح أن من المرجحات أنه إذا تروها فأحسن وضوءه، ثم توجه إلى المسجد لا يسهه إلا الصلاة، كان مشيه في حكم الصلاة، وخطواته مكفَّرات لذنوبه، وأد دعوة المسلمين تحيط بهم من ورائهم، وأن في انتظار الصلوات معنى الرباط والاعتكاف، إلى غير ذلك.

ثم ما يؤم بأحد العددين المذكورين. لا لثبوتها بليلة تمثلت هذه ﷺ، وقد ذكرناه من قبل فراجع. وليس في الحق الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه جزاء بوجه من الوجوه.

وفيها قوله ﷺ: «ما من ثلاث في قرية لو بدو لا تقام فيهم للصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان»^(١).

أقول: هو إشارة إلى أن تركها يفتح باب التهاون.

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سمعت أن أمر يعطى فيحْتَطَب... الحديث»^(٢).

أقول: الجماعة شئ مؤكدة، تقام اللاتمة على تركها، لأنها من شعائر الدين، لكنه ﷺ رأى من بعض من هنالك تأخراً واستنطاة، وعرف أن سببه ضعف النية في الإسلام، فشد التنكير عليهم وأخاف قلوبهم.

ثم لما كان في شهود الجماعة حرج للضعيف والفقير وفي الحاجة، اقتضت الحكمة أن يرخَّص في تركها عند ذلك، ليحقق العدل بين الإفراط والتفريط.

فمن أنواع الحرج: ليلة ذات برد ومطر، ويستحب عند ذلك قول المؤذن: ألا ملأوا في الرجال.

ومنها: حاجة يمسر التريُّس بها، كالغشاء إذا حضر، فإنه ربما تشوف^(٣) نفس إليه، وربما يضع الطعام. وكما نقصة الأجبنين، فإنه بمنزل عن فائدة الصلاة مع ما به من انتفال النفس ولا اختلاف بين حديث: «لا صلاة بحضور طعام» وحديث: «لا تؤخروا الصلاة

(١) أي الفرد.

(٢) أي استقرى، وقيل الحبيب. «منيتكم بالجماعة، فليأتا بكل فتنة فقامية».

(٣) تشامه، ثم أمر بالصلاة فمؤذنه، فلو لم يقرأ وجلاً فيؤم الناس، ثم لعاب إلى رجال لا يشهدون الصلاة فيفتقروا عليهم بهيئتهم... إلخ.

(٤) أي تشتر.

لطعام ولا غيره، إذ يمكن تنزيل كل واحد على ميوءة ثم معنى، إذ المراد تعالى وجوب الحضور^(١) سداً لسبب التمتع، وعدم التأخير هو الوظيفة لمن أمن شر التمتع، وذلك تنزيل نظر الصائم وعنده على الحائض، أو التأخير^(٢) إذا كان تشبهاً إلى الصائم، أو حوب ضياع وعنده إذا لم يكن، وذلك مأخوذة من حال العلة.

ومنها: ما إذا كان خوف غنة، كأمراء أصوات يخشون، ولا اختلاف بين قوله **يُخْشَوْنَ**، وإذا استلقت امرأة أمركم إلى المسجد فلا يمنعها، وبين ما سلككم به يجمهور الصحابة من منعهم، إذ المنهي الغيرة التي تنبعث من الأنف دون خوف الفتنة، والمجانبة^(٣) ما فيه خوف الفتنة، وذلك قوله **يُخْشَوْنَ**، والغيرة غيرتان، الحديث، وحديث عائشة إن النساء أحذر... الحديث.

ومنها^(٤): الخوف والمرس، والأمر فيها ظاهر، ومعنى قوله **يُخْشَوْنَ** للأمر: «اتسعم للقاء بالمعصاة»، قال: نعم، قال: «فاجيب أن سزاله كان في العزيمة»، فلم يرضى له.

ثم وقعت الحاجة إلى بيان الأحق بالإمامة، وكيفية الاجتماع، ووصية الإمام أن يخضع بانعوم، والمأمومين أن يحفظوا على تبعه، ونصه بعدد رضي الله عنه في الإطاعة مشهورة، فبين هذه المعاني بأؤكد وجه، وهو قوله **يُخْشَوْنَ**: «تؤم القوم أئمةهم للقلب لله فإن كانوا في الفلاة سواء فاعينهم بالشك فإن كانوا في شقة سواء فاعينهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فاعينهم بينة ولا يؤم الرجل الرجل في أسلحته»^(٥).

وسبب تقديم الأخيرة أنه **يُخْشَوْنَ** قد نعلم جداً معلوماً كما ثبت، وكان أول ما عتاك ممره كتاب الله لأنه أصل العلم، وأيضاً لأنه من شعار الله، عوجب أن يقدم حوجه وبنوه بشأنه، ليكون ذلك داعياً إلى التناقص فيه، ونيس كما عمن أن تلج حياج المنصلي إلى انقراء، فقص، ولكن لأصل حطهم على أممة فيها، وإنما لشارك الفضائل بالإمامة، وسبب خصوص الصلاة باعتبار المتابعة احتياجها إلى القراءة، فليندبر.

ثم من بعد ما معرفة الشك، لأنها تلو الكتاب، وبها أيام التوبة، وهي أيراء النبي **ﷺ** في قوله.

(١) أي انتهى إليه من أحضر لطعام في الحيرة الثاني.

(٢) أي تأخير الصلاة.

(٣) أي من الغيرة، وقوله «غيرتين» يعني إيمانهما ما يجب الله وتأنيهما ما يهتض الله، قالوا: الغيرة في التوبة، أي موشية لثمة، وقتلوة لغيره في غير رتبة.

(٤) أي أنواع الدوح، وقوله «في المعزومة» أي الرخصة في ترك الجماعة.

(٥) أي يمكن حمله.

ثم بعد ما عثرت النهجرة إلى النبي ﷺ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام عظم أمر
النهجرة ورغب فيه ونزه بشأنها، وهذا من تمام الرغبة والتزويده.

ثم زيادة نسي، إذ السنة القاضية في العمل جميعها بوقر الكبير، ولأن أكثر تجربة
وأعظم جثماً.

وإنما نهى عن التقدم على ذي سلطان في سلطانه لأنه يشق عليه وتقدح في سلطانه،
فشرع ذلك بقاء عيب

ورفعه ﷺ، إذا صلى أهلكم للناس فليخفف، فإن فيهم فسقهم والتعصب والكبر، وإذا
صلى أهلكم لنفسه فليقبل ما شاء.

أقول: المدح إلى الحق لا تتم فائدتها إلا بالنسيير، والتغير يخالف الموصوع،
والشيء الذي يكلف به جمهور الناس من حقه التخفيف، كما صرح النبي ﷺ حيث قال:
«لن منكم منورين».

قوله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع فاركعوا وإذا قال
سمع الله لعن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد» وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا
جلوساً أجمعين». وفي رواية: «وإذا قال: ﴿وَلَا تُكْفِرُوا بِيَ﴾ فقولوا: آمين».

أقول: بدء الجماعة من جهته معاذ رضي الله عنه برأيه فقررته النبي ﷺ واستصوبه،
وإنما اجتهد لأن به نصير سلاتهم واحدة، ودون ذلك إنما هو اتفاق في المكان دون
الصلاة.

وقوله ﷺ: «إذا صلى جالساً فامبلوا جلوساً» -روح- يسيل إمامة النبي ﷺ في آخر
عمره جالساً والناس قيام. والسر في هذا أن جالس الإمام رقيام القوم يشبه قيس
الاعاجم في إفرامه معظم ملوكهم، كما صرح به في بعض روايات الحديث، فلما استقرت
الأصول الإسلامية، وظهرت المصاحفة مع الأعاجم في كثير من الشرائع، وأجمع قياس آخر،
وهو أن القيام ركن الصلاة، فلا يترك من غير عذر، ولا عذر للمعتدي.

قوله ﷺ: «يؤذي منكم أولو الأحلام والنهى، ثم اثنين بلوتهم ثلاثاً»، وإياكم وميشلت
الأسواق^(١).

أقول: (١) لينقر عندهم بوقر الكبير، أو ليشافوا من مادة أعمل السؤدد، ولتلا
يشق على أولي الأحلام تقويم تن ذوتهم عليهم. ويمن عن الهشات تأدياً، ولتتمكوا من
مدير الفرق، ولتستلبوا بغير ناجياً للملك.

(١) جمع ستة بمعنى رفع الصوت والنفط.

قوله ﷺ: «الاشعشعون كما تصف الملائكة عند ربها»⁽¹⁾.

أقول: فكل منك مقام معلوم، وإنما وجدوا على مقتضى الترتيب العقلي في الاستعدادات، فلا يمكن أن يكون هناك فرجة.

قوله ﷺ: «لني لاري الشيطان يدخل من ثألي المذنب كقنطرة»⁽²⁾.

أقول: قد جرت أن الفراض في خلق الذكر سبب جمع الخاطرات ووحدة الحلاوة في الذكر وسد الخطرات، وتركه ينقص من هذه العماني، والشيطان يدخل ثألياً انتفض شي من هذه العماني، فرأى ذلك رسول الله ﷺ متملاً بهذه الصورة، وإنما رأى في هذه الصورة لأن دخول المذنب أقرب ما يرى في المادة من هجوم شي في المضائق مع السواد المشع بفتح السرير، فسئل الشيطان بتلك الصورة.

قوله ﷺ: «ننشق سقوفكم، لو ليخالف الله بين وجهك»⁽³⁾، وقوله ﷺ: «أما يخشى الله يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار».

أقول: كان النبي ﷺ أمرهم بالنسوة والاتباع، فقرأوا، وسجل عليهم فلم يزوجوا، فلفظ التهديد وأحافهم إن أصرأوا على المخالفة أو بلغهم الحق؛ إذ منابة الشكليات الإلهية جالبة للبر، وتلعب إذا أحاط بأحد يورث المسخ، أو وقوع الخلاف بينهم.

والنكتة في خصوص الحمار أنه بهيمة يضرب به المثل في الحسن والإمعة، كذلك هذا العاصي قلب عليه البهيمية والعحق.

وفي خصوص مخالفة الوجود: أنهم أسأوا الأدب في إسلام النوح لله؛ فحجوزوا في المعسر الذي أسأوا به، كما في كفي الرعود، أو اختلفوا صورة بالتقدم والآخر، فحجوزوا بالاختلاف معني والمناقشة.

قوله ﷺ: «إننا جئتم إلى الصلاة ونحن سجد ناسجنوا، ولا نعتوه شيئاً، ومن أدرك الركعة⁽⁴⁾ فقد أدرك الصلاة».

أقول: ذلك لأن الركوع أقرب شبهاً بالقيام، فمن أدرك الركوع فكأنه أدركه، وأيضاً فالسجدة أصل أصول الصلاة، والقيام والركوع تمهيد له وتوطئة.

(1) شعله، فقلنا ما رسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يذبحون، الصوف الأولي ويقرضون» في السبت.

(2) حل نصيب موجه، والمذنب: ولد الغنم الأسود، والفراس: التلصق.

(3) يعني: دخولها إلى أدرككم أو يمسحها على صورة بعض الحيوانات.

(4) أي: الركعة.

ونوله ﷺ: «إِنَّا صَلَّيْتُمَا فِي رَحَلَتِكُمَا، ثُمَّ اتَّيَسَّمَا مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَصَلَّيَا مَعَهُمْ، فَإِنَّا لَكُمَا ثَقَلَةٌ» (١).
 أقول: ذلك لئلا يعتدَّ تاركُ الصلاة بأنه عمليٌّ في بيته، فيفتح الإنكار عليه، ولئلا
 تفتقر كلمة المسلمين ولو بأيِّ انفرادٍ.

❁ الجمعة ❁

الأصل فيها أنه لما كانت إشاعة الصلاة في البلد - بأن يجتمع لها أهلها - متقدِّراً كل
 يوم وجب أن يُعَيَّن لها حدٌّ لا يسرع دورانه جدُّاً فيعسر عليهم، ولا يَنْقُضَ حدُّاً فيفوتهم
 المقصود. وكان الأسبوع مستعملاً في العرب والمجسم وأكثر الملل، وكان صالحاً لهذا
 المحل، فوجب أن يجعل ميقانها ذلك، ثم اختلف أهل الملل في اليوم الذي يوقت به،
 فاختار اليهود السبت واليهود الأحرار الأحد، لمرجعيات ظهرت لهم، وشهد الله تعالى هذه
 الأمة بعظم نفعه أولاً في صدور أصحابه ﷺ حتى أقاموا الجمعة في المدينة قبل
 مندمه ﷺ، وكشفه عليه ثانياً بأن أثناء جبرائيل بعثة فيها نقطة سوداء، فعرفه ما أريد بهذا
 المثال فعرَّفَ.

وحاصل هذا العلم أن أحقَّ الأوقات بأداء الطاعات هو الوقت الذي يتقرب فيه الله
 إلى عباده ويستجيب فيه أدميتهم، لأنه أدنى أن تُقبل طاعتهم وتزُور في صميم النفس وتنفذ
 تبع عدد كثير من الطاعات.

وإن لله وقتاً دائراً بدوران الأسبوع يتقرب فيه إلى عباده، وهو الذي ينجلي فيه لعباده
 في جنة الكتيب، وإن اقرب مظنة لهذا الوقت هو يوم الجمعة، فإنه وقع فيه أمور عظام،
 وهو قوله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُسْخِلَ الجنة،
 وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة، واليهائم تكون فيه سبيقة» يعني فرقة
 مرغوبة كالذي هاته صوت شديد، وذلك لما يترشح على نفوسهم من الملل السائل ويترشح
 عليهم من الملل الأعلى، حين تفرغ أولاً لتزول القضاة، وهو قوله ﷺ: «كسلسلة على
 صفوان حتى إذا فُزَّعَ عن قلوبهم - الحديث» (٢). وقد حُكَّتِ التي ﷺ بهذه النعمة كما أمره

(١) قال لرجلين لم يصلها معه ﷺ فسألها فقال: لما صليتما في رحلتكما، فإن: ملا تقعدا، إذا صليتما: حج
 ونوله، ملي ورحلتكما أي منزليكما.

(٢) الحديث ببشاش روى البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله تعالى الأمر في
 السماء ضربت الملائكة عليهم السلام بالفضة تفضضاً للقول ككلمة سلسلة على صفوان، أي سمحوا
 سوتاً كجود سلسلة على حجارة بلقاء فُزَّعَ من قلوبهم، أي كشف عنهم غلظ وبقاؤهم على قال ربكم...»
 الحديث

به فقال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيمة، يعني في دخول الجنة أو العرض للجنة»
 «بيد أنهم ماتوا الكلب من قبلنا والوثنية من بعدهم» يعني غير هذه الخصلة، فإن اليهود
 والنصارى تقدموا فيها «ثم هذا يومهم الذي فوض عليهم»، يعني الأفراد المنتشر المصادق
 بالجمعة في سقنا، وبالسبت ولأحد في حقهم «فلنفلتوا فيه فهدانا الله له، أي نهانا اليوم»
 كما هو عند الله.

وبالجملة: فتلك فضيلة محص الله بها هذه الأمة، واليهود والنصارى لم يفتهم أصل ما
 ينبغي في التشريع، وكذلك الشرائع السماوية لا تغطي قوانين التشريع وإن امتاز بعضها
 بفضيلة رائدة.

ونؤمن بهذه الساعة، ونعلم شأنها فقال: «لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا
 أعطاه إياه».

ثم اختلفت الرواية في تعيينها فقيل: هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تنفس
 الصلاة، لأنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، ويكون المؤمنون فيها راغبين إلى الله، فقد
 اجمع فيها بركات السماء والأرض. وقيل: بعد العصر إلى غيوبة الشمس، لأنها وقت
 نزول القضاء. وفي بعض الكتب الإلهية: إن فيها تحلل آدم.

وهندي: إن الكل يذن أقرب مظنة، وليس تضمن.

ثم مضت الحجة إلى بيان وجوبها والتأكيد فيه، فقال النبي ﷺ: «لينتبهين أقوام عن
 وُدِّهم»⁽¹⁾ الجُحُش، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكفنن من الغافلين».

أقول: هذا إشارة إلى أن تركها يفتح باب انتهاون، وبه يستحوذ الشيطان.

وقال ﷺ: «تجب الجمعة على كل مسلم، إلا امرأة أو صبي أو مريض»، وقال ﷺ:
 «الجمعة على من سمع النداء».

أقول: هذا رعاية للعنف بين الإفراط والتفريط، وتخفيف لدوي الأعذار والذين يشق
 عليهم الوصول إليها أو يكون في حضورهم فتنة.

والى استحباب التطيب بالتسلل والرائحة والتطيب وليس الثياب، لأنها من مكملات
 الطهارة، فيضاعف الثبته لكسبة الطهارة، وهو قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم
 بالسواك» ولأنه لا بد لهم من يوم يتسللون فيه ويتسببون، لأن ذلك من محاسن وتمامات
 بني آدم، ولما لم يتيسر كل يوم أمر بذلك يوم الجمعة، لأن الشوقيت يحض صلب ويكمل
 الصلاة، وهو قوله ﷺ: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغتسل فيه

(1) أنه تركهم.

رأسه وجسمه ، ولأنهم كانوا قفلة أنفسهم ، وكان لهم إن اجتمعوا ربح كريخ الإنسان ، فأمروا بالنسل ليكون رافعا لسب التغير ، وأدعى للاشباع ، بينه ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما .

والى الأمر بالإذاعة^(١) ، والمذنب من الإمام ، وترك الذنوب ، والتبكير ليكون أدنى إلى . شماع المربعة وتبديل فيها ، وبالعشي وترك الركوب ، لأنه أقرب إلى التواضع والاعتزال لربه . ولأن الجمعة تجمع الصنف والعشيرة^(٢) ، فعمل من لا يجد المركوب يستحي ، فاستحب هذا الباب .

والى استحباب الصلاة قبل الجمعة لما بينا في سنن الرواتب ، فإذا جاء والإمام يخطب فليركب ركعتين وليتجوز فيها ، بداية لسنة الراتب وأدب الخطبة جميعاً بقدر الإمكان .

ولا تغتر في هذه المسألة بما يلوخ به أهل بلدك ، فإن الحديث صحيح واجب الشاعة . والى النهي عن التحفي ، والتفريق بين اثنين ، إقامة أحد نيابة^(٣) إلى مقعد ، لأنها من يفت أنجاهل كثيراً ، ويحصل بها فساد ذات الدين ، وهي بشر الخطأ .

ثم بين رسول الله ﷺ ثواب من أدى الجمعة كدسة مؤفرة بأدائها أنه يفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وذلك لأنه مقدار صانع للمحلول في لجة النور . ودعوة المؤمنين ، وبركات صحبتهم ، وبرقة الموعظة والذكر وغير ذلك .

وبين درجات التبكير^(٤) وما يترتب عليها من الأجر بما ضرب من مثلي البانة ، والبقرة ، والكتف ، والدجاجة . وثلاث الساعات أربعة غفيرة من وقت وجوب الجمعة إلى قيام الخطبة .

واعلم أن كل صلاة تجمع الأفاضل والأدعي فإنها شفع واحد لا تنقل عليهم ، وأن بهم الضعيف والسقيم وذو الحاجة .

وتجبر فيها بالفراة ، ليكون أمكن لتدريجهم في القرآن وأثره بكتاب الله ، ويكون فيها خطبة يعلم الجاهل ويذكر الناسي .

وسل رسول الله ﷺ في الجمعة خطبتين يماس بينهما ، ليثوفا المقصد مع امشراح الخطيب ونظيرة نشاطه ونشاطهم .

(١) حلف على بيان وجهها في قوله . ثم ست فجلة إلى بين وجوبها

(٢) تعلق: القلبي والعشيرة القبي ، وقوله وليتجوز أي يختصر .

(٣) أي يكون خليفة في مقعده .

(٤) أي التبكير من أول الوقت

وَمِنْهُ الْخُطْبَةُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ، وَيُصَلِّيَ عَلَى نَبِيهِ، وَيَشْهَدَ، وَيَأْتِيَ بِكَلِمَةِ الْفَصْلِ. وَمِنْ:
أَمَّا بَعْدُ، وَيَذْكُرُ وَيَأْمُرُ بِالْتَّقْوَى. وَيُحَذِّرُ عَذَابَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَقْرَأُ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ
وَيَدْعُوَ لِلْمُسْلِمِينَ.

وسبب ذلك أنه ضم مع التذكرة التنويه بذكر الله وتبجيله وكتاب الله، لأن الخطبة من
شعائر الدين فلا ينبغي أن يخلو منها، كالآذان.

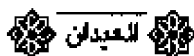
وفي الحديث: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجفماء»⁽¹⁾. وقد كانت الأمة نفعاً
معتوماً من غير تلقي لفظ، أنه يشترط في الجمعة الجماعة ونوع من التمدن، وكان النبي ﷺ
وخلفائه رضي الله عنهم والأئمة المجتهدون رحمهم الله تعالى يحسمون في البلدان ولا
يؤخذون أهل البدو، بل ولا يقام في عهدهم في البدو، لفهموا من ذلك قرناً بعد قرناً
ومعصراً بعد عصر أنه يشترط لها الجماعة والتدن.

أقول: وذلك لأنه لما كان حفيظة الجمعة إشاعة الدين في البلد وجب أن ينظر إلى
سكن وجساعة، والاصح عندي أنه يكفي أقل ما يقال فيه قرية، لما دوي من طرق شتى
يقوي بعضها بعضاً: «جمعة لا جمعة عليهم...» وهذا منهم أهل البادية.

قال ﷺ: «الجمعة على اثنين رجلان».

أقول: الخصون يقرى بهم قرية.

وقال ﷺ: «الجمعة واجبة على كل قرية»، وأقل ما يقال فيه: جماعة، لحديث
الانفصاض، والقاهر أنهم⁽²⁾ لم يرجعوا والله أعلم. فإذا حصل ذلك وجبت الجمعة، ومن
تخلف عنها فهو الآثم، ولا يشترط أربعون، وأن الأمر: أحق بإقامة الصلاة، وهو قول
علي كرم الله وجهه: أربع إلى الإمام... إلخ، وليس وجود الإمام شرطاً، والله أعلم
بالصواب.



الأصل فيهما أن كل قوم لهم يوم يتجملون فيه، ويخرجون من بلادهم بزيئهم، وتلك
عادة لا يتك بها أحد من طوائف العرب والعجم، وقديم ﷺ المدينة، ولهم يومان يلعبون
فيهما، فقال: «ما عذان القيرمان؟» قالوا: كنا نلعب فيهما في النعامية، فقال: «قد جعلكم

(1) أي: المقطوعة.

(2) أي: المعتزقين، لم يرجعوا أي: إلى الجمعة بعدما ذهبوا وتركوا الخطبة رسول الله للجمعة وبقية أي
الحصول على التجارة.

الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحي يوم الفطر. قيل: هما البيروز والمهرجان، وإنما بُدِّلا لأنه ما من عيد في الناس إلا وسبب وجوده تنويه بشعائر دين، أو موافقة أئمة مذهب، أو شيء مما يُضاهي ذلك، فخشى النبي ﷺ أن تركهم وعادتهم⁽¹⁾ أن يكون هناك تنويه بشعائر الجاهلية أو تزويج لسنة أسلافها، فأبطلهما بيومين فهما تنويه بشعائر الملة الحنيفية، وضم مع التجميل فهما يذكّر الله وأبواباً من الطاعة، لكلا يكون اجتماع المسلمين بمحض القلب، وكلا يخلو اجتماع منهم من إصلاء كلمة الله:

أحدهما: يوم فطر صيامهم وأداء نوع من زكاتهم. فاجتمع الفرح الطيبي من قبلي تغرّخهم مما يشق عليهم وأشدّ الفقير الصدقات، والعقلي من قبلي الانبهاج بما أنعم الله عليهم من توفيق أداء ما افترض عليهم وأبلى عليهم من إيفاء رؤوس الأهل والولد إلى سعة أخرى.

والثاني: يوم ذبح إبراهيم ولده إسماعيل عليهما السلام وإنعام الله عليهما بأنّ فداء بلّح عقلم، إذ فيه تذكّر حال أئمة الملة الحنيفية والاعتبار بهم في بذل الميع والاموال في طاعة الله وقوة الصبر، وفي تشبّه بالحاج وتنويه بهم رشوق لما هم فيه، ولذلك سرّ التكبير، وهو قوله تعالى ﴿رُحِمْنَا بِالْحَبِيبِ﴾ [البقرة: الآية ١٢٥] يعني: شكرًا لما وفّقكم للصيام، لذلك سرّ الأضحية والجمهر بالتكبير أيام منى، واستحب ترك الحلق لمن قصد التضحية، ومن الصلاة والخطة لكلا يكون شيء من اجتماعهم بغير ذكر الله وتنويه بشعائر الدين.

وضم⁽²⁾ معه مقصد آخر من مقاصد الشريعة، وهو أن كل ملة لا بد لها من عروضة يجتمع فيها أهلها؛ تظهر شوكتهم وتعلم كثرتهم، ولذلك استحب خروج الجميع، حتى الصبيان والنساء وفوات الخمر والحيض، ويمتثلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين، ولذلك كان النبي ﷺ يخالف في الطريق ذهاباً وإياباً؛ ليطلع أهل كلتا الطريقين على شركة المسلمين.

ولما كان أصل المهد الزينة استحبّ حسنُ اللباس والمقباس⁽³⁾، ومخالفة الطريق، والخروج إلى المصلى.

وسنة صلاة العيدين أن يُبدأ بالصلاة من غير أذان ولا إقامة، يجر فيها بالقرآن، يقرأ عند إرادة التخفيف به ﴿سُبْحَ أَنْتَ نَبَّكَ الْآكِرُ﴾ [المعنى: الآية ١]، ﴿وَقُلْ أَتَنَالَهُ﴾

(١) أي: مع عاداتهم.

(٢) أي: فطر.

(٣) المقباس: ضرب القلوب واللب عند قدم القلوب على سبيل استقبالهم.

[عقوبة الآية ١]. وسد الإعدام: ﴿قُلْ﴾ [في الآية ١] و﴿تَمَرُّنَ أَمَّا﴾ [المعنى: الآية ١] يَكُفَّرُ فِي
الْأَوَّلَى سَبْعًا قَبْلَ الْقِرَامَةِ، وَالثَّانِيَةَ عَشْرًا قَبْلَ الْقِرَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُفِّرْ رُبْعًا كَتَبَ كَبِيرُ
الْجَنَّةِ فِي الْأَوَّلَى فِي الْقِرَامَةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ عَشْرًا، وَحَدَّثَنَا، وَهَلْ الْحَرَمِينَ لَرَجَحٍ.

ثم يخطب: يَا مَعْزُومِي إِنَّهُ وَيُطْعَمُ وَيَذَكَّرُ

وفي المعبر خاصة ألا يندحر حتى يأكل لحمة، ويأكلهن ينزأ، وحتى يذوق ركة
الغفر بإعانة تنقذاه في مثل هذا اليوم، لينهذه الصلاة فارغى القلب، لينعقد مطاوعة
عادة الصوم عند إرادة التوبة بانتفاء شهر الصيام.

وفي الأصحى حصة ألا يأكل حتى يرجع، يأكل من أخصيته عشاء بالأضحية ورجية
فيها وشبكها بها، ولا يصحى إلا بعد الصلاة، لأن السج لا يكون قربة إلا بتشبه النماح،
وذلك بالاجتماع للصلاة.

والأضحية مئة^(١) من معز، أو جذع من ضأن في كل أهل بيت. وقاسوها على
الهدى فأقاموا البقر عن سبعة والجوز عن سبعة مطاوعة.

ولما كانت الأضحية من باب بدل شمال لله تعالى - وهو قوله تعالى:

﴿إِنْ يَكَالُ اللَّهُ حُكْمَهَا وَلَا يَنْزِلُكَ إِلَيْكَ يَأْتِيهِ أَتَقْوَى وَيَكُفَّرُ﴾ [الحج: الآية 37] - كان تمسينها
واختيار الحيد منها مستحباً، لدلالته على صحة رغبته في الله، فذلك يتقوى من الضحايا
أربعة: الحرجاء البئر طلعها^(٢)، والعوراء البئر عوزها والعريضة البئر مرضها، والحجباء
التي لا تنفى. وينهى عن أعصب القرن والأذن، وشتر استشراف العين والأذن، وألا
يخسح بجباله^(٣) ولا ينداره ولا شرفه ولا حراره، وسر الفحل الأقرب الذي ينظر في
سواد وركه في سواد وطلا في سواد^(٤)، لأن ذلك تمام شباب المعبر.

ومن أذكر النصحية: إني وجهت وجهي للذي فسر السموات والأرض...

إني^(٥) أتلهم منك وإليك ولك من الله والله أكبر.

- (١) أي: كل، عليها ستة كدلة، والجذع ما تم عليه ستة أشهر.
- (٢) أي: عرجاء، والقبيل مرضها، أي: لا تحس صحتها، والمقام القهرك أي لا تنفر أي لا تخ لاصطفاها.
- (٣) المعاملة ما يقطع من قبل أنها أي معصيا، والمنداره أي قطع من مؤخر لشها، والقشوة مذكورة الآتي،
والقشوة معصوة المأثر ثعباً مستقراً.
- (٤) الذي ينظر في - أو أي لسود العين ويورد في سواد أي لسود الطن والمعدن. ويطأ في سواد أي لسود
الآن حل.
- (٥) معناه: على حدة إلهيهم حديثاً وماذا من المدركين أو مدركي وسكني ومحيي ومعني له رب العالمين
لا شريك له وبذلك أدت وأنا من المسلمين.

أعاجم أن عبادة المؤمنين، وقدمه بالرفق الماركة، والرفق بالمحظورة، وتكبير العبد، ودفعه، والإحسان إليه، والنكاح عليه، وتعزية أهله، وزيارة القصور أمور تتناولها طوائف العرب ونصارى عليها أو على نظارتها أمثال العجم، وتنت عادات لا يتفك عنها أهل الأمازيغ الشايعة، ولا ينبغي لهم أن يتفكوا، فليدأعت النبي ﷺ نقر فيب عندهم من العادات فأصلحها، وصحح السبب منها.

والمصلحة المعروية إما راجعة إلى نفس المولى من حيث الدنيا أو من حيث الآخرة، أو إلى أحد من حدى الحبشيين، أو إلى الأمة.

والسبب يندرج في حبه الدنيا إلى اثنين كونه بالنسبة والرفق، وإلى أن يتعرض الناس لمعاوته فيما يعجز عنه، ولا ينحقر إلا أن تكون العبادة لله لا رة في إيمانه وأهل مدينته، وهي أحبه يحتاج إلى الصبر، وأن ينسى الشدة عنه بمنزلة الدواء المر، يعافى طعمه ويرخر غممه، فلا يكون ساء لمروءة في الحاة الدنيا واحتجابه والتنجي من ربه، بل مزبلة في حظ ذنوبه مع تحلل أجزاء نفسه، ولا يتحقق إلا بأن ينشأ على فوائد الصبر ومنافع الآلام. والمختصر في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فوجب أن يثبت على تذكر والفرجة إلى الله، لتفارق نفسه وهي في شدة من الإيمان، فيجد شربها في معده. والإنسان - عند سعادة مزاجه - قد تجبل على حب المال والأهل كذلك تجبل على حب أن يذكره، الناس بحير في حبه وبعد معاك وألا تظهر سؤته لهم، حتى إن أشد الناس رأياً من كل صائفة يحب أن يترك أموالاً عظيمة في يده شامخ يثني به ذكره، ويحبه من الدنيا لك ليأكل له من بعده، إنه حريء، يوصي أن يجلس قبره شامخاً كبشول الناس: هم ذو حظ عظيم في حياته وبعد موته، حتى قال حكيمهم: إن من كان ذكره، حبه في الناس فيس يبعث، ولما كان ذلك أمراً يخلقونه عليه ويحورون معه كان تصديق قلوبهم وإعلاء وادهم نوعاً من الإحسان إليهم بعد موتهم.

وأما إلى الروح إذ فارقت الجسد صحت حسنة مشاركة بالحس المشترك وغيره⁽¹⁾، ويتبدل على عزمها وتلقونها التي كانت معها في الحياة الدنيا، وترشح عليها من فوقها علوم يمدد بها أو ينشأ، وحجم انصافين من عبادة الله ترتقي إلى حظيرة القدس، هذا التجرد في الدعاء، ثبت أو عابوا صدقة عظيمة لأجله وقع ذلك بتدبير الله تعالى المعجب، وصادف البعض لذلك عليه من هذه الحظيرة، فأجد لرفاهية حاله.

(2) يعني الخيال.

(1) أي يكره.

بأهل الخيبت قد أصابهم حزن شديد، فمصلحتهم مرضت الدنيا، أن يُغزوا، ليخفف ذلك عنهم بعض ما يجدونه، وأن يعارضوا على دين ميثهم، وأن يهتوا بهم ما يشبههم في يومهم وليستهم. ومن حيث الأثرة: أن يرغبوا في الأسر الحزيل ليكون سداً لنفوسهم في القلب، ففتحوا لباب الرجوع إلى الله، وأن يلهوا عن التباحة وشئ لجيوب وسائر ما يُذكر،^(١) الأسف والموجدة ويتضاعف به الحزن والقلق، لأنه حينئذ بموتة المريض يحتاج أن يداوى مرضه لا ينعي أن يجد يه.

وكان أهل الجاهلية ابتدعوا أموراً تنفي إلى انشرك بأن، فمصلحة الملة أن يسد ذلك الباب.

إذا غنمت هذا حال، أد تشرح في شرح الأحاديث الواردة في الباب.

قوله **يُحْتَمَلُ**، ما من مسلم يصيبه لؤي، من مرض فما سواه، إلا حط الله تعالى به منيكت كما تحط شجرة ورقها.

أقول: قد ذكرت المعاني السوجية لشكثير الخطايا، منها: كسر حجاب النفس، وتعلل النسبة السوجية المعاملة للملكات السبعة، وأن ما حياها يعرض عن الاطمئنان بالعباد الدنيا نوع أعراض.

قوله **يُحْتَمَلُ**، مثل المؤمن كمثل الخامة^(٢) ومثل الخائف كمثل الأروءاء الحديث.

أقول: المر في ذلك أن لنفس الإنسان مؤثمين مرة بهيمية وقوة ملكية، وأن من خاصيته أنه قد تكون بهيمية وتبرز ملكية فيصير في أعداد الملكات. وقد تكون ملكية وتبرز بهيمية فيصير كأنه من الكهائم لا يعياً به، وله عند الخروج من مؤثرة بهيمية إلى سلطة الملكية أحوال شعاعها فيها، مثال هذه منها وتلك من هذه، وتلك مواطن المحازاة في الدنيا. وقد ذكرت شبه المحازاة من قبل مراجع.

قوله **يُحْتَمَلُ**، إنا مرضى شديد لو سافر كُتِبَ له بمثل ما كان يعمل صحيحاً مقبلاً.

أقول: الإنسان إذا كان جامع المهمة على العمل وله صنع عنه إلا مانع خارجي، فقد أتى برطوبة القلب وأما التنوى في القلب والأعمان شروح ومؤكدات، بعض عليها عند الاستطاعة وتعمل عند المعجز.

(١) أي الواسعة من أهل المدينة

(٢) الخامة قطعة القماش الكثيرة من الزروع والأرضة يفتح لعمرة وسكون افراد، شعر الصلوي، ولحميت شفاء هكذا، مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تقيتها الرياح، تسرعها مرة وتعللها لئلا، حتى يأتي البطل، ومثل الخائف كمثل الأروءاء كمثل الخامة التي لا يجرها شيء، حتى يكبر ليعطها مرة واحدة.

قوله ﷺ: «والشهادة خمسة أو سبعة... الحديث»⁽¹⁾.

أقول: المصيبة الشديدة التي ليست بهشة بعد تعمل عمل الشهادة في تكفير الذنوب وكونه مرحوماً.

قوله ﷺ: «إن المسلم إذا عاد لغناه المسلم لم يزل في حُرْفَةٍ⁽²⁾ الجنة حتى يرجع».

أقول: تألف أهل المدينة فيما بينهم لا يمكن إلا بمعاونة ذوي الحاجات، والله تعالى يُجِبُّ ما فيه صلاح سيئاتهم، وإليانته سبب صالح لإقامة التكليف.

قوله الله يوم القيامة: «يا أيُّكم مرَّضت فلم يُعْطِي... إلخ»⁽³⁾.

أقول: هذا التجلّي مثله بالنسبة إلى الروح الأعظم المذكور في قوله تعالى: ﴿تَكُنْ لَهُ رُوحٌ مِّنْ رَّبِّهِ﴾ [المعارج: الآية]، مثل الصورة الظاهرة في رؤيا الإنسان بالنية إلى تلك الإنسان، فكما أن اعتقاد الإنسان في ربه أو حكمه ورضاه في حق هذا الشخص يتمثل في رؤياه بربه تعالى، ولذلك كان من حق المؤمن الكامل أن يراه في أحسن صورة كما رآه النبي ﷺ. وكأنه تعبير من براه بلفظه في تعريف بآيه أنه حُرْفٌ في جنب الله في ذلك الدليل، فكذلك يتمثل في حق الله وحكمه ورضاه وتدبيره أو قبوله لأنفراد الإنسان أو كونه مبدأ تحقّقهم وملح اعتقاد أفراد الإنسان في ربهم عند صحة مراجعهم واستقامة نفوسهم جميعاً تعطيه الصورة النوعية في أفراد الإنسان في المعاد بصورة كثيرة كما بيّنه النبي ﷺ، وهذا التجلّي إنما هو فروع الأعظم الذي هو جامع أفراد الإنسان وملفّي كثرتهم ومبلغ ربّيتهم في الدنيا والآخرة، أهني بذلك أن هناك ﷻ تعالى شيئاً كُنْتُ بحسب قبولته له وحكمه فيه، وهو الذي يراه الناس في المعاد عيناً ثابتاً بقبولهم، وأحياناً إذا تمثّل بصورة مناسبة بأبصارهم.

وبالجملة: فلذلك كان هذا التجلّي مكشافاً بحكم الله وحقه في أفراد الإنسان من حيث تعطيلها الصورة النوعية، مثل تأنّسهم فيما بينهم وتحصيلهم تكامل الإنساني المختص بالنوع وإقامة المصلحة المرضية فيهم، فوجب أن يُسبب ما لغرم إلى نفسه لجهته العلاقة.

وأمر النبي ﷺ برفق شاة كدابة فيها ذكر الله والاستعانة به، يريد أن تغشاه غاشية من رحمته الله منتفخ بلاياهم، وأن يكبحهم عما كانوا يفعلون في الحاطية من الاستعانة

(1) «المتطهرين، والمطيعين، والمطيعين، وصاحب الهدى، والشهد في سبيل الله، وهي رواية: «سبعة» سوى الأخير منهم: «الحريق»، وسبب ذلك الحبس، والحرارة تترك في الفرج».

(2) «قوله بالسهم: اسم ما ينفرد من الفضل حين يترك، والمعاد أن ذلك الموضع في اجتماع شاة واحدة».

(3) «شاة: ضال، يا أيُّكم، كيف أمركم، وإن ربي، فاعلمين؟ ذكر: لما علمت أن عبيدي فلاناً مرض فلم تعد» لما علمت ذلك لو عدت لرجعتي عنه».

ولما أشفته على عائشة رضي الله عنها أحد الشينين بالآخر أتته رسول الله ﷺ على
 المسمى المراد بذكر أمه - حالات كحجب العترشع من فوقه انذني لا يشتمه بالآخر ، وهي
 حالة ظهور الملائكة

وقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه بربه»

اعلم أنه ليس عمل صالح أنفع للإنسان بعد أدنى ما تستقيم به النفس ومنفذ به
 اعرجاجها - أعنى أداء الفرائض والاحتساب من الكفائر - من أن يرجو من الله خيراً ، فإن
 التسليم من الرجاء بمنزلة الدعاء الحثيث والهمة القوية ، في كونه مجداً لنزول رحمة الله ،
 وإنما الحرف بين يقاتل به أعداء الله ، من الحجب الخليفة ، الشهوة والسبعة وسواهم
 الشيعدة ، وكما أن الرجل الذي ليس صادق في القتال قد يسلط سفه لمصيب نفسه ،
 كذلك الذي ليس صادق في تهذيب النفس ربما يفعل الخوف في غير محله ، فيهم جميع
 أعماله الحسنة بالمعجب والرياء وسائر الآفات ، حتى لا يحسب لشيء منها أحراً عند الله ،
 ويرى جميع صفاته وزلاته وأفعاله لا محالة فإذا مات ثلثت سيئاته عاقبة عليه في ظنه ،
 فكان ذلك سبباً لغيره قوة مثالية في تلك المثل الخيالية ، فيعذب نوعاً من العذاب ، ولم
 يتضح بحسناته من أجل تلك الشكوك والنظون انتفاعاً مثلاً به ، وهو قوله ﷺ عن الله تبارك
 وتعالى: «لما عند ظن عبدي بي» الحديث . ولما كان الإنسان في مرضه وصعفه كثيراً ما
 لا يتمكن من استعمال سلف الخوف في محله أو يشبه عليه ، كانت الشبهة في حقه أن
 يكون رجاؤه أكثر من خوفه .

قوله ﷺ: «اكثرُوا ذكرَ هاتِمِ القاتِ»

أقول: لا شيء أنفع في كسر حجاب النفس وردع الطبيعة عن غرضها في لذة الميراث
 المتبى من ذكر الموت . فإنه يمثل بين عيشه صورة الانقضاء عن الدنيا وميثاق لقاء الله ، ولهذا
 اشغل أثر عجيب ، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك مراجع .

وقوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله نقل الجنة»

أقول: ذلك لأن مواعظته نفسه - وقد أحيط بنفسه^(١) - بذكر الله تعالى دليل صحة
 إيمانه ودخول بشاشته القلب . وأيضاً فذكره ذلك مضمةً انصباح نفسه بصيغ الإحسان ، فمن
 مات بهذه حاله رجيت له الجنة .

قوله ﷺ: «لئن شئنا موتكم لا إله إلا الله» . وقوله ﷺ: «اخذوا على موتكم ﴿يَسْ﴾

يس [١]» .

(١) من استلب الموت

أقول: هذا غاية الإحسان بالمحتضر بحسب صلاح مصادره، وإنما خصص «لا إله إلا الله» لأنه أفضل الذكر، مشتمل على التوحيد ونفي الإثراك، وأنه «ذكر الإسلام» وليس لأنه قلب القرآن، وسبأك، لأنه مقدّر صنائع للعظة.

قوله ﷺ: «ما من مسلم مصيبة فيدول ما أمر الله: ﴿إِنَّا يَوْمَ يَمُوتُ الْإِنْسَانُ ضَعِيفٌ﴾» [البقرة: الآية 156] اللهم أجزني في مصيبتني واخفف لي غيراً منها، إلا تخلف الله له خيراً منها.

أقول: وذلك ليندرك العصاب ما عهد الله من الأجر وما الله قادر عليه من أن يخلف عليه حيراً لتخلف موجدته⁽¹⁾.

قوله ﷺ: «إذا حضرتم الميت تقولوا شيئاً»، كقوله ﷺ: «اللهم اغفر لابي سنة وأرفع روحته...» الحديث⁽²⁾.

أقول: كان من عادة الناس في الجاهلية أن يدعوا على أنفسهم، وعسى أن يمتن ساعة الإجابة فيستجاب، فيبذل ذلك بما هو أنفع له ولهم، وأيضاً فهذه هي الصلوة الأولى، فمن هذا الدعاء ليكون وسيلة إلى توحه تعالى الله.

قال: ﷺ في آيته⁽³⁾: «اغسلها ورأساً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كغزيراً»، وقال ﷺ: «أيدفن بيأسها وعوضع اتوضوء منها».

أقول: الأصل في غسل الموتى أن يغسل على غسل الأحياء، لأنه هو الذي كان يستعمله في حياته وهو الذي يستعمله لقائهم في أنفسهم، فلا شيء في تكويه الميت مثله، وإنما أمر بالسدر وزيادة الغسلات لأن المرض مظنة الأوساخ والرياح المستكة، وإنما أمر بالكافور في الآخرة لأن من خاصيته ألا يسرع التغيير فيما استعمل، ويقال: من فواته أنه لا يقرب منه حيوان مؤذ. وإنما يدعى بالبياس تيمناً بغسل الموتى بمثرة غسل الأحياء، وليحصل إكرام هذه الأضواء، وإنما جرت الشفة في الشهيد ألا يغسل ويدفن في ثيابه ودمائه تنويهاً بما فعل، وليمثل صموده عمله بدئي الرأي، ولأن النفوس البشرية إذا غارت لجأها بقاء، حساسة عالمة بأنفسها، ويكون بعض مدرك لما يفعل بها، فإذا أقبى أثر عمل مثل هذا⁽⁴⁾ كان زعامة في تذكر العمل وتمثله عندها، وهذا قوله ﷺ: «جودهم تسمى الخوف لون دم والريح ريح حسنة». وريح في الشرع أيضاً: «كفّنوه في ثوبيه، ولا تفسدوه بطيب، ولا تشمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»، عوجب السحير إليه.

(1) أي حركه.

(2) تعالى «في الميتين» واخلفه في علمه في القلوب، واغفر لنا وله ما رب العالمين، وأصح له في قبره ومزور له فيه.

(3) أي تزين.

(4) أي تشبهه.

ولي هذه النكتة أشار النبي ﷺ بقوله: «أصبحت يبعث في ثيبي اثني يموت قبها»^(١).
و الأساس في التكفير الشبه بحال العالم المحتسب بنبوه، كعنه في أمر حل إله وقبض
ومصلحة أو حنة، وفي المرافقة هذه مع زيادة، لأنه بإسبها زيادة المستر
قوله ﷺ: «لا تغفلوا في التكفير»^(٢) فإنه يسب سلباً، وبعده

أراد المدلل من الإفرط والفرط، وألّا تتحسروا عادة الجاهل في الغفلة.

قوله ﷺ: «اصبروا بالجنابة فإنها إلى تك صالحة»^(٣) الحديث

أقول: المسبب في ذلك أن الإجماع مطعون فاد جنة نيب وقضى الأولياء. منهم من ما
وأما الميت اشتدّت مؤبدتهم، وإذا غاب عنهم اشتدوا عنه، وقد أشار النبي ﷺ إلى كلا
الدين في كلمة واحدة حيث قال: «لا يبعثي حقيقة مسلم أن تحبس بين شهرتي أهله»^(٤)
قوله عليه السلام: «فإن كانت صالحة»^(٥) إلخ.

أقول: هذا عندما محمول على حقيقة، وبعض نفوس إذا دارت أحسادها تحسب بما
يفعل بجسدها، وتكلم بكلام روحاني، إما بينهم من الترشيع عبر النفوس دون المتألف
حد الناس من الاستماع بالأذن، وذلك قوله ﷺ: «إلا الإنسان».

قوله ﷺ: «من أتى جنازة مسلم إيماناً وحسناً»^(٦) إلخ.

أقول: المسر في شرع الاتماع إكرام الميت وخبر فلوب الأولياء ولكون قريباً إلى
اجتماع أمة صالحة من المؤمنين للنداء له وإعزاضاً له الأولياء في الدفون، وأما
رغب في الوقوف لها إلى أن يفرغ من الدفن، ونهى عن التعمود حتى توضع.

قوله ﷺ: «إن الموت فزع، فإذا رأيت الجنابة تقوموا».

أقول: لما كان ذكر هذه الذات والاعتدال من المرام من جوار الإخوان مطلوباً، وقد
أمرأ غنياً لا يفرى العمل به من شارك له، فخط بالقلم بهاء، ولكنه ﷺ لم يرم عليه ولم
يقن سنة قائمة، وفيه منسوخ، وعلى هذا فأنس في السج أنه كان أمن الحاشية فعلنون
أنعاًلأ مشابهة بالقيام، فخلص أن يحسن ذلك على غير محمده، فربح من المصروعة،
والله أعلم.

(١) أي لا تقروا شئاً إلا لا تغفلوا فيه.

(٢) قوله: «ففي القوم» أي، «ولا تدس» ذلك فسر ففهموه من قبلكم.

(٣) والحديث يشبهه هكذا، «إذا وضعت الجنابة فامسكها فربما فإن كانت مسافة قلت، فموتني، وإن كانت
غير مسافة قلت لأهلها يا ويلها إن أذعنوا بها» يروى صحيحاً كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان
الصوت».

(٤) قوله: «وكان معها حتى يُغسلني» أي، «ويخرج من ثيابي قوله» يرجع عن الأجر بغيره» إلخ.

وإنما شُرعت الصلاة على الميت لأن اجتماع أمة من المؤمنين شائعين للميت له تأثير
يبلغ في نزول الرحمة عليه.

وصفة الصلاة عليه أن يقوم الإمام بحيث يكون الميت بينه وبين القبلة، ويصطفى الناس
خلفه، ويكبر أربع تكبيرات يدعو فيها للميت ثم يسلم. وهذا ما تقرر في زمان عمر رضي الله
عنه وافترق عليه جماهير الصحابة وتمز بعدهم، وإن كانت الأحاديث متخالفة في الباب.
ومن السنة قراءة فاتحة الكتاب لأنها خير الأدعية واجمعها، علمها الله تعالى عباده
في محكم كتابه.

ومما حُفظ من دعاء النبي ﷺ على الميت: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهنا وغائبنا،
وصغيرنا وكبيرنا، ونكرنا وأنثنا، اللهم من نسيت منا غلمية على الإسلام، ومن توفيت منا
فتوة على الإيمان، اللهم لا تضرنا قبره ولا تفتننا بعده». و: «اللهم إن فلان ابن فلان لم
يمكك وحبل جوارله، فتو من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم اغفر له
وارحمه إنه أنت الغفور الرحيم». و: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكثِرْ ثَوَلَهُ
وسمِّ مَقَلَهُ وانسله بالعلاء والنج والبرز ونَقُوْهُ من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس
وتبعله نارا خيرا من ناره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته، واغسله الجنة ولعله من
عذاب القبر ومن عذاب النار». وفي رواية: «وَيُؤْتِي شَفْعَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ».

قوله ﷺ: «إن هذه القبور معلومة ظلمة على أهلها، وإن الله يخرها لهم يسلاشي». و
قوله ﷺ: «ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعين رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا
شفعهم الله فيه». وفي رواية: «يسلّي عليه أمة من المسلمين يلبون مائة».

أقول: لما كان المؤثر هو الدعاء ممن له يال عند الله، ليقرب دعاءه الحبيب ويؤيد
لنزول الرحمة، بمنزلة الاستسقاء، وجب أن يرغب في أحد الأمرين أن يكون من نفس
عالية تعد أمة من الناس، أو جماعة عظيمة.

قوله ﷺ: «هذا اثني عشر عليه خيرا» وجبت له الجنة. (الحديث (1)).

أقول: إن الله تعالى إذا أحب عبداً أحبه الملا الأعلى، ثم ينزل القبول في الملا
السافل، ثم إلى الصالحين من الناس، وإذا أبغض عبداً أبغضه كذا لك. فمن شهد له
جماعة من صالحى المسلمين بالخير من صميم قلوبهم من غير رياء ولا موافاة حادة فإنه آية
كونه ناجيا، وإذا أشوا عليه شرا فإنه آية كونه هالكا، ومضى قوله ﷺ: «لنتم شهداء الله في
الأرض، أنهم يورد الإكهام وتراجمة الغيب».

قوله ﷺ: «لا تصيوا الأموات فإلهم قد شهدوا إلى ما تصموا».

(1) الله ﷻ لما مر عليه جنازة فالتوا عليه وفي كثره: «لنتم شهداء الله في الأرض».

أقول: لما كان سبب الأمور سبب غيظ لأحياء وتأديبهم، ولا فائدة فيه، وإن كثيراً من الناس لا يعلم حالهم إلا الله، نُهي عنهُ. وقد بين النبي ﷺ هذا السبب في قصة سبب جاهلي وغضب العباس لأجله^(١).

وهل يُمتنى أمام الجائزة أو خلفها، وهل يحملها أربعة أو اثنا، وهل يُسأل من قبل رجله أو من القبلة؟ المختار أن الكل واسع، وأنه قد صح في الكل حديث أو أثر. قوله ﷺ: «اطلقت لنا والشق لقيوننا».

أقول: ذلك لأن اللحد أقرب من إكرام الميت، وإهالة التراب على وجهه من غير ضرورة سوء أدب.

وإنما بُنيت النبي ﷺ علياً رضي الله عنه ألا يدع شيئاً إلا طمته، ولا قبراً تُسرفاً^(٢) إلا سؤاء، ونهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يُفعد عليه، وقال: «لا تصلوا فيها، لأن ذلك قديمة أن يتخذها الناس معبوتاً، وأن يُفترطوا في تعظيمها بما ليس بحق، فيُحرموا دينهم كما فعل أهل الكتاب»، وهو قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». ومعنى أن يُفعد عليه، قيل: أن يلازمه المزورون، وقيل: أن يظفوا القبور. وعلى هذا فالجص لأكرام الميت، فالحنن التوسط بين التمثيل الذي يقارب الشرك، وبين الإهانة وترك المولاة به.

ولما كان الكرام على الميت والحرز عليه طيبة لا يستطعون أن يفكروا منها لم يجز أن يكلفوا بشركه. كيف وهو ناشئ من رقة الجنسية، وهي محمودة، لتوقف تألف أهل المدينة فيما بينهم عليها، ولأنها مقتضى سلامة مزاج الإنسان؟ وهو قوله ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الوحدا».

قوله ﷺ: «من الله لا يعذب بهم العين ولا يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا» وأشار إلى لسانه «لو يرحم». قوله ﷺ: «ليس منا من شرب الخنود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»، السر فيه أن ذلك سبب تهريج القوم، وإنما المصائب بالكل بمنزلة المريض يطالع ليخفف مرضه، ولا ينبغي أن يسحق في تصاعف وجهه، وكذلك المصائب بشغل عما يجده، ولا ينبغي أن يغوص بنفسه. وأيضاً ففعل هيجان القتل يكون سبباً لعدم أرغاه بالقضاء، وأيضاً فكان أهل الجاهلية يراؤون الناس بإظهار التضعف، وتلك عادة خيثة ضارة، فَنُهي عنها.

(١) والفتنة أن رجلاً راح في بني العباس الذي كان في الجاهلية، للطمع الجاهل، فجاء فومه فقالوا: تَكْفَنُهُ كما لطمه، فاجلسوا الصلاح، فبأن ذلك النبي ﷺ لم يجد المنبر عالاً: «أيها الناس، أي أهل الأرض تعلمون تكريم علي لله عز وجل؟» قالوا: نعم، قال: «الحق ليس مني وأنا منه، لا سموا حوثلاً فقولوا ليوحدا، فجاء فقوم فقالوا: يا رسول الله نعوذ بالله من غضبك المستغفر لك».

(٢) أي: مرتفعة.

وقوله ﷺ في الثالثة: «تقام يوم القيامة وعليها سدرا»^(١) من قتلوا ونزع من جوب». أقول: إنه كان ذلك لأنه أحاطت بها الخطئة، فجوزت بسنن الخطيئة تنأ محيطاً مجيدها، وإنما تقام شهيراً، أو لأنها كانت قائمة عند النجاسة.

قوله ﷺ: «أربع في لمشي من أمر الجاهلية لا يتركونها...» الحديث^(٢).

أقول: إنما تنظر النسيخة أنهم لا يتركون لأن ذلك مقتضى إفراط الطبيعة البشرية منزلة الشجرة، فإن النورس لها تبه يظهر في الأسباب وأنفة بالأموات تستدعي التباحة، وزاهد بؤدي إلى الاستقاء بالجوم، ولذلك لن ترى أمة من البشر من عربهم وعجمهم إلا وهذه سنة فيهم.

وقوله ﷺ في النساء يتبع الحنارة: «لوجعن مازوك غير ملحوظات». أقول: إنما يجرى عن ذلك لأن حقهم من ميثقة النسيب والنباح وعدم العسر وانكشاف العورات.

قوله ﷺ: «لا يعرف غسل ثلاثة من كولد، فيلج النار». أقول: ذلك لجهاد نفسه بالاحساب، وسعاده ذكرامه فراجع.

قوله ﷺ: «من عرى مسلماً فله مثل أجره».

أقول: ذلك لسببين: أحدهما أن الحانسر يرى رفة احصاب، وثانيهما أن عالم المثال مباد على مظهر الدماغي المتضاربة، ففي منزلة التكللى صورة الكل، فجوزي شبه جزائه.

قوله ﷺ: «اصنعوا لأن جعفر طمعاً، فقد اتاهم ما يشغلهم».

أقول: هذا نهاية الشفقة بأهل النسبة وحققهم من أن يتضرروا بالهوى.

قوله ﷺ: «تبيتكم عن زيارة القبور فزوروها».

أقول: كان نهي عنها لأنها تفتح باب الحياة لها، فلما استقرت الأصول الإسلامية، وأعطيت نفوسهم على تحريم العبادة لعباد الله، فإن فيها، وجلل التمييز بأن داندته عطية، وهي أنها تدرك الموت، وأنها سبب صاحب للاعتبار بتقلب الدنيا.

ومن دعاء الزائر لأهل القبور: «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العاقبة»، وفي رواية: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، وأنتم سلفنا ونحن بالآثر». والله أعلم.

(١) أي تسمى، وانظران: عبارة الأبهل.

(٢) نسخة: «الفخر في الاحساب، والفخر في الاحساب والاستقاء بالجوم، والنباح... إلخ».



اعلم أن عمدة ما روعي في الزكاة مصلحتان:

مصلحة ترجع إلى تهذيب النفس، وهي أنها أخضرت الشَّجَّ، ونشج أريج الأخلاق خبزاً بها في المعاد، ومن كان شحيحاً فإنه إذا مات بقي قلبه متعلقاً بالمال، وغدب بذلك، ومن نمرق بالزكاة وأزول الشَّجَّ من نفسه كان ذلك نافعاً له. وأنفع الأخلاق في المعاد بعد الإحسان لله تعالى هو سخاؤه بنفسه، فكيف أن الإحسان يُعدُّ لنفسه حيث النطلع إلى الجبروت، فكذلك السخاؤه يُعدُّ لها البراءة من الهيئات الخفية النورية، وذلك لأن أصل السخاؤه فهو التملكية للبهيمية، وأن تكون الملكية هي العالبة وتكون البهيمية منصبة بصفتها آخذة حكمها، ومن التبهت عليها بذل المال مع الحاجة إليه، والعفو عن قلم، والصبر على الشدائد في الكربات، يأنَّ يهون عليه ألم الدنيا لإيلافه بالآخرة، فأمر النبي ﷺ بكل ذلك. واضبط أعضه^(١) - وهو بذلك الحال^(٢) - بحدوده، ومُرنت^(٣) بانصلاص والإيمان في مواضع كثيرة من القرآن، وقال تعالى عن أهل النار:

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ وَكُنَّا عَمَلًا صَالِحًا وَكُنَّا غُرُورًا ۖ نَحْنُ لَقَائِبِينَ ۖ﴾

[المعمر: ٤٥ - ٤٦].

وأيضاً فإنه إذا عنت للمسكين حاجة شديدة، وانقضى تلميز الله أن يسدَّ خلته بأن يلهو الإنفاق عليه في قلب وجل فكان هو ذلك، انبسط قلبه للإلهام، وتحقق له بذلك الشرح وروحاني، وصار مُخلداً لرحمة الله تعالى نافعاً جداً في تهذيب نفسه، وإلهمه التجملي المتوجه إلى الناس في الشرائع نحو الإلهام التفصيلي في فوائده. وأيضاً فالعزاج السليم مجبول على رقة الجنسية، وهذه خميلة عليها يتوقف أكثر الأخلاق النرجعة إلى حُسن التعامل مع الناس، فمن فقدوها ففيه ثلمة يجب عليه سدّها، وأيضاً فإن الصدقات تكفر الخطيئات، وتزيد في البركات على ما يتنا فيها سبز.

(١) أي: عدد أعضه.

(٢) مد بدل أصل. من أهتم التماسك لخدمة صلاة قصر به.

(٣) أي: مرنت.

ومصلحة ترجع إلى المدينة، وهي أنه تجب لا بحالة الضعفاء وذوي الحاجة،
وذلك الحوادث تحدث عن قوم وثروح عن آخرين، ولو لم تكن لستة بينهم موازنة الفقراء
وأهل الحاجات يهلكوا، ماتوا جوعاً. وأيضاً نظام المدينة يتوقف على مال يكون به قوام
ومعونة الخائفين^(١) الذين عليها والتفويرون^(٢) تستعين لها. ولما كان عاملين للمدينة عملاً
نافعاً مشغولين به عن كسب ثقلهم، وحب أن يكون قوام مبعثهم عليه. والإنعادت
المشتركة لا تنهي على من لا لا يقدر عليها بعضهم، فوجب أن تكون حيازة الأمور من
الرجعة^(٣) كـ

والعالم يمكن فهم ولا أوفق بالمصلحة من أن تجعل إحدى المصلحتين مضمومة
بالأخرى أدخل الشرع إحداهما في الأخرى.

ثم سبب الحاجة إلى تمييز مقادير الزكاة، إذ لا التفرقة المفرط والمعتدل ولا العسفي
المعتدلي ويجب أن تكون غير سيرة لا يحدون به بالأمر، ولا تنجس^(٤) من بخلهم، ولا تخيلة
بمسر عليهم أداؤه، وإلى تعيين لستة التي تجب فيها الزكوات، ويجب ألا تكون قصيرة
تُخرج دوراتها فتمسر إقامتها فيها، وألا تكون صعبة لا تجب من بخلهم. ولا تُفرض على
الضعفاء والضعفة إلا بعد انتظار شديد ولا أوفق بالمصلحة من أن يجعل الغنائم في
النجارية من اعتاده الناس في جارية المأونة^(٥) الأمارة من وحايهم، لأن التكليف بما اعتاده
العرب والعجم، وسام كالصوري الذي لا يحدود في صدورهم حرماً منه، التسلم الذي
أوجب الأئمة^(٦) عنه الكلفة أقرب من إحياء القدي وأوفق للرجعة بهم.

والأموال التي اعتادهوا طوئف تملوك الصالحين من أهل الأقاليم الصالحة، وهو
غير حق عليهم وقد اعتادها العقول بالقبول، أوجب

الأول: أن تؤخذ من حواشي الأموال العامة، فإنها أخرج للأموال إلى الناس عنها،
لأن النسوة لا يتم إلا ما عرده خارج البلاد. ولأن يخرج الزكاة أخف عليهم لما يرون من
الزبد كل حين، فيكون الخدم خاضعين.

والأموال العامة ثلاثة: أموال الماشية المتداولة القائمة، والبروج، والتجارة.

والثاني: أن تؤخذ من أهل الثروة^(٧) والكون، لأنهم أخرج الناس إلى حفظ المال
من الشرائع وفشاع الطريق، وعليهم إجماعات لا يمسر عليهم أن تدخل الزكاة في
نصائهم^(٨)

(١) في كلفته. (٢) من السوء يسمى لكثرة أي لا تعيد

(٣) أي أموال (٤) أي يفسد

والثالث: أن تؤخذ من الأموال النافعة التي يتألفها الناس من غير تعب، كدنانير الجاهلية وجواهر المعادين؛ فإنها بمنزلة السجان يخف عليهم الإتفاق منه.

والرابع: أن تلزم ضرائب على رؤوس النكاسين فإلزام عامة الناس وأكثرهم، وإذا جُيئ من كل منهم شيء، يبرر كان خفيفاً عليهم عظيم الخطر في نفسه.

ولما كان دوران التجارات من البلدان الثابتة وحصاد الزروع وجبي الثمرات في كل سنة - وهي أعظم أنواع الرزقة - نُقِلَ الخوَلُ لها، ولأنها تسمح قصوراً مختلفة الطابع، وهي نِظْمَةُ النعماء، وهي مدَّة صالحة لثبث هذه التقديرات.

والأسهل والأوفى بالمصلحة ألا تُجَمَّل الرزقة إلا من جنس تلك الأموال، فتؤخذ من كل صرفة^(١) من الإبل ناقعة، ومن كل قطيع من البقر بقرة، ومن كل ثلة من الغنم ثاة مثلاً ثم وحب أن يعرف كل واحد من هذه النسلان والقسمة والاستغناء لينتخه قنك فورية إلى معرفة الحدود المجتمعة النافعة، فالماشية في أكثر البلدان الإبل والبقر والغنم، ويجمعها اسم الأنعام، وأما الخيل فلا تكثر صرمها ولا تشمل نسلًا وأفرأ إلا في أقطار يسيرة كتركستان والزروع عبارة عن الأقوات، والثمار الباقية سنة كاملة وما دون ذلك تسمى بالخضروات، والتجارة عبارة عن أن يشتري شيئاً يريد أن يبيع فيه، إذ من ملك بهيمة أو ميراث وانفق أن ماعه فربح لا يُسَمَّى تاجراً. وأكثر عبارة عن مقدار كثير من النعيب والفضة محفورة مدة طويلة، ومثل عشرة دراهم وعشرين درهماً لا يُسَمَّى كثيراً وإن بقي سنين، وسائر الأشعة لا تسمى كثيراً وإن قُفِرَتْ، والذي يقدو ويروج ولا يكون مستغنياً لا يسمى كثيراً.

فهذه المفدمات تجري مجرى الأصول المسلمة في باب الزكاة. ثم أراد النبي ﷺ أن يقيط الميهم بها بحدود معروفة عند العرب مستعملة عندهم في كل باب.

❁ فضل الإنفاق وكراهية الإمساك ❁

ثم مشت الحاجة إلى بياد فضائل الإنفاق والترغيب فيه، ليكون برغبة وسخاوة نفس، وهي روح الزكاة أيضاً قوام المصلحة الراحمة إلى تهذيب النفس، وإلى بياد مساوئ الإمساك والترهيب فيه، إذ الشح هو مبدأ تخريب مانع الزكاة، وذلك:

إما في الدنيا وهو قول السلك: **«لهم أعط مختلفاً خلفاً، والآخر: اللهم أعط ممسكاً ثلثاً»**.

(١) أي حصة.

قوله ﷺ: «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبله من قبلكم...» الحديث^(١)، وقوله ﷺ: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب» وقوله ﷺ: «إن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» وقوله ﷺ: «فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصالحها...» الحديث^(٢)

أقول: سر ذلك كله أن دعوة المال الأعلى في إصلاح حال بني آدم والمصلحة بمن يسعى في إصلاح المصلحة أو في تهذيب نفسه تنصرف إلى هذا المقصود، فتورث تلقى علوم أعمال السائل وبني آدم أن يحسنوا إليه، ويكون سبباً لمعفرة خطاياهم. ومعنى «يقبلها» أن تعمل صورة العمل في المثال منسوبة إلى صاحبها، فنسب^(٣) مالك بدعوات المال لأعلى ورحمة الله به.

أو في الأحرف: وهو قوله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة شفتت له شفتان...» الحديث^(٤)، وقوله ﷺ: «مثل له شجاعاً أقرع»^(٥)، وقوله ﷺ: في الإبل والبحر واسم قريباً من ذلك^(٦).

القول: السبب الباعث على كون جزاء مانع الزكاة على هذه الصفة شيان: أحدهما أصل، والثاني كالمؤكد له، وذلك أنه كما أن الصورة تدعية تجلب صورة أخرى، كسلفة أحاديث النص الجالب بعضها بعضاً، وكما أن حضور صورة متضائف في الذهن يستدعي حضور صورة متضائف آخر، كالنوة والأبرق، وكما أن امتلاء أوعية النسي به وثوراء بخاره في الثرى الفكرية يهز النفس لمشاهدة صور انبساط في المحلم، وكما أن امتلاء الأوعية بخار طليمان يهيج في النفس صور الأشياء المؤنبة الهائلة، كقول مثلًا، فكذلك المدارك تقتضي طبيعتها إذا أقيمت قوة مثابة على النفس أن يتمثل بجلها بالأمران ظاهراً سابغاً، وأن يجنب ذلك تمثّل ما يخل به وتماشي في حفظه وامتلات قوه الفكرية به أيضاً ظاهراً سابغاً، يتألم منه حسباً جرت سنة الله أن يتألم منها بذلك، فمن الذهب والفضة الكي، ومن الإبل النوطه والعض، وعلى هذا التماس.

وبما كان المال لأعلى علموا ذلك، واتعقد فيه وجوب الزكاة عليهم، وتمثل عندهم تأدي النفوس الشرية بها - كان ذلك مُمِعاً لتضياع هذه الصورة في موطن الحشر. والفرق بين تشبه شجاعاً وتشبه صفائح: أن الأول فيما يطلب عليه حب المال إجمالاً،

(١) سيأتي تشابه فيما يلي.

(٢) والحديث بنسبه هكذا: «من تصدق بعدل تم من كسبه طيب» ولا يقول الله إلا القريب، قال لا يقبلها بيمينه ثم يربيها لصالحها كد يربي احكم مؤه حتى تكون مثل عمله.

(٣) أي: تتم الصلة.

(٤) رواه البخاري، وقد مر من قبل.

(٥) رواه مسلم في حديث طويل.

(٦) رواه مالك في حديث مسلم.

فمثل في نفسه صورة السائل شيئاً واحداً وتمثل بإحاطتها بالنفس فتقوفاً وتأذي النفس بها
يلج الحجة ابتداءً في الم الم اقصر الغايات، والثاني فيما يغلب عليه حب الدواهم والتأخير
مأمونها ويقعني في حيزها وتمثل نواة لفكرية بعسورها فتعش تلك الصور كاملة تامة
مؤلمة

قوله **يحيى** والسخي فوير من الله قروب من اجدة قروب من الناس بعيد من الناس
والخير بعيد من الله بعد من حنة بعد من الناس قروب من القرب ولجأه سخي أحب إلى الله
من عابد يتخل

أقول: مراد من الله تعالى كونه مستعلاً لمعرفة وكشف الحجاب عنه، وقربه من الحق
أن يكون مستعلاً بطرح الهوات الخسيسة التي ساهي الملكية لتكون البهية الحاملة لها ملون
المسكنية، وقربه من الناس أن يحبوه ولا يبالشوء لأن أصل العاشقة هو الشح، وهو
قوله **يحيى**، إن الشح أهك من كل فلكم، منهم منى لن يسفكو معافهم ويستحلوا
معارهم، وإنما كان لجأه السخي أحب من العبد الجدل لأن الطبيعة إذا سمعت بشيء
كان آثم وأوفر مما يكون بالقصر.

قوله **يحيى**، مثال للجذل والمقتضى كمثل رجلين عليهما جنتان (١) الحديث (٢).

أقول: فيه إشارة إلى حقيقة الإغناق والإمساك وروحهما، وذلك أن الإنسان إذا
أعادت به مقتضيات الإغناق وأراد أن يفعله يحصل له - إن كان سخي فتنفس شحها -
فشرائح روحاني ومونة على الحال، ويشش السدل بين مده حقيراً ذليلاً يكون نفسه عنه
عقياً، بل يسريخ بذلك، وذلك الخصلة هي العدة في نفس النفس العاشقة، واليهيات
الحسة البهية المتضعة فيه وإن كان شحيحاً فحست نفسه في حب الحال، وتشر بين
عنه حله، وهذا فيه فم يستطع منه محبته، وذلك الخصلة هي العدة في لجاج نفس
باليهيات القلبي واشتائها بها، ومن هذا التحلق ينبغي أن تعلم معنى قوله **يحيى**، ولا يتخل
العدة خذ (٣) ولا يخي ولا ملان.

وقوله **يحيى**، لا يجمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً، قوله **يحيى**، للحنه ايوب
شافية، فمن كان من أهل الصلاة... الحديث (٤)

(١) كما هو من

(٢) تنص من حيث قد استلزم لونه إلى قولها وفراها، فمن مقتضى كلامه تدفق بمعية ليلست
منه ومن الفضل كما هم بسطة فتشع وأمن ثم حلقه عكاه.

(٣) أي عداً تعاد.

(٤) ... من رب الله لا، ومن كن من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كل من أهل لصفة
دعي من باب السفة ومن كل من أهل لصفة دعي من باب الجهاد ... الخ.

أقول: اعلم أن الجنة حقيقة راحة النفس بما يترشح عليها من فوقها من الرضا والتمائق والطمانينة، وهو قوله تعالى:

﴿فَمَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمْ يَبْخُلْ﴾ [ال عمران: الآية 75]

وقوله تعالى في قصتها :

﴿إِن الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ قَبْلُهَا فَلَمَّا جَاءَهَا ذِكْرُهَا وَقِيلَ لَهُمْ اذْكُرُوا مَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرَ وَقِيلَ لَهُمْ اذْكُرُوا مَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرَ﴾ [١٦٥]

وضريق خروج النفس إليها من ظلمات البهيمية إنما يكون من انطلق الذي ثبتت النفس على ظهور الملكية وانقهار البهيمية فيه. فمن الضروس من تكون مجبولة على قوة الملكية في خلق الخشوع والظهارة، ومن خاصيتها أن تكون ذات حظ عظيم من الصلاة، أو في خلق الساحة، ومن خاصيتها أن تكون ذات حظ عظيم من الصدقات والخير عن ظلم وغش الجناح للمؤمنين مع كبر النفس، أو في خلق الشجاعة، فينبعث لتبوير الحق لإصلاح عباده فيها، فيكون أول ما يمتزج النفس به هو الشجاعة، فتكون ذات حظ عظيم من الجهاد، أو أن يكون من الأمن المتجاذبة، فيهدى لها إلهام أو تجربة على نفسها أو كسر البهيمية بالصوم والاعتكاف مثلاً لها من ظلماتها، فيلقى ذلك بسمع قلوب وجهاد من يسبح لله، فجازى جزاء. وغافاً بالريان.

فهذه هي الأبواب التي صرح بها النبي ﷺ في هذا الحديث، وشبه أن يكون منها باب العلماء الراسخين، وباب أهل التلايا والمصابي والفقراء، وباب العدة، وهو قوله ﷺ في وسبعة يظلهم الله في ظله: إمام عادل، وآيته أن يكون عظيم الأسمي في التأليف بين الناس، وباب التوكل، وترك الطيرة... إلخ. وفي كل باب من هذه الأبواب أحداث كثيرة مشهورة.

وبالجملة: فعند أعظم أبواب خروج النفس إلى رحمة الله، ويجب في حكمة الله أن يكون الجنة التي خلقها الله لعباده أيضاً ثمانية أبواب بإزائها، والتكامل من السابقين يفتح عليهم الإحسان من بابين وثلاثة وأربعة، فليدعون بسم القاسم منها، وقد وعد بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(١) ومعنى قوله **لَا تَقْرَأُ** «من تلقا زوجين» انجلبت^(٢) أنه يلحق من بعض أبوابها. إنما خصه بالذكر زيادة لاهتمامه.

(٢٠) كما في آخر البيت لثقي مر من قبح

(3) هو قوله العنيت الذي هو قنفاً. وقيل له: من شيء من الاشياء لم يـ سبيل الله وحي من لولب الجنة.

قال النبي ﷺ: «ليس فيما بين خمسة لوسق من تمر صنفه، وليس فيما بين خمس لواق⁽¹⁾ من ورق صنفه، وليس فيما بين خمس ثوب من الإبل صنفه».

أقول: إنما قلنا من التمر خمسة لوسق لأنها تكفي أهل بيت إلى سنة، وذلك لأن أهل بيت الزوج والوجة وثالث خادم أو ولد بينهما وما يضام ذلك من أهل البيت، وغالب قوت الإنسان وظل أو مد من الطعام، فإذا أكل كل واحد من هؤلاء ذلك المقدار كفاهم لسنة وبقيت بقية ثوبهم أو إدامهم، وإنما قلنا من الورق خمس لواق لأنها مقدار يكفي أهل بيت سنة كاملة إذا كانت الأسعار موافقة في أكثر الأقطار، واستغنى عن غلات البلاد المختلفة في الرخص والغلاء تجدد ذلك، وإما قدر من الإبل خمس ذود وجعل زكاته شاة - وإن كان الأصل ألا تؤخذ الزكاة إلا من جنس المال وأن يجعل النصاب عدداً له بال - لأن الإبل أعظم السراشي جنة وأكثرها فائدة، يمكن أن تُدبج وفركت وتُحلب وتُطبخ منها النسل ويستندأ بأرواها وجلودها، وكان بعضهم يفتي نجائب قليلة تكفي كفاية الصرمة، وكان البحر يُستوى من ذلك الزمان بعشر شياه، وثمان شياه، والنسي عشرة شاة، كما ورد في كثير من الأحاديث، فجعل خمس ذود في حكم أدنى نصاب من الغنم، وجعل فيها شاة.

قوله ﷺ: «ليس على المسلم صنفه في عبده ولا في قومه».

أقول: ذلك لأنه لم تنجر العادة بإقتناء الرقيق للتسائل، وكذا الخيل في كثير من الأقاليم لا تكثر كثرة يُغنى بها في جنب الأنعام، فلم يكرها من الأسوال النامية، اللهم إلا باعتبار التجارة.

وقد استفاض من رواية⁽²⁾ أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعمر بن حزم، وغيرهم رضي الله عنهم، بن صار متواتراً بين المسلمين أن زكاة الإبل: في كل خمس شاة، فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيه بنت مخاض⁽³⁾، وإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيه بنت لبون،

(1) الاواق: جمع لوقية وهي أربعين درهماً وهي لوقية العجل والعل مكة ولوسق جمع وسق وهي ستون صاعاً والصناع أربعة أشد والقد وظل والقد من الإبل ما بين اثنين إلى تسع، وقيل: ما بين ثلاث إلى عشر.

(2) كما رواه أبو ذؤيب من قص في حديث طويل.

(3) هي التي سقطت في السنة الأولى. وبنت اللبن هي التي سقطت في السنة الثانية. ولحقة هي: الناقة في الرابعة، والبنقة هي: الناقة في الخامسة.

فإذا بلغت سناً وأربعين إلى ستين ففيها حقة، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها حدة، فإذا بلغت سناً وسبعين إلى تسعين ففيها بنت لئون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة.

أقول: الأصل في ذلك أنه إذا أراد توزيع التوق على الصرم، فجعل الناقصة الصخرة الصخرة العارية، والكبيرة للكبيرة رعاية للإحسان، ووجد الصخرة لا تنطلق في عرفهم إلا على أكثر من عشرين فتضيف خمس وعشرين، ثم جعل في كل عشرة زيادة سن من الأسان المرغوب فيها عند العرب غاية الرخذ، فجعل زيادتها في كل خمسة عشر.

وقد استفاض من روايتهم أيضاً في زكاة النعم أنه إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة ففيها شاة، فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين ففيها شاتان، فإذا زادت مئتي مائتين إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة.

أقول: الأصل فيه أن ثمة من شياه تكون كثيرة، وثمة منها تكون قليلة، ولا اختلاف فيها يتفاخر لأنها سهل اقتضاها، وكل يقتضي بحسب انيسه، فصيصة التي في أقل ثمة بأربعين، وأعظم ثمة ثلاث أربعينات، ثم جعل في كل مائة شاة تيسيراً في الحساب.

وصح من حديث معاذ رضي الله عنه في لغرمي كل ثلاثين نبع⁽¹⁾ أو لبعه، وفي كل أربعين مسن أو مسنة، وذلك لأنه بمسطة بين الإبل والنشاء وفروجه فيها شبههما.

واستأص أيضاً أن زكاة الرقة ربع العشر، فإن لم يكن إلا تسعون ومائة⁽²⁾ فليس فيها شيء، وذلك لأن الكثور أنقص المال بنصر، وإن زلفاق الشذار الكثير منها، فمن حق زكاته أن تكون أخف الزكوات، واللهب محمود على الغصة، وكان في ذلك الزمان سرفه دينر عشرة دراهم فصار عاشر عشرين مثلاً.

وبما سقت النساء والمعون - أو كان عشرين - أو ثلث، وما شقي بالضعف⁽³⁾ نصف العشر، فإن الذي هو أقل ثباتاً وأكثر ربحاً أحق بزيادة النسبة، والذي هو أكثر ثباتاً وأقل ربحاً أحق بتخفيفها.

قوله **بِحَقِّهِ** في الخمر⁽⁴⁾: دعوا ثلثه، فإن لم تدعوا لثلاث، فدعوا الربع..

(1) فبيع الذي كس عاره نفسه ومثل في الثانية، والمسن ما مضى عليه دوران ومثل في الثالثة. ولقوة القسمة.

(2) أي أقر من مائتي درهم التي هي المصايب في العسنة.

(3) أي الاستسقاء.

(4) الخمرس - هي الكرم والمنزل يتجر الشر عبيها بالحق.

أقول: السرمي مشروعية الخرص دفع الحرج عن أهل المزرعة، فإنهم يريدون أن يأكلوا بسرّاً ورطباً وعنباً وتيناً وتضجأً وعن المصدقين، لأنهم لا يطفون التحفظ عن أهلها إلا بشئ: الأفسر، ولأنما كان الخرص محلّ الشبهة والازدأء من حقها التخفيف، أمر بترك الشئ أو الربيع، والشئ يعد للبيع لا يكون له ميزان إلا القبضة، فوجب أن يحمل على زكاة النقد.

وفي الركاز الخمس، لأنه يشبه الغنيمة من وجه ويشبه المجان فجمعت زكاته خمساً.

فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين. وفي رواية: أو صاعاً من آتظ أو صاعاً من زبيب. وإنما قُدِّر بالصاع لأنه ينسج أهل بيت، فقيه حُتِنَةُ مُعْتَدٌ بها للغفير، ولا ينضّر الإنسان بلفظ هذا القدر غالباً. وحصل في بعض الروايات نصف صاع من قمح على صاع من شعير لأنه كان غالباً في ذلك الزمان لا يأكله إلا أهل التعم ولم يكن من أهل المساكين، يَبْنِي زيد بن أرمث في قصة المارقة، ثم قال علي رضي الله عنه: إذا وسَّع الله فوسَّعوا. وإنما وقت بعيد القطر لعمان: منها أنها تكمل كونه من شمامير الله، وأن فيها طَهْرَةً للصائمين وتكميلاً لصورهم بمنزلة متن الرواتب في الصلاة.

وهل في الحلي زكاة؟ الأحاديث فيه متعارضة، وإطلاق الكنز عليه بعيد، ومعتبر الأكثر حاصل، والخروج من الاختلاف⁽¹⁾ أحوط.

المصارف

الأصل في المصارف أن البلاد على نوعين:

منها ما تخلّص للمسلمين لا بشرهم⁽²⁾ أحد من سائر الملل، ومن حفظها أن يخلف عليها، وهي لا تحتاج إلى جميع رجال وتعب قتال، وكثيراً ما يخرج منها من يباشر الأعمال المشتركة نفقها تصديقاً لما وعد الله من أجر المحسنين، وله كفاف في خويصة ماله، إذ الجماعات الكبيرة من المسلمين لا تخلو من مثل ذلك.

ومنهما ما فيه جماعات من أهل سائر الملل، ومن حفظها أن يشدّ فيها، وذلك قوته تعالى: ﴿أَيُّدُهُ عَلَى الْكَلَامِ رُحْمَةٌ يُخَبِّرُ﴾ [الفتح: الآية 19]. وهي تحتاج إلى جنود كثيرة وأهل قوة، وتحتاج إلى أن يقض على كل عمل نافع من يباشره، ويكون معيشته في بيت المال.

(1) أي: يدا. (2) أي: مسلمين.

(3) أي: يدا. (4) أي: يدا.

تجمل النبي ﷺ لكن من هذين شئاً، وجعل الجباية بحسب انصاره، وسيأتي
مباحث الثاني في كتاب الجهاد.

والبلاد الخاصة بالمسلمين عمدة ما يتلخص فيها من المال نوعان بإزاء نوعين من
المصرف:

نوع هو المال الذي زالت عنه يد مالكه، كـ: ثروة الميت لا وارت له، وضمواك من
الجهنم لا مالك نهاء، ولغظة أخوها أهوان بيت المال وعُرفت فلم يُعرف لمن هي . .
وأما ذلك ومن حقه^(١) أن يصرف إلى المنافع المشتركة مما ليس فيها تمليك لأحد، كـ:
غزوي الأسيار، وبناء القنابر والمساجد، وحفر الآبار والعيون وأمثال ذلك.

ونوع هو صدقات المسلمين تجمعت في بيت المال، ومن حقه أن يصرف إلى ما فيه
تمليك لأحد، وهي ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَكْفُرْ بِالَّذِينَ تَبَعَكَ وَكَانُوا بِكَ مُبَتَلِينَ﴾ [توبة: ١٥] . . .
الآية.

والجملة في ذلك: أن العاجات من هذا النوع وإن كانت كثيرة جداً تكن انعمدة فيها
ثلاثة:

المحتاجون: وقبيلهم الشارع بالفقراء، والمساكين وأبناء السبيل والغارمين في مصلحة
أنفسهم.

والحفظ: وضبطهم بالقزاة والعاملين على الجبايات.

والثالث: مال يصرف إلى دفع الفتن الواقعة بين المسلمين أو المتوقعة عليهم من
غيرهم. وذلك إما أن يكون بمواطاة ضعف السنة في الإسلام بالكفار أو يرد الكافر عما
يريد من المكيدة بالمال، ويجمع ذلك اسم المؤلفة قلوبهم، أو المشاجرات بين المسلمين،
وهو الغارم في حيلة يتحملها.

وكيفية التقييم عندهم وأنه بمن يُبدأ وكم يُعطى؟ مقوض إلى رأي الإمام.

وعن ابن عباس: يُمنح من زكاة ماله ويُمنح في الحج. وعن الحسن مثله، ثم تلا
﴿إِنَّمَا أَتَيْنَاكَ بِشَاكِلَةٍ﴾ . . . الآية: في أيها أعطيت أجزأت. وعن أبيه الأسر: حَقَّقْنَا
النبي ﷺ على إبل الصدقة للحج.

وفي الصحيح: «وَمَا غَدَا قَلْبُكُمْ تَقْلَمُونَ خَالِدًا وَقَدْ احْتَبَسَ لِرَاعِهِ وَاعْتَدَهُ^(٢) فِي سَبِيلِ
اللَّهِ. وَفِيهِ شَبَابٌ».

(١) أي: هذا النوع من المال.

(٢) جمع غدا وهو: ما أعد من السلاح والقبوب وكذا العرب. والمسنود: إنكم تظلمونه بطلب الزكاة من الثمن ما
وقفه. أو يريد: أنه كيف يمنع القرض وقد تطرم بوقف سلاحه.

جواز أن يعطي مكان شيء شيئاً إذا كان أُنْفَع للفقراء، وأن الحبس مجزئاً عن الصدقة. قلت: وعلى هذا فالمصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَكْتَفَتْ﴾ إضائي بالنسبة إلى ما طلبه المناقشون في صرفها فيما يشتهون على ما يقتضيه سياق الآية. والسر في ذلك أن الحاجات غير محصورة، وليس في بيت المال في البلاد الخالصة للمسلمين غير الزكاة كثير مال، فلا بد من توسعة لتكفي نزاجب المدينة، والله أعلم.

قوله ﷺ: «إن هذه الصدقات إنما هي من لوساخ الناس، ولتأها لا تحل لمحمد ولا لأل

محمد».

أقول: إنما كانت أوساخاً لأنها تكثر الخطايا، وتدفع البلاء، وتقع فداء عن العبد في ذلك، فيتسل في مدارك الملأ الأعلى على أنها هي كما يمثل في الصورة اللحية واللغظية والخطبة أنها وجودات للشيء الخارجي الذي جعلت بإزائه، وهذا يسمى عندنا بالوجود التشبيهي، فتترك بعض النفوس العالقة أن فيها⁽¹⁾ ظلمة، وينزل الأمر إلى بعض الأحيان الثالثة، وقد يشاهد أهل المكاشفة تلك الظلمة أيضاً.

وكان سيدي الوالد قُتُس سره يحكي ذلك من نفسه كما قد يكره أهل الصلاح ذكر الرزا وذكر الأعضاء الخبيثة، ويعبرون ذكر الأشياء الجيلة، ويعظمون اسم الله، وأيضاً فإن المال الذي يأخذه الإنسان من غير مبادلة عين أو نفع ولا يراد به احترام وجهه فيه ذلة ومهانة، ويكون لصاحب المال عليه فضل وربة، وهو قوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، فلا جرم أن التكسب بهذا النوع شر وجوه المكاسب لا يليق بالمطهرين والمُنَوَّرين بهم في الملة.

وفي هذا الحكم سر آخر: وهو أنه ﷺ إن أخذها لنفسه وجوز أخذها لخاصته والذين يكون نفعهم بمنزلة نفعه، كان مُطْلَقاً أن يقض المظانن ويقول الفائزون في حقه ما ليس بحق، فأراد أن يسد هذا الباب بالكلية، ويظهر بأن منافعتها راجعة إليهم، وإنما تؤخذ من أخصائهم وترد على قرائهم ورحمة بهم وحداً عليهم وتقرباً لهم من الخير وإيقافاً لهم من الشر.

ولما كانت المسألة تعرضاً للذلة وخوضاً في الوقاحة وقدماً في المروءة شدد النبي ﷺ فيها إلا لضرورة لا يجد من بداء، وأيضاً إذا جرت العادة بها ولم يستكف الناس عنها وصاروا يستكثرون أموالهم بها، كان ذلك سبباً لإهمال الأكماب التي لا بد منها أو تقليلها وتضييقها على أهل الأموال بغير حق، فاختصت الحكمة أن يمثل الاستنكاف منها بين أخصهم لئلا يتقدم عليها أحد إلا عند الاضطراب.

(1) أي الصدقة

قوله ﷺ: «من سأل الغنى لبشرى ماله كان خموشاً في وجهه لو رُضفاً بكله من جهنم»^(١).

أقول: السر فيه أنه يتمثل بألمه مما يأخذ من الناس بصورة ما جرت العادة بأن يحصل الألم بأخذه، كالجمود أو بأكله، كالرصف، وتتمثل ففته في الناس وذهب ماء وجهه بصورة هي أقرب شبه له من الخموش.

وجاء في الرجل الذي أصابته جائحة^(٢) اجتاحت ماله أنه مدّت له المسألة حتى يجد قواماً من عيش.

وجاء في تقدير الخُفّة لمانعة من السؤال أنه أوفيه أو خمسون درهماً.

وجاء أيضاً أنها ما يُتّله أو يُعْش.

وهذه الأحاديث ليست متخالفة عندنا، لأن الناس على منارل شتى، ولكل واحد كسب لا يمكن أن يتحول عنه، أعني الإمكان المأخوذ في المعلوم الباحثة عن سياسة المدن لا المأخوذ في علم تهذيب النفس، فمن كان كاساً - لمعركة فهو معذور حتى يجد آلات الحرفة، ومن كان زارعاً حتى يجد آلات المزرع. ومن كان تاجراً حتى يجد البضاعة، ومن كان على الجهاد مستترفاً بما يروج ويغدر من العائث، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ، فالضابط فيه أوفية أو خمسون درهماً، ومن كان كاسياً يحصل الأثقال في الأسواق أو احتطاب الحطب وبيعها وأمثال ذلك: فالضابط فيه ما يُعْش أو يُعْش.

قوله ﷺ: «لا تُتَجَفَّوا»^(٣) في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج له مسأله مني شيئاً وأنا كاره فيبذره له فيما أصله.

أقول: سره أن النفوس اللاحقة بالملل الأعلى تكون الصورة الذهنية فيها من انكراهية والرضا بمنزلة السجاء المستجاب.

قوله ﷺ: «لن العال يخسر خلقاً ممن أخذ بسبيل نفسه يورث له فيه» ومن أخذ بإشراف نفس لم يترك له فيه، وكل كلذي يأكل ولا يشبع.

أقول: البركة في الشيء على أنواع: أوداهها ضمانته لنفسه به وتلج الصدر، كرجلين عندهما عشرون درهماً، أحدهما مخلى الغمر والآخر مصروف الحاضر عن الخشية غلب

(١) يثري ماله: يكثره والنفوس: هو ما يظهر على العبد من صفاته ما يقشر أو يبرج، والوجه: يفتح فراءه وسكون المساء: المسيرة المسألة، والسر: بالالف: الشروق.

(٢) أي لغة متعبة، ولجائحه استعاست.

(٣) أي لا تسروا.

عليه الرحماء ثم زيادة الضعف، كرجلين مقدار مائتهما واحد، صرفه "لخدمته" إلى ما بعده
ويضعه وأتهم التدبير لصالح في صرفه، والأكثر "ضامه" وأم يقتصد في التدبير.

وهذه البرقة تجلبها هيئة النفس بمنزلة جلب الدعاء.

قوله ﷺ: "من سئل فف بغيره الله" الحديث⁽¹⁾

أقول: هذا إشارة إلى أن هذه الكيفيات النفسانية في تحصيلها أثر حظوه لجميع الهممة
وتأكد العزيمة.

❁ أمور تتعلق بالزكاة ❁

ثم مثل الحاجة إلى وصية لدارس أن:

يؤدوا الصدقة إلى المستحقين بحفاوة نفس، ونبيها قوله ﷺ: "إذا أتاكم المُصَنِّقُ
فليصدروا عنه وهو عنكم راضٍ، وذلك لتحقن المصلحة الرجعة إلى النفس، وأراد أن صد
باب اعتذرهم في المنع بالحوار، وهو قوله ﷺ: "فليُعطوا فلا يفسدهم، وإن ظلموا فليؤدوا،
ولا اختلاف بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: "فمن سئل فف فلا يعطه، إذ الجور
نوعان: نوع أظهر النص حكمه، وفيه: "لا يعطه" ونوع لا لاجتهاد مسأغ ولا طردون
تعارض، وفيه سد باب الاستداز

وبني وصية لخصم أو بعدي في أخذ الصدقة وإن ينفي كرائم أموالهم ولا يُقَلُّ،
ليتحقق الإنصاف وتزول المقاصد.

وسر قوله ﷺ: "هو الذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاءه يوم القيامة ويحذل
على وقبته، إن كان بعدواً له رغباً في الصدقة، يتضح من مراعاة ما بيننا في مانع الزكاة،
وإلى سد مكاييد أهل الأمرار، وفيها لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع، خشية
الصدقة.

قوله ﷺ: "لأن يتصدق لمرء في حيلته بغيرهم خير له من أن يتصدق بماله عند موته"،
وقال ﷺ: "مثل كمثل الذي يهدي إذا شبع"⁽²⁾.

أقول: سرُّه أن إغناي ما لا يحتاج إليه ولا يترفع الحاجة إليه لغيره ليس يعتمد على
مخاطرة يُقَدَّرُ بها.

(1) تلمذ: رمز يستلكن بغيره، ومن ينصير بغيره، وما أعطي لص سلطان هو خير ولو سح من القسم.

(2) لهم صوت

(3) لوف: مثل كذا يتصدق عند موته لم يعتق كذا في "إخ"

ثم إن النبي ﷺ عمد إلى حصاة، مما بقى من إزالة النعل أو نهيب النفس أو نائف
الجماء، فجاءها صفات تنبيهاً على مشاركتها، فصدقت في الثمرات، وهو قوله ﷺ:
«يعدل»⁽¹⁾ بين اثنين صفة، ويعين الرجل على دفته صفة، والكلمة الطيبة صفة، وكل خطوة
يخطوها إلى اتصال صفة، وكل تهليل وتكبيره رئيسية صفة، وأمثال ذلك.

قوله ﷺ: «أيا مسلم كسا مسلماً ثوباً على عُرْي» الحديث⁽²⁾.

أقول: قد ذكرنا مراراً أن الطبيعة المثالية تقتضي ألا يكون تجسد المعاني إلا بصورة
هي أقرب شبه من الصور، وأن الأضمار مثلاً فيه صورة الطعام، ولك عبء بالسمات
وتوافقات وتخل المعاني بصور الأجسام، ومن هناك ينبغي أن نعرف أم رأى النبي ﷺ
وبه المدينة بصورة امرأة سوداء.

ثم كان من الناس من يفرق أهله وأقاربه ويتصلق على الأبعاد، وفيه إهمال من
رعاه أوجب سوء التأخير وترك تألف الجماعة القريبة منه، فسلت الحاجة إلى هذا
الباب، فقال النبي ﷺ: «يشر لتفكته في سبيل الله ويشار تشفقه في رغبة»⁽³⁾
الحديث⁽⁴⁾. ولا اختلاف بين قوله: «خير الصفة ما كان عن ظهر غنى» وإياها بمن تعود
وحديث: قيل: أي تصدقة أفضل؟ قال: «جهت المقول» وإياها بمن تعود. تنزيل كل على
معنى أو جهة. والمضى ليس هو المستطاع عليه، وإنما هو عن النفس أو كفاية الأمر،
أو نقول صدقة الغني أعظم بركة في ماله، وصدقة الفقير أكثر إزالة إبعاده، وهو أعمد
بمؤنه الشرح.

قوله ﷺ: «الخان المصنم الأميز» الحديث⁽⁵⁾.

أقول: ربما يكون نقاد ما وجب إليه ونسب له أن يمتنع عنه أيضاً متفرقاً لسخونة
النفس من جهة طيب الخاطر والتوبة والإلاج الدائم، فلذلك كان متصلاً بعد التصديق
الحقيقي.

ولا اختلاف بين حديث: «إذا اتفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فلها نصف

(1) مبتدأ بتكثير شيء.

(2) تصدق بكسبه قال من خسر الجدة، وإليه مسم الطعام مسلماً على جوع لطعمه ثم من تمل الجدة، وإنما
مدام حتى يمدأ على ظهره لئلا من لحيق المخرم.

(3) أي: من نكحها أو إيتاها.

(4) تصدق: «ويشار تصدق به على مسكن ويشار تشفقه على أهله، أمهمه لبراً الذي لئلا على أهله...
والونه: ومن: أي: من المرأة، مثقته: وقوله: «المقبل: أي: الفقير،

(5) تصدق: «الذي يعني به امرأه كسباً مملواً غيبه به نفس، فبعبه إلى الذي أمر له به بعد التصديق».

الأخر، وبين قوله يجوز في حجة الزواج : لا تحقق امرأة شقيقاً من بيته زوجها إلا بقبضه، قيل
ولا طعام؟ قال: ذلك لخص الميراث، وحديث: فالك سرقة، إن كثر^{١٥} عن آتينا وآتينا
وأزواجنا، فما يحار لنا من أموالهم؟ قال: الرطب شمله ونهسته، لأن الأذن فيها أمة
عموماً أو دلالة ولم يأمر خصوصاً ولا صريحاً، ويكون الزوج لا يبدأ بالقبض قلب بدأت
النسبة اسم ذلك منها، وإنما يجوز التصرف في ماله بما هو معروف عندهم وفيه صلاح
ماله كالرطب لم لم يهده لصد زناج، ولا يجوز في غير ذلك، وإن كثر من الطعام.

قوله يجوز : لا تغد في صدقتك، فإن العتق من صدقة كالك في قبته ..

أقول : صدق ذلك، لأن الله صلى إذا أراد لا يشترط إخراج ماله أو بعضه هو
المصدق، فيكون نقصاً للصدقة في ذلك التقدر، لأن روح الصدقة منى تنقب عن تعلقه
بالمال، وقد كان من قبل ميل إلى الرجوع إليها بمسألة لم تحقق قبل التخص، وأيضاً
فتوفير صورة العن مطلوب، وفي الاستعداد تغش لها، وهو سر كراهية الموت في أرض
خارج منها، والله أعلم.

(١٥) أي نفس، وقوله: لأن كثر، أي: أصبحت كثيرة.

من أبواب الرجوع

ولما كانت البهيمة الشديدة مانعة عن ظهور أحكام الملكية وجب الاعتناء بفهمها، ولما كان سبب شدتها وتراكم طبقاتها وغزورها هو الأكل والشرب والانهماك في الملذات الشهوية، فإنه يفعل ما لا يفعله الأكل الرغدة وجب أن يكون طريق الفهم قليل هذه الأسباب، ولذلك اتفق جميع من يردون ظهور أحكام الملكية على تقليلها وتقصيها مع اختلاف مذاهبهم وتباعد أقطارهم. وأيضاً بالمقصود إضعاف البهيمة للملكية، بأن تنصرف حسب وحيها وتضع بصيغها، وتضع للملكية منها بالآ ثقل ألوانها الثلثية ولا تنطج فيها نفوسها الحسنة كما تنطج نفوس الحاتم في السمعة، ولا سبل إلى ذلك إلا أن تقتضي الملكية شيئاً من ذاتها وتوجه إلى البهيمة وتقرحه عليها، فتقاد لها، ولا تبغي عليها ولا تمنع منها، ثم تقتضي أيضاً، وتقاد هذه أيضاً ثم وتم، حتى تمتد ذلك وتمتد.

وهذه الأشياء التي تقتضيها هذه^(١) من ذاتها وتفسر تلك عليها على رغم أنها إنما تكون من جنس ما به انشراح لاهله ونقباض لشك، وذلك كالتشبه بالملكوت وانطلم للجبروت، فإنها خاصية الملكية بعيدة عنهما البهيمة غاية البعد، أو ترك ما تقتضيه البهيمة وتستهله وتشتاق إليه في غلوائها^(٢) - وهذا هو الصوم.

ولما تم تكن المواظبة على هذه من جمهور الناس ممكنة، مع ما هم فيه من الارتذافات المهمة ومعاقبة الأموال والأزواج، وجب أن يلتزم بعد كل طائفة من الزمان مقدراً يعرف حالة ظهور الملكية وابتهاجها بقتضياتها، ويكثر ما قرط منه قبضها، ويكون مثله كمثل حصان^(٣) جلوفه مربوط بأحية يستن بيميناً وشمالاً، ثم يرجع إلى أمنيته، وهذه مداومة بعد المداومة الحقيقية.

ثم وجب تعيين مقدار لا يقرط أحد يستعمله ما لا يثقله وينجع فيه، أو يقرط

(١) أي: الملكية، وقوله: مثله: أي: لبهيمة.

(٢) أي: ثغورها وعلوؤها عن البعد، وقوله: ومداومة، أي: مداومة.

(٣) هو الحصان الذي لا يجيد المسير بملكه، وقوله: جلوفه، أي: جلوف كعب فحل الطويل، والأحية بهد وتشديد: عود أو حبل يمرض في الحائط ويغتن طوقه تشد فيه الدابة وقوله: يستن: أي: يدعو ويرجع.

مُفَرَّدًا فيستعمل منه ما يؤمن تركانه ويذهب نشاطه ويذهب^(١) نفسه ويؤثره القبر، وإنما الصوم
ترباقي مُشتمل لدفع السموم الضارة مع ما فيه نكاحه بعبادة الخليفة للإنسانية ومصلحتها، فلا
بد من أن يتقدر بقدر الضرورة.

ثم إن ثلثين الأكل والشرب له طريقتان. أحدهما ألا يشترط منهما إلا قداً يسيراً.
والثاني أن تكون المدة المستخلصة بين الأكلات - زائدة على القدر المعتاد

والسعي في الشرائع هو الثاني، لأنه يحفظ وينتفع ويذوق بالفعل مذاق الجوع والعطش،
ولذا في اليهودية حيرة ودهشة رأيت عليها ابتداءً بحسوساً، والأول إنما يصفه - صغافر به ولا
يجد - لأحس بدنه، وأيضاً فإن الأول لا يأتي تحت التشرية العام ولا يجهد، فإن المدعى على
منازل مختلفة حاداً، يأكل الواحد منهم وطلاً والآخر دملين، والذي يحصل به وفاء الأول هو
إجتماع اشائي^(٢) ثم لمدة المستخلصة من الأكلات، فالحرب والنجم وسائر أهل الأمر
تصبحية يتفقدونها فيها، وإسا طعامهم قد - وعشما، ثم أكلة واحدة في اليوم والليل، ويحصل
مطلق الجوع بالكف إلى الليل. ولا يمكن أن يتوهم التمداد تيسر إلى السنين المتكلمين فيذلك
شراً، ليأكل كل واحد منكم ما يظهر به بهيئة، لأن يختلف موضوع التشرية. ومن المثال
الساو. (من استرعى الذئب فقد ظلم)، وإسا يسوع مثل ذلك في الإحتساب.

ثم يجب أن تكون تلك المدة المستخلصة غير مجوفة^(٣) ولا مستأجبة. كتلاوة أيام
بنائها. لأن ذلك خلاف موضوع الشرع. ولا يعنى به جمهور المتكلمين، ويجب أن يكون
الإمساك فيها مذكراً، يحصل التمرن والاعتقاد، ولا فجوع واحد أتى فائدة يفيد من قوي
واشد؟ ويجب أن يذهب في ضبط الانقياد غير المصحف وصف تكرره، إلى مقادير
مستعملة عنهم لا تخفى علم الخامل والنيه والحاصر والبادي، وإلى ما يستعمله أو
يستعمل نظيره مؤاتف عظمى من الناس، فتذهب شهرتها وتليقها شابة الشعب منهم.

وأوجبت هذه الملاحظات أن يعبط الصوم بالإمساك عن الطعام والشراب والجماع
برماً كاملاً إلى شهر كامل، فإن ما دون فيوم هو من باب تأخير الإختداء، وإمساك الليل
شده لا يحدود له طلاً، والأسبوع والأسبوعان مدة يسيرة لا تؤثّر، واشهران تغور بهما
الأعين وتنشأ^(٤) النفس، وقد شاهدنا ذلك مرات لا تحصى.

ويصطد اليوم بطولج فجر إلى غروب الشمس، لأنه هو حساب العرب ومقدار يومهم
والمشهور عندهم في صوم يوم عاشوراء، والشهر برؤية الهلال إلى رؤية تهلل لأن هو
شهر العرب، وليس حسابهم على الشهور الشمسية

(١) التفتية بالعداء الإحتف والإحياء ونحوه متكية، أي جراحة وعقوبة

(٢) أي مثله (٣) أي تكرر

وإذا وقع التصدي لشريع عام وإصلاح جماعير الناس وطوائف العرب والعجم وجب ألا يُخَيَّر في ذلك الشهر ليختار كل واحد شهراً يسهل عليه صومه، لأن في ذلك فتحاً لباب الاعتدال والتسلل وسداً ثاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإختلالاً لما هو من أعظم مميزات الإسلام، وأيضاً فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شيء واحد في زمان واحد يرى بعضهم بعضاً، مُؤَثَّرَةٌ نهم على الفعل يُسَرُّ عليهم ومُشَجَّعٌ إياهم، وأيضاً فإن اجتماعهم هذا مُعَدٌّ لتزويج المراكات الملكية على خاصتهم وعامتهم وأدنى أن يتسكس أنوار كُتُبهم على من دونهم ونحيط دعوتهم من رداءهم.

وإذا وجب تعيين ذلك الشهر فلا حَقَّ من شهر نزل فيه القرآن، راوُضت فيه المطه المحفوظة، وهو مُعَيَّنٌ ليلة القدر على ما سنذكره.

ثم لا بد من بيان سيرة التي لا بد منها لكل حامل ونبية وفارغ ومشغول، والتي إن أعطاهما خطأ أصل التشريع والمرتبة المكتملة التي هي شرح المحسنين ومورد السابيين، فالأولى صوم رمضان والاكفاء على الفرائض الخمس، نوراً من صلّى العشاء وانصريح في جماعة فكانما قام الليل، والثانية زائدة على الأولى كُتُباً وكَيْفَةً، وهي قيام لياليه وتزويج اللسان والحوادث، وستة من شوال، وثلاثة من كل شهر، وصوم يوم عاشوراء ويوم عرفة، واعتكاف العشر الأواخر.

فهذه المقدمات تجري مجرى الأصول في باب الصوم، فإذا تمهّلت حان أن نشغل بشرح أحاديث الباب.

❁ فضل الصوم ❁

قال رسول الله ﷺ: «إذا عمل رمضان فتحت أبواب الجنة» وفي رواية: «أبواب الرحمة وغُلقت أبواب جهنم وسُئِمَتِ الشياطين».

أقول: اعلم أن هذا الفضل إما هو بالنسبة إلى جماعة المسلمين، فإن الكفار في رمضان أُنِدَّ قَتْمُهُمْ وأكثر ضللاً منهم في غيره، فتعذبهم في تلك شعائر الله، ولكن المسلمين إذا صاموا، وفاسوا، وفحص كُتُبُهم في ليلة الأتوار، وأحاطت دعوتهم من وراءهم، وانعكست أضواءهم على من دونهم، وشملت بركاتهم جميع قَتْمِهِمْ، وقُضِيَ كُلُّ حَسَبٍ استعداده من الصغريات ونهاد من المهلكات، صدق أن أبواب الجنة تفتح عليهم وأن أبواب جهنم تغلق عنهم، لأن أصلها الرحمة واللطف، ولأن اتفاق أهل الأرض في صفة تجلب ما ينادي من جود الله، كما ذكرنا في الاستفتاء والحج، وصدق أن الشياطين تُسَائِلُ عنهم، وأن الملائكة تنتشر فيهم، لأن الشيطان لا يؤثر إلا فيمن استمدت نفسه

بأنه، وإنما استعملها له لضموم التهجية وقد انفجرت، وأن البيت لا يقرب إلا من استعمله، وإنما استعمله بظهور الملكية، وقد ظهرت، ويُفهمُ فريضان مغلقةً قليلة التي ﴿يَبْتَغِي كُنْ أَمْرٌ شَكِيرٌ﴾ [مؤمن: الآية 4]، فلا يجوز أن الأتوار المثالية والتمكية تنتشر سبته، وأن أعدادها تنبض.

قوله ﴿يَبْتَغِي﴾: من صام شهر ومضام إيماناً واعتساباً نُفِّرَ له ما تقدم من ذنبه.

أقول: وذلك لأنه مغلقة غلبة الملكية ومغلوبة التهجية، ونصاب صالح من الحوض من جهة الرمة والرمة، فلا تَرَوُ أن ذلك مَقَرٌ للنفس من لَوْنٍ إلى لَوْنٍ.

قوله ﴿يَبْتَغِي﴾: من قام ليت الغنى إيماناً واحتساباً نُفِّرَ له ما تقدم من ذنبه.

أقول: وذلك لأن الملامة بها وجدت في وقت انتشار الروحانية وظهور منطلقة الجدل أنزلت في صميم النفس ما لا يؤثر أعدادها في غيره.

قوله ﴿يَبْتَغِي﴾: كل عمل أن قم يُضَاعَفُ، السسفة معش أمثلها إلى سسمة ضعف، فإن الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يوم شهيته وطعامه من أجلي.

أقول: سر مضاعفة الحسن أن الإنسان إذا مات وانضمع عنه مدد بهيمته وأدير عن الملامات والملازمة لها، ظهرت الملكية ونسج أنوارها بالصحة، وهذا هو سر المجزاة، فإذا كان العمل خيراً فقلبه كثير حيضاء لظهور الملكية وسبب بها، وسر امتشاء الصوم أن كتابة الأسماء في صحائفها إنما تكون بتعريف صورة كل عمل في موطن من المثال مختص بهذا الرجل برجه يظهر منها صورة جزائه السرور، عليه عند تجرّده عن غواشي تجسده، وقد شاهدنا ذلك مراراً وشاهدنا أن الكتابة كثيراً ما تتوقف في إيلاء جزاء العمل الذي هو من قبيل مجاهدة شهوات النفس، إلا في إيدائه دخل لمعرفة مقدار حسن النفس الصادر هذا النسل منه، وهو لم يدوروه دوقاً ولم يملوه وحداً، وهو سر اختصاصهم في التكفارات والدرجات علم ما ورد في الحديث، فيروي الله إليهم حينئذ أن اكتسبوا العمل كد حراً، وقواً جزاءه إلي. وقوله: «فإنه يدع شهوته وطعامه من أجلي» إشارة إلى أنه من التكفارات التي لها نكاة في نفسه التهجية، ولهذا الحديث يقن آخر قد أشرنا إليه في أسرار الصوم فراجع.

قوله ﴿يَبْتَغِي﴾: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، فالأولى طبيعية من قبل رجاء ما نطقه نفسه، ولثانية بلهية من قبل نية ظهور أسرار التزهد عند تجرّده عن غواشي الحسد وترشح البغين عليه من فوقه، كما أن الصلاة تووت ظهور أسرار كتجلي النبوي، وهو قوله ﴿يَبْتَغِي﴾: «فلا تُشْبِهُوا على صلاة فليس انطولوج وقيل الغروب» وهذا أمر رقيق هذا الكتاب عن كشفها.

قوله ﷺ: «الْحُلُوفُ»^(١) فم الصائم لطيف عند الله من ربح لنفسه..

أقول: مرء أن كثرة انطاعة محبوب تحبب الطاعة فمثل في عالم المثال مقام انطاعة، فحمل النبي ﷺ اشراف السلاطة بسبب ورضا الله عنه في كثرة واستراح نفوس بني آدم عند استئذان راحة نفسك في كثرة ليروهم السر الفبي رأيت عين.

قوله ﷺ: «الصيام جنة»^(٢).

أقول: ذلك لأنه يفي شر التسلط وانفس، ويباعد الإنسان من تأثيرهما ويحالفه سيهما، فلذلك كان من حقه تكميل معنى الجنة بتزويده لسانه من الأقوال والأفعال الشهوية، والبعث الإلهية في قوله: «فلا يوفى»^(٣)، والعبودية، وإليه الإشارة في قوله: «ولا يمشي»^(٤)، وإلى الأقوال بقوله: «سأله»^(٥)، وإلى الأفعال بقوله: «قلته»، قوله ﷺ: «غلبتني حوائط».

قبل: بلسانه، وقيل: بقلبه، وقيل: بالفرق بين الفرس واخلف، والكل واسع.

أحكام الصوم

قال النبي ﷺ: «لا تصوموا حتى تزول النبال ولا تغطروا حتى ثروء» فلي غم عليكم لقبولوا له، وفي رواية: «فاكملوا العدة ثلاثين».

أقول: لما كان وقت الصوم مضبوطة بالشهر القمري باختيار رؤية انهلال. وهو تارة ثلاثون يوماً وتارة تسعة وعشرون، وجب في صورة الاختفاء أن يرجع إلى هذا الأصل. وأيضاً مبني المشرع على الأمور الظاهرة عند أميين دون التعلل والعجائبات النجومية، بل الشريعة واردة بإحمال ذكرها، وهو قوله ﷺ: «إنا لمة حسنة لا نكتب ولا نحسب» وقوله ﷺ: «شهرنا عيب لا يتفصل» ومضان ونو الحجة.

قيل: لا ينقصان معاً، وقيل: لا ينفكون أجزا ثلاثين وتسعة وعشرين، وهذا الأخير أقعد بقواعد التشريع، كأنه أراد سيد أن يخطر في قلب أحد ذلك.

واعلم أن من المفاهيم المعهدة في باب الصوم شأن شرائع التحلل وزك ما أحده في المتعمقون، فإن هذه الطاعة كانت شائعة في اليهود والنصارى والمجذبي العرب، وشأن رأوا أن أصل الصوم هو قهر النفس تعمقوا وابندعوا أشياء فيها زيادة القهر، وفي ذلك تحريف دين الله، وهو إما بزيادة النكس أو التكيف

(١) أي راحة.

(٢) أي لا يترككم طيب.

(٣) أي شانه.

(٤) أي وملي.

(٥) أي لا يرفع صوت بالهتاف.

فمن الحكم قوله ﷺ: «لا يفتلح أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم يوماً فليصم تلك اليوم»، ونهيه عن صوم يوم الفطر ويوم النكاح، وذلك لأنه ليس بين هذه وبين رمضان فصل، فقلعه إن أخذ ذلك المتمتعون منه فيدره منهم الطائفة الأخرى وعلم جزأ يكون تحريفاً، وأصل التصق أن يؤخذ موضع الاحتياط لازماً، ومنه يوم النكاح.

ومن الكيف انتهى عن الرمال والترغيب في السجود، والأمر بتأخير وتقديم الفطر، فكل ذلك تشدد وتعقّب من صنع الجاهلية. ولا اختلاف بين قوله ﷺ: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموه» وحديث أم سلمة رضي الله عنها: ما رأيت النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان، لأن النبي ﷺ كان يفعل في نفسه ما لا يأمر به القوم، وأكثر ذلك ما هو من باب سد الذرائع وضرب مبادئ قلبه، فإنه ﷺ يأمر من أن يستعمل الشيء في غير محله أو يجاوز الحد الذي أمر به إلى إضحاف المزاج وملال الخاطر، وغيره، ليس بأمر من يستحبون إلى ضرب تشريع وسد تعقّب، ولذلك كان ﷺ ينههم أن يجاوزوا أربع نساء، وكان أجل له تسع⁽¹⁾ فما فوتها، لأن علّة المنع ألا يقضي إلى جور.

ثم اهلان ثبت شهادة مسلم هذا أو مستور أنه رأى. وقد سن رسول الله ﷺ في كلتا صورتين جاء أهرابي⁽²⁾ فقال: «إني رأيت الهلال⁽³⁾»، قال: «تشهد... الحديث⁽⁴⁾»، وأخبر ابن عمر⁽⁵⁾ أنه رأى قصاص، وكذلك الحكم في كل ما كان من أمور الملة فله شب الرواية⁽⁶⁾.

وقال ﷺ: «تسبحوا فلان في السجود بركة».

أقول: فيه بركتان: إحداهما راجعة إلى إصلاح البدن ألا يفتنه⁽⁷⁾ ولا يضيّف، إذ الإصباح يوماً كاملاً تصاب، فلا يضاغف. والثانية راجعة إلى تدبير الملة ألا يتعقّب فيها، ولا يدخلها تحريف أو تنيير.

وقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»، وتروى ﷺ: «فصل ما بين سيئتنا وحسبنا أهل الكتاب ليلة السجود»، وقال الله تعالى⁽⁸⁾: «أحبّ عبدي إليّ أعطهم فطراً».

(1) أي: كما روت عائشة.

(2) مثل للسكون.

(3) تسليح: لأن لا إله إلا الله، قال: نعم، قال: «تشهد أن محمداً رسول الله»، قال: نعم، قال: «ما بقل أن لي الناس أن يصوموا غداً».

(4) مثل للمل.

(5) أي: يتكلم أي: بشهادة لمسلم العدل أو مستور الحال. مثل رواية ضعيف، فله قبل رواية من هذه صفته.

(6) أي: يتكل.

(7) أي: في الحديث القسبي.

أقول: هذا إشارة إلى أن هذه مسائله دخل فيها التحريف من أهل الكتاب،
فيحذفونهم ورد تحريمهم في السنة.

وعنه عليه السلام عن الرضا عليه السلام ^(١) قبل - إنك تواعل، قال: «وايكم مثلي؟» إنى ليبت يطعني
ربي ويسقني.

أقول: الذي من الرضا عليه السلام هو الأمرين. أحدهما ألا يصل إلى حد الإجماع،
كما بينا، والثاني ألا تحرف اللفظ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى أنه لا يأتيه الإجماع لأنه
مؤيد بقوة ملكية نورية وهو مأمون.

ولا اختلاف بين قوله عليه السلام «من لم يجمع» ^(٢) الصوم قبل الفجر فلا صيام له، وبين
قوله عليه الصلاة والسلام حين لم يجد طعاماً: «إني إذا صائم» لأن الأول في الغرض
والثاني في النقل، والمراد بالنهي نهي الكمال.
وقوله عليه السلام: «إذا سمع قضاء لعنكم... إلخ» ^(٣).

أقول: المراد بالقضاء هو نداء خاص، أعني قضاء بلال، وهذا الحديث مختصر
حديث: «لن يلا يفدي بقل...»

وقوله عليه السلام: «إذا قصر لعنكم فليطهر عنى تمر» قوله بركة، فإن لم يجد فليطهر على ماء.
قوله مهور.

أقول: الحلو يقبل عنه الطبع لا سيما بعد الجوع، ويحبه الكبد، والعرب يميل
طبيعتهم إلى التمر، والسيل في مثله أثر، فلا حرم أنه يصره في المحل المناسب من البلدان
وهذا نوع من البركة.

قوله عليه السلام: «من شكر صائفاً أو جَهَّزَ غزياً قله من أجره».

أقول: من قطر صائفاً لأنه صائم يستحق التعظيم، فإن ذلك صدقة وتعظيم للصوم
وصلة بأهل الطاعات، فهذا تماثل ضروري في الصحف كان متضمناً لمعنى الصوم من
وجوه، فيروى بذلك.

ومن أذكاء الإقطار: وهي قطرات وابنة العروق وثبت الأجر إن شاء الله، وفي بيان
الشكر على الحالات التي تسطيع الإنسان بطبعته أو عقلاً معاً
ومنها: «لأنهم لهم صحت» وعلى رؤسكم أطروحة. وفي تأكيد الإخلاص في العمل والشكر
عسى النعمة.

(١) من تابع الصوم من غير إقرار بالليل. (٢) يجمع بنوع.

(٣) قلنا: وإقامة في يده فلا يصح حتى يفتني حاجته منه.

وقوله ﷺ: «لا يصوموا أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده»^(١)
 وقوله ﷺ: «لا تختصموا ليلة الجمعة»^(٢) الحديث^(٣).
 أقول: السر فيه شيان:

أحدهما: عند التعق، لأن الدارع لث حصه بطاعات ويز فضلها كان مظنة أن يتعق
 الجمعفون، فليحقن بها صوم ذلك اليوم، ولانيهنا تحيق مسمى العيد، فإن العيد يُشمر
 بالفرح واستيقاظ اللهه وهي جعله عيداً أن يتصور عندهم أنها من الاجتماعات التي يرغبون
 فيها من طباثهم من غير قسر.

قوله ﷺ: «لا صوم في يومين: القطر والأشحر»^(٤) ونوله ﷺ: «أيام انتشاريق أيام لكل
 وشرب ونكر ث».

أقول: فيه تحقيق معنى العيد وكبح عنانهم عن التمسك باليس والتمعق في الدين.

قوله ﷺ: «لا يحل لعزلة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه».

أقول: وذلك لأن صومها نفوت ليمضر حقه ومنعص عليه بشاشتها وفكاهتها.

ولا اختلاف بين قوله ﷺ: «الصائم المنطوع لمير نفسه، إن شاء صام وإلا شاء أفطر»^(٥)
 وقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة وحفصة رضي الله عنهما: «أفقسيا يوماً آخر مكنته»^(٦)، إذ
 يمكن أن يكون المعنى: إن شاء أفطر مع التزام القضاء، وأمرهم بالقضاء للاستحباب. فون
 الوفاء بما فلتزمه ألتبع المنصر، أو كان أمراً لها خاصة حين رأى في صدرهما حرجاً من
 ذلك، كقول عائشة رضي الله عنها: رجعوا صبح وعميرة رجعت بحنة، فأعسرهما من
 التميم

قوله ﷺ: «من نسي وهو صائم فليكل وشرب فليتم صومه فإنما طعمه الله سقاء».

أقول: إنما عذر^(٧) بالنسيان في الصوم دون غيره لأن الصوم ليس له هبة فذكره،
 بخلاف الصلاة والإحرام فإن لهما هبات، من استقبال القبلة والتحرر عن المشيط، فكان
 أحق أن يذكر به.

قوله ﷺ: «من نسي أن يصوم في شهر رمضان»^(٨)، أعلق وفيه... الحديث^(٩).

أقول: لها حجم على هتك حرمة شعائر الله وكان مبدؤه إفراطاً طبيعياً، وجب أن

(١) قتادة: «يلزم من بين الليالي ولا تختصوا يوم الجمعة بعظيم من جن الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه
 أحدكم».

(٢) أي جمل معقولاً.

(٣) هو رواية معني، والمعطوفة منها هي كصحيحين والفاظ لها عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يُقابل بإيجاب طاعة شاة غابة المشقة ليكون بين يديه مثل تلك فيزجره عن غلواء نفسه .
ولا اختلاف بين حديث سُرَّكَة رضي الله عنه وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «الْخُلُوفُ نَمُ الصَّلَامُ»
اضيب... الحديث، فإن مثل هذا الكلام إنما يراد به التبالغة، كأنه قال: إنه تحبوب بحيث
لو كان له خُلُوفٌ لكان محبوباً نحوه.

ولا اختلاف بين قوله رضي الله عنه: «ليس من خير المصليين في السفر» ذهب المصليون بالأجره
وقوله عليه الصلاة والسلام: «من كانت له خُفْلَةٌ»⁽¹⁾ ثاري إلى شيع لليحم ومضان حيثما
لمركه، لأن الأول فيما إذا كان شاعاً عليه مفضياً إلى الضعف والمشي، كما هو مقتضى
قول الراوي: قد قُلِّلَ عليه⁽²⁾، أو كان بالمسلمين حاجة لا تنجير إلا بالإقطار، وهو قول
الراوي: فسقط الصوامير⁽³⁾ وقام المغفرون، أو كان يرى في نفسه كراهية الترخي في
مطانه وأمثاله ذلك من الأسباب، والثاني فيما إذا كان السفر خالياً عن المشقة التي يعتد بها
والأسباب التي ذكرناها.

ولا اختلاف بين قوله رضي الله عنه: «من مات وعليه صوم صام عنه وليه»، وقوله عليه الصلاة
والسلام فيه أيضاً: «لليطعم عنه مكل كل يوم مسكيناً»، إذ يجوز أن يكون كل من الأمرين
مُخْجَرًا.

واسر في ذلك شيان: أحدهما راجع إلى الميت، فإن كثيراً من النفوس المفارقة
أجسادها تُدرك أن رغبة من الرغائف التي تجب عليها وتزاحد بتركها فانت منها، فتنام
ويفتح ذلك باباً من ألوحشة، فكان الميت⁽⁴⁾ على حله أن يقوم أقرب الناس منه وأولاهم
به فيعمل عمله على قصد أن يقع عنه، فإن مئته تلك تغيد كما هي القرايين، أو يفعل فعلاً
آخر مثله، وكذلك حال من مات وقد أجمع على صدقة تصدق عنه وليه. وقد ذكرنا في
الصلاة على الميت ما إذا عطف على صدقة الأحياء للأموات المطف. والثاني راجع إلى
الملة، وهو التأكيد البالغ ليعلموا أن الصوم لا يسقط بحال حتى الموت.

❁ أمور تتعلق بالصوم ❁

اعلم أن كمال الصوم إنما هو تنزيهه عن الأفعال والأقوال الشهوية والسبعية

(1) أي: ما يعمل عليه، بمعنى المركب، وقوله ثاري إلى شيع، أي: توصله إلى المنزل من غير جهد ومشقة.

(2) أي: جعل على رأس لوجه الصائم ظلة لتقاء عن الشمس.

(3) أي: وكانوا في سفر في يوم حار.

(4) أي: الشقة.

والشجانية، فيها تُذكر النفس الأخلاق الخسبية وتهيجها لهيئت فاسدة، والاحتراز عما يُفضي إلى الفطر ويسمى إليه.

فمن الأول قوله ﷺ «فلا يرمث ولا يصعب، فإن سلبه أحد أو قلته سيقبلي مني حسنة»، وقوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة في أن يدع طعامه وشربه»، والمراد بالحي نهي المكالم.

ومن الثاني: ما ذكره الحاحم والمجبوب «إن المحجوب تعرض للأنظار من الضعيف، والجاحم لأنه لا يأمن من أن يصل شيء إلى جوفه بمحض الملازمة والتفصيل والمباشرة، وكان الناس قد أفرطوا، وتعمدوا أن يجعلوه من مرتبة الزكوة، فينبئ النبي ﷺ قولاً ونهياً أنه ليس منطراً ولا منقصاً لنصوم، وأشعر بأنه تركه الأولى في حق غيره بإفظار الرخصة، وأما هم فكان مأموراً ببيان الشريعة فكان هو الأولى في حقه، وكذا سائر ما تنزل فيه عن درجة المحض إلى درجة عامة المؤمنين، والله أعلم.

واختلفت سبب الأنس عليه السلام في الصوم، فكان نوح عليه السلام يصوم شهراً، وكان داود عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان عيسى عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً أو أياماً، وكان النبي ﷺ في خاصة نفسه يصوم حتى يقار لا ينظر وينظر حتى يقال لا يصوم، ولم يكن يستكمل صيام شهر إلا رمضان، وذلك أن الصيام ثباتاً، وانقضاء لا يستعمل إلا بقدر العرض.

وكان قوم نوح عليه السلام شديدي الأمزجة، حتى زوي عنهم ما زوي: وكان داود عليه السلام ذا قوة ورزاق، وهو نزل ﷺ «وكلوا لا يفرقوا لافى»، وكان عيسى عليه السلام صبيئاً في بدنه قارفاً لا أهلي له ولا مال، فاحتار كل واحد ما يناسب الأحوال، وكان بينا ﷺ دعواً خواتم الصوم والإنظار مطعماً على مزاجه وما يناسبه، فاحذر بحسب مصلحة الوقت ما شاء، واحتار لأنه صبيئ.

سواء يوم عاشوراء، وسر مشروعيته أنه وقت، فضر الله تعالى فيه مرضى عليه السلام على فروعهم وقومه، وشكر موسى بصوم ذلك اليوم، وصار سنة بين أهل الكتاب والعرب، فأنزه رسول الله ﷺ

ومنها صوم سرفة، السر فيه أنه تشبُّ بالبحار وتشتوق إليهم وتعرض للرحمة التي تنزل إليهم، وسر فضله على صوم يوم عاشوراء أنه ^(١) حرض في ليلة الرحمة النذلة ذلك اليوم، والثاني ^(٢) تعرض للرحمة التي عصت وانقضت، فعبد النبي ﷺ إلى شجرة الخضر في ليلة

(١) أي صوم عاشوراء.

(٢) أي صوم يوم.

الرحمة وهي كفارة الذنوب السابقة والتي عن التقرب اللاحق بأداء بقاياها صميم قلبه، فجعلها الصوم عرفة، ولم يصمه رسول الله ﷺ في حبيبته لما ذكرنا في التضعية وصلاة العيد من أن منها قلها على النبي بالحاج، ولما المشهور غيرهم.

ومنها سنة الشراء، قال ﷺ: «من صام ومضطر فأتبعه سناً من شوال كان كصيام الدهر كله»، والسر في مشروعيها أنها منزلة لسائر الرواتب في الصلاة، تكمل فالتدنية بالنسبة إلى أمزجة ثم تم فالتدنية بهم، وإنما خص في بيان فضله التشبه بصوم الدهر لأن من انفرغ بعد المفارقة أن النجاسة بعشر أمثالها، وبهذه السنة يتم الحساب.

ومنها ثلاثة من كل شهر لأنها بحساب كل خمسة بعشرة أمثالها تضاهي صيام الدهر، ولأن الثلاثة أقل حد الكثرة، وقد اختصت الرواية في احتياو تلك الأيام، فورد: «ما تأبوا» إذا سمعت من شهر الثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمسة عشرة، وورد: «كان يصوم من الشهر السبت والأحد والإثنين» ومن الشهر الأخير الثلاثاء والأربعاء والخميس، وورد: «من غرة كل شهر ثلاثة أيام» وورد أنه أمر أنه سلمة بثلاثة، أولها الإثنين والخميس، ولكن رجع.

وسلم أن ليلة القدر نيكات

إحداها ليلة ﴿يَا بَنِي إِدْرِيسَ﴾ في شهر ربيع الأول، وفيها نزل القرآن جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك نجماً نجماً، وهي ليلة في السنة، ولا يجب أن تكون في رمضان، نعم، ومضاه مطقة غالباً لها، وانفق أنها كانت في رمضان عند نزول القرآن.

والثانية يكون فيها نوع من انتشار الروحية ومحى الملائكة إلى الأرض، فيفتق السالمون فيها على انطاعات، فتداس أنوارهم فيما بينهم، ويغرب منهم الملائكة ويتابعدهم الشياطين، ويتجارب منهم أدينتهم وطاعاتهم، وهي ليلة في كل رمضان في أواخر العشر الأواخر، تنضم وتتاخر فيها، ولا تخرج منها، فمن قصد الأمل لال، هي في كل السنة، ومن قصد الثانية مال، هي في العشر الأواخر من رمضان.

وقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطت في جميع الأواخر، فمن كان متحريها فليحضرها في العشر الأواخر»، وقال ﷺ: «أريت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين»، فكان ذلك^(١) في ليلة إحدى وعشرين. واختلاف الصحابة فيها مبني

(١) قوله: «أرى رؤياكم قد تواطت في جميع الأواخر» في المنام في العشر الأواخر.

(٢) ثم توافقت

(٣) أي أقر الله وأعلن على عبده ﷺ رؤي في مسجدة إحدى وعشرين

عن حذلق، في ربه أنها، ومن كريمة من وجدها، اللهم إله عفو نحب العفو فاعف، عني

ولما كان الاعتكاف في المسجد سبباً لجميع الخصال، ومبدأ الفاضل، والبرج
للصالح، والشئ بالملأ، والتمريض للوحدة، والقدرة، والشيء بالملأ، والتمريض
الأواخر، ومنه، والتمريض من أمه، قالت عائشة رضي الله عنها، البتة على العكاف إلا
يكون مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يحس المرأة ولا يشرها، ولا يخرج إلا الحاجة إلا ما
لا ... من، ولا عكاف إلا يصوم، ولا عكاف إلا في مسجد جامع.

أقول: ذلك تحفي، نعم، الاعتكاف، والتمريض، الطاعة لها، ومشفة على النفس
ومشفة، والله أعلم.



من أبواب الحج

المصالح المبررة في الحج (موا):

منه تعظيم نبي، فإنه من شعائر الله، وتعظيم مو تعظيم له تعالى.

ومنها تحقيق معنى الرحمة، فإن لكل دولة أو بلدة اجتماعاً ينوارده الأفاضل والأداني يعرف فيه بعضهم بعضاً ويستفيدوا أحكام العنة ويقيموا شعائرها، والحج عرصة المسلمين وظهر شوكتهم واجتماع جندهم وقوتهم بملتهم، وهو قول الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَهُ إِلَّا مَثَافَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [البقرة الآية 178]

ومنها موافقة ما يوافق الناس عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فمنهما إماما الأمة الحقة ومشرعها للعرب، وأنبياء خلق يعش لشهر به العنة التحنيفية وتعلو به كلمته، وهو قوله تعالى:

﴿يَذَكِّرْكُمْ أَنْتُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج الآية 26]

فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن إماميها، كخصان الغضرة ومناسك الحج، وهو قوله عليه السلام: «قفوا على مشاعرهم، فترككم غير إرث من إرث أبيكم إبراهيم».

ومنها الاصطلاح على حال يتحقق به الفرق فمادتهم وحاجتهم، أنزلوا من رفيعات يمزلفة، فإنه لو لم يصطنع على مثل هذا شئ عليهم، ولو لم يشتغل عليهم لم تجتمع كلمتهم على مع كثرهم وانتشارهم.

ومنها الإعداد في نقل بأن صاحبها مرشد تابع لنحو مدبر بالمنة الحنيفة شاكره على ما أنعم على أرائل هذه الأمة، كالسعي بين الصفا والمروة.

ومنها أن تعلى الجماعية كانوا يحشرون، وكان الحج أصل دينهم، ولكنهم خلدوا أصلاً ما هي مأثورة⁽¹⁾ عن إبراهيم عليه السلام، وإنما هي اختلاف منهم وفيها شرك غير الله، كتعظيم إصاف ومثله⁽²⁾، وإزالة ليل ليل الطاعة، وكقولهم في التلبية: لا شريك

(1) أي في الحج.

(2) أي في الحج، فمأثورة، ومثله، مستعملين زعموا أنهم زابوا في كعبة نفسها.

ذلك، إلا شريطة أن يكون ذلك، رضى حق هذه الأعمال أن يُمنى عنها ويُؤخذ في ذلك، وأعمالاً
اتصلوا بها فحراً وعيباً، كقول حمى⁽¹⁾: نحن قتلان الله، فلا نخرج من حرم الله، فنزل:

﴿لَمَّا أَتَيْنَا بِنَاحِيَةِ الْكَاذِبِ﴾ [البقرة: الآية 119].

وقد حرم آباءهم أيام من نزل:

﴿فَلَا تُكْرِهُوا إِلَهُهُمُ أَنْ يَقُولُوا كَفَرُوا﴾ [البقرة: الآية 217].

ولما استمر الانتصار هذا الأصل تخرجوا في السبي بين العلفا والمروة حتى نزل:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَعْيُنِ﴾ [البقرة: الآية 154].

ومنها أنهم كانوا ابتدعوا قياسات فاسدة هي من باب التعسف في الدين وقبها حرج
للناس ومن حلفها أن تنسخ وتهجر، كقولهم: يحتجب المخرجون ويخول البيوت من أبوابها،
وكانوا يشعرون من ظهورها غشاً منهم أن الدخول من الباب أوغلاق بئاني هيئة الإحرام
فنزل:

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْخُذُوا بِالْحَمْرِ﴾ [البقرة: الآية 149].

وكررهم في التجارة موسم الحج ظناً منهم أنها نهي بإخلاص العمل لله، فنزل:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَتًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: الآية 198].

وكان أصحابهم أن يحجوا بلا زاد، ويقولوا: نحن المشركون، وكانوا يُضيقون على
الناس ويُفتنون، فنزل:

﴿وَكُذِّبُوا فَمَا أَتَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية 117].

وكقولهم: من أفجر الفجور العمرة في أيام الحج، وقولهم: إذا انطلق صفر وبرأ
الذئب⁽²⁾ وعفا الأثر حلت العمرة لمن اعتمر. وفي ذلك حرج للأتقي، حيث يحتاجون إلى
تجديد السفر للعمرة، فأمرهم النبي ﷺ في حجة الوداع أن يخرجوا من الإحرام بعمره
وتخرجوا بعد ذلك، وشدد الأمر في ذلك ليُكَلِّمهم على عاداتهم وما رُكِّز في قلوبهم.

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، قد غرض عليكم الحج فاحجوا فقال رجل: أكلُّ
عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم».

أقول: سره أن الأمر الذي يُؤدُّ لنزول وحى الله بتوقيت خاص هو [قال القوم على

(1) جمع حمى وهي اسم لقريش ولولادهم، وسعوا بها لقتلهم - أي: تشبههم في هيتهم - وشماحتهم.

(2) بفتحتين جمع ذئبة وفتحتين أيضاً، جروح على ظهر الإبل من استحكك الأتلب بالمسير إلى الحج، وعفا
الأثر أي: المسمى أثر الحاج من كطريق بعد الرجوع بوقوع الأمطار.

ذلك ونفني عليهم وهدمهم له بالقبول ويكون ذلك الشر هو الذي تشهر بينهم وشاولوها، ثم غزيمه لنبي ﷺ وطلبه من الله، فإذ اجتماع لا بد أن ينزل الوحي على حبه. ولك عبرة بأمر الله ما أنزل كتاباً إلا سنان قوته وما يفهمونه، ولا ألقى عليهم حكماً ولا دليلاً إلا ما هو قريب من فهمهم كيداً، وبهذا الوحي للطلب، وإنما ألتطف اختير أقرب ما يمكن هناك للإجابة؟

وقيل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الحج المبرور» ولا اختلاف بينه وبين قوله ﷺ في فضل الذكر: «لا أتيتكم بأفضل أصعلكم... الحديث» لأن الفضل يختلف باختلاف الاعتبار، والمستعبر ههنا بين الفضل باعتبار تنويه دين الله وظهور شعائره، وليس بهذا الاعتبار بعد الإيمان كالجهاد والحج.

قال النبي ﷺ: «من حج ش لم يرتد، ولم يفسد رجع كيوم رجع كيوم دخله الله» وقال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما» والحج المبرور⁽¹⁾ ليس له جزاء إلا الجنة. وقال ﷺ: «ثابروا بين الحج والعمرة».

أقول: تعظيم شعائر الله والخوض في نعمة رحمة الله يُكثر الذنوب ويُخيل الجنة. ولما كان الحج المبرور والتابعة بين الحج والعمرة والإكثار منها نصراً صالحاً تعرض رحمة، أثبت لها ذلك، وإنما شرط ترك الرفث والفسق لإتقان ذلك الخوض، فإن من فعلها أعرضت عنه الرحمة ولم تكمل في حقه.

وقال النبي ﷺ: «على عمرة في رمضان تُقَوَّل حجة».

أقول: سره أن الحج إنما يُفَضَّل للعمرة بأنه جامع بين تعظيم شعائر الله واجتماع الناس على استنزال رحمة الله ونها، والعمرة في رمضان تفعل فعله، فمك رمضان وقت تعاكس أضواء المحسنين وقبول الروحانية.

وقال ﷺ: «من ملك زلماً ودخله فنبهه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه»⁽²⁾ أن يموت يهودياً أو نصرانياً.

أقول: ترك ركن من أركان الإسلام يشبه بالخروج عن الجملة، وإنما شبه بترك الحج باليهودي والنصراني وترك الصلاة بالمشرك، لأن اليهود والنصارى يصلُّون ولا يحجُّون ومشركو العرب يحجُّون ولا يصلُّون.

(1) عمرة الذي لا يذله الله ولا يذله الناس ولا يذله معصية ولا سعة ولا رياء.

(2) أي لا تغرب عليه. والمعنى أن وقت عمرة هذه الحلة ووقته على قبهوية أو نصرانية سواء.

قيل: ما الحاج؟ قال: «الشُّعْبَةُ»⁽¹⁾ فَنُكِّلَ. قيل: أي الحج أفضل؟ قال: «الشُّعْبُ وَفَتْحٌ». قيل: ما الشُّعْبُ؟ قال: مزلة ودلعة»⁽²⁾.

أقول: الحاج من شأنه أن يُدْخَلَ نفسه فيء والمصلحة الشرعية هي الحج إعلاء كلمة الله وموافقة شئ إبراهيم عليه السلام وتذكُّر نعمة الله عليه. وَوُكِّلَ السَّبِيلَ بِالزَّادِ وَالرَّاحِلَةَ، لِإِذْ بِهِمَا يَتَحَقَّقُ التَّيَسُّيرُ. الواجب رعایت في أمثال الحج من الطاعات الشاقة، وقد ذكرنا في صلاة الجنائز والصوم عن الميت ما إذا عطف على الغير انعطف.

❁ صفة المناسك ❁

اعلم أن المناسك على ما استفاض عن الصحابة والتابعين وسائر المسلمين أربعة حج مُرَدٌ، وعمره مُرَدَّة، ونَمَتَعٌ، وقِرَانٌ.

فالحج لعاشرة مكة: أن يُحْرِمَ منها، ويَجْتَنِبَ في الإحرام: السباع ودواجمه، والحلق، وتقليم الأظفار، ولبس المنخبط، وتغطية الرأس، والتعطيب، والصديد، ويجنب النكاح على قول، ثم يخرج إلى عرفات ويكون فيها عشية عرفة، ثم يرجع منها بعد غروب الشمس ويبقى بمزدلفة ويلقى منها قبل شروق الشمس، فبأنى مى ويرمي العبة الكبرى ويؤدي إن كان معه ويحلق أو يقصر، ثم يطوف للإفاضة في أيام تىء ويسعى بين الصفا والمروة وللافاقي أن يحرم من الميقات، فإن دخل مكة قبل الوقوف طاف للقدوم ورمى فيه. ويسعى بين الصفا والمروة، ثم بقي على إحرامه حتى يقوم بعرفة. ويرمي، ويحلق، ويطوف ولا رمل فيه ولا سعي حينئذ.

والمعمره: أن يُحْرِمَ من الجبل، فإن كان آفاقياً فمن الميقات، فيطوف، ويسعى، ويحلق أو يقصر.

والتمتع: أن يحرم الآفاقي للمعمره في أشهر الحج، فيدخل مكة ويؤم عمرته ويخرج من إحرامه، ثم يبقى حلالاً حتى يحج، وعليه أن يذبح ما استيسر من الهدي.

والقِرَان: أن يحرم الآفاقي بالحج والمعمره مياً، ثم يدخل مكة ويبقى على إحرامه حتى يفرغ من أعمال الحج، وعليه أن يطوف طوافاً واحداً ويسعى سعياً واحداً⁽³⁾ في قول،

(1) الشُّعْبَةُ: لفظة لرس، وقتس الذي لم ينطبق غنبيوت ولشعته، والحج. وفي الصوت والتبوية، وفَتْحٌ لِرَاقَةٍ ثم أهدي.

(2) أي بملز ودلعة، مسر المسيل في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ (أو معمر: الآية 39)

(3) أي عند أهل المدينة، والشافعي.

وطوافين وسبعين⁽¹⁾، ثم يذبح ما استيسر من الهدي، فإذا أراد أن ينحر من مكة طاف للوداع.

أقول: أعلم أن الإحرام في الحج والعمرة بمنزلة التكبير في الصلاة، فيه تصوير الإخلاص والتمظيم وضبط عزمة الحج بفعل ظاهر، وفيه يجعل النفس متذللة خاشعة لله بترك الملاذ والمعادن المألوفة وأنواع التجمّل، وفيه تحقّق معاناة التمسك والتشعّب والتنفّر لله، وإتسا شحّ أن يهتنب المحرم هذه الأشياء فعقياً للتذلل وترك الزينة والتشعّب، وتوحيها لاستبعاد خوف الله وتعلّيمه، ومزاخنة نفسه ألا تسترسل في هراها، وإتسا الصيد تأنّ وتوسّع، ولذلك قال النبي ﷺ: «من لبس الصيد لباه ولم يبت عنه من النبي ﷺ ولا كبار أصحابه وإن سؤفه في الجملة. والجماع انهماك في الشهوة البهيمية، وإذا لم يجز سد هذه الباب بالكلية، لأنه يخالف قانون الشرع، فلا أقل من أن ينهى عنه في بعض الأحوال، كالأحرام والاعتكاف والصوم وبعض المواضع، كالساجد.

شيل: ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال: «لا تلبسوا القميص ولا المشتم ولا السراويلات ولا غيرهن⁽²⁾ ولا الخفاف». وقال للأعرابي: «وأما طيب الذي به فاغسله ثلاث مرات ولما الجبة للزخمة».

الفرق بين المخبط وما في معناه وبين غير ذلك: أن الأول ارتفاق وتجمّل وزينة والثاني ستر حرمة، وترك الأول تواضع لله وترك الثاني سوء أدب.

قال النبي ﷺ: «لا يترك المحرم ولا يترك ولا يترك»، وذوي أنه تزوج بميرة محرماً.

أقول: اختار أهل الحجاز من الصحابة والتابعين والفقهاء أن السنة للمحرم ألا يترك، واختار أهل العراق أنه يجوز له ذلك، ولا يخفى عليك أن الأخذ بالاحتياط أفضل. وعلى الأول السر فيه أن النكاح من الارتفاقات المطلوبة أكثر من الصيد، ولا يقاس الإنشاء على الإبقاء، لأن الفرح والطرب إنما يكون في الابتداء، ولذلك يغرب بالمعروس المثل في هذا الباب دون البقاء. ثم لا بد من ضبط الصيد، فإن الإنسان قد يقتل ما يريد أكله ولم يقتل ما لا يريد أكله، وإتسا يريد الثمرن بالأصطياد وقد يقتل يريد أن يذبح شره عنه أو عن أبناء نوحه، وقد يذبح بهيمة الأنعام، فأيهما الصيد؟ فقال النبي ﷺ: «محصّن لا جناح على من قتلهن في الحرم والإحرام: الفارة والغراب والخنّاق والحقرب، والكتب

(1) أي: عند لي حنيفة.

(2) الهيرنن بضم الهاء والهمزة وسكن الراء بينهما: قيل: هو عتسوة طويلة. وقيل: هو ثوب مشهور يلبس من الشام يلبس في الصيف.

المعقود^(١)، والجامع. المؤذي الصائل على الإنسان أو على متاعه، فإنه إذا رجع إلى استواء العرف لا يقال له صيد، وكذلك بهيمة الأنعام والدجاج وأمثالهما مما حوت العادة بانقضائه في البيوت لا يسمى صيداً، وأما الأقسام الأخرى، فالظاهر أنها صيد.

ورُفِتَ^(٢) لأهل المدينة فـا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المازل، ولأهل اليمن يلسلم، فهن لهن ولهن أنثى عليهن من خير أهلنهن لمن كان يريد الحج والحمر، فمن كان دونهن^(٣) فنهله من أهله، حتى أهل مكة يهلون منها.

أقول: الأصل في المواثيق أنه لما كان الالتئان إلى مكة شئناً ثلثاً تاركاً إقلوباً نفسه مطلوباً، وكان في تكليف الإنسان أن يحرم من بلد حرج ظاهراً، فإن منهم من يكون قطره على مسيرة شهر وشهرين وأكثر - وجب أن يتخفى إمكانية معلومة حول مكة يُحرّمون منها، ولا يؤخّرون الإحرام بعدها، ولا بد أن تكون تلك المواضع ظاهرة مشهورة ولا تخفى على أحد وعليها مرور أهل الأقاليم، فاستقرأ ذلك وحكم بهذه المواضع، واختار لأهل المدينة أبعد المواثيق، لأنها صبيط الوحي وماؤز الإحسان ودار الهجرة ولؤلؤ قرية آمنت بالله ورسوله، فأهلها أحق بأن يبالغوا في إعلاء كلمة الله وأن يخصصوا بزيادة طاعة الله. وأيضاً فهي أقرب الأقطار التي آمنت في زمان رسول الله ﷺ وأخلصت إيمانها، بخلاف جوائز^(٤) والظائف وبعامة وغيرها، فلا حرج عليها

والمر في الوقوف بعرفة أن اجتماع المسلمين في زمان واحد ومكان واحد راغبين في رحمة الله تعالى داعين له متضرعين إليه له تأثير عظيم في نزول البركات وانتشار الروحانية، ولذلك كان الشيطان يومئذ أفسر وأفسر ما يكون، وأيضاً فاجتماعهم ذلك تحقيق لمعنى العروة وخصوص هذا اليوم. وهذا المكان متوارث عن الأنبياء عليهم السلام على ما يُذكر في الأخبار عن آدم فمن بعده، ولأخذ بما جرت به سنة السلف الصالح أصل أصيل من باب التوقيف.

والمر في قول مني أنها كانت سوقاً عظيماً من أسواق الجاهلية، مثل عكاظ والمجنة ونبي البجاز وغيرها، وإنما اصطُحِرَ عليه لأن الحج يجمع أقواماً كثيرة من أقطار مبادعة، ولا أحسن للتجارة ولا أرفق بها من أن يكون موسمها عند هذا الاجتماع، ولأن مكة تضيّق عن تلك الجنود المحتلة، فلو لم يصطُحِرَ حاضريهم وباديهم وعالمهم ولبيهم

(١) الذي يحدّج.

(٢) وقوله. وقد في جمل مبيّناً.

(٣) أي داخل هذه المواثيق.

(٤) لأن أهل مؤنثي - وهو حصن باليعربين - وإن كانوا مسلمين لكنه لم يرد من المدينة، والمكلف ويطلبه لأن ذلك قريبين لكن أهلها لم يكن إيمانهم خلاصاً في تلك الزمان.

على النزول في قضاء مثل من نحرجه، وإن اقتص به منهم بالنزول أوجزوا من أنفسهم،
وإنما جرتعادة برولها اقتص بدد العرب وحديثهم أن يجتهد كل حي في تداخر
واستكاثر وذكر آثار الأئمة بزيادة خلقهم^(١) وكثرة أمواتهم، ليرى ذلك الأفاصي والأداسي
ويبعد به الذكر في الأقطار. وكان للإسلام حاجة إلى اجتماع مثله يظهر به شركة المسلمين
وعنتهم. ليظهر دين الله ويبعد عيت ويطلب على كل فطر من الأقطار. فأبناء النبي ﷺ،
وحث عليه وتلدب إليه، وأصبح التذاخر وذكر الأئمة وأئمة ذكر الله، بمنزلة ما أنشئ من
صباغاتهم وألانسهم وثيقة التكاثر وعقيدته المولود، لما رأى فيها من فوائد جليلة في تدبير
العالمل

والسر في التبعث بمزادقة أنه كان سة قديمة فيهم، ونسبهم اصطلموا عليها لند رأوا
من أن لتاس احدها أم يجتهد مثله في غير هذا الموطر، ومثل هذا مضنة أن يراحم
بعضهم بعضاً ويخطم بعضهم بعضاً، وإنما يراحم^(٢) بعد المغرب، وكأما طول النهار في
تعب، بأنون من كل فج صوب، فلو نجسوا أن نأو من وأحال هذا انعبوا، وكان أهل
الجماعية يذمرون من عوفات قبل العروب، وإنما كان ذلك قدراً غير ناعوا، ولا ينعين
بالقطع، ولا مد في مثل هذا الاجتماع من تعيين لا يحتمل الإبهام وجب أن يُعَيَّن
بالتعريب

وإنما شُرع الموقوف بالمسحور الحرام لأنه كان أهل الجماعة يتفاخرون اشتراكون،
فأخذ من ذلك إكثار ذكر الله ليكون كايحاً عن عدتهم، ويكون استنوه بالتوحيد في ذلك
الموطى كالمناصفة، كماه قيل: هل يكون ذكركم الله أكثر أو ذكر أهل الجماعة مفاخرهم
أكثر؟

والسر في رمي الجبار ما ورد في بعض الحديث من أنه إن احسن لإقامة ذكر الله عز
وجل، وتفصله أن احسن نوع توفيت الذكر وأكمنها وأجمها نوحوه التوفيت أن يوفت
رمان وبسكان، ويقام معه ما يكون حافظاً لعدده، محققاً لوجوده على رؤوس الأشهاد
حيث لا يخفى شيء. وذكر الله نوعان:

نوع يقصد به الإعلان باغياده لدين الله، والأسهل فيه اختيار مجامع الناس دون
الإكثار، رمة الزميه، وأذاك لم يؤمر بالإكثار هناك

ونوع يقصد به اصباغ النفس بالنطق للحسوث، وفيه الإكثار. وأيضاً ورد في الأخبار
ما يقتضي أنه سة سها إبراهيم عليه السلام حين هرد شيطاناً، ففي حكمة مثل هذا الفعل
تنبه النفس لثبته.

(١) أي: قوتهم.

(٢) أي: رجوعهم من عزلت.

والسر في القهدي التشبه بفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما قصد من ذبح ولده في ذلك المكان طاعة لربه وتوجهاً إليه، والتذكّر لنعمة الله به وبأيهم إسماعيل عليه السلام وفعل مثل هذا الفعل في هذا الوقت والزمان بجه النفس أي تنبه.

وإنما وجب على المستمع والمفكر شكرًا لنعمة الله، حيث وضع عنهم إصر الجاهلية في تلك المسألة.

والسر في الحق أنه تعيين طريق للخروج من الإحرام بفعل لا ينافي الوفاة، فلو تركهم وأنفسهم لشعب كل مذهباً. وأيضاً قلب تحقيق انقضاء النشأة والتفكير بالوجه الأهم، ومثله⁽¹⁾ كشل السلام من الصلاة، وإنما قدم على طواف الإفاضة ليكون شبيهاً بحال الداخل على السوق في مواضعه فك إزالة شعث وغاروه.

وصفة الطواف أن يأتي الحجر فيستلمه، ثم يمشي على يمينه سبعة أطواف يقبل فيها الحجر الأسود، أو يشير إليه بشيء في يده، كالمحجن⁽²⁾، ويكبر، ويكلم الركن البعدي، وليكن في ذلك على طهارة وستر حورة، ولا يتكلم إلا بخير، ثم يأتي مقام إبراهيم فيصلي ركعتين. أما الابتداء بالحجر فلا وجب عند التشريع أن يميز محل البداء وجهة المشي، والحجر أحسن مواضع البيت لأنه نازل من الجنة، واليمين أهم الجهتين.

وطواف القدوم بترتلة تحية السجدة، إنما شُرِع تعظيماً للبيت، ولأن الإبطاء بالطواف في مكانه وزمانه عند تهيؤ أسبابه سوء أدب، وأول⁽³⁾ طواف بالبيت، في رمل واضطباع، ويصله سبي بين انصاف وامرورة؛ وذلك إثنان:

منها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من [خافة قلوب المشركين وإظهار سولة المسلمين، وكان أهل مكة يقولون: وهنتهم حتى يترقب، فهو قل من أضاء الجهاد، وهذا السبب قد انقضى ومضى.

ومنها تصوير الرغبة في طاعة الله، وأنه لم يزد السفر الشامع والتعب العظيم إلا شدة ورغبة، كما قال الشاعر:

إنه اشتكت من كلان السير وأعدما ردى الوصال فخصباً عند سيعاد⁽⁴⁾
وكان عمر رضي الله عنه أراد أن يترك الرمل والاضطباع لانقضاء سببهما، ثم تفكّر

(1) أي الحق.

(2) من قسما للمرجبة.

(3) خير أمر ففعله: حواصل القدوم، وفعله: الشفيع، أي البعيد.

(4) والمعنى: أن لشاة إذا اشتكت من التعب في السير يبعثها لراكب راحة ومسال لمحبوب لتسبب عند تلك لوعة شوقاً ورغبة.

إجمالاً أن لهذا شيئاً آخر^(١) غير المتغيب، فلم يتركهما.

وإنما لم يشرع الوضوء بعرفة في العمرة لأنها ليس لها وقت معين يستحق معنى الاجتماع فلا فائدة للوضوء بها، ولو شُرِعَ لها وقت معين كانت حُجُجاً، وفي الاجتماع مرتين في السنة ما لا يخفى^(٢).

وإنما العدة في العمرة تعظيم بيت الله وشكر نعمته الله.

والمر في السعي بين الصفا والمروة على ما ورد في الحديث أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام لما اشتد بها الحار سعت بينهما سعي الإنسان المجهود، فكشف الله عنهما الجهد بإنشاء زمزم وإلهام الرغبة في الناس أن يعمروا تلك ثبته، فوجب شكر تلك النعمة على أولاده ومن تبعهم وتذكُّر تلك الآية المخدعة، يُثَبِّتُ عَمَلَهُمْ وتلهم على الله، ولا شيء في هذا مثل أن يُعْطَى عَقْدُ انقلب بهما بغير ظاهر منضبط فحذاف لمألوف القوم فيه مثل عند أول دخولهم مكة وهو محاكاة ما كانت فيه من القاء وتجهد، وحكاية الحال في مثل هذا أبلغ بكثير من لدان المقال.

قال النبي ﷺ: «لَا يَنْفَعُ^(٣) أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ أَقْرَبَ عَهْدٍ بِالْبَيْتِ» وخفف من الحائض.

أقول: المر فيه تعظيم البيت بأن يكون هو الأول وهو الآخر، تصويراً لكونه هو المقصود من السفر، وموافقة لمادتهم في توديع التوفد ملوكها عند السفر، والله أعلم.

❁ قصة حجة الوداع ❁

الأصل فيها حديث جابر وعائشة وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم.

أعلم أن رسول الله ﷺ مكث بالمدينة سبع سنين لم يخرج، ثم أذن في الناس في الحاشية أن رسول الله ﷺ حاج، فقام المدينة يشتر كثير، فخرج حتى أتى ذا الحليفة، فافسل وتطبَّ، وصلى ركعتين في المسجد، ولبس إزاراً ورداء وأحرم وأثرو: «ليكن اللهم ليكنك ليكنك لا شريك لك ليكنك، إن الحمد والمنة لك والملك، لا شريك لك».

أقول: اختلف هنا في موضعين:

أحدهما: أن تُسَكَّنَ ذلك؟ إن حجاً مفرداً أو منحة؟ بأن حل من المدينة واستأنف الحج؟ أو أنه أحرم بالصح ثم أشار له بهيريل عليه السلام أن يُذْخِلَ العمرة عليه، فيجزي على إحرامه حتى يرجع من الحج ولم يحل، لأنه كان ساقى الهدى؟

(١) أي من الحج.

(٢) هو: وفود طرية في طاعة الله.

(٣) أي: ينعين.

وتنبيهها: أنه أقل حين صلى أو حين ركب ناقته أو حين أشرف على الميلاء؟^(١) وبين ابن عباس رضي الله عنهما أن الناس كانوا يأتونه أرسالاً، فأخبر عن وحد بما رآه، وقد كان أول إعلاله حين صلى ركعتين، وإنما اغتسل وصلى ركعتين لأن ذلك أقرب لمعظم شعائر الله، ولأنه شَبَّكَ للبدن بفعل ظاهر منضبط يدل على الإخلاص لله والاهتمام بطاعة الله، ولأن تغيير اللباس بهذا النحو يَبْدُو النفس ويوقظها للتواضع لله تعالى، وإنما تطيب لأن الإحرام حال النشوة والخل فلا بد من تفادك له قبل ذلك، وإنما اختار هذه العبطة في التنبيه لأنها تمير عن قيامه بطاعة مولاه، وتذكر له ذلك، وكان أهل الجاهلية يعظمون شركاءهم، فأدخل النبي ﷺ «لا شريك لك» ردًا على هؤلاء وتمييزًا للمسلمين منهم، ويستحب زيادة سؤال الله رضوانه والجنة والمستغفرة برحمت من النار.

وأشار جبريل عليه السلام برفع أصواتهم بالإحرام والتلبية، وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يلقي إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر لو شجر لو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا ومنهنا»^(٢).

أقول: سره أنه من شعائر الله، وقبه تنويه ذكر الله، وكس ما كان من هذا الباب فإنه يستحب الجهر به، وجعله بحيث يكون على رؤوس الخامل والكس، وبحيث يصير الدار دار الإسلام، فإذا كان كذلك كتب في صحيفة عمله صورة تلبية تلك المواضع. وأشعر رسول الله ﷺ ناقته في صفحة سنامها الأبيض، وسلبت الدم عنها، وقطعها نعلين.

أقول: السر في الإشعار التنويه بشعائر الله وأحكام الملة الحنيفية يرى ذلك منه الألفاظي والأدائي، وأن يكون نعل القلب منضبطاً بفعل ظاهر. زُوِّلَتْ أسماء بنت صميم بذي الحليفة فقال لها: «اغتسلي واستغفري»^(٣) بثوب وأخبرني.

أقول: ذلك ثنائي بقدر الجور من شئ لإحرام.

وقال النبي ﷺ حين حاضمت عائشة رضي الله عنها يسرفه: «إن ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم، فاعطني ما يفعل الحاج غير ألا تلوني بكبيت حتى تظهرني».

أقول: مهّد الكلام بأنه شيء يحشر وفرعه، فمثل هذا الشيء يجب في حكمة الشرائع

(١) إشارة إلى المشرق والمغرب والغلبة معنوية، أي: إلى منتهى الأرض.

(٢) أي: معصية.

(٣) الاستغفار أن يمشي المرأة لوجهها بخدعة عظيمة عريضة مضمرة يلقين رطلًا طرابها على وجهها، وقوله: «معرض» موضع يطي عشرة ليلال من مكة.

أن يُدفع عنه الحرج، وأن يُسن له سُنة ظاهرة، فلذلك سقط عنها طواف القدوم وطواف
الوداع.

فلما دنا من مكة نزل بذي طوى، ودخل مكة من أعلاها نهادراً وخرج من أسفلها،
وذلك ليكون دخول مكة في حال الطمأنان القلب دون التعب، لينتفع من استنشاد جلال
الله وعظمت، وأيضاً ليكون طوافه ياليت على أمين الناس دلائله أن يؤد بطاعة الله، وأيضاً فكان
النبي ﷺ يريد أن يعلمهم سنة المناسك، فأمرهم حتى يجتمعوا له جامعين⁽¹⁾ متبئين،
واتباعاً خالف في الطريق ليظهر شركة المسلمين في كلا الطريقين، ونظيره العبد.

فلما أتى البيت استلم الركن وطاف سبعاً، وحل ثلاثاً، ومشى أربعاً، وخص الركبتين
اليابسين بالاسلام، وقال فيما بينهما:

﴿وَرَوَاهُمْ مَنْ يَقُولُ رَمَكَا كَأَنَّكِ فِي الْأَنْجَارِ حَسْبُكَ وَفِي الْأَنْجَارِ حَسْبُكَ وَفِي عَذَابِ
النَّارِ﴾ [عبقرة: الآية 201]

ثم تقدم إلى مقام إبراهيم، قرأ:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُسَلِّينَ﴾ [عبقرة: الآية 125]

فصلّى ركعتين، وحمل المقام بينه وبين البيت، وقرأ فيهما:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [إبراهيم: الآية 1]، و﴿قُلْ تَكَلَّمَ الْمَلَكُ الْكَلِيمُ﴾ [الشورى: الآية 1]

ثم رجع إلى الركن فاستلمه.

أقول: أما سر الرمل والاصطباح فقد ذكرناه، وإنما خص الركبتين اليابسين بالاسلام
لما ذكره ابن عمر من أنهما بانيان على بناء إبراهيم عليه السلام دون الركبتين الآخرين
فإنهما من تغييرات أهل الجاهلية، وإنما اشترط له شروط الصلاة لما ذكره ابن عباس رضي
الله عنهما من أن الطواف يشبه الصلاة في تعظيم الحق وشعائره، فتجمل عليها، وإنما سنّ
ركعتين بعده إتماماً لتعظيم البيت، فإن تمامه أن يستقبل في صلواتهم، وإنما خص بهما
مقام إبراهيم لأنه أشرف مواضع المسجد، وهو آية من آيات الله ظهرت على سبيلها
إبراهيم، وتذكر هذه الأمور هي العمدة في الحج، وإنما استحب أن يقول بين الركبتين:

﴿رَمَكَا كَأَنَّكِ فِي الْأَنْجَارِ حَسْبُكَ وَفِي الْأَنْجَارِ حَسْبُكَ وَفِي عَذَابِ النَّارِ﴾ [عبقرة: الآية 201]...

إنح، لأن دعاء جامع نزل به القرآن، وهو قصر اللفظ يناسب تلك الفرصة القليلة

ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الْأَشْأَ وَالْآثَرِ﴾ [شعر: الآية 158] إني بما بدا لله به، فبدأ بالصفا، ودق عليه حتى رأى البيت، فاستقبل

(1) ابن كثير.

القبلة، فوحد الله وكبره. وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». لا إله إلا الله وحده، أتجزأ وعده ويصير عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل ومشي إلى المروة، حتى إذا ثببت قدماء في بطن الوادي سمى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

أقول: فهم النبي ﷺ من هذه الآية أن تقديم الصفا على المروة إنما هو لتوثيق المذكور بالمشروع، وإنما خص من الأذكار ما فيه توحيد وبيان لإنجاز التوحد ونصيره على أعدائه، تفكيراً لتعنه وإظهاراً لبعض معجراته وقطعاً لتدبير الشرك وبياناً أن كل ذلك موضوع تحت قدميه. وإعلاناً لتكلمة الله وحده في مثل هذا الموضع، ثم قال: «لو أنني استقيت من امرئ ما استعبرته، لم أشق الهذلي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليجول» وليجعلها عمرة. قيل: أتعلمنا هذا أم لا لأبد؟ قال: «لا، بل لأبد الأبد». فعمل الناس كنهم وقصروا، إلا النبي ﷺ لمن كان معه هدي.

أقول: الذي بنا لرسول الله ﷺ أمور:

منها أن الناس كانوا قبل النبي ﷺ يرون العمرة في أيام الحج من أجزء الفجور، فإراد النبي ﷺ أن يطل تحريمهم ذلك بأنهم وجه.

ومنها أنهم كانوا يجدون في سددهم حرجاً من قرب عهدهم بالجماع عند إنشاء الحج حتى قالوا: أئاني عرفة ومذاكيرنا تقطر متياً؟ وهذا من التعسف، فأراد النبي ﷺ أن يهد هذا الباب.

ومنها أن إنشاء الإحرام عند الحج أتم لتعظيمهم البيت.

وإنما كان سوق الهدي صنفاً من الإحلال لأن سوق الهدي بمنزلة النحر أن يبقى على هيئته تلك حتى يذبح الهدي، والذي يلتزمه الإنسان إذا كان حديث نفس أو نية غير مضبوطة بالفعل لا عبرة به، وإذا افتقر بها فعل وصارت مضبوطة وجبت رعايتها، والضبط مختلف، فأكدناه بالإنسان، وأقرره أن يكون مع القبول فعل علانية يختص بالحالة التي أرادها، كالشوق.

فلما كان يوم التروية توسعوا إلى متى فأهلوا بالحج، وركب النبي ﷺ، فعلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، فسار حتى نزل بصره⁽¹⁾.

(1) وقد يتصور امت جائيه بعرفان والآش بمزينة.

أقول: إنما توجه يوم التروية ليكون أقرب به ومن معه، لأن الناس مجتمعون في ذلك اليوم اجتماعاً عظيماً، وفيهم الضعيف، والفقير، المسكين، الرقيق بهم، ولم يدخل عرفة نيل، وفيها قتال يتخذهما الناس شتاً، ويقتلوا أن دشونها في غير وقتها حرب.

ولما راغت الشمس تنحدر أمر بالقصواء^(١) نزحلت له، فأبى بعض الرادى مخطب الناس، وخيف من خطبه يومئذ، إلى معاكم حرام...^(٢) ثم أذن بالاجتماع، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً.

أقول: إن خطب يومئذ بالأحكام التي يحتاج الناس إليها ولا يفهم جهاتها، لأن اليوم يوم اجتماع، وقد تفرقت مثل هذه الغرضة لئلا تلهي هذه الأحكام التي يراه تليحها إلى جمهور الناس، وإنما جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء لأن الناس يومئذ اجتماعاً أم يجهل في غير هذا الموضع، والجماعة الواحدة مطلوبة، ولا بد من إقامتها في مثل هذا الجمع يراه جميع من هنالك، ولا يتصور اجتماعهم في وقتين، وأيضاً لأن للناس اشتغالاً بالذكر، والصلاة، وبعد صلاة هذا اليوم، ورواية الأوقات وطينة جميع الأمة، وإنما يرجح في مثل هذا الشيء البديع المحدث.

ثم ركب حتى أتى السوق، واستقل الغنم، فسم غن وانفاً حتى غردت الشمس وذهبت مغبرة قليلاً، ثم دفع.

أقول: ثم دفع بعد الغروب رداً لتحويل الجميلية، فإنهم كانوا لا يدقرون إلا ضل الغروب، ولأن قبل الغروب غير مضبوط وبعد الغروب أمر مضبوط، وإنما يؤمر في مثل ذلك اليوم بالأمر المضبوط.

ثم دفع حتى أتى مزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ولم يصل بينهما، ثم اضطلع حتى طلع الفجر، صلى الفجر حين تبين له أصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا لله وكثراً، وهله ووحده، فلم ينزل، وإنما حتى أسفر حداً فدفع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محصب^(٣) فحرك قليلاً.

أقول: إنما لم يتجهد رسول الله ﷺ في ليلة مزدلفة لأنه كان لا يعمل كثيراً من الأشياء المستحبة في المجامع لئلا يتعبها الناس شتاً، وقد ذكرنا من التورث بالمشعر

(١) اسم ناقه ﷻ

(٢) والخشية خاسها منكرة في سلم من جلس من حد الله في لغة هذا الوداد من شاء فليراجع

(٣) أي بطنى الغنم

(٤) والذين من والمزدلفة، وحوله، حيث لا يدور غيره، هو جبل نوح

الحرام، وإنما أوضح^(١) محسر لأنه محل هلاك أصحاب الغيل، فمن شأه من خاف الله وسطوته أن يستشر المخوف في ذلك الموطر ويهرب من الغضب، ولما كان استشاره أمراً حقياً خط بقدر ظاهر يُذكر له منه للنفس عليه.

ثم أتى جمرة العلبة فرماه بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها، مثل حصي الخذف^(٢) رمى من بطن الوادي.

أقول: إنما كان رمي الجمار في اليوم الأول غدوة، وفي سائر الأيام عشية؛ لأن من وظيفة الأول استحر بالخلق والإفاضة، وهي كلها بعد الرمي، فهي كونه غدوة توسعة، وأما سائر الأيام فأيام تجارة ورياء أسواق، فالأسهل أن يجعل ذلك بعد ما يرمع من حوائجه، وأكثر ما كان الفراغ في آخر النهار، وإنما كان رمي الجمار نواً، والسعي بين الصفا والمروة نواً، لما ذكرنا من أن النوتر عند محبوب، وأن خليفة الواحد الحقيقي هو الثلاثة أو السبعة، فبالحرى ألا يتعدى من السبعة إن كان فيها كفاية، وإنما رمى بسبع حصي الخذف لأن دونها غير محسوس، وفوقها ربما يؤذي في مثل هذا الموضع.

ثم انصرف إلى المشعر فحجر ثلاثاً وسنتين بلفة بيضاء، ثم أهضى غليلاً رضي الله عنه لينحر ما غير، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بلفة ببضعة^(٣) فجعلت في يدي فطبخت، فأكل من لحمها وشربا من مرقها.

أقول: إنما نحر بيده هذا العدد ليشكو ما أولاه الله في كل سنة من عمره ببلدة، وإنما أكل منها وشرب اعتناء بالهدي وتبركاً بما كان له تعالى.

قال ﷺ: «نحرت ههنا، وعنى كلها مشعر، فلتنحروا في رحالكم، ووقفت ههنا، وعنى كلها موقف»، ووقف ههنا، وجمع^(٤) كلها موقف، وزاد في رواية: «وكل فجاج مكة طريق ومشعر».

أقول: فرق النبي ﷺ بين ما نعمة تشريعاً لهم وبين ما فعله سبب الاتصاف أو لمصلحة خاصة بذلك اليوم أو اختياراً لمعاسن الأمر.

ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت، فسلم، بحكة الظهر، وطاف وشرب من زمزم.

أقول: إنما يبادر إلى البيت لتكون الطاعة في أول وقتها، ولأن لا يأمن الإنسان أن يكون له مانع، وإنما شرب من زمزم تعظيماً لشعائر الله وتبركاً بما أظهره الله رحمة.

فلما انقضت أيام منى نزل بالأبطح، وطاف للوداع ونحر.

(١) من الإيضاح وهو: في العبارة تعريب بسرعة، (٢) الرمي بالأصابع، وقوله: «نواً أي وقراً».

(٣) أي: قطعة، وعمله: «أولاه» أي: أتم عليه. (٤) اسم للتميلقة.

أقول: اختلف في نزول الأبطح هل هو عن وجه العبادة أو العبادة فكانت عائشة
 نزول الأبطح ليس بمكة، إنما نزل رسول الله ﷺ لأنه كان أصبح للخروج، ويستبط من
 قوته: «حيث تقاسموا على الفكرة»^(١) أنه قصد بذلك تنويرها بالدين، والأول أصح.

أُمُور تَتَعَلَّقُ بِالْحَجِّ

قال النبي ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن، فسوَّته خطايا
 بني آدم» وقال فيه: «والله لبيعتنَّه الله يوم القيامة له عيتان يبصر بهما لسان ينطق به يشهد
 على من استلمه بحق» وقال: «إن الركن والمقام ياقوتان».

أقول: يحتمل أن يكونا من الجنة في الأصل، فلما جُعلا في الأرض اقتضب الحكماء
 أن يُرَاعَى فيهما حكم نشأة الأرض، فطمس مورعتهما، ويحتمل أن يراد أنه شاطنهما قوة
 مثالية بسبب توفيقه الملائكة إلى تنويره أمرهما وتعلُّقهم بالعلم الأعلى والصالحين من بني
 آدم حتى صارت فيهما قوة ملكية. وهذا وجه التوفيق بين قول ابن عباس رضي الله عنهما:
 كلما دعا رسول محمد ابن الحنفية رضي الله عنه: «حجروا من أحجار الأرض».

وقد شاهدنا عياناً أن لبيت كالمحمو بقوة ملكية، ولذلك يجب أن يُعْمَل في المثال
 ما هو خاصية الأحياء من العيتين واللسان، ولما كان مُتَرَفِّقاً لإيمان المؤمنين وتمتعهم
 انعطشين لله، وجب أن يظهر في اللسان بصورة الشهادة له كونه حياً كما ذكرنا من سر لَمَعِ
 الأرجل والأيدي.

وقال رسول الله ﷺ: «من طاف بهذا البيت تسربلاً وخصية وصلّى ركعتين كان كمَنْ تَوَضَّأَ
 رقية، وما وضع رَجُلٌ قَدْعاً ولا رَفْعاً إلا كَتَبَ له الله بها حسنة، ومحا بها سيئة، ووفى له بها
 بركة».

أقول: السر في هذا الفضل شيطان.

أجدهم: أنه لما كان شَبْحاً للغرض في رحمة الله وعطف دعوات أنسلا الأعلى إليه
 وعظمة لذلك ذكر له أقرب خاصية لذلك
 وثانيهما: أنه إذا فعل الإنسان يماناً بأمر الله وتعطفاً لموعوده كان ثيباناً لإيمانه
 وشرحاً له.

قال ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يُغْفَرَ فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو
 ثم يباهي بهم الملائكة».

(١) أول الحديث ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أرك حنيفة: «مَنْزِلَةٌ غَيَّا لِي شَاءَ اللَّهُ
 خَوْفٌ بَيْنِي وَكَأَنَّهُ حَبْرٌ» إلخ.

يقول: ذلك لأن الناس إذا تضرعوا إلى الله بأجمعهم لم يترسخ نزول الرحمة عليهم وانتشر الوحانية فيهم.

وقال **عليه السلام**: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلنا أنا والقصيون من قلبي لا إله إلا الله وحده لا شريك له... إلخ»، وذلك لأنه جامع لأكثر أنواع الذكرك، ولذلك رغب فيه وفي: سبحان الله والحمد لله... إلخ في مواطن كثيرة، وأوقات كثيرة كما يأتي في الدعوات.

ومن السنة أي يهدي وإن لم يأت الحج، إقامة لإعلاء كلمة الله بقدر الإمكان، وإنما دعا للمخلفين ثلاثاً وللمنصرين مرة إبانة لفصل الحلق، وذلك لأنه أقرب نزول الشك المناسب لهيئة الداخلين على الملوك، وأدنى أن يبقى أثر الطاعة ويرى منه ذلك ليكون أنوه بضاعته الله، ونهى أن تعلق المرأة رأسها لأنها مثقلة ونشبه بالرجل، وأتى فيمن حلق قبل أن يطبخ، أو نحر قبل أن يرمي، أو رمى بعد ما أمسى، أو أقصر قبل الحلق أنه لا يخرج، ولم يأمر بكفارة، والسكوت عند الحاجة بيان، وليت شعري هل في بيان الاستحباب صيغة أصح من: «لا حرج»؟

ولا يتم التشريع إلا ببيان المرغص في وقت الشك:

فمنها أدى لا يستغني عنه الاجتناب عما حرم عليه في الإحرام، وفيه قول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرْجُئًا أَوْ يَدُورَ أَوْ يَنْتَبِهُ مِنْ بُيُوتِهِ أَوْ مَكَتًا أَوْ مَكَلًا﴾ [عبس: ١٩٦]، ونحوه **عليه السلام** لكعب بن عجرة: «العلق رنك والطعم فرقاً»، إلخ^(١)، وقد بينا أن أحسن أنواع الترخص ما يجعل معه شيء يذكر له الأصل وينالج صدر المجمع على مزية الأصل عند تركه، وحل الإفراط في وجوب الكفارة على ذلك بالطريق الأولى.

ومنها الإحصار، وقد من فيه حين حال كفار فريش دون أبيته، فخر هداياه وحلق وخرج من الإحرام. والسرف في حرم مكة والمدينة أن لكل شيء تعظيماً، وتعظيم البقاع ألا يتفرغ لها فيها بسوء، وأصل ماخوذ من حصى الملوك وحلة بلادهم، فإنه كان انقياد القوم لهم وتعظيمهم إياهم موارفاً أمواخذ أنفسهم ألا يتعرضوا لها فيها من الشجر والأدواب. وفي الحديث: «إن لكل ملك حصى وإن حصر الله حصره»، فاشتهر ذلك بينهم وركز في صميم قلوبهم وسوءه انتدبهم. ومن أدب الحرم أن يتأكد وجوب ما يجب في غيره من إقامة العدل وتحرير ما يحرم فيه، وهو قوله **عليه السلام**: «المتكلم الطعام في الحرم حلال فيه».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا كَذِبًا وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [عنكب: ١٥].

أقول: لما كان الصيد في الحرم والإحرام والجماع في الإحرام إقراضاً ناشئاً عن

(١) عر يفتح الداء وإدله وسكون الواو مكمل بسم ثلاث أسمع.

توعل النفس في شهوتها وجب أن يُزجر عن ذلك بكفارة. واختلفوا في جزاء الصيد هل تعتبر المثلية في الخلق أو القيمة؟ والحق أنه ينبغي أن يسأل قَوْي عذل، فإن رأيا رأي السلف في تلك الصور فذاك، وإن رأيا القيمة فذاك.

قال النبي ﷺ: «لا يصبر على لأوٍ^(١) المدينة أحد من امتي إلا كُتِبَ له شفعاً يوم القيامة».

أقول: سر هذا الفضل أن عمارة المدينة إغلاء لشعائر الدين، فهذه فائدة ترجع إلى العلة، وأن حضور تلك المواضع والحلول في ذلك المسجد مُذَكِّرٌ له بما كان النبي ﷺ به، وهذه فائدة ترجع إلى نفس هذا المكلف.

قال النبي ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ولني حرمت المدينة».

أقول: فيه إشارة إلى أن دعاء النبي ﷺ يجهد همه وثأؤك عزيمته له دخل عظيم في نزول التوفيقات، والله أعلم.



(١) لأوٍ: بلدة، بلدة وهيب المدينة.

من أبواب الإحسان

اعلم أن ما قلّت به الشارع نكلاً أو يحدّاً أو تحريماً من الأعمال، من جهة أنها تتبع من الهيئات النفسانية التي هي في المعدد للنفس⁽¹⁾ أو عليها، وأنها تعد فيها وتشرعها، وهي أشاحها ونعائيلها.

والبحث عن تلك الأعمال من جهتين:

إحداها جهة إبرامها بجمهور الناس، والعمدة في ذلك اختبار منان تلك الهيئات من الأعمال، والطريقة الفاهرة التي ليها نهارها، يزغدون بها على أعين الناس فلا يتمكنون من التسلل والاعتذار، ولا بد أن يكون نأؤها على الاقتصاد والأمور المضبوطة.

والثانية جهة تهذيب نفوسهم بها وبصالحها إلى الهيئات النملوية منها، والممثلة في ذلك معرفة تلك الهيئات، ومعرفة الأعمال من جهة إصالحها إليها، ونأؤها على الوجدان، وتقويم الأمر إلى صاحب الأمر.

فالبحت عنها من الجهة الأولى هو علم الشرائع وعن الثانية هو علم الإحصاء.

فانظر في مباحث الإحسان بحتاً إلى شيئين:

النظر إلى الأعمال من حيث يصلحها إلى هيئة نفسانية، لأن العمل ربما يؤدي على وجه الرياء والسمعة أو العادة، أو يقارنه الغيب والعمى والأذى، فلا يكون موصلاً إلى ما أريد منه، وربما يزغى على وجه لا تتبّه هذه النفس لأرواحه فتشأ يلبس بالمحسنين، وإن كان من انفس من يتنه بمنته، كالمكفي بأصل المفروض لا يزيد عليه كفاً ولا كيفاً، وهو ليس مركب.

والنظر إلى تلك الهيئات نفسانية ليبرمها من معرفتها، فبإشراق الأعمال علم بصيرة مما أريد منها، فيكون طبيعتها: يسوس نفسه كد يسوس الطبيب الطبيعة، فك من لا يعرف المقصود من الآلات زاد إذا استعملها أن يخط غيبه عشواء، أو يكون كحاطب الليل.

(1) من الإنفك وغيره.

وأصول الأخلاق المصنوع عنها في هذا الفن أربعة - كذب نهى عن ذلك فيما سبق .
 الطهارة التكاليفية بلا شبهة بالملكوكة ، والإغيات الجالب تستطاع إلى الجبروت ، وتخرج
 للأول الضرر والغافل والناهي الدلالة ، والأذكى والخلوة ، وإذا جتمعتا سميتا - كجربة
 ومصلحة ، وهو قول حذيفة في عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما - لقد علم لمخوفون
 من أصحاب محمد ﷺ أنه أقربهم إلى الله وسبيله ، « قد سهاها الشارع إيماناً في قوله ،
 « الظهور شخص الإيماني » ، وقد بين النبي ﷺ حال الأول حيث قال : « إن الله يظفر بحب
 حفظه » ، وأشار إلى الثاني حيث قال : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه
 يبرئك » ، والمصلحة في تعصيلها النفس - لتوابع المأثورة عن الأنبياء - مع ملاحظة أرواحها
 وأبوابها والإكثار منها مع رعاية هديها وأدكارها .

فروح الطهارة هي نور الباطن ، رجال الآس والانتسراح ، ولحمود لأفكر الجبروت ،
 وكود التشويشات والقلق ونشت الفكر ، والضمير والجزع .

وروح الصلاة هي المحصور مع الله ، والاستشراق بنجبروت ، وتذكر جلال الله مع
 تعظيم مزيح ببحية وطمانينة ، ولله الإشارة في قوله ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ،
 فإن لم تكن تراه فإنه يبرئك » .

وأشار إلى كيفية تحرير النفس عليها بقوله : « قال الله تعالى : قَسَمْتُ السَّلاَةَ » يعني
 وبين عهدي نصفين ولعدي ما سأل ، فإذا قال عبيد : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله
 حملي عهدي ، وإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قال الله الشئ علي عهدي ، وإذا قال : ﴿ سُبْحَانَكَ يَا رَبِّهِ يَوْمَ
 الْبَرِّ ﴾ قال : مجلسي عهدي ، وإذا قال : ﴿ يَا أَلَهَ تَعَالَى رَبِّكَ تَسْمِيَةً ﴾ قال : هذا
 يدي وبين عهدي ، ولعدي ما سأل ، وإذا قال : ﴿ هَيْدَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صراط الميم
 أَعَمَّتْ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَحْصُورِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال : هذا لعدي وعهدي ما سأل .

فلذلك إشارة إلى الأمر بملاحظة اجوب في كل كلمة ، فإنه يبه للمحصور تنبيهاً لطيفاً ،
 وبأدعية سها النبي ﷺ في الصلاة وهي مذكرة في حديث علي رضي الله عنه وغيره .

وروح تلاوة نقر أن يوجه في الله بشوق وعظيم ، ويندر في مواعظه ، ويستشعر
 الانقياد في أحكامه ، ويميز بأمله وقسمه ، ولا يمر بآية صفات الله وآياته ولا قول :
 سبحان الله ، ولا بآية الجنة والرحمة إلا سأل الله من فضله ، ولا بآية النار والعقاب إلا
 تعود بالآ .

فهذا ما من رسول الله ﷺ في تحرير النفس بالانقياد

(1) كذا في نسخة ، وقراءه مجسدي - أي سبني إلى العبد

وروح الذكر الحضور والاسترقاق في الانكشاف إلى الجبروت، وتعميقه أن يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، ثم يسبح من الله أنه قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم يسبح من الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي... وهكذا حتى يرتفع الحجاب ويتحقق الاسترقاق، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك⁽¹⁾.

وروح الدعاء أن يرى كل حول وقوة من الله، ويصير كالصبي في يد النخال، وكأنه نخل في يد محرك التماثيل، ويحد له المناجاة.

وقد سن رسول الله ﷺ أن يدعو بعد صلاة التهجد في أثناء إشفاقه⁽²⁾ دعاء طويلاً يقتضيه⁽³⁾ فيها بديه يقول: يا رب يا رب، يسأل الله خير الدنيا والآخرة، ويتعوذ به من البلاء، ويتضرع، ويُلجج، ويشترط في ذلك أن يكون بقلب فارغ غير لاه، ولا يكون حافئاً ولا حافئاً ولا جانباً ولا غفبان.

فإذا عرف الإنسان حالة المحاضرة ثم فقد ما فليتحصن من سبب القفلة، فإن كان غزارة⁽⁴⁾ الطبيعة فليج بالصور فإنه له رجاء⁽⁵⁾، وأكثر ما يكون في الصوم أن يصوم شهرين متتابعين، وإن احتاج إلى استفرغ المني والتفرغ من إصلاح المطعم والمشرب، أو كان ذهب تشاغل وأراد إعادته يملك فزجاً يدفع به سوء تبيئه من غير انهماك في المفارقة والاختلاط، وليجعله كالدواء يحصل نفعه ويحترز من فساد.

وإن كان الاشتغال بالارتقاقات وصحية الناس فليعالج بضم العبادات معها.

وإن كان امتلاء أوعية الفكر بخیالات مشوشة وأفكار جريزة فليعتزل الناس ويلتزم البيت أو المسجد، وليسج لسانه إلا من ذكر الله وقته إلا من الفكر فيما بهمه، ويتعاهد نفسه عندما يشفق، ليكون أول ما يدخل في قلبه ذكر الله، وعندما يريد أن ينام ليخلى قلبه من تلك الأشغال.

والثالث⁽⁶⁾ مساحة النفس، وهي ألا تنقاد الملكية لدواعي الهيبة: من طلب اللذة، وحب الانتقام، والغضب، والبخل، والحرص على المال والجاه، فإن هذه الأمور إذا

(1) كما رواه القزويني عن أبي سعيد وأبي مويرة قال: قال رسول الله ﷺ: من قال: لا إله إلا الله زاد كبير حنقه ربه قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر. طبع.

(2) جمع شفق وهو: وكنت من الصلاة.

(3) من الإشباع وهو: رفع الأيدي عند الدعاء.

(4) أي: قوة.

(5) الرجاء: رضى شفي القلب رضاء شديدة ينصب شهوة الجماع، والمراد أن الصوم للتحل لشهوة كالانكشاف.

(6) أي: من أصول الاختلال الأربعة.

ياثر الإنسان أعمالها المناسبة لها فتشيع ألوانها في جوهر النفس ساعة ما، فإن كانت النفس سمحة يسهل عليها رفض الهيات الخبيثة، فصارت كأنه لم يمكن فيها شيء من ذلك الباب قط، وخلصت إلى رحمة الله، واستمرت في لجة الأنوار التي تقتضيها جيلة النفوس لولا الموانع، وإن لم تكن سمحة تشيع ألوانها في النفس، كما يتشيع نفوس الخاتم في الشمس، ولصق بها زهر⁽¹⁾ الحياة الدنيا ولم ينهل عليها رفسها، فإذا فارقت جسدا أحاطت بها الخلطات من بين يديها، ومن خلفها، ومن بينها، ومن شمالها، وسلك بينها وبين الأنوار التي تقتضيها جيلة النفوس حجب كثيرة غليظة، فكان ذلك سبب ناذبها وتالمها.

والساحة إذا اعتبرت بداعية الشهوتين - شهوة البطن، وشهوة الفرج - سببت حفة، أو بداعية الدعة والرفاهية سببت اجتهافاً، أو بداعية الفجر والجزع سببت صبراً، أو بداعية حب الانتقام سببت حقوفاً، أو بداعية حب المال سببت سخاوة وقناعة، أو بداعية مخالفة الشرع سببت تقوى، ويجمعها كلها شيء واحد، وهو أن أصلها عدم انقياد النفس للهواجس البهيمية، والصوقية يسئونها به قطع الاتصالات الشبوية، أو به القناء عن الخناس البشرية، أو به الحرية، فيسرون من تلك الخصلة بأسماء مختلفة، والعمدة في تحصيلها قلة الوقوع في مظان هذه الأشياء وإثارة القلب ذكر الله تعالى وسبل النفس إلى عالم التجرد، وهو قول زيد ابن حارثة: استوى عندي خيرها ومذرها، إلى أن أخبر عن المكالفة.

والزراع العدالة، وهي ملكة يصدر منها إقامة النظام العادل المصلح في تدبير المنزل وسياسة المدينة ونحو ذلك بسهولة، وأصلها جيلة نفسانية تنبعث منها الأفكار الكلية والسياسات المناسبة بما عند الله وعند ملائكته، وذلك أن الله تعالى أراد في العالم انتظام أمرهم، وأن يعاون بعضهم بعضاً، وألا يظلم بعضهم بعضاً، وأن يتألف بعضهم ببعض، ويصبروا كجسد رجل واحد، وإذا تألم عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالحنى والسر، وأن يكثر نسلهم، وأن يزرع فاسقهم، ويؤدب عادلهم، ويخمل فيهم الرسوم الفاسدة، ويظهر فيهم الخير والنواميس الحقة، فله سبحانه في خلقه قضاء إجمالي كل ذلك شرع له وتفصيل، وملائكته المقربون تلقوا ذلك وصاروا يدعون لمن سمي في إصلاح الناس ويلتمون على من سمي في فسادهم، وهو قوله تعالى:

﴿وَقَدْ أَهَلَّ الْأَنْبِيَاءُ نَارًا يَكُرُّ وَيَكْرَهُ الْمَلَكُوتُ فِي الْآزَلِ سَكَنًا أُنْشِخَتْ الْأَرْوَاحُ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَيَسَّ لَكُم رَيْبُوهُمْ لَئِنْ لَمْ يَرْوَوْا عَنْهُمْ لَمَنْ يَكْفُرُ بِهِمْ لَبَّاسًا يَكْفُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: 55].

(1) الزهر: محوثر لمرقم والطيب وغيرهما، وسيل: سيل.

وقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِمَنْعِهِ قُلُوبًا يَفْقَهُونَ الصِّيقَ﴾ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَمُسُّهُمَا تَأْمُرُ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُؤْتَلَ

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَفْقَهُونَ هَذِهِ الْقُلُوبُ عَلَىٰ بَشَائِرِهِمْ وَتُسَمَّرُ مَا تَرَىٰ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُؤْتَلَ﴾ [مريم: الآية ١٥].

فمن باشر هذه الأعمال المصلحة لله، ورحمة الله وصلوات الملائكة من حيث يحسب أو لا يحسب، وكان مثلك وفائق تحيط به، كأشعة الشَّرِّ في محيط بالإنسان، فتورث الإلهام في قلوب الناس والملائكة أن يحسنوا إليه، ويضع له القبول في السماء والأرض، وإذا انتقل إلى عالم التجرد أحس تلك المراتق المتصلة به والظُّ بها ووجد سعة وتولاً وقبح يه وير الملائكة به، ومن باشر لأعمال المعصية شدته غضب الله وأهنة الملائكة وكانت هناك رقائق مظلمة ناشئة من الغضب تحيط به فتورث الإلهام في قلوب الملائكة والناس أن يبشروا إليه، ويضع له البيضاء في السموات والأرض، وإذا انتقل إلى عالم التجرد أحس بذلك لواقف الظلمانية عاقبة عليه ونالمت نفسه به، ووجد ضيقاً ونقرة، وأحفظ به من جميع حوائده، فضافت عليه الأرض بها رحمت

والمعادلة إذا عثرت ماؤضع الإنسان في قيامه وقعوده ونومه ونظفه وشبه وكلامه ربه ولذاته وشعره سميت أدياً ردة اختبرت بالأموال وجمعها وصرفها سميت كفاية، وإذا اختبرت تدبير المنزل سميت حرية، وإذا اختبرت تدبير المدينة سميت سياسة، وإذا اختبرت بتألف الإخوان سميت حسن المعاشرة أو حسن المعاشرة، وتعدده في محبتها أرحمة واسعة ورفقة القلب وعدم قسوته مع انقياد لأفكار الكلية والنظر في عواقب الأمور.

وبين هاتين الخليقتين تفاخر ومغضة من ربه، وذلك لأن ميل القلب إلى التجرد انقياده لرحمة والمودة بتألفه في حق أكثر الناس. لا سيما أهل التعذيب، ولذلك ترى كثيراً من أهل الله يتكلموا وانقطعوا من الناس ويابتوا لأهل وأولادهم وقابوا من الناس على شئ بعيد، وترى العامة قد أحاطت بهم معانقة^(١) الأزواج والأولاد حتى أنساهم ذكر الله، والأدياء عليهم السلام لا يأمرود إلا برعاية المصالحين، وذلك أكثره الفسيد وتسمير الشُّبكي في هاتين الخليقتين.

فهذه هي الأخلاق المعيرة في الشرائع، وهذات أفعال وهيات تفعل يقل تلك الأخلاق وأخذاءها من جهة أنها تعضها مزاج الملائكة والشياطين، أو تنبعث من ميل

النبي إلى إحدى الملائكة^(١) فيؤمر بذلك الباب، وقد ذكرنا بعض ذلك.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «لن الشيطان يأكل بشمله ويشرب بشمله»، وقوله عليه السلام: «الاجدع^(٢) شيطان»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «الاكصفون كما تصف الملائكة».

وقد أمر النبي ﷺ بمطابقة تلك الأخلاق، فأمر بأذكار تقيّد دوام الإحبات والتضرّع، وأمر بالتعصّب والإنفاق، ورغب في ذكر هائم اللذات وذكر الآخرة، وهو أن أمر الغنى في أعينهم، وحفهم على التفكير في جلال الله وعظم قدره ليحصل لهم السعادة، وأمر بعبادة المريض، والبر، والصلة، وإقضاء السلام، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليحصل لهم العداة، وبين تلك الأفعال والهيئات أتم بيان، جزى الله تعالى هذا النبي الكريم كما هو أهله عنا وعن سائر المسلمين أجمعين.

إذا علمت هذه الأصول حان أن نشتمل ببعض التفصيل، والله أعلم.

الإنكار وما يتعلق بها

قال رسول الله ﷺ: «لا ينفذ قوم يتكفرون الله إلا حلفتهم^(٣) الملائكة وغشيتهم الرحمة»^(٤).

أقول: لا شك أن اجتماع المسلمين راغبين ذاكرين يجلب الرحمة وأنسكينة ويقرب من الملائكة.

وذلك ﷺ: «سبق المفلحون»^(٥).

أقول: هم قوم من السابقين شُمرًا بالمفردين لأن الذكر خفف عنهم أوزارهم.

قال ﷺ: «قال تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ^(٦) ذكرته في ملأ خير منه».

(١) أي: الملائكة والغيثين.

(٢) الاجدع: مقطوع الأضراس. والمراد به منقوع الصفة معزلاً، بلزومه في المثال أن هذا الفعل من المثال الشيطان.

(٣) أي: تملك بهم.

(٤) أي: المفردون أنفسهم عن إخوانهم والمتميزون أمواتهم عن جبالهم. وهو على وزن قسم الماعل من التمثيل والإعمال معاً.

(٥) أي: جماعة المؤمنين.

أقول: جبلة العبد الناشئة منها أخلاقها وعلومها والهيئات التي اكتسبها نفسه هي المخصصة لنزول رحمة غامرة به، فرمى عبد شحيح الخلق بطن يريه أنه يتجاوز من ذنوبه، ولا يؤاخذ بكل تغير وقطعير، ويعامل معه معاملة السحابة، فيكون رجاءه ذلك سبباً لتغصن غطياتها عن نفسه، ورب عبد شحيح الخلق بطن يريه أنه يؤاخذ بكل تغير وقطعير، ويعامل معه معاملة المتعفين، ولا يتجاوز عن ذنوبه، فهنا بأشد الميزة بالنسبة إلى حيات ذنوبه نحيط به بعد موته، وهذا الفرق إنما يحله الأمور التي لم يتأكد في حظيرة القدس حكمها، وأما الكيان وما يشابهها فلا يظهر فيه إلا بالإجمال. وقوله «أنا معه» إشارة إلى سيرة القبول وكونه في حظيرة القدس بال، فلا ذكر الله في نفسه وسلك طريق التفكير في آياته فجزأه أن الله يرفع الحجب في مسيره ذلك حتى يصل إلى التجلي القائم في حظيرة القدس، وإن ذكر الله في سائر مكان معه إشاعة بين الله وإعلاء كلمة الله فجزأه أن الله يرفع الحجب في قلوب الملأ الأعلى. يدعون له ويكرمون عليه، ثم يقول له القبول في الأرض. وكم من عارف باق وصل إلى المعرفة وليس له قبول في الأرض ولا ذكر في الملأ الأعلى، وكم من ناصر دين الله له قبول عظيم وبركة جيمة ولم ترفع له الحجب.

قال ﷺ: «قال تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزأه سيئة مثله لئلا يغفر» ومن تقرب مني شيراً تقربت إليه نواغياً، ومن تقرب مني نواغياً تقربت مني. ومن أكلني يمشي أتبعه هرولة⁽¹⁾، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيت به مثلاً مغفرة».

أقول: الإتصال إذا مات وأدير عن الدنيا وضعت سوزة بهيمته وتلعت⁽²⁾ أنوار ملكية، فقليل غيره كثير، وما بالقرص ضيقت بالنسبة إلى ما هو بالذات والنسبة إلى الألهي ميناء على إفاضة النور، فالخير أقرب إلى الوجود، والشر أدنى منه، وهو حديث: «إن الله خلق رحمة أشد منها واحدة إلى الأرض»، فيبين النبي ﷺ ذلك بمنزل الشير والذراع والباع والمشي والهرولة، وليس شيء أنفع في العدد من لتطلع إلى التجبروت والالفتات لتفادها، وهو قوله: «من لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيت به مثلاً مغفرة»، وقول تعالى: «أعلم عبدي أن له ربياً يغفر الذنوب ويؤاخذ به».

وقال ﷺ: «قال تعالى: من عابى لي ربياً فقد آتنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها».

(1) أي قدر مد لينين.

(2) أي بين العدو والمشي، ولرباب حال. (3) أي بوقت.

عن سنان لأبي عبد الله، قال: أدركته في لأبي عبد الله، وما ترويت في شيء أنا فاعله ترويت عن نفس
 ثعوب بن بكير الموت وإنما ذكره مساندة (١).

أقول: إذا أحب الله عبداً ونزلت محبته في السلاخ الأعلى ثم نزل له القبول في
 الأرض، فخالف هذا النظام أحد وهداه رضى في ربه أمره وكب حاله، انقادت رحمة الله
 بهذا المحبوب لعنه في حق عدوه، ورضاه به سخطاً في حبه، وإذا نزل الحق إلى عباده
 بأظهار شريعة وإمامة دين، وكتب في حطيرة القدس تلك السنن والشرائع كانت هذه السنن
 والتعريفات ما جلب شيء لرحمة الله وأوقعه برحمة الله، وقبيل هذه كثير، ولا يزال العبد يتقرب
 إلى الله بأخوافل زيادة على الخوف حتى يُحببه الله وتشاء وحسنه، ويحفظ بؤيد جوارحه
 نور بآله ويبارك فيه وفي أهله وولده وماله، ويستحباب دعاؤه، ويحفظ من الشر، ونصره.
 وهذا القرب عندنا يسمى بقرب الأعصاب، والشرود عنها كناية عن تهاوؤ العبادات، فإن
 الحق له عناية (٢) بكل نظام نوعي وشخصي، وعنايته بالجسد الإنساني تقتضي القضاء بمروءته
 ومرضه وتضييق الحدس عليه، وعنايته بنفسه المحبوبة تقتضي إقامته برفاهية من كل جهة
 عليه ويحفظه من كل سوء.

قال تعالى: «لَا تُبْسِكُمْ بغير أعتابكم، وأزكاهما عند ملتكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير
 لكم من يخلق القذوب والوقيق (٣)، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا
 أعناقكم»، قالوا: إلى، قال: «ذكر الله».

أقول: الانفضية تختلف بالاعتبار، ولا أفضل من الذكر باعتبار تطلع النفس إلى
 الجبروت، ولا شيئا في نفوس زكية لا تحتاج إلى التزيينات وإنما تحتاج إلى مداومة
 التوجه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قرع مقعداً لم يفكر الله معه كانت عية من الله تيرة (٤)،
 ومن اضمارع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله تيرة»، وقال تعالى: «وما من قوم
 يقومون من مجلس لا يتكبرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة»، وقال
 تعالى: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة (٥) للقلب، وإن أبعد
 الناس من الله القلب القاسي».

أقول: من وجد خلوة الذكر وعرف قيم يحصل له الاطمئنان بذكر الله وكيف تنفع
 المحجب عن قلبه عند ذلك حتى يصير كأنه يرى الله عاباً لا شك أنه إذا توجه إلى الذكر

(١) أي: بغيره.

(٢) أي: بغيره.

(٣) أي: بغيره.

(٤) أي: بغيره.

(٥) أي: بغيره.

وعائس الأزواج والضيعات، ينسى كثيراً، ويرغى كأنه قد ما كان وجداً، ويسدل حجاب بينه وبين ما كان يعمى منه، وهذه الخصلة تدعو إلى النار وإلى كل شر، وفي كل من ذلك بركة، وإذا اجتمعت الثرائل لم يكن سبيل إلى النجاة، وقد عالج النبي ﷺ هذه الثرائل بأتم علاج، وذلك أن شرع في كل حالة ذكراً مناسباً له ليكون تزياناً دافعاً لسم المغفلة، فنبه النبي ﷺ على فائدة هذه الأذكار وعلى مروض الثواب بدونها.

واعلم أنه متى الحاجة إلى ضبط ألقاظ الذكر صوتاً له من أن يتصرف فيه تنصرف بمقله، لا يتر فيلحد في أسماء الله، أو لا يعطي المقام حقه، وعمدة ما سن في هذا الباب عشرة أذكار، في كل واحد سر ليس في غيره، ولذلك سن النبي ﷺ في كل موطن أن يجمع بين ألوان منها.

وأيضاً فالوقوف على ذكر واحد يجملة لقلقة اللسان في حق عامة المكلفين، والانتقال من بعضها إلى بعض ينه النفس ويحفظ الوستان.

منها: سبحان الله، وحقيقته تنزيهه عن الأدناس والميوب والثاقص.

ومنها: الحمد لله، وحقيقته إثبات الكمالات والأوصاف الثابتة له.

فإذا اجتمعتا في كلمة واحدة كانت أفصح تعبير عن معرفة الإنسان بربه، لأنه لا يستطيع أن يعرف إلا من جهة إثبات ذات يسلب عنها ما يشاهده فيها من انتقاص، وثبت لها ما تشاهده فيها من جهات الكمال من جهة كونه كمالاً، فإن استقرت صورة هذا الذكر في الصيغة ظهرت هناك هذه المعرفة تامة كاملة عندما يغشى بسوؤها، فينتج بآية عظيمة من القرب، وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ في قوله: «الغيب يصيب نصف العيرين والحمد لله يملؤه»، ولهذا كانت كلمة (سبحان الله وبحمده) كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان حبيبة إلى الرحمن، ومن يقولها غرست له نخلة، وزود⁽¹⁾ فيمن يقولها مائة: مضلّق عنه خطايها، وإن كانت مثل زيد فبغيره، وم يات أحد يوم القيامة بالفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ذلك أو زاد عليه، وهي أفضل الكلام اصطفاً الله لملائكته.

وأما سر قوله ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة لقين يحمدين الله في شعراء ونضراء»، فهو أن عملهم ثبوتي تنبثق من الثبوت الثبوتية، وأهلها أحسن الناس بنعم الجنان.

وسر قوله ﷺ: «أفضل الدعاء الحمد لله» أن الدعاء حتى قسمين كما سنذكر، والحمد لله يفيدهما جميعاً، فإن الشكر يزيد النعمة، ولأنها معرفة ثبوتية.

وسر قوله ﷺ: «الحمد لله داس لشكر» أن الشكر يتأثر باللسان والجنان والأركان واللسان أفصح من ذلك.

(1) أي: في السمعين.

ومنها: لا إله إلا الله وأنه ملون كثيرة

فاتحون الأول طرد الشرك الجاني، والثاني طرد الشرك الحقي، وثالث طرد الحُجُب
المانعة عن الوصول إلى معرفة الله، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: «لا إله إلا الله، ليس لها
حجاب، بعد الله حتى داخل قلبه». وكان موسى عليه السلام يعرف من «الوهاب الباطنين
الأوليين، فاستبعد أن يكون» المذكور الذي يخفيه الله به ذلك، فأوحى الله إليه جليلة الحال،
وتشبه عليه أنه قدود كل ما سوى الله تعالى عن معنى الإيمان وعن التمثل بين عبده، وأنه
لم يصب جميع ما سواه في كفة وهذه في كفة لثالث بهم، فإنه يطرد من «يخفون»،
والتمثلة مع تفصيل ما للنفى والإثبات، وهي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلة وأنه
الحمد وهو على كل شيء قدير».

ورده في نفس من قالها ثانياً: «كانت له عقل»⁽¹⁾ عشر رقاب لله الخ⁽²⁾، وذلك لأنها
جامعة بين المعرفة الثبوتية والسلبية، والسلبية أقرب لعدم المنقوض، والثبوتية أقرب لوجود
المعاني وتمثل الأجزاء

ومنها: الله أكبر، وفيه ملاحظة عظيمة وقدرته وسلطانه، وهو إشارة إلى معرفة ثبوتية،
ونذلك ورد في قصده أنه بطل ما بين المبدء والأرض، وهذه الكلمات الأربع أفضل
الكلام وأحب إلى الله. وهي خواص الحق.

وسر حديث حويصة⁽³⁾: «لقد قلته بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلته منذ
اليوم لوزنتهن»⁽⁴⁾، سبحانه الله وبحمده عدد خلقه، ورضاه نفسه، ورتبة عرشه وهذه كلماته، أن
صورة العبد إذا استقرت في الحقيقة كان اتساعها واتساعها عند تجزأ حسب معنى
تلك الكلمة، فإن كانت فيه كلمة مثل عدد خلقه كان اتساعها مثل ذلك.

واعلم أن من كان أكثر ميث في ثلثين النفس يكون معنى الذكر فائتسب في حقه
إثبات الذكر، ومن كان أكثر مهله إلى محافل صورة العمل في الصبيحة وظهرها يوم
الجزء فالأصح في حقه اختيار ذكره دائماً⁽⁵⁾ على الأذكار بالمكعبة

وأيسر لأهلنا أن يقول: إذا كانت هذه الكلمات ثلاث مرات أفضل من سائر الأذكار

(1) أي حق.

(2) تعاليمه، فكيف له دابة حسنة ومعيد عنه مائة سنة، وكذلك حرراً من الشيطان يومه تلك حتى يمسى
وإنه يكتمل ما جاء به إلا وحل عمل أكثر منه.

(3) أي زوج النبي ﷺ.

(4) أي رحمتهم، وبعد كلماته أي مثل عيدها.

(5) أي غلب.

يكون الاعتبار بكثر الأدكار واستيعاب الأرقام فيها ضامناً لأجل الفضل أيضاً هو باعتبار دون اعتبار ذلك الذي يتجلى أرشد جوهرية رضي الله عنها إلى أقرب الأعمال ورغب في ذلك ترغيباً بلغة. والمراد بها منه الذي يتجلى في الذكر من طبع (الله أكبر) ودائر الأنماط مع التخليق، أي بـه النفس للذكر ولا يكون لفظة لسان.

ومهما سؤل ما يقع في بلد أو نفسه باعتبار خلقه، أو باعتبار حصول السكنى أو تقدير منزله وساله وجاهه وتؤخذ مما يضره كذلك، والسر فيه مشاهدته تأثير الحق في العالم ونفس الجول والقوة من غيره.

وَمِنْ أَرْجَعِ مَا مَنَّ اللَّهُ بِكَ فِي الْبَابِ : اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِينَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَسَاكَ الْهُدَى وَتَقَرُّ وَالْخَلْفُ وَالْقُنَى : اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَبِّحْنِي، وَذُكِّرْ⁽²²⁾ : أَلَا تَكُونُ بِالْهُدَى هَدْيَكَ الطَّرِيقَ، وَبِالسَّوَادِ سَوَادِ شِسْمٍ : اللَّهُمَّ اقْضِ لِي وَأَوْحِنِي، وَاهْدِنِي، وَغَنِّنِي، وَارْزُقْنِي، اللَّهُمَّ رِيشًا أَثَرًا فِي الْبَنِيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبِّ اعْنُيْ، وَلَا تُغْنِ عَنِّي، وَانصُرْنِي، وَلَا تُنْصِرْنِي، وَلَعَنُوكَ لِي⁽²³⁾ وَلَا تَعْمَرْ لِي، وَاهْدِنِي وَيُخْرِجْ الْهُدَى لِي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْ لِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ وَاهِبًا، لَكَ جَوَادًا⁽²⁴⁾، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَرْوَاهُ مِنْبِئًا، رَبِّ ثَقِّلْ ثَوْبِي، وَأَغْسِلْ حَوْشِي⁽²⁵⁾، وَاجِبْ دَعْوِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسُدِّدْ لِسَانِي، وَأَقْبِدْ لُبِّي، وَاسْتَلِّ⁽²⁶⁾ سَفِيفَةَ صَدْرِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَيْلَكَ وَحِبِّ مَنْ يَتَّقُنِي حَيْلَهُ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحَبُّ⁽²⁷⁾ فَاجْعَلْهُ قُرَّةَ لِي فِيمَا أَحَبُّ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَ عَنِّي مِمَّا أَحَبُّ فَاجْعَلْهُ قُرَّةً لِي⁽²⁸⁾ فِيمَا أَحَبُّ، اللَّهُمَّ تَقَسَّمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا نَحْنُ بِهِ بَيْنًا وَبَيْنَ مَعْلَمَيْكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا نَكِلُفُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ أَفْقَيْنِ مَا نَهْنُ بِهَ عَلَيْنَا مَصِيبَكَ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِإِسْمَاعِلَا وَإِسْحَارَنَا وَلَوْثُنَا مَا لِحَبِيبَتِكَ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مَعَهُ، وَاجْعَلْ ثَوْبَنَا⁽²⁹⁾ عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مِيلًا عَلَيْنَا، وَلَا تَمْلِكْ عَلَيْنَا مِنْ لَا يَرْهَمُنَا.

إلى: الملك عبد الله بن عبدالعزيز

(7) أي: عيسى عليه السلام رافى هذا، والذكر: الجد.

(3) المنكر. إيقاع البلاء على الأعداء وقتلهم، الاستتراج بالسمعة والنسبة والحاصل: تحقيق مكرك يا عدوئنا لا شيء.

(٤) - (١) منقلاً، ومختلاً، ختلاً، وإلخ. كثير الخار من الخار.

1997

14. أي - اختراع ومخترعة؛ خلق.

١٢٩) (أي من الملأ والسعد ومن منزه أي محفوظ)

١٨٠) لَوْ سِوَعِيًّا الْعَرَابِيَّ هِيَ خَاصَّةٌ وَقَوْلُهُ جَمْعُهُ أَيْ لُجْمَتُهُ وَأَمَّا قَوْلُهُ سِدَّةُ الْعِبَادَةِ

(2) **الخطأ:** أي جعل نفسنا مقصوداً آخر من خلقت لا مقصود على غير الظاهر، كما كان في العاصفة.

ومن أخص ما شئ النبي ﷺ في الاستعاذة: «أعوذ بالله من جُهلٍ ليلٍ»^(١) وبذلك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والمجنون والمخل، وضلع الدين وغلبة الرجال، اللهم إني أعوذ بك من الكس والهرم، والمعوم والماتم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وقتة النذر وقتة القبر وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح كذبال، اللهم اعسل خطايي بماء كليل ولا يرد، وأق قلبى كما يفر الثوب الأبيض من النسخ، وبماء ينقى وبين خطايي كما يبعث بين المشرق والمغرب، اللهم ألت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا تستجاب لها، اللهم إني أعوذ بك من ذلّ نعمتك، ومحول غافلتك، وفتنة نعمتك، وجميع سخطك، اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفقر، والثقل، وأعوذ بك من أن ألقم أو ألقم.

ومنها: التعبير عن الخضوع والاحتياج، بقوله ﷺ: «سجد وجهي للذي خلقه»

الح

وعلم أن الدعوات التي أمرنا بها النبي ﷺ على فسن.

أحدها: ما يكون المقصود منه أن تملأ القوى الفكرية بملاحظة جلال الله وعظمته؛ أو بحدس حالة الخضوع والإحتياج، فإن تعبير الإنسان عما يتألم هذه الحالة أثراً عالياً في تشبث النفس لها وتقبلها عليها.

والثاني: ما يكون فيه الرعة في حور الدنيا والآخرة والاعوذ من شرهما، لأن همة النفس وتلك عريستها في طلب شيء يقرن باب الحدود بمنزلة إغداد مقدمات القليل لنبضان الشئجه، وأيضاً فإن الحاجة للمناجاة^(٢) لتعلم توجهه إلى المناجيات، ونجس جلاله في حاضر أو غير عيب، وتصرف همه إليه، ذلك حاله عظمة المحسن وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة».

أقول: ذلك لأن أصل العبادة هو الاستعراق في حضور موصف التعظيم، والدعاء بقسمه خطاب نام منه.

قوله ﷺ: «تقربوا لله بعبادة الخلق»^(٣).

(١) لأجله وأجله العبادة، وأوردوا أحالة التي يستحق بها الإسماء والصفات الشائعة، وعملوا الشقاء، الخوف، وسوء القضاء، ما يسوء الإنسان، ووضع مثلاً.

(٢) أي في العبادة.

(٣) أي معرفة.

(٤) أي مع جميع رتبة الشكليات من الجلال.

أقول: وذلك لأن المهمة الحثيثة في امتثال الرحمة تؤثر أشد مما تؤثر الحياة.

وقوله ﷺ: «ما من أحد يدعو بدنه إلا أتاه الله فتعلى ما سأل، أو كف عنه شر السوء منه».

أقول: ظهور الشيء من عالم المثال إلى الأرض له سبب طبيعي يجري ذلك المجرى إن لم يكن مانع من خارج، وله سبب غير طبيعي، إن وجد مزاحمة في الأسباب، فمن غير الطبيعي أن تنصرف الرحمة إلى كف السرور أو إلى لينس وحشته وإلهام بهجة قلبه أو ميل العادة من بدنه إلى ماله، وأمثال ذلك.

قوله ﷺ: «إذا دعا لنعمكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، لرحمتي إن شئت، لوزقي إن شئت، ولأنتيم المسألة الزائدة يفعل ما يشاء ولا شكوة له».

أقول: روح الدعاء وسره رغبة النفس في الشيء مع تلبيسها بشبهة الملائكة وتطلع الجبروت، والطلب بالتشاك يثبت العزيمة ويؤثر المهمة، أما الموافقة بالمصلحة، فكأية فحاصل، لأن سبباً من الأسباب لا يقصد الله عن رعايتها، وهو قوله ﷺ: «إنه يفعل ما يشاء ولا شكوة له».

وقوله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء».

أقول: القضاء هنا، الصبرة المتخلوطة في عالم المثال التي هي سبب وجود الحادثة في الكون، وهو بمثابة سائر المتخلوقات يقبل المحو والإثبات.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل».

أقول: الدعاء إذا عاجل ما لم ينزل أصبح ولم يتعقد سبباً لوجود الحادثة في الأرض، وإن عاجل، أنزل ظهرت رحمة الله هناك في صورة تخفيف موجدته وإيناس وحشته.

قال ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند فشدك فليكثر الدعاء في الرخاء».

أقول: وذلك أن الدعاء لا يستجاب إلا بمن فويت رغبته وأكفدت عزيمته ونسوان بذلك قبل أن يحيط به ما أحاط، وأما رفع اليدين ومسح الوجه بهما فتصوير للرغبة، ومفاخرة من الهيئة الإنسانية وما يناسبها من الهيئة البدنية، وتنبه للخص على تلك الحالة.

قال ﷺ: «من فتح له باب من الدعاء فحدث له أبواب الرحمة».

أقول: من عيبت كيف يدعو برغبة ناشئة من صميم قلبه، وعلم في أي الصورة تظهر

(1) أي: لطلبها جازماً غير متوقف، والموجبة للثبوت.

الإجابة، وتُمرّن بصفة الحضور، أُنْبِئَ له باب الرحمة في الدنيا، ونُصِرَ في كل ناحية، وإذا مات وأحاطت به خطيئته وغشيت غاشية من الهيئات الدنيوية تُوَجِّهه إلى الله تُوَجِّهَهَا حَتِثاً كما كان تُمرّن به، فَيُسْتَجَابُ له، ويخرج نَفْسٌ منها كما نُفِّلَ الشجرة من المعجر.

واعلم أن أقرب الدعوات من الاستجابة ما افترق بحالة هي خِلْقَةُ نزول الرحمة، إما لكونها كمالاً للنفس الإنسانية، كدعاء عقيب الصلوات ودعوة الصائم حين يُفْطِر، أو مُتَعَدَّةً لاستئصال حرد الله، كدعاء يوم عرفة، أو لكونها سبباً لموافقة عناية الله في نظام العالم، كدعوة المظلوم. فإن الله عناية بالنظام نظام، وحلها موافقة منه لتلك العناية، وقبه: «فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، أو سبباً لآزورار⁽¹⁾ راحة الدنيا عنه فتغلب رحمة الله في حقه متوجهة في صورة أخرى، كدعاء المريض والمبطل، أو سبباً لإخلاص الدعاء، مثل دعاء الغائب لأخيه أو دعاء الوالد للولد، أو كانت في ساعة تنتشر فيها الروحانية وتُفَلِّحُ فيها الرحمة، كليلة القدر والساعة العرجة يوم الجمعة، أو كانت في مكان تفسره الشلاكة، كمواضع بمكة، أو تنبه النفس عند الحول بها لحالة الحضور والخضوع، كماثر الأنبياء عليهم السلام.

ويُعلم من مقابلة ما قلنا ببرؤ قوله ﷺ: «يُستجاب للعبد ما لم يدع لو قطيعه وحده ما لم يستعجل».

قوله ﷺ: «الكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، ولني لفتبار⁽²⁾ دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً».

أقول: للأنبياء عليهم السلام دعوات كثيرة مستجابة، وكذا استجيب لنبينا ﷺ في مواطن كثيرة، لكن لكل نبي دعوة واحدة مبدئة من الرحمة التي هي مبدأ نبوته، فإنها إن أسوا كانت بركات عليهم وانجس في قلب النبي أن يدهر لهم، وإن أعرضوا صارت نقمات عليهم، وانجس في قلبه أن يدهر عليهم، واستمر نبينا ﷺ أن أعظم مقاصد بعث أن يكون شفيعاً للناس، واسطة لنزول رحمة خاصة يوم العشر، فاحتجاً بدعونه العظيم المنبحة من أهل نبوته لذلك اليوم.

قوله ﷺ: «اللهم إني أفتحت عندك عهداً...» إن⁽³⁾.

أقول: افتتحت رحمته عليه الصلاة والسلام بأمره وحده عليهم أن يُقَدِّمَ عند الله عهداً، ويثقل في حظيرة انفسهم منه لا يزال يهتد منها أحكامها، وذلك أن يعثر في

(1) أي: انقلاب.

(2) أي: الحذر والاحتصاص، «ونائلة»: واصلة.

(3) تعامه. «لن شُفَّيعِي، فإِذَا قَا بِشِر، قَدِّي لَمْ تُشِيرْ أَيْت، شَشْت لَمْنْت جَلَعْت لِمَجْلَعِهَا لَه صَلَاة وَزَكَاة وَغَرِيَة تَقَرِّبُ بِهَا لِيَك يَوْم الْقِيَامَة».

قومه عنه الشخصية لمكونة لا الهمة البارزة، وذلك لأن قصد، في تمييز المسلمين قولاً أو فعلاً إقامة الدين الذي ارتضى الله لهم فيهم، وأن يستقيموا ويذهب عنهم أعرجائهم، وقصد، في التخليط على المقضي عليهم بالكفر موافقة الحق في تحضيه على هؤلاء، فاختلف الشرحان وإن اتحدت الصورة.

ومنها: التوكل، وروحه تزجُّه النفس إلى انه بوجه الاعتماد عليه وروية التنبير منه. ومشاهدة الناس مقهورين في تدبيره، وهو مشهد⁽¹⁾ قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَتَقَابَرُ هَؤُلَاءِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ عَسَلَتْ﴾ [التغاب: الآية 61]

وقد سن رسول الله ﷺ في⁽²⁾ أذكراً، منها: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وفيه أنه: «كثر من كنوز الجنة»، وذلك لأنه يُعَدُّ النفس لمعرفة جليلة ومنها: قوله ﷺ: «بك أصول دينك أصل» وما ورد على هذا الأسلوب. ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «تركلك على فناء» وقوله عليه الصلاة والسلام: «أهم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد اعطى بكل شيء علماً» ونحو ذلك.

ومنها: الاستغفار، وروحه ملاحظة ذنوبه التي أحاطت بنفسه ونفسها⁽³⁾ عنها بسدد روحاني وقبح ملكي. وله أسباب: منها: شمول رحمة الله إياه بحمل بصرف إليه دعوات الدنن الأعلى، أو يكون هو فيه جاذبة من جوارح التدبير الإلهي في إظهار نافعة للمجهود، أو سد خلل للمحتاج أو ما يضافي ذلك. ومنها: التشبُّه بالملائكة في هيبتهم ولسمان أنوار الملكية وشموه شموه البهيمية باضمحلال أجزائها وكسر سورتها. ومنها: الطلوع إلى الجبروت ومعرفة الحق واليقين به، وهو قوله ﷺ: «قال الله تعالى: أَقْبَلْتُ عِبْدِي أَنْ لَهُ رِيَاءٌ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيُلْقِيهِ فِي الْفُتُوحِ الْعَبْدِي»، فإذا استعمل المد هذه الأمداد الروحانية في تقضى ذنوبه عن نفسه اصطلحت عنده.

ومن أجمع صيغ الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطيئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي... فمَنْك وما اخترت، وما نسوت وما علمت، وما كنت أعلم به مني، أنت المقدم وقت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير».

وسيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبيدك، وأنا على عهدك

(1) المعتمد في اصطلاح الصوفية ما يقضى عند التمثل والتفكر في معاني آياته.

(2) أي: في التوكل.

(3) إزالتها وقوله: «ثلاثة»: صلة محبة، والظلة: السحابة.

(4) أي: تقسام الغيوب.

ووجدت ما استطعت، أعود بك من شر ما صنعت، لئلا لك بتعتك غلبي وأبوء بظلمي، فاشفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

قال ﷺ: «إنه ليغلن على قلبي، يأتي لاستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة».

أقول: حقيقة هذا الذين أنه ﷺ مأمور أن يُعَصِّر^(١) نفسه مع عامة المؤمنين في هذه المتزاوجة بين الملكية والبهيمية ليكون قدوة لناس فيما سن لهم على وجه التأدب والرجحان دون القياس والتخمين، وكان من لوازمها القين، والله أعلم.

ومنها: تبرك باسم الله تعالى. وسره أن الحق له تَدَلُّ في كل شأن، ومن تدلُّه في الشئ: الحرفية الأسماء الإلهية التازلة على السنة التراجمة والمتداولة في الحال الأعلى، فإن توجَّهَ الحمد إليه وجد رحمة الله قريباً.

قال ﷺ: «إن له تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من لحسابها نخل الجنة».

أقول: من أسباب هذا الفضل أنها نصاب مانح لمعرفة ما يثبت الحق ويطلب عنه، وأن لها بركة وتمكناً في حظيرة القدس، وأن صورتها^(٢) إذا امتدورت في صحيفة عمله وصح أن يكون اقتباسها إلى رحمة عظيمة.

واعلم أن الاسم الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعي به أجاب هو الاسم الذي بدأ على أجمع تدلُّ من تديات الحي، والذي تناوله الملا الأعلى أكثر تداوياً، ونطقت به التراجمة في كل عصر، وقد ذكرنا أن زيدا الشاعر الكاتب له صورة^(٣) له صورة^(٤) له صورة^(٥) أنه كاتب، وكذلك تلحق تديات في موطن من المكان، وهنا معنى يصدق على: «أنت الله لا شيء إلا أنت الأحد للصدد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» وعلى: «أنت للحد، لا إله إلا أنت الحنان المنان بيبع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام» يا حي يا قيوم»، ويصدق على أسماء تضاهي ذلك.

ومنها: الصلاة على النبي ﷺ. قال ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً»، وقال ﷺ: «إن لولي الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة».

أقول: السر في هذا أن النفوس البشرية لا بد لها من التعرض لتضاحات الله، ولا شيء في المعرض لها كالنور في أنوار تديات وإلزام شعائر الله في أروحه والذكاة، أنبها والإيمان فيها والتوفيق عليها، لا سيما أرواح العقربين الذين هم أفاضل الملا الأعلى

(١) أي: استمر.

(٢) أي: يحمي، وقوله «القيوم» أي: المستر والفظاء، وقوله «مشاهد» أي: علم.

(٣) أي: الأسماء.

ووسط جود الله على أهل الأرض بالتوجه الذي سبق ذكره، وذكر النبي ﷺ بالتعظيم
 وطلب الخير من الله تعالى في حق هذه المسألة للتوجه إليه مع ما فيه من مدخل
 تحريف، حيث لم يذكره إلا بطلب الرحمة من الله تعالى، وأرواح الشُّكُل إذا غاب،
 أبادها صارت كالسراج المكفوف⁽¹⁾ لا يهتد بإضائه مضاءة وداعة مضاءة، ولكن النفس
 التي هي دونها تتصل بها بالله، فيجذب منها نوراً ومبة مناسبة بالأرواح، وهي المكشوفة
 عنه بقوله ﷺ: «ما من قلب يُسَلَّم على إلا ود الله على رُوحه حتى يُرد عليه السلام»⁽²⁾ وقد
 شاهدت ذلك ما لا أخفي في محاورتي المدة ستة أشهر ومائة وأربعة وأربعين.
 قال ﷺ: «لا تجعلوا زيلرة قبري عيداً».

أقول: هذا إشارة إلى مدخل التحريف، كما فعل اليهود والنصارى بقبول أنبيائهم
 وجعلوها عيداً وموسماً بمنزلة الحج.

واعلم أنه سكت الحاجة إلى توفيق الأفكار ولو بوجه أسمى من توفيق الثوابيس، إذ
 لو لم توفقت لتداخل المتداخل، وذات إما بأوقات أو أسباب. وقد ذكرنا صريحاً أو تلويحاً:
 أن المخصص لبعض الأوقات دون بعض إما ظهور الروحانية فيه، كالصبح والمساء،
 أو غلب النفس عن الهيئات البدنية، كحالة التيقظ من النوم، أو هراغها من الارتعاقات
 وأحداث الدنيا ليكون كالمعتقة، كحالة إرادة النوم.

وإن المخصص للبيئة: أن يكون مبنياً لبيان ذكر الله وذهول النفس عن الالتفات
 تنفاد جانب الله، فيجب في مثل ذلك أن يُعالج بالذكر لتكون تزيقاً تسخفاً وجزيراً لخللها،
 أو طاعة لا يتم دفعها، ولا تُكْمَلُ فائدتها إلا بإخراج ذكر معها، كالأفكار المخصصة في
 الصلوات، أو حالة تنبيه النفس على ملاحظة خوف الله وعظيم سلطانه، من هذه الحالة
 سائقة لها إلى الخير من حيث يدري ومن حيث لا يدري، كالأفكار الأدب، من الترفع
 وظلمة والكسوف، أو حالة يُحسَر فيها الضرر، فيجب أن يسأل الله من فضله ويتعزده
 في أولها، كالسمر (الركوب)، أو حالة كان أهل الجماعة يُستَرَقُونَ فيها لاعتدلت نبل إلى
 شركاء الله، أو غيرة أو نحو ذلك، كما كانوا يعوذون بالجن عبد روية الهلال.

وقد بين النبي ﷺ فصول هذه الأفكار وأكادها في الدنيا والآخرة إتماماً للتأني
 وإكمالاً للترغيب والترهيب في ذلك أمور:

- (1) أي المكفوف، وقوله «لا يهتد» أي لا يهتدي بآية سيرة نورانيا إلى البسطة المظلمة واستغراقها في
 سجة الرحمة ومشاهدة رب العزة، وقوله «لا يهتد» أي «لا يهتد».
- (2) يعني ليس المراد من ود الروح بعد الصلوة عن البيت بل المراد تصديق قنوس الذي يؤمن بها،
 بلوعة رجلها في هيئة مناسبة لها.

وإذا رزقنا إنا لله، «بارك الله لك وبرك عليك، وجميع بينكما في خير».

وإذا أراد أن يأتي أهله: «باسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا»^(١).
وإذا أراد أن يدخل الحلال: «اعوذ بالله من الضحى والضباب» ونحوها من
«تفواتك».

وعند التكريم: «لا إله إلا الله، العظيم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا
الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

«عند الخطب: «اعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وعند صبح الأيكة السوان من فضل الله.

وعند هذه الحمد الثمينة: وإذا كان ثلثاً ثم قال: «لَقَدْ تَقَرَّرَ عَلَى مَنُورٍ شَرُّ عَذَابٍ
يُذَمَّرُ لَكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٢) شَيْخٌ أَلْفَى كَبَرًا مَعًا وَمَا حَقُّكُمْ فَمَقْرِينٌ ﴿١٠﴾ وَإِنَّا بِكُمْ
رَبُّكُمْ شَاكِرِينَ ﴿١١﴾ (الخوفا، الأثر، ١٠٠٠) الحمد لله، ثلثاً، والله أكبر، ثلاثاً، وسبحانك اللهم
ثلثت نفسي فاعلم لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وإذا أنشأ سفرًا: «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والفقير، ومن العمل ما ترضى،
اللهم هو علينا سفرنا هذا وأمر لنا بفقه»^(٣)، اللهم أنت للصعب في السفر والخطبة في الأهل،
اللهم إني أعوذ بك من رعتك وسفر وكأفة العتق وسوء العتق في العتق والأهل».

وإذا نزل منزلاً: «أمر بكاهن الله قدمت من شر ما خلق يا أرض ربى وربك الله أعوذ
بك من شركك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما نوى عليك، وأعوذ بك من أسد والسود ومن
الحية والعقرب ومن شر ساكن البيت ومن رقد وما دله».

«إذا أسحر في سفر» «سمع سامع»^(٤) يحمد الله ويحسب ثلاثاً عليك، ربنا صاحبنا وأفضل
عليه عاتقاً بالله من النار».

(١) الولد، الانتقام والانتقام والميراث من ربوت الشر، وما ورثوه، ومنه فتوتيه أي الفتاة بالميراث
والانتقام

(٢) أي من الولد (٣) أي عطينين

(٤) أي يسره لنا يا الله لئلا نمرقنا، وقوله «والخطبة» إلخ، أي كنت المعتمد عليه في سفرى ربي
حيثي من أهلي، وقوله «بعثته» أي مشقة، والانتقام من شدة الحزن، والعتق: فرج، وقوله:
«من شريك» أي الخسف، ومن شر ما نوى» أي «العتق»، ومن شر ما خلق فيك» أي «يعيش في ثقب
الأرض» ومن شر ما نوى عليك» أي «الحيوان» (الأسود: الحية الخطية «ومن شر ساكن البيت» أي «الجن
والإنس» ومن رقد وما دله» أي «إليس ونس»

(٥) أي بمعنى الأمر، أي: ليسمى المسكين ويهد لنا على أن نحمد الله تعالى، ولولا: «ومن بلاء» البلاء
الاعتبار أي حسن الاعتدال بك، أي «بالفكر لو بلاء» أي «المن كراهة نعمة واعتبار حصول الأجر

وَإِذَا نَفَلَ يُكْرَمَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آمِينَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَلَابِينَ ، أَرَبْنَا حَاسِنُونَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَعَدَهُ ، وَنَصْرُ عِبْدِهِ وَغُزْمُ الْأَحْزَابِ رَحِمَهُ » .

وَإِذَا دَنَا إِلَى الْكَافِرِينَ : « قُلْهُمْ سَتُنَزِّلُ الْكِتَابَ ، مَرِيعًا لِلْحَسَابِ ، لِلَّهِمَّ أَمْوَالُ الْأَحْزَابِ ^(١) ، اللَّهُمَّ أَمْزِمَهُمْ وَارْزُلْهُمْ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي شَمْرِهِمْ وَتَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِمْ ، قُلْهُمْ أَيْتَ عَضْدِي وَنَصْرِي ، بَكَ لِحَوْلٍ وَبَكَ لِحَوْلٍ وَبَكَ لِحَوْلٍ » .

وَإِذَا انْخَافَ نَوْمًا : « قُلْهُمْ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ وَانْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمَهُمْ » .

وَإِذَا رَأَى الْهَيْدَلُ : « اللَّهُمَّ أَجَلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ » .
وَإِذَا رَأَى مُيْتَلَبًا : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مَعَ لَيْثَانِي بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا » .

وَإِذَا دَخَلَ فِي سَوَّى حَامٍ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَمَنْ فِي لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْقَتِيرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ مَجْلَسٍ كَثُرَ فِيهِ نَوْمُهُ ^(٢) : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَلَتُوبُ إِلَيْكَ » .

وَإِذَا دَفَعَ رَجُلًا : « اسْتَوِيحَ اللَّهُ بَيْتَكَ وَآمَانَتَكَ وَأَحْرَ حِمْلَكَ ^(٣) ، وَرَبَّكَ اللَّهُ لَلثَقْوَى ، وَغُفْرَ نَبِيكَ ، وَيَسِّرْ لَكَ خَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، إِنَّهُمْ أَطْرُقَ لَهُ الْبَعْدُ ، وَهُوَ عَلَى السَّفَرِ » .

وَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : « بِاسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُمُ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُؤْخِلَنَا أَوْ تُقْضِلَنَا أَوْ تُنْقِلَنَا أَوْ تُجْهِلَنَا عَلَيْنَا ، يَلَسَمُ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

وَإِذَا رَجَعَ ^(٤) بَيْتَهُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرُجِ ، بِاسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا وَبِاسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا ، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا » .

وَرَدَ ثَرَمَتَهُ دَبْرًا وَهَمْرًا قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَذَا أُمَسِيَ : « قُلْهُمْ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ اللَّهِ »

(١) أي: طوائف القتلى. وقوله: «ورزُلْهُمْ» أي: أجعل أرواحهم مسطروما غير ثابتة، «عظمدي» أي: محتدي وقوله: «اسأل» أي: أحمل على العدا، «بأمنول» أي: اجعل نطع «ذكر العفو» وقوله: «وإنا لخاص قومك» أي: صلو شيئا لهم.

(٢) أي: الصوت والاهتزاز للصبيحة. «وهو» أي: الكلام الذي لا طلس شنة

(٣) أي: في السفر. أو مطلقا.

(٤) أي: من رلة الأتلام. كناية عن الوقوع في التنب من غير قصد، وقوله: «ندول» أن نفعن فعل الجهل من الإضرور في البقاء، «وإله» أي: سهل طلاء أي: يجعل الناس بنا ذلك

(٥) أي: نخله وقوله: «استجده» أي: ليس السديد. وقوله: «أولري» أي: نستر.

وأنحن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. **و: اللهم لكفي بحلالك عن حرامك، وانكفي بفضلك عمن سواك.**

وإذا استجبت ثواباً: اللهم لك الحمد، أنت كسوتني هذا، وبسبب اسمك خيرة وخير ما منيتك له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُلح له، الحمد لك الذي كسيتني ما أولوي به عورتني، وأجعل به في حياتي.

وإذا أكل أو شرب: الحمد لك الذي أطعنا وسقانا وجعلنا من المسلمين، الحمد لك الذي أضعمني هذا الطعام من غير حول مني ولا قوة، الحمد لك الذي أهدى بسؤتي وجعل له مخرجاً.

وإذا رفع مائدة: الحمد لك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مذكور^(١) ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا.

وإذا مشى إلى المسجد: اللهم اجعل في قلبي نوراً، **وإذا أراد أن يدخل المسجد:** أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

وإذا خرج منه: اللهم إني أسألك من فضلك.

وإذا سمع صوت الرعد والصرع: اللهم لا تقهقه، بفضيكن، ولا تهلكنا بهلاكك، وعقما قبل ذلك، اللهم إني أعوذ بك من شرهما.

وإذا عصفت الريح: اللهم إني أسألك خيراً وخير ما فيها وما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به.

وإذا عصس: الحمد لك حمداً كثيراً طيباً مباركاً، وإقل صاحبه: يرحمك الله، وإقبل عود: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وإذا تم: اللهم يسلمك الموت وأحياء.

وإذا استيقظ: الحمد لك الذي أحيانا بعد موت أمانات وإليه التضرع.

وشرح عند الأذان خمسة أشبه: **١ -** أن يقول مثل ما يقول المؤمن، غير حي على الصلاة وحي على الفلاح، فإنه يقول مكانه. **٢ -** لا حول ولا قوة إلا بالله. **٣ -** ويقول:

(١) أي غير مذكور إني أعلم فيكفي بل هو مكفي وبطعم. وقوله: ولا مودع، أي: متروك الطلب ولو غلب فيما ذكره، أو هذه الألفاظ سلمات الحمد، فالمعنى أن الحمد غير مكفي، أي غير متفوق عنه، أي لا يشركه ولا يوسعه ولا يستغنى عنه بل يلزمه.

(٢) عود من قين، وقوله: أريته بالرفع والمحب

«رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً». 3 - ويصلي على النبي ﷺ. 4 - ويقول: «الله رب هذه الدعوة الثامنة للصلاة للقائسة من محمداً الوسيطة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وليعنه المقام المحمود الذي وعدت أنك لا تظلف فيه». 5 - ويسأل الله لأخوته ودينه.

وأمر في عشر ذي الحجة بالكثير الذكر، وقد استفاض من الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدين تكبير يوم عرفة وأيام التشريق على وجه، أفريها: أن يكثروا دُبُر كل صلاة من فجر عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» وغيرها فيها سبق فراجع.

وبالجملة: فمن صبر نفسه على هذه الأذكار ودوام حلها في هذه الحالات وبدل فيها كانت له بمنزلة المذكر الدائم وشمله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ لَشَاغِبُونَ﴾ [الأنبياء: 91] والله أعلم.

❦ بَقِيَّةُ مَبَاحِثِ الْإِحْسَانِ ❦

اصلهم أن لهذه الأخلاق الأربعة أسباباً تُكتسب بها روائع تمنع عنها علامات يعرف تحقُّقها بها: فالإحسان لله تعالى والاحتراف للقاء صفح الكبرياء، والانصياع بصنع الملائكة، والتجرد عن الرذائل البشرية وعدم قبول النفس نفوس الحياة الدنيا وعدم اطمئنانها بها، لا شيء في ذلك كله كالشُّكْر، وهو قوله ﷺ: «يُكْرَمُ سَاعَهُ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً». وهو على أنواع:

منها: الشُّكْرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تعالى، وقد نهى الأنبياء صلوات الله عليهم عنه، فإن العامة لا يحيطون به، وهو قوله ﷺ: «تَشْكُرُوا فِي آيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَشْكُرُوا فِي دِينِهِ، وَارْزُقُوا، تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ».

ومنها: الشُّكْرُ فِي صفات الله تعالى، كالعلم والقُدرة والرحمة والإحاطة، وهو المستعبر عنه عند أهل السلوك بالمرئية، والأمر في قوله ﷺ: «لَنْ تُعْبَدَ إِلَّا كُنُفُكَ تَرَاهُ، فَلَنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَوَلِّهِ يَدَاكَ»، وقوله ﷺ: «احفظ الله تعبد شياؤك».

وصفه⁽¹⁾ لمن أطبق ذلك أن يقرأ: ﴿وَقَوَّ شُكْرًا إِنَّ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحج: الآية 4]، أو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَسْمَعُ مِنْ هَاجِلٍ إِلَّا جَسَدًا حَيًّا شَيْئًا لَا يُلْبِثُونَ فِيهِ وَمَا يَمُوتُ مِنْ شَيْءٍ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّ الْآرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَشْجَرٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: الآية 64].

(1) أي الشُّكْر.

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا رَآهُ اتِّفَاقُ بَيْنِنَا فِي الْاِسْتِثْنَاءِ وَكَانَ فِي الْاَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ اَمْرِكَ لَنَسْتَبَاحُهَا وَلَا نَكُونُ﴾ [الانبيا: ٢١]
 [المسئلة الآية ٢١]

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ اَلَمْ يَلِدْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ شَيْءٌ اَلْقَدِيمُ﴾ [الاحقاف: ١٥]
 أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَضَعُوْهُنَّ مَقَاتِلَ اَلْغَيْبِ لَا يَمْلِكُنَّهَا اِلَّا هُوَ وَحَدَّ مَا فِي الْاَمْرِ وَالْاَمْرِ وَمَا فَتَقَطَّ مِنْ ذِكْرِهِ اِلَّا يَتَمَّتْهَا وَلَا حَسْرَ فِي عِلَّتِكُمُ الْاَرْضِ وَلَا رَغْبَ وَلَا كِبَارَ اِلَّا فِي كَثَرِ لِيُوْنِ﴾ [الاحقاف: الآية ١٥]

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اَلَا يَكْفُرُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ [الصافات: الآية ٢٤]

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اَلْقَابُضُ فَرَقَ بَيْنَهُمَا﴾ [الاسم: الآية ١٤]

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: الآية ١١٥]

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: اعلم ان الامة مو اجمعت على ان يفعلوك بشيء لم يفعلوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجمعتوا على ان يضروك بشيء لم يضروك، إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وذعن الاقلام وجفت المسطحات.

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَ عَالَةَ رَحْمَةِ اَنْزَلْنَا مِنْهَا رِاحَةً فِي الْاَرْضِ... الْحَدِيثُ (١)

ثم يتصور معنى هذه الآيات من غير تشبيه ولا جهة، بل يستحضر تصافه تعالى بتلك الأوصاف فقط، فهذا ضعف^(٢) عن تصوورها اعادة الآية وتصورها أيضاً، وبخبر لذلك وقتاً لا يكون فيه حافياً ولا حافئاً ولا جائعاً ولا غضبان ولا مسان، وبالجملة فالرغ القلب عن التشوش.

ومنها: التفكير في افعال الله تعالى الباهرة والأصل فيه قوله تعالى:

﴿رَتَقَطَّرْنَا فِي سَمَاءِ اَلْاَرْضِ رِثًا مَا خَلَقْتَ هَذَا تَكْلَافًا﴾ [الاعراف: ١٨١].

وصفت ان بلا حظ لزال المهر وإابات العشب ونحو ذلك، ويستغرق في رثته الله تعالى.

ومنها: التفكير في أيام الله تعالى، وهو تذكر وقوعه فوراً رخصه آخرى، والأصل فيه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَذَكِّرْهُمْ بِاَيَّتِي اَنْتَ اَتُوكَ﴾ [يبراهيم: الآية ٩]، فإن ذلك يجعل النفس مجرده عن الدنيا.

(١) الحديث بطوله مذكور في الصحيحين عن النبي صريده رضي الله عنه: ان الله تعالى تسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة.

(٢) أي: يجهل القول.

ومنها: التفكير في الموت وما بعده. والأصل فيه قوله ﷺ: انكروا هاتم⁽¹⁾ خلقات.

وصفته: أن يتصور انقطاع النفس عن الدنيا، وانفراطها بما اكتسبت من خير وشر وما نزل عليها من المجازاة. وهذا التفسيران أبعد الأشياء لعدم قبول النفس نفوس الدنيا، فالإنسان إذا تفرغ من أشغال الدنيا للتفكير الممغن في هذه الأشياء واحفرها بين عينيه انقهرت بهيئته وغلبت ملكيته، ولما لم يكن سهلاً على العامة أن يتفحصوا للتفكير الممغن واحضرها بين أعينهم وجب أن يجعل أشياء يعي فيها أنواع الفكر وهياكل يتفتح فيها روحها، ليفهمها العامة ويثقل عليهم ويستفيدوا جميعاً قدر لهم.

وقد أوتي النبي ﷺ القرآن جساماً لهذه الأنواع⁽²⁾ ومثله معه.

وأرى أنه لم يجمع له ﷺ في هذين جمع ما كان في الاسم السابقة والله أعلم، فانقضت الحكمة.

أن يرغب في تلاوة القرآن، ويحسن فضلها وقسط سور وآيات منه، وشبهه النبي ﷺ الفائدة المعنوية المتحصلة من الآية بفائدة محسوسة لا أنفع منه عند العرب، وهي دابة كرواء⁽³⁾ وخليفة مسينة، نصوراً لمعتبر وتغنياً له، وشبهه صاحبها⁽⁴⁾ بملأئكة، وأغبر بأجرها بكنى حرف، ويؤمن فرحات الناس بما ضرب من مثل الأثرجة والنصرة والحنظلة والريحان، ويؤمن أن سور القرآن تسقط يوم القيامة أجساداً يرى وتلمس، فتخرج عن أصحابها، وذلك انكشاف لتعارض أسباب عذابه ونجاته وريحان تلاوة القرآن عن الأسباب الأخرى، ويؤمن أن السور فيما بينه تفاضل.

قول: وإنما تفاضل المعاني:

منها: إفادتها للتفكير في صفات الله وكونها أجمع شيء فيه، كآية الكرسي وآخر الحشر ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽⁵⁾ بمنزلة الاسم الأعظم من بين الأسماء. ومنها: أن يكون

(1) أي: طلع. وقوله: «الفسمان» أي: الأخيرين من الفكر، ويعني: يوش. وقوله: «هاتم» أي: مثل القرآن الحديث؛ ولهم الإشارة في هذين القولين والصحيح.

(2) أي: لهذه الأنواع من التفكير. وقوله: «وسلك» أي: سلك. وقوله: «في هذين» أي: في القولين والرسالة.

(3) كما وقع في حديث مسلم من رواية بن مضر «لكم بحب أن يفكر كل يوم في بطحين ولعقبي نيتي بنقدين كروملوين». الحديث، وفيه عن أبي هريرة: «ليسب لعمركم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلقات عظام سدرهم، فإذا نعم قال: وثلاث أنك بطون من أعمكم في صلته خير له من ثلاث خلقت عظام سمانه، وقوله: «كرواء» عطية السليم. وقوله: «مذينة» أي: ثلثة علة.

(4) أي: لتلاوة، وضرب، أي: النبي ﷺ لربه 7 سورة. أوها الاترجة للمؤمن القلوي، والثنى المؤمن غير القلوي، وثالث للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن، والرابع المتعلق الذي لا يقرأ. كما روي في الصحيحين عن أبي هريرة والائرجة الطرمجة.

نزلها على آية العباد لتعلموا كيف يقفروا إلى ربهم، كذا شفع، ونسبته من السور كنية
المراد من العبادات. ومنها أنها أجمع سور. كانهراوس^(١). وقال رسول الله ﷺ في
يس: إنه قل. فترى أن القاب يوم يوم إيم. النوحط. وهذه من الساني. هذه البين بما مرفها
- وموق المنفصل. وفيها آيت التوكل والتوحيص والتوحيد. على كان محدث أبطكية..

﴿وَمَا كَانَ لَأَنبِيَ أَن يَقُولَ أَنِّي أَنبِيَ﴾ [يسر: ١٥٥] الآيات. وفيها الفنون المذكورة تامة
كانت. وفي ﴿بَارِئ﴾ التي شعت لرجل سني فخر له. وهذه قصة رجل رآه النبي ﷺ في
بعض مكاشفاته.

لأن به نعت في عاهده واستخارده. وبضرب له مثلاً ففعلني للإيل^(٢). وهو الترتيل به
وتلاوته عند اختلاف القلوب وجميع الحاضر وكونه ألقب إلى التلويح وحسن
النصوت به وإبكانه والمناكي عنده. تقريباً من المراد وهو الفخر. ويحرم نيبانه. ونهى عن
حنفه في أقل من ثلاث لأنه لا يفقه معه. حنن. وحامت الرحمة في فرائده على لغات
العرب شهيرة عنهم. لأن فهم الأتي والتشيع الكبير والنصي.

ومما أوتي ﷺ في غير القرآن عدة عز وجل^(٣): «يا عبادي إني حرمتُ الظنم على
نفسي وجعلته بينكم - حرمة فلا تتكلموا يا عبادي بكم ضال إلا من حيث... الحديث^(٤).
«كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعاً وثلاثين - فأ... الحديث^(٥). «لله كذا فرك منونة
عنده... الحديث^(٦). «إني عباداً أكتب لنسباً... الحديث^(٧). «إني طاعة وحمة أنزل منها
وحدة... الحديث^(٨). «إني أسلم العبد فحمن إسلامه... الحديث^(٩). «وحدثت تشبه الدنيا به
يخلق بالأصابع من اليم ويجدي أشك ميت^(١٠).

(١) البقرة وكى عمران. وقوله: «لله كذا» أي الجميع لطول.

(٢) أي فزرها. وقوله: «وحدود» أي مثل قصص، أي كذا وقع في المسيبيين. عز تبي سوسى. وهو كذا
نقصاً من الإيل في عاهده.

(٣) نسى المقصود بدعته عز وجل في غير المعلوم الأحنية القديمة. وأما ما أتته ﷺ من وصف قوس
حل حلاء وأثيراته.

(٤) روى مسلم عن أبي هريرة.

(٥) هو مروي في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري. ويصفي قصة رجل قتل مائة نفس ثم تاب فغفر الله له.

(٦) تشبهه فقال رب أنصت لنيا غامير. فقال ربه إنا ما مبدى أن له وبأ يغفر لعنيد ويلقد به عرفت لعنيد.
لأنه وفي كثر القليل يقول تعالى: فليعلم ما شاء.

(٧) أخرجه مسلم عن أنس.

(٨) روى السائي عن أبي سعيد الخدري. وبه كذب الله كل حسنة كن أربعها. وشدة عنه على... كذا كان بعد ذلك
المصير. خمسة عشر أمتها إلى سبعة ضعف. والسيئة بسببها. إلا أن يتجاوز الأمر وحين عنده.

(٩) كذا روى مسلم عن أنس. وتورد بن شداد. «أنه ما لعنيا في الأخرة (لا منكر ما يعمل لكم إسمه في اليم
فليست به يوم... ومن جليل عن رسول الله ﷺ: «يجدي أسك ست. وقال: «إن الدنيا آتون عند الله من
هذا عليكم والاسم مقطوع الآخر.

واعلم أن الله روح، ونسافة جسد، ولا حياة لمحمد بدون الروح. والروح لها حياة بعد مفارقة البدن ولكن لا يظهر أثر الحياة كاملة بعده، ولذلك قال الله تعالى:

﴿لَنْ يَنْفَكَ عَنْهُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَتَكُنْ بِنَاءُ الشَّعْرِ بِكَ﴾ [ص: ١٧]

وقال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، ونية النسي في كثير من المواضع من صدقت نيته وهم يتمكن من العمل بسبع بمن عمل ذلك للعمل، كالتسافر والمرض لا يستطيعان إدراك واجب عبده، فيكتب لهما، وكصافى العزم في الإنفاق وهو مطلق. يكتب كأنه أنفق.

وأعنى بنية المحنى المباحث على العمل، من التصديق بما أخبر به الله على أسماء المرسل، من نواب المطيع وعباد العاصي، أو حب امتثال حكم الله فيما أمر ونهى، ولذلك رغب أن يهوى الشاوع عن الرياء والسعفة، ويؤس مساويهما أمروح ما يكون، فمن ثلث قوله ﷺ: «من قول الناس يفتنى عليهم يوم القيامة ثلاثة: رجل قين في الجهاد ليقال له: هو رجل جريء، ورجل تعلم لعنم ويطعمه ليقال: هو عالم، ورجل تلقى في وجوه لغير ليقال هو جواد، فيؤمر بهم فيسحبون على وجوههم إلى النار». وقوله ﷺ عن الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي شركته».

فما حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «قال: يا رسول الله، أرايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: ذلك عليل يشترى المؤمنين». معناه أن يعمل العمل لا يقصد به إلا رجة الله، فينزل المؤمن إلى الأرض، فيجبه الناس، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «قلت: يا رسول الله بينما أنا في بيتي من مصلاي إذ دخل على رجل، فأعجبني لعمري الذي رأيته عليها، قال: ورحمك الله يا أبا هريرة، قد فجزان أحد الصد وأمر العلانية» فمعناه أن يكون الإعجاب معلوماً لا يبحث بسريته على العمل والجر السري، أجر الإخلاص الذي يتحقق في السر، وأجر العلانية، أجر إعلانه لله الله وإشاعة الشعة الراشدة.

قال رسول الله ﷺ: «خيركم أحسنكم خلفاً».

أقول: لما كان بين السداحة والعدالة نوع من التعارض كما بينها عبده، وكان ساء علوم الأنبياء عليهم السلام على رعاية المصلحين وإقامة نظام للتدين وأن يجمع بين المصالح ما تمكن، وحب ألا يثبت في التواضيع للسداحة إلا أشياء تشبه مع العدالة ويؤيدها رتبة عليها، فنزل الأمر إلى حسن الخلق، وهو عبارة عن مجموع أمور من باب السداحة والعدالة، فإنه يتناول العود والنعم عمن ظلم والتواضع وترك الحسد والعدو والعصب، وكل ذلك من السداحة، ويتناول التودد إلى الناس وصلة الرحم وتحسين النصفة مع الناس ومواساة السخاويج، وهي من باب العدالة، والفصل الأول يعتمد على الثاني؛ ولذا لا يتم إلا بالأول، وذلك من الرخصة الشرعية في التواضيع الإثنية.

ولما كان اللسان أسبق الموارخ إلى الخير والشر، وهو قوله ﷺ: «وهل يكبُ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم»^(١). وأيضاً فإن آفات نخل الإغتيات والعفالة والسماحة جميعاً، لأن إكثار الكلام يُسي ذكر الله، والذنية والبذاء ونحوهما، تفسد ذات البين، والغلب ينسبغ بصريح ما يتكلم به، فإذا ذكر كلمة الغضب لا بد أن ينسبغ القلب بالغضب، وعلى هذا القياس، والانهيارُ يقضي إلى التشجيع، يجب أن يبحث الشرع عن آفات اللسان أكثر من آفات غيره. وآفات اللسان على أنواع:

ومنها: أن يخوض في كل واحد فتشجع في الحسن المشترك صوره تلك الأشياء، فإذا توجّه إلى الله لم يجد خلوة الذكر ولم يستطع تذوّر الأذكار، ولهذا المعنى نهى عما لا يعني^(٢).

ومنها: أن يثير فتنة بين الناس، كالغيبة والجدال والحرء.

ومنها: أن يكون^(٣) مفتقش تغشي النفس بخاشية عظيمة من السجدة والشهيرة، كالشتم وذكر محاسن النساء.

ومنها: أن يكون سبب حدوثه تسبيل جلال الله والغفلة عما عند الله، كقوله للملك: مالك العلوك.

ومنها: أن يكون منافقاً لمصالح العلة، بأن يكون مرغباً لما أمرت العلة بهجره، كمدح الخير ونسبة العيب كرماء، أو يمجّم كتاب الله^(٤) كتشجيعه المقرب هشام والعشاه صفة.

ومنها: أن يكون كلاماً شبيهاً مثلاً، كمثل الأفعال الشيعة المسبوبة إلى الشياطين، كالفتش وذكر الجماع والأعضاء المسنودة بصريح ما وضع لها، وكذا ما يشطّر به، كقوله: ليس في ائدار نجاح ولا سار.

ثم لا بد من بيان ما كثر وقوعه من مظان السماحة وتُمييز ما اعتبره الشرع بما ثم يعتبره.

فمنها: الزهد، فإن النفس ربما تميل إلى شره^(٥) الطعام واللباس والنساء، حتى تكتسب من ذلك لوناً فاسداً يدخل في جرورها، فإذا مضى الإنسان عن نفسه فلذلك الزهد في الدنيا، وليس ترك هذه الأشياء مطلوباً بعينه بل إنما يطلب تحليفاً لهذه الخصا، ولذلك

(١) كما قال ﷺ: من حسن إسلام امرء ترك ما لا يعني.

(٢) أي: الكلام.

(٣) أي: يحمل كتاب الله عجباً غير عربي.

(٤) أي: حرره.

قال النبي ﷺ: «الزَّامَةُ فِي الْعَمَلِ لَيْسَتْ بِمَعْدِيمٍ لِلْحَلَالِ وَلَا بِإِضَاعَةٍ لِلْعَمَالِ، وَلَكِنْ الزَّامَةُ فِي الْبَنِيَّةِ أَلَّا تَكُونَ بِهَا فِي يَمِينِهِ أَرْثُوحَا فِي يَدَيْهِ اللَّهُ، وَلَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْعَمَلِ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهَا أَرْغَبُ فِيهِ، لَوْ أَنَّهَا لَقَبْتُ لَكَ». وقال ﷺ: «لَيْسَ لَابْنٍ أَلَمْ يَحَقَّ فِي سَوِيٍّ مِنْ هَذِهِ الْأَخْصَانِ بَيْنَ يَسْكَنَةٍ وَثَوْبٍ يُولِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفًا»^(١) «لَخَبْرٌ وَلِقَاءٌ». وقال ﷺ: «بِمَسْئِ بْنِ كَلِمٍ لَقِيمَتُكَ يُؤْخِزُ صُلْبَهُ». وقال ﷺ: «طَعَامُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ثَلَاثَةٌ: سَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَامِي الْأَرْبَعَةِ». يعني أَنَّ الطَّعَامَ الَّذِي يُشْرَبُ الْإِنْسَانُ فِي الْأَشْيَاءِ إِذَا كَمَلَهُ الثَّلَاثَةُ كَفَّهُمْ عَلَى التَّوَسُّطِ، يَرِيدُ التَّزْهِيبَ فِي الْمَرَاةِ وَكَرَاهِيَةِ شَرِّهِ النَّبِيْعِ.

ومنها: الفاعلة، وذلك أَنَّ الْحَرَصَ عَلَى الْعَمَالِ رَمَا يَغْلِبُ عَلَى الْإِنْفُسِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي جَوْهَرِهَا، فَإِذَا نَقَصَ مِنْ قَلْبِهِ وَسَهِيَ عَلَيْهِ نَزَعَهُ ذَلِكَ الْقَدْعَةُ، وَلَيْسَتْ الْقَدْعَةُ تَرُكُ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ إِنْشِرَافٍ^(٢) النَّفْسِ. قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الْعَمَلُ عَنْ كَثْرَةِ الْغُرُصِ»^(٣) وَلَكِنْ لِقَعَتِي غَنَى النَّفْسِ. وقال ﷺ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْعَمَلُ خَصِيمٌ حَلُولٍ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بَوَّكٌ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِشُرُوفِ نَفْسٍ لَمْ تُنَازَلْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كُلُّهُ يَبْكِي وَلَا يَشْجَعُ، رَأَيْتُمْ أَهْلِيَا خَيْرَ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى». وقال ﷺ: «إِنَّ جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْعَمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ تَخِيرُ مَشْرُوفٌ وَلَا تَسْفِلُ فَخُذْهُ نَشَوْتَهُ، وَمَا لَا فَلَا تُقْبَلْهُ نَفْسَكَ».

ومنها: الجود، وذلك لِأَنَّ حُبَّ الْعَمَالِ وَحُبَّ إِسْمَاعِهِ دَيْمًا سَمَكُ الْقَبْضِ وَيَسْتَحِبُّ بِهِ مِنْ جَوَانِحِهِ: فَرْدًا قَدَرٌ عَلَى الْإِنْفَةِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ سَلَا مَهْرُ الْجُودِ، وَلَيْسَ الْجُودُ بِإِضَاعَةِ الْعَمَالِ وَلَيْسَ الْعَمَالُ بِمَضَا لَبِهِ، فَإِنَّهُ نَعْمَةٌ كَبِيرَةٌ. قال ﷺ: «اتَّقُوا الشَّجْ، فَإِنَّ الشَّجَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِكَ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَنْفَكُوا بِمَاءِهِمْ وَاسْتَمَلُّوا بِمَلُومِهِمْ»، وَذَلَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي ثَلَاثِينَ...» الْحَدِيثُ^(٤). وقيل: أَوْيَاتِي الْخَيْرَ يَأْتُرُ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرَ بِالْعَمَلِ، وَإِنْ مِمَّا يَنْبَغِي الرِّبِيْعُ»^(٥) «مَا يَقْتُلُ حَبِطًا»^(٦) أَوْ يَلْمُ، «وَهَذَا ﷺ». مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ

(١) يَكْتَسِرُ الْجِيَدَ وَيَكُونُ اللَّامُ الْغِيْرَةَ أَيْ لَا يَدُلُّهُ مِنْ طَرَفٍ يَضَعُ فِيهِ الْغِيْرَ وَالْمَاءَ، وَقِيلَ: فَضْلُهُ. الْفَتْحُ الَّذِي لَا يَرَامُ مَعَهُ، رَمَى فَفُتِلَتْ النَّاسُ مِنْهُ.

(٢) أَيْ طَلَعَ.

(٣) أَيْ الشَّحَاقُ وَالطَّبْعَةُ الْخَصِيَّةُ وَالْخَفِيُّ لَمُطَّاتٌ.

(٤) شَبَّهَ بِرَجُلٍ كُنَّ لَهُ الْغُرُصُ مَهْرٌ يَقُو بِهِ أَنْ يَلْبِسَ رَقْدًا دَهْرًا، وَيَدُلُّ نَاءَهُ أَنَّ مَا لَهُ مَهْرٌ يَنْفَقُ بِهِ قَدْرَ اللَّيْلِ وَقَدْرَ النَّهَارِ.

(٥) أَيْ الْجَوْلُ أَوْ الْقَهْرُ الْمَغِيْرُ وَتَمَتُّةُ الْحَدِيثِ «وَلَا أَمَّا الْغُفْرَةُ فَكُلُّ حَقٍّ إِذَا امْتَنَعَتْ خَاصَرَتْكَ سَتَقَلَّتْ فَتَسْتَمِمْ فَتَجْتَرِتُ وَتَكْتَدُ وَيَأْتِي «لَا» وَالْحَدِيثُ شَرِبَ الْخَمْرَ مَثَلًا لِلْعَقْرِ فِي جَمِيعِ الْأَعْيَادِ وَفَقَعَتْ فِيهَا بِكُلِّهَا لِأَنَّ تَسْبِيحَ مَرْغَمٍ طَيِّبٌ فَتَمَنَّعَ فِي الْأَكْلِ حَتَّى تُفْتَحَ وَتَمَرَّتْ، وَبَدَنِيَّةٌ لَحْرِي بِثَقْلِ الشَّوْجِ بِاسْمِهِ، حَوْلَصَرَمَا فَالْمَقْبُولُ الشَّمْسُ قَدِيمَةٌ، فَسَوَّلَ عَلَيْهَا مَخْرَاجَ مَا أَكَلَتْ فَطَلَّتْ وَبَضَبَتْ.

(٦) فَحَبِطَ بِمَنْعِ الْعَمَلِ: الْفَتْحُ، وَالْفَرْقَةُ «أَيَّ يَلْمُو» أَيْ يَذَرِبُ الْفَتْلَ.

تأخروا فليعلم به غير من لا ضَعُفَ له، ومن كان له نفس ذات فليعلم به على من لا زاد له، فذكر من قصده، إيمان حتى رأينا أنه لا حُرَّ لأحد منا في فضل. وإنما رعب قري ذلك أشد الترجيع، لأنهم كانوا في الجهاد، وكانت بالسلس حاذية، واجتمع فيه السباحة والقامة نظام لمنه وثقاه مهج المسلمير

ومنها^(١٧)، ذكر في الآمل، وذلك لأن الإنسان يعذب عليه حب الحياة حتى يكره ذكر الموت، وحتى يرحل من هذه الحياة شيئاً لا يبعده، فإن مات في هذه الحالة عذب بؤوس إلى ما انتهى إليه ولا رجعة. وليس لغيره في نفسه مغبناً، بل هو مغبنة^(١٨) عظيمة. قال رسول الله ﷺ: «كل في الدنيا كذاك غريب، أول ما يورثه يبذل، وثالث ما يورثه مريباً، وخط في الوسط خارجياً منه، وخط خطاً^(١٩) صفاراً إلى هذا الذي في الوسط من جوفه الذي في الوسط فقال: «هذا^(٢٠) الإنسان، وهذا^(٢١) أبك محيط به، وهذا الذي هو خارج أمته، وهذا تخبط الصغار^(٢٢) الأعراف^(٢٣)، فإن أخطأ هذا نفسه هذه، وإن أخطأ هذا نفسه^(٢٤) هذه. وقد نالني انبي ﷺ ذلك يذكر هادم الفلك وريادة القبور والاعتبار الموت الأقران، وقال ﷺ: «لا سمعن أحدكم الموت ولا يذُفُّ به قبل أن يأتيه، إنه إذا مات انقطع عنه».

ومنها: التواضع، وهو ألا تنزع النفس داعية الكبر والأعجاب حتى يردري^(٢٥) الناس، وإن ذلك يعد نفسه، ويشير على ظلم الناس^(٢٦)، فإن ﷺ: «لا يبطل الجنة من كثر في قلبه مثقل ثروة من كِبَرِهِ، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حساً، ونطه حساً، فقال ﷺ: «لئن الله جمير يحب الجمال، لميكبُرْ ثَمَرُ الحق^(٢٧)، وغُطَّ الناس، وإن

(١٧) إليه لموتهم

(١٨) أن من ظلم نفسه

(١٩) لأنه يسير عنه الأعمال الصالحات المفضية إلى درجة كماله

(٢٠) أو بمعنى بل

(٢١) جمع خط على خلاف المشهور، وكبره إلى هذه في مثلاً

(٢٢) أي الخط الوسط

(٢٣) ثوب العرج

(٢٤) أي الأفتك والفتك والأعراف

(٢٥) مذهبته حسه

(٢٦) يحقر

(٢٧) ليطر شدة الفرح والسرور وما الظن أن من القناعة أي الكبر أن سئل اطاعت قبي حمتها الله حقا من لتومس والميلاد بالخطا ونحوه استغفر، وقطر تشديد المعنى، والحوال المعنوي المعنوي، وينبغي أن يحسن، وسوى، يلحق

ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل غُلّ مستكبر». وقال ﷺ: «بينما رجل يمشي في حُلّة تعبیه نفسه، مرّ رجل برأسه يخطئ في مشیه، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

ومنها: العلم والأمانة والرفق: «حاصلها ألا ينزع فاعية الغضب حتى يُروى، ويرى فيه مصلحة». وليس الغضب مأموراً في جميع الأحوال، قال ﷺ: «من يُخْزَمَ الدفق يعدم الخبز كله». وقال رجل⁽¹⁾ للنبي ﷺ: «أوصني»، قال: «لا تغضب». «مردود مراراً»، فقال: «لا تغضب». وقال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يُخْزَمُ على النار؟ كل قريب من لين سهل». وقال ﷺ: «ليس الشديد بلحْزَمَة⁽²⁾ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

ومنها: الصبر - وهو عدم انتهاز النفس للداعية الدعة، والطمع⁽³⁾، والشهوة، والبطر، وإظهار السر، وحرم المروة وغير ذلك، فسئى بأسماء حب تلك الداعية. قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَوْفَى الْكَافِرُونَ بِعَهْدِهِمْ غَيْرَ وَثَرٍ﴾ [الزمر: ١٥]

وقال ﷺ: «ما أوتي أحد عطاءً لأفضل ولوسع من الصبر».

وقد أمر النبي ﷺ بمطائئ المدالة، ونه على معظم أربابها، وبش محاسن الرحمة بحلق الله ورغب فيها، وذكر أقسامها من تألف أهل المنزل ومعاشرة أهل الحي وأهل المدينة وتوقير عظماء الأمة وتنزيل كل واحد منزله.

ونذكر من ذلك أحاديث تكون نموذجاً لهذا الباب:

قال ﷺ: «طهقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

وقال ﷺ: «إن الله حَرَمَ عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا».

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وقال ﷺ: «والله لا يخلد لعنكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن لحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له وغناه⁽⁴⁾، أو بقره لها خوار، أو شاة شير».

وقال ﷺ: «من ظلم قيد شبر من الأرض خُلِّقَ من سبع أرضين».

وقد ذُكِرَ مرّة في الزكاة:

وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن ككلمة بين»، يشد بعضها بعضاً».

(1) من ابن عمر، وقيل ابن عمر، وقيل غيره.

(2) على دنة حُرْمَة وقُرْة، الذي يصدر الناس.

(3) شدة الجزع.

(4) أي: صوت، وشيء، تصحيح، وقيد: قدر.

وفاء: **عَنْ** عَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَلَّاهُمْ وَمَرَّاهُمُ وَيَتَعَلَّاهُمْ مِثْلَ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوهُ دَعَا لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْحَقِّ».

وقال **عَنْ** : «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ».

وقال **عَنْ** : «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلَعُ وَلَا يَنْسَعُ»^(١)، وقال **عَنْ** : «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً كَرَّبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ دُفْعِ الْكِبَرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اشْمَعُوا تَوْخَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أُحِبُّ».

وقال **عَنْ** : «تَقُولُ: بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدِيقٌ، وَتَعَيَّنَ الرَّجُلُ فِي دَابِئَةٍ فَتَعَمَلُهُ أَوْ تَرَوُّعٍ لَهُ مَتَاعُهُ صَدِيقُهُ، وَالْكَلِمَةُ الْخَيَّةُ صَدِيقٌ».

وقال **عَنْ** عِيَّ ضَعَاءُ الْمُهَاجِرِينَ: «لَنْ تُكُنَّ أَنْفُسُهُمْ قَدَرًا أَنْفُسِهِمْ رَيْتُ».

وقال **عَنْ** : «أَنَا وَكَافُّنُ الْحَيِّيمِ فِي فَجَةِ عَدَاءٍ وَأَشَارَ بِالْمَسَابَةِ وَالْمُوسَطِ».

«لَسَاهِي عَلَى الْأَرْمَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمِجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وقال **عَنْ** : «مَنْ أَيْتَمَّرَ مِنْ هَذِهِ الْأَهْلِيَّةِ شَيْءٌ فَلَحَسَ إِلَيْهِمْ كُرَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ».

وقال **عَنْ** : «اسْتَوْصُوا^(٢) بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ خُلِقَ مِنْ ضَلَجٍ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا فِي الضَّلَجِ أَعْلَامٌ، فَإِنَّ ذَهَبَ تَقِيْفَهُ كَسْرَتُهُ».

وقال **عَنْ** فِي حَقِّ الزَّوْجَةِ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَتْكَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا لَكَسَتْكَ، وَلَا تَضْرِبَ لَوَجْهَ، وَلَا تُفْعَلْ^(٣) وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ».

وقال **عَنْ** : «إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ امْرَأَتَهُ إِلَى فَرْشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَيْتُهَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا لِمَالِكَةٍ حَتَّى تَصْبَحَ».

وقال **عَنْ** : «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَعُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْتُرَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَوْ كُنْتُ أَمْرًا لَعَدَا أَنْ يَسْجُدَ لِأَمْرَةٍ أَمْرَتُ امْرَأَةٍ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا».

وقال **عَنْ** : «لَمَّا امْرَأَةٌ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رِيَاسٌ بَخِلَتْ أَمْرَةً».

وقال **عَنْ** : «يَنْبَغِي لِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَنْبَغِي لِنَفْسِهِ فِي رِقَبَتِهِ، وَيَنْبَغِي لِنَفْسِهِ عَلَى مَسْكِينٍ، وَيَنْبَغِي لِنَفْسِهِ عَلَى أَهْلِكَ، اعْظُمَا امْرَأَةً الَّذِي تَعَفَّفَتْ عَنْ أَهْلِكَ».

وقال **عَنْ** : «إِذَا انْفَرَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ ثَقُلَ يَسْتَشِيرُاهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَدِيقٌ».

(١) لعله غلام: إذا لحقه إلى الأهلك وأم بعده من غيره.

(٢) الاستمشاء: حين الرضعة. أي لو صيغتم بهن خيراً فنهوا وصيغتي بين.

(٣) أي لا تظلم لها شيء الله وحده، وقوله: «ولا تهجر» أي لا تفرق منها إلا في المنع.

وقال ﷺ: «ما رزق جبريل بوصفني بالجلل حتى ظننت أنه سيورث».

وقال ﷺ: «يا أبا ذر، إنه ضيفت مرقاً فأكثرت ماءها، وثمة قد جبرلتك».

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

وقال ﷺ: «والله لا يؤمن، الذي لا يأمن جاره بولعه»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «قال الله تعالى للرحم: ألا ترخصين لن أهلك من وصلك وتقطع من قطعك؟».

وقال ﷺ: «من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُنصأ في أثره فليصل رحمه».

وقال ﷺ: «من أكلنا من حقوق الآخرين».

وقال ﷺ: «عن الثكبان شتم فرجل وقليه، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه

فيسب أمه».

ومثّل ﷺ: «هل بقي من بر أبوي شيء، أُبرهما به بعد موتهما؟ فقال: «نعم الصلاة

عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما،

وإكرام صديقهما».

وقال ﷺ: «لن من إجلال الله إكرام ذي الشَّيْبَةِ المسلم، وحمل القرآن غير الفلاني»⁽²⁾ فيه

وكجفي عنه، وإكرام ذي تسنطق اعطس».

وقال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف شرف كبيرنا».

وقال ﷺ: «انزلوا الناس منازلهم».

وقال ﷺ: «من علم مريضاً، أو رآه أضال في الله فداه مناد: يان طيب وطلب معشاه

ويؤث من الجنة موقلاً».

فهذه الأحاديث وأمثالها كلها تبيّن على سُلُوكِ العدالة وحسن المشاركة.

المقامات والأحوال

اسلم أن الإحسان نعمات تحصل بعد حصوله، وهي المقامات والأحوال. وشرح

الأحاديث المتعلقة بهذا الباب يترقب على تهديد مقدمتين: الأولى في إثبات العقل والقلب

والنفس. وبيان حقائقها، والثانية في بيان كيفية تولّد المقامات والأحوال منها.

(1) أي: ضروره، والرحم: ثقابة؛ وريسة: يؤخ. والثر: الأهل، لأنه يشع كمد، وامتد من أن مشية على

الأرض فمن عاد لا يبقى له أثر.

(2) الفلاني في القرآن: من بين جدّه في نسبهِ القليل من غير مكره، والفلاني: من نزل قريته والعمل به؛

والعسك: العادل.

المقدمة الأولى: اعلم أن في الإنسان ثلاث لطائف تستلبي العقل، والقلب، والنفس. دل على ذلك النقل والعقل والتجربة وتعلق العقلاء.

أما النقل فقد ورد في القرآن العظيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذُوا فَتُنَادُوا بِمَحْسِنِينَ إِنَّ هَذِهِ سُبُلَ اللَّهِ لَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ الْخَائِفِينَ﴾ [سورة المائدة: 50]

ورود حكاية عن أهل النار:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [سورة الأعراف: 10]

ورود في الحديث: «لولا ما خلق الله تعالى لعقله لقال له: اقبل غائبك. وقال له: أتقبل فأتخلفه فقال: به أؤاخذك». وقال عليه السلام: «من لا عقل له لا دين له». وكان عليه السلام يفتي من ذوق ليلته. وهذه الأحاديث وإن كان لأهل الحديث في ثبوتها مقال فإن لها أساساً يبرهن بعضها بعضها.

ورود في القرآن العظيم:

﴿وَأَمَّا نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيًّا كُنَّا فَتُغْفِرُ لَهُمْ فَعَبَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [سورة الأعراف: 14]

ورود:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذُوا فَتُنَادُوا بِمَحْسِنِينَ إِنَّ هَذِهِ سُبُلَ اللَّهِ لَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ الْخَائِفِينَ﴾ [سورة المائدة: 50]

وفي الحديث: «الإنسان في الجسد مضغعة إذا صلح صلح الجسد وإذا فسد فسد الجسد» لا وهي القلب. وورد: «مثل قلب كريمة في فلاة يقبضه الريح ظهراً ليطرد». وورد في الحديث: «النفس تسنى وتشمي وتفرج يصنق تلك ويكتبها».

ويعلم من فتح مواضع الاستعمال أن العقل هو الشيء الذي يترك به الإنسان ما لا يترك بالحواس، وأن القلب هو الشيء الذي به ليحب الإنسان ويغض ويختار ويعزم، وأن النفس هو الشيء الذي به يشتهي الإنسان ما يسلطه من الطعام والشارب والمناجح.

وأما العقل: فقد ثبت في موضعه أن في بدن الإنسان ثلاثة أعضاء رئيسية بها تتم القوى والأعمال التي تخصها صورة نوع الإنسان: فالقوى الإدراكية من التحليل والتوهم والتصرف في المشيكلات والمفوضات والحكمة لتسجدات بوجه من الوجود مدحها الدماغ، والقلب والجوارح والشج والرضا، وتسخط وما يشبهها محلها القلب، وطلب ما لا يقوم البدن إلا به أو يحسنه محله الكبد.

وقد يدل تنوع بعض القوى في حديث أفة لي بعض هذه الأعضاء على اختصاصها بها، ثم إن قيل كل واحد من هذه الثلاثة لا يتم إلا بمعونة من الآخرين، فنرد ذلك ما في الشئ أو الكلاء الحسن من الفيج والعين وتوهم المنع والضرب ما حاج غضب ولا حبه، ونرد مثابة القلب لم يصبر المتصور مصداقاً به، ولولا معرفة المظالم والمناجح

وتوفهم المتافع فيها لم يبل إليها الطبع، ولولا تنفيذ تقصير حكمه في أعماق الدن ثم يتبع الإنسان في تحصيل مستلذاته، ولولا خدمة الحواس للعدل ما أدركنا شيئاً، فإن الكميات من البهيدات، والنهيدات فرع المحسوسات، ولولا صحة كى ضرر من الأعضاء التي يتوقف عليها صحة القلب، ولذا ما كان لهم صحة ولا ثم لهم فعل، ولكن كل واحد منهما بمنزلة ملك هتم بأمر عظيم، من فتح فتحة صعبة أو تحرق ما استمد من إخوانه بجيوش وذروع ومنافع وهو المدير في فتح القصة وإياد الحكم ومنه الرأي. وإنما هم غمهم يمشون على رأي، فجاءت صور الحوادث على حسب الصفات المألوفة في الملك، من جرائمه وجبه وسفاهة وبخله وعملاته وظلمه، فكما يختلف الحال باختلاف الملوك ولزائمهم وصفاتهم. وإن كانت الجيوش والآلات متشابهة - فكذلك يختلف حكم كل ديس من الرؤساء الثلاثة في مملكة بدن الإنسان.

وبالحكمة: الأفاعيل المتجسدة من كل واحد من هذه الثلاثة تكون متقاربة فيما بينها، إما مائلة إلى الإفراط والتقصير، أو فائقة فيما بين هذا وذاك. فإن اعتبرنا هذه الهياكل الثلاثة مع أفعالها المتقاربة والمزجها التي تقتضي تلك الأفاعيل المتقاربة دسماً فهي النطاق الثلاثة التي يبحث عنها، لا ثلاث القوى بذواتها من غير اعتبار شيء معها.

فالقلب من صفاته وأفعاله: الغضب، والجراحة، والحب، والحب، والرحمة، والسخاء، والثواب بالمعجبة القديمة، والشكر في الحب والفض، وحب الحياة والجلود، والخي، والرخاء، والخوف.

والعمل من صفاته وأفعاله: التيقن، والنش، والشوهم، وطلب الأسباب لكل حادث، والتفكر في حيل جلب المتافع ودفع النصار.

والنفس من صفاتها: الشهوة في البطاعم والمشارب الملذبة، وعش النساء، وسحر ذلك.

وأما التجربة: فكل من استقر أفراد الإنسان عالم لا محالة أنهم مختلفون بحسب جبلتهم في هذه الأمور. منهم من يكون قلبه هو الحاكم على النفس، ومنهم من يكون قلبه هي الظاهرة على القلب.

وما الأول^(١): فرداً أصابه عيب، أو حاج في قلبه طلب منصب عظيم فإنه يستهين في حبه للذات المطلوبة، ويصبر على تركها، ويجاهد نفسه مجاهدة عظيمة في تركها.

(١) أي: من كان فيه حكماً، والأمر هو صاحب النفس القاهرة والشهوة الآلية والآنفة الغفيرة والعريضة الثانية ويرغوي، يتبع من الشر والفرط، الهلكة والذووع، لعل والقسوة، العقل، وماله، ثم يبدأ أي: كل من استقر وغرض النفس، تولد بهم.

وأما الآخر فإنه إذا عرجت له شهوة، فتنحصر فيها وإن كان هناك ألف عمار، ولا ينبت إلى ما يُزَعَّب فيه من المصائب العالية أو يُرهبه من اللذات والتهوى.

وربما يبدو للرجل الفخور متكبر شهوي وتقدمو إليه نفسه أشد دعوة، ولا يركز إليها أخطارها، جسي من فائدته من قبيل الغيرة، وربما يصير غنى الجوع والدمي ولا يسأل أحداً شيئاً، نعماً شبل فيه من الأثقة.

وربما يبدو للرجل المريض متكبر شهوي أو مطمئن غني ويعظم فيها ضرراً عصبياً، إما من جهة الطهارة أو من جهة الحكمة المحملة أو من جهة سطوة بعض بني آدم، فخاف يورثه ويرعبه، ثم يعينه الهوى وينحصر في التوردة على علم.

وربما يبدو الإنسان من نفسه شرعاً إلى جهتين متخالفتين، ثم يُغلب داعية على داعية، ويتكرر منه أفعال متشابهة على هذا النسق حتى يضر به الشئ إما في اتباع الهوى وقلة الحفاظ، وإما في قسط الهوى وقوة العسكة.

ورجل ثالث يغلب عليه على النفس والنفس، كالمخرج الزمن عن الإبداء، انقلب خلقه ونفسه وشهوته إلى ما، وأمر به الشرع وإلى ما يحرف من الشرع جوانب من سلبها، فلا يفتني أداً عن حكم شرع جولاً.

ورجل رابع يغلب عليه الرسم وينسب الحياء وهي لمار عن نفسه، فهو يكظم الخيط ويصير على مرارة الشتم مع قوة عقسه وشدة جرائئه، ويترك شهواته مع قوة طبيعته، فلا يُفعل، به ما لا يُحبه ولا يُنت، إلى الشئ والتبذير، أو يُجبد ما يطالبه من رفعة الحال، وغيره.

فالرجل الأول يشبه بالمصباح، والثاني بالمهات، والثالث بالحللانة، والرابع بفان له: صاحب المروءة، ومصابيح معالي الهوى، لم يجد من غرض الناس أفراداً يثلب فيها قزائن معاً على ثلاثه، ويكون أسرها بها منها مشدداً، ناز هذا من ذلك ثابة، وذلك من هذا أخرى، فإذا أراد المشعر من أحوالهم والتعبير عنه، هم فيه اضطروا إلى إثبات أساطيف اثلاث.

وأما اتقان الاختلاف: فاعلم أن جميع من اعتنى بتهديب النفس بالطقه من أهل العلم والتفكير، على إثبات هذه الثلاث، أو على بيان مقامات وأحوال تتعلق بالثلاث، فالفيشرف في حكمته العملية بسببها نفساً نكبة، ونفساً شبيهة، ونفساً هيمية، وفي هذه النسبة نوع من التسامح، فسعى لنقل بالنفس المتكبة، نسبةً بأفضل أفرادها، وسعى القلب بالنفس السعوية، نسبة له بأشهر أوصائه.

وام يكن أن يدبها بهذا الاسم، لأنها تكون بعد تهذيب، من تلك أن يسمى العقل بالنفس الإنسانية.

وطوائف الصرغية ذكروا هذه اللطائف واعتنوا بتهديب كل واحدة، إلا أنهم انشوا لطيفين آخرين أيضاً واعتنوا بهما اهتماماً عظيماً وهما: الروح، والسر. وتحققهما أن القلب له وجهان: وجه يميل إلى البدن والجوارح، ووجه يميل إلى التجرد والصرافة، وكذلك العقل له وجهان: وجه يميل إلى البدن والحواس، ووجه يميل إلى التجرد والصرافة. مسوّماً ما يميل بجانب الشغل قلباً وعقلاً، وما يميل جانب الغنى روحاً وبيراً، فصفة القلب الشوق المزعج والوجد، وصفة الروح الأنس والانجذاب، وصفة العقل اليقين بما يترتب مآخذ من مآخذ العلوم العادية، كالإيمان بالغيب والتوحيد الأفعالي، وصفة السر شهود ما يجل عن العلوم العادية، وإلهام هو حكاية ما عن المجرد النصرف الذي ليس له زمان ولا مكان ولا يوصف بوصف ولا يشار إليه بإشارة. والشعر لما كان نازلاً على ميزان الصورة الإنسانية دون الخصوصيات الفردية لم يبحث عن التفصيل كثيراً بحث، وتوكل مباحثها في مخدع^(١) الإجمال، وسائر المس والتحل أيضاً عند عدم علم من ذلك يعرف بالاستفراء مع نوع من التفتن.

المقدمة الثانية: اعلم أن الرجل العتيك^(٢) الذي مكث مادته لظهور أحكام النوع فيها كاملاً وافرأ، وهو رئيس أفراد الإنسان بالطبع والقدور الذي يعرف جميع الأفراد قريباً من الحد الأعلى ومُعداً به بالنظر إليه، هو الذي غلب عقله على قلبه مع قوة قلبه، وسرغ فواء رفق قلبه على نفسه ورفور مقتضياتها، فهذا هو الذي تمت أخلاقه بقوة فطرته، ودونه أصناف كثيرة متفردة يظهرها التأمل الصحيح.

وأما الحيوان الأعجم ففيه القوى الثلاث أيضاً إلا أن عقله مغلوب قلبه ونفسه في الغاية فلم يستحق التكليف، ولا لحق بالملأ الأعلى، وهو قوله تبارك وتعالى:

﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُ فِي الْكِتَابِ وَكَلَّمْنَاهُ بِكَلِمَاتٍ وَأَعْزَمْنَا عَنْهُمْ مُرَّةً فَعَمَّيْنَاهُمْ مِمَّا كَتَبْنَاهُ﴾ [الإسراء: ٢٠].

وهذا الرجل العتيك إذا كان عقله متفاداً للمعاداة الحققة المأخوذة من الصادقين الأخذيين من الملأ الأعلى صلوات الله عليهم، فهو المؤمن حَقّاً، وإن كان له مع ذلك سبيل إلى الملأ الأعلى بأخذ عنهم بغير واسطة فقه شعبة من النبوة وميراث منها، وهو قوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، وإن كان عقله متفاداً لمعاداة رافضة مأخوذة من الضالين الباطلين فهو المطحّد الضال، وإن كان عقله متفاداً لرسم نومه ولما أدركه بالتجربة والحكمة العملية فهو الجاهل لدين الله.

(٢) هو الذي غلب العقل والجسم.

(١) أي: خدع.

ولما إن الأمر على ذلك⁽¹⁾ وجب في حكمة الله تعالى أن يُنزل كتاباً على أركم خلق الله وأعتكهم وأشبههم بالعلم الأعلى، ثم يجمع إليه الآراء حتى تصير أحكامه من المشهورات الذائعة

﴿يُرِيهِكَ مَنْ هَلَكْتَ عَنْ بَيْتِكَ وَخَرَجَ عَنْ بَيْتِكَ﴾ [الأنفال: الآية 40].

وإن يبين فهم هذا الذي منسوب الله وسلامه عنه طرق الإحسان والمقامات التي هي شمراته أتم بيان.

وبالجملة: إذا آمن الرجل بكتاب الله تعالى، أو بما جاء به نبيه صلوات الله وسلامه عليه من يانته، إيماناً يستوعب جميع قوافل الفانية والنافية، ثم اشتغل بالعبودية حتى الاشتغال، وكراً بالناسك ونشكراً بالحنان ودنياً بالجوازج، ودام على ذلك مدة مديدة، شرب كل واحد من هذه اللطائف اثلاث حقه من العبودية، وكان الأمر سيبهاً بالدوحة اليابسة تنقي السماء الغريبة، فيدخل الري كل غصن من أغصانها وكل ورق من أوراقها، ثم ينبت منها الأزهار والثمار، وكذلك تدخل العبودية في هذه اللطائف اثلاث وتغير معانها الطبيعية الخسيسة إلى اصطناع الملكية الفاضلة.

فذلك الصفات إن كانت ملكات راسخة تستمر إذا عملها على نهج واحد، وإنهاج متقاربه، فهي المقامات، وإن كانت يوارق تبتدأ وتنحني أخرى ولما تستقر بعد، أو هي أمور ليس من شأنها الاستمرار، كالترويض والتهوهات والمخلة، تنفي أحوالاً وبرقاًناً.

وأما كان مقتضى العقل في غلواء الطبيعة البشرية النصيب بأمور تروء فيه مناسباتها صار من مقتضاه بعد تهذيب النفس بما جاء به الشرع، كأنه يشاهد كل ذلك عياناً، كما أخبر ربي بن حادثة حين قال له **إِذَا**: «لكل حق حقيقة، فما حقيقة الإيمان؟» فقال: «أنني أنظر إلى عرش الرحمن بأبواب»

ولما كان من مقتضاه⁽²⁾ أيضاً معرفة الأسباب لما يحدث من أعمدة ونقطة، صار من مقتضاه بعد تهذيب التوكل، والشكر، والرضا، والتوحيد.

ولما كان من مقتضى القلب في أصل الطبيعة محبة المنعم العربي وبغض المنذر⁽³⁾ اللذائى وتُسرف مما يؤذيه والرحاء لما ينفعه، كان مقتضاه بعد التهذيب محبة الله تعالى والخوف من عقابه ورجاء ثوابه، ولما كان من مقتضى النفس في غلواء طبيعتها الاتهام في الشهوات والمدة كان مقتضى عند تهذيبها التوبة وتزهد والاجتهاد.

(1) أي: أن لا يتبين لهدأ مختلفة.

(2) أي: العقل.

(3) أي: النفس.

وهذا الكلام إنما أردنا به ضرب المثال، والمقامات ليست محصورة فيما ذكرنا،
فليس غير المذكور على المذكور، والأحوال - كالتشكر والغلبة والمعروف^(١) عن الظنم
والثبات مدة مدينة وكارثية والهاتف - علو المقامات.

وإذا قد فرغنا مما يتوقف عليه شرح أحاديث الباب جاز أن نشروع في المفصود:
تقول:

أصل المقامات والأحوال المتعلقة بالعقل هو اليقين، ومشعب من اليقين: التوحيد
والإخلاص، والتوكل، والشكر، والانس، والهيبة، والتفريد، والصدقية، والمعدنية وغير
ذلك مما يقول عنه. قال عبد الله بن مسعود: يقين الإيمان كنه، وروى رفعه. وقال رحمه:
مواقف لنا من اليقين ما تهوّن به عايداً مصائب الدنيا.

أقول: ويسمى اليقين أن يؤمن المؤمن بما جاء به الشرع من مسألة القادر ومسألة
المعاد. ويطلب الإيمان على عقله، ونزوع من عقله وشعاع على قلبه، وانه حتى يصير
المتيقن به كالمعائن المحسوس، وإنما كان اليقين هو الإيمان كله لأنه العملة في تهذيب
العقل، وتهذيب العقل هو السبب في تهذيب القلب والفس، وذلك لأن اليقين إذا غلب
على القلب شغبت منه شعب كثيرة فلا يخاف مما يخاف منه الناس في العادة، علماً أنه
يؤذي ما أصابه لم يكن يخطئه وما أخطأه لم يكن يغيبه، ويهون عليه مصائب الدنيا اطمئناناً
بما وعد في الآخرة، وتزويج نفسه بالأسباب المتكررة علماً أنه بأن القدرة التوجيهية هي
المؤثرة في العالم بالاختيار والإرادة، وبأن الأسباب العادية، فيفتقر سببه فيما يمس الناس
به ويكتدون ويكتدون، فيستوي عنه ذهب الدنيا وخيرها.

وبالمجمل: فإذا تم اليقين وقوي واستمر حتى ما يغيره فقر ولا غنى ولا عز ولا ذل،
اشعب منه شعب كثيرة:

منها: الشكر، وهو أن يرى ما عنده من النعم ظاهرة وباطنة جميعها فائضة من
بازئه جل مجده، فيرتفع عند كل نعمة متعجباً من إلى بآفته، ويرى سجزه عن القيام بشكره،
فينسحل ويتلاشى في ذلك.

قال رحمه: -أول من يُدعى إلى الجنة الصّابرون الذين يحسدون الله تعالى في السوء
والضراء.

أقول: وذلك لأنه آية إحياء عقله وقده لليقين ببارئه، ولأن معرفة النعم وروية قبضتها
من بآوتها لورثته، بهم قوة قتالة في عالم المشا. لتفعل منها القوى المثابرة والهيكل

(١) أي: الإعراس.

الأخرى، فلا يتركها محرقة تصحى العلم ورؤية خفياتها من الخاتم جلياً مجتبه من المصائب المستجاب في فرع باب الجود، ولا يتم الشكر حتى يقبض بحبيب صنع الله به فيما مضى من عباده، كما روي^(١) عن عمر رضي الله عنه أنه قال لي انصرفه من حيث أمني لم يبح بمحمد الحمد، ثم، ولا إله إلا الله، يعطي من شاء ما يشاء، فقد كثر بهذا الوادي - يعني ضيقاً - أرعى رعاة للخطايا، وكان فقط شيطاناً يعني إذا علمك وبصرني إذا قصرت، وقد أصبحت وأمسيت وليس بي وبني الله أحد أخصاء.

ومنها التوكل، وهو أن يذهب عنه اليقين حتى يقتر سعيه في جلب المنافع ودفع المضار من قبال الأسباب، ولكن يمشي على ما شئت الله تعالى في عباده من الأسباب من غير اعتماد عليها.

قال شيخنا: ينقل النجاة من ثماني سبعين ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يخلعون ولا يكتفون وعنى بهم بقوله الله:

أقول: إنما وسعهم النبي بركة بهذا إعلاماً بأن ثمر التوكل ترك الأسباب التي نهى الشرع عنها لا ترك الأسباب التي سبها الله تعالى لعباده، وإما دخلوا النجاة من غير حساب لأنه لما استقر في نفوسهم معنى التوكل أورد ذلك معنى ينقص عنها سعة الأعمار المعانة عليها من حيث إنهم أبقوا لأن لا مؤثر في الوجود إلا القدرة الوحدانية.

ومنها: اليأس، وهي أن يستبدن بعظم حلال الله حتى يتلاشي في جسد، كما قال الصديق: إذا رأى طيراً واقفاً على شجرة فقال: طوبى لك يا طير، والله لو ددت أني كنت مثلك، نزع عن الشجر وتأكل من الثمر ثم نظير، وبسبب عبادة حجاب ولا عباد الله لو ددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مرأى عن جبل فأخذني فذحسي فاء فلاكني^(٢) ثم زفدي ثم أخرجني حياً، ولم أكن بشراً^(٣).

ومنها: حسن الظن، وما تغير عنه في سائر المصوبة بالأنس، وينشأ من ملاحظة نعم الخلق والخطايا، كما أن الهيئة تنشأ من ملاحظة نعم الخلق ومطاوفاً، واشتد من ولا كان ينظره الاعتقادي يجمع الخوف والرجاء لكن بحالته ومقامه وبعد مغلب عليه الهيئة وإنما يغلب عليه حسن الظن، كمثل رجل قائم على شفا الثمر العميقة مرعداً فرائضه وإن كان علة لا يوجب غرقاً، وكما أن حديث النفس بالنعم الهيئة يفرض الإنسان وإن كان غرقه لا يوجب فرساً، ولكن تشرب الوهم في هائل الحائش حوراً وفرحاً.

(١) أي ينقل (٢) أي يخلص (٣) أي يخلص

(٤) أي يخلص من الدقية والظيرة ولكن (٥) مضمناً ولازمي أيقني

(٦) والله إن أبي شبيه في مسنعه

قال **عليه السلام**: «حسن الظن بالله من حسن العبادة» وقال عن ربه تبارك وتعالى: «والله عند ظن عبدي بي».

أقول: وذلك لأن حسن الظن يهيئ معه نفيضان اللطف من بارئه.

ومنها: التفريد، وهو أن يستولي الذكر على قواه الإدراكية حتى يصير كأنه يرى الله تعالى مباشرة، فتصاحل أحاديث نفسه وتتلفى كثير من لهيبها. قال **عليه السلام**: «سيروا، ستبقي المفلحون، هم الذين وضع عنهم لثقتهم».

أقول: إذا خلص نور الذكر إلى عقولهم، ونشج التنطع إلى الجيروت في نفوسهم انزعجت البهيمية وانطقت نهبها ونهبت أنفائها.

ومنها: الإخلاص، وهو أن يتمثل في عمله نفع العبادة لله تعالى من جهة قرب نفسه من الحق، كما قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ رَحْمَتَكَ كَثِيرٌ قَرِيبٌ لِّكَ الْمُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨]

أو من جهة تعديق ما وعد الله تعالى على أئمة رسله من ثواب الأجر، فينبأ منه الأعمال بداعية عظيمة، لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا مراقبة عادة، ونسحب^(١) هذا الحال على أصناف جميعها حتى الأعمال المباحة العادية، قال الله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: الآية ١٥]

وقال **عليه السلام**: «إنما الأعمال بالنيات».

ومنها: التوحيد وله ثلاث مراتب:

إحداها: توحيد العبادة، فلا عبد الطواغيت، ويكره عبادتها كما يكره أن يخلط في

الثاني

والثانية: ألا يرى الحول والقوة إلا لله. ويرى أن لا مؤثر في العالم إلا القدرة الوجوبية بلا واسطة، ويرى الأسباب عادية إنما تسبب المسميات إليها مجازاً، ويرى القدور غالباً على إرادة الخلق.

والثالثة: أن يعتقد تزوي الحق عن مشاكسة المشركين، ويرى أوصافه لا تماثل أوصاف المخلوق، ويصير كخبر في ذلك كالمؤمن، ويطمئن قلبه بأن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [قصص: الآية ١٦] من جنس نفسه، ويلقى الخيار للشرع بفلك على هيئة من ربه ناشئة من ذاته على ذاته.

(١) يهتد.

ومنها: الصدقية والمحدثه، وحديثهما أن مرَّ الأمام من يكون في أعلى نظريته شيئاً بالأنبياء، بمؤنة السيد الفطن المشيخ المعلى، فنشأه إن كان بحسب العرى العقلية فهو المصدق أو المحدث، وإن كان تشبه بحسب القوى المعنوية فهو الشهيد والحواري، وإلى هاتين القبلتين وقفت الإشارة في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلَئِكَ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ﴾ [سجده: ١٨]

والفرق بين المصدق والمحدث:

أن المصدق نفع قرية الماخذ من نفس النبي، كالكبريت بالنسبة إلى النار، فكذلك سمع من النبي ﷺ خبراً وقع في نفسه بموقع عظيم وشلقاء مشاهد نفسه، حتى صار كأنه عيَّن حاج في نفسه من غير تشكيك، وإلى هذه المعنى الإشارة فيما ورد من أن أبى بكر المصدق كان يسمع دوي صوت جبريل حين كان يتزل بالوحي على النبي ﷺ. والمصدق تبعث من نفسه لا معاملة محبة الرسول ﷺ أشد ما يمكن من المحب، فيندفع إلى المعاضاة معه بنفسه وماله، والموافقة له في كل حال، حتى يخبر النبي ﷺ من حاله أنه: لئن لئن عابني في الله ومصيبته، وحتى يشهد له النبي ﷺ بأنه لو أمكن أن يتخذ خيلاً من الناس لكان هو ذلك الخليل، وذلك لتعاقب ورود أنوار الوحي من نفس النبي ﷺ إلى نفس المصدق، فكلمنا نكرر التأثير والتأثر والفعل والاشغال حصل القاء واللقاء. ولما كان كماله الذي هو غاية مقصوده - بصحبه النبي ﷺ وباستماع كلامه لا جرم كان أكثرهم له صحة. ومن علامة المصدق أن يكون أعبر الناس للروايات، وذلك لما جني عليه من تلقي الأمور النبوية بأدنى سبب، ولذلك كان النبي ﷺ يغلب التعبير من المصدق في وافحات كثيرة. ومن علامة المصدق أن يكون أول الناس إيماناً وأن يؤمن بغير معجزة

والمحدثات ثمار نفسه إلى بعض معادن الحنم في العلوكوت، فتأخذ منه علوماً مما مياها الحق مباله ليكون شريعة للنبي ﷺ وليكون إسلاًماً للنظام بني آدم وإن لم يزل الوحي بعد على النبي ﷺ، كمثل رجل يرى في مناب كثيرة من الحوادث التي أجمع في العلوكوت على إيجادها. ومن خاصة المحدث أن يترك القرآن على رفق رأيه في كثير من الحوادث، وإن يرى النبي ﷺ في منابه أنه أعطاه النبي بعد رؤيه.

والمصدق أولى الناس بالخلافة، لأن نفس المصدق تصير وكراً^(١) لعبادة الله بالنبي ونصرته له ونأيده إياه، حتى يصير كأن روح النبي ﷺ تنطق بلسان المصدق، وهو قول عمر حين دعا الناس إلى بيعته المصدق: فإن بك محمد ﷺ قد مات فإن الله قد جعل بين

أظهركم نوراً تهتدون به هدي نك سجداً ﷺ، وإن أبكر صاحب رسول الله ﷺ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [توبة: ٥١]، وأنه أوس الناس بأدرككم، فقوموا فإبصروا.

ثم المحدث بعد ذلك أولى الناس بالخلافة، وذلك قوله ﷺ: «اتقوا بقلوبكم من بعدي: لي بكر وعمر»، وقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ رَحْمَتُكَ بِمَا كُنْتَ مِنَ الْغُفُورِ﴾ [مزمرة الآية ٣٣]

وقال ﷺ: «لقد كان عيسى قبلكم مستثنى، فإن يكن في أعني أحد فعمرو». ومن الأحوال المتعلقة بالعقل: التجلي. قال سهل: التجلي على ثلاثة أحوال: تجلي ذات وهي المكاشفة، وتجلي صفات الذات وهي مواضع النور، وتجلي حكم الذات وهي الآخرة وما بها.

فسمى المكاشفة غلة البقير، حتى يصير كأنه يراه ويصير، ويبقى دائماً عما عداها، كما قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، أما مشاهدة العيان وهو في الآخرة لا في الدنيا» وقوله: (تجلي صفات الذات) يحتل رحمين:

أحدهما: أن يراقب أفعاله في الخلق، ويستحضر صفاته، فيستبين قدرة الله عليه فيغيب عن الأسباب، ويسقط عنه الحروف (التسبب) ويعقب عليه عامة تعالى به، فيبقى خاضعاً مرعوباً منهوشاً، كما قال ﷺ: «فإن لم تكن تراه فلك يراه»، وهي مواضع النور، بمعنى أن النفس تتنور بأنوار متعددة، تتغلب من نور إلى نور، ومن مراقبة إلى مراقبة، بخلاف تجلي الذات، إذ لا تعدد هناك ولا تحول.

وثانيهما: أن يرى صفة الذات، بمعنى فعلها وخلقها بأمر ﴿كُنْ﴾ من غير توسل الأسباب الخارجية. وموضع النور هي الأشباح المثالية النورية التي تترادى للعارف عند غيبة حواسه عن الدنيا.

ومعنى تجلي الآخرة: أن يُعائِن السجدة بصر بصيرته في الدنيا والآخرة، ويجد ذلك من نفسه كما يجد الجائع ألم جوعه والظمآن ألم عطشه.

فكان الأول: خوف عبد الله بن عمر حين سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد عليه السلام، فشكا إلى بعض أصحابه، فقال ابن عمر: كنا نرايا له في ذلك المكان وهذه الحالة نوع من الغيبة ونوع من القناء، وذلك لأن كل لطيفة من اللطائف الثلاث لها غيبة وقناء، فغيبة العقل وقناؤه: سقوط معرفة الأشياء شعلاً بربه، وغيبة القلب وقناؤه: سقوط محبة الغير والخوف منه، وغيبة النفس وقناؤه: سقوط شهوات النفس وانحجامها^(١) عن الانقياد بالشهوات.

(١) أي انقراضها.

ومثال الثاني : ما قال الصديق وغيره من أجلاء الصحابة الطيب أَرْضِي.

ومثال الثالث : رؤية الأنصار قلعة فيها أمثال المصاييح، وما روي أنه خرج رجلان من أصحاب النبي ﷺ من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مش تمصباحين يس أئنيهما، فلب اقتربا صدر مع كل واحد منهما واحد حتى نُي أئنيهما، وما ورد في الحديث أن النجاشي كان يُرى عند غيره يوم.

ومثال الرابع : قول حفظة الأسدي رسول الله ﷺ : تذكرنا بالنار والجنة. من حفظة الربيع الأسدي قال : لعيني أبو بكر، فقال : كيف أنت يا حفظة؟ قلت : نافع حفظة⁽¹⁾، قال سبحانه الله : ما نقول؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ بذكرنا بالجنة والنار كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافنا الأرواح والأولاد والضيقات نسبنا كثيراً. قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت : نافع حفظة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : وما ذلك؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين. فإذا خرجنا من عندك عافنا الأرواح والأولاد والضيقات نسبنا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الفكر لصلتكم الملائكة على رؤسكم وفي طرفكم، ولكن يا حفظة ساعة وساعة⁽²⁾ ثلاث مرات، فأشار ﷺ إلى أن الأحوال لا تدوم.

ومثال أيضاً : ما رأى عبد الله بن عمر في إمام من الجنة والنار⁽³⁾.

ومنها : الغرسة الصادقة والخاطر المطابق لمواقع : قال ابن عمر : ما سمعت عمر يقول شيء قط : إني لأظنه كذا، إلا كان كما يقن.

ومنها : الرؤيا الصالحة، وكان ﷺ يعني بتعبير رؤيا السالكين، حتى روي أنه كان يجلس بعد صلاة الصبح، ويقول : ممن رأى منكم رؤياه فإن قصها أحد، خير ما شاء الله وأعني بالرؤيا الصالحة رؤية النبي ﷺ في المنام، أو رؤية الجنة والنار، أو رؤية الصالحين والأنبياء عليهم السلام، أو رؤية المشاهدة المبركة، كبيت الله، أو رؤية الوقائع الآتية تنفع

(1) أي صدر متفقاً وقوله : وعافنا، أي : خالفنا. والضيقات : الآلام والهموم.

(2) أي : ساعة تكونون في الفكر ساعة في سعادة الأرواح وغيرها. وليس هذا من الغفلة، ولعله ثلاث مرات أي أكثر ثلاثاً لتأكيد القول حتى يثبت عن حفظة ما شئهم به نفسه.

(3) روى الشيخان عن ربه الله عنه أنه قال : رأيت في المنام كل من طلقني لعنتي نكياً بي إلى لقاء هذا في طريق كفي البشر وإذا قولنا كثرني البئر ولا فيها أناس عد عزمهم فجعلت تقول : لو باد من قس ثلاثاً. إلخ. فقال رسول الله ﷺ : يفتقر الرجل عد أنه لو كان مسلمي من الليل، فكن من عمر بعد ذلك لا ينال إلا قليلاً. وهي رؤيا. ولقد كان في كفي سورة من هريد ٧ لربها بكافاً في الجنة لا طهرت بي أمة فقصتها على حفظة فقصتها على رسول الله ﷺ فقال : على أفك رجل صالح.

كما يرى، أو العاضية على ما هي عليه، أو رؤية ما بيّنه على تفصيله، بأن يرى خطيئة في صورة كلب معقبة، أو رؤية الأوار والطيبات من الزرق، انشرب الخبز والعسل والحسن، أو رؤية الملائكة، والله أعلم.

ومنها: إحداهن خلاوة السناحة والقطع حديث النفس. قال رسول الله ﷺ: «من صلى ركعتين لا يحدث فيهما قلبه غفولاً ما تقدم من نبيه».

ومنها: المحاسبة، وهي تتولد من بين النفس المتنوّرة بنور الإحسان والجمع^(١) الذي هو أصل معامات القلب. قال ﷺ: «الْكُفُوفُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا يُعَذِّبُ الْمَوْتَءَ»، وكان حمر رضي الله عنه في خطبته: حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا، وزكوا قبل أن توفوا، وتزكوا لعرض الأخر من الله تعالى، ﴿يَرْجِعُهُمْ تَرْتِمُونَ لَا تُفْنَنُ لَكُمْ سِيُنَا رَبِّي﴾ ﴿الحاقة: الآية ١٨﴾.

ومنها: الحياء، وهو غير الحياء الذي هو من مقامات النفس؛ ويقول من رؤية عزة الله تعالى وسلاطه: مع ملاحظة محو عن القيام بحقه وتلكه لأدناس الشبهة. قال عثمان رضي الله عنه: إني لأشغل في البيت المغنم؛ فأناطوي حياء من الله تعالى.

وأما المقامات المتعلّقة بالقلب وأولها الجمع، وهو أن يكون أمر الآخر من المعصود الذي يهتم به، ويكون أمر الدنيا حياءً عنه لا يفتده ولا يفتت إليه إلا العرس، من جهة أن يكون شغف له إلى ما هو بسيله. والجمع هو الذي يستلبي السوفية بالإكراة.

قال ﷺ: «من جعل همه قماً واحداً هد الآخرة كماء الله همه. ومن تشعبت به الهوم لم يبال الله في أي لوعة علك».

أقول: هذه الإنسان لها خاصية مثل خاصية الدماء في قروح جسم الجود، بل هي مع الدعاء وسلاطه، فإذا تحررت همه معروضات العز كماء الله تعالى، فإذا حصل جمع الهمة وإصباح عمى السودية ظاهراً وباطناً نتج ذلك في قلبه محبة الله ومحبة رسوله. ولا يزيد بالمحبة الإحسان بأن الله تعالى عالم الملك، وأن الرسول صادق سيحوت من قبله إني خلقني فقط، من هي حالة شبيهة بحالة الظلمة بالنفس إلى الماء والجمع بالنسبة إلى العظم، ونشأ المحبة من استلاء العقل بذكر الله تعالى، والتعكّر في جلاله، وترشيع نور الإله من الغنى إلى القلب، وتنفق ذلك النور بقوة محولة فيه.

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد خلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» الحديث^(٢)، وقال ﷺ في دعائه: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي

(١) أي الزود وقوله حق، أي مفاد.

(٢) لقائه ومن أحب عبداً لا يحب إلا ما ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أقره أنه منه كما نكره أن يكفر.

نور القلب.

وسمعي وبصري وأهلي وملي ومن الماء البارد، وقال ﷺ لعمر: «لا تكون مؤمناً حتى تكون أحب إليك من نفسك» فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب، لأنت أحب إلي من نفسي التي بين يدي، فقال رسول الله ﷺ: «الآن يا عمر تم إيمانه»، وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده ونفسه جميعاً».

أقول: أشار النبي ﷺ إلى أن حقيقة الحب غلبة لذة اليقين على العقل ثم على القلب والنفس، حتى يقوم مقام منتهى القلب في مجرى العادة، من حب الولد والأهل والمال، وحتى يقوم مقام منتهى النفس من الماء البارد بالنسبة إلى الشيطان، فإذا كان كذلك فهو الحب الخاص الذي يُعَدُّ من مقامات القلب.

قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

أقول: جعل النبي ﷺ مِلَّةَ المؤمن إلى جناب الحق وتمسُّكُهُ إلى مقام التجرد من جلباب البدن وطلبه التخلُّص من مضائق الطبيعة إلى فضاء النفس حيث يتصل إلى ما لا يوصف بالوصف، علامة لتصدق محبة لربه.

قال المُطَهِّق رضي الله عنه: من ذاق خالص محبة الله تعالى شغفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر.

أقول: قوله هذا غاية في الكشف عن آثار المحبة، فإذا تمت محبة المؤمن لربه أدَّى ذلك إلى محبة الله له، وليس حيلة محبة الله لعبده الفضالة من الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولكن حقيقتها المعاملة معه بما استعمله، فكما أن الشمس تسخن الجسم الصلب أكثر من تسخينها لغيره - وفعل الشمس واحد في الحقيقة ولكنه يتعدد بتعدد استعداد القوابل كذلك لله تعالى عناية بقوس عباد من جهة صفاتهم وأفعالهم، فمن اتصف منهم بالصفات الخمسة التي يدخل بها في أعداد البهائم فقلَّ هو شمس الأُحِبِّيَّة فيه ما يناسب استعداده، ومن اتصف بالصفات الفاضلة التي يدخل بسببها في أعداد الملأ الأعلى فعل هو شمس الأُحِبِّيَّة فيه نوراً وضياء حتى يصير جوهراً من جواهر حظيرة القدس، وانسحب عليه أحكام الملأ الأعلى، نعم ذلك يقال: أحبه الله، لأن الله تعالى فعل معه فعل الشُّبِّ بحبه، ويسمى العبد حينئذ ولياً.

ثم محبة الله لهذا العبد تُحْمِلُ فيه أحوالاً بينها النبي ﷺ أتم بيان:

فصلها: نزول القَبُولِ له في الملأ الأعلى ثم في الأرض. قال ﷺ: «إنا أحب الله تعالى عبداً ثلاثين جبريل: يأتي أحب فلاناً فأُحِبُّه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السموات: إن الله تعالى أحب فلاناً فأُحِبُّه، فيحبه أهل السموات، ثم يوضع له القبول في الأرض».

أقول: إذا توجهت العناية الأولى إلى «عبادة هذا العبد» انعكست محبة إلى المخلوق الأعلى بمنزلة انعكاس ضوء الشمس في المرآة المصقوفة، ثم ألهم الملائكة صاحب محبة، ثم من استعد لذلك من أهل الأرض، كما تنضرب الأرض بالرحمة الذي⁽¹⁾ من يرتد إليه ومنها: «إلا أن أعداء» قال عليه عن ربه تبارك وتعالى: «من عدى لي ولينا فقد آتقته بالحربة».

أقول: إذا انعكست محبة في مرآة نفوس الملائكة الأعلى، ثم عاينها شخاف من أهل الأرض أحسبت أصلاً الأعلى بشدة المحافاة كما يحس أحدنا حرارة النجاسة إذا وقعت قدمه عليها، فخرجت من نفوسهم أشعة تحيط بهذا المخالف، من ليل الخفرة والسيار⁽²⁾، معند ذلك يُخدع، ويُصيق عليه، ويُلهم أهل العالم وأهل الأرض أن يسبوا إليه، وذلك حربه لعائى إياه.

ومنها: [ما سألته وإعاضته مما استأذنه] قال عليه عن ربه تبارك وتعالى: «وإن سلّتي لأعطينه، وإن استحلّني لأحييته».

أقول: وذلك تدخله في حظيرة القدس حيث يقضى بالحوادث، فداؤه واستعادته يرتقي هناك، ويكون سبباً لرواد القضاء.

وفي آثار الصحابة شيء كثير من باب استجابة الدعاء، من حملة ذلك ما وقع لسعد حين دعا على أبي سعد: اللهم إن كان عبدك هذا كافراً، قام رياء وسمعة، فأبطل شهرته، وأبطل ثمرته، وعرفته الغنى، فكان كما قال: وما وقع لسعيد حين دعا على أروى بنت أسد: اللهم إن كانت كافرة فأغمر بصرها، وأقلها في أرضها، فكان كما قال.

ومنها: «أنا» عن نفسه وقوله بالحق: «وَمَنْ يَسْمُرْ هُنَا عِنْدَ الصُّرُوفِ بِغَلِيَّةٍ كَوْنِ الْحَيِّ عَلَى كَوْنِ الْعَبْدِ» قال عليه عن ربه تبارك وتعالى: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوازل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها».

أقول: إذا غشي نور الله نفس هذا العبد من جهة مؤنة العطية المستمرة في يده وحملت شجرة من هذا النور في جميع نواحيه، فحدثت هناك بركات لم تكن تعهد في مجرى العادة، فعند ذلك يُنسب الفعل إلى الحق بمعنى من معاني النسب، كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَنْثَرْتُمُوهَ وَتَبَرَّكْتَ إِنَّهُ مَلَكُهُ وَمَا رَبَّتْ بِكَ وَتَبَّتْ وَتَبَرَّكْتَ اللَّهُ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 17].

ومنها: تنبيه الله لعائى إياه، بالمؤاخاة على ترك بعض الآداب ويقول الرجوع منه

(1) أي العباد.

(2) أي لمرحلة.

إلى الأدب، كما وقع المصنف حين غاصب أضافته ثم عزم أن ذلك من الشيطان، فراجع الأمر المعروف، فوردك في طعنه.

ومن مقامات القلب مقامان يختصان بالنفوس المشبهة بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، يمكنان عليها كد يحكى ضوء القمر على مرآة موضوعة بإزاء كوة مفتوحة، ثم يعكس ضوءها على الجدران والسُّبُك والأرض، وهذا بمنزلة الصديق والمحدث، إلا أن ذلك تستقران في القوة العقلية من نفوسهم وهذا في القوة العملية المنبججة من القلب، وبعد هذا الشهد والحواري

والفرق بينهما: أن الشهيد يُقبل نفسه غضباً وشدة على الكفار ونصرة للدين من موطن من مواطن استكونت هيأ الحق فيه إرادة الانتقام من العصاة، يتزل من هناك على الرسول ليكون الرسول جارية من جوارح الحق في ذلك، فتقبل نفوسهم من هناك كد ذكرنا في المحدثية، والحواري من خُلُصت محبته للرسول وطاقت ضيقته معه واتصلت قرات به، فأوجب ذلك انعكاس نصرة دين الله من قلب النبي على قلبه. قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْوَاحَ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [صف: الآية ١٤].

وقد يشر النبي ﷺ الزبير بأنه حواري.

والشهيد والحواري أنواع وشعب منهم: الأمن، ومنهم الرفيق، ومنهم النجباء والقباء، وقد نزه النبي ﷺ في فضائل الصحابة بشيء كثير من هذه التعاني:

عن علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ تَكُنْ نَبِيَّ سَبْعَةِ نَجَابٍ وَفِيٍّ وَأَعْطِيَتْ ثَلَاثُ أَرْبَعَةِ عَشْرٍ قُلُوبًا: مِنْهُمْ قَالَ: «هَذَا، وَلَيْتَ بَنِيَّ»^(١)، وَجَمْعُهُمْ وَحَمَزُهُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَطَلْحٌ، وَسُمَيْلٌ، وَعَسَاءٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو ثَرْوٍ، وَالْمَقْدَدُ».

وقال الله تعالى: ﴿فَتَحْقِرُوا لَهُمُ مَا عَنِ النَّاسِ لَمْ يَكُنِ الْأَرْسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾

[البقرة: الآية ٢٥]

وقال ﷺ: «لَتُبَيِّتَ لَكُمْ، فَلَمَّا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

ومن أحوال القلب: السكر، وهو أن يتشبع نور الإيمان في العقل ثم في القلب، حتى تقوته مصالح الدنيا، وحتى يحب ما لا يحق للإنسان في مجرى طبيعته، فيكون شبيهاً بالسكران المتغير من شدة عشقه وعدنه. كما قال أبو الفراء: أحب الموت الشياقة إلى بي، وأحب المرض مكثراً لنطيشي، وأحب الفقر تواضعاً لربي. وكما يؤثر عن أبي ذر

(٢) أحسن الحديث.

كراهيته للمال بطبعه وشنائهُ الغنى والثروة مثل كراهية الأمر المستفترضة، وليس في مجرى
لعادة البشرية حب هذا التَّيْل وكراهية ذلك الغير. ولكنهما^(١) قلب عنهما البعير حتى
خرجاً من مجرى العادة.

ومن أحوز القلب، الغلبة. والغلبة غلبتان: غلبة داعية منجبة من قلب المؤمن حين
خاطبه نور الإيمان فخلج^(٢)، فإفاحة متروكة من ذات الأمور ومن جلة القلب، فصارت داعية
وحاطة لا يستطيع الإنسان عن موجهة، وافقت مقصود الشرع أو لا، وذلك لأن الشرع
يحيط بمقاصد كثيرة لا يحيط بها قلب هذا العاقل، فربما يتبادر قلبه المرحمة مثلاً وقد نهى
الشرع عنها في بعض المواضع، نادى تعالى:

﴿وَلَا تَتَذَكَّرْ بِمَا رَفَعْتُ فِي يَدِي إِلَيْكَ﴾ [نور: الآية ١].

وربما يتبادر قلبه للتعصّب وقد قصد الشرع اللطف، مثل أهل التلمذ. ومثال هذه الغلبة:
ما جاء في الحديث عن أبي ثابة بن العنبر حين استشاره بنو قريظة لما استولهم النبي ﷺ
على حكم سعد بن معاذ، فأشار بينهم إلى حلفه أنه التذبح. ثم نده على ذلك وعلم أنه قد
حان الله ورسوله، فانطلق على وجهه حتى ارتبط نفسه في المسجد على عمود من حُفاه،
وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله تعالى عليّ مما صنعت. ومن عمر أنه قلب هذه
داعية الإسلام حين اعترض على رسول الله ﷺ لث أن أراد أن يصالح المشركين عام
الحديبية، فوثب حتى أتى أبا بكر رضي الله تعالى عنه، قال: ليس برسول الله ﷺ؟ قال:
بلى، قال: ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: اليسو بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام
نعطي الذبينة في ديننا؟ فقال أبو بكر: يا عمر انزم غزوة، فإني أشهد أنه رسول الله. ثم
قلب عليه ما بعد حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال له: ما قال لأبي بكر، وأجبه النبي ﷺ
كما أجابه أبو بكر رضي الله عنه، حتى قال: «لنا عبد الله ورسوله، إن أخالف أمره وإن
يفيطني». قال: وكان عمر يقول: فما زلت أصوم وأصلي وأعتق وأسلم من الذي منعت
يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون حياً. وعن أبي طيبة العمراحي
حين حجج النبي ﷺ فشرّب دمه، وذلك محظور في الشريعة ولكنه فعله في حان الغيبة،
فعلّقه النبي ﷺ وقال له: «قد اعتظرت بحظائر من الغيرة»^(٣).

وغلبة أخرى أحلّ من هذه وأنتم. وهي غلبة داعية إلهية تنزل على قلبه، فلا يستطيع

(١) أي ليو الولد ولهو نو.

(٢) أي لا نوع، والطرفة: الزند.

(٣) الاعتظار: فعل العظّل أي العسر: والمظلل جمع حظيرة وهي موضع يحاط بهيمة، أي قد أعتقته بغير
عظيم من الغار.

الإسباك عن موجهها، وحقيقة هذه الغلبة فيضان علم إلهي من بعض المعادن النفسية على قوته العملية دون القوة العقلية.

تفصيل ذلك: أن النفس المنشبهة بنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا امتنعت لقبضات علم إلهي إلا سبغت القوة العقلية منها على القوة العملية كان ذلك العلم المقاض فراضة وإنهاضاً، وإن سبغت القوة العملية منها على القوة العقلية كان ذلك العلم المقاض عزماً وإقبالاً أو نفرة وانعجاساً. مثاله: ما روي في قصة بدر من أن النبي ﷺ أُلغ في الدعاء حتى قال: «إني كَشُوكُ»⁽¹⁾ عهده يومئذ، اللهم إن شئت لم تُعبد، فأخذ أبو بكر يده، فقال: حسبك، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول:

﴿سَبِّحْ لِلنَّاسِ وَلِلنَّاسِ وَلِلنَّاسِ﴾ (المعنى: «وعدا»).

معناه أن الصلوات التي في فله دامية زلهمية تؤممه في الإلحاح وتُرغبه في الكف عنه، فخرج مستظهِراً بتصره الله تعالى هذه الآية. ومثاله أيضاً: ما روي في قصة موت عبد الله بن أبي: حين أراد النبي ﷺ أن يصلي على جنازته قال عمر: فتحوث حتى قتلت في صدره، وقلت: يا رسول الله، أتصلي على هذا وقد قال يوم كذا وكذا؟ أَعُدَّ أيممه، حتى قال: «تأخرو عني يا عمر، إني خُفِرْتُ فاختَرْتُ»، وصلى عليه، ثم نزلت هذه الآية:

﴿وَلَا تَحْلِلْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ شَيْءٌ﴾ (المعنى: «لا تأخذ»).

قال عمر: فعجبت لي، وجراني على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ أعلم. وقد بين عمر الفرق بين الغلبتين أنصيح بيان، فقال في الغلبة الأولى: لما زلت أصوم وأتصلى واعتقت... إلخ، وقال في الثانية: فعجبت لي وجراني، فانظر الفرق بين ميتين الكلمتين.

ومنها: إظهار طاعة الله تعالى على ما سواها وطرد موانعها والنفوة عما يشغله عنها، كما فعل أبو طلحة الأنصاري، كان يصلي في حائط له فطار دسي⁽²⁾ وطفن يتردد ولا يجد سخرجاً من كثرة الأغصان والأوراق، فأعجبه ذلك، فصار لا يدري كم صلى، فتصلق بحائطه.

ومنها: حيلة الخوف حتى يظهر البكاء وارتعاد الفرائص، وكان له ﷺ إذا صلى بالليل أزيز⁽³⁾ كأزيز المرجل، وقال ﷺ في سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

(1) أي: لسلك.

(2) هو: طائر صغير، وتبل هو الحمام الوحشي، مشرب إلى القيد وهو اللون بين الأسود والبصرة.

(3) أي: صوت ليكلك، وقيل: غلغل القلب وهشاجه.

« ورجل نكر الله تعالى خفية ففانست عيده » وقال **عليه** : « لا طبع النار رجل يكرى من تشية الله حتى يعود القلب في الضرع » وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه حين يقرأ القرآن ، وقال جبير بن مطعم : سمعت النبي **ﷺ** يقول : « **أَكْبَرُ بَيْنَ عَمَى مُؤْمَرٍ أَمْ هُمْ أَتَخْلِفُونَ** » [مظور الآية 13] وكأنما طار قلبي

وأما المقامات الخاصة للنفس من جهة تسلط نور الإيمان عليها وقهره إياها وتغيير صفاتها الخبيثة إلى الصفات الطاهرة :

قائلها : أن ينزل نور الإيمان من العقل السدير بالمقائد الحقة إلى القلب ، فيزجج بجيلة القلب ، فينزل بينهما زاجر يقهر النفس ويخرجها عن المخالعات ، ثم ينزل بينهما ندم يقهر النفس ويأتي عليها ويأخذ بتلابيبها ، ثم ينزل بينها العزم على ترك المعاصي في المستقبل من الزمان ، فيقهر النفس ويجعلها مطعنة بأوامر الشرع ونواهيها قال الله تبارك وتعالى :

﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ مَنَامُ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ فِي أَهْوَايَهَا** ۖ قَالَ آلِهَةٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّهُ إِلاَّ نَجَسٌ ۝٤١٥ ۝٤١٦ ۝٤١٧ ۝٤١٨ ۝٤١٩ ۝٤٢٠ ۝٤٢١ ۝٤٢٢ ۝٤٢٣ ۝٤٢٤ ۝٤٢٥ ۝٤٢٦ ۝٤٢٧ ۝٤٢٨ ۝٤٢٩ ۝٤٣٠ ۝٤٣١ ۝٤٣٢ ۝٤٣٣ ۝٤٣٤ ۝٤٣٥ ۝٤٣٦ ۝٤٣٧ ۝٤٣٨ ۝٤٣٩ ۝٤٤٠ ۝٤٤١ ۝٤٤٢ ۝٤٤٣ ۝٤٤٤ ۝٤٤٥ ۝٤٤٦ ۝٤٤٧ ۝٤٤٨ ۝٤٤٩ ۝٤٥٠ ۝٤٥١ ۝٤٥٢ ۝٤٥٣ ۝٤٥٤ ۝٤٥٥ ۝٤٥٦ ۝٤٥٧ ۝٤٥٨ ۝٤٥٩ ۝٤٦٠ ۝٤٦١ ۝٤٦٢ ۝٤٦٣ ۝٤٦٤ ۝٤٦٥ ۝٤٦٦ ۝٤٦٧ ۝٤٦٨ ۝٤٦٩ ۝٤٧٠ ۝٤٧١ ۝٤٧٢ ۝٤٧٣ ۝٤٧٤ ۝٤٧٥ ۝٤٧٦ ۝٤٧٧ ۝٤٧٨ ۝٤٧٩ ۝٤٨٠ ۝٤٨١ ۝٤٨٢ ۝٤٨٣ ۝٤٨٤ ۝٤٨٥ ۝٤٨٦ ۝٤٨٧ ۝٤٨٨ ۝٤٨٩ ۝٤٩٠ ۝٤٩١ ۝٤٩٢ ۝٤٩٣ ۝٤٩٤ ۝٤٩٥ ۝٤٩٦ ۝٤٩٧ ۝٤٩٨ ۝٤٩٩ ۝٥٠٠ ۝٥٠١ ۝٥٠٢ ۝٥٠٣ ۝٥٠٤ ۝٥٠٥ ۝٥٠٦ ۝٥٠٧ ۝٥٠٨ ۝٥٠٩ ۝٥١٠ ۝٥١١ ۝٥١٢ ۝٥١٣ ۝٥١٤ ۝٥١٥ ۝٥١٦ ۝٥١٧ ۝٥١٨ ۝٥١٩ ۝٥٢٠ ۝٥٢١ ۝٥٢٢ ۝٥٢٣ ۝٥٢٤ ۝٥٢٥ ۝٥٢٦ ۝٥٢٧ ۝٥٢٨ ۝٥٢٩ ۝٥٣٠ ۝٥٣١ ۝٥٣٢ ۝٥٣٣ ۝٥٣٤ ۝٥٣٥ ۝٥٣٦ ۝٥٣٧ ۝٥٣٨ ۝٥٣٩ ۝٥٤٠ ۝٥٤١ ۝٥٤٢ ۝٥٤٣ ۝٥٤٤ ۝٥٤٥ ۝٥٤٦ ۝٥٤٧ ۝٥٤٨ ۝٥٤٩ ۝٥٥٠ ۝٥٥١ ۝٥٥٢ ۝٥٥٣ ۝٥٥٤ ۝٥٥٥ ۝٥٥٦ ۝٥٥٧ ۝٥٥٨ ۝٥٥٩ ۝٥٦٠ ۝٥٦١ ۝٥٦٢ ۝٥٦٣ ۝٥٦٤ ۝٥٦٥ ۝٥٦٦ ۝٥٦٧ ۝٥٦٨ ۝٥٦٩ ۝٥٧٠ ۝٥٧١ ۝٥٧٢ ۝٥٧٣ ۝٥٧٤ ۝٥٧٥ ۝٥٧٦ ۝٥٧٧ ۝٥٧٨ ۝٥٧٩ ۝٥٨٠ ۝٥٨١ ۝٥٨٢ ۝٥٨٣ ۝٥٨٤ ۝٥٨٥ ۝٥٨٦ ۝٥٨٧ ۝٥٨٨ ۝٥٨٩ ۝٥٩٠ ۝٥٩١ ۝٥٩٢ ۝٥٩٣ ۝٥٩٤ ۝٥٩٥ ۝٥٩٦ ۝٥٩٧ ۝٥٩٨ ۝٥٩٩ ۝٦٠٠ ۝٦٠١ ۝٦٠٢ ۝٦٠٣ ۝٦٠٤ ۝٦٠٥ ۝٦٠٦ ۝٦٠٧ ۝٦٠٨ ۝٦٠٩ ۝٦١٠ ۝٦١١ ۝٦١٢ ۝٦١٣ ۝٦١٤ ۝٦١٥ ۝٦١٦ ۝٦١٧ ۝٦١٨ ۝٦١٩ ۝٦٢٠ ۝٦٢١ ۝٦٢٢ ۝٦٢٣ ۝٦٢٤ ۝٦٢٥ ۝٦٢٦ ۝٦٢٧ ۝٦٢٨ ۝٦٢٩ ۝٦٣٠ ۝٦٣١ ۝٦٣٢ ۝٦٣٣ ۝٦٣٤ ۝٦٣٥ ۝٦٣٦ ۝٦٣٧ ۝٦٣٨ ۝٦٣٩ ۝٦٤٠ ۝٦٤١ ۝٦٤٢ ۝٦٤٣ ۝٦٤٤ ۝٦٤٥ ۝٦٤٦ ۝٦٤٧ ۝٦٤٨ ۝٦٤٩ ۝٦٥٠ ۝٦٥١ ۝٦٥٢ ۝٦٥٣ ۝٦٥٤ ۝٦٥٥ ۝٦٥٦ ۝٦٥٧ ۝٦٥٨ ۝٦٥٩ ۝٦٦٠ ۝٦٦١ ۝٦٦٢ ۝٦٦٣ ۝٦٦٤ ۝٦٦٥ ۝٦٦٦ ۝٦٦٧ ۝٦٦٨ ۝٦٦٩ ۝٦٧٠ ۝٦٧١ ۝٦٧٢ ۝٦٧٣ ۝٦٧٤ ۝٦٧٥ ۝٦٧٦ ۝٦٧٧ ۝٦٧٨ ۝٦٧٩ ۝٦٨٠ ۝٦٨١ ۝٦٨٢ ۝٦٨٣ ۝٦٨٤ ۝٦٨٥ ۝٦٨٦ ۝٦٨٧ ۝٦٨٨ ۝٦٨٩ ۝٦٩٠ ۝٦٩١ ۝٦٩٢ ۝٦٩٣ ۝٦٩٤ ۝٦٩٥ ۝٦٩٦ ۝٦٩٧ ۝٦٩٨ ۝٦٩٩ ۝٧٠٠ ۝٧٠١ ۝٧٠٢ ۝٧٠٣ ۝٧٠٤ ۝٧٠٥ ۝٧٠٦ ۝٧٠٧ ۝٧٠٨ ۝٧٠٩ ۝٧١٠ ۝٧١١ ۝٧١٢ ۝٧١٣ ۝٧١٤ ۝٧١٥ ۝٧١٦ ۝٧١٧ ۝٧١٨ ۝٧١٩ ۝٧٢٠ ۝٧٢١ ۝٧٢٢ ۝٧٢٣ ۝٧٢٤ ۝٧٢٥ ۝٧٢٦ ۝٧٢٧ ۝٧٢٨ ۝٧٢٩ ۝٧٣٠ ۝٧٣١ ۝٧٣٢ ۝٧٣٣ ۝٧٣٤ ۝٧٣٥ ۝٧٣٦ ۝٧٣٧ ۝٧٣٨ ۝٧٣٩ ۝٧٤٠ ۝٧٤١ ۝٧٤٢ ۝٧٤٣ ۝٧٤٤ ۝٧٤٥ ۝٧٤٦ ۝٧٤٧ ۝٧٤٨ ۝٧٤٩ ۝٧٥٠ ۝٧٥١ ۝٧٥٢ ۝٧٥٣ ۝٧٥٤ ۝٧٥٥ ۝٧٥٦ ۝٧٥٧ ۝٧٥٨ ۝٧٥٩ ۝٧٦٠ ۝٧٦١ ۝٧٦٢ ۝٧٦٣ ۝٧٦٤ ۝٧٦٥ ۝٧٦٦ ۝٧٦٧ ۝٧٦٨ ۝٧٦٩ ۝٧٧٠ ۝٧٧١ ۝٧٧٢ ۝٧٧٣ ۝٧٧٤ ۝٧٧٥ ۝٧٧٦ ۝٧٧٧ ۝٧٧٨ ۝٧٧٩ ۝٧٨٠ ۝٧٨١ ۝٧٨٢ ۝٧٨٣ ۝٧٨٤ ۝٧٨٥ ۝٧٨٦ ۝٧٨٧ ۝٧٨٨ ۝٧٨٩ ۝٧٩٠ ۝٧٩١ ۝٧٩٢ ۝٧٩٣ ۝٧٩٤ ۝٧٩٥ ۝٧٩٦ ۝٧٩٧ ۝٧٩٨ ۝٧٩٩ ۝٨٠٠ ۝٨٠١ ۝٨٠٢ ۝٨٠٣ ۝٨٠٤ ۝٨٠٥ ۝٨٠٦ ۝٨٠٧ ۝٨٠٨ ۝٨٠٩ ۝٨١٠ ۝٨١١ ۝٨١٢ ۝٨١٣ ۝٨١٤ ۝٨١٥ ۝٨١٦ ۝٨١٧ ۝٨١٨ ۝٨١٩ ۝٨٢٠ ۝٨٢١ ۝٨٢٢ ۝٨٢٣ ۝٨٢٤ ۝٨٢٥ ۝٨٢٦ ۝٨٢٧ ۝٨٢٨ ۝٨٢٩ ۝٨٣٠ ۝٨٣١ ۝٨٣٢ ۝٨٣٣ ۝٨٣٤ ۝٨٣٥ ۝٨٣٦ ۝٨٣٧ ۝٨٣٨ ۝٨٣٩ ۝٨٤٠ ۝٨٤١ ۝٨٤٢ ۝٨٤٣ ۝٨٤٤ ۝٨٤٥ ۝٨٤٦ ۝٨٤٧ ۝٨٤٨ ۝٨٤٩ ۝٨٥٠ ۝٨٥١ ۝٨٥٢ ۝٨٥٣ ۝٨٥٤ ۝٨٥٥ ۝٨٥٦ ۝٨٥٧ ۝٨٥٨ ۝٨٥٩ ۝٨٦٠ ۝٨٦١ ۝٨٦٢ ۝٨٦٣ ۝٨٦٤ ۝٨٦٥ ۝٨٦٦ ۝٨٦٧ ۝٨٦٨ ۝٨٦٩ ۝٨٧٠ ۝٨٧١ ۝٨٧٢ ۝٨٧٣ ۝٨٧٤ ۝٨٧٥ ۝٨٧٦ ۝٨٧٧ ۝٨٧٨ ۝٨٧٩ ۝٨٨٠ ۝٨٨١ ۝٨٨٢ ۝٨٨٣ ۝٨٨٤ ۝٨٨٥ ۝٨٨٦ ۝٨٨٧ ۝٨٨٨ ۝٨٨٩ ۝٨٩٠ ۝٨٩١ ۝٨٩٢ ۝٨٩٣ ۝٨٩٤ ۝٨٩٥ ۝٨٩٦ ۝٨٩٧ ۝٨٩٨ ۝٨٩٩ ۝٩٠٠ ۝٩٠١ ۝٩٠٢ ۝٩٠٣ ۝٩٠٤ ۝٩٠٥ ۝٩٠٦ ۝٩٠٧ ۝٩٠٨ ۝٩٠٩ ۝٩١٠ ۝٩١١ ۝٩١٢ ۝٩١٣ ۝٩١٤ ۝٩١٥ ۝٩١٦ ۝٩١٧ ۝٩١٨ ۝٩١٩ ۝٩٢٠ ۝٩٢١ ۝٩٢٢ ۝٩٢٣ ۝٩٢٤ ۝٩٢٥ ۝٩٢٦ ۝٩٢٧ ۝٩٢٨ ۝٩٢٩ ۝٩٣٠ ۝٩٣١ ۝٩٣٢ ۝٩٣٣ ۝٩٣٤ ۝٩٣٥ ۝٩٣٦ ۝٩٣٧ ۝٩٣٨ ۝٩٣٩ ۝٩٤٠ ۝٩٤١ ۝٩٤٢ ۝٩٤٣ ۝٩٤٤ ۝٩٤٥ ۝٩٤٦ ۝٩٤٧ ۝٩٤٨ ۝٩٤٩ ۝٩٥٠ ۝٩٥١ ۝٩٥٢ ۝٩٥٣ ۝٩٥٤ ۝٩٥٥ ۝٩٥٦ ۝٩٥٧ ۝٩٥٨ ۝٩٥٩ ۝٩٦٠ ۝٩٦١ ۝٩٦٢ ۝٩٦٣ ۝٩٦٤ ۝٩٦٥ ۝٩٦٦ ۝٩٦٧ ۝٩٦٨ ۝٩٦٩ ۝٩٧٠ ۝٩٧١ ۝٩٧٢ ۝٩٧٣ ۝٩٧٤ ۝٩٧٥ ۝٩٧٦ ۝٩٧٧ ۝٩٧٨ ۝٩٧٩ ۝٩٨٠ ۝٩٨١ ۝٩٨٢ ۝٩٨٣ ۝٩٨٤ ۝٩٨٥ ۝٩٨٦ ۝٩٨٧ ۝٩٨٨ ۝٩٨٩ ۝٩٩٠ ۝٩٩١ ۝٩٩٢ ۝٩٩٣ ۝٩٩٤ ۝٩٩٥ ۝٩٩٦ ۝٩٩٧ ۝٩٩٨ ۝٩٩٩ ۝١٠٠٠ ۝١٠٠١ ۝١٠٠٢ ۝١٠٠٣ ۝١٠٠٤ ۝١٠٠٥ ۝١٠٠٦ ۝١٠٠٧ ۝١٠٠٨ ۝١٠٠٩ ۝١٠١٠ ۝١٠١١ ۝١٠١٢ ۝١٠١٣ ۝١٠١٤ ۝١٠١٥ ۝١٠١٦ ۝١٠١٧ ۝١٠١٨ ۝١٠١٩ ۝١٠٢٠ ۝١٠٢١ ۝١٠٢٢ ۝١٠٢٣ ۝١٠٢٤ ۝١٠٢٥ ۝١٠٢٦ ۝١٠٢٧ ۝١٠٢٨ ۝١٠٢٩ ۝١٠٣٠ ۝١٠٣١ ۝١٠٣٢ ۝١٠٣٣ ۝١٠٣٤ ۝١٠٣٥ ۝١٠٣٦ ۝١٠٣٧ ۝١٠٣٨ ۝١٠٣٩ ۝١٠٤٠ ۝١٠٤١ ۝١٠٤٢ ۝١٠٤٣ ۝١٠٤٤ ۝١٠٤٥ ۝١٠٤٦ ۝١٠٤٧ ۝١٠٤٨ ۝١٠٤٩ ۝١٠٥٠ ۝١٠٥١ ۝١٠٥٢ ۝١٠٥٣ ۝١٠٥٤ ۝١٠٥٥ ۝١٠٥٦ ۝١٠٥٧ ۝١٠٥٨ ۝١٠٥٩ ۝١٠٦٠ ۝١٠٦١ ۝١٠٦٢ ۝١٠٦٣ ۝١٠٦٤ ۝١٠٦٥ ۝١٠٦٦ ۝١٠٦٧ ۝١٠٦٨ ۝١٠٦٩ ۝١٠٧٠ ۝١٠٧١ ۝١٠٧٢ ۝١٠٧٣ ۝١٠٧٤ ۝١٠٧٥ ۝١٠٧٦ ۝١٠٧٧ ۝١٠٧٨ ۝١٠٧٩ ۝١٠٨٠ ۝١٠٨١ ۝١٠٨٢ ۝١٠٨٣ ۝١٠٨٤ ۝١٠٨٥ ۝١٠٨٦ ۝١٠٨٧ ۝١٠٨٨ ۝١٠٨٩ ۝١٠٩٠ ۝١٠٩١ ۝١٠٩٢ ۝١٠٩٣ ۝١٠٩٤ ۝١٠٩٥ ۝١٠٩٦ ۝١٠٩٧ ۝١٠٩٨ ۝١٠٩٩ ۝١١٠٠ ۝١١٠١ ۝١١٠٢ ۝١١٠٣ ۝١١٠٤ ۝١١٠٥ ۝١١٠٦ ۝١١٠٧ ۝١١٠٨ ۝١١٠٩ ۝١١١٠ ۝١١١١ ۝١١١٢ ۝١١١٣ ۝١١١٤ ۝١١١٥ ۝١١١٦ ۝١١١٧ ۝١١١٨ ۝١١١٩ ۝١١٢٠ ۝١١٢١ ۝١١٢٢ ۝١١٢٣ ۝١١٢٤ ۝١١٢٥ ۝١١٢٦ ۝١١٢٧ ۝١١٢٨ ۝١١٢٩ ۝١١٣٠ ۝١١٣١ ۝١١٣٢ ۝١١٣٣ ۝١١٣٤ ۝١١٣٥ ۝١١٣٦ ۝١١٣٧ ۝١١٣٨ ۝١١٣٩ ۝١١٤٠ ۝١١٤١ ۝١١٤٢ ۝١١٤٣ ۝١١٤٤ ۝١١٤٥ ۝١١٤٦ ۝١١٤٧ ۝١١٤٨ ۝١١٤٩ ۝١١٥٠ ۝١١٥١ ۝١١٥٢ ۝١١٥٣ ۝١١٥٤ ۝١١٥٥ ۝١١٥٦ ۝١١٥٧ ۝١١٥٨ ۝١١٥٩ ۝١١٦٠ ۝١١٦١ ۝١١٦٢ ۝١١٦٣ ۝١١٦٤ ۝١١٦٥ ۝١١٦٦ ۝١١٦٧ ۝١١٦٨ ۝١١٦٩ ۝١١٧٠ ۝١١٧١ ۝١١٧٢ ۝١١٧٣ ۝١١٧٤ ۝١١٧٥ ۝١١٧٦ ۝١١٧٧ ۝١١٧٨ ۝١١٧٩ ۝١١٨٠ ۝١١٨١ ۝١١٨٢ ۝١١٨٣ ۝١١٨٤ ۝١١٨٥ ۝١١٨٦ ۝١١٨٧ ۝١١٨٨ ۝١١٨٩ ۝١١٩٠ ۝١١٩١ ۝١١٩٢ ۝١١٩٣ ۝١١٩٤ ۝١١٩٥ ۝١١٩٦ ۝١١٩٧ ۝١١٩٨ ۝١١٩٩ ۝١٢٠٠ ۝١٢٠١ ۝١٢٠٢ ۝١٢٠٣ ۝١٢٠٤ ۝١٢٠٥ ۝١٢٠٦ ۝١٢٠٧ ۝١٢٠٨ ۝١٢٠٩ ۝١٢١٠ ۝١٢١١ ۝١٢١٢ ۝١٢١٣ ۝١٢١٤ ۝١٢١٥ ۝١٢١٦ ۝١٢١٧ ۝١٢١٨ ۝١٢١٩ ۝١٢٢٠ ۝١٢٢١ ۝١٢٢٢ ۝١٢٢٣ ۝١٢٢٤ ۝١٢٢٥ ۝١٢٢٦ ۝١٢٢٧ ۝١٢٢٨ ۝١٢٢٩ ۝١٢٣٠ ۝١٢٣١ ۝١٢٣٢ ۝١٢٣٣ ۝١٢٣٤ ۝١٢٣٥ ۝١٢٣٦ ۝١٢٣٧ ۝١٢٣٨ ۝١٢٣٩ ۝١٢٤٠ ۝١٢٤١ ۝١٢٤٢ ۝١٢٤٣ ۝١٢٤٤ ۝١٢٤٥ ۝١٢٤٦ ۝١٢٤٧ ۝١٢٤٨ ۝١٢٤٩ ۝١٢٥٠ ۝١٢٥١ ۝١٢٥٢ ۝١٢٥٣ ۝١٢٥٤ ۝١٢٥٥ ۝١٢٥٦ ۝١٢٥٧ ۝١٢٥٨ ۝١٢٥٩ ۝١٢٦٠ ۝١٢٦١ ۝١٢٦٢ ۝١٢٦٣ ۝١٢٦٤ ۝١٢٦٥ ۝١٢٦٦ ۝١٢٦٧ ۝١٢٦٨ ۝١٢٦٩ ۝١٢٧٠ ۝١٢٧١ ۝١٢٧٢ ۝١٢٧٣ ۝١٢٧٤ ۝١٢٧٥ ۝١٢٧٦ ۝١٢٧٧ ۝١٢٧٨ ۝١٢٧٩ ۝١٢٨٠ ۝١٢٨١ ۝١٢٨٢ ۝١٢٨٣ ۝١٢٨٤ ۝١٢٨٥ ۝١٢٨٦ ۝١٢٨٧ ۝١٢٨٨ ۝١٢٨٩ ۝١٢٩٠ ۝١٢٩١ ۝١٢٩٢ ۝١٢٩٣ ۝١٢٩٤ ۝١٢٩٥ ۝١٢٩٦ ۝١٢٩٧ ۝١٢٩٨ ۝١٢٩٩ ۝١٣٠٠ ۝١٣٠١ ۝١٣٠٢ ۝١٣٠٣ ۝١٣٠٤ ۝١٣٠٥ ۝١٣٠٦ ۝١٣٠٧ ۝١٣٠٨ ۝١٣٠٩ ۝١٣١٠ ۝١٣١١ ۝١٣١٢ ۝١٣١٣ ۝١٣١٤ ۝١٣١٥ ۝١٣١٦ ۝١٣١٧ ۝١٣١٨ ۝١٣١٩ ۝١٣٢٠ ۝١٣٢١ ۝١٣٢٢ ۝١٣٢٣ ۝١٣٢٤ ۝١٣٢٥ ۝١٣٢٦ ۝١٣٢٧ ۝١٣٢٨ ۝١٣٢٩ ۝١٣٣٠ ۝١٣٣١ ۝١٣٣٢ ۝١٣٣٣ ۝١٣٣٤ ۝١٣٣٥ ۝١٣٣٦ ۝١٣٣٧ ۝١٣٣٨ ۝١٣٣٩ ۝١٣٤٠ ۝١٣٤١ ۝١٣٤٢ ۝١٣٤٣ ۝١٣٤٤ ۝١٣٤٥ ۝١٣٤٦ ۝١٣٤٧ ۝١٣٤٨ ۝١٣٤٩ ۝١٣٥٠ ۝١٣٥١ ۝١٣٥٢ ۝١٣٥٣ ۝١٣٥٤ ۝١٣٥٥ ۝١٣٥٦ ۝١٣٥٧ ۝١٣٥٨ ۝١٣٥٩ ۝١٣٦٠ ۝١٣٦١ ۝١٣٦٢ ۝١٣٦٣ ۝١٣٦٤ ۝١٣٦٥ ۝١٣٦٦ ۝١٣٦٧ ۝١٣٦٨ ۝١٣٦٩ ۝١٣٧٠ ۝١٣٧١ ۝١٣٧٢ ۝١٣٧٣ ۝١٣٧٤ ۝١٣٧٥ ۝١٣٧٦ ۝١٣٧٧ ۝١٣٧٨ ۝١٣٧٩ ۝١٣٨٠ ۝١٣٨١ ۝١٣٨٢ ۝١٣٨٣ ۝١٣٨٤ ۝١٣٨٥ ۝١٣٨٦ ۝١٣٨٧ ۝١٣٨٨ ۝١٣٨٩ ۝١٣٩٠ ۝١٣٩١ ۝١٣٩٢ ۝١٣٩٣ ۝١٣٩٤ ۝١٣٩٥ ۝١٣٩٦ ۝١٣٩٧ ۝١٣٩٨ ۝١٣٩٩ ۝١٤٠٠ ۝١٤٠١ ۝١٤٠٢ ۝١٤٠٣ ۝١٤٠٤ ۝١٤٠٥ ۝١٤٠٦ ۝١٤٠٧ ۝١٤٠٨ ۝١٤٠٩ ۝١٤١٠ ۝١٤١١ ۝١٤١٢ ۝١٤١٣ ۝١٤١٤ ۝١٤١٥ ۝١٤١٦ ۝١٤١٧ ۝١٤١٨ ۝١٤١٩ ۝١٤٢٠ ۝١٤٢١ ۝١٤٢٢ ۝١٤٢٣ ۝١٤٢٤ ۝١٤٢٥ ۝١٤٢٦ ۝١٤٢٧ ۝١٤٢٨ ۝١٤٢٩ ۝١٤٣٠ ۝١٤٣١ ۝١٤٣٢ ۝١٤٣٣ ۝١٤٣٤ ۝١٤٣٥ ۝١٤٣٦ ۝١٤٣٧ ۝١٤٣٨ ۝١٤٣٩ ۝١٤٤٠ ۝١٤٤١ ۝١٤٤٢ ۝١٤٤٣ ۝١٤٤٤ ۝١٤٤٥ ۝١٤٤٦ ۝١٤٤٧ ۝١٤٤٨ ۝١٤٤٩ ۝١٤٥٠ ۝١٤٥١ ۝١٤٥٢ ۝١٤٥٣ ۝١٤٥٤ ۝١٤٥٥ ۝١٤٥٦ ۝١٤٥٧ ۝١٤٥٨ ۝١٤٥٩ ۝١٤٦٠ ۝١٤٦١ ۝١٤٦٢ ۝١٤٦٣ ۝١٤٦٤ ۝١٤٦٥ ۝١٤٦٦ ۝١٤٦٧ ۝١٤٦٨ ۝١٤٦٩ ۝١٤٧٠ ۝١٤٧١ ۝١٤٧٢ ۝١٤٧٣ ۝١٤٧٤ ۝١٤٧٥ ۝١٤٧٦ ۝١٤٧٧ ۝١٤٧٨ ۝١٤٧٩ ۝١٤٨٠ ۝١٤٨١ ۝١٤٨٢ ۝١٤٨٣ ۝١٤٨٤ ۝١٤٨٥ ۝١٤٨٦ ۝١٤٨٧ ۝١٤٨٨ ۝١٤٨٩ ۝١٤٩٠ ۝١٤٩١ ۝١٤٩٢ ۝١٤٩٣ ۝١٤٩٤ ۝١٤٩٥ ۝١٤٩٦ ۝١٤٩٧ ۝١٤٩٨ ۝١٤٩٩ ۝١٥٠٠ ۝١٥٠١ ۝١٥٠٢ ۝١٥٠٣ ۝١٥٠٤ ۝١٥٠٥ ۝١٥٠٦ ۝١٥٠٧ ۝١٥٠٨ ۝١٥٠٩ ۝١٥١٠ ۝١٥١١ ۝١٥١٢ ۝١٥١٣ ۝١٥١٤ ۝١٥١٥ ۝١٥١٦ ۝١٥١٧ ۝١٥١٨ ۝١٥١٩ ۝١٥٢٠ ۝١٥٢١ ۝١٥٢٢ ۝١٥٢٣ ۝١٥٢٤ ۝١٥٢٥ ۝١٥٢٦ ۝١٥٢٧ ۝١٥٢٨ ۝١٥٢٩ ۝١٥٣٠ ۝١٥٣١ ۝١٥٣٢ ۝١٥٣٣ ۝١٥٣٤ ۝١٥٣٥ ۝١٥٣٦ ۝١٥٣٧ ۝١٥٣٨ ۝١٥٣٩ ۝١٥٤٠ ۝١٥٤١ ۝١٥٤٢ ۝١٥٤٣ ۝١٥٤٤ ۝١٥٤٥ ۝١٥٤٦ ۝١٥٤٧ ۝١٥٤٨ ۝١٥٤٩ ۝١٥٥٠ ۝١٥٥١ ۝١٥٥٢ ۝١٥٥٣ ۝١٥٥٤ ۝١٥٥٥ ۝١٥٥٦ ۝١٥٥٧ ۝١٥٥٨ ۝١٥٥٩ ۝١٥٦٠ ۝١٥٦١ ۝١٥٦٢ ۝١٥٦٣ ۝١٥٦٤ ۝١٥٦٥ ۝١٥٦٦ ۝١٥٦٧ ۝١٥٦٨ ۝١٥٦٩ ۝١٥٧٠ ۝١٥٧١ ۝١٥٧٢ ۝١٥٧٣ ۝١٥٧٤ ۝١٥٧٥ ۝١٥٧٦ ۝١٥٧٧ ۝١٥٧٨ ۝١٥٧٩ ۝١٥٨٠ ۝١٥٨١ ۝١٥٨٢ ۝١٥٨٣ ۝١٥٨٤ ۝١٥٨٥ ۝١٥٨٦ ۝١٥٨٧ ۝١٥٨٨ ۝١٥٨٩ ۝١٥٩٠ ۝١٥٩١ ۝١٥٩٢ ۝١٥٩٣ ۝١٥٩٤ ۝١٥٩٥ ۝١٥٩٦ ۝١٥٩٧ ۝١٥٩٨ ۝١٥٩٩ ۝١٦٠٠ ۝١٦٠١ ۝١٦٠٢ ۝١٦٠

قال ﷺ: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة»⁽¹⁾، وعند رأس الصراط دافع يقول: استقيموا، على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك دافع يدعو: كلما هم عبد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك لن تفتحه فكيفه، ثم فسره: تأخير أن: «الصراط هو الإسلام»، وأن: «الأبواب المفتحة محارم الله»، وأن: «الستور المرخاة حدود الله»، وأن: «الدافع على رأس الصراط هو القرآن، وفي الداعي من فوقه هو ولعظ الله في كل مؤمن»⁽²⁾.

أقول: بين النبي ﷺ أن هناك داعين: داعياً على الصراط، وهو القرآن والشريعة، لا يزال يدعو المبدئ إلى الصراط المستقيم بنسق واحد، وداعياً فوق رأس السالك يراقبه كل حين، كلما هم بمحبة صراح عليه، وهو الخاطر المتنجس من القلب المتولد من بين جيئة القلب والنور القاتض عليه من العقل المتطور بنور القرآن، وإنما هو بمنزلة شجر ينفتح من الحجر دفعة بعد دفعة، وربما يكون من الله تعالى لطف ببعض عباده بإحداث لطيفة قبيبة تحول بينه وبين المحبة، وهو اليرحان المشار إليه في قوله تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَنَحْنُ بِهَا لَوَاكُ أَنْ قُلْنَا لِيَزَكِّيَنَّ رَبُّكَ﴾ [يوسف: 24]

وهذا كله مقام الثوبة، وإذا تم مقام الثوبة وصار ملكة راسخة في النفس ثمر اضمحلالاً عند إحضار جلال الله لا يغيرها متغير، سكنت حياة، والحياة في اللغة انجمام النفس عما يبيده الناس في العادة، فنقله الشرع إلى ملكة راسخة في النفس تمنع بها بين يدي الله كما يمنع الملح في الماء، ولا ينفذ بسببها للخواطر العاتلة إلى المخالفات.

قال ﷺ: «الحياة من الإيمان» ثم فسّر الحياة فقال: «من استعصى من الله حق العباد فليحفظ الرأس وما وهى»⁽³⁾، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت واليأس، ومن لواه الآخرة ترك زينة الدنيا، من فعل ذلك استعصى من الله حق العباد.

أقول: قد يقال في الثوب للإنسان المنحجم عن بعض الأفعال لضخ في جيئته: إنه حبي، وقد يقال للرجل صاحب المروءة لا يرتكب ما يفسد لأجله القالة⁽⁴⁾: إنه حبي،

(1) أي: حريصة، وبذلك: «موصاه أي تمبلوه وقوله: «نم» أي: لحد، وقوله: «ويحده: زير عن تلك الودة. وقوله: متليه، أي: تخطه.

(2) فهو الشيطان: هو لمة الله في قلب المؤمن، وقدم من لمة الشيطان.

(3) أي: ما وهى الرأس: وجسه من العين والأنف واللسان أي: يحفظه مما يستعمل حياء لا يرضي، وقوله: «وليحفظ البطن وما حوى»: أي: تسلب به من الفرج والرجلين والقدمين والقلب من الاسترسال في المعاصي. أو لواه: مما حوى البطن: لملكول ومتنوي.

(4) أي: القول.

وليساً من الحياء المنعقدة من المقامات في شيء، فعرف النبي ﷺ المعنى المراد، بتعيين أصل تبيحت منه ونسبب الذي يجابه ومجازره الذي يلزمه في العادة. فقله: «ولليحفظ الورع». إلخ بقاءً للأفعال المنعقدة من قلة الحياء المراد: مما هو من جنس ترك المخالفات، وقوله: «وليتكر الموت» بيان لسبب استقراره في النفس، وقوله: «ومن أكرم الأخوة» بيان لمجاورته، الذي هو الزهد، فإن الحياء لا يختر عن الزهد، فإذا تمكن الحياء من الإنسان نزل نور الإيمان أيضاً وغالطه حيلة الشيطان، ثم انحدر إلى النفس فصدّها عن الشبهات، وهذا هو الورع.

قال ﷺ: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشكوكات لا يعلمها كثير من الناس، فمن تقي الشبهات استبرأ لغيره ودينه، ومن وقع في المشكوكات وقع في الحرام». وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصديق طمأنينة، وإن الكذب ريبة». وقال ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حلاً لما به بأس».

أقول: قد يتعارض في المسألة وجهان: وجه إباحة ووجه تحريم، إما في أصل مأخذ المسألة من الشريعة، كمدّين متعارضين وقياسين متخالفين، وإما في تطبيق صروة الحادثة بما تقر في الشريعة من حكمي الإباحة والتحريم، فلا يصغر ما بين العبد وبين الله إلا بتركه والأخذ بما لا اشتباه فيه، فإذا تحقق الورع نزل نور الإيمان أيضاً وغالطه حيلة الشيطان، فنكتشف فبح الاشتغال بما يزيد على الحاجة لأنه بعدد صلا هو سبيله، فانحدر⁽¹⁾ إلى النفس، فكثرت عن طلبه.

قال ﷺ: «من حشني بسلام المرء تركته ما لا يعنيني».

أقول: كل شغل بما سوى الله نكته سوداء في مرآة النفس، إلا أن ما لا بد له منه في حياته، إذا كان بنية البلاغ⁽²⁾، تنفعه عنه، وأما سوى ذلك فواعظ الله في قلب المؤمن بأمر بالكف عنه، قال ﷺ: «الزهادة في تنقيها ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة العمل، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بها في ذلك لوثق منك بما في يدي الله، وأن تكون في ثواب الحمية إذا كنت أصبت بها أربح منك فيها لو لم تكن أقيت لك».

أقول: قد يحصل للزهد في الدنيا علة تحميه على عفافه وأفعال ما هو محمود في الشرع مما ليس بمحمود، فينبئ النبي ﷺ من محال الزهد ما هو محمود في الشرع مما ليس بمحمود، فالرجل إذا اكتشف عليه فبح الاشتغال بالزائد على الحاجة فكرهه كما يكره لأشياء الضارة بالطبع ربما يؤديه ذلك إلى التصق فيه، يعتمد مؤاخذه الله عليه في صراح

الشريعة، وهذه عبادة باطنية، لأن الشرع نازل على دستور الخبايا الشرعية، والزهد نوع انصلاح عن الطبيعة الشريرة، وإنما ذلك أمر الله في خاصة نفسه تكميلاً لعماده، وليس بتكليف شرعي، وربما يؤذى لهم إصاعة المال الرمي به في البحار والجيال، وهذه غلة لم يصنعها الشرع ولم يعبرها، وإنما لظهور أحكام الزهد، بل الذي يعتبره الشرع منصفاً ثباتاً لحددها الرائد الذي لم يحصل بعد فلا يكلف في طلبه عمداً على ما رعد الله من البلاء في الدنيا والثواب في الآخرة، وتبينها الشيء الذي فات من يده، فلا يتبينه نفسه، ولا ينأسف عليه، وإنما بما وعد الله الصابرين والعفراء.

واعلم أن النفس محبوبه على ادع الشهوة، لا تزال على ذلك إلا أن يبهوها نور الإيمان، وهو قول يوسف عبد السلام.

﴿وَمَا أَزِلُّ نَفْسِي أَنْ تَقْرَأَ لَأَمَّا زُكَّاءُ فَزُكَّاءُ إِلَّا مَا زَكَّيْتَهُ يَبْهَتَكُمُ الْيَهُودُ﴾ [يوسف: ٢٤]

فلا يزال المؤمن حول عمره في مجاهدة نفسه باستئصال نور الله، فكأنما دأبت داعية نفسانية لجأ إلى الله، وتدثر جلال الله وعظمته وما أخذ للمطيعين من الثواب وللعصاة من العذاب، فانتدح من قلبه وعقله خاطر من يدع خاطر الباطل، فيصير كأن سم يكن شيئاً مذكوراً، إلا أن الفرق بين الدوافع والمعتقدات غير قليل، وقد بين النبي ﷺ أهدافاً بين الخاطرين، وغلبة خاطر الحق على خاطر الباطل، واقتياد النفس لتحق إذا كانت مطعنة متدبة بآداب تغفل لتتوزر بنور الإيمان، وبغيره عليه وإياتها منه إذا كانت غصبة آتية، بما ضربت في مسألة البخل والجود من مثل الجنتين من حديث إحداهما مائة والأخرى ضيعة قال ﷺ: «من لبخل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُنَّانُ الأمان حديد وقد انقضت إيديهما إلى فئبهما وتراقبهما من قبل المتصدق كلما تصدق بصيعة انبسط عنه، وجعل البخل كلما هم بصيعة قلضت، وأخذت كل حلقة بمكانها».

أقول: الرجل الذي اطمأن نفسه، جلة أو كسبا، فمخاطر الحق بملك نفسه وقهرها أول ما يبدو، والرجل الذي عصفت نفسه وأبست، ومخاطر الحق لا يؤثر فيها، بل تنور^(١).

وقد بين الله تعالى في القرآن العظيم تنور تغفل نور الإيمان وفضله توره على النص حيث قال:

﴿ذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ إِذْ تُسَمِّعُهُمْ خَبْرَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَذَكَّرُوا فَإِنَّهُمْ مُبْتَلَوْنَ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٥]

(١) «مبتلى» بالصيم أي سربط، وموله «مستطوع» أي: تمت والتسقت، وقوله «فنبصت» أي: تفتحت وفتحت.

(٢) «مبتلى» من جاءه خط السيف بين يديه إذا لم يقطع، أو من: شيا عنه يصبره أي: تجاهر.

أقول: الشيطان يُصرف علمه بآصرة الإنسان من كل قوة شهوة النفس، فيدفع عليه داعية المعصية، فإن تذكر جلال ربه وخشع له تولد منه نور في العقل، وهو الإحسان، ثم يندفع إلى القلب، والنفس، فيدفع الداعية فيطرد الشيطان.

فقد الله تبارك وتعالى:

﴿وَيُؤْتِيكُمْ مِنْهُ مِمَّا تَشَاءُونَ وَيَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ الْأَنْفُسُ وَالْأَنْفُسُ وَيُنْفِئُ عَنْكُمْ﴾
 ﴿لَيْتَ إِذْ أَسْأَلْتَهُمْ شَيْئًا قَالَ: يَا مَعْ كَيْفَ بِإِيَّاهِ وَبِعَمَلِهِ﴾
 ﴿لَوْلَاكَ عَلَيْهِمْ حَفَظَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾
 ﴿وَأَنْتَ لَكُمُ الْكَافَّةُ﴾ [سورة الأجر: 1-3]

أقول: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ إشارة إلى نزول خاطر الحق، وقوله: ﴿مِمَّا تَشَاءُونَ﴾
 ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ إشارة إلى بركات نعمها الصالحة، من نورانية النفس وتسلطها بالملكوت.

وقال تعالى:

﴿مَنْ أَسْأَلْ مِنْ شَيْئٍ فَلَا يَأْتِ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ فَلَئِنَّ﴾ [القصص: 25]

أقول: قوله: ﴿يَأْتِ اللَّهَ﴾ إشارة إلى معرفة القدر، وقوله: ﴿مِمَّا تَشَاءُونَ﴾ إشارة
 إلى نزول الخاطر من النفس إلى القلب والنفس.

ومن أسئلة النفس: الشبه، وهي أن تغيب عن شهودها، كما قال حمر بن عبد الله:
 ما أبلى امرأة رأيت أم حاتطاً، وقيل: للأوزاعي: رأيت جديك الزرقاء في السوق، فقال:
 أزرعاه هي؟

ومن أحوالها: الخلق، وهو أن تغيب من الأكل والشرب منه لا تغيب فيها عاقبة،
 لئيل نفسها إلى باب العقل ومثله العقل بغير الله تعالى، وأحياناً من هذا وأنه أن ينزل
 نور الله إلى النفس فيقوم مقام الأكل والشرب، وهو قوله ﷺ : «إني لست كميتكم، إني أحييتكم
 عند ربي بطمعتي ويسفييني».

واعلم أن القلب مرتبط بين العقل والنفس، فقد شامخ وينسب جميع المقامات
 وأكثرها إليه، وقد ورد على هذا الاستعمال آيات وحديث كثيرة، فلا تغفل من هذه
 النكتة.

واعلم أن مدافعة نور الإيمان لكل نوع من دواعي النفس البهيمية والقلب السبعي
 يسمى باسم، ومد نوره التي ﷺ باسم كل ذلك ووضعه، فإذا جعل للعقل ملكة في انقذاع
 خوطره من النفس ملكة في قبول تلك الخواص كان ذلك مقادراً، فمكة مدافعة داعية
 لجزع نفسي صبراً على الصبر، وهذا مستقر القلب، ومكة مدافعة المدقة والفرع نفسي

من أبواب استغناء الرزق

اعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق وجعل معايشهم في الأرض وأباح لهم الانتفاع بما فيها وقعدت بينهم المشاحة والمشاجرة، فكان حكم الله عند ذلك تحريم أن يزاحم الإنسان صاحبه فيما احتص به - لسبق يده إليه - أو يد مروره أو لرجه من الوجوه المعنوية عنهم - إلا بمداولة أو فراض معتمد على علم من شير التليس ووكوب غرر.

وأيضاً لما كان الناس مدنيين بالطبع لا تنفيم معاشهم إلا بتمان بينهم، نزل القضاء بإجانب التعاون وألا يخلو أحد منهم مما له دخل في التمدن، ولا عند حاجة لا يجد منها بذاً.

وأيضاً فحصل السب حيازة الأموال المتبادلة أو استنماء ما احتص به عما يستمد من الأموال لصياحة. كالتماس بالرعي والزراعة بإصلاح الأرض وسقي الماء. ويشتتر في ذلك ألا يُضيق بعضهم على بعض بحيث يفضي إلى فساد التمدن. ثم الاستنماء في أموال الناس بعمونة في المماشى بتمد أو بتعسر استقامة حال المدينة بدورها، كالذي يحجب التجارة من بلد إلى بلد، وبعثي بحفظ تجلب إلى أجل معلوم، أو يسمر^(١) سمي رعمل، أو يصلح مال الناس بإيجاد صفة مرفئية فيه، ومثال ذلك، فإن كان الاستنماء فيها بما ليس له دخل في التعاون، كالغشير، أو ما هو فراض يشبه لاقتصاب كالربا، فإن التمس بضمط إلى التزام ما لا يقدر على إيفائه، وليس رضاء رضاً في الحقيقة، فليس من اعفوه المرمية ولا الأسباب الصالحة وإنما هو باطل وضحت بأصل الحكمة المدنية.

قال رسول الله ﷺ: «من ألقى رخصاً فهي له»

أقول: الأصل فيه ما أومأنا، أن الكل مال الله، ليس فيه حق لأحد في الحقيقة، لكن الله تعالى لما أباح لهم الانتفاع بالأرض وما فيها وقت المشاحة، فكان الحكم حينئذ ألا يُهَيِّجَ أحدٌ مما سبق إليه، من غير مضارة، فالأرض أمانة - الس - ليست في البلاد ولا في قائلها - إذا عثرها وجل فقد سبقت يده إليها من غير مضار، فمن حكمه ألا يُهَيِّجَ عهده، والأرض كلها في الحقيقة ممتزة - مسجد أو دباط لجعل وفقاً على أبناء النبل - وهم

(١) أي يكون دلاً.

شركاء فيه، يُقَدِّمُ الْأَسْبَقُ فَالْأَسْبَقُ، ومعنى الملك في حق الأدي كونه أحق بالانتفاع من غيره.

قال رسول الله ﷺ: «عادي^(١) الأرض لله ورسوله، ثم هي لكم عني».

اعلم أن عادي الأرض هي التي باد^(٢) عنها أهلها ولم يبق من يذيعها وبخاصم فيها ويستج^(٣) ببق بد مورث عليها، فإذا كانت الأرض على هذه الصفة انقطع عنها ملك الأصين وخلعت لملك الله، وحكمها حكم ما لم يُثني قط، لما ذكرناه من معنى الملك.

قال ﷺ: «لا حى^(٤) إلا لله ورسوله».

أقول: لَمَّا كَانَ الْحَمْدُ تَضِييقاً عَلَى النَّاسِ وَظُلْمًا عَلَيْهِمْ وَإِسْرَاراً نَهَى عَنْهُ، وَإِنَّمَا اسْتَنْتَى الرَّسُولَ لِأَنَّهُ أَهْلُهُ اللَّهُ الْمُبْزَنُ، وَهَصَمَهُ مِنْ أَنْ يَفْزُطَ عَنْهُ مَا لَا يَجُوزُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى الْمَقَانِ الْعَالِيَةِ يُسْتَنْتَى مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى تَهْلِيلِ النَّفْسِ وَمَا يَشَبْهُ ذَلِكَ فَالْأَمْرُ لَزِمَ فِيهَا، النَّبِيُّ وَغَيْرُهُ سَوَاءً.

وفضى ﷺ في سبيل المهزور^(٥) أَنْ يُشْكِكَ حَتَّى يَنْتَهِجَ الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ يُرْسِلَ الْأَهْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ. وفي قصة^(٦) مخاصمة الزبير رضي الله عنه: «لَسَقَ بِأُزْبِيرٍ، ثُمَّ لَحِصَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجِدْرِ، ثُمَّ لُرْسَلَ لَعْلَهُ إِلَى جِرْلِهِ».

أقول: الْأَهْلَى فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا تَوَلَّاهُ النَّاسُ فِي شَيْءٍ مَبَاحَ حَقُونٍ مُتَرَفِّةٍ، وَجِبَ أَنْ يُرَافَى التَّرْتِيبُ فِي فَرْقٍ مَا يَحْصُلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ فَالْفَائِزَةُ هِيَ الْأَدْنَى مَا يَحْتَدُّ بِهَا، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْدُمِ الْأَقْرَبُ كَانَ فِيهِ التَّحَكُّمُ وَالْمُضَارَاةُ، وَلَوْ لَمْ يَسْتَوْفِ الْأَوَّلُ ثُمَّ الْأَوَّلُ الْفَائِزَةُ لَمْ يَحْصُلِ الْحَقُّ، فَعَلَى هَذَا الْأَهْلَى قَضَى أَنْ يُعْصَلَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكَعْبَيْنِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ: «إِلَى الْجِدْرِ» لِأَنَّهُ أَوَّلُ حِدٍ يَطْرُقُ الْجِدْرَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ قَبْلَهُ ائْتِصَاصُ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَادِمَ الْجِدَارَ.

(١) منسوب إلى عاد قوم من طيغ السلام، لأنهم لما هلكوا رجع حكم عملائهم إلى الإبلابة ثم استعمل في سلق الأرض التي باد عنها أهلها.

(٢) باد: ملكه.

(٣) الحى: موضع يرمي الناس أموالهم ويكفون رؤساء الجاهلية يضمنون لشكل الخصيب لمواظبتهم، فليقله رسول الله ﷺ.

(٤) حى: ولد لبني قريظة؛ وقوله: معنى يبلغه أوبة الداء، وقوله: والكعبين، أوبة من القدم وهذا المعنى بوجه آخر.

(٥) عن حمزة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراح - أي سبل - من الحرة ففاز النبي ﷺ، فسق يا زبير ثم لُرْسَلَ لَعْلَهُ إِلَى جِرْلِهِ، ففاز الأنصار؛ لأن كان بين حستة ففازوا وجهه ثم فاز - فسق يا زبير ثم لحص - أي: وأولاه على الجنب، أي: لعل فجعل.

وأُطْلِعُ^(١) الأبييض بن حمال النابري الملح الذي بمأرب، فقبل: إنما انقطع له الماء العقد^(٢). قال: فرجحه عنه.

أقول: لا شك أن المعدن الظاهر الذي لا يحتاج إلى تشير عمل إنقطاعه لواحد من المسلمين لإضرار بهم ونضيق عليهم.

وسئل عليه السلام عن اللُّقْمَةِ فقال: «اعْرِفْ عِفَاسَهَا وَوَكَاةَ مَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَعَةً، فَبَيْنَ جَاءَ صَاحِبُهَا^(٣)، وَلَا تَشَاكُ بِهَا، قَالَ نَضَانَهُ: النِّسَمُ؟ قَالَ: «هِيَ لَكَ لَوْ لَاخِيكَ لَوِ لِلنَّسَبِ»، قَالَ نَضَالَهُ: الْإِبِلُ؟ قَالَ: «مَا لَكَ وَلَهَا؟ مِمَّا سَخَّرَهَا وَحَقَّقَهَا، فَرَدُّ الْعِلْمِ وَقُلُوكِ الشَّجَرِ حَتَّى يَلْقَاهَا رُبُّهَا»، وَقَالَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَنَحْنُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَصَا وَالسُّوْفِ وَالْحَبْلِ وَأَشْيَاعِهِ، يُلْصِقُهُ الرَّجُلُ بِضَعِّهِ.

أقول: أعلم أن حكم اللُّقْمَةِ مستنبط من تلك الكَلِمَةِ التي ذَكَرَناها، فما استنتجى عنه صاحبه ولا يرجع إليه بعدما قارفه، وهو النافذ^(٤)، يجوز تملكه إذا ظن أن المالك غاب ولم يرجع وامتنع عوده إليه، لأنه يرجع إلى مال الله وصار مباحاً، وأما ما كان له بال يطلب ويرجع له المالك، فيجب تعريفه على ما جرت العادة بتعريف مثله حتى يُطْرَأَ أن ماله لم يرجع: ويستحب انقطاع مثل النسم، لأنه بضيغ إن لم يُنْقَطْ، ويُكره انقطاع مثل الإبل.

واعلم أنه يجب في كل مبادلة من أشياء عاقدين وعوضين، والشئ الذي يكون مظنة ظاهرة لرضا العاقدين بالمبادلة، وشئ يكون قاضياً لمازعتها موجباً للعقد عليهما.

ويشترط في العاقدين: كونهما حرين، عاقلين، يعرفان الضع والضرر، ويأمران العقد على بصيرة وثبوت.

وفي الموصفين: كونهما بالاً يُنْفَعُ به ويُرْعَبُ فيه ويُشْحَ به، غير مباح، ولا ما لا فائدة محققاً بها فيه، ولا لم يكن مما شَرَعَ الله لخلقهم، وقاض^(٥) عبثاً أو مرعياً فيه فائدة غسبية لا يذكرها في الظاهر، وهذا إحدى المقاصد، لأن صاحبه على شُرْبٍ ألا يجد ما يربله، فسكت على خيبة أو بخاضم بغير حق توجه له عند الناس.

(١) أي: أظفر، وقوله: «بمأرب» هي مدينة ملحية بالمدينة.

(٢) هو ما له مدة لا ينقطع، كالعين، والحرار هما الكثير غير المتقطع، وقوله: «درجته» أي: استمره.

(٣) العفاس: بالكسر: نظرك الذي فيه اللقطة، من جلد أو خرق، والوكاة: بالكسر: عبط يشد به وتيس القربة والكميس وغيرهما، وقوله: «خلق» جاء صاحبها، أي: لهي له، وقوله: «نضالته» أي: المل بها ما شنته مستقهما أي: بطنها، وقوله: «حققها» أي: خلقها.

(٤) الضي: شحير، وقوله: «مال» أي: ثمر.

(٥) أي: العقد، وقوله: «غسبية» كالقربا والبرشوة.

وفيما يعرف به رضا العاقلين: أن يكون أمراً وضحاً يؤخذ به على عيون الناس، ولا يستطيع أن يحيف إلا بحجة عليه، وأوضح الأشياء في مثل ذلك لعبارة بالسداد، ثم التعامي بوجه لا يبقى فيه ريب.

قال: **فَقَدْ** «المتباينان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا، إلا بيع الخيار» القول: اعلم أنه لا بد من قاطع يميز حق كل واحد من صاحبه ويرفع خياره في رد البيع، ولولا ذلك لأضر أحدهما بصاحبه ولتوقف كل عن التصرف فيما بيده خوفاً أن يستغني الآخر، وهذا شيء آخر، وهو اللفظ للمعبر عن رضا العاقلين بالعقد وعزمهما عليه، ولا جائز أن يحمل القاطع ذلك، لأن مثل هذه الألفاظ يستعمل عند التفاوض والمساومة، إذ لا يمكن أن يتفاوضا إلا بإظهار الجزم بهذا القدر، وأيضاً فلسان العامة في مثل هذا تمثال الرغبة من قلوبهم، والفرق بين لفظ دون لفظ حرج عظيم، وكذلك النعاض، فإنه لا بد لكل واحد أن يأخذ ما يطلبه على أنه يشتره، لينظر فيه ويتأمله، والفرق بين أخذ وأخذ خير يسير، ولا جائز أن يكون القاطع شيئاً غير ظاهر، ولا أجلاً بعيداً يوماً فما فوقه، إذ كثير من السلع إنما يطلب لينتفع به في يومه، فوجب أن يجعل ذلك ⁽¹⁾ التفرق من مجلس العقد لأن العادة جارية بأن العاقلين يجسمعان للعقد، ويتفرقان بعد تمامه، ولو تخلصت طبقات الناس من العرب والعجم وأبنت أكثرهم برون رد البيع بعد التفرق جوراً وظلماً، لا قبله، اللهم إلا من غير فطرته، وكذلك الشرائع الإلهية لا تنزل إلا بما يقبله نفوس العامة قهراً أو لياً، ولما كان من الناس من يتسلل بعد العقد يرى أنه قد ربح، ويكر، أن يستقبله صاحبه - وفي ذلك قلب الموضوع - سأل النبي ﷺ النبي عن ذلك فقال: «ولا تجعل له أن يقاتل صاحبه، خشية أن يستغني به، فوظيفتهما أن يكونا على رسلهما، ويتفرق كل واحد على حين صاحبه».

واعلم أنه إذا اجتمع عشرة آلاف إنسان مثلاً في بلدة، فالرياسة المدنية تبحث عن مكاسبهم، فإنهم إن كان أكثرهم مكسبين بالصناعات وسياسة البلدة، والقليل منهم مكسبين بالرعي والزراعة، فشد حالهم في الدنيا، وإن تكسبوا بعصارة الخمر وصناعة الأصنام كان ترشياً للناس في استعمالها على الوجه الذي شاغ عنهم، فكان سبب لهلاكهم في الدن، فإن وعت المكاسب وأصحابها على الوجه المعروف الذي تعطيه الحكمة، وبقى على أيدي المكسبين بالأكساب الفجيحة صلح حالهم.

وكذلك من مفاسد المبدن أن ترهب عظامهم في دقات الحلي والناس والباء.

(1) يقال قلان يزلزله علي أي: يشكك به ليعمل له شك.

(2) أي: المصلح.

والمقاعم وعبدان. النساء وتحو ذلك زيادة على ما تعطيه الارتفاعات الضرورية الفخورة لا بد للناس منها واجتمع عليها عرب الناس وعجمهم، فكتبوا الكتب التي تنسب في الأمور الضيعة كذا في متد شهورها، فيصعد قوم إلى تعليم الحراري لبقاء الترفيع والحرقات المتاسة اللذينة. وأخرون إلى الألبون المضطربة هي التياب وتصوير صور الحيوانات والأشجار مجية والشفاطير الغربية فيها. وآخرون إلى المصناعات البديعة في الذهب والفضة الزخرفة. وآخرون إلى الأبنية الشامخة وتخطيطها وتصويرها. فإذا قيل جُم غفير منهم إلى هذه الأكساب أعمدوا مثلها من قرارات، والتجارات، وإما تُفق عطاء المدينة فيها الأموال أعملوا مثلها من مصالح المدينة، وجر ذلك إلى التضييق على القائمين بالأكساب ضرورية، كالزراع والتجار والصناع، ونقد عاف الضرائب عليهم، وذلك ضرر بهذه المدينة يتعدى من عضو منها إلى عضو حتى يعم الكل. ويتجاري فيها كمد يتجاري التكب في بلد المكلوب. وهذا شرح ضررهم من الدنيا، وأما تفسيرهم بحسب الخروج إلى النكاح لأخري فمسي عن النبي، وكان هذا المرض قد استولى على مدني العجم، فنفت الله في قلب نبيه ﷺ أن يداوي هذا المرض بقطع ماله، فظهر رسول الله ﷺ إلى مصان غالية لهذه الأشياء، كالأثاث والحرير والنسي ربيع للذهب بالذهب مضافاً لأصل العباغات أو طقت أصنافه ونحو ذلك، فهي عها.

❁ البيوع المتهى عنها ❁

اسم أن الميسر سحت باطل؛ لأنه اختطاف لأموال الناس عنهم محتجداً على شياح محل وعرض وأمنية باطلة، وكوب عرو نعت هذه على الشط. وليس له دخل في الصدقات والتعاون، فإن سكت المموني سكت، على غيرة وحية، وإن خاصم شخصه فيما التزمه بنفسه وانحب فيه مفسده، والتعبين يستلزمه، ويدعوه قلبه إلى تغييره، ولا بدعه حرمه أن يذاع عنه، وعما فيل تكون الشرة عليه. وفي الاعتداء بذلك إفساد للأموال ومناقشات مزوية، وإعمال الإلزامات المطلوبة، وإعراض عن التعاون الجني عليه للمدني، والمعايمة تعليك عن الخير، من رأيت من أهل الغفار إلا ما ذكرناه؟

وكذلك الربا، وهو الفرض على أن يؤدى^(١) إليه أكثر أو أفضل مما أؤخذ، سحت باطل؛ فإن عامة المقرضين هذه النوع هم الفقاري المضطرون، وكثيراً ما لا يجدون لزوم عنه لأجله، فيجر أهدد مفاقة لا يمكن التخليص منه أبداً، وهو فبنة استأثرت

(٢) أي الميسر سحت باطل.

(١) أي قسمين والمعومة.

عظيمة وخصومات مستطيرة. وإذا جرى الرسم باستنماء المال بهذا الوجه أفضى إلى ترك الزواجات والمصاحبات التي هي أصول المكاسب، ولا شيء في العهود أشد تدقيقاً وعناية بالتقنين وخصوصاً من الدين، وهذان الكسان بمنزلة السكرتيرين لاصل من شرع الله لحيازة من المكاسب، وفيهم أُنْبِجَ ومتافعة، والأمر في مثل ذلك إلى الشارع، إما أن يضرب له حداً يرخص فيها دونه ويغفل انتهى عما فوقه، أو يحد عنه رأساً.

وكان الميسر والثوب شائعين في العرب، وكان قد حدث بسببهما مناقشات عظيمة لا انتهاء لها، ومحاربات، وكان قلبهما يدعو إلى كثيرهما، فلم يكر أصوب ولا أحق من أن يُرَاعَى حكم الفرج والفساد موقوفاً، فيُنْهَى عنهما بالكفاية.

وأعلم أن الرأيا على التوجيهين حقيقي، ومحمول عليه.

أما الحقيقي فهو في تدوينه، وقد ذكرنا أن فيه قلباً^(١) لموضوعات معاملات، وأن الناس كانوا منهمكين فيه في الجاهلية عند انهماك، وكان حدث لأجله محاربات مستطيرة، وكان قلبه يدعو إلى كثير. فوجب أن يسد باب الكفاية، ولذلك نزل في القرآن في شأنه ما نزل.

والثاني ربا الفضل - والأهم فيه الحديث المستفيض: الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والفضة بالشعير، والتمر بالتمر، وتبلغ بالتمنع. مثلاً يمثّل، سواء بسواء. يبدأ برب، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيده. وهو^(٢) مستثنى برأياً تغليظاً رئيسياً له بالرأيا الحقيقي، على حد قوله عليه السلام: «للمنجم كاهن»، وبه يُقْهَمُ معنى قوله ﷺ: «لا ربا إلا في الفسينة»^(٣). ثم كثر في الشرع استحداث الربا في هذا المعنى حتى صار حقة شرعية فيه أيضاً، والله أعلم.

ومر بالمحرب أن أنه تعالى يكره الرقابة السخنة، كالحرير، والارذافات المحوجة إلى الإمداد في طلب الدنيا، كاتبة الذهب ونقضة وحلي عبر مقطع من مذهب كالسوار والخلخال والطق، وتندقيق في المعيشة والتعشق فيها، لأن ذلك مرد لهم في أسفل التامرين صارف لأفكارهم إلى ألوان مظلمة. وحقيقة الرقابة طلب الجهد من كل ارتفاق والإعراس عن دينه. والرقابة البالغة احتواء الجوده والمرددة في الجنس الواحد.

(١) كان من شأن المعاملات أن تكون ظاهراً بالتمس ولا تقع التصديقات فيها بين المتعاطين، وإذا لم يكن الربا فيها وقعت المناقشات البينة، فصر قلباً للموضوع. وقوله «ما نزل»، هو قوله: «وَنَزَّلَ الرُّبَا» وقوله: «وَشَتَّى» أي المعمول على تعظيمه.

(٢) أبو ربا بالضم.

(٣) أبو الفرج.

والفصل ذلك أنه لا بد من التعشيش بثبوت ما من الأقوات والنسك استفاد من
 الثروة. والحاجة إلى الأقوات جميعها واحدة والنسك إلى الثروة جميعها واحدة. وبدقة
 إحدى التبليغين بالآخرى من أصول الارتعافات التي لا بد للناس منها، ولا ضرورة في
 مبدأه شيء يكفي كفايته، ومع ذلك فأوجب اختلاف أمزجتهم وعاداتهم أن تتفاوت
 مراتبهم في التعشيش، وهو قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كُنَّا يَوْمَ تَجِدُ لِكُلِّ شَيْءٍ قِيَاسًا ۚ لِكُلِّ شَيْءٍ قِيَاسًا ۚ وَكُنَّا نَعْلَمُ مَا نَزَّلْنَاهُ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ ۚ﴾
 ﴿لَقَدْ كُنَّا يَوْمَ تَجِدُ لِكُلِّ شَيْءٍ قِيَاسًا ۚ﴾ (الشورى الآية ١٧).

فيكون منهم من يأكل الأرز والحنطة، ومنهم من يأكل الشعير والذرة، ويكون منهم
 من تحلّى بالفضة.

ولما تعدى الناس فيما سلكهم الأرز والحنطة مثلاً واختار فضل بعضها على
 بعض، وذلك عثار الصناعات الدقيقة في العمل، وطبقات عياله، فمن عادة المـدين
 والأماهم، والإيمان في ذلك تعشش في الدنيا، فليصلح حاله بعد هذا الباب.

وتعظم الفتنه، أن الرما السحرام يجري في غير الأشربة الست المنصوص عن عياله، وأن
 اليكم تنفذ منه إلى كل ملحق شيء منها، ثم اختاروا في العلة.

والأولى بقرائن الشرع أن تكون في السدين لثمنية ونحوها، وفي الأربعة
 ذواتها، المدخر، وأن السليح لا يخاص عليه المدخر، والنوابل^(١)، لأن الطعام إليه ساحة
 ليست إلى غيره. ولا تحفر تلك الحاجة، فهو جرم مقوت وبغلة تعدد سائر الأشياء.
 ولما ذهب إلى ذلك لأن الشرع اعتبر الثمنية في كثير من الأحكام، كوجوب التعويض في
 المجنسي، ولأن الحديث: «دائم الطعام»، واعطام يُلحق في العرف على معين. أحدهما
 ثمر، وليس بمراد، والثاني الثمنيات كمدخر، وذلك يجعل قسماً للفاكهة والنوابل، وإنما
 أوجب الثغابض في المنحلى المعينين: أحدهما أن الطعام والثمن الحاجة إليهما أشد
 الحاجات وأكثرها وقداً، والانتصاح بهما لا ينحصر إلا بالإفناء والإخراج من المثلث،
 وربما ظهرت خصومة عند البعض ويكون ليدن قد فر، وذلك أتبع المناقشة، هو يجب أن
 يسد هذا الباب بالألا يتفرقا إلا عن قرض ولا يتم بينهما شيء. وقد اعتبر الشارع هذا العلة
 في النهي عن بيع الطعام قبل أن يستوفى، وحيث قال في انقضاء الذهب من الورق، «عالم
 شديداً وبينكم شيء»، والثاني أنه إذا كان الثمن في جانب الطعام أو غيره في جانب،
 فأنشد وسيلة لطلب الشيء كما هو مقتضى التقدير، فكان حقيقة أن يُفقد قبل الشيء، وإذا

كان في كلا الجانبين التفتد أو الضمام من الحكم يبذل أحدهما تحكماً، ولو أم يبدل من
جانبين كان بيع الشكائي بالشكائي^(١) وربما يشح بتقديم البذل. فافترض العدل أن يُنضم
التخلاف بينهما ويؤمرا جميعاً ألا يتفرقا إلا عن قبض، وإنما حصص الطعام والتفتد لأنهما
أصلاً لأموال وأكثرها تعاوراً، ولا يُنضم بهما إلا بعد إهلاكهما، فلهذا كان النحر في
التفرق عن بيعهما قبل القبض أكثر واقصر إلى المساومة، والمنع فيها أرفع عن تدقيق
المعاملة.

واعلم أن مثل هذا الحكم إنما يُراد به ألا يجري الرسم به ولا يعتاد تكسب ذلك الناس، لا ألا يفعل شيء منه أصلاً، ولذلك فإن عليه الصلاة والسلام: «يلال» مع قصر بيوم آخر، ثم أستره.

واعلم أن من نبيوه ما يجري فيه دم الفتيير، وكن أهل الجاهلية يتعاملون بها فيما بينهم، فهو عدا الذي عليه السلام:

منها: المزانية: أن يبيع الرجل النمر في رؤوس النخل بمائة قرشاً من النمر مثلاً.
والصافلة: أن يبيع الزروع بمائة فوق حطة، ورخص في المعاي^(١) بقرعها من النمر
فيما دون عسة أوسى، لأنه عرف أنهم لا يقصدون في ذلك القدر العيش، وإنما يقصدون
أكله رطباً. حصة أوسى هو نصاب الزكاة وهي مقدار ما يتقده به أهل البيت
ومنها: بيع الصورة من النمر لا يعلم مكانها بالكيل المسمى من النمر.
والسلامة: أن يكون لمس الرجل ثوب الآخر بيد، يميناً،
والعناية أن يكون بيد الرجل بشويه بيعاً من غير نظر.

وبمع الحصاة أن يكون وقوم الحصاة ببعاً.

فهذه الميوع فيها معنى التيسير، وفيها قلب موضوع العمالة، وهو استيفاء حاجته بقر
نشد.

وَنَهَى عَنْ بَيْعِ الْعُرَاقِ: أَنْ يَفْتَدَمَ^(٤٤) إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النَّفْسِ، فَيُزَاكَّ بِشُرَى حُسْبٍ مِنَ النَّفْسِ، وَإِلَّا فَهُوَ لَهُ مَجَانًّا. وَفِي مَعْنَى الْعَائِيزِ.

من أي الغنية.

(2) يستكون الرءاء بفتحها، مكمل لأهل المدينة، مع ... في ...

(٢) جمع حرة. وهي: أن من لا يتصل له من ذوي الحاجة إذا لم يجد نقداً يشتري به قرضاً ويكفي هذه قدر فصل عن قوته فيشتري بشئ ثمة حاجة. وعند أبي حنيفة: هي أن يهب ثمة طفلة لأخر. ويشق عليه تزويج الموهوبة. إلى يستألفه ويكره أن يرجع إلى هبته ليطلق إليه بطلبها ثمة. والد وعرض فيه قبيحا من خصمة إنسان.

(٤) أي. المشتري إليه، ^٤ عن الماتم.

وَشَقَّ يَخَّ عَنْ شَرَاءِ الشَّرِّ بِالرُّبْءِ، فَقَالَ: «لَيْتَ نَقَصَ إِذَا بَيْعَ» فَقَالَ: «لَعَنَ، فَتَهَاءُ
عَمَ ذَلِكَ.

أَقُولُ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَحَدٌ وَجَرَهُ الْغَيْبُ وَفِيهِ حُتْمَانٌ رُبَّ الْقَفْصِ، فَإِنَّ الشَّرَّ حَالُ تَمَامٍ
تَامٍ.

وَقَالَ يَخَّ فِي فَلَاحَةٍ فِيهَا دَهَبٌ وَخَرَزٌ، «لَا تَجَاعُ حَتَّى تُفْضَلَ».

أَقُولُ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَحَدٌ وَجَرَهُ الشَّرُّ وَتَوَلَّى أَنَّهُ يَنْتَهِنِ أَحَدُهُمَا، فَيَكْتَفِي عَلَى غَيْظٍ أَوْ
يُحَادِثُ فِي غَيْرِ حَقٍّ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَبْيِيرَ يَخَّ بِمَثَلِ فِي الْعَرَبِ وَلَهُمْ مَعَامِلَاتٌ وَسُوءٌ، فَأَوْجَسَ اللَّهُ إِلَيْهِ كَرَاهِيَةً
بَعْضُهَا وَحَوَازَ بَعْضُهَا، وَالْكَرَاهِيَةُ تَدُورُ عَلَى مَعْنَى.

مَعْنَى: أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ فِي جَرَتِ الْعَادَةِ بِأَنَّهُ يُقْضَى لِمَعْصِيَةٍ أَوْ يَكُونُ الْإِسْتِغْنَاءُ الْمَقْصُودُ بِهِ
عِنْدَ النَّاسِ أَوْعَاً مِنَ الْمَعْصِيَةِ، كَالْخَمْرِ وَالْأَصْبَامِ وَالطَّنْبُورِ، مَعْنَى جَرِيْدِ الرَّسْمِ يَبِيْعُهَا
وَاتِّخَاذُهَا تَنْوِيْهُ بِتِلْكَ الْمَعَاصِي وَحَمْلُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَتَقَرُّبُ نَهْيٍ مِنْهَا، وَفِي تَحْرِيمِ بَيْعِهَا
وَاقْتِنَانِهَا إِحْصَالُهَا وَتَقَرُّبُ نَهْيٍ مِنْهَا بِأَشْرَافِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَى عَنْ بَيْعِ
حُرْمِ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْفُتُورِ وَالْأَصْبَامِ».

وَقَالَ ﷺ: «لَنْ يَكُنْ شَيْءٌ حُرْمٌ شَيْئاً حُرْمٌ شَيْئاً» يَعْنِي إِذَا كَانَ رُجْعُهُ الْإِسْتِغْنَاءُ بِالشَّيْءِ
مَنْعُهُ أَوْ كَالْخَمْرِ يُنْعَى لِلشُّرْبِ وَالصَّيْمِ لِلْعِبَادَةِ - فَحَرَّمَهُ اللَّهُ - ائْتَضَى ذَلِكَ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ
تَحْرِيمَ بَيْعِهَا.

قَالَ يَخَّ: «مَهْرُ الْبَيْعِ خَبِيثٌ» قَالَ: نَهَى يَخَّ عَنْ حُلُولِ الْكَافِرِ، وَنَهَى عَنْ كَسْبِ
الرِّجَالِ.

أَقُولُ: الْمَالُ الَّذِي يَحْطُلُ مِنْ مَخَاوِرِ الْمَعْصِيَةِ لَا يَحِلُّ الْإِسْتِغْنَاءُ بِهِ لِمَعْنِيَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ تَحْرِيمُ هَذَا الْمَالِ وَتَرْكُ الْإِسْتِغْنَاءِ بِهِ زَجَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ، وَحَرِيْدُ الرَّسْمِ
بِتِلْكَ التَّمَامَةِ جَالِبٌ لِلْفَسَادِ حَامِلٌ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَثَانِيَهُمَا: أَنَّ الشَّيْءَ نَاشِئاً مِنَ الْبَيْعِ فِي
مَدَارِكِ النَّاسِ وَعَرَفَهُمْ، فَكَانَ عِنْدَ الْعَامِلِ الْأَعْلَى لِلشَّيْءِ وَجُودُ تَشْبِيهِهِ أَنَّهُ نَسِيجٌ، وَالْأَمْرُ
وَجُودُ تَشْبِيهِهِ أَنَّهُ الْعَمَلُ، فَانْجَزَّ الْخَبَرُ إِلَيْهِ فِي عُلُومِهِمْ، فَكَانَ تِلْكَ الصُّوْرَةُ الْعَلِيَّةُ أَمْرٌ فِي
نَفْسِ النَّاسِ.

وَنَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ حَامِلِهَا، وَمَنْعُهَا، وَتَشَابُهَا، وَحَامِلِهَا،
وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ.

(1) أَيِ أَجْرَةِ الزَّكَاةِ، وَقَوْلُهُ: «حُلُولُ الْكَافِرِ» أَيِ الْإِجْرَةِ وَالْوُشُوقِ وَالزَّمَانَةِ: الْمَقْنَنَةُ، وَالْمَقْنَنَةُ: الْمَقْنَنَةُ.

(2) أَيِ الَّذِي حَمَلَتْ الشَّيْءَ إِلَيْهِ.

أقول: الإعادة في المحمية وترويجها وتغريب الناس إليها معيبة وفساد في الأرض.
ومنها: أن مخالطة النجاسة، كالمينة والدم والسرقة والمفردة، فيها شناعة وسخط،
ويحصل بها مشابهة الشياطين، والنظافة وهجر الرجز من أصول ما بُعث النبي ﷺ لإقامته
وبه تحصل مشابهة الملائكة والله يحب المتطهرين.

ولما لم يكن بُدٌّ من لباحة بعض المخالطة، إذ في سد الباب بالكلفة حرج، وجب أن
ينهى عن التكسب بمعالجته والنجارة به. وفي معنى النجاسة الرُّثُ الذي يُستحي منه،
كالفساد⁽¹⁾، ولذلك حُرِّم بيع المينة ونهى عن كسب الحمام، وقال عند الضرورة: «لَمْ يَكُنْ
نَافِضَكَ»، وعن عيب الفحل، ويُروى: «وَضَرَبَ الْجَمَلُ»، ويرخص في الكرامة، وهي ما
يُعطى من غير شرط.

ومنها: ألا تنقطع المنازعة بين العاقلين لإبهاام في العرضين، أو يكون العقد بيعه في
يعتين، أو لا يمكن تحقق الرضا إلا بولاية المبيع ولم يره، أو يكون في البيع شرط يحتاج
به من بعد.

ونهى رسول الله ﷺ عن بيع المضامين والملاقيح، فالمضامين ما في أصلاب الفصول
والملاقيح ما في البطون، وعن بيع حَبْلِ الْخَيْلَةِ⁽²⁾، وعن بيع الكالئ بالكالئ، وعن بيعين
في بيعه: أن يكون البيع بالغاً بالغاً والغبن نسبية، لأنه لا يمتنع أحد الأمرين عند العقد.
وقيل: أن يقول يفتي هذا بالغ على أن يبيعي ذاك بكذا، وهذا شرط يحتاج به الشارع من
تَعَدُّ قِيَمَتَيْهِمْ. ومنه أن يبيع بشرط: إن أراد البيع فهو أحق به، وقال فيه عمر رضي الله
عنه: لا تحل لك وفيها شرط لأحد.

ونهى النبي ﷺ عن النيب⁽³⁾ حتى يعلم، مثل أن يبيع عشرة أفراف إلا شيئاً، لأن فيه
جهالة مفضية إلى المنازعة، وما كل جهالة تُفسد البيع، فإن كثيراً من الأمور يترك مهملات
في البيع، واشتراط الاستقصاء ضرر ولكن المفسد هو المنضي إلى المنازعة.

ومنها: أن يقصد بهذا البيع معاملة أخرى يترقبها في ضمنه أو بعده، لأنه إن فقد
المطلوب لم يكن له أن يطالب ولا أن يسكت، ومثل هذا حقيق بأن يكون سبباً للمقصودة
بغير حق، ولا يقتضي فيها شيء فصل.

(1) ضرب فكر على الأنثى، والنفسح: القصر بسقي عليه، وحسب الفعلة الكراه على ضربيه، وقوله: «في
الكرامة» هي ما يعطى لصاحب فكر من غير شرط بل بطريق إهنية.

(2) قال جماعة: هو لبيع بشئ منجل إلى أن تذهب الناقة ويذهب ولدها، وقال آخرون: هو بيع ولد ولد الناقة في
الحال، وهذا أقرب إلى اللغة.

(3) استثناء شيء من المبيع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يحل بيع وسلف»⁽¹⁾ ولا شرطان في بيع، مثل أن يقول: بعت هذا على أن تفرغني كذا ومعنى الشرطين: أن يشترط حقوق البيع، ويشترط شيئاً خارجاً منها، مثل أن يبيع كذا أو يشفع له إلى فلان أو إن احتاج إلى بعه لم يبع إلا معه، ونحو ذلك، فهذا شرطان في صفقة واحدة.

ومنها: ألا يكون التسليم بيد العاقد، كبيع ليس بيد البائع، وإنما هو حق توجه له على غيره، وشيء لا يجده إلا برفع قضية، أو إقامة بينة أو سعي واحتيال أو إمضاء وإكتيال أو نحو ذلك، فإنه مظنة أن يكون قضية في قضية أو يحصل غرر وتخيب، وكل ما ليس عندك فلا تأمن أن تجده، لا يجهد النفس، وربما يطالب المشتري بالقصاص فلا يكون عنده فيطالب الذي توجه عليه حقه، أو يذهب ليعطاه من البرية أو يشتري من السوق أو يستوهب من صديق، وهذا أشد المناقشات.

قال رسول الله ﷺ: «لا تبع ما ليس عندك».

ونهى عن بيع الغرر، وهو الذي لا يتحقق أنه موجود أو لا.

قال ﷺ: «من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه»⁽²⁾. قيل: مخصوص بالطعام، لأنه أكثر الأموال تعاوراً وحاجة، ولا يستفح به إلا بإهلاكه، فإذا لم يستوفه ربما تصرف فيه البائع، فيكون قضية في قضية. وقيل: يجري في السقول، لأنه مظنة أن يغير ويتميب. فتحصل الخصومة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا أحسب كل شيء إلا مثله، وهو الأيسر بما ذكرنا من العلة.

ومنها: ما هو مظنة للمناقشات وقعت في زمانه ﷺ وعرف أنه سابق بأن تكون فيه المناقشات، كما ذكر زيد بن ثابت رضي الله عنه أنهم كانوا يحتجّون بعهات⁽³⁾ نصيب الثمار، يقولون: أحابها قُسام دُمان⁽⁴⁾، فنهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، إنهم إلا أن يشترط القطع في الحال، وعن السنبل حتى يبيض ويأمن العاقد، وقال: «فرايت إذا مَسَحَ الله للثمرة، لم يأخذ أحدكم مال أخيه»⁽⁵⁾، يعني أنه غرر، لأنه على شرط أن يهلك فلا يجد المفقود عليه وقد لزمه الثمن، وكذا في بيع الستين.

(1) أي: لا يحل أن يبيع من المشتري شيئاً بأكثر من قيمته ويقبضه فريشاً ويحتل أن يكون المراد ما تقدم لمصنفه.

(2) أي: يقبضه. وقوله: متلوياً أي: تداولاً.

(3) أي: كلفت.

(4) القسام بالضم. لأن ينفذ الثمر قبل الإكراه والامتنان بالضم. وقيل: يفتح. فصل الثمر وطته وسدله. وقوله: من السنبل، أي: يبيع، وقوله: مبه أي: بأي شيء؟ وقوله: في بيع الستين، أي: المدونة.

ومنها : ما يكون سبباً لسوء انتظام المدينة وإضرار بعضها بعضاً ، فيجب إخمالها والصد عنها . قال رسول الله ﷺ : « لَا تَقْفُوا فَرْكَيْنِ لِيَمِيعٍ ، وَلَا يَمِيعَ مَعْصُكُم عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَلَا يَسْمُ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمٍ لِنَفْسِهِ ، وَلَا تَقْلَبْشُوا ، وَلَا يَبِيعَ حَاضِرٌ لِيَلِو » .

أقول : أما قلبي الركبان^(١) فهو أن يقدم وَكْبُ بتجارة فيبتلها رجل قبل أن يدخلوا البلد ويعرفوا السعر ، فيشتري منهم بأرخص من سعر البلد ، وهذا مظنةٌ ضرر بالبائع ، لأنه إن نزل بالسوق كان أغلى له ، ولذلك كان له الخيار إذا عثر على الضرر ، وهو مظنة ضرر بالعامه أيضاً ، لأنه توجد في تلك التجارة حق أهل البلد جميعاً ، والمصلحة المدنية تنطفي أن يقدم الأخرج فلا أخرج ، فإن استوروا سوى بينهم أو أفرغ ، فاستنثار واحد منهم بالنفسي نوع من الظلم ، وليس لهم الخيار لأنه لم يفسد عليهم عالمهم ، وإنما منع ما كانوا يرجونه .

وأما البيع على البيع فهو تضييق على أصحابه من التجار وسوء معاملة معهم ، وقد توجه حق البائع الأول وظهر وجه لوزنه ، فإفساده عليه ومزاحمته فيه نوع ظلم .

وكذا السوم على سوم أخيه في التضييق على المشتري والإساءة معهم ، وكثير من المناكشات والأفساد تنبعث فيهم من أجل هذين .

والنجش هو زيادة الثمن بلا رغبة في البيع تغييراً للمشتري ، وفيه من الضرر ما لا يخفى .

ربح الحاضر للبدوي أن يحمل البدوي متاعه إلى البلد يريد أن يبيعه بسعر يومه ، فيأبى الحاضر فيقول : خل متاعك عندي حتى أبيع على الموهلة بثمان خال ، ولو باع البادي نفسه لأرخص للبئيين وانفع هو أيضاً ، فإن انتفاع التجار يكون بوجهين : أن يبيعوا بثمان خال بالموهلة على من يحتاج إلى الشيء أشد حاجة ، فيستغل في جنبها ما ييلق ، وأن يبيعوا بربح يسير ثم يأتوا بتجارة أخرى من قريب فيريعوها أيضاً ، وهلم جرا ، وهذا الانتفاع أوفق بالمصلحة المدنية وأكثر بركة ، وقال ﷺ : « مَنْ لَحِقَكَ فَهُوَ خُلَاطِي »^(٢) .

وقال عليه السلام : « الْجَالِبُ مَرْذُوقٌ وَالْمَحْتَكِرُ مَلْعُونٌ »^(٣) .

أقول : وذلك لأن حبس المتاع مع ساجدة أهل البلد إليه لمجرد طلب الخلاء وزيادة الثمن بإضرار بهم يتوَقَّع نفع ما ، وهو سوء انتظام المدينة .

(١) فركبان : فئتين يجلبون الطعام .

(٢) أي : لكم .

(٣) الاحتكار المسموم هو في الإقوال خاصة : بأن يشتري الطعام وقت الغلاء ولا يبيعه في الحال بل يخرجه ليقول : فلما إذا جد من قربة أو لشراء في وقت الفوضى والخرق يباعه في الغلاء ليس بالاحتكار ولا تعريض فيه ، كما قال الشافعي .

ومنها: ما يكون فيه التخليص على المشتري، قال رسول الله ﷺ: «لا تَصْرُوا الْإِبِلَ وَالْعِجَمَ، فَمَنْ ابْتاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِضْعُ غَنَظَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلِبَهَا لِئِنْ رَضِيَها فَسَكَّها وَإِنْ سَفَطَهَا رَدَّها وَصَاعاً مِنْ تَمْرٍ» يروى: «صَاعاً مِنْ طَعَامٍ لَا سَمَاءَ».

أقول: التصرية بجمع اللبن في الصرع لئيلخيش المشتري غزارته فيقر. ولما كان أقرب شبهة ببناء المجلس أو الشرط، لأن عقد البيع كأنه مشروط بزيارة اللبن - لم يجعل من باب النقصان بالخراج. ثم لما كان قدر اللبن وقيمه بعد إهلاكه وإلغائه متعدياً لمعرفة حدًا، لا سيما عند تشاكس الشركاء⁽¹⁾ وفي مثل القيد، وجب أن يضرب له حد معتدل بحسب النقيضة لغالبية يقطع به النزاع، ولئن التوق فيه ذهوبة⁽²⁾ ويوجد حيصاً، ولبن النتم طيب ويوجد غالباً، فعمل حكمها واحداً، فتعين أن يكون صاعاً من أدنى جنس يقتاتون به، كالتمر في السجاز، والشعير والندرة عدداً، لا من الحنطة والأرز، فترتبها أعلى الأصوات وأعلىها. واستقر بعض من أم يؤخذ للعمل بهذا الحديث بضرب قاعدة من عند نفسه، فقال: كل حديث لا يرويه إلا غير نفيه إذا اتسد باب الرأي فيه يترك العمل به، وهذه القاعدة على ما فيها لا تنطبق على صورتنا هذه، لأنه أخرجه تخاري من ابن مسعود⁽³⁾ أيضاً، وناهيك به، ولأنه يمتزج سائر المقادير الشرعية بدرك العقل حسن تقدير ما فيه، ولا يستل معرفة بجملة هذا القدر خاصة المهم إلا غشول الراسخين في العلم.

وقال ﷺ في صبرة طعام دخلها بلل: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه النمل؟» غش فليس منه.

ومنها: أن يكون الشيء مباح الأصل، كالماء المعد⁽⁴⁾، فيغلب ظالم عليه فيبيحه، وذلك تحريم، في مال الله من غير حق الإغترار بالناس، ولذلك نهى النبي ﷺ عن بيع فضل الماء، لبيع به الكلأ.

أقول: هو أن يتعلت رجل عن عين أو واد، فلا يدع أحداً يبغي منه ماشية إلا بأجر، فإنه يخصي إلى بيع الكلأ المباح، يعني يصير الرعي من ذلك إزاء ماء، وهذا باطل، لأن الماء وكلأ مباحان، وهو قوله عليه السلام: «فيقول الله: اليوم لمنك نضلي كما منعت غنبل ما لم تعمل يدك».

وقيل: يحرم بيع الماء القاهض عن حاجته لمن أراد الشرب أو سمي الدواب قال ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار».

(1) في وعراقه لمعادية

(1) سوء امتلاهم

(2) أي أدقته غير المتقطع

(2) أي ربح مثله

أقول: بتأثير استجاب الموسم في هذه أيتها كان محموداً، وما ليس بمحمود أحره.
ظاهر.

❀ أحكام البيع ❀

قال رحمه الله: **رجلاً سحياً** إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى،
أقول: السحاة من أصول لأغلاق التي تنهذب به النفس وتتخلص بها عن إحاطة
الخطبة، وأيضاً فهي نظام المدينة، وعليها بناء السمور، وكانت المعاملة بالبيع والشراء
والاشتد. معنى لغتها الساحد، فجعل النبي ﷺ على ما تنهياها.
وقال أيضاً: **«كأنك منققة»** تسعة منققة للبركة.

أقول: يذكر إتيان الحلف في البيع تحيين. كونه معنى لتغيير التعاملين، وكونه سبباً
لإزالة تعظيم الله من القلب والمحاذير الكاذبة منققة لتدبيره لأدب بني الإنفاق على
تدليس المشتري، ومنققة البركة لأن دين الله كونه على توحه دعاء الملائكة إليه، وقد
يحدث بالتمعية بل دعت عليه.

وقال غيب السلام: **«في معشر اشجار»** إن البيع يحصره ثلاثو والحلف، فتشبه به^(١)
بالمنققة.

أقول: فيه تكفير الخطية وجبر ما عرس من غلوه النفس.
وقال عليه الصلاة والسلام: **«بمع منع بالثانين وأخذ مكانها»** لدرام: **«لا ينس أن
تأخذها بعد يومها ما تم تغرقا وبينكما شيء»**.

أقول: لأنهما إن الترقا وبينهما شيء، مثلي أن يجعل تمام صرف الثمن بالدرهم
موقوفاً على ما يأمر به الصبيون أو على أن يرمي الزناد أو مثل ذلك، كان مثله أن يخرج
به المحسن، ويشارك به العاقل، ولا تصح للمعاملة.

قال أيضاً: **«من لئاع شغل بعد أن تؤذي فتمرها»** لا أن يشترط قدس،
أقول: **«لأنه»** عمل رائد على أصل الشجرة، وقد ظهرت الثمرة على منكه وهو
يشبه الشيء الموصوع في البيت فيجب أن يورى له حمد إلا أن يسرح خلافه

(١) أي سحياً، وقوله: **«قتله»** أي طلب، لأنه قاتل.

(٢) أي سبب لإرواح الصانع، وقوله: **«منققة»** أي سبب لتفاد حركة المصنوع.

(٣) أي المظنونة، وقوله: **«فيه تكبير أخفيتها»** أي لم تشكره بالسطر.

(٤) أي المميز.

وقال رحمه الله: «ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل».

أقول: المراد كل شرط ظهر انتهى حد، وذكر في حكم الله فيه، لا انتهى البسط.
ونهى عليه السلام عن بيع الولاء وعن هبته، لأن الولاء ليس به مال حاضر مضبوط،
إنما هو حق تابع للنسب، فكما لا يُباع النسب لا ينبغي أن يُباع الولاء.
وقال رحمه الله: «الخراج بضم الخاء».

أقول: لا تنقطع المنازعة إلا بأن يُجعل الغنم بالغنم، فمن رد المبيع بالمعيب إن
طُلب إخراجه كان في إثبات مقدار الخراج حرج عظيم، فنقطع المنازعة بهذا الحكم كما
نقطع المنازعة في القضاء بأن ميراث الجاهلية على ما قسم.

وقال رحمه الله: «المبيعان إذا اختلفا والمبيع قائم ليس بينهما بينة للقول ما قال الجليلي لو
يتوحدان».

أقول: وإنما قطع به المنازعة لأن الأصل ألا يخرج شيء من ملك أحد إلا بمقتضى
صحيح وتراض، فإذا وقعت المشاحة⁽¹⁾ وجب الرد إلى الأصل، والمبيع ماله بقاء وهو
صاحب اليد بالتعلل أو قبل العقد الذي لم تنفرد صحته، والقول قول صاحب المال، لكن
المستباح بالخيار لأن البيع بناء على التراضي.

وقال رحمه الله: «الشفقة فيما لم يُقسم، فإذا وقعت الحدود وصرفت⁽²⁾ الطريق فلا شفقة»،
وقال عليه السلام: «الجذر لحق بشفقة».

أقول: الأصل في الشفقة دفع الضرر من الجيران والشركاء، وأرى أن الشفقة
شفتان: شفقة يجب للمالك أن يعرضها على الشفيع فيما بينه وبين الله، وأن يؤثره على
غيره، ولا يُجبر عليها في انقضاء، وهي تدجار الذي ليس بشريك، وشفقة يُجبر عليها في
القضاء وهي للدجار الشريك فقط، وهذا وجه الجمع بين الأحاديث المختلفة في الباب.

وقال رحمه الله: «من قاتل أهله المسلم شفقة كرهها قاتل الله عثرته يوم القيامة».

أقول: يستحب إقالة الذمام في صفتته دفعا للضرر عنه، ولا يجب، لأن الضرر مأخوذ
بإقراره لازم عليه ما التزمه.

(1) هو ما يحصل من كراهة جدار لملحقة في أجرة جدار أو لملحقة من غيرها من العين المشترقة للمشتري.
(2) بأن يشتري العين ويلجسها ويؤلف أهدنها زماناً ثم يطلع على حبيها ثم ردها على الجاني، ردها حصل من
لجسها فهو للمشتري لأنه كان ضماناً له ملك المبيع في يده، ولهذا قيل: لمواج بالضم، أي الفرجاء حق
المشتري بسبب كون المبيع في ضمانه.

(3) أي: المنازعة.

(4) أي: خلعت وحدته.

(5) المصنف مسوكة القرب والملاصقة، أي القرب الحق بطريقه، ويؤدي بالسنة نهشاً.

وحديث جابر رضي الله عنه عنه واستثبت حملاته إلى أهلي⁽¹⁾

قوله: فيه حوار الاستثناء، فيما لم يكن محل المناقشة، وكانا مشرعين متباذرين، لأن السلع إنما هو لكوبه، مطة السائلة.

قال رحمه الله: «من فارق بين والده ولولها فزاد الله بينه وبين أخوته يوم القيامة». وقال رحمه الله: «رضي الله عنه حين باع أحد الأخوين»⁽²⁾.

القول: انفرد بين والده وبنتها يبيعهم على الوحشة واليكامة. ومثل ذلك حال الأخوين، فوجب أن يحتب الإنسان ذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُرِثُكَ نَاصِيَةً مِنْ يَوْمِ الْحُكْمِ فَأَمَّا لَكَ فِي ذِكْرِ الْوَيْدِ وَالْزَيْدِ﴾⁽³⁾ (جميعه الآية 9)

أقول: يملئ الحكم بالذات الذي هو عند خروج الإمام، ولما كان الاشتغال بالبيع ونحوه خيراً مما يكون مضطراً إلى ترك الصلاة وترك استماع الخطبة من ذلك.

وأجلى: قد غلا السعر فسرنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله هو المسعور، تغلبوا على الناس، وإنني لأرجو أن أقر الله وليس الله يطلبني بمثمة»⁽⁴⁾.

قوله: إذا كان الحكم العدل بين المشتريين وأصحاب السلع، الذي لا يتصور به احتصاص، أو يكون ضرره سوء في غاية الضرر، توزع منه الشيء كما يتوزع الأرباح من بعدة سنة، ومع ذلك فإن رضى منهم حقاً ظهر لا يشتبهه الناس جاز تقييده، فإنه من الإحصاء في الأرض.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ فِي الْحَرْبِ حُرْمَةً﴾ (آية الآية 202).

أعني أن المؤمنين أعظم تعاملات مائة وأكثرها جدلاً، ولا بد منه لتجارتهم، فذلك أكد الله تعالى في الكفاية والاستشهاد، وشيخ الزمخشري والكفالة، وبين إثم كتمان الشهادة وأوجب الكفاية بالكتاب والشهادة، وهو من المنع الضرورية.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يسأفون⁽⁵⁾ في الثعالب السبعة والستين والثلاث، فقال: «من أسلف في شيء فليسف في كل معذور ووزن معلوم إلى أجل معلوم»⁽⁶⁾.

(1) قوله له رضي الله عنه كل يسير عن جس له قد أعيا، مع ليس يخط به تسميره فصل سيرا حسبي الله، ثم ضار بعينه بوقته، فلا يفتي. إيج. وقوله: «استشهاد» حملته في أهلي، أي فلت. رضي الله عنه إلى قسيرة.

(2) إشارة إلى أن السلع من التسمير هو حرمه. إتمام.

(3) أي يغفلون بهم المسلم.

أقول: ذلك لترفع المناقشة بقدر الإمكان، ونفسوا عليها الأوصاف التي يُشتر بها الشيء من غير تضييق، ومبنى الفرض على التبرع من أول الأمر، وفيه معنى الإعارة؛ فلذلك جازت النسبة، وحُرِّم الفضل، ومبنى الرهن على الاستباق، وهو بالقبض، فلذلك اشترط فيه.

ولا اختلاف عندي بين حديث: «لا يخلق الرهن الرهن»⁽¹⁾ من صاحبه الذي رُفِعَ له غنمه وعليه غُرْمه، وحديث: «الظهر يركب بنقلته إذا كان مرموناً، ولين الدر يُحرب بنقلته إذا كان مرموناً، وعلى الذي يركب ويشرب، النشفة»؛ لأن الأول هو الوظيفة، لكن إذا امتنع الرامن من النشفة عليه وحيف الهلاك وأحيا المرمون، فعدت تلك بفتح به بقدر ما يراه الناس عدلاً.

وقال بخلاف لأصحاب الكيل والميزان: «إنكم قد أليستم امرئ»⁽²⁾ فلكث فيهما الأهم السابقة فيلكم..

أقول: يحرم الظلف لأنه خيانة وسوء معاملة، وقد سبق في قوم شعيب عليه السلام ما نص الله تعالى في كتابه.

وقال بخلاف: «أيما رجل قلبي، فثوبه ربح»⁽³⁾ مثله بعينه فهو لحق به.

أقول: وذلك لأنه كان في الأصل ماله من غير مزاحمة، ثم يباع، ولم يرض في يده بخروجه من يده إلا بالتشمن، فكان البيع إنما هو بشرط إبقاء الثمن، فلما لم يؤد كان له نقضه، ما دام البيع قائماً بعينه، فإذا فات لم يبيع لم يمكن أن يرد البيع، فيصير دينه كسائر الديون.

وقال بخلاف: «من سؤه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فليَنَقُصْ»⁽⁴⁾ عن معسر أو يضع عنه..

أقول: هنا ندب إلى السحاحة التي هي من أصول ما ينفع في المعاد والمعيش، وقد ذكرناه.

(1) أي: يمنع والرهن الأول مصدر والقضي بمعنى المرمون، وقوله: «له فعدت» أي: إذا رامن الرامن شيئاً لما يحصل من الزيادة من المرمون فهو الرامن، وأما ملكه المرمون في يد المرمون فلا يفسد من حقه شيء، بل يملك من مالي الرامن، وقوله: «الظهر أي: المركب، والدر مصدر يعني الضرب» أي: قلت الدر.

(2) أي: جعلتم حكماً أي: امرئ، وأما الكيل والميزان والعدك بالأهم لعدم شعيب لثروته.

(3) أي: عند الفيلس.

(4) هو من التخليص بمعنى: التبريع وإعطاء الفهم، والبرد تُلْجُزُ مطابقة. وقوله: «أو يضع عنه» أي: ينقص من حقه أو يفت.

وقال عليه السلام: «مَنْ تَلَّى الْقُرْآنَ عِلْمًا، وَبِمَا تَبِعَ لَعَنَكَ عَلَى عِلْمِهِ فَلَيْتَنِي»^(١).

أقول: هذا أمر استحباب لأن فيه قطع المناقشة.

قال رحمه الله: «لَيْتَ الْوَلِيدُ»^(٢) يُبْلِغُ بَرُوضَهُ وَعَقُوبَتَهُ..

أقول: هو أن يُقْلَظَ له في القول، ويُحْيَسَ، ويُجِيرَ على البيع إن لم يكن له مال غيره.

وقال رحمه الله: «فَصْلَحَ جَائِزٌ بَيْنَ الْعَدَاةِ لِمَنْ، إِلَّا صِلَحًا حَرَّمَ حِلَالًا أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حِلَالًا أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا». فانه وضع جزء من الدين، كقصة^(٣) ابن أبي حنبل، وهذا الحديث أحد الأصول في باب المعاملات

التبرُّع والتعلُّون

التبرع أنام:

صَدَقَ إِنْ أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفَهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ:

﴿إِنَّمَا أَكْرَمُكَ لِلْفَقْرَةِ﴾ [التوبة: ٣٥].

وهبة إن قصد به وجه المهدى له. قال رحمه الله: «مَنْ أَعْطَى عَطَاءً فَوَجَدَ غَنِيَّةً فِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ غَنِيَّةً فِيهِ، مِنْ لَتْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمِنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَطَلَّى»^(٤) بما لم يَقْطَعْ كُلَّ كَلَابَسٍ شَوْعِي زُورٌ..

اعلم أن الهدية إنما يُتَنَبَّأُ بها إقامة الألفة فيما بين الناس، ولا يتم هذا المقصود إلا بآن بُرَّةً إليه مثله، فإن الهدية تُحِبُّ الْمُهْدِي إِلَى الْمُهْدَى لَهُ، مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْيَدَ الْعَبَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَنَسْنُ أَخْفَى أَنْظُولُ عَلَى مَنْ أَخَذَ، فَإِنَّ عَجَزَ فَلْيَشْكُرْهُ وَلْيُظْهِرْ نِعْمَتَهُ، فَإِنَّ الشَّاءَ أَوَّلَ اعْتِنَادٍ بِنِعْمَتِهِ وَبِعِمَارِ لِحَيْتِهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ فِي إِيرَادِهِ الْحُبَّ مَا يَفْعَلُ الْهَدِيَّةُ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ خَالَفَ عَلَيْهِ مَا أَرَادَهُ، وَتَأَقَّصَ مَصْلَحَةَ الْإِتْلَافِ، وَهَمَّطَ حَيْثُ،

(١) فاعلم أن: الأخير بغير عذر، وقوله: «تَبَّحَ» أي: قيل، وعمله: «على علمه» أي: الذي يُؤَدِّي بلا مشيئة، وقوله: «فلَيْتَنِي» أي: يَتَلَّ حُرَافَتَهُ.

(٢) أي: مثل الغني، وقوله: «دَعُوهُ» أي: إبطال العوض والمقابلة.

(٣) وهي أن كتب بين ملك تقاضاه بقاء له عليه في المسجد فارتفعت أسواقهم فقال لفتي رحمه الله: «كتب» وضع منه نصف الدين، قال: قد فعلت.

(٤) أي: تزين والظهور من نفسه ما لم يكن فيه كل كلابس شوي زور، فليد: هو أن يلبس ثياب الزمك وليس بزاده، وقيل: أن يلبس قديمًا ويصل يديه كمن يُغَرِّبُ ليعرف أنه لا يلبس لميسين.

ومن أظهر ما ليس في الحقيقة فذلك كذب، ونوله عليه السلام: «كلايس ثوبني زور» معناه كمن تركني أو انزور بالزور^(١) وشغل الزور جميع بدنه.

قال رحمه الله: «ومن ضحى إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد بلغ في الشاء».

قوله: إنما عين النبي ﷺ هذه اللفظة لأن الكلام الزائد في مثل هذا المقام إغراء والحاح، وإن اقتص كتمان وضبط، وحسن ما يُحِبُّ به بعض المسلمين بعضاً ما يُذَكِّرُ الاتحاد، ويصل الأمر على الله، وهذه اللفظة نصاب صالح بجميع ما ذكرنا.

وقال رحمه الله: «تعالوا، فإن الهدية تُدفع» الضمير^(٢) وفي رواية: «تذهب وَخَرُّ المَسْرُ».

أقول: الهدية وإن دَلَّتْ تدل على تعظيم المهدى له، وكونه منه على بال، وأنه يُحِبُّه ويرغب فيه، وإليه الإشارة في حديث: «لا تُخَيِّرَنَّ جاريةً لدارتها ولو فُتِّمِينَ»^(٣) شاء، فنظرك كان طريقاً صالحاً للفتح الضمنية، ويخلصها تمام الألفة في المدينة والسي.

قال رحمه الله: «من غرض عليه ويحذر فلا يرد» فإنه خفيف لسمبل^(٤) طيب الريح.

أقول: إنما ثَمَرَةُ رد الريحان وما يشبهه لطفة مؤنة، وتعامل الناس بأهدائه، فلا يلحق هذا كثير عار في قبوله، ولا في ذلك كثير حرج في إهدائه، وفي التعامل بذلك اتلاف، وفي رده فساد ذات اليبز وإضمار على دسر.

قال رحمه الله: «أهلك في صيته كالكلب يهود في فيته» ليس له مثل للسوء^(٥).

أقول: إنما كره المرجع في الهدية لأن منشأ الغرور فيما أقرره عن ماله وقطع الطمع عنه. إما دفع بما أعطى، أو تضجر منه، أو إضمار له، وكل ذلك من الأخلاق المذمومة. وأيضاً فهي نقض الهدية بعدما أُكِّمَتْ وأفسد وَخَرُّ وضيقته، بخلاف ما لم يعمد من أول الأمر، فتبني النبي ﷺ المود فيما أقرره من ملكه يعود الكلب في فيته، بمثل لهم المعنى بأذي الرأي، ويُرَى لهم قبح نكث الحالة بأبلغ وجه، اللهم إلا إذا كان بينهما مباسطة ترفع المناقشة كالوالد والولد، وهو قوله عليه السلام: «إلا الولد من ولده»^(٦).

وقال رحمه الله: فيمن يُنْخَلُ بعض أولاده ما لم يُنْخَلِ الآخر: «أَيْسُرُكَ أن يكونوا إليك في البر سورة»، قال: بلى، قال: «فلا يَأْأ».

(١) أي: محل وداء وتكرار زوراً، وقوله: وإغراء، أي: ميلة، وقوله: «غصاه» أي: إخفاه للحق.

(٢) الضميمة: المفعول، ويجوز المسند: الضميمة أو المدحوة.

(٣) أي: خلفه.

(٤) أي: الليل القمعة.

(٥) أي: لا يليق بمثلنا معشر المسلمين أن نكذب من هذه الضميمة.

(٦) أول الحديث: «لا يرجع أحد مني أبداً إلا الولد» إلخ، وقوله: «ينخله أبوه بعطي».

أقول: إنما كره تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطية لأن يورث الحقد فيما بينهم والمضغينة بالنسبة إلى الوالد، فأشار النبي ﷺ إلى أن تفضيل بعضهم على بعض سبب أن يفسر المتفوض له على ضيقة وتقلو على غل، فيقصر في البر، وفي ذلك فساد العترة.
 ووصية^(١) ابن كان موقناً بالموث. وإنما جرت بها السنة، لأن العتق في بني آدم عارض لمعنى المشاحة، فإذا غارب أن يستثنى عنه بالموت استحب أن يتداول ما قصر فيه، ويؤاسي من وجب حقه عليه في مثل هذه الساعة.
 قال ﷺ: «لَوْ هُنَّ جَالَتُكَ، وَتَلَّتْ كَثِيرٌ»^(٢).

واعلم أن مال الميت ينتقل إلى ورثته عند طوائف العرب والمعجم، وهو كالجيلة عندهم والأمر اللازم فيما بينهم لمصالح لا نحصى، فلما مرض وشرف على الموت توجه طريق لحصول ملكهم، فيكون تأيسهم عما يتوقعون غمطاً بحفهم وتضييقاً في جنهم، وأيضاً فالحكمة أن يأخذ ماله من بعده أقرب الناس منه وأولاهم به وأنصرهم له وأكثرهم مواساة، وليس أحد في ذلك بمنزلة الوالد والولد وغيرهما من الأرحام، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَكْرَمُهُمْ لَوْ يَتَذَكَّرُ فِي نَفْسِهِ لَإِنَّهُمْ لَكَاكِلٌ أَلْفَاظُ الْآيَةِ ٣٥﴾.

ومع ذلك فكثيراً ما تنفع أمور توجب مواساة غيرهم، وكثيراً ما يوجب خصوص الحال أن يختار ميراثه، فلا بد من ضرب حد لا يتجاوزوه الناس وهو الثلث، لأنه لا بد من ترجيح الورثة، وذلك بأن يكون لهم أكثر من النصف، فضرب لهم الثلثين ولغيرهم الثلث.

وقال ﷺ: «لَنْ يَنْفَعَكَ لَكَ ذِي حَقٍّ فَلَا وَصِيَّةَ لَوْلَا».
 أقول: لما كان الناس في الجاهلية يضارون في الوصية ولا يسمون في ذلك الحكمة الواجبة، فمنهم من ترك الأحق والأوجب مآساة واختار لأبعد برأيه الأبعد، وجب أن يُسد هذا الباب، ووجب عنده ذلك أن يعشير المظان الكلية بحسب القربات دون الخصوصية الطارئة بحسب الأشخاص، فلما تقرر أمر السوارث قطعاً لتنازعهم وسألاً لضعفائهم كان من حكمه ألا يسوغ الوصية لوارثه، إذ في ذلك مناقضة للمحد المحضروب.
 وقال ﷺ: «مَا حَقَّ لِأَمْرٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوَصِّي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلًا إِلَّا وَوصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»^(٣).

- (١) أي من أقسام فتوح: وصية - إلخ.
 (٢) قوله لستد بن أبي وقاص لما سأله أن يي مالا كثيراً وليس لي وارث سوى بنتي فلومني بكلمة لم نصفه في سنة
 (٣) ما بمعنى ليس، وقوله: يبيت ليلاً، صفة ثلاثة أيام، ويوصي فيه، صفة لشئ، يعني: لا ينبغي أن يوصي على المسلم ليل، أي: زمان الليل، لا وصية مكتوبة عنه.

أقول: استوجب تعجيل الوصية احتراماً من أن يهجمه الموت، أو يُخَذَّلَ حادث ينفذ
ضرته المصلحة التي يجب إقامتها عنده فيتحسر.

قال شيخنا: وكما رجل لعمر عمرى...⁽¹⁾ الحديث.

أقول: كان في زمان النبي ﷺ مناقشات لا تكاد تقطع، فكان قطعها إحدى المصانع
التي بحث النبي ﷺ لها، كالربا والتأثيرات وغيرها، وكان قوم أعصروا العموم، ثم انصرف
هؤلاء وهؤلاء، فجاء الفرق الآخر فاشبه عليهم الحال فتخاصموا، فبين النبي ﷺ أنه إن
كان نض الواعد: هي لك ولعقبك، فهي حية؛ لأنه بين الأمر بما يكون من خواص الهبة
الخالصة، وإن قال: هي لك ما يثبت، فهي إمارة إلى مدة حياته، لأنه بعد يقيد بتمام
النية.

ومن الأمثلة: الرقاب، وكان أهل الجاهلية لا يعرفونه، فاستنبطه النبي ﷺ لمصانع
لا توجد في سائر الصفات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالاً كثيراً، ثم يفسد،
بحسب أولئك الفقهاء ناله أخرى، ويحيى قوام آخرون من الفقهاء فيفتون مدبرين، فلا
أحسن ولا أبلغ انعام من أن يكون شيء حياً للفقراء وأبناء السبيل تُصرف عليهم ماله،
ويبقى له على مدة الواقعة، وهو قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «إن شئت حسنت أصلها
وتصلقت بها، فتصلق بها عمره» أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها
في الفقر، وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وأبى السبيل والضيف، لا حجاج على من
ولَّيها أن يأكل منها بالمعروف، وبطعم غير متحول.

أما السماوية فهي أنواع أيضاً، ومنها:

المضاربة، وهي أن يكون المال لإنسان والعمل في التجارة من الآخر، ليكون أربع
بينها على ما بيناه.

والجنازعة: أن يعتقد رجلان مالهما سواء الشراكة في جميع ما يشتريانه ويسمانه،
وإربع سهماء، وكل واحد كغلب الآخر ووكبه.

والعنان: أن يعتقد الشراكة في مال معين كذلك، ويكون كل واحد وكيلاً للآخر فيه،
ولا يكون كليلاً يطالب بما على الآخر.

وشراكة المصانع: كخباطين أو حياطين الشراكة على أن يتقبل كل واحد ويكون
المكسب بينهما.

[1] من أمثلة ذلك: رجل، مستغنياً، أي: جحر سقتم دار لرجل وتنام المعجزة، من ولعقة فنهوا الذي
كُتِبَتْها لا ترجع إلى الذي أصابها لأنه أعطى عطاء ومعت فيه المولى...

وشركة الوجوه. أن يشركا ولا ذل سبهما نبي أن يشركا وجهيهما يسعدا، والربع بينهما.

والوكالة: أن يكون أحدهما بقدر العفو لصاحبه

والسائلة: أن تكون أصول الشجر لرسل يكفي مؤنتها الآخر على أن يكون الثمر بينهما.

وللمزارة: أن تكون الأرض للدار الواحد، والعمل والثمر من الآخر

وللمعاينة^(١): أن تكون الأرض لواحد، والبذر والفر والعص من الآخر، ونوع آخر يكون العمل من أحدهما والباقي من الآخر.

والإحارة: وهي: معنى العيادة ومعنى المعاونة. فإن كان المطلب نفس المستفعة فالتدفع غاية، وإن كان يخصوص العادل مطلقاً بمعنى المعاونة غالب

وهذه عقود كان الناس يتعاملون بها قبل النبي ﷺ، فما لم يكن منها مبدءاً لمناقشة غالباً ومنه عنه النبي ﷺ فهو باق على إباحته داخل في قوله ﷺ: «المسلمون على شروطهم».

ولقد اختلف الرواة في حديث رافع بن خديج^(٢) خلافاً فاحشاً، وإن كان وجه الاتفاقين يتحدسون بالمزارة، ويدل على أنهما حدث معاً من غير^(٣)، وأحاديث انتهى عنها مجسوة على الإجازة بما علم، المأثبات أو قطعة معينة، وهو قول رافع رضي الله عنه^(٤)، أو على تأثريته والإرشاد، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، أو على مصنعة خاصة بأمر الوقت من جهة كثرة حاجتهم في هذه الخدمة مستند، وهو قول زيد رضي الله عنه، والله أعلم.

الفرائض

اعلم أنه أوجبت الحكمة أن تكون اثثة بينهم أن يتعارف أهل النحي فيما بينهم، ويتأصروا ويتواسوا، وأن يحصل كل واحد صور الآخر ويضعه منزلة ضرر نفسه ويضعه، ولا

(١) من نوع من المعاينة

(٢) أي: غير النبي عن فروعه.

(٣) وهو ما رواه البخاري من غير أن يدخل أنه ﷺ يحظر خبير اليهود أن يعملوها ويردوها عليهم شرطاً ويخرج منها بقوله: «المسلمون على شروطهم» أي: الأتباع قسماً.

(٤) كما رواه من حديثه أحدهما أنه كفوا يتكفون الأرض بما بين يدي عن الأسماء أي: الأسماء، وشروطها أن أحداً يكره لغيره فيقول: هذه لقطعة لي، وهذا الذي ﷺ من ذلك.

يمكن إقامة ذلك إلا بجهة تؤكده أسبب طارئة، ويسجل عليها شئ متواترة بههم، فالإجابة
هي ما بين الموالاة والمودة، وإلا فغير ذلك من المودة.

والأسبب العائقة هي التأنف والزيادة والمهادنة والماء، فإن كل ذلك يحجب
الواحد، إلى الآخر، ويخرج على انصر والمعانة في الكريهات.

وأما الشئ فهي ما نطق به الشرائع من وجوب صلة لأحلام وإقامة اللزامة على
إحصائها، ثم لما كان من الناس من يتبع فكراً ماسداً، ولا يفهم مدله، الرحم كفاً ينبغي،
ويعد ما دون الواجب كثيراً، مست الحاجة إلى إيجاب بعض ذلك عليهم، أشاءوا ثم أوج،
مثل عبادة الصلوة وفك العاني والمغفل وإعناق ما يملكه من ذي رحم وغير ذلك، وأحق
هذا النصف ما استغنى عنه بالاشرف على الموت، فإنه يجب في مثل ذلك أن يصرف ماله
على غيره فيما هم نافع في الصدقات، أو يتبرع به من يسهل في أغاريه.

واعلم أن الأسس في المرائش أن الناس جميعهم، عربهم وعجمهم، اعترفوا على أن
أحق الناس سأل الست أغاريه وأرحمه، ثم كان لهم بعد ذلك اختلاف، فليد، وكان أهل
الجاهلية يرون أن الرجال دون النساء، يرون أن الرجل خير من المرأة، فبالإضافة، وهم
الذائبون عن انصافهم، فهم أحق ما يكون شبه نسجانه، وكان أول ما نزل على النبي ﷺ
وجوب الوصية للأقربين من غير تعيين ولا توقيت، لأن الناس أحوالهم مختلفة، فمنهم من
ينصره أحد أخويه دون الآخر، ومنهم من ينصره والده، وعلى هذا التقدير، فكانت
المصلحة أن يفرض الأمر إليهم ليحكم كل واحد ما يرى من المصلحة، ثم إذا ظهر من
موصي بختك أو يتم كان للقضاء أن يصلحوا وصيته ويقرروا، فكان الحكم على ذلك مدة،
ثم إنه لما ظهرت أحكام الخلافة الكبرى، وزوي للنبي ﷺ مشاوراً الأرض ومشارها
ونشعت أنوار السنة العامة أوجبت المصلحة ألا يجعل أمرهم إليهم ولا إلى القضاء من
بعدهم، بل يجعل على العظماء التي هي في علم الله من عادات العرب والعجم وغيرهم ما
يكون كالأمر الطبيعي، ويكون مخالفه كاشاد القدر وكلهيمية السخافة التي تولد جنحاه
أو عرجاء خرقاً لعادة المستمرة، وهو قوله تعالى

﴿لَا تَدْرِي لَكُمْ لَوْ تَكُونُ نَفْسًا ذَلِيلًا﴾ [البقرة: 179].

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَكُمْ لَوْ تَكُونُ نَفْسًا ذَلِيلًا﴾ [البقرة: 179].

منها: أن الجاهل في هذا كتاب هو المصاحبة الطبيعية والمناصرة والمودة التي هي

[1] بلشج: لعل الشيء ويستقر، ووسطه، ومنه: بيضة القوم والشد، وهو القول الجود وقوله: «لعلنا، نحن»
لأن حامي لعلنا أي: يعقده ويمسك به، بعبارة عمالية إذا غضب أو دعي لشعوب.

تذهب حينئذ، دون الاتفاقات الطارئة، فيها غير مضبوطة ولا يمكن أن يبنى عليها التواضع الكلية، وهو قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْكُم بِمَا لَكُمْ يَتَّقُونَ لَآتَيْنَاكُم مِّنْ نَّحْنُ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٦٥]

فلذلك لم يجعل الخيرات إلا لأولي الأرحام، غير الزوجين، فتمتصا لاحقان بأولي الأرحام داخلان في ضاعفهم لوجوه: منها تأكيد التعاون في تدبير المنزل والحث على أن يعرف كل واحد منهما ضرر الآخر ونفعه راجعاً إلى نفسه. ومنها أن الزوج يفتي عليها وشرع منها ماله ويأمنها على ذات بدء، حتى يتبين أن جميع ما تركه أو بعض ذلك هو حقه في الحقيقة، وذلك خصومة لا تكاد تصرم، فمالح الشرح هذا الداء بأن جعل له الربع أو النصف ليكون حاكماً لقلبه وكاسراً لسنوة خصومته. ومنها أن الزوجة ربما تترك من زوجها أولاداً هم من قوم الرجل لا محالة وأهل نسيه ومنصبه، واتصال الإنسان بأهله لا ينقطع أبداً، فمن هذه الجهة يدخل الزوجة في ضاعف من لا يفك عن قومه وعشيرته في دور الأرحام. ومنها أنه يجب عليها بعد أن تعتد في بيته لمصالح لا تحصى، ولا متكفلاً لمجبتها من قومه، موجب أن تجعل نفقاتها من مال الزوج، ولا يمكن أن يجعل قدر معلوماً لأنه لا بدري كم يترا، فوجب جزء شائع. كالثمن والربع

ومنها^(١) أن القراة نوعان أحدهما ما ينضمه المشاركة في الحسب والمنصب، وأن يكونا من قوم واحد وفي منزلة واحدة، وثانيهما ما لا يقتضي المشاركة في الحسب والمنصب ومنزلة ولكنه مظنة الرود والرفق، وأنه لو كان أمر قسمة الشركة إلى العيت لما جاوز ثلث القراة ربع، أن يفتل السج الأول على الذاتي، لأن الناس عربهم وعجمهم مردن إخراج منصب الرجل وثروته من قومه إلى قوم آخرين حوراً وحضماً ويسحطون على ذلك، وإذا أعطى ماله الرجل ومنصبه لمن يقوم مقامه من قومه رأوا ذلك عدلاً ورضوا به وذلك كالجيلة التي لا تنفك منهم إلا أن تفتل قلوبهم، اللهم إلا في زمان حين اختلت الأنساب، ولم يكن تتصرهم نسبهم، ولا يجوز أن يسل عن النوع الثاني أيضاً بعد ذلك، ولنتك كان نصيب الأم - مع أن برهن أوجب رحلتها أركد - أقل من نصيب البنت والأخت، لأنها ليست من قوم أبنتها ولا من أهل حسيه ومنصبه وشرقه، ولا معن يقوم مقامه، ألا ترى أن الابن ربما يكون حاشياً والأم حبشية، والابن قرشياً والأم صجيية، والابن من بيت الخلافة والأم مفجوعة^(٢) عليها يمهز ودناءة. أما البنت والأخت فهما من قوم المهر وأهل منصبه، وكذلك أولاد الأم، لم يوتوا حين ورتوا إلا تنفاً لا يواد لهم عليه

(١) في بعض الأصناف التي تفتي عليها سلك المعاري

(٢) مطبوعة ومزلة: يمهز أي ذلة

البنات، ألا ترى أن الرجل يكون من فريش وأخوه لأمه من نسيب، وقد يكون بين القبيلتين
خسومة فينصر كل رجل قومه على قوم الآخر، ولا يرى الناس فيأمنه مقام أخيه عملاً
وكذلك الزوجة التي هي لاحقة بذوي الأرحام داخلة في نساء عيالتها، نجد إلا أن نسيب
الأوصياء، وإذا اجتمع جماعة منهم اشتركت في ذلك النسيب، ولم يزد أن مائز الورثة
أليته، ألا ترى أنها تزوج بعد بعلها روحاً غيره فتتطعم العلاقة بالكلية؟

وبالحكمة: عاتواث يدور على معان ثلاثة:

الأول: القيام مقام الميت في شرفه ومنصبه وما هو من هذا الباب، فإن الإنسان
يسمى كل النسيب لبقى له خلف يقوم مقامه.

الثاني: الخدمة والرسامة والرفق والحنوب عليه من هذا الباب.

الثالث: القرابة المتضمنة للهدى للمعين جميعاً.

والأقدم بالاعتبار هو الثالث، ومظلتها جميعاً على وجه التكامل من يدخل في عموم
النسيب، كالأب وأجد والابن وابن الابن، هؤلاء أحق الورثة بالميراث، غير أن قيام
الابن مقام أبيه هو التوقف على طبعه الذي عليه بناء تعاضد من انقراض نون وقيام القرن
الثاني بمقامهم، وهو الذي يرجونه ويتوقعونه ويكفونون لأولادهم والأحفاد لأجله. أما قيام
الأب بعمه أبيه فكأنه ليس موضع طبعي، ولا ما يطلونه ويتوقعونه، ولو أن الرجل خير في
ماله لكأنه مواصاة ولده أم لكأنه لغيره من مواصاة والده، فذلك كانت البيعة العائنية هي
طوائف الناس تقديم الأولاد على الآباء.

أما القيام مقامه: لمظنته بعد ما ذكرناه⁽¹⁾ الإخوة ومن نسيب معانهم، من هم كائناً
وكان الصواب ومن قوم الحر، وأهل نسيب وشرفه، أما الخدمة والرفق فمظنة القرابة القريبة،
والأحق به الأم والبنات ومن في معانهم ممن يدخل في عموم النسيب، ولا تغلو البنات من
قيام ما مقامه. ثم الأخ، ولا تغلو أيضاً من قيام ما مقامه، ثم من به علاقة الزوج، ثم
الأولاد للأم.

والنساء لا يوجد فيهن معنى الحماية والقيام مقامه. كيف والنساء ربما تزوجن في
قوم آخرين ويدخلن فيهم؟ اللهم إلا البنات والأخت، على ضعف فيها. وموجود في قس
دعوى الرفق وأحباب تاملأ موفراً، وإنما مظنة القرابة القريبة جداً، كالأم والبنات ثم
الأخت، دون البينة، كالصمة وعمة الأب، والباب الأول يوجد في الأب والابن كاملاً،
ثم الإخوة، ثم الأعمام، والمعنى الثاني يوجد في الأب كاملاً، ثم الابن، ثم الأخ لأب

(2) أي من اثنين والأب.

(1) أي: لتصرف.

وأم أو لأم، وإنما مظنة القرابة القريبة دون البعيدة، فمن ثم لم يجعل للعمة شيء مما للعم، لأنها لا تذب عنه كما يذب العم، وليست كالأخت في القرب.

ومنها أن الذكر يفضل على الأنثى إذا كانا في منزلة واحدة أيضاً، لاختصاص الذكور بحماية البيضة والذب عن الثمنار، ولأن الرجال عليهم إنفاقات كثيرة فهم أحق بما يكون شبه الميقات بخلاف النساء، فلأن كل من أزواجهن أو أبنائهن أو أشانهن، وهو قوله تعالى.

﴿الزَّكَاةُ لِلرَّحْمَةِ عَلَى الْوَسْطَىٰ وَكَأَنَّهُ يَصَلِّيٰ عَلَىٰ بَنِيهِ وَمَا أَكْفَاهُ مِلًّا﴾ (قصص: ١٥٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في مسألة ثالث الباقي: ما كان الله لميرني أن أفضل أمًا على أب، غير أن الوالد لما اعتبر فضله مرة سبعة بين المصوبة والقروض لم يعتبر ثانياً بتضاعف نصيبه أيضاً، فإنه غلط لحق سائر الورثة، وأولاد الأم ليس للذكر منهم حماية تليضة ولا ذب عن الفحل، فإنهم من قوم آخرين، فلم يفضل على الأش. وأيضاً فإن برينهم منعة من قرابة الأم فكانهم جميعاً إناث

ومنها أنه إذا اجتمع حسنة من الورثة، فإن كانوا في مرتبة واحدة وجب أن يورث عليهم لعدم تقدم واحد منهم على الآخر، وإن كانوا في منازل شتى فذلك على وجهين: إما أن يعطى اسم واحد أو جهة واحدة، والأصل فيه أن الأقرب ينجب الأبعد حرماً، لأن التوارث إنما شرع حثاً على التعاون وتكفل قرابة وشعار، كالرفق فيمن يعطى اسم الأم والقيام مقام الرجل فيمن يعطى اسم الابن والذب عنه فمن يعطى اسم المصوبة، ولا نتحقق هذه المصلحة إلا بأن يتمي من يؤاخف نفسه بذلك ويؤام على تركه، ويتميز من سائر من هناك بالنبل، أما مصلح سهم على سهم فلا يجدون له كثير بال، أو تكون أسماؤهم رجعاهم مختلفة، والأصل فيه أن الأقرب والأضع فيما عند الله من علم المقتان الغالبية بحجب الأبعد نقصاناً.

ومنها أن السهام التي تعين بها الأنصاء يجب أن تكون أجزاها ظاهرة بتمييزها بأي الرأي المحاسب وقبور، وقد أشار النبي ﷺ في قوله: «ثلاثة أثبة لا تكتب ولا تحسب» إلى أن الذي يليق أن يخاطب به جمهور المكلفين هو ما لا يحتاج إلى تعقن في الحساب، ويجب أن يكون بحيث يظهر فيها ترتيب الفصل والنفصال بأي الرأي، فأثر الشرح من السهام فصلين:

الأول: الثلثان والثلث والسدس.

والثاني: النصف والربع والثلث.

فإن مخرجهما الأصلي أولاً الأعداد، ويتحقق بهما ثلاث مراتب بين كل منها نسبة

الشيء إلى ضعفه ترفعاً ونصفه تنزلاً، وذلك أدنى أن يظهر فيه الفضل والنقصان محسوساً شيئاً، ثم إذا اعتبر فضل ظهرت نسب أخرى لا بد منها في الباب، كالشيء الذي زيد على النصف فلا يبلغ النمام وهو الثلثان، والشيء الذي ينقص عن النصف ولا يبلغ الربع، وهو الثلث، ولم يعتبر الخمس والربع، لأن تخريج مخرجهما أدق، والترفع والتنزل فيها يحتاج إلى تحقق في الحساب. قال الله تعالى:

﴿وَيُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ لَكُمْ لِلَّذِينَ يَكُلُ مِنْكُمْ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا﴾ [النساء: 11]

أقول: يضعف نصيب الذكر على الأنثى، وهو قوله تعالى:

﴿الزَّوْجُ لِلزَّوْجِ عَلَىٰ أَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا﴾ [النساء: 11]

ولبيت المنفردة النصف، لأنه إن كان ابن واحد لأحاط المال، فمن حق البنت الواحدة أن تأخذ نصفه، قضية للتضعيف، والبتان حكمهما حكم الثلاث بالإجماع، وإنما أعطيتا الثلثين لأنه لو كان مع البنت ابن لوجبت الثلث، فالبنت الأخرى أولى ألا تُزَوَّلَ نصيبها من الثلث، وإنما أفضل للعصبة الثلث لأن لبيات معرنة، وللعصبات معونة، فلم يُسقط إعدامها الأخرى، لكن كانت الحكمة أن يُفَضَّلَ من نى عمود النسب على من يبعد به من جوانبه، وذلك نسبة الثلثين من الثلث وكذلك حال الوالدين مع البنين والبنات، وقال الله تعالى:

﴿وَالْأَنْثَىٰ لِلزَّوْجِ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا وَمَا لِلزَّوْجِ مِنَ الْأَنْثَىٰ بِمَا فِي بَيْتِهَا﴾ [النساء: 11]

أقول: قد علمت أن الأولاد أحق بالميراث من الوالدين، وذلك بأن يكون لهم الثلثان ولهما الثلث، وإنما لم يجعل نصيب الوالد أكثر من نصيب الأم لأنه اعتبر فضله من جهة قيامه مقام الولد وذبه عنه مرة واحدة بالعصوبة، فلا يُعتبر ذلك الفضل بيبته في حق التضعيف أيضاً، وعند عدم الولد لا أحق من الوالدين، فأحاط تمام الميراث، وفضل الأب على الأم. وقد علمت أن الفضل المعتبر في أكثر هذه المسائل فضل التضعيف، ثم إن كان الميراث للام والإخوة وهم أكثر من واحد وجب أن ينقص سهمها إلى السمس، لأنه إن لم تكن الإخوة عصبة وكانت العصبات أبعد من ذلك، فالمصوبة والرفق والسوكة على السواء. فجعل النصف لهؤلاء والنصف لهؤلاء، ثم قسَّم النصف على الأم وأولادها، فجعل السمس لها ألبتة لا ينقص سهمها منه، والباقي لهم جميعاً، وإن كانت الإخوة

الأمر تعين التوارث بمعنى القيام مقام الميت والنصرة له، وذلك فور الميت وأهل نسيبه وشرفه، الأقرب فالأقرب.

قال عليه السلام: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم.

أقول: إنما شرع ذلك ليكون طريقاً إلى قطع المواصلات بينهما، فإن اختلاط المسلم بالكافر يفسد عليه دينه، وهو قوله تعالى في حكم النكاح:

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى كُفْرٍ﴾ (المائدة: ٥٢)

وقال عليه السلام: لا يرث.

أقول: إنما شرع ذلك لأن من الحوادث الكثيرة الوقوع أن يقتل الوارث موته ليجرز ماله، لا سيما في أبناء العم ونحوهم، فيجب أن تكون النسبة بينهم تأييد من فعل ذلك عما أرادوا أنقطع عنهم تلك النسبة، وجرت النسبة ألا يرث العبد ولا يؤرث، وذلك لأن ماله ليس له والسيد أجني.

وقال عليه السلام: إن أعيان بني آدم يتوارثون دون بني لفلات.

أقول: وذلك لما ذكرنا من أن القيام مقام الميت مبنى على الاختصاص وحجب الأقرب الأبعد بالحرمان، واجتمعت الصحابة رضي الله عنهم في زوج وأبوين وامرأة وأبوين أن للأم ثلث الباقي، وقد بين ابن مسعود رضي الله عنه ذلك بما لا مزيد عليه حيث قال: ما كان الله ليروني أن أقتل أمًا على أب، ونفى رسول الله عليه السلام في بنت وابنة ابن، وأخت لأب وأم: لأبنة النصف، ولأبنة الابن السدس، وما بقي فلأخت.

أقول: وذلك لأن الأبعد لا يُزاحم الأقرب فيما يجوز، فما بقي فإن الأبعد أحق به حتى يستوفى ما جعل الله لفلان النصف، فالأبنة تأخذ النصف كلاً، وابنة الابن في حكم البنت، فلم يُزاحم البنت الصغرى، واستوفت ما بقي من نصيب البنت ثم كانت الأخت عصبة لأن فيها معنى من القيام مقام البنت رضي من أهل شرفه.

وقال عمر رضي الله عنه في زوج وأم وإخوة لأب وأم وإخوة لأم: لم يزدكم الأب إلا قرباً وتابع عليه ابن مسعود وزيد وشريح رضي الله عنهم وخلائق، وهذا القول أولون الأقوال بقوانين الشرع، ونفى للجدة بالسدس إقامة لها مقام الأم عند عدمها، وكان أبو بكر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم يجعلون الجد إياً، وهو أولى الأقوال عندني.

وما الولاء فالسر فيه النصرة وحماية البيضة، فالأحق بها مولى النعمة، ثم بعده الذكور من نومه، الأقرب فالأقرب، والله أعلم.

من أبواب تبيين المنزل

اعلم أن أصول من تدبر المنازل مستعدة عند طوائف العرب والعجم لهم اختلاف في أشباحها وصورها، وثبت النبي ﷺ في العرب، وانتضت الحكمة أن يكون طريق ظهور كسفة الله في الأرض غلبتهم على الأديان ونشأ عادات أولئك بعاداتهم ورياسة أولئك برياستهم، فأوجب ذلك ألا يتعين تدبير المنزل إلا في العادات للعرب، وأن تُعتبر تلك الصور والأشباح بأعيانها، وقد ذكرنا أكثر ما يجب ذكره في مقدمة الباب في الانطباعات وغيرها فراجع

الخطبة وما يتعلق بها

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر قسيلة^(١)، من استطاع منكم قيادة فليزوج، فإنه أحسن للبصر وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».

اعلم أن المعنى إذا كثُر تولد في البدن صمد يخاره إلى الدماغ، فتجيب إليه النظر إلى المرأة الجميلة، وشغفت قلبه حبها، وتزك قسط منه إلى الفرج فحاصل الشبق واشتدت الغلظة^(٢)، وأكثر ما يكون ذلك في وقت الشباب، وهذا حجاب عظيم من حجب الطبيعة يستنه من الإمعان في الإحسان ويهيج به إلى الزنا ويغسل عليه الأخلاق وسوقه في مهالك عظيمة من قساد ذات البصر، فوجب إمالة هذا الصعاب، مع استطاع انجذاب وقدر عليه، بأن تيسر له مثلاً امرأة على ما تأمر به الحكمة وقُدِّرَ على نفقتها، فلا أحسن له من أن يتزوج، فإن الزوج أغنى للبصر وأحسن للفرج، من حيث إنه سبب لكثرة استراخ البصر، ومن لم يستطع ذلك فعليه بالصوم، فإن شدة^(٣) الصوم له خاصية في كسر شدة الطبيعة وكبحها عن خلواتها، لما فيه من تغلغل مادتها، فيتعب به كل خلق ناسد نشأ من كثرة الأخلاق.

(١) هو جمع قسيلة ولا يجمع فاعل على فعل غير، وإضافة الجماع والوجاء بالقصر. ومن التفسيرين نقصان الشهوة، والفرج هنا القصر للشهوة، يعني أن الصوم يذهب الشهوة.

(٢) أي قوة شهوة الجماع. (٣) أي مثله.

وقد كان على عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أن يزوج النساء ممن رغب عن سُنَّتِي فليس مني .
اعلم أنه كانت العارية^(١) والمرمومة من النساء يقررن إلى الله ترك النكاح، وهذا
باب، لأن طريقه الأنبياء عليهم السلام التي ارتضاها الله للناس من إصلاح النية ودفع
اعوجاجها لا سلحتها من مقتضياتها، وقد ذكرنا ذلك مستوعباً فراجع.

ثم لا بد من الإرشاد إلى امرأة التي تكون نكاحها موانع الحكمة مؤثراً عليه عقيدته
تغير السكون، لأن الصحة بين الزوجين لازمة، والحاجات من الجاهلين متأكدة، ولو كان
لها حياة سوء وفي خلقها ومزاجها مشقة ومن كسبته بداء، فبالتأثير الأخرى به
رحم، والمطابق عليه المصلحة حسنة، وله تلك صالحة مخرج لتزول كل إصلاح، وتبطل
له كسب الخير من كل جانب، وهو قوله **﴿يُخَيِّرُ﴾** . أي متى ما كان في اختياره منافع الدنيا والمداة
حسنة . وقوله **﴿يُخَيِّرُ﴾** . وتلخيص الحواة لأربعة حالها، ولحسنها، ولجملتها، ولعيوبها فافهم ذلك،
الذي ثبت هناك^(٢).

اعلم أن المقاصد التي يفسدها الناس في اختيار المرأة أربع حصل ذلك
تلك معانها، بأن رغب في المال ويرجو مزاياها معه في مالها وأن يكون أولاده
أعداء له، ويحارب من قبل أبيهم.

ولحسنها، يعني مفاخر أداء المرأة^(٣)، فإن التزوج في الأشراف شرف وجاء
وتجملها، فإن الطبيعة البشرية راجية في الجمال، وكثير من الناس تغيب هذين
طبيعة.

ولبيها، أي نكاحها عن المعاصي وتبعها عن الزنا، وتزويجها إلى بارئها بالطاعات
فالمال، ونكاح مقصد من علم عليه حجاب الرسم.

والجواب ود يشبهه من الشباب - مقصد من غلب علم حجاب طبيعة
الشباب مقصد من نهك بالفتنة وأحب أن تعاونه امراته في دينه ورغب في محبة
أهل الخير.

در 35 - خبر نساء ركن الإبل نساء نريش، أختاه^(٤) علي ود هي صفوة وزعمه علي
زوج في ذلك وقت .

(١) قوم سجين - أي إلى قمار ولهم امر تولى

(٢) أصل معناه الرماء، والرك، والهلاك، ويراد في تعريف الإنكار، والتعبد والبحث على الأمر

(٣) أي لحسن مظهرهم.

(٤) أي اشترى الإبل.

أقول: يستحب أن تكون المرأة من كورة وقبيلة عادات نسائها صالحة، فإن الناس معادن كعادن الذهب والفضة، وعادات القوم ورسومهم غالبة على الإنسان وبمیزنة الأمر المجبول هو عليه، ويثبت أن نساء قريش غير النساء، من جهة أنهم أحسن إنسان على الولد في صمره، وأرفع على الزوج في ماله ورفيقه، ونحو ذلك، وهناك من أعظم مفاصل النكاح، وبهما انتظام تنبیر المنزل، وإن كنت تثبت حال الناس اليوم في بلادنا وبلاد ما وراء النهر وغيرها ثم تجد أرسخ قاعاً في الأخلاق لصالحة ولا أشد لزوماً لها من نساء قريش.

وقال **يحيى**: تزوجوا الولود الودود، فبني مكلثو بكم الأمم.

أقول: تواد الزوجين به ثمة المصلحة المنزلية، وكثرة النسل بها ثمة المصلحة المدنية والبلدية، وود المرأة لزوجها دال على صحة مزاجها وقوة طبيعتها، مانع لها من أن يطمح بصهرها إلى غيره، باعث على تجميلها بالامتناع وغير ذلك، وفيه تحصين مرجع ونظره.

قال **يحيى**: إنا خطب إليكم من ترضون بعينه وحلفه فتزوجوه، إذ لا تعلموا^(١) تكن لفنة في الأرض وفساد عريض.

أقول: ليس في هذا الحديث أن الكفاءة غير معتبرة، كيف وهي مما جبل عليه طوائف الناس وكذا يكون اقتدح فيها أشد من القتل؟

والناس على مراتبهم، والشرائع لا تُهين مثل ذلك، وتذكرت قال عمر رضي الله عنه: لأعفن النساء إلا من أكفأهن. ولكن أود ألا يتبع أحد محرمات الأمور، نحو هذه السال وروانة الحال ودمامة^(٢) الجمال، أو يكون ابن أم ولد ونحو ذلك من الأسباب بعد أن يرضى دينه وخلقه، فإن أعظم مفاصل تدبير المنزل الاصطحاب في خلق حسن، وأن يكون ذلك الاصطحاب سبباً لمزاج النجس.

قال **يحيى**: الشؤم في امرأة والدار والفرس.

أقول: التضمير الصحيح الذي يوجبه مورد الحديث أن هنالك سبباً خفياً غالباً يكون به أكثر من يتزوج المرأة مثلاً معارفاً^(٣) غير مبارك، ويستحب للرجل إذا دلت التجربة على شؤم امرأة أن يبيع نفسه برك تزوجها وإن كانت جميلة أو ذات مال.

والحكمة تحكم بإثبات البكر بعد أن تكون عاقلة بالغة، فإنها أَرْضَى مَالِيَةً، لَفَنَةً

(١) أي: إذ لم تتزوجوا من هذه قبلته ودرغبه في سجون الحساب والعمال تكن فتنه، لأنها بريجة الطمحين والفساد.

(٢) أي: شبح.

(٣) أي: على حرف من الحيرك.

حببتها^(١)، رائحة زحماء، لعمرة شابها، وأقرب للتأديب بما تأمر به الحكمة ويترجم عليها. وأحسن لتفرج النظر، بخلاف كثبات، فإنها أهل خيانة وسعومة الأخلاق وقلة الأولاد، وهو كالأنواج المنفوشة لا يكاد يؤثر فيها التأديب، لنهم إلا إذا كان تدبير المنزل لا ينظم إلا بدات التجربة، كما ذكره جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قال عليه السلام: «إذا خطب أحدكم امرأة فإن استنطاع أن يظفر إلى ما يدعوها إلى ذلها فيفعل به وقال عليه السلام: «فإنه أحرى أن يؤتم^(٢) ببيكها»، وقال عليه السلام: «هل رأيتها؟ فإن في العين لاتصلر شيئاً».

أقول: السبب في استحباب النظر إلى المخطومة أن يكون الشراخ عنى رؤيتها، وأن يكون أبعد من الدم الذي يلزمه إذا اقتحم في الكناج ولم يوافقته فتم يزف، وأسهل للتلافي إن زف، وأن يكون تزوجها على شوق وبشاط إن وافقه، والرجل الحكيم لا تلج مرسلاً حتى يتبين غيره وشبهه قبل ولوجه.

وقال عليه السلام: «إن المرأة تُقْبَل في صورة شيطان وتُدبِر في صورة شيطان، إذا أحسن أعينته امرأة فوقعته في قلبه فليعد إلى امرأته فنيواقدها فإن ذلك يورث ما في نفسه».

اسم آن شهوة الفرج اعظم الشهوات وأرفعها للقلب، مؤقنة في مهالك كثيرة، والنظر إلى النساء بهجها، وهو قوله عليه السلام: «المرأة تُقْبَل في صورة شيطان... إلخ»، فمن نظر إلى امرأة ووقع في قلبه واستأن إليها وثقة بها، فالحكمة ألا يهمل ذلك، فإن يزداد حيناً فحيناً في قلبه حتى يحلته ويتصرف فيه، ولكل شيء قوة يقوى به وتدبير ينتقص به، فمدد التوكل للنساء اسلة أوعية المعنى به وصعود بحاره إلى الدماغ، وتدبير تضاعف استفرغ تلك الأوعية، وأيضاً فإن الدماغ يشغل قلبه وسلكه عما يجده يصرف قلبه عما هو متوجه إليه، والشيء إذا عولج قبل تمكنه زال بأدنى سعي.

فإن عليه السلام: «لا يطلب الرجل على خطبة لخطبة حتى يكتج أو يتزك».

أقول: سبب ذلك أن الرجل إذا خطب امرأة ورثت إليه ظهر وجه إصلاح منزله، فيكون تأيس عما هو بيبه ونخبه عما يتوقعه إساءة معه رغباً عليه رضيئاً به.

وقال عليه السلام: «لا تسال المرأة طلاقاً لختها^(٣) فتستفرغ ما حفتها، وتكتج، فإن لها ما قدو لها».

(١) أي خدعها وقهره، ولما في أي أسرع العمل.

(٢) أي مؤلف.

(٣) أي سرتها، يعني لختها في العين، وقوله: «تستفرغ» أي تخلص تسعة أمتها مكرمة بما فيها، وعدا تفر سرتها لغيرة المرأة من سرتها لنفسها، وقوله: «تكتج» أي التفتك زوجها.

فرخص فيما يقع به المعرفة من الوجه، وأما يقع به الطش في غالب الأمر، وهو التلصق، وأوجب ستر ما سوى ذلك إلا من يعاونهن والمحارم وما ملكت أيماهن من العبد، ورخص للفراخ من النساء أن يضمن شانهن.

الثالث: ألا يدخل رجل مع امرأة في بيت ليس مخصصاً من بهابانه قال ص: «ألا يبيت رجلٌ عند امرأة ثيبٍ إلا أن يكون نكحاً أو فاحراً»، وقال ص: «لا يدخل رجلٌ امرأةً فإن الشيطان تلقىها»^(١)، وقال ص: «لا تُلجوا على المُغَيَّبَاتِ، فإن الشيطان يسري من بين أكم مسرى النعم».

الرابع: ألا ينظر أحد - امرأة كان أو رجلاً - إلى عورة الآخر، امرأة كان أو رجلاً، إلا الزوجان، قال ص: «لا ينظر لرجل إلى عورة لرجل ولا للمرأة إلى عورة امرأة».

أقول: وذلك لأن النظر إلى العورة يهيج الشهوة، وإن شاء ربما يتنافس فيما بينهما، ويغضب الرجال فيما بينهم، ولا حرج في ترك النظر إلى السوء، وأيضاً تستر العورة من أصوار الارتعاقات لا بد منها.

الخامس: أن لا يكامع^(٢) أحدُ أحدٍ في ثوب واحد، وفي معناه أن يبيتا على سرير واحد مثلاً، قال ص: «لا يقضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا يقضي المرأة إلى امرأة في ثوب واحد»، وقال ص: «لا تباشر المرأة المرأة لتتعتها لتزوجها كأنه ينظر إليها».

أقول: السبب أنه^(٣) أشد شيء في تهيج الشهوة والرغبة، يورث شهوة أسحاق^(٤) والتملحة، وقوله ص: «كأنه ينظر إليها»، معناه أن مباشرة المرأة ربما كانت سبباً لإضرارها^(٥)، فيجري على لسانها ذكر ما وجدت من اللذة عند زوجها أو ذي رحم منها، فيكون سبباً لتزلزلهم، وأعم الفاسد أن تُلمت امرأة عند رجل ليس زوجها لها، وهو سبب إخراجها^(٦) من البيت.

(١) أي يكون الشيطان معها ويهيج شهوة كل منهما حتى يلتصقا في الزنا، والمغيبات جمع منجبة بنم كسر وهي هي قبيح عما زوجها، ووجه التخصيص شدة لغتها في الوقاع والارتعاج الفاحش.

(٢) أي يقصص، وقوله يقضي أي يستمتع، وقوله «لا تباشر» أي تقاط وتصلب.

(٣) أي ظهور الرجل أمام الرجل يتوارى، ولم ربما يُفهم ما تعنه ويستهل أو ربما كان شغلاً فيظهر ما شئت، وكنت الأمر بالانزاع للمرأة مع الدولة.

(٤) نعت سوء المرأة.

(٥) يعني أن مباشرة ما من إحدى النساء لزوجها ربما تولد شهوة لدى فتوح شاة تلك المرأة المنعومة.

(٦) بكسر الهمزة وسكون الراء، اسم مبدع من لعن لعنه الله بن أمية أي لم يسمعه رضي الله عنهم فقال لعنه لعنه وهو في بيت لم يسمعه، يا عبد الله في فتح الله لكم غداً تختلف فني أنك على ابنه غيلان غيلان يلزم ويغير شأن، فقال النبي ص: «لا يسلن هؤلاء عليكم».

واعلم أن ستر العورة، أعني الأعضاء التي يحصل العار بانكشافها بين الناس هي العدادات، المتوسطة كالتي كانت في قريش مثلاً يومئذ، من أصل الاربعانات المستقيمة عند كل ما يحس بشراً، وهو من: اثنان من الإنسان عن سائر أنواع الحيوانات، فذلك أربعة الشرع. والسرطان والحصىتان والجمانة وما وقيها من أصول الفخذين من أجل بدوينا، الذين أنما من العورة، لا حاجة إلى الاستدلال في ذلك، ودل قوله ﷺ: إنما نزع اللهكم عيضة فمئة فلا ينظر إلى عورته^(١)، وفي رواية: «فلا ينظر إلى ما بين السرة وفوق الركبة»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لما علمت أن الفخذ عورة» على أن الفخذين عورة؛ وقد تعارضت الأحاديث في المسألة لكن الأخذ بهذا أحوط وأقرب من قوانين الشرع.

وقال ﷺ: «ليكنم والتعري، فإن حكمكم من لا يفارحكم^(٢) إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله، فليستبيحهم واكذبوهم»، ودل ﷺ: «فإن أحق أن يستخفى عنه»^(٣).

أقول: التعري لا يجوز وإن كان خالياً إلا عند ضرورة لا تجد منها بدءاً؛ فإنه كثيراً ما يوجم الإنسان عليه، والأعمال إنما تحضر بالأحلاق التي تنشأ منها، ومنشأ ستر العباء وأن يغلب على النفس هيئة التحفظ والتقيّد، وأن يترك توافقة، وألا يسترسل، وإذا أمر الشارع أحداً بشي، انحصر ذلك أن يؤمر الآخر أن يفعل معه حسب ذلك، فلما أمرت النساء بالستر وجب أن يرغب الرجال في غض البصر، وأيضاً فتهديب نفوس الرجال لا يتحقق إلا بقض الألبار رمزاً لاختلاف أنفسهم بذلك. قال ﷺ: «الأولى لك ولو سرت لك الأخيرة»^(٤).

أقول: يشير أن حالة البدء بمنزلة الإنشاء، وسين دخل خصي وقيل: أليس هو أعمى لا يهتدأ قال ﷺ: «تعميولان^(٥) الخشاء لستما تبصرتا».

أقول: السر في ذلك أن النساء يرغبن في الرجال كما يرغب الرجال فيهن

وقال ﷺ: لخاصة رضي الله عنه: «لله ليس عليك رأس، إنما هو لبوك وغلامك».

أقول: إنما، كان العبد بمنزلة المحارم لأنه لا رغبة له في سيده كميلاتها في عينه، ولا لسيده فيه لحقارته عنده، ويحذر التستر بينهما، وهذه الصفات كلها معتبرة في المحارم، فإن الفراقة القريبة المحسوسة مئة فلة الرغبة، واللباس أحد الأسباب قطع الطمع.

(١) - لأنها تعبير كلمة أصيلة. (٢) - أي تكلم الكافرين والمطفلة.

(٣) - قال ﷺ: «لست أرى رجلاً بالخلق عورته إلا من زوجته أو ما حكمه، يمينك»، فقال: «تقول: لا» كان الرجل خالياً فقال: «فك لا».

(٤) - «أما رضي الله عنه» أي علي لا تتبع النظرة للفرقة، فإن لك الأولى» - إلخ.

(٥) - أي: مخالطة لام سبعة ومبعونة رضي الله عنهما.

وعزل الصبية يكون سبب فلة الشايط ومنه السر وعدم الاغاث، فذلك جرت فلة كذا
السر عن المحرم دونه السر عن غيرهم

❁ صفة النكاح ❁

قال بخير: «لا نكاح إلا بولي».

اعلم أنه لا يجوز أن ينكح في النكاح البتة حاشية، لقضاء عقلهن وسوء فكرهن،
لكثيراً ما لا يعقلن مصلحة، ولعدم حماية الحجاب، وهن عاتق، وهن رعين عن غير
التكف، ومن ذلت عار عن قومها، فوجب أن يحجب للأولياء شيء من هذا الجواب لتبني
لهم، وأنشأ فإن فلة الشايط في الناس من قبل صدور جبانة أن يكون الرجال قوامين
على النساء، ويحكم يدهم لحن والعقد عليهم احتفاظ، وإنما النساء حرائر بالسيهم،
وهو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ قَامُوا عَلَىٰ أَيْسَرِهِ يُنْكَحُوا أَبْنَاءَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [النساء: ٢٤].

وهي اشتراء الولي في النكاح بوجه أمره، واستمراء النساء بالنكاح وقاعة منهن،
منهجة فلة العبد، وإقتصاب على الأولياء وعدم الكرامة لهم. وأيضاً يجب أن يستر النكاح
من استباح بالتشهير، وأحق التشهير أن يحضر أولياءها

وقال بخير: «لا تنكح الثيب حتى تسلم» ولا تنكح حتى تسلم، وإنما تصمت، وهي
رواية، البكر يستأذنها لزوجها،

أقول: لا يجوز أيضاً أن ينكح الأولياء فقط لأنهم لا يدفون ما يعرفه المرأة من
نفسها، ولأن حائل العقد وقائمة راجعان إليها، والاستمرار طيب أن تكون هي الأمرة
سريعاً، والاستئذان ثبت أن تذل ولا تمتنع، وأداء النكاح، وإن أمرد استئذان البكر
لثلاثة دود الصغيرة كيف ولا رأي لها؟ وقد زوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه عائشة
 رضي الله عنه من رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين.

قال بخير: «لا يحد عهد تزوج بغير إذن سيده فهو باطل» (١)

أقول: إنما كان العبد مشعراً بخدمة مولاه، والنكاح وما يخرج عنه من المروءة
عبد، والشخص لها وما يخلص من خدمته وجب أن تكون فلة أن يتزوج نكاح العبد على
إذن مولاه، وإنما حال الأمة ما ولي أن يتزوج مكانها على إذن مولاه، وهو قوله تعالى:

(١) أي تسلم، ومولا بالسيادة، أي سقلا.

(٢) حار أي صدد، وقد أي منع. (٣) أي ولد.

﴿فَكَيْفَ يُقَرَّرُ بِإِذْنِ أَهْلِهَا﴾: «فساء الآية 25».

قال: ابن مسعود رضي الله عنه: علمنا رسول الله ﷺ التشهد في الحاجة: «إِنْ أَحْمَدُ شَهِدْتِهِ وَاسْتَقْفَرَهُ، وَتَعَوَّذَ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ لِقَائِهِ، مِنْ يَدِهِ اللهُ فَلَا مَغِيرَ لَهْ، وَمَنْ يَضِلُّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَاشْهَدْ لِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» وقرأ ثلاث آيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: [ال عمران: 103]

﴿وَأَقْرَأُوا لَهُ أَلْفَ تَسْلِيمٍ بِهِ، وَالْإِسْلَامُ إِلَى اللَّهِ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّي﴾: «فساء الآية 26».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلَ الْوَحْيِ عَلَيْكَ﴾ ﴿يُضِيحُ لَكُمْ أَسْلَاحَكُمْ وَيُخَوِّفُ لَكُمْ دُونَكُمْ وَمَنْ يَزِيحُ اللَّهُ الْكُفْرَ، فَغَدَّ كَرُورًا حَبِيبًا﴾ ﴿الْإِسْرَافِ الْآيَاتِ 27-28﴾.

أقول: كان أهل الجاهلية يستطوبون قبل الحنف بما يرونه من ذكر مفاخر مومهم ونحو ذلك، يتوسلون بذلك إلى ذكر المقصود والمثوية به، وكانت حريان الرسم بذلك مصلحة، فكان الخطبة مبناها على التشهير وجعل الشيء بجمع ومراعى من الجمهور، والتشهير مما يرد وجوده في النكاح ليس من الشفاح، وأجبا فالخفة لا تستعمل إلا في الأمر النعمة، والاهتمام بالنكاح وجعله أمرا عظيما بينهم من أعظم المقاصد، تأتي في الشيء أصلها رعيه وضيقها، وذلك أنه ضم مع هذه المصالح مصلحة يلقين، وهي أنه يبين أن يتضم مع كل وثائق ذكر مناسب له، وينبأ في كل محل بشعائر الله، ليكون الذين الحق مشيورا أعلامه ورأياته، ظاهرا شعائره وأماؤه، فمن فيها أنواعا من الشكر، كالحمد والاستعانة والاستغفار، والسرور والشفقة والآيات من القرآن، وأشار إلى هذه السلسلة بقوله ﷺ: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد للجفنة»⁽¹⁾، وقوله ﷺ: «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجنم».

وقال ﷺ: «فصل ما بين المحلل والمحرّم الحُرْمَةُ وَالْبَيْتُ فِي النِّكَاحِ..» وقال ﷺ: «اعلموا، هذا النكاح واجعله في المساجد واضربوا عليه الدفوف».

أقول: كانوا يستعملون الدفء والنصرت في النكاح، وكانت تلك عادة فاشية بينهم لا يكادون يتركونها في النكاح الصحيح الذي أبقاه النبي ﷺ من الأنكحة الأربعة⁽²⁾ على ما

(1) أي النكاح وغيره، والمراد من الحمد لله: «إِنْ أَحْمَدُ شَهِدْتِهِ وَاسْتَقْفَرَهُ» وبعد قوله: «من شُرُورِ لِقَائِهِ» ومن سبكت أعملت..

(2) أي التي بها النظام، تلك المشهورة، وقيل: المقطوعة لا فائدة فيها، وقوله «ولو اجنم» أي مقطوع لذكره.

(3) الأول: نكاح الاستبضاع، كان الرجل يرسل امرأته إلى الأخر ولا يهاجمها حتى يظهر صحتها من الآخر وكان صفة رغبة في «ليلة الواذر» والآخر: من ما بين عشرة رجال كانوا يزوجون امرأة، لها «ماتن»

نظر ابن الأولياء حين يمشك هو للعدا، ثم بعد ذلك يتبعني التمييز بين التفكاح والسخ، وهو قوله تعالى

﴿لَا تَسْتَوُوا أَفْئِدَتَكُمْ لِمَنْ فِيكُمْ خَائِبِينَ﴾ [سورة النمل: ٢٥]

فذلك يعني أني فيكم وحوب المهور كما كان، وإن يصطبه أني فيكم لا يزد ولا ينقص، إن العادات هي إظهار الأقسام، مختلفة والفرقات لها مراتب شتى، ولهم في المشاحة طمأنينة، فلا يمكن محبة عنهم كما لا يمكن أن يضبط ثمن الأسماء الموعود بحد مخصوص، وإنما قال فيكم، واستمع ولو خضعاً من حمله، ثم قال فيكم، من اعطى في صدق امرأته ماله كفه حديقاً أو تعرفاً فقد استحل، ثم غير أنه شئ في صدق أوراجه وزياته شئ عشراً أو ثمانية، وقال عمر رضي الله عنه: لا خالوا في صفات النساء، فإنها إن كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله تكون أولادكم بها نبي الله ﷺ الحديث

أقول: وأمر فيما شئ أنه يعني أن يكون المهر مما يتشأن به ويكون له ماله، وينبغي ألا يكون مما يضر أداؤه عادة بحيث لا عليه فدية، وهذا القدر يصاب مصالح حسنة كان عليه الناس في زمانه، وكذلك كثير الناس بعد، المهم إلا الناس أكثر زعمهم بوزنة المهر من الأيسر، وكان أهل الجاهلية يخلصون النساء في صدقاتهم بغير أو نفس فأقول الله تعالى

﴿وَمَا تَكُنْ لَكِنَّهُنَّ أَهْلُ بَيْتٍ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة النور: ١١]

وقال الله تعالى:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تُنْكِحُوا مِنْ قَبْلِهِنَّ أَنْ تَرْتُدَّوهُنَّ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي كُنْتُمْ يُرْتَدْنَ مِنْهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]

أقول: الأصل في ذلك أن النكاح سبب البتة، والحدود به تعود، والنسب إنما يتراد به الرد وإنما يتراد، الحكم غفور مبرر، فذلك كان من جهة ما شئ أن يزوج المهر أو عليه، وبالسوت يجوز الأمر ويثبت حيث لم يتراد حتى مات، وما انقضت عنه حتى حال، وبذلك يعود، وبذلك لا يتراد الأمر وينسخ، وما شبه الرد والإقالة

(١) أو نطفه.

(٢) قوله أول... أنه إن يردعه امرأة ويحب نفسه لا ﷺ، فقال: يؤخرون عن لم تكن لك فيها حاجة، فقال ﷺ: ما، عليه من شيء، تحفظها في عاصدي إلا إياي هذا، في العتق، والتبديد.

(٣) محمول على المحض منه وقوله: شئ أو نسما

(٤) أو بعد ذلك.

(٥) أي النكاح والحب.

إذا تمَّ هذا فنقول: كانت في الجاعلية مناشات في باب المهر، وكانوا يشاهدون
بأنها، ويحتجون بأمره، فقبض الله تعالى بها بالحكم العدل على هذا الأصل.
فإن متى لها شيء؟ ودخل بها فلها المهر كاملاً، سواء مات عنها أو حُتَّتْها، لأنه تم
له حبيب الملك وأثره، وألصق الزوج إليها، وهو قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَبْدُوَنَّكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ بَيْعَاتٍ غِيظًا﴾ [عنه: الآية ٢١].

وإن سُرَّ لها ولم يدخل بها ومات عنها فلها المهر كاملاً، لأن بالموت تقرر الأمر،
وعلم الدخول غير صار والحالة هذه. لأنه بسبب مدوني^(١)، فإن طلقها فلها نصف المهر
على هذه الآية، لتحقق أحد الأمرين دون الآخر، فنحصل شبهة: شبه بالخطبة من غير
نكاح، وشبه بالنكاح التام.

وإن لم يمس لها شيئاً ودخل بها فلها من صداق نساءها، لا وكس ولا شطط^(٢)،
وعليها المهر، ولها العير، لأنه تم لها العقد بسببه وأثره فوجب أن يكون به مهر، وأنما
يُقَدَّر الشيء بتقديره، وتبقيها، وصداق نساءها أقرب ما يُقَدَّر به في ذلك.

وإن لم يُنْصَب لها شيئاً ولم يدخل بها فلها المهر، لأنه لا يجوز أن يكون عقد نكاح
خالياً عن المال، وهو قوله تعالى:

﴿إِنْ تَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ الدَّيْنَ بَيْنَكُمْ﴾ [عنه: الآية ٢٤].

ولا سبل إلى إيجاب المهر، لعدم تقرر الملك ولا تسمية، فقدر دون ذلك بالمهر،
وجعل النبي ﷺ مرة سُورَةً من القرآن مهراً، لأن تعليمها أمر ذو بال يُرْغَب فيه ويطلب كما
ترغب وتطلب الأمور، فجاز أن يقوم مقامها.

وكان الناس يعادون الوليمة قبل الدخول بها، وفي ذلك مصالح كثيرة:

منها: التلطف برشاعة النكاح وأنه على شرف الدخول بها، إذ لا يد من الإضاعة لثلا
يفي محل يؤتم الواهر من النسب، وليتم النكاح عن الصفاح بإدبي الرأي، ويشعق
اختصاصه بها على عين الناس.

ومنها: شكر ما أزاله الله تعالى من النظام تدبير المنزل بما يصرفه إلى عباده ويضعهم به.

ومنها: البر بالبراءة وقربها، فإن صُرِفَ المال لها يَجْعَلُ الناس في أمرها يدل على
كرمها عليه وكونها ذات بال عنده، ومثل هذه الأمور لا بد منها في إقامة التأليف فيما بين
أهل المنزل لا سيما في أول اجتماعهم.

(١) أي: بمشيئة الله.

(٢) أي: لا نقص، وقوله: ولا شطط، أي: لا زلف.

ومنها: أن نجدد النعمة - حيث ملكت ما لم يكن مالكا له - يورث الفرح والشباط والسرور ويهتج على صرف المال، وفي اتباع تلك الداعية التورن على السخاوة وعصيان داعية الشح... إني غير ذلك من الفوائد والمصالح.

فلما كان فيها جملة مصلحة من عوائد السياسة المدنية والمنزلية وتهذيب النفس والإحسان وجب أن يقبها النبي ﷺ ورغب فيها وتحث عليها ويعمل هو بها، ونم يضبطه النبي ﷺ بحد مثل ما ذكرنا في المهر، والحد الوسط الشاء، وأولم ﷺ على صفة رضي الله عنها بخيس⁽¹⁾، وأولم عني بعض نساء المؤمنين من شعير.

قال ﷺ: «إذا بقي لحكم إلى الوليمة فليقتبا»، وفي رواية: «لئن شاء جُعم وإن شاء قولا». أقول: لما كان من الأصول التشريعية أنه إذا أمر واحد أن يصنع بالناس شيئا لمصلحة فمن موجب ذلك أن يُحث الناس على أن يتفادوا له فيما يريد ويمثلوا له ويطاوعوه، والا لما تحققت المصلحة المقصودة بالأمر، فلما أمر هذا أن يُنهي أمر الكاح بوليمة فصنع للناس وجب أن يؤمر أولئك أن يجيروا إلى طعامه، فإن كان عاتما ولم يظنم فلا بأس بذلك، فإنه حصلت الإشاعة المقصودة، وأيضا فمن الصلة أن يجيب إذا عُمي، وفي جرمان المنة بذلك النظام أمر المدينة والحي.

وقال ﷺ: «إنه ليس لي أو لنبي أن يضل بيضا متوقفا»⁽²⁾.

أقول: لما كانت الصور يُحرم ستمها ويُحرم استعمال الثوب المصنوعة هي فيه كان من مفضي ذلك أن يهجر البيت الذي فيه تلك الصور، وأن تُقام اللاتمة في ذلك، لا سيما للأنبياء عليهم السلام، فقامم بعثوا أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر. وأيضا فلما كان استحسان التشجّل البالغ سببا لشدة خوضهم في طلب الدنيا - وقد وقع ذلك في الأعاجم حتى أناسهم ذكر الآخرة - وجب أن يكون في الشرع تامة عن ذلك وإظهار نفرة عنه. ونهى ﷺ عن طعام المتدين⁽³⁾ أن يؤكل.

أقول: كان أهل الجاهلية يتفاحرون، يريد كل واحد أن يخله الآخر، فيصرف المال لتلك الغرض دون سائر التيات، وقبه الحق وقساد ذات البين وإضاعة المال من غير مصلحة حيية أو مدية، ولما هو اتباع داعية نفسانية، فلذلك رجب أن يهجر أمره ويهان ووسد هذا الباب. وأحسن ما ينهى به ألا يؤكل طعامه.

(1) هو طعام من فطر والافط والمسن.

(2) قاله القاضي رضي الله عنها حين رأى القرام في تامة البيت وكان دعي لياكل الخلع فخرج عن قوله فلما سألت فاعلة عن سبب الرجوع لملا فله ليس لي... إلخ، وقوله: متوقفا، أي: متوقفا متوقفا.

(3) أي: المتدينين.

تقام الملازمة عليهم فيه، أقضى ذلك إلى سرور عظيم عليهن، فإنه سبب حصولهن إياهم عمر يرضى فيه لأنفسهم، فإنه يدهم أمرهن وإليهم إنكاحهن، وألا يكون لهن إن تكحومن^(١) من يطالبهم عنهن بحقوق الزوجية مع شدة احتياجهن إلى من يخاضعن عنهن.

ونظيره ما وقع في البنات: كان الأولياء يرغبون في مالهن رجمالهن ولا يوقون حقوق الزوجية، فنزل:

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا كُلًّا مَكَانَ ثَمَنٍ ۚ فَسَوِّدَتْ بَوَاقُهُمْ ۚ فَمِنْ ثَمَنٍ بِمَا كُنْتُمْ يُوعَدُونَ﴾ [النساء: ١٢].

يُنسب ذلك، عاتشة رضي الله عنها. وهذا الارتباط على الوجه الطبيعي واقع بين الرجال والأمهات والبنات والأخوات والعَمَّات والخَالَات وبنات الأخ وبنات الأخب.

ومنها الرضاعة، فإن التي أرضعت تُطَبِّقُ لأم من حيث إنها سبب اجتماع أمهات^(٢) بَنِيهِ وقيام هيكله. غير أن الأم جُعِلَتْ يَخْلُقُهُ في بطنها وهذه دُرَّت عليه مد رمقه من أول شأنه، فهي أم بعد الأم، وأولادها إخوة بعد الإخوة، وقد قاست في صفاته ما قاست، وقد ثبت في ذمته من حقوقها ما ثبت، وقد رأت منه في صمره ما رأت، فيكون تطكها والوثوب عليها مما تُنمُّه القطرة السليمة، وكم من مبهمة عجماء لا تُلْقَتْ إلى أمها أو مرضعتها هذه اللفظة. فما ظنك بأرجال؟ وأيضاً فإن العرب كانوا يسترضعون أولادهم في حق من الأحياء، فُسِبَ فيهم الوليد وبخانتهم كمدخالعة المحارم، ويكون عتدهم للرضاعة لُحْمَةً كلحمية النسب، فوجب أن يحمل على النسب، وهو قوله ﷺ: «يُحْرَمُ من الرضاعة ما يُحْرَمُ من الولادة».

ولما كان الرضاع إنما صار مياً للتحريم بمعنى المشابهة بالأم - في كونها سبباً لقيام بنية المولود وتركيب هيكله - وجب أن يُعتبر في الإرضاع شيان:

أحدهما: أَقْدَرُ الذي يتحقق به هذا المعنى، فكان فيما أُقُول من القرآن: «عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَمْلُوءَاتٍ يُحْرِمْنَ»، ثم تُسَكَّنُ يخص معلومات، فَوُفِّي رسول الله ﷺ ومن صا يُقرأ في القرآن. أما التقدير، فإنه ثلثا كان المعنى موجوداً في الكثير دون القليل وجب عند التشريع أن يُضرب بينهما حد يُرجح إليه عند الاشتباه، وأما التقدير بعشرة، فلأن العشر أول حد تجاوزته العدد من الآحاد وتدرج في العشرات، وأول حد يُستعمل فيه جمع الكثرة ولا يُستعمل فيه جمع القلة. فكان نصيباً صالحاً لفظ الكثرة، المعتمد بها المؤثرة في بدن

(١) كلام المؤلف - رحمه الله - مما شوقني على سبيل التوضيح وغروب لفظ لا أكثر، وذلك أدبيل نوع أكثر من لتسود هذا النوع باب الرغبة في المحرمات من النساء ولم يُسَدَّ، ولأنه كالحاجة المحرم من ذلك الأمور شرعاً ولتدبره قدرة في العقل والنفس.

(٢) أي: أخلاط.

الإنسان، أما النسخ بغيره فلا احتياط، لأن لطفل إذا أُرِضَ خمس رضعات فزيرات يظهر الورق والفسارة على وجهه وبدنه، وإذا أصابه عوز^(١) اثنين في هذه الرضعات وذات المرضع غير ذات دُرٍّ، ظهر على بدنه الفحول^(٢) والهزال، وهذه آية لها سبب الشبهة وقيام الهيكل، وما دون ذلك لا يظهر أثره.

قال رحمه الله: «لا تُحرّم الرضعة والرضعنان، ولا تُحرّم الحمة والمستكن، ولا تُحرّم الإملاجة ولا الإملاجتنان».

وأما على قول من قال يُحرّم الكثير والقنير، فالسبب تعظيم أمر الرضاع وجعله كالنور بالخاصة كمثل الله تعالى في سائر ما لا يُدرك مثله حكمه.

والثاني أن يكون الرضاع في أول قيام الهيكل وتصبح صورة الولد، وإلا فهو غذاء بمنزلة سائر الأغذية المكاثرة بعد التشج وقيام الهيكل، كالأشاب يأكل الخبز. قال رحمه الله: «إنما للرضاعة من العجاجة»، وقال رحمه الله: «لا يُحرّم من الرضاع إلا ما فُقِد^(٣) الإساءة في الشيء، وكان قبل القطام».

ومنها الاحتراز عن قطع الرحم بين الأقارب، فإن الضرتين تتحاسدان، ويَحْتَرُ الغض إلى أقرب الناس منهما، والعهد بين الأقارب أوثق وأشد، وقد كره جماعات من السلف ابتي حرم لذلك، فما قُلْتُك بمرأتين أخيهما فَرَضْتُ ذِكْرَ حُرْمَتِ عليه الأخرى، كالأختين، والسرّة وعشمتها، والمرأة وخاتمتها وقد اعتبر النبي ﷺ هذا الأصل في تحريم الجمع بين بنت النبي ﷺ وبنت غيره، فإن العهد من الضرة واستشارتها من الزوج كثيراً ما يُشْعِرُ إلى بغيتها ويغض أهلها، ويغض النبي ﷺ ولو بحسب الأمور المعاشية يُغضِي إلى الكفر، والأصل في هذا الاحتراز، وبه النبي ﷺ بقوله: «لا يجمع بين امرأة وعشمتها» الحديث^(٤) على وجه المسألة.

ومنها المضاربة، فإنه لو جرت المشقة بين الناس أن يكون للام رغبة في دوج بنتها وتخرجها في حلات الأبناء وبناات نسايتهم، لأفصى إلى السمي في قتل ذلك الربط أو قتل من يشج به، وإن أنت تسعت إلى قصص تلمذ القارميين واستفوات حال أهل زمانك من الذين لم ينفذوا بهذه المشقة لراشدة وحدت أموراً عظيماً ومهاك ومظالم لا تُحصى.

(١) أي: يَحْتَرُ العهد على العظم.

(٢) أي: نفس.

(٣) أي: شق العهد العصبي، كقطع اللحم - ويوقع منه موضع لثقاء. وذلك أن يكون في وقت الرضاع، وقوله: «في الشيء» أي: كمثل ما به وماضياً منه. سواء كان بالارتضاع أو بالاحتذاء، وليس بشرط أن يكون الرضاع من الشيء.

(٤) تمامه: «ولا بين امرأة وخاتمتها».

وأيضاً فإن الاصطحاب في هذه القودية لازم، والستر معتدّر، والاحاسد شنيع، والحاجات من الجابين متنازعة، فكان أمرها بمنزلة الأمهات والبنات أو بمنزلة الأخنين.

ومنها العدد الذي لا يمكن الإحسان إليه في البشورة الزوجية، فإن الناس كثيراً ما يرغبون في جمال النساء، ويتزوجون منهن ذوات عدد، ويستأنثرون منها خطبةً ويتركون الأشر كالملققة، فلا هي مَرْجُوة خطبةً تُرَى عَيْنُهَا ولا هي أَيْمٌ يكون أمرها يدها. ولا يمكن أن يفتق في ذلك كل تصديق، فإن من الناس من لا يحصه فوج واحد، وأعظم المقاصد التناسل، والرجل يكفي لتلقيح⁽¹⁾ عدد كثير من النساء. وأيضاً فالإكثار من النساء شيمة الرجال وربما يحصل به المباهاة، فقدر الشاوخ بأربع، وذلك أن الأربع عدد يمكن لصاحبه أن يرجع إلى كل واحدة بعد ثلاث ليال، وما دون ثلثة لا يفيد فائدة النفس، ولا يقال في ذلك: بات بعدها، وثلاث أولى حد الكثرة، وما فوقها زيادة الكثرة، وقد نكح النبي ﷺ أن ينكح ما شاء، وذلك لأن ضرب هذا الحد إنما هو لدفع مفسدة غالية دائرة على قبطه لا لدفع مفسدة عينية حقيقية، والنبي ﷺ قد عرف المنيّة⁽²⁾ فلا حاجة له في المعينة، وهو مأمون في طاعة الله واستأن أمره دون سائر الناس.

ومنها اختلاف الدين؛ وهو لونه تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا الْمَشْرِكِينَ حَتَّى يُبَيِّنُوا﴾ [البقرة: الآية 217].

وقد بين في هذه الآية أن المصلحة الشرعية في هذا لتكتم هو أن صحة المسلمين مع الكفار وجربان المواصلة فيما بين المسلمين وبينهم، لا سيما على وجه الزواج، فليست للدين، وسبب لأن يذنب في قلب الكفر من حيث يشمر ومن حيث لا يشمر، وأن اليهود والنصارى يتفقدون بشريعة سماوية قائلون بأصول قوانين التشريع وكلبات، دون المجوس والمشركون، فمفسدة صحبتهم خفيفة بالنسبة إلى غيرهم، فإن الزواج قاهر على الزوجة قيم عليها، وإنما الزوجات هواناً بأعينهم، فإذا تزوج المسلم الكناينة خف الفساد، فمن حق هذا أن يرخص فيه ولا يشدد كشد يد سائر أخوات المالة.

ومنها كون المرأة أمةً لآخر، فإنه لا يمكن تحصين فرجها بالنسبة إلى سيدها ولا اختصاصها بها بالنسبة إليه إلا من جهة التضييق إلى دينه وأمانته، ولا جائز أن يشتد سيدها عن استئذانها واتخاها بها، فإن ذلك ترجيح أصعب المملكين على أتواعها، فإن ممالك مملكين، ملك الرتبة وملك البضيم، والأول هو لأغوى المشتمل على الآخر المستنيع له، والثاني هو الضميمة المنسرج، وفي اقتضاب الأدنى للأعلى نسب الموضع وعدم الاختصاص بها، وعدم إمكان ذب الطامع فيها هو أصل الزنا، وقد اعتبر النبي ﷺ هذا

(1) أي: جملة.

(2) أي: جمال.

الأصل في تحريم الأنكحة التي كان أهل الجاهلية يتعاملونها، كالاستبضاع وغيره على ما يئته عائشة رضي الله عنها، فإذا كانت فتاة مومنة بالله محضنة فرجها واشتدلت الحاجة إلى نكاحها، لمخافة العنت وعدم كزول الحر - عيب الفساد وكانت الضرورة - والضرورات تنجح المحظورات.

ومنها كون المرأة مشغولة بنكاح مسلم أو كافر، فإن أصل الزنا هو الإزدحام على الموطومة من غير اختصاص أحدهما بها وغير قطع طمع الآخر فيها، ولذلك قال الزهري رحمه الله عليه: يرجع ذلك إلى أن الله تعالى حرم الزنا، وأصاب الصحابة رضي الله عنهم سباباً وشجرجوا من خشيتها⁽¹⁾ من أجل أزواجهم من المشركين، فأنزل الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ لِبَهْوَ اللَّهِ﴾ [النساء: 29]

أي: فمن حلال من جهة أن السبي قاطع لطمعه، واختلاف الدار مانع من الإزدحام عليها، ووقعها في سهمه مخصوص لها به.

ومنها كون المرأة زانية مكتوبة بالزنا، فلا يجوز نكاحها حتى تتوب وتقطع عن فعلها ذلك، وهو قوله تعالى:

﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: 4]

والسر فيه أن كون الزانية في عصمتها ونحت يده وهي باقية على عادتها من الزنا مؤبرية وانسلاخ عن القطرة السالبة، وأيضاً فإنه لا بأس من أن تلجئ به ولد غيره.

ولما كانت المصلحة من تحريم المحرمات لا تتم إلا بجعل التحريم أمراً لازماً وحلماً جليلاً بمنزلة الأنبياء التي يستكشف منها طبعاً، وجب أن يؤكد شهرتها وشيوعها وقبول الناس لها بإقامة لائمة شديدة على إهمال تحريمها، وذلك أن تكون السنة قتل من وقع على ذات رحم مُحَرَّم منه بنكاح أو غيره، ولذلك بعث رسول الله ﷺ إلى من تزوج بامرأة أیه أن يؤذي برأسه.

❦ آداب التبشيرة ❦

اعلم أن الله تعالى لما خلق الإنسان مدنياً بالطبع، وتعلقت إرادته بقاء النوع بالتناسل وجب أن يرغب الشرع في التناسل أشد رغبة، وينهى عن قطع النسل ومن الأسباب المفضية إليه أشد نهى. وكان أعظم أسباب النسل وأكثرها وجوراً وأفضالاً إليه وأغنىها عليه هو شهوة الفرج، فإنها كالمسكط عليهم منهم، يقهرهم على ابتغاء النسل أفلاوا أم أبوا.

(1) أي: دخلها

وفي حريان الرسم بإتيان الغلمان ووجه النساء في أديارهن تغيير خلق الله، حيث منع الممسلّة على شيء من إفضاءه إلّا ما قصد به. وأشد ذلك كله وجه الغلمان، فإنه تغيير لخلق الله من الجنائين وأتت الرجال أتبع الخصال.

وكذلك حريان الرسم بقطع أعضاء التنسل واستعمال الأديرة القائمة للباءة والتبذل وغيرها، تغيير لخلق الله عز وجل وإعمال لطلب التنسل، فنهى النبي ﷺ عن كل ذلك. قال: «لا تكونوا النساء في أنهارهن ملعون من الله امرأة في غيرها، وكذلك نهى عن الخصال والتبذل في أحاديث كثيرة. قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي هِيَ سُبُلَ الْفُجُورِ ۖ إِنَّهَا سُبُلٌ مُبْتَلَاةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 222]

أقول: كان اليهود يضيّقون في هيئة الباشرة من غير حكم سماوي، وكان الأنصار ومن وبيهم يأخذون مشيهم، وكانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرِها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت هذه الآية، أي: أقبل وأدبر ما كان في حيتام⁽¹⁾ واحد، وذلك لأنه شيء لا يتعلق به المصلحة العائدية والعلمية، والإنسان أعرف بمصلحة خاصة نفسه. وإنما كان ذلك من تممّذات اليهود، فكان من حقه أن ينسخ.

وسئل رسول الله ﷺ عن العزل؟ قال: «ما عليكم إلا تفعلوا»⁽²⁾، ما من شئنة كلنة إلى يوم القيامة إلا وهي كلنة.

أقول: يشير إلى كراهية العزل⁽³⁾ من غير تحريم. والسبب في ذلك أن المصالح متعارضة، فالمصلحة الخاصة بنفسه في السبي مثلاً: أن يتزوّل، والمصلحة النوعية ألا يتزوّل لينحلق كثرة الأولاد وقيام النسل، والنظر إلى المصلحة النوعية أرجح من النظر إلى المصلحة الشخصية في عامة أحكام الله تعالى التشريعية والتكوينية. على أن العزل ليس فيه ما في إتيان الغير من تغيير خلق الله، ولا الإعراض عن التحريض للنسل، وبالله ﷻ يقول: «ما عليكم إن لا تفعلوا» على أن الحوادث مُفْتَرَةٌ قبل وجودها، وأن الشيء إذا قُدِّرَ ولم يكن له في الأرض إلا سبب ضعيف، فعز شئنة الله عز وجل أن يبيسط ذلك السبب الضعيف حتى يفقد غلده الثابت، فالإنسان إذا قارب الإنزال وأراد أن يتزوج ذكره كثيراً ما يتناظر من إحليله فطرات تكفي في مادة ولده وهو لا يدري، وهو سر قول عمر رضي الله عنه بلحق الولد بمن أقرأه معها لا يمنع من ذلك العزل.

(1) الصماء بالكسر: الفف أو المسك، وهو كناية عن الفرج، والقول أن الجماع مباح سواء كان من جلتى أو خفاه لم يخلف ما دلم في الفرج.

(2) أي: لا بأس عليكم في أن تملؤوا دلاء، والله، ولتختلف المرويات في تركب هذه الجملة، وهي مبسوطة في الشرح ولهذه خمسة: أي: بوج

(3) هو: إخراج الذكر قبل الإنزال ليكون الإنزال خارج الفرج

وقال رحمه الله: «قلت: نعم، إن النهي عن القيلة^(١) فغلطت في الروم وفارس هذا هم يفعلونه. ولولاهم فلا تضر أولادهم». وقال: «لا تقتلوا أولادكم سراً فإن السقيط يدرك فاعلموا قبيحتهم»^(٢).

أقول: هذا إشارة إلى كراهية القيلة من غير تحريم. وسببه أن جماع العرسع نفسه إليها وثيقة^(٣) البلد، وضعفه في أول كتابه يدخل في جذر مزاحه، وبين النبي ﷺ أنه أراد التحريم لكونه مظنة الغالب للضرر، ثم إنه لما استقرأ وجد أن الضرر غير مظهر وله لا يصلح للمظة حتى يدر عليه التحريم.

وهذا الحديث أحد دلائل ما أثبتناه من أن النبي ﷺ كان يحتج وأن اجتهاده سرعة المصالح والمفان وزادة التحريم والكراهية عليها.

قال رحمه الله: «إن من لئس نفس عند الله منزلة لرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها».

أقول: لما كان السر راجعاً وإظهاره ما أسبل عليه الشر قلباً قدود شرعه ومافاضاً لغيره، كان من مقتضا أن ينهي عنه. وثبناً لإظهار مثل هذه فجأة ووداعة، وإنباع مثل هذه الدواعي كيداً لنفس لينتج الأكران الظلمانية فيها.

وكانت العمل محزنة فيما يفعل بالحائض: فمن مشفق - كاليهود - يمنع مؤانستها ومضامتها، ومن متهاون - كالمجوس - يجزئ الجماع وغيره ولا يعدد للحيض بلاء، وكفى ذلك إفراط وتروط، فراغت البينة المصمومة التوسط فقال رحمه الله: «اصنعوا كل شيء إلا ذلك»^(٤). وذلك لعناد.

منها أن جماع الحائض لا سيما في غور حيضتها صدر، اتفق الأطباء على ذلك، ومنها أن مخالطة الجاسة خلط فاسد تمنع الطبيعة السليمة رغبته من النساء، وفي مثل الاستجماء حاجة، وإنما المقصود من ذلك إزالتها، وفي جماع الحائض العسر، استجماء، وهو قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَوَضَّأْ مِنَ الْمَيْمُونِ قَدْ فُوَّ أَدَى فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكَ فِي التَّجْوِيزِ﴾^(٥) (سورة البقرة: ٢٢٢).

واختلفت الرواية فيما دون الجماع، فبعض: سبى شعاً الدم، وقيل: ينهي ما تحت الإزار، وعلى الوجهين هو ساندواعي وجاء الأمر لمن عصى الله فجامع الحائض أن يتصدق بدينار أو نصف دينار. وهذا ليس بمجتنع عليه، وسر الكفارة ما ذكرنا مراراً.

(١) القيلة بالكسر: أن يجامع لرجل لمرأة وهي مرضعة وقوله: «لأن القيلة» أي: لأن الحيلة

(٢) من شعر العرس. وما منه

(٣) أي: يفضي

(٤) أي: الجماع.

❁ حقوق الزوجية ❁

اعلم أن الإرتباط الواقع بين الزوجين أعظم الارتباطات المنزلية بأسرها، وأكثرها نفعا، وأهمها حاجة إذ الشئ عند طوائف الناس - عربهم وعجمهم - أن نماونه المرأة في استيفاء الارتفاقات، وأن تشكفل له بتهينة المطعم والمشرب والملبس، وأن تُخزّن ماله، وتحضن ولده، وتقوم في بيته مقامه عند غيبته... إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى شرحه وبيانته، فذلك كان أكثر توجه الشرائع إلى إبقائه ما أمكن وتوفير مقاصده وكراهية تنقيصه وإبطائه. وكل ارتباط لا يمكن استيفاء مقاصده إلا بإقامة الألفة، ولا ألفة إلا بمشغال يقبضان أفضهما عليها ك: المراساة، وهو ما يفرّط من سوء الأدب، والاحتراز مما يكون سببا للفضائح ووسع الصدر، وإقامة المفاكهة، وطلاقة الوجه ونحو ذلك، فاقنعت الحكمة أن يرغبت في هذه المشغال ويحث عليها.

قال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فتهن خُلُفن من خُلُف، فإن ذعبت تليس كسرته وإن حرقت لم يزل أهوج».

أقول: معناه اقبلوا وميئي واصبلوا بها في النساء، إن في تحبتهن زوجاً وموئلاً، وهو كالأمر اللازم، يحتل ما يناوله الشيء من عاداته، وأن الإنسان إذا أراد استيفاء مقاصد المنزل منها لا بد أن يجاوز عن محظرات الأمور ويكظم الخبط فيما يجده خلاف هواه، إلا ما يكون من باب الضرورة المحمودة وتداركاً لحوادث ونحو ذلك.

وقال ﷺ: «لا يفرّق⁽¹⁾ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها الأخر».

أقول: الإنسان إذا كره منها خلقاً ينبغي ألا يبادر إلى الطلاق، فإنه كثيراً ما يكون فيها خلق آخر يُستطاب منها، ويتحمل سوء عشرتها لذلك.

وقال ﷺ: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم⁽²⁾ أحداً كنزعهن، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح⁽³⁾، وإن طعنن فما لم يخطئ فليس عليه ضرب، وإن طعنن فما لم يخطئ فليس عليه ضرب».

اعلم أن الواجب الأصلي هو المباشرة بالمعروف، وهو قوله تعالى:

(1) قوله لا يفرّق يعني كما في القاموس: يفرض له الزوجين الآخر أي لا يلهي لرجل أن يفضّل لها غيره منها مكرهاً، لأنه إن كره شيئاً رضي غيره، فليقبل هذا بذلك.

(2) هو كلمة من الفصحى تعبر عليها بالفتنة، والمحدث بين وليس المراد من هذه الفرض لمرأة لا أنه يحرم في كل حال ولا يخطئ لغيره الشرب بل أنه لا يخطئ.

(3) مبرح أي: شديد.

قال ﷺ: «ليس منا من خَبَّيَ⁽¹⁾ امرأة على زوجها أو عبداً على سيده».

أقول: أحد أسباب فساد تدبير المنزل أن يخبى إنسان امرأة أو العبد، وذلك سعي في تنقيص هذا النظم وفككه ومناقضة للمصلحة الواجب إقامتها.

واعلم أن من باب فساد تدبير المنزل خصالاً فاسدة في الناس، كثير المبتلون بها، فلا بد أن يتعرض الشرع لها ويبحث عنها.

منها أن يجتمع عند رجل عدد من النسوة، فيقبل إحداهن في القسم وغيره ويظلم الأخرى ويتركها كالمملقة. قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ لَرَأَيْتُمْ أَيْدِيَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَكُلَّ حَرْصَةٍ مِمَّا كُنْتُمْ تَحْسَبُونَ﴾⁽²⁾ كَأَنَّهُمْ شُرَاطِقٌ لَا يَتَذَكَّرُونَ لَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا غَافِرِينَ رَجِيمِينَ﴾ [نساء: الآية 129].

قال رسول الله ﷺ: «لما كانت عند الرجل امرأتان فلم يعمل بينهما جاء يوم القيامة وشقه سقسقاً».

أقول: قد مر أن المجازاة إنما تظهر في ضرورة العمل، فلا نعيده.

ومنها: أن يعضلوا الأولياء عمن يرغب فيهم من الأقفاء اتباعاً لما صفة نفسانية، من حقد وعصب ونحوهما، وفي تلك من المفسدة ما لا يخفى، فنزل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَنَافِقَهُمْ فَهُمْ يَنفِرُونَ مَعَهُمْ فِي كُفْرٍ أَوْ يَتَّبِعُونَ مَعَهُمْ فِي إِيمَانٍ﴾ [مجادلة: الآية 23].

ومنها أن يتزوج البتامة اللاتي في حجره إن كن ذوات مال وجسمال، ولا يفي بسقوتهم مثل ما يصنع بذوات الآباء، ويتركن إن كن على غير ذلك، قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ لَرَأَيْتُمْ أَيْدِيَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَكُلَّ حَرْصَةٍ مِمَّا كُنْتُمْ تَحْسَبُونَ﴾⁽³⁾ كَأَنَّهُمْ شُرَاطِقٌ لَا يَتَذَكَّرُونَ لَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا غَافِرِينَ رَجِيمِينَ﴾ [نساء: الآية 129].

فهو الإنسان إن خشي العجز أن يتكح البتامة، أو يتكح ذوات عدد من النساء.

ومن السنة إذا تزوج البكر على امرأة: أقام عليها سبعاً ثم قسم، وإذا تزوج الثيب: أقام عندها ثلاثاً ثم قسم.

أقول: السر في هذا أنه لا يجوز أن يُضَيَّقَ في هذا الباب كل التضيق، فإنه لا يطبقه أكثر أفراد الإنسان، وهو قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ لَرَأَيْتُمْ أَيْدِيَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَكُلَّ حَرْصَةٍ مِمَّا كُنْتُمْ تَحْسَبُونَ﴾ [نساء: الآية 129].

به على أنه لما لم يكن إقامة العبد المصراع وحسب أن يدار الحكم على ترك الجور

(1) أي خدع وقصد.

الصريح، قد رغب رجل في امرأة وأعجبه حسنُها وشغفت قلبه جمالُها وكان له رغبة وأفوه إليها، لم يمكن أن يُعْطَى من ذلك بالكيفية؛ لأنه كالتكليف بالعمتنع، فقدر له مقدار استنفاؤه لها، لنلا يزيد فيقتحم في أجور. وأيضاً فمن المنصحة المعتبرة تأليف قلب الجديدة وإكرامها، ولا يحصل إلا بأن يستأنس، وهو إيماء قوله ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها⁽¹⁾: طيب قلبك على أهلِكَ هؤلاء، إن شئتَ سَبَقْتُ. الحديث. وأما كسر قلب القديمة فقد عولج بحريان السنة بإثباتها للجديدة، فإنه إذا جرت السنة شيء ولم يكن مما قصد به إيقاد أحد أو مما خص به، كان وقته عليه، وهو إيماء قوله تعالى:

﴿رَبِّىَ مَنْ فَتَنَّا بِهِتَمْ وَيَتَوَقَّعُ إِلَيْكَ مِنْ فَتْنَةٍ﴾ [الحزب: الآية ٥١]⁽²⁾.

يعني نزول القرآن بالخبرة في حُكْم سبب زوال السطة بانسبة إليه ﷺ، والبكر الرغبة فيها ثم والحاجة إلى تأليف قلبها أكثر، فيجعل قدرُها السبع وشدُّ الشبِّ الثلاث. وكان ﷺ يُقَسِّمُ بين، وإذا أراد سفراً أفرج بين نسائه.

أقول: وذلك دعاءً لزعزعة العبد. والظاهر أن ذلك منه ﷺ كان تبرعاً وإحساناً من غير وجوب عليه، لقوله تعالى: ﴿رَبِّىَ مَنْ فَتَنَّا بِهِتَمْ وَيَتَوَقَّعُ إِلَيْكَ مِنْ فَتْنَةٍ﴾ [الحزب: الآية ٥١]. وأما في خبره⁽³⁾ فموضح تأثر واجتهاد، ولكن سهر السقاء أو جوا النفس واختلاف في المقرة.

أقول: وفيه أن قوله ﷺ: «قله يعدل» مُجْعَلٌ لا ملو، أي عدل أريد به، وقوله تعالى: ﴿تَقْدَرُ عَلَيْكَ فَتَنَةٌ﴾ [النساء: الآية ١٥] يُبَيِّنُ أن المراد في أجور التفاحش وإهمال أمره بالكيفية وسوء المشورة معها.

وأعطت مبرة وكان زوجها عبداً، فخبرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها. أقول: السبب في ذلك أن كون المرأة فراشاً للعبد عارٌ عليها، فوجب دفع ذلك العار عنها إلا أن ترضى به.

وأيضاً فالأمة تحت يد مولاهما ليس رضاها⁽⁴⁾ رضى حقيقياً، وإنما الكناح بالثامني، فلما أن كان أمرها بيدها وجب ملاحظة رضاها.

(1) أي حين نزولها، وقوله: «ليس لك على أهلِكَ»، إلخ، أي ليس لمسيل مثله على نفسه أو على مدينته. أي ليس التفسيري على الثلاث لهؤلاء على وعدم رغبتي فيها، بل حكم الشرع كذلك، رضام المصنوع فإن شئتَ سَبَقْتُ عني، وسبعت عدي، وإن شئتَ فقلت عني ومرت، قلت غُت.

(2) ﴿رَبِّىَ﴾ أي: تؤخر ﴿مَنْ فَتَنَّا﴾ من لزوجته عن موثقتها وقوي في نفسه ﴿وَيَتَوَقَّعُ إِلَيْكَ مِنْ فَتْنَةٍ﴾ ففتنته في غير نرسها.

(3) أي: لما في حقه غير التنبه ﷺ.

(4) أي: بالتنازع.

وفي رواية: «إلى قوتله فلا خيار لك». وذلك لأنه لا بد من ضرب حد بشيء إليه الخيار، وإلا كان لها الخيار طول عمرها، وفي ذلك قلب موضوع الكاح، ولا يصح احتياؤها إياه بالكلام حدًا ينتهي إليه، لأنها ربما تشاور أهلها وتقلب الأمر في نفسها، كثيراً ما يجري عند ذلك حيلة الاختيار وإن لم تجزم به، وفي إلجائها ألا تنكحه بمنها حرج، فلا أحق من المريان، إذ هو قائدة الجاه والشيء الذي يقصد منه والأمر الذي يتم به، والله أعلم.

الطلاق

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة امرأة ساءت زوجها طلاقاً من خير ولمن^(١) لمحرم عليها واحدة الجنة». وقال ﷺ: «يلغى الحلال إلى الله الطلاق».

اعلم أن في الإكثار من طلاق وحرمان الرسم وعدم المسالة به مفسدة كبرى، وذلك أن أناساً يتجاوزون شهوة الفرج، ولا يفتدرون إقامة تدبير المنزل ولا التمازج في الارغاقات ولا تحصيل الفرج، وإنما يصح أبصارهم الطلقة بالنساء، وفوق ذلك كل امرأة، فيبغضهم ذلك أن يكثروا طلاق والنكاح، ولا فرق بينهم من الزناة من جهة ما يرجع إلى غرضهم وإن تعبروا عنهم بإقامة سنة النكاح والموافقة لمساواة المدينة، وهو قول ﷺ: «لعن الله الفراقين، والفراق^(٢)».

وأيضاً ففي حرمان الرسم بذلك زعمال لتوطئ النفس على المعاونة المتابعة أو شبه الدائمة، وعسى أن فتح هذا الباب أن يصر صدره أو صدرها في شيء من معقرات الأمور فيبدعان إلى الفراق، وأين ذلك من احتمال أعيان^(٣) لصعوبة، والإجماع على إداعة هذا النظم^٤.

وأيضاً فإن اعتمادهم بذلك وعدم مسالة الناس به وعدم حزنهم عليه يخرج باب الوفاة، والآ يحنل كل منهما صرر الآخر صرر غدا، وأن تكون كل واحد الآخر يمهّد نفسه إن وقع الافتراق، وفي ذلك ما لا يخفى.

ومع ذلك لا يمكن منه هذا الباب والتضييق فيه، فإنه قد يصير الزوجان متشاورين، إما لمسه خنقهما، أو لطوح عين أحدهما إلى حسن إنسان آخر، أو لضيق حبشتهما، أو

(١) أي شدة وشدة.

(٢) أي من أسرع من نكاح والطلاق من توجال والتماء.

(٣) أي لثقال.

والسر في جعل الطلاق ثلاثاً لا يزيد عليها أنها أول حد الكثرة، ولأنه لا بد من تزوّج، ومن الناس من لا يتبين له المصلحة حتى يذوق فحشاً. وأصل الشجرة واحدة، وبكثرتها ثتان.

وأما اضطرار النكاح بعد الثالثة فلتنحط عن معنى التحديد والإنهاء وذلك أنه لو جاز وجوعها إليه من غير تخطئ نكاح الآخر كان ذلك بمنزلة الترجعة، فإن نكاح المطلقة إحدى الترجعتين، وإذا المرأة ما دامت في بيته وتحت يده وبين أهلها أقاربه يمكن أن يُعَلِّب على رأيها وتضطّر إلى رضا ما يسولون لها، فإذا فارقتهم وذاقت الخُرّ والفقر ثم رُضِيَ به بعد ذلك، فهو حيلة الرضى.

وأيضاً: فيه بذقة الفقد ومعاودة على الشاع داعية الضجر من غير تزوّج مصلحة مهمة. وأيضاً: فيه إعظام المطلقات الثلاث بين أعينهم وجعلها بحيث لا يُبادر إليها إلا من زُهِنَ نَفْسٌ على ترك القطع فيها إلا بعد ذل وإرغام أُنْفٍ لا مزيد عليه.

وقال رحمه الله لامرأة رافعة - حين طلقها تَبَتْ طلاقها فنكحت زوجاً غيره - : «تريدان أن ترجعي إلى رافعة؟» قالت: نعم، قال: «لا، حتى تنقوي غشيتك وينقو عسيلك»⁽¹⁾.

أقول: إنما شرط تمام النكاح بدوق الغشقة ليُتحقق معنى التحديد الذي حُصِرَ عليهم، فإنه لو لمَّا ذلك لا احتال رجل بإجراء صيغة النكاح على اللسان ثم يُطْلَقَ في المجلس، وهذا ساقطة لفائدة التحديد.

ولمن رسول الله ﷺ المُخْطَلِّ والمُخَذَّلُ له.

أقول: تشا كان من الناس من ينكح لمجرد التحليل من غير أن يقصد منها تعاوناً في المعيشة، ولا يتم بذلك المصلحة المقصودة، وأيضاً فيه وقاحة وإهمال لغيرة وتسيخ الزحام على الموطوءة من غير أن يدخل في تضاعيف المعارفة، كُفِيَ عَنهُ.

وطلق عبد الله بن عمر رضي الله عنه امرأته وهي سائض، وذكر ذلك عمرٌو لِنَبِيِّ ﷺ، فتعبد وقال: «ألمراجعها، ثم ليسسكها حتى تطهر، ثم تبيض، ثم تطهر، فلن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسيها».

أقول: أسر في ذلك أن الرجل قد يعرض المرأة بغضة طبيعية، ولا طاعة لها⁽²⁾، مثل كونها حائضاً وفي هيئة رثّة، وقد يفتنها لمصلحة يحكم بإقامتها المعقل السليم مع وجود

(1) المسئلة تستفیر العسل وهي كزبرة من لذة الجماع وضع: أن الجماع ٤ بد منه في التحليل ولا يشترط الإقرار بل يكفي تجبيرة تحشفة.

(2) جملة معترضة، أي البغضة الطبيعية ليس لها أن تعاق.

الرغبة الطبيعية، وهذه^(١) هي الشبهة، وأكثر ما يكون، النظم في الأول، وفيه يقع التراجع، وهذا داعية يتوقف عليها تجنب النفس على إهمالها وترك اتباعها، وقد يشبه الأمران على كثير من الناس، فلا بد من ضرب سد يمتنع به الفرق، فجعل القهْر مَقْلَةً للرغبة الطبيعية، والمحبس مَقْلَةً للبغضة الطبيعية، والإندام على الطلاق على حين رغبة فيها مَقْلَةً للمصلحة العقلية، واتباع مدة طويلة على هذا الخاطر مع تحول الأحوال من حبس إلى طهر ومن دناءة إلى زينة ومن انقباض إلى اتساع، مَقْلَةً لتحتل الصراع والتدبير الخافض، فلذلك كثرة الطلاق في الحبس، وأمر بالمراجعة وتخلل حبس جديد. وأيضاً فإن طللها في الحبس، فإن حُلَّتْ مدة الحبس في المدة انتقصت مدة المدة، وإن لم تمت نضرت المرأة بطول المدة، سواء كان المراد بالفروج، الأظهار أو الحبس، ففي كل ذلك مناقضة لتحدد الذي ضربه الله في محكم كتابه من ثلاثة فروء.

وإذا أمر أن يكون الطلاق في الطهر قبل أن يمسها لمعين: أحدهما بقاء الرغبة الطبيعية فيها، فإنه بالجماع تعتبر منوّة الرغبة.

وثانيهما أن يكون ذلك بعد من اشتبه الأنساب.

وإنما أمر الله تعالى بإشهاد شاهدين على الطلاق لمعينين. (أحدهما: الاهتمام بأمر الفروج، لئلا يكون نظم تدبير المنزل ولا فُتْهُ إلا على أعين الناس.

والثاني الا تشبه الأنساب، وألا يتواضع الزوجان من بعد فيهما الطلاق، وإله أعلم.

وكره أيضاً جمع الطلقات الثلاث في طهر واحد، وذلك لأنه إهمال للحكمة الشرعية في شرع نفيها، فإنها شرعت لبتدأوك المنوط، ولأنه تضييق على نفسه وتعرض للندامة. وأما الطلقات الثلاث في ثلاثة أظهار فأيضاً تضييق ومظنة لندامة. غير أنها أخف من الأول من جهة رجوع التروّي والمدة التي تتحول فيها الأحوال، ووُثِّ الإنسان تكون مصلحته في تحريم المختلط.

❦ الخلع، والظهار، والمعان، والإيلاء ❦

اعلم أن الخلع فيه شناعة ما؛ لأن الذي أعطاه من المال قد وقع في مغالبة الميس^(٢) وهو قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلَيْهِ﴾ [نساء: ٢١]

(٢) أي الجماع.

(١) أي البغضة.

ويطلبه المفعولاء، وهو من خواص نوع الإنسان وما امتاز به من سائر الحيوان، وهو المصلحة المرجية في باب الاستبراء.

ومنها التنويه بخدمات أمر النكاح، حيث لم يكن أمراً منتظماً إلا بجمع رجال، ولا يُنفك إلا بانتظار طويل، ولولا ذلك لكان بمنزلة لعب الحيوان، ينتظم ثم يفك في الساعة.

ومنها أن مصالح النكاح لا تتم حتى يوثقاً أنفسهما على إدامة هذا العقد ظاهراً، فإن حدث حادث يوجب فك النظام لم يكن بُدّ من تحقيق صورة الإدامة في الجملة، بأن تبرع مئة تجد لتبرعها بالأل، وتقاضي لها عتاء.

وعلة المطلقة ثلاثة قروء، فقيل: هي الأظهار، وقيل: هي الحيض.

وعلى أنها ثلث: فالسر فيه أن الشهر محل رغبة كما ذكرنا، فجعل تكرارها عدة لازمة ليرتوي السروري، وهو قوله **يُفَكُّ** في صفة الطلاق: وانتكح مئة التي لم ير الله بالطلاق فيها.

وعلى أنها حيض: فالحيض هو الأصل في معرفة عدم الحمل.

فإن لم تكن من ذوات الحيض - لصغر أو كبر - فتقوم ثلاثة أشهر مقام ثلاثة قروء، لأنه مظنها، ولأن براءة الرحم ظاهرة، وسائر المصالح تتحقق بهذه المدة.

وفي الحامل: انقضاء الحمل، لأنه مَعْرُوفُ براءة رحمها.

واعتوني عنها زوجها تبرع أربعة أشهر وعشر، ويجب عليها الإحصاء في هذه المدة، وذلك لوجوه:

احداً أنها لما رجب عليها أن تبرع، ولا تنكح ولا تُخطب في هذه المدة، حفظاً لنسب المتوفى عنها، اقتضى ذلك في حكمة السياسة أن تؤمر بشرك الزينة، لأن الزينة تهيج الشهوة من الجانبين، وحيجانها في مثل هذه الحالة مفسدة عظيمة.

وأيضاً: فإن من حسن الوفاء أن تعزل على ففده، وتصير **ثِقَلَةً** ^(١) شعبة، وأن تُجَدَّ عليه، فذلك من حسن وفائها وتحقيق معنى نصر بصرها على ظاهراً.

ولم تؤمر المطلقة بذلك ^(٢) لأنها تحتاج إلى أن تتزين ليرغب زوجها فيها ويكون ذلك دعوة في جمع ما افرق من شملها، ولذلك اختلف العلماء في المطلقة ثلاثاً: هل تتزين أم لا؟ فمن ناظر إلى الحكمة، ومن ناظر إلى عموم لفظ المطلقة.

وأما **عِنَ** ^(٣) في عتائها أربعة أشهر وعشراً لأن أربعة أشهر هي ثلاث أربعات، وهي

(١) أي غير متطية، وقوله: شعبة أي مغيرة لولم.

(٢) أي: الإحصاء.

(٣) أي: الشارع.

وقوله: في عتائها أي: المتولى عنها زوجها.

مدة تُنْفَع فيها الروح في الجنين، ولا يتأخر عنها سعة الجنين غالباً، وزيد عشر لظهور تلك الحركة.

وأيضاً: فإن هذه السدة تعف مدة الحمل الممتدة، وفيه يظهر الحمل بأي الرأي بحيث يعرف كل من يرى.

ولما شُرِّع عدة المطلقة فروعاً وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً لأن هنالك^(١) صاحب الحق قائم بأمره يُنظر إلى مصلحة النسب، ويعرف بالمخاين والقرينة، فجاز أن تؤمر بما تختص به وتؤمن عليه، ولا يمكن للناس أن يعلموا منها إلا من جهة خبرها، وهذا ليس صاحب الحق موجوباً وغيره لا يعرف باطن أمرها، ولا يعرف مكانها كما يعرف هو، فوجب أن يجعل عدتها أمراً طامراً يتساوى في تحقيقه الأقرب والبعيد، ويعتق الخفي، لأنه لا يمتد إلى الظاهر علاناً وداناً.

قال رحمه الله^(٢): «لا توطأ حامل حتى تضع، ولا تغير ذك حمل حتى تحيض»^(٣)، وقال رحمه الله^(٤): «كيف يستخضع» وهو لا يحل له؟ أم كيف يورثه وهو لا يحل له؟.

أقول: سر في الاستبراء معرفة براءة الرحم وألا تختلط الأنساب، فإذا كانت حاملاً فقد دلت التجربة على أن الولد في هذه الصورة يأخذ شهنت: شبهة من خلق من دمه وشبهة من جامع في أيام حملها، يبرز ذلك أثر عمر رضي الله عنه، وهو إسمه قوله رحمه الله^(٥): «لا يجل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماله لزدج غيره».

وغرته عليه الصلاة والسلام: «كيف يستخضع» إلخ، معناه أن الولد الحاصل بعد جماع الحبل، فيه شبهة، لكل شبهة حكم يتأقضى بحكم الشبه الآخر، فشبّه الأول بحبل الولد عيناً، وشبه للثاني بحبله ابنه، وحكم الأول الرق ورجوب الخدمة عليه لمولاه، وحكم الثاني تحريره واستحقاق الميراث، فلما كان الجماع سبب التباس أحكام الشرع في الولد نهى عنه، والله أعلم.

(١) أية في المصلحة. (٢) أي: هي سبيلها ليرسل.

(٣) أي: كلفه.

(٤) من رحمه الله بمرأة حامل مسائل عنها فقالوا: أمة خلان، فقال: «أيها الصبيان فكلوا لحمي، قل: الله صمد أن لهته لغتاً يخلع معه في قبره، كيف يستخضع» إلخ، وحاصله: أنه إذا وطئته ثم جامعته فولد لغيره، يحتمل فيه أن يكون من الولد ومن زوجها الأول، فإن قر لغيره بالنسب يكون ميراثاً وله الغير وهو لا يحل. وإن كان للزوجة فإن لم يقد به بين غلاماً ويولم منه استخدام الولد ويقطع النسب، وهو أيضاً لا يخل فيجب عليه ألا يباعه جبراً من لزوم له المصروف من اللازم من اعتلائه المدة.

تربية الأولاد والمماليك

علم أن النسب أحد الأمور التي تجل على محافظتها البشرية، فمن تولى نسباً في إقليم من الأقاليم المصالحة لنسب الناس إلا وهو يجب أن ينسب إلى أبيه وحده، ويكره أن يتقدم في سببه إبهما، اللهم إلا لغرض، من دماء النسب، أو غرض، من دفع ضرر أو جلب نفع ونحو ذلك، ويجب أيضاً أن يكون له أولاد ينسبون إليه وتقومون بعدد مقامه، فربما اجتهدوا في الاجتهاد، وذاقوا طائفهم في طلب الولد، مما اتفق طوائف الناس على هذه النتيجة إلا لعمري من جيلتهم، وبني شرايع الله على إبقاء هذه المقاصد، فلي تحري سعري الجيلة وتجري فيها المناقشة والمشاورة والاستفتاء لكل ذي حق منه، والنهي عن الظلم فيها، لذلك يجب أن يبحث الشارع عن النسب.

قال **الشيخ**: «هناك للفوضى والمعاملة ^(١) المحرم». فنقل: معناه الرجم، وقيل: الخيبة.

أقول: كان أهل الجاهلية يشغون الولد بوجوه كثيرة لا تصححها قوانين الشرع، وقد بينت بعض ذلك ^(٢) مما شئت رضي الله عنها، فلما بعث النبي ﷺ سد هذا الباب وخيب المأمر، وذلك لأن من المصالح الضرورية التي لا يمكن بقاء بني نوع الإنسان إلا بها اختصاص الرجل بأمرائه، حتى ينفذ باب الإحسان على المولودة رأساً، ومن يقتضي ذلك أن يخيب من عصى هذه السنة المأثرة وابتغى الولد من غير اختصاص؛ إغماً لأسفه وازدوا بأمره وزجره، أنه أن يقصد مثل ذلك، وإلى هذا الإشارة في قوله عليه السلام: «المعاملة المحرم» إن أريد معنى الخيبة، كما يقال: بيده المأثرة، وبه الحجر. وأيضاً فإذا تزوجت الحفوة وأدعى كل لنفسه، ويجب أن يرجع من يمتك بالحجة الظاهرة المسموعة عند جماهير الناس، والذي يمتك بما يزيد اللائمة عليه، ويفتح باب صرب الحد، أو يعترف فيه بأنه عصى الله، وكان مع ذلك أمراً خفياً لا يعلم إلا من جهة قوله، فمن حق ذلك أن يحجر ويحمل. وقد اعتبر النبي ﷺ مثل هذا المعنى حيث قال: في قصة العاتق: «إن كثرت عليه فهو ^(٣) بعد لله» وإلى الإشارة في قوله: «والمعاملة المحرم» إن أريد معنى التزجيم بالحجارة.

قال **الشيخ**: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فحقة عليه حرام».

أقول: من الناس من يقصد مقاصد دينية، فيورع عن أبيه ويتنسب إلى غيره، وهو

(١) أي المأثرة: لا بد.

(٢) أي المأثرة.

(٣) أي بعد المحرم أي بعد، والمحدث من بني الطلاق.

ظلم وعفوق، لأنه تخبب أبيه، فإنه طلب بقاء نسله المنسوب إليه المتفرع عليه، وترك شكر نعمته وإساءة ماله وأيضاً فإن النصرة والمعاونة لا بد منها في نظام الحي والحياة، ولو فتح باب الانتفاء من الأب لأعملت هذه المصلحة ولا اختلطت أنساب القبائل، وقال عليه السلام: «فيها امرأة اتخذت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، وإن يُخلها لك الجنة، وفيما رجل جعد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضضه على رؤوس الخلائق».

أقول: لما كانت المرأة مؤنسة في المدة ونحوها مأمورة إلا قليل عليهم أنسابهم، وجب أن تُرُكِبَ في ذلك، وإنما عرفت على هذا لأنه سمي في إبطال مصلحة العالم ومناقضة لها في جملة النوع، وذلك جالب بغض العلا الأعلى حيث أمروا بالدعاء لصالح النوع. وأيضاً ففي ذلك تحبيب لولده وتضييق وحمل لنقل الولد على آخرين، والرجل إذا أنكر ولده فقد عرّضه للذل الدائم والعار الذي لا ينتهي، حيث لا نسب له، وأضاع نسب، حيث لا منفق عليه، وهو يشبه قتل الأولاد من وجه، وعرض والنسب للذل الدائم والعار الباني طرق الدهر.

العقبة

واعلم أن العرب كانوا يمتنون من أولادهم، وكانت العقبة امرأة لازماً عندهم وسنة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة راجعة إلى المصلحة الجلية والعقبة والنفسانية، فأبقاها النبي صلى الله عليه وآله وعمل بها ورغب الناس فيها.

فمن تلك المصالح التلطف بإشاعة نسب الولد، إذ لا بد من إشاعة ثلث بقال ما لا يحبه، ولا يحسن أن يلوح في السكت فتادي إنه وُلِدَ لي ولد، فتعزّز التلطف بمثل ذلك. ومنها اتباع داعية السخاوة وعصيان داعية الشح.

ومنها أن النصارى كان إذا وُلِدَ لهم ولد صغوه يماء أصغر يسْمُوهُ المعمودية، وكانوا يقولون: يصير الولد به نصرانياً، وفي مشكلة هذا الاسم نزل قوله تعالى:

﴿يَسْتَفْتِيكَ لَهُمْ وَيَقُولُ مَنْ نَنْسُبُهُ بِالنَّارِ أَفَكُم بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فاستحب أن يكون للحنيفيين فعل عازاء فعنهم ذلك يُشْعَرُ يكون الولد حنيفاً تابعاً لملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأشهر الأفعال المختصة بهما المتوارثة في فريعتهما ما وقع له عليه السلام من الإجماع على ذبح ولده، ثم نسعه الله عليه أن خذاه بذبح عظيم، وأشهر شرائعهما الحج، الذي فيه الملقح والذبح، فيكون التشبه بهما في هذا كتوبتهما بالملة الحنيفة ولذا، أن الولد قد قيل به ما يكون من أعمال هذه الملة.

ومنها أن هذا الفعل في مده ولادته يُخَيَّلُ إليه أنه بذل ذاته في سبيل الله كما فعل إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك تحريث سُلْطَةِ الإحسان والانقياد كما ذكرنا في السعي بين لصف والمروة.

قال رحمته ^(١): «مع الغلام عقيقة، فامرئيتو عنه ثماً وأعطوا عنه الأثني، وذلك بالحق، بالغلام مرتين» يعقيقه، يبتع عنه يوم السابع ويسمى ويحلق.

أقول: أما سبب الأمر بالعقيقة فقد ذكرنا، وأما تخصيص اليوم السابع فلا بد من فصل بين الولادة والعقيقة، فإن أهله مشغولون بإصلاح الوالدة والولد في أول الأمر، فلا يكثفون حينئذ بما يضاعف شغلهم، وأيضاً فربُّ إنسان لا يجد ثاءً إلا بسعيه، فلو سن كونها في أول يوم اضاق الأمر عليهم، والصحة أهام مدة حالته للفصل المعتد به غير الكثير، وأما إعاطة الأذى فلتشبهه بالحاج، وقد ذكرنا، وأما النسبة فلأن الطفل قبل ذلك لا يحتاج أن يُسَمَّى.

وعن رسول الله ﷺ عن الحسن بنائه، وقال: «بأخاطبة أهلكي رأسه، ونصفتي بوزنه شعره فضة».

أقول: السبب في التصرف بالفضة أن الولد لما انتقل من الجنبية إلى القلعية كان ذلك لعملة يجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر ما يُؤَدُّ ^(٢) أنه بمؤثته، فلما كان شعر الجنبية بمثابة النشأة الجنبية وإزائه أمانة للاستقلال بالنشأة القلعية وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غني، رسائل المتاع ليس له يال مرة شعر المولود.

وأذن رسول الله ﷺ في أذن الحسن بن علي حين ولده فاضة بالصلاة ^(٣).

أقول: السر في ذلك ما ذكرنا في العقيقة من المصلحة النجبية، فإن الأذان من شعائر الإسلام وأعلام الدين التحمدي، ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان، ولا يكون إلا بأن يُضَوَّتْ به في أذنه، وأنصاً فقد عمت أن من خاصية الأذان أن يَهْرُ منه الشيطان، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته، حتى ررد في الحديث: «إن استهلكه فلك».

قال رحمته ^(٤): «عن الغلام شلتان وعن الجارية شاة».

(١) أي: كالشعر المرموق لا يتم الانتهاء والاستشاح به دون فكه، ويستعمل أنه أود بفلك أن سلامة المرموق ونشوءه على فكه لمسيوب رغبة بعقيقة، وهذا هو المعنى.

(٢) أي: يُضَوَّتْ.

(٣) أي: بالثاء.

أقول: يستحب لمن وجد الشاين أن يستأجر^(١) بهما عن القلام، وذلك لما عندهم من
الذكرا أنفع لهم من الإناث، فاست زيادة الشكر وزيادة الثنوية به.

قال عليه السلام: أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن.

اعظم أن أعظم الدعا من الشرعية أن يدخل ذكر الله في تضايف أوتفاقاتهم
الضرورية، ليكون كل ذلك أنسنة ندعو إلى الحق، وفي تسمية المولود بذلك إشعار
بالتوحيد. وأيضاً فكان العرب وغيرهم يسمون الأولاد بمن يعبدونه، ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم
مقياً تراسم التوحيد وجب أن يسمي قوماً تسمية أيضاً مثل ذلك، ولما كان هذان الأسماء
أحب من سائر ما يضاف فيه العبد إلى اسم من أسماء الله تعالى لانهما أشهر الأسماء ولا
يطلقان من غير تعالى، بخلاف غيرهما. وأنت تستطيع أن تعلم من هذا سر استحباب
تسمية المولود بمحمد وأحمد، فإن طوائف الناس أوتعوا بتسمية أولادهم بأسماء أسلافهم
المعظمين عندهم، وكان يكون ذلك تنويهاً بالدين وبمنزلة الإقرار بأنه من أهله.

وفإن عليه السلام: ولخني الأسماء^(٢) يوم القيامة عند الله رجل يَمْنَعُ ملك الأملاك.

أقول: السب فيه أن أصل أصول الدين هو تعظيم الله وألا يُسَوَّى به غيره، وتعظيم
الشيء مساوق لتعظيم اسمه، ولذلك وجب ألا يسمي باسمه، ولا سيما هذا الاسم لذلك
على أعظم التعظيم.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ رَضِيتُ لِيُؤَلِّقُوا حَبْلَهُمْ﴾ [سورة الزمعة 233]

أقول: لما توجهت زيادة الله تعالى إلى إبقاء نوع الإنسان بالإنسان وجري بذلك
قضاؤه. وكان الولد لا يعيش في العادة إلا تعاون من الوالد والوالدة في أسباب حياته،
وذلك أمر جليل خلق الناس عليه بحيث يكون عصيانه ومخالفته نعيماً لخلق الله وسبباً في
نقض ما أوجبه الحكمة الإلهية، وجب أن يبحث الشرع عن ذلك ويرزق عليها ما يفسر
ويتأمن منهما، والتعيس من الوالدة أن تُرْهِق وتُحْفَظ، فوجب عليها ذلك، والمتمسر من
الوالد أن يُفَنِّق عليه من قوله ويُفَنِّق عليها، لأنه حَسَبُها عن المكاسب وشغلها بمضانة ولده
ومعانة التعب فيها، فكان المثل أن تكون كفايتها عليه. ولما كان من الناس من يستعجل
الخطام وربما يتكون ذلك ضاراً بالولد، أخذ الله له حلاً تغلب السلامة عنده، وهو حولان

(١) أي: يبتاع.

(٢) أي: التمشية، ولعمرك أنه يظهر أثره من العقاب والهدى يوم القيامة. وقوله: رجل، هو بمعنى متفاني، أي:
اسم رجل.

كاملاً، ويحس فيما دون ذلك بشرط نشاور منهما، إذ كثيراً ما يكون الولد بحيث يضر على الشئ ذي قبلها، ولكنه يحتاج إلى اجتهاد ونحو، وهذا أرقق الناس به وأعلمهم بسريرة، ثم حرم المضارة من الجانبين لأنه تفريق يُفضي إلى نقصان التعاون. فإنه يحتاجوا إلى الاسترضاع، لتضعف الولادة أو مرضها أو تكون قد وقعت بينهما فرقة لا تلائم... ونحو ذلك من الأسباب، فلا جناح فيه، ويجب عند ذلك إيفاء الحق من الجانبين.

قيل: يا رسول الله، ما يذهب عن مؤنة⁽¹⁾ الرضاع؟ قال النبي ﷺ: «مؤنة عبد لمؤنة».

اعلم أن الموضع أم بعد الأم الحقيقية، وربما واجب بعد بر الأم، حتى إن النبي ﷺ يسطر دلالته لمرضته إكراماً لها، وربما لا ترضى بما يهليه إليها وإن كثُر، وربما يستكثر الذي رضع القليل الذي يمتنعها، ويكون في ذلك الاشتباه، فليس النبي ﷺ عن حد بصريه، فضرب العزة حذاء، وذلك أن الرضيع إما أثبت حثاً في ذمته لأجل إقامة بيته وتصغيرها إياه إنساناً كاملاً، ولأجل حصانته ومداواة النعب فيه، فيكون الحزاء التوافق أن يمتنعها إنساناً يكون بمنزلة جوارحه فيما يريد من ارتعاضه، ويتعطل عنها مؤنة عملها، وهو حد استعجابي لا ضروري.

وقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني إلا أن آخذ من ماله بغير إذنه، فقال ﷺ: «هذه ما يكفرك بولادة بالمعروف».

أقول: لما كانت نطفة الولد والنزوجة يُفسَّر ضبطها مؤنة النبي ﷺ إتيها، والتأكد انشراط أخذها بالمعروف، وأعمل الرجوع إلى القضاء مثلاً لأنه عسير عند ذلك.

قال ﷺ: «صروا أولادكم بالصلاة»، الحديث، وهذا من أسرارها فيما سبق.

واختلقت قضاياه ﷺ في الأحق بالحصانة عند المشاجرة متعمداً، لأنه إنما ينظر إلى أن الأرقق بالولد والداء، ولا ينظر إلى من يريد المضارة، ولا يلتفت إلى المصلحة، فإن الحسد والضرار غير متع، فجاءته مرة امرأة وقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان يظني لي رعباً⁽²⁾ ولدي له سفة، وحجرتي له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعني⁽³⁾ مني، قال ﷺ: «ليس الحق به ما لم تكني».

أقول: وذلك لأن الأم أهدى للحذانة وأرقق به، فإذا تكلمت كانت كالملوكة تحته، وإنما هو أجني لا يحسن إليه.

(1) امتلعة بكسر الميم: شدة الحب، والسرور، والسرور: ما يسلط على حق لمرضة متى تكون قد لعبته كعداء، وكأولوا يسمعون أن يظفوا المرضة عند انفصال شيئاً سوى الأجرة.

(2) الرعب: الخوف. أي: كالي طرفة عين. والسفة: طرف الماء. والمواء: أي: دكن يحويه ويحفظه.

(3) أي: يأخذ.

وغير غلاماً من أبيه وأمه . وذلك إذا كان صغيراً

اعلم أن الإنسان - نبي بالطبع - ولا يستطيع معاشه إلا بتعاونهم ، ولا تعاون إلا بالألفة والرحمة فيما بينهم ، ولا ألفة إلا بالأمانة ومراعاة الخواطر من الجانبين .

وليس التعاون على مرتبة واحدة ، بل له مراتب يختلف باختلاف الأمر ونسبته :

فأما ما لا ارتباط الواقع بين المسلمين ، وخذ وسرته الله ﷻ إلى غير بعيدا منهم يخبره ، فقال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، وإتباع المحتضر ، وحجبة الدعوة ، وقسمة العاطس » . وفي رواية : « ست » السادسة : « إذا استنصحت فانصح له » . وقال ﷻ : « أطعموا الجائع ، وكفوا ثغلي ، يعني الأسير » .

والمر في ذلك أن هذه الخمس أو الست - غفيرة المؤمن مؤثرة للألفة ثم الارتباط الواقع بين أهل الحي والمجيران والأرحام ، فتأكد حبه لأشياء فيها بينهم ، وتأكد لتزوية والنهضة والزيادة والمهادنة ، وأوجب النبي ﷺ أموراً يتقيدون بها ، شأوا أم أبوا ، فقولته ﷻ : « من ملك ذا رحم محرّم فهو حر » . وكتاب الذبيات (1) .

ثم الارتباط الواقع بين أهل المنزل ، من الزوجة وما ملكت يبت . أما الزوجة فقد ذكرنا البر معها ، وأما ما ملكت البنتين فحصل النبي ﷺ بره على مربيتهن : إحداهما زوجة بلزيمهن أشاؤوا أم أبوا ، وثانية نذبت إليها ونحت عنها من غير إيجاب

أما الأولى فقال ﷻ : « لدماءك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من لعمل ما لا يطيق » ، وذلك أنه مشغول بخدمته عن الأكساب ، فوجب أن تكون كفايته عنيه . وقال ﷻ : « من قتل دمه لوكه وهو بريء مما غال جلد يوم القيامة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من جدد عهده فله به حر عليه » .

أقول : وذلك أن إفساد ماله عليه مؤثرة عن أن يضل ما فعل .

وقال ﷻ : « لا يُؤاد فوق عشر جندة إلا ما يحد من حدود الله » .

أقول : وذلك سد لباب القمام والإيمان في التعزير زيادة على الحد . أو : السرد النهي عن أن يخاصم في حق نفسه أكثر من عشر جلدات ، كترك ما أمر به وضو ذلك ، والسرد بالحد الذنب النهائي عنه شق الشرع ، وهو قول المقاتل . أميت حداً - وأرى أن هذا الوجه أقرب - فإن الغنص لم يزانوا بمزور أكثر من عشر في حقوق الشرع

وأما الثانية فقولته ﷻ : « إذا ضام لأحدكم خائبته ضاعته » ثم جاء به وقد ولى حره ودخانه

(1) لما تكبر على المعاملة في تلك الحالة وقوله : « ثم لا يملكه عفا » . على الارتباط الواقع بين المسلمين .

للقبيضة معه^(١) فليذكر، فإن كان الغضام مشقوقاً^(٢) قبلاً فليضغ في يده حتى تكف أو اكثنتين،،
وقوله ﷺ: «من ضرب غلاماً له - أو أم ياته أو لطمه، فمَن تدارته أن يُفَقِّه»، وقوله ﷺ: «إذا
ضرب الحبيكم خاضه فذكر اسم الله فليصك».

قال ﷺ: «من اعتق رقبة - مائة اعتق الله بكسر عضمونها عشرين سنة من النار».

أقول: الحق فيه جمع لئلا يسلط المسلمون ذلك علىهم، فجوّزي جزاءً وفقاً.

وقال ﷺ: «من اعتق شخصاً^(٣) في عبد أعتق كله إن كان له مال»^(٤).

أقول: سببه ما وقع التصريح به في نفس الحديث، حيث قال عليه الصلاة والسلام:
«ليس له شريك»^(٥) يريد: أن العتق جعله لله، وليس من الأدب أن ينسب الله تلك لأحد.

قال ﷺ: «من ملك ذا رحم محرم فهو حر».

أقول: السبب فيه صلة الرحم، فأوجب الله تعالى نوعاً منها عليهم، فشاؤوا أم أبوا،
وإنما خص هذا لأن ملكته وانصرف فيه واستغذاه بمنزلة الميعة جاء مطلقاً.

قال ﷺ: «إذا ولت أمةً لرجل منه فهي مُعتقة عن سيّئ منه»^(٦).

أقول: الرقبة الإحدان إلى الولد، لئلا يملك أم غير أبيه، فيكون عليه عار من

هذه الجدة

وأوجب على الميعة خدمة المولى وحرم عليه الزاني قال ﷺ: «إنما عبد أتق فقد
برئ من قنينة»^(٧) حتى يرجع، وحرم على الممّتي أن يوالى غير مولاه.

وأعظم ذلك حرمة حق الرّائدين، قال ﷺ: «من أكبر الكبائر حقوق الرّائدين».
وربهما يتم بأمر: الإطعام، والكسوة، والخدمة إن احتاجا، وإذا دعاه المولى أجاب، وإذا
أمره أطيع ما لم يأمر بمعيبة، ويكثر زيارته، ويتكلم معه بالكلام اللين، ولا يقول أف،
ولا يلعنه باسمه، ويسبي خلفه، ويؤذي عنه من اغتابه أو آذاه، ويوقره في مجلسه: ويدعو
له بالمغفرة، والله أعلم.

(١) أي لا يستكشف عنه.

(٢) أي كثيراً لكثرة، وقيل: المشقوق الضيق، من قولهم: رجل مشقوق، إذا كثر دؤن الناس، إلا جزم، فقد،،
عنه، ليستدل قوله، «قبلاً»، بغير حجة وتفسير له.

(٣) أي تصيبه.

(٤) شاء الحديث: «إن لم يكن له مال استعمر عليه غوز مشقوق عليه».

(٥) الحديث شاملاً: إن رجلاً اعتق شخصاً من غلام، فنكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «ليس له شريك» أي عتقه.

(٦) أي عتقه موته.

(٧) أي: فله الإسلام ومجوده.

من أبواب سياسة المجد

اعلم أنه يجب أن يكون في جماعة المسلمين خيفة، لمصالح لا نثم إلا بوجوده، وهي كثيرة جداً بجمعتها صمدان:

أحدهما: ما يرجع إلى سياسة العبدية، من ذنب الجنود التي تغروهم وتقهروهم، وكف الظالم عن المظلوم، وفصل القضايا، وغير ذلك، وقد شرحنا هذه الحاجات من قبل.

والثانيهما: ما يرجع إلى العلة، وذلك أن فتوى دين الإسلام على سائر الأديان لا يتصور إلا ما يكون في المسلمين خيفة يُنكر على من خرج من الملة وارتكب ما نكث على تحريمه أو ترك ما نصت على اقتراحه أشد الإنكار، وبما أهل سائر الأديان، وبأخذ منهم الجزية عن يد وهم صاغرون، إلا كانوا متساوين في الحرمة لا يظهر فيهم رجحان إحدى القريتين على الأخرى. ونم يكن كايح يكبحهم عن عدوهم.

والنبي ﷺ جمع تلك الحاجات في أبواب أربعة: باب المظالم، وباب العبدية، وباب القضاء، وباب الجهاد. ثم وقعت الحاجة إلى ضبط كليات هذه الأبواب وترك الجزئيات إلى رأي الأمة ووصيتهم بالحماة حيراً، وذلك نوجوه:

منها أن متولي الخلافة كثيراً ما يكون جائراً ظالماً، يبيع هواه ولا يسمع الحق، فيفسدهم، وتكون مفسدته عليهم أشد مما يرجى من مصلحتهم، ويخرج فيما يفعل أنه يبيع الحق وأنه رأى المصلحة في ذلك، فلا بد من كليات يُنكر على من خالفها ويؤاخذ بها ويرجع احتجاجهم عليه إليها.

ومنها أن الخليفة يجب أن يصحح على الناس ظلم الظالم، وأن العقوبة ليست زائدة على قدر الحاجة، ويصحح في فعل القضايا أنه قضى بالحق، ولا كان سبباً لاختلافهم عليه، وأن يبعد^(١) الذي كان الشرر عليه رؤولياًؤه في أنفسهم وخيراً^(٢) واجعاً إلى غدره، ويضربوا عليه حقاً يرون فيه أن الحق بأيديهم، وذلك مفيدة شديدة.

ومنها أن كثيراً من الناس لا يدركون ما هو الحق في سياسة المدينة، فيجتهدون فيخطئون سبباً وشمالاً، فمن صلب شديد يرى البالغ في المنجزة قليلاً، ومن سهل لين

يرى الشئيل كثيراً، ومن أدلّ بغيره^(١) يرى كل ما أنوى إليه^(٢) السَّعي حقاً، ومن منع
كزوده^(٣) يظن بالكس ظنوناً فاسدة.

ولا يمكن الاستقصاء، فإن كالتكليف بالمحال، فيجب أن تكون الأصول مضبوطة،
فإن اختلافهم في الفروع أخف من اختلافهم في الأصول.

ومنها أن القوانين إذا كانت ناشئة من الشرع كانت بمنزلة الصلاة والصيام في كونها
قربة إلى الحق، والسنة تذكر الحق عند الغفوة. وبالأجمل: فلا يمكن أن يؤمّن الأمر
بالتكليف إلى أولي انصر شهوية أو سبعة، ولا يمكن معرفة العصمة والحفظ عن لحدود في
الخلفاء. واستباح التي ذكرها في التشريع وضبط المفاهيم كلها متابة ههنا، والله أعلم.

❁ الخلافة ❁

اعلم أنه يشترط في الخليفة أن يكون: عالماً، بالغاً، حراً، ذكراً، شجاعاً، ذا رأي
وسمع وبصر وفطن، ومن سلّم الناس شرفه وشرف قومه ولا يستكفون عن ساعته، قد
حُرّف منه أنه يُشع الحق في سياسة المدينة.

هذا كله يدل على العقل، وانضمت أهم بني آدم على واحد يلدائهم واختلاف أدبهم
على اشتراطها لها وأما أن هذه الأمور لا تنب المصلحة المقصودة من نصب الخليفة إلا
بها. وإذا وقع شيء من إيمان هذه وأوه خلاف ما ينبغي وكرمه قنومهم وسكنوا على عيط،
وهو قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا أَمْرًا﴾^(١) من يطلع قوم وأولوا عليهم لمراف.

والسنة المصنوية اعتمدت في خلافة النبوة أمراً أخرى:

منها: الإسلام. والعلم، والعدالة. وذلك لأن المصالح البينة لا تتم بدونها، ضرورة
أجمع المسلمون عليها. والأصل في ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَلِدْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ فِي الْحَرْبِ وَلَا فِي الْوَعْدِ﴾^(٢) [عن: الآية ٣٥].

ومنها: كونه من قريش. قال النبي ﷺ: «الأئمة من قريش».

(١) بكسر الهمزة وتشديد الميم. الذي لا رأي له فهو يطلع كل أحد على رأيه. وقيل هو مخفف لكلمة أي:

الذي يقول لكل عند هذا القطع

(٢) أي: يحرمه به.

(٣) أي: صلب

(٤) هي: بنت كبرى.

والسبب المتعطي لهذا: أنَّ الحق الذي أظهره الله على لسان نبيه ﷺ إنما جاء بلسان قريش وفي عاداتهم، وكان أكثر ما نعتن من المقادير والحدود ما هو عندهم، وكان المبدأ لكثير من الأحكام ما هو عندهم، فهم أقوم به وأكثر الناس تسكناً بذلك. وأيضاً فإن قريشاً قوم النبي ﷺ وحزبه، ولا فخر لهم إلا بملو دين محمد ﷺ، وقد اجتمع فيهم حمية دينية وحمية نسبية، فكانوا مقلدات القيام بالشرائع والتسكك بها. وأيضاً فإنه يجب أن يكون الخليفة ممن لا يستنكف الناس من طاعته، لجلال نسبه وحسبه، فإن من لا نسب له يراه الناس حقيراً ذليلاً، وأن يكون ممن عُرفه منهم الرياضات والشرف ومرس قومه جمع الرجال ونصب القتال، وأن يكون قومه أقوىاء يسمونه وينصرونه ويذلون دونه الأنفس، ولم تجتمع هذه الأمور إلا في قريش، ولا سيما بعدما بعث النبي ﷺ وَجَّهَهُ⁽¹⁾ (أمر قريش). وقد أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى هذه فقال: ولن يُعرف هذا الأمر⁽²⁾ إلا بقريش، هم أوسط العرب دياراً... إلخ⁽³⁾.

وإنما لم يشترط كونه هاشمياً مثلاً لوجهين: أحدهما ألا يرفع الناس في الشك فيقولوا: إنما أراد مُلْكُ أهل بيته كسائر الملوك، فيكون سبباً للارتداد، ولهذا العلة لم يعط النبي ﷺ المفتاح ليعاس بن عبد المطلب رضي الله عنه. والثاني أن المهم في الخلافة وضع الناس به واجتماعهم عليه وتوحيدهم إياه، وأن يقيم الحدود ويتأصل دور الملة ويُنقذ الأحكام، واجتماع هذه الأمور لا يكون إلا في واحد بعد واحد. وفي اشتراط أن يكون من قبيلة خاصة تفسيق وخرج، فربما لم يكن في هذه القبيلة من تجتمع فيه الشروط، وكان في غيرها، وهذه العلة ذهب الفقهاء إلى المنع عن اشتراط كون المسلم فيه من قرية صغيرة وجوئاً كون من قرية كبيرة.

وتعتقد الخلافة بوجوه:

يَسْتَأْ أهل النحل والتفد، من العلية والروساء وأمرأه الأجناد، ممن يكون له رأي ونصيحة للمسلمين، كما انعقدت خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

وبأن يوصي الخليفة الناس به، كما انعقدت خلافة عمر رضي الله عنه.

أو يجعل شررى بين قوم، كما كان عند انعقاد خلافة عثمان، بل علي أيضاً رضي الله عنهما.

(1) أي: قريش.

(2) أي: الخلافة.

(3) والله رضي الله عنه في قصة سابقة بني ساعدة لما تكلموا بالانصراف: أنا لخير ومنكم خير، فقطع أبو بكر رضي الله عنه خطبة بلقيع في منقلب قريش، وحشد عمر رضي الله عنه بعدد علي يومه في أبي بكر رضي الله عنه أيضاً فالتفوا عليه.

أو استنبهوا من جامع للشروط على الناس وسلطه عليهم كسائر الخلفاء بعد خلافة النبوة.

ثم إن استوى من ثم يجمع الشروط لا ينبغي أن يباشر إلى المخالفة، لأن خلعه لا يتصور غالباً إلا بحروب ومضايقات، وفيها من العفصة أشد مما يرجى من المصلحة. ومثل رسول الله ﷺ عنهم فقيل: أفلا تأنسهم؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة^(١)، وقال ﷺ: (إلا أن تروا كفرة بواحاً^(٢) عنكم من الله فيه برهان^(٣)).

وبالجملة: فإذا كفر الخليفة بإنكار ضروري من ضرورات الدين خلّ فتأله، بن وجب، وإلا لا، وذلك لأنه حينئذ^(٤) نالت مصلحة نصبه، بن يهدف مصلحه على القوم، فصار فتأله من الجهاد في سبيل الله.

قال ﷺ: (السمع والطاعة على المرأة المسلمة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

أقول: لما كان الإمام منصوباً لنوعين من المصالح اللتين بهما انتظام الحلة والعدل، وإنما بعث النبي ﷺ لأجلهما والإمام نائب ومتمم أمره، كانت طاعته طاعة رسول الله ومعصيته معصية رسول الله، إلا أن يأمر بالمعصية، فحينئذ ظهر أن طاعته ليست بطاعة الله وأنه ليس نائب رسول الله ﷺ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني).

قال ﷺ: (إنما الإمام حجة^(٥) يقاتل من دونه ويكفي به، فإن أمر يتقرب الله وهدى فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه^(٦)).

أقول: إنما جعله بمنزلة الحجة لأنه سبب اجتماع كلمة المسلمين والائتلاف عنهم. وقال ﷺ: (من رأى من أميره شياً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يعاقب الجماعة شياً فيسوت إلا مات ميتة جاهلية^(٧)).

أقول: وذلك لأن الإسلام إنما امتاز من الجاهلية بهذين النوعين من المصالح، والخليفة نائب رسول الله ﷺ فيهما، فإذا دارق شغلهما وفيهما أئمة الجاهلية.

(١) أو: وشاروا أئمتكم الذين يفضونهم ويصرونكم وتسلمونهم ويلعنونكم.

(٢) أي: ظاهراً (٣) أي: ظاهراً (٤) أي: ظاهراً

(٥) أي: حجة كره

(٦) أي: حجة كره: أن شئ يمنع العدو من المسلمين ويشتتهم به في القتال ويقتل بعونه، ككفرهم وكره القتل لأنه أهم الأمور وحالات الشهادة، وإن كان الإمام معلوماً في الأمور وأحوال جميعها.

(٧) قوله: فإن عليه منه: أي: وإذا شئاً، وقوله: منه: أي: من سببها لك.

(٨) أي: أن من سبب بعوت عليها أهل الجاهلية.

قال رحمه الله: «ما من عبد يستوعبه الله ربعةً قام بها»^(١) بنصيحة إلا لم يجد راحة لحيته.

أقول: لما كان نفع المصالح لمصالح وجب أن يزمر التخليعة ببقاء هذه المصالح، كما أمر الناس أن يقدروا له، لئلا يمتنع من المجاني.

ثم إنه الإمام لما كان لا يستطيع منه أن يباشر جبة الصدقات وأخذ العسور وقصل الخشاء في كل حاجة، ونجت بهت العمال والفقهاء، ولما كان أولئك مشغولين بأمر من مصالح العامة وجب أن تكون كما هم في بيت المال، وإليه الإشارة في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل: لقد علم قومي أن عروني^(٢) لم تكن تعجز عن مؤنة^(٣) أهل، وسئل بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال^(٤)، وتحتوا^(٥) للمسلمين فيه.

ثم وجب أن يأمر العامل بالخير، وينهى عن الغلول والرشوة، وأن يزمر القوم بالاعتقاد أنه سيم للمصلحة المقصودة. وهذا قوله رحمه الله: «من وجلا يشقون»^(٦) في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة، وقال رحمه الله: «من استعملناه على عمل فزدناهم رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»^(٧)، وليس رسول الله صلى الله عليه وآله الراشي والمعدني، وليس في ذلك أنه ينافي المصلحة المقصودة ويفتح باب المناس.

وقال رحمه الله: «لا تستعمل من طلب الفعل».

أقول: وذلك لأنه لما يغلو فله من داعية نفسانية. وقال رحمه الله: «إنما جاءكم عامل فليقتلوه»^(٨) وهو عنكم وافر.

ثم وجب أن يمتنع القوم الذي يعطى العمال في عملهم، فلا يجاوز الإمام يعرط أو يعرط، ولا يعطوه العامل بنفسه، وهو قوله رحمه الله: «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خالفاً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً».

فإذا بعث الإمام العامل في صدقات سنة فليجعل له فيها ما يكفي مؤنته، ثم فصل بقدر به على حاجة من هذه المحتاج، فإن الزائد لا حد له، والمؤنة بدون زيادة لا يتألى لها العامل ولا يرغب فيها.

(١) أي لم يحفظها راء ياءه وهاء من حاط يحوط شرطاً وجبته.

(٢) أي شراشي.

(٣) أي جنة كسول.

(٤) أي بعدل أبو بكر.

(٥) أي يتصرفون في بيت المال ويقتسمون ونحوها بغير حق والأخذ منها بواجب على ما خرج.

(٦) أي فليجوع.

المظالم

اعلم أن من أعظم المقاصد التي قصدت بعنة الأنبياء عليهم السلام دفع المظالم من بين الناس، فإن فخالصهم يقصد حالهم ويعتني عليهم، ولا حاجة إلى شرح ذلك.

واحدة من علي ثلاثة أقسام: بعد عن الناس، وتعد على أعداء الناس، وتعد على أئمة الناس، فتنصت حكمة الله أن يرجع عن كل نوع من هذه الأنواع تزوير قوية لإدراج الناس عن أن يفعلوا ذلك مرة أخرى، ولا ينبغي أن تجعل هذه التزوير على مزية واحدة، فإن القتل ليس تقطع الطرف، ولا قطع الطرف كالاستهلال المسال.

وإن الدواعي التي نعت منها هذه المظالم لها مراتب: فمن المديهي أن تعدد القتل ليس كالتمسك بالخنجر إلى العنق: فأعظم المظالم القتل، وهو أكبر الكبائر، أجمع عليه أهل العمل فاضتهم، وذلك لأنه طاعة الناس في دعية لغضب، وهو أعظم رجوع الفناء: فما بين الناس، وهو تغيير خلقك، وهدم بين الله، ومنفعة ما أرا: الحق في عباده من تشتر نوع الإنسان.

والتي على ثلاثة أقسام: عمد، وخطأ، وشبه عمد:

فالعمد: هو القتل الذي يقصد به إهلاك⁽¹⁾ روحه بما يقتل غالباً، جرحاً أو مثلاً.

والخطأ: لا يقصد به إهلاكه فيصيبه بقلعه كما إذا وقع على إنسان دعاء، أو رمى شجرة فأصابه بها.

وشبه العمد: أنه يقصد الشخص بما لا يقتل غالباً فيقتله، كما إذا ضرب بسوط أو عصا فمات.

وأما مجس على ثلاثة أقسام بما أشرنا من قبل أن الزجر ينبغي أن يكون بحيث يقاوم الداعية والمعتد، ولهما مراتب، فما كان العمد أكثر فساداً وأشد داعية وجب أن يعلق به بما يجعل زيادة الزجر، وإنما كان الخطأ أقل فساداً وأخف داعية وجب أن يخفف في جزئه، واستأنط النبي ﷺ بين العمد والخطأ نوعاً آخر كإصابة منهما بكونه برزخاً بينهما، في ينبغي أن يدخل في العمد.

فإنه في قوله تعالى

﴿وَمَنْ يَشْتِمْ مُؤْمِناً يُشَابِهًا فَكَوْاؤُهُ جَهَنَّمُ كَمَا فِيهَا وَنَجِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَقَدْ وَصَّاهُ لَمْ يَدْعُهُمْ عَلَيْهِ﴾ [النساء: 94]

ظاهراً أنه لا يغفر له، وثمة ذهب ابن عباس رضي الله عنهما، لكن الجمهور وشعر
الشيعة على أنه بمنزلة سائر القُتُوب. وأما هذه فتدبرها الزجوة، وأنها تشبه لطول مكثه
بالحدود.

والخبر، في الكفاية، قال الله تعالى: «وَصَرَّ عَلَيْهِا فِي سَائِلَةِ الْعَمَدِ» قال الله تعالى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ قَاتَلُوا بِكُمُ الْفِتْنَةَ فَيَمُوتُوا بِالْإِمْرِ وَلَا تَقْلُدُوا بِأَثَارِهِمْ
إِلَّاهُ هُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّمْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَافِلُ عَنْ مَا تَصِفُونَ﴾
من الأشراف قتلوا، فقال الأشراف: يقتل الحكم بالحدود، والذكر بالأنثى، ولتصاعق
الجرح.

ومعنى الآية - والله أعلم - أنه خصوص الصفات لا يُحْبِطُ في القتل، كالعض
والإيمان والاضطرار والكبر، وكونه شريعاً أو دافعاً، ونحو ذلك - وأما تعميم الأنثى
والصفات الكثيرة، فكل امرأة مكافئة لكل امرأة، ولذلك كانت ذنوبها، أو ثبوتها واحدة، وإن
تفاوتت الأوصاف، وكذلك الشرُّ كما في العبر، والعدو بكافٍ المعنى، بمعنى القصاص
التكافؤ، وأن نجعل الشان في درجة واحدة من الحرمة لا يُعْطَلُ أحدهما على الآخر، لا
القتل مكانه الآية.

ثم أثبت أنه أن نسلم لا يقتل الكافر، وأن الشر لا يقتل بالمعد.

والحكم يقتل بالأنثى، لأن النبي ﷺ قتل اليهودي بعداً، وفي كتاب رسول الله ﷺ
إلى أن يقال: «هذان»، ويقتل الفكر بالأنثى، ومروء أن القياس فيه مختلف، فصلى الذكر
على الزنات وكونهن فواضع عليهن يقتضين ألا يقتل بهن، وأن الجسد واحد، وإنما المرقى
بمنزلة فوق الصغير والكبير، عظيم الحجة وخفيفها، ورعاية مثل ذلك عديدة جداً، وإن
امرأة هي أتم من لرجاء، في مباحين الخصال تقتضين أن يقتله موحج أن يجعل على
القياسين، وصورة العمل بهما أنه لا يفسد النفاضة في الشؤد وعدم النفاضة في الذمة،
وأما لعل ذلك لأن صاحب لعبد نفسه وفصد الثمنين عليها، والتمتع المتعدي يسمى
أن يبدل عنها ثم دبر، فإنها ليست شدة زناً، إنما ليس فيه جرح، بخلاف مثل

(1) جمع قتيل.

(2) قتلى في الجهاد، وهي دمه والحدادة موحج رأت أيضاً بالمسألة، أما القرب

(3) جمع قتيل، وهو من حكمه.

(4) قوله لا يهلك القتل من الشك بالأنثى، وفي المتن السجدة أن تكون موحج أن لا يقتل به، والله اعلم
واحد.

(5) أي أحد القتلين.

الرجل، فإن الرجل يُقتل الرجل، فكانت هذه الصورة أحد بيحان انقود ليكون ردها وزجراً عن مثله

وقال **بخاري**: «لا يقتل مسلم بكافر».

أقول والسرمي قتل أو القصف أو الأعظم في الشرع تنبيه الأمة الحنيفية، ولا يحصل إلا بأن يفضل المسم على الكافر ولا يتردى بينهما

وقال **بخاري**: «لا يقاتل قتالاً بالولد».

أقول السب في ذلك أن الولد شقيقه وأخوه وحده عظيم، فإن قتل على القتل مطناً أنه لم يتمدحه وإن ظهرت مخالب^(١) العمد أو كان له من أباخ قتل، وليست دلالة هذه أقل من دلالة استحصال ما لا يقتل عملاً على أنه لم يقصد إيهاق الروح

وأما **الحد** شبه العمد فقتل فيه **بخاري**: «من قتل في بغيته^(٢) في دمي يكون فيه» بالحجارة أو جاك بالسياط أو ضرب بمصا، فهو خطأ^(٣)، وعقله عقل القتل.

أقول معناه أنه ينهب الخطأ وأنه ليس من العمد وأن عقله متى عقله في الأصل، وإنما تدبر في الصفة: أو أنه لا فرق بينه وبينه في الذهب والفضة والخلفات ثرواية في الذية المألفة، **أقول** بن محمود رضي الله عنه إنها تكون رعا^(٤) خمساً وعشرين جذعاً، وخمساً وعشرين حقة، وخمساً وعشرين بنت لبون، وخمساً وعشرين بنت مخاض، وعش **بخاري**: «الآن في قدر العمد الخطأ بالسوط أو العصا مائة من الإبل، منها أربعون خليفة^(٥) في بطونها أولادها»، وفي رواية: ثلاثون حقة وثلاثون حقة وأربعون خليفة، وما سولحوها سبه فهو لهم.

وأما القتل نصاً ففيه الذية المألفة الخمسة^(٦) عشرون بنت مخاض، وعشرون ابن مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة، وفي هذين الفسبين إنما يجب الذية على العاقلة في ثلاث سنين.

والله كانت هذه الأنواع مختلفة المراتب وروى في ذلك التخفيف والتخفيف من روعه: منها أن سفل دم القتلى لم يحكم به إلا في العمد، ولم يجعل في السابقين إلا الذية. وكان في شريعة اليهود العصا لا غير، تخلف الله على هذه الأمة، محمل جزاء القتل

(١) أي عذمك

(٢) كسر عين وتشديد عيم المسيرة ولياء المشقة العنة وقيل الأمر الذي لا يشتمل رده.

(٣) أي سلك في عدم الآثم.

(٤) أي مائلاً.

(٥) أي خمسة مستأنف.

الحمد عليها أحد الأمرين: القتل والمال، فزعموا كان المال أنفع للأولياء من القتل^(١)، وفيه إشكال، فتحة مسلمة.

ومنها أنه كانت المديّة في العمد واجبة على نفس القتلى، وهي غيره^(٢)، ونحوه من عاقفه، لتكون فزاحة شديدة وإبلاء عظيمًا للقتال، ينهك ماله أشدّ إنهاك، وإنما يؤخذ في غير العمد من العاقفة لأن هدر الدم مُفسدة عظيمة، وجبر قلوب العصاةين مقبوضة، والتساهل مع القتل في مثل هذا الأمر العظيم ذنب يستحقّ التضييق عليه، ثم لما كانت الصلة واجبة على ذوي الأرحام اقتضت الحكمة الإلهية أن يوجب شيء من ذلك عليهم استأثروا ثم أبوا، راحة تبيّن هذا المصير.

أحدهما أنه الخطأ وإن كان مأخوذًا به لبعض الساهل فلا ينبغي أن يبلغ به أقصى المبالغ، فكان الحق ما يوجب عليهم عن ذي رحمتهم ما يكون الواجب به التخفيف عليه. والثاني أن العرب كانوا يقرمون منصرة صاحبهم بالنفس والمال عندما يضيّق عليه الحال، ويرون ذلك سلة وأخية وحفّ موكداً، ويؤثرون بركه عضواً وقطع رجب، فاسترحبت عاداتهم تلك أنه يُعفى عنهم ذلك.

ومنها أنه جعل دية العمد ممتثلة في سنة واحدة، ودية غيره مؤجلة في ثلاث سنين لما ذكرنا من معنى التخفيف.

والأصل في الدية أنها يجب أن تكون مالا عظيماً يغلبهم ويُقص من مالههم ويجدون به بالأغنى، ويكون بحيث يؤدونه بعد مفاصلة المضيّق، ليحصل الجزاء، وهذا المقدّر يختلف باختلاف الأشخاص، وكان أهل الجذلية قدروها بعشرة من الإبل، فقما رأى عبد المطلب أنهم لا يتزجرون بها بلغها إلى مائة، وأبقاها النبي ﷺ على ذلك، لأن العرب يومئذ كانوا أهل إبل، غير أن النبي ﷺ عرف أن شرعه لازم للحرب والعجم وسائر الناس، ولجسوا كلهم أهل إبل، فقلّد من ادّهب ألف دينار، ومن القضة التي عشر ألف درهم، ومن المبقّر مائتي بقر، ومن لئسها ألفي شاة.

والسبب في هذا أن مائة رجل إذا رُفّع عليهم ألف دينار في ثلاث سنين أصاب كل واحد منهم في سنة ثلاثة دينار وشيء، ومن دراهم ثلاثون درهماً وشيء، وهذا شيء لا يجدون لأقلّ منه بالآ، والقبائل تتفاوت فيما بينها، يكون منها الكبيرة ومنها الصغيرة، وضبط الصغيرة بخمسين، فإنهم أدنى ما يتقرى بهم العرب، ولذلك جعل القسامة خمسين بعتاً متروكة على خمسين رجلاً، والكبيرة ضعف، والخمسين فجعلت الدية مائة، ينصب كل واحد بعير أو بعيران أو بعير وشيء في أكثر القبائل عند استواء حالهم.

(١) أي الانتقام.

(٢) أي في غير العمد.

والأحاديث التي تدل على أن النبي ﷺ قد رخصت لأهل الخفص من الدية وإذا غلبت رغب منها، فمعتادها عندي أنه كان ينقضي بذلك على أهل الإبل خاصة. وأنت إن ذهبت عامة البلاد وجدتهم يتفقون على: أهل تحارات وأموال وهم أهل الحضر، وأهل الرعي وهم أهل البذر، لا يجاوزهم دول الأكرين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَقَرُّ رُفْقُهُ تَوَاتَوْا﴾ [نساء: 92].

أقول: إننا يجب في الكفارة تحرير رقبة مؤمنة أو إطعام سبعمائة مسكيناً فيكون طاعة متكررة له فيما بينه وبين الله، فإن لدبه من جرة تواتر فيه التلم بحسب تضييق الناس عليه، والكفارة فيما بينه وبين الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «لا تجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، وشيب الزاني، والمعاقر لدينه الذارك للجماعة».

أقول: الأصل المتخضع عليه في جميع الأدیان أنه إنما يجوز القتل لمصاحبة كنية لا تنأى بدونه، ويكون تركها أشد إفساداً منه، وهو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَقْبَلُ﴾ [البقرة: 177].

وعندما نسئ النبي ﷺ للتشريع وصوب الحدود وجب أن يثبت المصلحة الكلية المصروفة للقتل، ولو لم يثبت سدى قتل منهم قاتل من نيس قتله من المصلحة الكلية طناً أنه منها. يثبت بثلاث:

القصاص: فإنه متكررة وفيه مصالح كثيرة قد أشار الله تعالى إليها بقوله:

﴿وَتَكَرَّرَ فِي الْقَتْلِ مَوْتًا يَكْفِي الْأَنْتَبَ﴾ [البقرة: 179].

وانشيب الزاني: لأن الزمان أكبر المكابث في جميع الأدیان، وهو من أصل ما تنقضية الجيلة الإنسانية، فإن الإنسان عند سلاء مزاجه يخلق على الغيرة أن يواجمه أحد على مخطوئته. كسائر البهائم، إلا أن الإنسان امتوجب أن يعلم ما به إصلاح النظام فيما بينهم فوجب عليهم ذلك.

والبرند: اجترأ على الله ودينه، وناقض المصاحبة الشرعية في تعيب الدين وتغيب الرسل.

وأما ما سرى هؤلاء الثلاث مما ذمهم إليه الأمة، مثل الصائل ومثل المحارب من غير أن يقتل أحداً، عند من يقول⁽¹⁾ بالخير بين أجزية المحارب، فيمكن إرجاعه إلى أحد هذه الأصول.

(1) هو الإمام مالك رضي الله تعالى عنه.

واعلم أنه كان أهل الجاهلية يحكمون بالقسامة، وكان أول من قضى بها أبو طالب، كما بين ذلك ابن عسار رضي الله عنهما، وكان فيها مصلحة عظيمة، فإن القتل ربما يكون في المراضع الخفية والقبالي العظيمة حيث لا تكون البيعة، فلو جُمِلَ مثل هذا القتل هدرًا لا جترأ الناس عليه ولعمري الفساد، ولو أخذ يدعو أولياء المقتول بلا حجة لأقضى ناس على كل من يصادونه، فوجب أن يزعموا بأيمان جماعة عظيمة تقرى بها قرية، وهم خمسون رجلاً، فنقض بها النبي ﷺ وأثبتها.

واختلف الفقهاء في القسامة التي تدار عليها، فقيل: وجود قاتل به أثر جراحة من ضرب أو خنق في موضع هو في حفظ قوم، كسبحة ومسجد ودار، وهذا مأخوذ من قصة عبد الله بن رسول وجد قتيلًا بخير بن شبيب في دمه. وقيل: وجود قاتل وقيام لوث على أحد أنه الثقاتل بإخبار المقتول أو شهادة دون النصاب ونحوه، وهذا مأخوذ من قصة القسامة التي قضى بها أبو طالب.

قال ﷺ: «بيئة للكافر تصف بيته المسلم».

أقول: السبب في ذلك ما ذكرنا قبل أنه يجب أن يؤثر بالبيعة الإسلامية، وأن يُفَضِّلَ المسلم على الكافر، ولأن نيل الكافر أقل إنسداداً بين المسلمين وأقل معصية؛ فإنه كافر مباح الأصل يندفع بثقله شعبة من الكفر، وهو مع ذلك ذنب وعظيمة وإفساد في الأرض، فتعصب أن تُخَفَّفَ بيته.

وفضى ﷺ في الإخلاص⁽¹⁾ بقرعة عبد أو أمه.

اعلم أن الجنتين فيه وجهان: كونه نفساً من النفوس البشرية، ومقتضاه أن يقع في حوضه النضر، وكون طرقاتاً وعشوراً من أمه لا يستقل بذنوبها، ومقتضاه أن يُجَمَلَ بمنزلة سائر الجروح في الحكم بالماء، فروع الوجهان فبعض دينه ملاً هو أصح، وذلك غاية العدل.

وأما التعدي على أطراف الإنسان فتحكمه متى على أصول:

أحدها: أن ما كان منها عمداً فيه القصاص، إلا أن يكون القصاص فيه مضطراً (إلى الهلاك، فذلك حائز من القصاص، وفيه قوله تعالى:

﴿الْقَتْلُ بِالنَّاسِ وَالْمَرْءِ بِالْمَرْءِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالْجَنَاحُ بِالْجَنَاحِ﴾ [سورة: الأنعام: 40].

(1) الإخلاص: أن يترك المؤمن من يظن السراة قبل وقته

فالعين بمرأة محببة^(١)، والمير بالعمود ولا تنفع، لأن في التلح خوف زيادة الأذى، وفي الجروح - إذ كان الموضحة - العصاب، يفيض على لسكين بقدر عمق الموضحة، فإن كان كسر العظم فلا عصاب، لأنه يخف منه الهلاك.

وجاء عن بعض التابعين لطلحة بطحة، وقرصة بقرصة^(٢).

والثاني أن ما كان إزالة لقوة نافعة في الإنسان كالبيض والحمى واليسر والسح والعقل والباءة، ويكون بحيث يصير الإنسان به ثلأ على الناس ولا يقدر على الاستقلال بأمر معيشته ونحوه، ما عار فيما بين الناس يكون مثلاً^(٣) يتغير بها خلق الله ويبقى أثرها في بنية ضرر دائم، فإنه يحب فيها الذئبة كاملة، وذلك لأنه قلل عظيم - تغير لخلقه ومثله به والإحاف عار به؛ وكان الناس لا يتعمون بصرة المظلوم بأمثل ذلك كما يقومون في باب القتل، ويحقر أمره الظالم والحاتم وعصبة الظالم وعصبة المظلوم - فاستوجب ذلك أن يؤخذ الأمر فيه وينبغي مزجونه نفس الصالح.

والأصل فيه قوله ثلأ في كتابه إلى أهل اليس: «في الألف إذا أوجب»^(٤) جذعه الذئبة، وفي الأسنان الذئبة، وفي الشفتين الذئبة، وفي البيضتين الذئبة، وفي الذكر الذئبة، وفي السلب الذئبة، وفي العينين الذئبة، وقال عليه الصلاة والسلام: «في العقل الذئبة».

ثم ما كان إنشافاً لنصف هذه المنفعة قلب نصف الذئبة، في الرجل الواحدة نصف الذئبة، وفي اليد الواحدة نصف الذئبة، وما كان إنشافاً لعشرها كأصبع من أصابع إصبعين والرجلين - فغلب عشر الذئبة، وفي كل من نصف عشر الذئبة، وذلك لأن الأمانة تكون ثمانية وعشرين، وستة وعشرين، والكسر الذي يكون بلزوم نسبة الواحد إلى ذلك تعدد غطي محتاج إلى التمسك في الحساب، فأخذنا العشرين، وأوجنا نصف عشر الذئبة.

والثالث أن الجروح التي لا تكون إبطاً لقوة مستقلة ولا لنصفها ولا تكون مثلاً^(٥) وإنما هي شرأ وتعدل، لا ينبغي أن تجعل بمنزلة النفس ولا بمنزلة اليد والرجل، فيحكم بنصف الذئبة، ولا ينبغي أن يجعل^(٦)، ولا يجعل بلزومه شيء، فأقلها الموضحة، إذ ما كان دونها يقال له حدش^(٧) وعشر لا جرح، والموضحة ما يوضح العظم، قلب نصف العشر لأن نصف العشر أقل حصة يعرف من غير إحد في الحساب، وإنما نسى الأمر في

(١) القرص لتمام الدم إنسان يصيبك حتى تؤلمه

(٢) أي مؤخذ العصابين فيها.

(٣) ثم واستوفى طلحة، والبيضا: فخصيتان

(٤) كقوله الألف أي الألف لم الاطلاق.

(٥) أي يبطل

(٦) خلش الجلد وخيشته، فزكته وقشره يعني ونعمه، وقوله بالموضحة وهي الجراحة التي توضح الدم عن

العظم وتوضح العظم.

الشرائع على السهام المعلوم مقدارها عند الحاسب وتبوء، والمنفعة^(١) فيها خمسة عشر بغيراً لأنها يفسخ ويحسر وتقل فصار به - زنة ثلاثة يضاحات والجائفة والآفة أعظم الجراحات فمن سخطها أن يجرى في كل واحدة منهما ثلث الثروة لأن الثلث يقدو به ما دون النصف.

قال رسول الله ﷺ: «هذه وهذه سراء» يعني الخنصر والإيهام، وقال ﷺ: «قضية^(٢) والفسوس سواء».

أقول: والسبب أن المنافع الخاصة بكل عضو لما ضُغِبَ خطبها وجب أن يُدار الحكم على الأسامي والشرع.

واعلم أن من الخلل والجرح ما يكون هدراً^(٣)، وذلك لأحد وجهين، إما أن يكون دماً لشر يلحق به، ولأصل فيه قوله ﷺ في جواب من قال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن فأتني؟ قال: «فأقله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فقلت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار».

ومعنى إسان إنساناً، فالتزج المضوض يده من فمه فأبدر نيته، فأهدرها ﷺ. فالحاصل أن الصائل على نفس الإنسان أو طرف أو ماله يجوز دبه بما أمكن، فإن الجرح الأمر إلى القتل لا إثم فيه، فإن النفس السبعة كثيراً ما يتنبئون في الأرض، فلو لم يدفعوا بضاق الحال، وقال ﷺ: «لو أطلع في بيتك أهد ولم تأن له فعتقته بحصاة نفقت عينه، ما كان عليك من جناح».

ولها أن يكون بسبب لشر فيه نعت لأحد، وإنما هو بمنزلة الآفات الساوية، والأصل فيه قوله ﷺ: «المجناه جبار، وللعن جبار، وللبئر جبار».

أقول: وذلك لأن البهائم تشرح للبريء، فإذا أصابت أحداً لم يكن ذلك من صنع مالكها، وكذلك إذا وقع في البئر أو انطبق عليه المعدن، ثم إن النبي ﷺ سئل عليهم أن يحتاجوا لئلا يُعاب أحد منهم بغيره، فإن من القرب^(٤) التلف.

(١) المنفعة فشيء فهي تكسر لفظه وتفتك من معناه، والمجئفة القروح التي يسيل إلى الجوف من لراس والطن، والآفة الشدة التي فصل إلى أم السماخ وهي حادة قور البعاج.

(٢) قضية واحدة عظيمة، وهي الاستان المتشعبة، وعلى أطرافها الرباعية، وبمدها الأنياب، وبمدها الأضراس.

(٣) أي: غير مطلوب للمصلين، وقوله: «هو في النار» أي: لا شيء عليه ولا قس، والقروح، والمخلف البرمي والقرحة، القلم، والجناح: الإثم، والمصاة: الشهية.

(٤) القرب: محركة قريب المرئي، وفي الحديث: إن لموماً شكوا إليّ عليه الصلاة والسلام وماء ملوحهم، فقال: «نحووا»، فإن من القرب تلفه وقوله: «بئساً» بيجرح.

ومنه نهيه ﷺ عن الخذف. قال ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صِيَّةٌ وَلَا يُنْكَأُ بِهِ نَفْسٌ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَكْسِرُ فَنَسَنَ وَفَقًا لِعَيْنٍ».

وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ شَيْءٌ لِلْيَمَسِّ عَلَى نَعْلَيْهَا لَنْ يَصِيبَ⁽¹⁾ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ». وقال ﷺ: «لَا يَشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لَعْلَ الشَّيْطَانِ يَتَوَخَّعُ مِنْ يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حَقْرَةٍ مِنَ الْقَارِيَةِ» وقال ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا سِلَاحًا فَلَيْسَ مِنَّا».

ونهى عليه الصلاة والسلام أَنْ يُعَاظِرَ الْمَيْفَ مَسْغُولًا، ونهى أَنْ يُنْذَر⁽²⁾ السِّرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

وأما التعمُّدُ: على أُمُورِ الْإِنْسَانِ نَاقِصًا: غَضَبٌ، وَإِتْلَافٌ، وَسُرْقَةٌ، وَنَهْبٌ. أما السُّرْقَةُ والنَّهْبُ فَمُسْتَوْطِنَانِ.

وأما الغَضَبُ: فَإِذَا هُوَ تَسَلَّطَ عَلَى مَالِ الْغَيْرِ، مُعْتَمِدًا عَلَى شَبْهَةِ رَاهِبَةٍ لَا يُبَيِّنُهَا الشَّرْعُ، أَوْ اعْتِمَادًا عَلَى أَلَا يَظْهَرُ عَلَى الْحُكْمِ جَلِيَّةِ الْحَالِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكَانَ حَرَمًا أَنْ يُعْتَدَ مِنْ اتِّعَامَاتٍ وَلَا يُبَيِّنَ عَلَيْهِ الْحُدُودَ، وَلِذَلِكَ كَانَ غَضَبُ أَلْفِ دِرْهَمٍ لَا يُوجِبُ الْقَطْعَ، وَسُرْقَةُ ثَلَاثَةِ دِرْهَمٍ تُوجِبُهُ.

وأما الْإِتْلَافُ فَيَكُونُ: عَمْدًا، وَشَيْءَ عَمْدٍ، وَخَطَأً، لَكِنْ الْأُمُورُ لَمَّا كَانَتْ دُونَ الْأَنْفُسِ لَمْ يُجْعَلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُكْمًا. وَكُلُّ الضَّمَانِ مِنْ جَمِيعِهَا وَاجِبٌ.

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ غُلْمًا حَقُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

أَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ مَرَارًا أَنَّ الْفِعْلَ الَّذِي يُتَّقَضُ الْمُصَنِّعَةُ الْمَدْنِيَّةُ وَيَحْتَصِلُ بِهِ الْإِبْدَاءُ وَالْتِمَازُ يَسْتَوْجِبُ لِعَنِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَتَنْصُورُ الْحَذَابَ بِصُورَةِ الْعَمَلِ أَوْ مَجَاوِرِهِ.

وقال ﷺ: «عَلَى الْيَدِ مَا لَمْ تَنْتَ».

أَقُولُ: هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي بَابِ الْغَضَبِ، وَالْعَارِيَّةُ يَجِبُ رَدُّ حَبْلِهِ، فَإِنْ تَغَرَّقَ فَرْدٌ مِثْلَهُ. وَدَنَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَحْفَةً فِي مَوْضِعٍ صَحْفَةٍ كُسِرَتْ، وَأَسَاكُ الْمَكْسُورَةِ.

أَقُولُ: هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي بَابِ الْإِتْلَافِ، وَالظَّاهِرُ مِنَ السُّنَّةِ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَفْرَمَ فِي الْمَظْهَرَاتِ بِنَاءً بِحُكْمِ بِنَاءِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ أَنَّهُ مِثْلُهُ، كَالصَّحْفَةِ مَكَانَ الصَّحْفَةِ، وَفَضَى عَمَلَانِ

(1) وَتَقُولُ: مَنْ يَصِيبُهُ أَيُّ مَسَاقَةٍ أَوْ كَرَاهَةٍ لَنْ يَصِيبَهُ، وَهَذَا: يَجْنُبُ.

(2) أَيُّ: يَشِيرُ وَيَقْتُلُ لَعْلَا يَجْرَحُ الْحَدِيدَ يَدَهُ لِيَنْ لَفْطًا.

رضي الله عنه بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم على السرور⁽¹⁾ أن يُعدي بمنزل أولاده.

وقال **عليه السلام**: «من وجد عين ماله عند رجل فهو أحق به، ويتبع البيع من باعه».

أقول: السبب المقتضي لهذا الحكم أنه إذا وزعت هذه الصورة فَنَحْتَمِلُ أن يكون في كل جانب الضرر والجور، فلذا وجد متاعه عند رجل فإن كانت الشئ أن يُهبطه حتى يجد بائعه ففيه ضرر عظيم لصاحب المتاع، فإن الغاصب أو السارق إذ عثر على حياته ربما يحتاج بأنه اشترى من إنسان، يذهب بفلك من نفسه، وربما يكون السارق والغاصب وكل بعض الناس بالبئس ثلثا يؤاخذ هو ولا البائع، وفي ذلك فزع باب ضياع حقوق الناس، وربما لا يجد البائع إلا عند غيبة هذا المشتري فيؤاخذ، فلا يجد عند شياً فسكت على خيبة. وإن كانت الشئ أن يقبضه في الحال قبل ضرر للمشتري، لأنه ربما يحتاج من السوق لا يدري متى البائع وأين محله ثم يستحق ماله ولا يجد البائع فسكت على خيبة، وربما يكون له حاجة إلى المتاع ويكون في قبض المستحق إياه حوائجه على البائع فَوُتَّتْ حاجته، فلما دار الأمر بين ضررين ولم يكن بد من وجود أحدهما وَخِبَ أن يرجع إلى الأمر الظاهر الذي نفيه أفعام الناس من غير رية، وهو هنا: أن الحق تعلق بهذه العين، والعمى تُحس في العين المتمثلة به إذا قامت اليئة وارتفع الإشكال، وعلى هذا القياس ينبغي أن تُعتبر الفقهاء.

وقضى **عليه السلام** أن على أهل الحوائج حفظها بالنهار وأن ما أُنسدت المواشي حوائجهم ناسن على أهلها.

أقول: السبب المقتضي لهذا القضاء أنه إذا أُنسدت المواشي حوائج الناس كان الحرور والمذر مع كل واحد، فصاحب الماشية يحتاج بأنه لا بد أن يسبح ماشيته في المرمى ولا هلكت جوعاً، وأتباع كل بهيمة وحفظها يفسد عليهم الارتفاقات المفصدة، وأنه ليس له اختيار فيما أُلغفته بهيمته، وأن صاحب الحائط هو الذي قُصِّرَ في حفظ ماله وتركه بمضيعة، وصاحب الحائط يحتاج بأن الحائط لا تكون إلا خارج البلاد، فحفظها والمذهب عنها والإقامة عليها يفسد حاله، وأن صاحب الماشية هو الذي سُرَّحها في الحائط أو قُصِّرَ في حفظها، فلما دار الأمر بينهما وكان لكل واحد جور وعذر، وجب أن يرجع إلى العادة السالوة القماشية بينهم، فينس الجور على مجاوزتها، والعادة أن يكون في كل حائج في النهار من يعمل فيه ويُصلح أمره ويحفظه، وأما في الليل فيتركونه، ويبترن في القرى والبلاد، وأن أهل الماشية يجمعون ماشيتهم بالليل في بيوتهم ثم يسرحونها في النهار للرعي، فاعتبر الجور أن يجاوز العادة القماشية بينهم.

(1) أي: الذي عوقبه لمراته بنفسها ونكبت لها حدة فولدت له أولاداً فأنسى ملكها للجلوة وللإفهام، وقوله: «ويتبع البيع من باعه» أي: والمشتري، والغلبة للبعث.

وَسُئِلَ عَنْ الثَّمَرِ الْمَمْلُوكِ، فَقَالَ: مَنْ لَصِقَ بِهِ مِنْ ذِي حَلِجَةٍ غَيْرِ مَشْخُذٍ خَبْنَةٌ⁽¹⁾ قَلَّ شَيْءٌ عَلَيْهِ.

اعلم أن دفع الظالم بين الناس إنسا هو أن يُقبض على يد من يضر بالناس ويتعلّى عليهم، لا أن يُتبع شخصهم وغمر نفوسهم، ففي صورة الأكل من الثمر المملوك غير المشخوذ الكثير الذي لا يُشخ منه شئ إنسان محتاج إذا لم يكن هناك مجاوزة حد العرف ولا انتهاك عينة ولا رمي الأشجار بالحجارة، فإن الكُوف يرجب السامعة في مثله، فمن أدعى في مثل ذلك فإنه أتبع الشخ وقصد الضرر، فلا يُتبع، وأما ما كان من ثمر مشغوف⁽²⁾ أو اتخاذ خبنة أو رمي الأشجار أو مجاوزة الحد في الإثلاف بوجه من الوجوه، ففيه التمزير والفرافة.

وأما لبن العائنة فالأخبة فيه متعارضة، وقد بينها النبي ﷺ، فقامها نارة على المناع المخزون في البيوت فهي من حله، وطوراً على الثمر المملوك والأشياء غير المشخزة فأباح منه بقدر الحاجة لمن لم يجد صاحب المال ليستأذنه، والأصل فيما اختلف فيه الأحاديث وأظهرت العلل: أن يجمع باعتبار تلك العلل، فحينما جرت العادة ببدل مثله وليس هناك شخ وتضييق وكانت حاجة جاز، وإلا فلا، وعلى مثل ذلك ينبغي أن يُعتبر تصرف الزوجة في مال الزوج والعبد في مال سيده.

الْخُلُود

اعلم أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد، وذلك كل معصية جمعت وجوهاً من المعصية، بأن كانت فساداً في الأرض وانقضياً⁽³⁾ على طمأنينة المسلمين، وكانت لها فاعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها، ولها ضراوة لا يستطيعون الإفلاج منها بعد أن أشربت قلوبهم بها، وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان، وكان كثير الوقوع فيما بين الناس، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة، بل لا بد من إقامة علامة شديدة عليها وإيلازم، ليكون بين أعيانهم ذلك فيردعهم عما يريدونه.

كالزنا: فإنها تهيج من الشبق والرغبة في جمال النساء، ولها نبرة⁽⁴⁾ رقبها عار شديد

(1) الخبنة: مغطى الأنهر أو طرف الثوب، والمغتص. إن الغلس إذا نكل من الثمر ولم يأخذ منه في ثوبه فلا شيء عليه، وغمر حلقه والمغمر المملوك.

(2) أي: قليل.

(3) أي: قطعاً وفسادة عامة.

(4) إشارة بكسر الشين وتشديد لراء الميم على الشبق، والتشبط له والرغبة إليه.

على أهلها، وفي مزاحمة الناس على موطوءة تغيير الجبل⁽¹⁾ الإنسانية، وهي مثقلة المسافلات والمعاربات فيما بينهم.

ولا يكون عدلًا إلا برضى الرانية والزاني وفي الحفوات حيث لا يطلع عليهما إلا بعض، فلو لم يُشرع فيها حد وجب لم يحصل الردع.

وكالمسرفة: فإن الإنسان كثيراً ما لا يجد كسباً صالحاً فيحذر⁽²⁾ إلى سرقة، وأما ضراوة في نفوسهم، ولا يكون الاختفاء بحيث لا يراه الناس، بخلاف الغصب، فإنه يكون باستئجار وشبهة لا يشبه الشروع وفي تضاعف معاملات بينهما وعلى أعين الناس، فضلاً معاملة من المعاملات.

وكقطع الطريق: فإنه لا يستطيع المظلوم دبه عن نفسه وماله، ولا يكون في بلاد المسلمين رعت شوكته فيدتموا، فلا بد لمثله أن يزداد في الجزاء والعقوبة.

وكشرب الخمر: فإن لها شرها⁽³⁾ ونها فساداً في الأرض وزوالاً لمسكة عقولهم التي بها صلاح معادهم ومعاشهم.

وكالتفط: من المتفطون يتأذى أذى شديداً، ولا يقدر على دفعه بالقتل ونحوه، لأنه إن قتل قُتل به، وإن شرب شرب به، فوجب في ذلك زجر عظيم.

ثم الحد: إما قتل: وهو زجر لا زجر فرقه، وإما قطع، وهو بلام شديد وتضويت قوة لا يتم الاستقلال بالتمسكة دونها طول عمره، وهو عار ظاهر أثره سراى الناس لا ينقصي، فإن النفس إنما تتأثر من وجهين: النفس الواغلة في الشهوة بمنعها الإيلاء، كاليفر والجملة، والتي فيها حب المجاه يردعه العار اللازم له لشدة من الإيلاء. فوجب جمع هذين الوجهين في الحد.

ودون ذلك إيلاء يضرب يُضْمَمُ منه ما فيه عار ويظهر أثره، كذا التغريب⁽⁴⁾ وعدم قبول الشهادة، ولتكتف⁽⁵⁾.

وأعام أنه كان من شراوة من قبلنا الفصاحي في القتل والرجم في الزنا والقطع في السرقة، فهذه الثلاث كانت متوارثة في الشرائع السماوية وأطبق عليها جماهير الأنبياء والأمم، وعلى هذا يجب أن يؤخذ عليه بالتواضع ولا يترك⁽⁶⁾.

ولكن الشريعة المصطفوية نصرت فيها بنحو آخر، فجعلت مؤخره كل واحد على طبقين: إحداهما الشديدة البانغة أقصى السباع، ومن حلفها أن تجعل في المعصية الشديدة، وأثالثية درنها، ومن حلفها أن تجعل فيما كانت للمعصية دونها.

(1) أي: شدة حرجه.

(2) أي: يميل.

(3) أي: لتوبيخ.

(4) أي: الإبعاد عن الوطن.

(5) أي: كل واحد من هذه القنن: فليقرر الذي تكلف لنحو.

فمن القتل الخوف والذليّة والأهوال فيه قوته تعالى.

﴿ذٰلِكَ تَخْيِيفٌ مِّنْ رَبِّكَ﴾ [فبقراءه لا يهز]

لما ابن عباس رضي الله عنهما: كانا فيهم الفصاحين ولم يكن الرزية.

وفي لزومها: **الاعتقاد** ^(١٠) وكان اليهود لنا ذهب، شركهم ونم بغدوا على المرجم! **الندحوا**

التعصية والتعصيم^(١٢)، فصار ذلك تحريفاً بشريتهم، فجعلت لك بين خريفتي قرناً قللاً
اتماومة والاتلاعة، وذلك عامة راحة فيك بالناس.

وفي السرقة، التعذيب، وغرامة مثلية، محض ما جاء في اصحاب

وإن جعلت أنواعاً من النظم عليها - كالقواف والخصم - ففعلت بها سداً، فإن هذا

أيضاً بمرتبة ملك النعماني وإن زدت في عفوية قطع الطريق.

واحكم ان الدم على طفتين، والسياسة كل طبقة وجه خاص:

طبعة مع مستغلوها، أدمهم أذهب سياسة هؤلاء أن يؤخذوا على الحين الناس

وَيُوجِبُوا وَيُؤْمِرُوا عَلَيْهِمْ عَارِئِينَ يَتَبَخَّرُوا.

وطفقة هم ما ندي باسمه فخرنا أسرا، سندهم. وسببنا عزلا. ان يزمر ساعته ان

يُخْطَرُومُ عَنْ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ يَطْهَرُ لَهُمْ وَجَدَ فِيهِ حَبِيبُهُمْ عَنْ فَعْلَتِهِ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ **يُطْهَرُ** : وَإِنَّا

وَزِدْتُ أُمَّةً أَتَدْرِكُكُمْ فَلْيُضْرِبُوا فِي الْحَدِيثِ⁽¹⁾، وَقُرُونٌ عَلَيْهِ الْخِلَافَةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا سَرَقَ عَبْدُ أَحَدِكُمْ

فليبدوه ولو بفش، فليضربن: الطغفان سرصف خاهر، فالأولى: الأسرار والمثابة الأربعة.

ثم كان من السادة من يتعدى علي عبده ويخرج بانه زني أو سرق ونحو ذلك، فكان

الواجب في مثله أن يشرع على الأرقاء دية م علي الأحرار ليستطع هذا النوع، وإلا يُخبروا

ففي الغد والمعلم، رأسُ خنزيرٍ جافٍ ذلت.

والحد يكون كفارة لأحد وجهيه ، لأن العاصي إما أن يكون متفاداً لأمم الله وحكمه

مسلماً ومجهلاً، ذلكم لانه من حقه نعمة عظيمة، وذلك حديث⁽⁴⁾. ولقد تأسفتم في ان لم تكتب

على أئمة محمد الوصفيهم .

(٢) هكذا في الأصل ورد ذكر الغزوة المحمّدة فقط من لفظنا - ر.م. جلد ١ وهو سلم المؤلف رحمه الله في عنوان السليق - في ذكر العقوبتين الشديدة والمخففة في القتل - كما يجب أن يذكر فيها المجرم والجلد.

(٢٤) فتنبه كما في الفارس في تحرك وجهه فارتد وبخلاف علي وعبر أن حركه وبخلاف بين وجهيهما أي مع الإطاحة بهما في الأسفل وكان خيلهم أن يقلل من وجهيهما لأنه من العجبة، وتنبه كَيْسًا أن ينكس رأسه، واج، وسؤر، شربة، كحمر، بابت، حرم، ولد، حرم، سؤر، لوجه، والده، سؤر، أفت، التخموم كان التخموم.

(3) حیبر و نعامہ.

[١٩] قال في ماعز بن مالك قتيبي كان زني فزوجهم، فليثرا يرمين لو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ فغفلا، واستغفروا لعايز بن مالك، لقم ذبي... إلخ

وإذا أن يكون إبلاماً له ونسراً عليه. وسر ذلك أن العمل يقتضي في حكمة الله أن يجازى في نفسه أو ماله. فصار مقيم الحد خليفة الله في المجازاة. فندبر.
قال الله تعالى: ﴿أَنزِلْنَا الرِّالَ فَاثْبُدُوا فِي وُدِّ رَبِّهِمْ يَوْمَ يَكُونُ﴾ (أنور الآية ٢٠).

وقال عمر رضي الله عنه: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأرسل عليه الكتاب فكان معاً أنزل الله آية الرجب، وأختم رسول الله ﷺ رزقهما بعدد، ولزجهم في كتاب الله حين علو من زمر. إذا أحسن من أم جال والله.

أقول: إما لجعل حد الشخص الرجب، وحد غير الشخص الحد. لأنه كما يسم تكليف يسرع خمس عشرة أو نحوها. ولا يتم دون ذلك لعدم تمام العقل وتتمام الحجة بطونه من السرائر. فلذلك ينبغي أن تتفاوت العقوبة المترتبة على التكليف باتباع العمل وصيرورته وجلاً كاملاً مستقلاً بأمره مستجاباً برأيه. ولأن الشخص كامل وغير الشخص ناقص، فصار راسطة بين الأحرار الكاملين وبين العبيد. ولم يعتبر ذلك إلا في الرجب خاصة لأنه شدة عقوبة شؤعت في حق الله.

وأما العصاص فيحق الناس، وهم محتاجون، فلا يصح حقوقهم. وأما حد السرقة وغيرها فيليس بمنزلة الرجب، ولأن المعصية متى أتحم الله عليه أفضله على كثير من خلقه أفتح وأشهر. لأنها كسب الكفران. فكان من حقه أن يُراد في العقوبة نهاية وإنما جعل حد اشكر مائة جزاء لأنها عدد كبير مضبوط يحصل به لمزيد والإيلاء. وإنما عوقب بالتغريب لأن العقوبة المؤقتة تكون على وجهين: إيلاء في البدن والحقاق جلاء وحجائه وعار وفقد مالوف في النفس، والأولى عموية جسدانية والثانية عقوبة نفسانية. ولا يتم العقوبة إلا بأن جميع الوجهين قد الله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ سُبُلَ مَن عَمِلَ السَّيِّئَاتِ﴾ (آية ١١٥ - ١١٦)

الله ٢٥

أقول: السر في تصنيف العقوبة على الأركان^(١) أنهم يتوزعون إرمهم إلى مراتبهم. فلو شرع بينهم مزاورة بالغة أقصى المباح لفتح ذلك باب المدوان بأن يقتل لموتى عمده ويحتج بما قد ولا يكون سبيل المذاهمة عليه. فنقص من حادهم ويجعل ما لا يقتضي إلى الهلاك. والذي ذكره في الفرق بين الشخص وغيره يأتي هذا.

قال رسول الله ﷺ: «مَن أَعْيَا عَدُوًّا عَدِيَّ عَدُوًّا عَدِيًّا» قد جعل الله بين سبيلاً الذكور والذكور^(٢) جلد مائة وتغريب عام، والثبب بالثبب، جلد مائة والرجم. وعمل به علي رضي الله عنه.

(١) في السبيل

(٢) في حد مائة

أقول: أشتبه هذا على الناس وطبعهم، فاستمع مع رحمة النبي وعدم جلده، وعندي أنه ليس منافضاً له وإن الآية عامة، لكن من الإنصاف على الترجيم عند وجوبهما، وإنه شبه مثل القسر في السر، فإنه لو أتم جرمه، يكن بشرّاً له القسر، وإنما شرع ذلك لأن الترجيم عقوبة عظيمة، تنصبت ما دبره، وبهذا يجمع^(١) بين قوله ثقة هذا وعمل عني وهو الله عنه وبين عمله ثقة وأتم شذذه، فلي الإنصاف على الترجيم، وحادث جازم: أمر بالجلد ثم أخبر أنه لم يحضر فأمر به الترجيم، يدل عليه، فإنه ما أقدم على العبد إلا لجواز مثله^(٢) مع كل ذلك.

وعندي أن التعريف يحصل المغفرة، وبه يجمع بين الآثار.

أما قال: ما من من ذلك، زلت خطيائي، قال: يلا، عليك قلت أو غمزت^(٣) أو نظرت؟ قال: لا يا رسول الله، قال: «تكنه»^(٤) قال: نعم، فعدت ذلك أمر برحمة أقول: بعد مواع الاحتماء، وقد يقال الزنا على ما دون الفرج، نحو ما يلا، «فأما الإنسان كذا» وزنا مؤخر كذا، فوجب استنبط واستحق في مثل ذلك.

وعلم أن الخبر على غلبة القول العدم، لأنه لإقامة أحد ثابت، والثابت كمن لا ذنب له، غير حجة ألا يحد، لكن من وجوه مختلفة لإقامة الحد عليه.

منها أنه لو كان يظهر التوبة والفرار^(٥) للحد به يعجز كل من كان يحد، وما استمر بمرحلة، وإمام ما يحرف، فيزدري عنه الحد، وذلك صراحة بمصاحبة.

ومنها أن التوبة لا تنب إلا أن يتنصد بعمل شاق عظيم لا يتأتى إلا من مخلص، ولذلك قال النبي ﷺ في مامر له أسلم بك سرحين، ألمعد تاب توبة، لو قُضيت بيزامة معونة، لو سعتهم، وقال عليه الصلاة والسلام في «أماية»^(٦) «أقد تبت توبة في ذلها صاحب مكس لغفر له».

ومع ذلك فاستحب الصبر عليه، وهو قوله ﷺ «يؤزال»^(٧) «لو سقرته ستوبك لكان خيراً لك»، وأن يؤمر به أن يتوب فيما بينه وبين الله، وأن يحث في ذم الحد.

(١) وقوله: معناه أن النبي بالشبه حاله مثله في كماله، فهو محصن، والحد من ذلك مستثنى.

(٢) تعصياً لمسا بالآية (٣) أرى، لعن.

(٤) أي حشمتها. (٥) أرى الكلام، وهو من كان في، شقاً.

(٦) أي دعاً.

(٧) عند قبيصة عن أبيه: «وهو حراً لما ويعد شي حال من فولد بجنونة علم، وأما منفسع له علم، وجه حاله فسيبها، فقال ﷺ «ههنا يا خالد» قال: «لا»، «نخ»، «والمكس الصوبية التي بالخدا العاشر من شهر ظملاً غير العسقة الشرعية، وأندع دور وأندع أخرب».

(٨) وهو الذي رأى صابر، «أماية» وأشر إلى عدم قر، «أماية» وهي «أماية».

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زِلْتُمْ لِقَاءَ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنُوا رَأْيَكُمْ فَلْيَجْلَسُوا» الحد ولا يُتَزَيَّدُ عليها^(١)
ثم إن زلت فليجلسا الحد ولا يترب عاياه.

أقول: السر في ذلك أن الإنسان مأثور شرعاً أن يذب عن حرمته لخاصته ومحملاً
على ذلك جأفة. ولو لم يُشْرَعِ الحد إلا عند الإمام لما استطاع الحد إقامة ني كثير من
النور ولم يحقق الذب عن المأثور^(٢)، ولو لم يُحْدَ مقدار معين للحد لتجاوز المجدوز إلى
حد الإهلاك أو الإيلام الزائد على الحد، فبذلك فإن النبي ﷺ: «لا يُتَزَيَّدُ».

قال ﷺ: «تَقْبَلُوا نَوِيَّ حَيْثُ عَشَرْتُهُمْ، إِلَّا الْحَمْدَ».

أقول: العباد عوي الهيئات أهل العروقات، بما أن يعلم من وجب صلاح في الدين،
وكانت العبرة أمرً مرط منه على خلاف عادته ثم قدم، فمثل هذا ينبغي أن يُجَاوِزَ عنه، أو
يكونوا أهل مودة ومياسة وكثير في الناس، فله تُعْصَبُ المصوبة عليهم في كل ذنب قليل أو
كثير لكن في ذلك فوج باب الترحم واختلاف عشر الإمام رغبى عليه، ومن انقوس كثيراً
ما لا تحتل ذلك.

وما الحدود فلا ينبغي أن يُهْمَلَ، لا إذا فوج لها سب شرعي تدرى به، ولو أهمل
لناقضت المصلحة وسفقت فائدة الحدود.

وقال ﷺ في مُكَلِّحٍ رزني: «مَنْ خَلَى لَهُ بِمُكَلِّحٍ مِائَةَ شَيْءٍ رَاحَ غَاضِيُهُ بِهِ».

اعلم أن من لا يستطيع أن يُقَامَ عليه الحدود تضعف في حبه، فمَنْ قَرَّكَ مَدَى كَانَ
مُتَذَكِّراً لِمَا كَدَّ الحدود، وإذا تَلَاَقَى بالشرائع الثلاثة أشي جعلها الله تعالى بمنزلة الأمور
النجلية أن تجعل كالعوارض بالحاضية وبعض عيبها بالسراجف، وأيضاً فإن فيه بعض الأسم
والحيوس لا ضرورة في تركه.

واعلم في حد اللواط، قليل: هي من الزنا، وقيل: يحتل، حديث: «مَنْ وَجَدَ شَوْهَهُ
بِعَيْنٍ عَمِلَ قَوْمٌ لَوْ بَدَأُوا فَاعْلُوا وَفَعَعَلُوا بِهِ» قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ يَزْنُونَ كُنُفُهُمْ ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ شَيْئاً وَأَسْهُوَ شَيْئاً لَا يَخْلُوا لِمَ شَيْئاً كَذَا وَأَرْسَلَهُ
فَعَمَّ فَتَمِيزُوا ١٤﴾ أَلَا تَرَى أَنَّ الْوُزْنَ يَزْنُونَ وَأَنَّ رَسْمَهُمْ وَأَنَّ عَمْرُؤَ رَسْمِهِ ١٥﴾ [النور: ١٤، ١٥]

وفي حكم المَخْصَصَاتِ المَخْصَصُونَ للإجماع، والمَخْصَصِينَ: حر مكلف مسلم عصف من
رط، يُحْدَ به.

[١] من اقتراب وهو اقتراب، أي لا ينبغي بالتزويج فقط.

[٢] الأول واحرم واليقول عداة والعترك الزنا. والمندج القامس لخلقة

رق: العتاك على وزن متقال فمن غير كون عليه نساء. ويقال قل ولد من منه شعرا بالعكر وسدى
يهلاً

واعلم أن ههنا وجهين متعارضين، وذلك أن الزنا معصية كبيرة يجب إحكامها وإقامة الحد عليها والمزاحمة بها، وكذلك القذف معصية كبيرة، وفي إحداهما عار عظيم يجب إقامة الحد عليها، ويشبه القذف بالشهادة على الزنا، فلو أخذنا العقاب لتقيم عليه الحد بقوله: أنا شاهد على الزنا، وفيه بطلان لحد القذف، والذي هو شاهد على الزنا يذبح عن نفسه الشهادة عليه بأنه قاذف بسحق الحد، فلما تناقض التحذران في هذه الجملة عند سياسة الأمة وجب أن يفرق بينهما بأمر ظاهر، وذلك كثرة المعصيتين، فإنهم إذا كثروا قوي ظن الشهادة والصدق، وضعت على القذف، فإن القذف يستدعي جمع مفتين، ضعف في الدين، دخل بالنسبة إلى المذنبين، وبعد أن يجتمعوا في جماعة من المسلمين، وإنما لم يكتب بعدالة الشاهدين لأن المسألة مأخوذة في جميع المحرق، فلا يظهر لتعارض أثر، وضبطت الكثرة بمراد تصاب الشهادة.

وأما يجعل حد القذف لعين لأنه يشهد أن يكون أقل من الزنا، فإن إشاعة فاحشة ليست بمنزلة فعلها، ومبدأ التصديق^(١) يستلزم ظاهر وهو عشرون، فإنه تحصيل المائة^(٢)، وإنما يجعل من تمام هذه عدم قبول الشهادة لما ذكرنا أن الإيلاء فساداً جسماني ونفساني، وقد عثر الشرع جمعها في جميع الحدود، لكن جمع مع حد الزنا التشريب لأن الزنا عد سياسة ولاه الأمور وغيره الأولياء لا يتصور إلا بعد مخالطة ومناجزة وطول صحبة واتلاف، فمنازاة المناسب له أن يجلي عن حمل الفتن، ولجئ مع حد القذف عدم قبول الشهادة لأنه إخبار و شهادة إخبار، فجوزي بعد من حسن المعصية، فإن عدم قبول الشهادة من العقاب عقوبة، وعدم قبولها من سائر المعصاة لغوات ثمراته والرضا، أيضاً فقد ذكرنا أن القذف لا يجوز أن يقول: أنا شاهد، فيكون ساد هذا الباب أن يعاقب بمثل ما احتج به، وجميع في حد الخمر التكب^(٣).

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقْبِلُ﴾ (التوبة: ١٨) هل الاستثناء راجع إلى عدم قبول الشهادة أم لا؟

والظاهر مما مؤدنا أن الفسق لما انتهى وجب أن ينتهي أثره وعقوبته، وقد اعتبره الخلفاء لحد الزنا في تصفيف العقوبة على الأرقام.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالشَّارِقَةَ فَاعْتَبِرُوا يَوْمَهُمَا كَذَرَا بَآءَ كَذِبًا نَكَلًا إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ ظُهُرُ النَّجْمِ﴾ (التوبة: ١٨).

واعلم أن النبي ﷺ بُعث مبشراً لما أنزل إليه، وهو قوله تعالى:

(١) أي القبي في حد الزنا

(٢) أي عار عظيم

(٣) أي قبيح.

، كان أحد مال البحر تماماً عنه السرقة، ومنه قطع الطريق، ومنه الاختلاس. ومنه الخيانة، ومنه الانعطاف، ومنه المصداق، ومنه ما يقال له قننه المبالاة والنورج، ويجب أن يسأل النبي ﷺ حقيقة المسئلة متبصرة عن هذه الأمور.

وصرف التفسير أن ينظر إلى ذنوبات هذه الأسماء التي لا تحدث في السرقة ويجمع بها التعارف في حرف ثمان، ثم يضيف السرقة بأمر مذبذبة معلومة يحصل بها التمييز منها ولا حراز عنها:

تقطع الطريق والتهرب والحرمة أسماء تبنى عن اعتماد القوة بالنسبة إلى المظلومين واختيار مكان أو زمان لا يلحق فيه الموت من مساعدة المصلين.

والاختلاس بين عن انعطاف، على تغير الناس وفي مولى منهم ودمج.

والخيانة تبنى عن تقديم شراكة أو مصادقة وإذني بالخصم فيه ونحو ذلك.

والانقطاع بين عن وجدان شيء من غير حراز

والغصب بين عن غلبة بالنسبة إلى المظلوم، لا معتمداً على الحرب والهرب ولكن على الحذل وقهر أو دفع قبضة إلى لولة ولا تكشف عنهم حيلة الحذل.

ولقة نصلاً وانورج يقال في الشيء الذي يجري الكرف بيذله والعمالة به بين الناس، كالماء والمطرب.

فصطك النبي ﷺ الاجتياز عن ذنوبات هذه الأسماء. قال رسول الله ﷺ: لا تقطع يد السارق إلا في ربح ميسره، وذوي: القطع فيما بلغ ثمن أربعين، وذوي أنه قطع من سبع ثمانية دراهم، ولصع عثمان رضي الله عنه من أقرحة لثمنه ثلاثة دراهم من حمراء شي عشر درهماً

والحاصل أن هذه التفسيرات الثلاث كانت منطقة على شيء واحد في زمانه ﷺ ثم اختلفت بعده، ولم يسلح الجرح للاختيار، لعدم التضييق، فاختلف المسلمون في الحازين، لا ترمون فاعيل: ربح دينار، وقيل: ثلاثة دراهم، وقيل: ملوح الحال إلى أحد القدرين، وهو الأظهر حديثي: وهذا شريعة النبي ﷺ فترتد إلى التلاف وشيرة، لأنه لا يردع المستعد، حتى دون جنس، إذ اختلاف الأسعار في البلدان واختلاف الأجناس بنفسه وحسابه بحسب اختلاف البلاد، فمباح قوم وثاقهم مال عزيز عند آخرين، فوجب أن يُعتبر بتقدير في الثمن، وقيل: يعتبر فيهما، وأن الحطب وزن ١٠٠ كقوته عشرة دراهم لا يقطع فيه.

(١) أي: الحزير، ومجولة: ربح خيلاه أي: وكان ربح الخيل يربح ثلاثة دراهم، والحدود: الميراث

وقال يَحْيَى: «لا قطع في ثمر معلوق ولا في حويصة الجبل» أي: لا تؤاخذ بآكله الغواص والجرير^(١) فالقطع فيما بلغ ثمن الجبن. ويحل من الثمر المعلق لئلا عليه الصلاة والسلام. من سرق منه شيئاً بعد أن يؤويه كخدين فليلق ثمن المعدن فعليه القطع.

أقول: أنهم الذي يَحْيَى أن الجوز شرط القطع، وبسببه ذلك أنه غير المشترط بذلك به الاتفاق، فيجب الاعتناء عنه.

قال يَحْيَى: «ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع».

أقول: أنهم التي يَحْيَى أنه لا يبي السرق من أخذ المال مخفياً ولا كان بهية أو خفية، ولا يقطعها شركة وأزوم حتى. والا كان غيبة أو استعلاء لحظ.

وفي الآثار في المعد يسرق مال سيئته. إنما هو مالك بعضه في بعض. قال يَحْيَى في السارق: «قطعه ثم اصنوه».

أقول: إنما أمر بالجسم^(٢) فلا يسري فملكه، فإن الجسم ميبه مع السرابة

وأمر عليه الصلاة والسلام بأن يدق فُدُقَتْ في سبي السارق.

أقول: إنما فعل هذا لتشهير وإلحاق الناس أنه سارق وقرناً بين ما يقطع اليد ظناً وبين ما يقطع حداً.

وقال يَحْيَى في سرق ما دون النصاب: «عليه العقوبة وعرامة مثليه».

أقول: إنما أمر بعرامة المشتكين لأنه لا بد له من دفع وعقوبة مالية وبدنية، فإن الإنسان إذا ارتدع بالمال أكثر من ألم الجسد، وربما يكون الأمر بانعكاس، فجمع بين ذلك، ثم عرامة مثله يجعل كأن لم يكن سارق وليس به عقوبة، ولذلك ردت غرامة أخرى لتكون ماقضة لقده في السرقة.

وأمر رسول الله ﷺ بلص أنه يحرق بلص أنه يحرق اعترافاً ولم يبد منه شيء فقال: «ما أخافك سرقته، قال: بلى، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثاً، فأمر به فقطع، وجرى به فقال: «أهل استغفر الله ويؤوب إليه»، فقال: استغفر الله وأتوب إليه، قال: «لهم ثب عليه ثلاثاً».

أقول: السبب في ذلك أن العاصي المعترف بذنبه التائب عليه يسحق أن يحرق في دمه الحمد عنه، وقد ذكرنا قوله، الله تعالى:

(١) أي: الغواص الذي تحبس إذا سرق غداً قطع فيها لعدم الجوز، والغواص يصمم لعميق: مأوى الزبل والجسم للسوق بالبحر.

(٢) الجوز: فتح تميم قيس.

(٣) لئلا يفسد في الدهن لدى أعلى حلقه للعد.

﴿يَمَّا جَزَا ثَوَابَ الْقِيَمَاتِ بِحَقِّهِمْ أَذْنُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ﴾ ... الآية [مائدة: الآية 30].

أقول: الحرابة لا تكون إلا معتمدة على القتل بالنسبة إلى الجماعة التي وقع العدوان عليها، والسبب في مشروعية هذا الحد أشد من حد السرقة: أن الاجتماع الكثير من بني آدم لا يغفل من أنفسي تنسب عليهم الخصلة السيئة لهم جزاء شديدة وقاتل واجتماع فلا يزالون بالاعتق والنهب، وفي ذلك مفسدة أعظم من السرقة، لأن يتسكن أهل الأموال من حفظ أموالهم من السرقات ولا يتسكن أهل الطريق من انتعش من قطاع الطريق، ولا يتيسر لولاء الأمور وجماعة المسلمين نصرتهم في ذلك المكان والزمان، ولأن داعية العمل من نفع الطريق أشد وأغفل، فإن القاطع لا يكون إلا جريء القلب قوي الجنان، ويكون فيما مثلك اجتماع واتفاق، بخلاف السواقي، فوجب أن تكون عقوبته أغلظ من عقوبته.

والأكثر على أن الجزاء على الترتيب، وهو الموافق لقوله ﷺ: «لا يقتل المؤمن إلا لأحدى ثلاث» الحديث⁽¹⁾، وقيل: على التخيير، وهو الموافق لكلمة «لو».

وعندي: أن قوله ﷺ «الموافق»⁽²⁾ للجماعة، يحتمل أن يكون قد جمع العتقين، والمراد أن كل حلة تغيب الحكم كما جمع النبي ﷺ بين العتقين، فقال: «لا يخرج الرجلان يخرؤان فداط كلشغون عن عورتها يتعشنان»، فكشف العودة سبب النمن والتعشيت في مثل تلك الحالة أيضاً سبب اللعن.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزَّلُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَمَانَ وَالْأَمَانَ يَشْرِي بَيْنَ مَنَ عَلَى أَفْجَاهِ كَلْبَتِيُو لَنَكُنَّ حَيُّو (١٠) إِنَّا بَرِيءٌ لِّلْمُشْكِكُ أَن يَخْلَع يَتَكَلَّمُ الْقَدَاةُ وَالْمَنَّةُ فِي لَقَرِ وَالْبَيِّنَاتِ رَسُلًا مِّن ذِكْرِ اللَّهِ وَهُوَ الْعَزَّازُ فَهَلْ كُنْتُمْ مُتَوَكِّلِينَ (١١)﴾ [مائدة: الآية ٩٩، ١٠١].

أقول: بين الله تعالى أن في الخمر مفسدتين:

مفسدة في الناس: فإن شاربها يلاحي القوم ويعدو عليهم.

ومفسدة فيما يرجع إلى تهذيب نفسه: فإن شاربها يخلص في حافة بيمية، ويحول عقله الذي به قوام الإحسان.

ولما كان قليل الخمر يدعو إلى كثيره رجب عند سياسة الأمة أن يدار التحريم على كونها فسكرة: لا على وجود السكر في الحال.

ثم بين النبي ﷺ أن الخمر ما هي، فقال: «كل مُشْكِرٍ خمر وكل مسكر حرام»، وقال:

(1) مر شامة في المظالم.

(2) أي في الحديث المذكور سابقاً. والموافق لبيته للترك للجماعة.

الخمر من هاتين الشجرتين: الخلة والعنبة، وتخسيسهما بالذكر لما كان حال⁽¹⁾ تلك البلاد، وسئل عليه الصلاة والسلام عن الخمر⁽²⁾، والنجس، فقال: «كل مُشْكِرٍ حرام»، وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

أقول: هذه الأحاديث مستثناة، ولا أدري أي فرق بين العبي وغيره، لأن التحريم ما نزل إلا للمفسد الذي نفس القرآن عليها، وهي موجودة بهما وفيما هو عما سواه. قال ﷺ: «ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو ينعنها⁽³⁾» ولم يقب له يشربها في الآخرة..

أقول: وسبب ذلك أن العائض في حالة الشهية الخفية عن الإحسان ليس له في لذات الجنان نصيب، فحسب شرب الخمر ولذاتها وعدم الثوبة منها مظنة للعوام وأمر الحكم عليها، واختص من لذات الجنان الخمر الظاهر تخالفه الشئبان⁽⁴⁾ رأي. وأما: أن النفس إذا انتهكت في اللذة الشهيمية في صدم، فعلى سبيل هذا الفعل عنها شبحاً تلك اللذة يذكرها، فلا يستحي أن تتجلى اللذة الإحسانية بصورتها، وأيضاً: فأمزج الجزاء على المناسبة، فمن عصى بالإقدام على شيء، جزاؤه أن يؤلم بفقد مثل تلك اللذة عند طلبه لها واستنرافه عليها.

قال ﷺ: «إن علي الله عهداً لمن شرب المُشْكِر أن يسقيه من طينة الطيآن»، وسببه لخلال: حفصة أهل النار.

أقول: السر في ذلك أن المنج والتم أفرج الأشياء البانة عندنا وأحضرها وأشبعها نفرة بالنسبة للطعام الطيبة، والخمر شيء سيئ فناسب أن يتمشى مفروناً بصفة الفرج في صورة طينة الحبال، وذلك كما قاله في السكر والتكثير: إلهما إنما كانا أزرقين، لأن لمرب يكرهون الزرق، وقد ذكرنا أن بعض الوقائع الخرجية بمنزلة المنام في ذلك. وقال ﷺ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً، وإن تدا، فلا يقبل عليه».

أقول: السر في عدم قبول صلاته أن يظهر صفة البهيمية وغلبتها على الملكية بالإقدام على المعصية اجترأ على الله وغوى نفسه في حالة ذنوبه ثاني الإحسان وتضاداً، ويكون سبباً لفقد استحقاق أن تنفع الصلاة في نفسه ومع الإحسان وأن تنقاد نفسه للحالة الإحسانية.

(1) أي كان معظم ضرورهم من هاتين الشجرتين.

(2) تحرى بكسر الهمزة وسكون اللام: الخمر، شرب أحد اليمين: كلوا يتخونونه من نفرة، والنجس بكسر النون وسكون اللام: النجس، شربهم من طينة الحبال.

(3) أي يذمهم على شربها، وسدولة: عرق.

وكان الشارب يؤتى به إلى النبي ﷺ فَيَأْمُرُ بِضَرْبِهِ بِضَرْبٍ بِالضَّعَالِ وَالْأَرْدَةِ⁽¹⁾ وَالْيَدِ حَتَّى يَبْلُغَ أَرْبَعِينَ ضَرْبَةً، ثُمَّ قَالَ: «بَكَّوْهُ». فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُونَ: مَا أَتَيْتَ اللَّهَ؟ مَا عَشَيْتَ اللَّهَ؟ مَا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ أَخَذَ ثَوْباً مِنَ الْأَرْضِ فَرَمَى بِهِ وَجْهَهُ.

أَقُولُ: السَّبَبُ فِي بَعْضِ هَذَا الْحَدِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْحُدُودِ أَنَّ سَائِرَ الْحُدُودِ لَوْجُودِ مُفَسَّدَةٍ بِالْعَمَلِ: أَنْ يَكُونَ سَرَقٌ مَتَاعاً أَوْ قَطْعُ الطَّرِيقِ أَوْ زَنَى أَوْ قَذْفٌ، وَأَمَّا هَذَا فَقَدْ نُسِيَ بِمِثْلَةِ الْفَسَادِ دُونَ الْفَسَادِ، فَلِذَلِكَ نَقَصَ عَنِ الْمِائَةِ⁽²⁾، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِضَرْبِ أَرْبَعِينَ لِأَنَّهُ مِثْلَةُ الْقَذْفِ وَالْمِثْلَةُ بِبَعْضٍ أَنْ تَكُونَ أَقَلُّ مِنْ نَفْسِ الشَّيْءِ بِمِثْرَةِ نِصْفِهِ.

ثُمَّ لَمَّا كَثُرَ الْفَسَادُ جَعَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حُدّاً ثَمَانِينَ، إِمَّا لِأَنَّهُ أَخَفُّ حُدّاً فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَا يَجَاوِزُ غَيْرَ الْمُتَّصِفِ عَنْ أَهْلِ الْحُدُودِ، وَإِمَّا لِأَنَّ الشَّارِبَ يَقْذِفُ غَالِباً، إِنْ لَمْ يَكُنْ زَنَى أَوْ قَتَلَ، وَالغَالِبُ حُكْمُهُ حُكْمُ الْمُتَّصِفِ. وَأَمَّا سِرُّ التَّبَكُّيْتِ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا لَعَنَ اللَّهُ الثَّانِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ شَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ مِنْهُمْ لِلضَّعِيفِ لَقَاتُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ حَالَاتِ شَفَاعَتِي دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ»⁽³⁾.

أَقُولُ: حَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَحْفَظَ جَاءَ الشَّرْقَاءَ وَالصَّامِحَةَ مِنْهُمْ وَالنَّبِيَّ عَنْهُمْ وَالشَّفَاعَةَ فِي أَرْحَمِ أُمَرَاءِ بَرَاءَتِهِ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَإِنَّمَا لَهَا طَوَائِفُ التَّامِسِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَاعْتَدَ فِي ذَلِكَ وَجْهٌ، فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ وَالصَّامِحَةَ بِالشَّرْقَاءِ مَنَاقِضُ لِقَاعِ اللَّهِ الْحُدُودِ.

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ثَمَنِ الْمَحْدُودِ وَالْوَقْعِ فِيهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَباً لِعِتْنَاءِ النَّاسِ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ، وَلِأَنَّ الْحَدَّ كِفَارَةٌ، وَالشَّيْءُ إِمَّا تَذَوُّرٌ أَوْ بِالْكَفَّارَةِ صَارَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَنَفِي لِنَهَارِ الْجَنَّةِ مُتَمَسِّسٌ بِهَا».

وَيُعْنَى بِالْحُدُودِ مَزْجُوعَاتُ أَهْلِهَا: (أَحَدَاهُمَا عَتَرِيَّةٌ هُنَا حُرْمَةُ الْمَلَةِ. وَالثَّانِيَةُ الذَّبُّ عَنِ الْإِمَامَةِ).

وَالْأَصْلُ فِي الْأَوَّلَى قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ بَغَى بَيْتَهُ فَحَقَّقْهُ»، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تُفَامَ الْفَلَانَةُ الشَّدِيدَةُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَلَةِ وَالْأَلَا لَانْتِجَ بَابُ هُنَا حُرْمَةُ الْمَلَةِ، وَمَرْضِيَّ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تُجْعَلَ الْمَلَةُ السَّوَابِيَّةُ بِمِثْلَةِ الْأَمْرِ الْمَجْبُولِ عَلَيْهِ الَّذِي لَا يَخْلُكُ عَنْهُ.

وَتَبَيَّنَ الرِّجَاءُ يَقُولُ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الصَّاحِ أَوْ الرِّسْلِ أَوْ تَكْذِيبِ رَسُولٍ أَوْ فِعْلِ شَيْءٍ بِهِ اسْتِهْزَاءً حَرِيصاً بِالْثَمَنِ، وَكُنَّا إِنكَارَ ضَرُورِيَّاتِ النَّبِيِّ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(1) هِيَ جَمْعُ رِيَاءٍ هِيَ لِقَابُ. (2) دَلَّ عَلَى الْفَشَاقَةِ.

(3) هِيَ خَالَفَ لِمَوْلَا.

﴿وَكَلَّمْنَا بِهِ وَيَسْمَعُ﴾ (آية: 12).

وكانت يهودية نَشَأَ النبي ﷺ وتبع فيه، فحفظها رجل حتى ماتت، فأبطل النبي ﷺ دعاء. وذلك لانتقطاع دعة الذي بالظن في دين المسلمين والنشأ والإيذاء الظاهر.
قال رسول الله ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم مقبم بين أظهر المشركين» لا يتراعى ذراهما.

القول: السبب في ذلك أن الاختلاط معهم وكثير سوادهم إحدى النصرتين لهم، ثم ضبط النبي ﷺ القيد من أحياء الكفار بأن يكون منهم بحيث لو أوقدت نار على أرض مكان في بلادهم أو حلقهم لم تظهر للآخرين.

والأصل في الآية⁽¹⁾ قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعْكَ عَلَى الْأَثَرِ فَقَاتِلْهُ أَلَيْسَ سَبَّ نَبِيٍّ لَكَ أَمْرٌ أَتَى﴾ [المجاد: 19] وقوله ﷺ: «إنا ببيع الخلفيتين فقتلوا الآخر منهما».

أقول: السبب في ذلك أن الإمامة مرغوب فيها طبعاً، ولا يغلو اجتماع الناس في الأقاليم من رجل يجترئ لأجلها على القتال، ويجمع نصرت الرجال، فلو ترك ولم يقتل لقتل الخليفة. ثم قاتله آخر فقتله وحلَّ جراً، وفيه فساد عظيم للمسلمين. ولا يشد باب هذه المفسدة إلا بأن تكون الشنة بين المسلمين أن الخليفة إذا انعقدت خلافته ثم خرج آخر ينازعه حلَّ قتله ووجب على المسلمين نصرة الخليفة عليه.

ثم الذي خرج بتناول المظلمة يريد دفعها عن نفسه وهشبرته، أو لنفيسة يتبشها في الخليفة ويختفج عليها بتدليل شرعي، بعد ألا يكون مسلماً عند جمهور المسلمين ولا يكون أمراً من الله فيه عندهم برهان لا يستطيعون إنكاره: فأمره دون الأمر الذي خرج يفسد في الأرض ويشتك السيف دون الشرع، فلا ينبغي أن يُجعلاً بمنزلة واحدة، فلذلك كان الأولي أن يبعث الإمام إليهم قطعاً فاصحاً عالمياً يكشف شبهتهم أو يدفع عنهم مظلمتهم، كما بعث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عبيد الله بن عباس رضي الله عنه إلى الحرورية، فإن رجعوا إلى جماعة المسلمين فيها، وإلا قاتلهم، ولا يقتل مدبرهم ولا أميرهم ولا يُجهز⁽²⁾ على جريحهم، لأن المقصود إنما هو دفع شرهم وتزريق جماعتهم وقد حصل. وأما الثاني فهو من المحاربين وحكمه حكم المعارب.



اعلم أن من الحاجات التي يكثر وقوعها وتشتد مفسدتها المناقشات في الناس؛ فهاها

(1) أي: في المراجعة الثانية.

(2) من قولهم: أجهز على العدو إذا لصر قتله وجزاه.

تكون باعثة على الحداوة ولبغضاء وفساد ذات البين، وتنهج الشح على غمط^(١) الحق والّا
بتفاد للليل، فوجب أن يبحث في كل ناحية من يفصل قضاياهم بالحق، وينهرهم على
العمل به أشدوا أم أورا، ولثلك كان النبي ﷺ يبعث قضاء اعتناء شديداً، ثم لم يزل
المسلمون على ذلك.

ثم لما كان القضاء بين الناس مظنة التجور والحيف وجب أن يرهب الناس عن الجور
في القضاء وأن يشيط الكليات التي ترجع إليها الأحكام.

قال رسول الله ﷺ: «من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين».

أقول: هذا بيان أن القضاء جمل تقبل وأن الإقدام عليه مظنة للهلاك إلا أن يشاء
الله.

وقال ﷺ: «من ابتغى القضاء وسلك وكأل إلى نفعه، ومن كثره عليه أنزل الله ملكاً
يسنده».

أقول: السر فيه أن المطالب لا يخلو غالباً من ناحية نفسانية، من مال أو جاه أو
التسكن من انتقام عذر ونحو ذلك، فلا يتحقق منه خلوص النية الذي هو سبب نزول
المبركات.

قال ﷺ: «لقضاء ثلاثة، واحد في الجنة واثنان في النار، فاما الذي في الجنة فرجل
عرف الحق ونفس به، ورجل عرف الحق فجل في الحكم فهو في النار، ورجل نفس للناس
على جهل فهو في النار».

أقول: في هذا الحديث أنه لا يستوجب القضاء إلا من كان عدلاً بريئاً من العوز
والميل قد عُرِفَ منه ذلك، وعالمأ بمرء، الحق ولا سيما في مسائل القضاء. والسر في
ذلك واضح، فإنه لا يُتصور وجود المصلحة المقصودة إلا بها.

قال ﷺ: «لا يقضن حكم بين اثنين وهو غضبان».

أقول: السبب المقضي لذلك أن الذي اشتغل قلبه بالغضب لا يمكن من التأمل في
الدلائل والقرائن ومعرفة الحق.

قال ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر
واحد»، اجتهده يعني بذل حاقته في اتباع الدليل؛ وذلك لأن التكليف بقدر الترشع، وإتسا
وُضِعَ الإنسان أن يجتهد وليس في وسعه أن يصيب الحق أئبة.

(١) أي استعمل.

وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «إِنَّا تَغْلَسُ إِلَيْكَ وَجُلَانٌ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَقِّي تَسْمِعِ كَلَامَ الآخرِ فَإِنَّ أَوَّلِيَّ أَنْ يَقْبِئَكَ لَكَ لِقَاءُ».

(القول: وذلك لأنه عند ملاخفة الحجتين يظهر التراجع).

واعلم أن القضاء فيه مقامان: أحدهما: أن يعرف جنبة الحال التي تشاجروا فيه، والثاني: الحكم العدل في تلك الحالة، والعاضي قد يحتاج إليهما وقد يحتاج إلى أحدهما فقط، فإذا ادعى كل واحد أن هذا الحيوان مثلاً نَلَكُهُ قد وَكَّدَ في يده، وهذا الحجر النقطه من حبل ارتفع الإشكال لمعرفة جليلة الحال.

والقضية التي وقعت بين علي وبرد وجمفر رضي الله عنهم في حضانة بنت حمزة رضي الله عنه كانت جنبة الحال معلومة، وإنما كان المطلوب الحكم.

إذا ادعى واحد علم الآخر القصب والمال متغير صفته، وأنكر الآخر، ونعت الحاجة أولاً إلى معرفة جنبة الحال هل كان هناك قصب أو لا، رثباً إلى الحكم: هل يحكم برده مبن على المنصوب أو قبحه؟ وقد ضبط التي ﷺ «لَا الْمَقَامِينَ بِضَرْبِ كُلِّية، أما المقام الأول فلا أحق فيه من الشهادات والأيمان، فإنه لا يمكن معرفة العدل إلا بإخبار من خضبرها أو بإخبار صاحب الحال مؤكداً بما يظن أنه لا يكذب معه. قال ﷺ: «لَوْ يُعْطَى لِلنَّاسِ بِدَعْوَاهُمْ لَادْعَى نَاسٌ مَعَهُ رِجَالٌ وَمَوَالِدٌ، وَلَكِنْ لِلْبَيِّنَةِ عَلَى الْمُعْطَى وَالْيَمِينِ عَلَى الْمُتَدْعَى عَلَيْهِ»، فالمدعي هو الذي يذعي خلاف الظاهر ونعت الزيادة، والمُتَدْعَى عليه هو منسحب الأصل والمتمسك بالظاهر، ولا عدل دَمٌ من أن يعتبر فيمن يذعي بَيِّنَةً وفيمن يَتَمَسَّكُ بِالظَّاهِرِ ويدبر عن نفسه اليمين إذا لم تقم حجة الآخر.

وقد أشار النبي ﷺ إلى سبب مشروعية هذا الأصل حيث قال: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ -» إلخ، يعني كان سبباً للتظالم فلا بد من حجة، ثم إنه يعتبر في الشاهد صفة كونه مرضياً عنه لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ رَضِيَ مِنْ أَشْهَادٍ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وذلك بالمقل، بالبرغ، بالصبط، والنطق، والإسلام، والعائلة، والمروءة، وعدم التهمة.

قال ﷺ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَاشِنٍ وَلَا خَائِفَةٍ وَلَا زَلٍّ وَلَا زَلْفَةٍ، وَلَا ذِي بَغْضٍ»^(١) على

(١) أي: حلف.

تغيره، وتؤكد شهادة اثناعشر^(١) لاهل طيبات، وقال الله تعالى في المائدة:

﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ لَكُمْ الشُّكَّاءَ قُلُوبًا إِذْ يَدْعُوهمَ تَتَذَكَّرُ بِهِمْ بِأَفْئِدَتِهِمْ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَلَئِنِ طَعَنُوا فِيكُمْ لَغَوِيٍّ لَّغَوِيٍّ ۖ لَا تَنْفَعُ بَلَايَا مِنْ بَدَاكُمْ وَتَلَعُوا لَهَا فُجُورًا وَنُصْرًا ۖ﴾ [النور: الآية ٢٥].

وفي حكم المذوف والزاد سائر تكبيرات، وذلك لأن الخبر يحتمل في نفسه الكذب والكذب، وإسما يترجح أحد المحتملين بالفريضة، وهي إما في الخبر أو في المخبر عنه أو غيرهما، وليس شيء من ذلك مضموناً يثبت أن يبادر عليه المحكم التشريعي إلا صفات المخبر، غير ما ذكرنا من الظاهر والاستصحاب، وقد اعتبر مرة حيث شُرِعَ للمُدَّعي اليانة والمُدَّعي عليه البين، ثم اعتبر عدد الشهود على أطوار وزعها على أنواع الحقوق، فالزنا لا يثبت إلا بأربعة شهداء، والأصل فيه قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ لَكُمْ الشُّكَّاءَ قُلُوبًا إِذْ يَدْعُوهمَ تَتَذَكَّرُ بِهِمْ بِأَفْئِدَتِهِمْ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَلَئِنِ طَعَنُوا فِيكُمْ لَغَوِيٍّ لَّغَوِيٍّ﴾ [نور: الآية ٢٥].

وقد ذكر سبب مشروعية هذا من قبل.

ولا يُعتبر في الغصاص والحيود إلا شهادة رجلين، والأصل فيه قول الزهري رحمه الله تعالى: جرت السنة من عهد رسول الله ﷺ ألا تقبل شهادة النساء في الحدود، ويعتبر في الحقوق المالية شهادة رجل وامرأتين، والأصل فيه قوله تعالى:

﴿إِنْ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِالْأَحْكَامِ﴾ [بقره: الآية ٢٨٢].

وقد ثبت الله تعالى على سبب مشروعية الكثرة في جانب النساء، فقال:

﴿أَنْ تَشِيرَ إِنْ شِئْتُمْ فَقَدْ حَكَمَ بِشَهَادَةِ الْأَمْرِ﴾ [بقره: الآية ٢٨٢].

يعني من ناقصات العقل، فلا بد من تجزئ هذا التخصيص بزيادة العدد.

وقضى رسول الله ﷺ بثأحد وعين، وذلك لأن الشاهد العدل إذا نعت معه البين تأكد الأمر، وأمر الشهادات لا بد فيه من توثيق، وجرت سنة أنه إذا كان ريب زحى الشاهدان، وذلك لأن شهادتهما إنما اعتبرت من جهة صفاقتهما المرجحة للصدق على الكذب فلا بد من تيقنهما.

وجرت السنة أنه إذا كان ريب غُلُظت الأيمان بالزمان والمكان واللفظ، وذلك لأن الأيمان إنما صارت دليلاً على صدق الخبر من جهة اقتران قرينة تدل على أنه لا يُفْتَم على الكذب معها. فكان حقها إذا كان زيادة ريب طلب قوة القرائن، فالالفاظ زيادة الأسماء والصفات، والأصل فيه قوله ﷺ: «أخلف بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، ونحو ذلك.

(١) هو النمام والنتج ولا كان في خصة أحد أو المشطع لغوم كالأمير والوكيل فله شهادة للثمة

واخبرنا: أن يحلف بمد الحصر، لقوله تعالى:

﴿تَحْمِسُوهَا مِنْ بَقِيَةِ الْعَمَلِ﴾ [المائدة الآية 104].

والمكان: أن يقع بين الزكن والمقام إن كان بمكة، وعند غير رسول الله ﷺ إن كان بالمدينة، وعند الغير في سائر البلدان، لورود فضل هذه الأماكن وتغليب الكذب عنها.

ثم وقعت الحاجة أن يرهيب الناس أشد ترهيب من أن يجتروا على خلاف ما شرع الله لهم لحصل القضايا ومعرفة حجة الحال.

والأصل في تلك الترهيبات ثلاثة أشياء:

أحدنا: أن الإقدام على فعل نهى الله تعالى عنه وعلط في النهي دليل قلة البور
والإجتهاد على الله، فأدبر حكم الاجتهاد على هذه الأشياء وأثبت لها أثر، مثل وسوء
دخول النار وتحريم الجنة ونحو ذلك.

والثاني: أن ذلك سُخِّرَ في الظنم وبمثلة السرقة وقطع الطريق، أو بمثلة دلالة
الساير على المال ليسرق، أو رده⁽¹⁾ القاطع، فتوجهت نعمة الله والامانة والناس على
الحياة في الأرض بالفساد إلى هذا العاصي فاستحق النار.

والثالث: أن مخالفة لما شرع الله لعباده ونهى في سبب جريمته على ما أراد الله هي شراؤه. فإن البسین إنما شرعت معرفة الحق، والبينة إنما شرعت مينة لجلية الحال، فإن جرت السنة زور الشهادة والأيمان انسب باب التصلحة المرعية.

فمن ذلك: كتمان الشهادة، لعوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومنها: شهادة الزور، لعنه عليه السلام من الكفاية شهادة الزور.

وعنها: اليمين الكاذبة، لقوله **يَعْلَمُ**: من حلف على يعين ضيبي⁽²⁾ وهو فيها عاجز
ليقتنع بها حق امرئ مسلم إلى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان.

ومنها: الدعوى الكاذبة، لقوله ﷺ: «من ادعى ما ليس له فليس منا وليتبرأ مقعده من

21. 10. 1991

(2) پدین مدبر بالادست اندازی آید بین آنی لازم بها وحشی اید شرفاً نکات لازمه لصاحبیه من حجة الحكم
وفیض کائنات وقوله: المقطع ان یفسد العلم.

ومنها: الأعداء: لقضاء الغرضي ونسب له الحق، لقوله **يُؤَيِّدُ**، **وَمِنَّا** أنا يشترطه، **وَمِنْكُمْ** شخصين، الحديث^(١).

ومنها: الأصدقاء بالمجادلة وبيع القضية، فإن ذلك لا يدخل من إقضاء ذات قريب، لقوله **يُؤَيِّدُ**، بل يخص الوصل إلى الله **الَّذِي** الخصم.

ورعب ليس ترك الخصامة في الحق والباطل صحيحاً، فإن ذلك مطروحة لدرجة المحاكمة، وأيضاً كثيراً ما لا يكون الحق له، وظهر أن الحق له فلا يخرج عن قهورة اليقين إلا إذا وُكِّن نفسه على ترك الخصومة في الحق والباطل جميعاً. وفي الحديث: **أَنْ رَحِمَ بَيْنَ تَتَابَعًا**، فاقام كل واحد منهما ليثماً بأنها ذابته متحماً^(٢)، فنقص بها رسول الله **يُؤَيِّدُ** للذي في يده.

قول: **وَالسَّرْمِي** ذلك أن المحققين لما تداولوا شمسك، فبقي المتاع في يد صاحب القبرص لعدم ما يقتضيه، أو نقول: اعتضت إحدى نيتيتين بالدليل الظاهر، وهو القبض فوجدت.

وأما المقام الثاني فشرع النبي **يُؤَيِّدُ** فيه أسراً يرجع إليها.

والجاء في ذلك أن حبة المال إذا كانت معنونة على ما يكون:

إما في طلب، كمن وجد شيئاً هو مباح في الأصل وحكمه أبدأ الترجيح، إما بزيادة صفة يكون فيها نفع للمؤمنين ولذات الشيء، أو شيء أحدهما إليه أو بالقرعة، مثلاً: قضية زيد وعليه يسفر رضي الله عنهم في حضارة بنت حمزة رضي الله عنه، فغضى بها نعمتر رضي الله عنه، وقال: «الخلة لم»، ولما **يُؤَيِّدُ** في الأذان، فاشتهروا^(٣)، وكان **يُؤَيِّدُ** إذا أراد سفرأ أقرع بين نائيه.

وما أن يكون عدلث سابقة من غدا أو غصب بغير كز واحد أنه أحز ويكون نكل واحد شبهة وحكمة المتاع، المروء والمعاداة المستبينة عند جمهور الناس، بشر الأقرار والمناظرة المصنوعة بعد عند جمهورهم من المعنونة والمروء، الأمر أو غيرها، بما عندهم، مثلاً: قضية البراء بن عازب دخلت نافذة حائطاً فأقصت به، وأدعى كز واحد أنه معذور، فغضى بها.

(١) قوله **يُؤَيِّدُ**، ولعل يمتنع أن يكون قفز محبته من غير فاضل به على سواد السمع منه، فمن قصصه: «بشيء من حق لبيد لا يأخذ منه، وإنما قطع له قطعه من الفداء».

(٢) أي شامت المدونة، والمقصود بغير لسان من يكون كثير المحصرة.

(٣) أي أرسر إليها القتل وإنما قوله منه وعلمهم أن الذي أي الحكم المال.

(٤) قوله **يُؤَيِّدُ** بضم النون ما نرى في اللغة والصف الأول ثم لم يبعد إلا أن يستعملوا عليه لاستعمال الاستقام، لاقتراحه وللمعانى لاقتراحه الوقت والمكان، أي بينهم إذا لم يزلوا ردة، فترجم.

هو المعروف من عديدهم من حفظ أهل الحواشي أموالهم بالنهار وحفظ أهل المواشي مواشيهم بالليل.

ومن أغرامه المسببة عليها كثير من الأحكام فإن العُثم بالحرِّم، وأصله ما قضى
أنَّه يَنْبَغُ أن يخرج بالضمائم^(١)، وذلك لعسر ضبط المنافع، وأن قَسَمَ الجاهلية ودماءها
وما كان فيه لا يترص بها، وأن الأمر مستأف بعدها، وأن اليد لا بقص لا بدل آخر،
وهو أصل الاسم حادٍ، وإنه إن تعد باب أنه يشر فالحكم أن يكون ما يريد صاحب
التمال أو يتم ذلك، والأصل فيه قوله يَنْبَغُ: «اليمينان إذا اختلفا بينهما والسلطة فائضة...»
الحديث^(٢)، وأن الأصل في كل عقد أن يوفى بكل أحد وعني كل أحد ما التزمه بنفسه إلا
أن يكون عقداً نهى الشرع عنه، وهو قوله يَنْبَغُ: «المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل
حراماً أو حرم حلالاً...» هذه بُدِّ ما شرع النبي ﷺ في المقام الثاني.

ومن القضاة التي قضى فيها رسول الله ﷺ قضية بنت حمزة رضي الله عنه في
الحضانة، حيث قال علي رضي الله عنه: بنت محبي وأنا أحبها، وقال جعفر رضي الله
س: بنت عتي وأحبها فحني، وقال زيد رضي الله ع: بنت أخي قضى بها لجعفر رضي
الله عنه، وقال: «والفئة يستولة الأم».

وقضية ابن وليدة زينة في الدعوة، حيث قال سعد: إن أخي قد عهد إني فيه، وقال
عبد بن زينة: ابن وليدة أبي، وقد على فرائسه. فقال يَنْبَغُ: «هولك يا عبد بن زينة مولد
للعراض وللعاهر الحور».

وقضية زيد رضي الله عنه والأنصاري في شراج الحر^(٣)، فأنشأ يَنْبَغُ إلى أمرهما فيه
سعد، «الشي يا زبير أم لربيل إلى جملاء قنغد» الأنصاري، واستوحى لزبير حقه قال:
«أعيس الماء حتى يرجع إلى الجدر».

وقضية نانة نراء بن عازب رضي الله عنه، دخلت سائلاً لرجل من الأنصار فأقبلت
فيه، قضى يَنْبَغُ أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل.

وقضى يَنْبَغُ بالشعفة فيما لم يُقِيم، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شعفة.
وقد ذكرنا فيما سبق وجوه هذه القضايا

وقال يَنْبَغُ: «إذا اختلفتم في لطريق جعل عزمه سبعة أترع».

(١) موشحه

(٢) قوله: «وحيث يروى في رواية مذكورة ما قال الإبلان لو يزلزلن السيرة».

(٣) جمع شعفة: سيقن الماء من شعرة إلى قسبل، وقوله: «فأنشأ»، في استوحى، أي استولى عليه، وقوله: «الجدر»
معنى الجدار يعني: يبلغ الماء إلى أصل الجدار، وقد مر هذا من قبل.

أقول: وذلك أن الناس إذا حضروا أرضاً سياسة ففسدوا بها واختلفوا في الطريق، فارد بعضهم أن يفتقوا الطريق ويسبي فيها وأنس الآخرون ذلك، وقالوا: لا بد أناس من طريق واسع، ففسي بأن يجعل عرضه سبعة أذرع، وذلك لأنه لا بد من مرور قطارين من الليل يسبي أحدهما إلى جانب وثانيهما إلى الآخر، فإذا جاءت زائلة⁽¹⁾ من ههنا وإيامنة من هالك فلا بد من طريق تسهله ولا كان التحرج، وسنادر ذلك سعة أذرع.

وقال رحمه: «من زرع في أرض قوم بغير إئذنه فليس له من الزرع شيء وله نفعته».

أقول: عمله بمنزلة أجير عمل له عملاً يافعاً، وإن أعلم

الجهاد

اعلم أن أهم الشرائع وأكمل النواميس هو الشرع الذي يؤمر به بالجهاد، وذلك لأن تكليف الله عباده بما أمر ونهى منه كمثل رجل مريض عييد، فأمر رجلاً من خاصته أن يستقيهم دواء، فلو أنه فهرهم على شرب الدواء وأوجروهم في أنواهم لكان حياءً، لكن الرحمة تقتضي أن يبين لهم فوائد الدواء ليشربوه على رغبة فيه، وأن يخلط معه العمل ليتعده فيه رغبة عظيمة والمثلية.

ثم إن كثيراً من الناس يغلب عليهم الشهوات الخبيثة والأغلاق السلبية ورساوس الشيطان في حب الرياضات، ويصنعون فخرهم رسوم أمانهم، فلا يسمعون تلك القوائد ولا تؤيدون لها ما أمر به النبي ﷺ ولا يقاتلون في حسته، فليست الرحمة في حق أولئك أن يفحص على إثبات الخطة عليهم، بل الرحمة في حقهم أن يفهموا ليدخل الإيمان عليهم على رغم أنفسهم، بمنزلة إيجاد الدواء المر ولا فخر ولا بغش من نه منهم نكابة شديدة وتفتق قوي، أو تخريق منعتهم وسلب أموالهم حتى يصبروا لا يتدرون على شيء، فعند ذلك يدخل أساعهم⁽²⁾ وفوارهم في الإيمان برفعة وطوع، ولذلك كتب رسول الله ﷺ إلى قيس: «كان عليك إثم الأريسيين⁽³⁾».

وربما كان أحرهم وفهرهم يؤذي إلى إيمانهم، وإن هذا أشار النبي ﷺ حيث قال: «عجب الله من قوة يخلقون الجنة في السلاسل».

وأيضاً الرحمة القائمة بالكافة بالنسبة إلى البشر أن يهديهم الله إلى الإيمان، وأن يكبح ظلمهم عن الظلم، وأن يسلح⁽⁴⁾ ألسانهم وتثير منزلهم وسياسة عديتهم، فالمعدن

(1) بحر يحسن عليه الطعام والمناخ (2) أبو الخيم

(3) الانتقام من الفلاحين

الفاصلة التي يظلب عليها نفوس سبعة ويكون لهم تمنع شديد، إنما هو بمنزلة الأكلَّة^(١) في بدن الإنسان، لا يصح الإنسان إلا يقطعه، والذي يتوجه إلى إصلاح مزاجه وإقامة طبيعت لا بد له من القلع، والمثل الثقيل إذا كان خفيفاً إلى الخير الكثير واجب قطعه، ولك عبرة بقرئش ومن خولهم من العرب: كانوا أهد خلق الله عن الإحسان وأغنىهم على الضعفاء، وكانت بينهم مقاتلات شديدة وكان بعضهم بأسر بعضاً، وما كان أكثرهم متأملين في الحجة ناظرين في الدليل، فجاءهم النبي ﷺ، وقتل أشنعهم بطشاً وأحدمهم نفساً، حتى طهر أمر الله وانتقدوا له، فصاروا بعد ذلك من أهل الإحسان واستقامت أمورهم، فلم يكن في الشريعة جهاد أولئك لم يحصل النطق في حقهم.

وأيضاً: فإن الله تعالى غضب على العرب والعجم، وتقضى بزوال دولتهم وكُتِب ملكهم، ففتت في روج^(٢) ورسول الله ﷺ وبواسطته في قلوب أصحابه رضي الله عنهم أن يقاتلوا في سبيل الله ليحصل الأمر المطلوب، فصاروا في ذلك بمنزلة الملائكة تسمى في إتمام ما أمر الله تعالى، فيبر أن الملائكة تسمى من غير أن يعقد فيهم قاعدة كلية، والمسلمون يقاتلون لأجل قاعدة كلية علمهم الله تعالى، وكان عملهم ذلك أعظم الأعمال، وصار القتل لا يُستند إليهم إنما يُستند إلى الأمر، كما يُستند قتل العاصي إلى الأسير دون السياف، وهو مودع تعالى:

﴿ثُمَّ تَتَلَوْنَهُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ تَعَالَى﴾ [الأنعام الآية ١١٧].

والى هذا المرأ أشار النبي ﷺ حيث قال: «مقتل^(٣) عربهم وعجمهم -» الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا كسرى ولا قيصر، يعني المسلمين بدين الجاهلية».

وفضائل الجهاد راجعة إلى أصول:

منها: أنه موافقة لتغيير الحق وإنهائه، فكان السمي في إتمامه سبباً لشمول الرحمة والسعي في إعطاله سبباً لشمول اللعنة والنفاهة عنه في مثل هذا الزمان نفوذاً لغير كثير. ومنها: أن الجهاد عمل شاق يحتاج إلى تعب وبذل مال ومهجة وترك الأوطان والأوطار، فلا يُقِيم عليها إلا من أخلص دينه له وأثر الآخرة على الدنيا، وصح اعتقاده على الله.

ومنها: أن تقت مثل هذه الداعية في القلب لا يكون إلا بشب الملائكة، واحفظهم بهذا الكمال أهدهم عن شروء البهية وأضرهم من دسوخ الدين في قلبه، فيكون معرفاً لسلامة صلوه.

(١) وهو مرض معروف.

(٢) أي قلب.

(٣) أي في حديث: إن الله يقت عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب.

هذا كله إن كان الجهاد على شرطه، وهو ما سُبِّحَ رسول الله ﷺ: إن امرئ يضل شجاعاً ويقاين حمية، فأَيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العلى فهو في سبيل الله.

ومنها: أن الجهاد يشقّق بصورة شغل يوم القيامة، وهو قوله ﷺ: لا يَكْتُمُ^(١) أحد في سبيل الله وإن أعلم بمن يَكْتُمُ في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يُنْقَبُ^(٢) نساء اللون لون الدم والريح ريح المسك.

ومنها: أن الجهاد لما كان أمراً تَرْمِيهِ عند الله تعالى، وهو لا يتم في العادة إلا بأشياء من النفقات روابط الغيل والرمي ونحوها، وجب أن يُعَدَّى المرض إلى هذه الأشياء من جهة إضيقها إلى المطلوب.

ومنها: أن بالجهد تكميل الجملة وتزويدها أمرها وجعله في الناس كالأمر اللازم، وإذا حُفِظَت هذه الأصول انكشف لك حقيقة الأحاديث الواردة في فضائل الجهاد.

قال رسول الله ﷺ: مَنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ أَهْلًا اللَّهُ لِلْمُحَادِّثِينَ بِهِ الْحَدِيثَ^(٣).

أقول: سره أن ارتفاع المكان في دار العزاء يُعْتَالُ لا ارتفاع الصكّة عند الله، وذلك أن تكسب النفس سعداتها من انتطاع الجيوش وغير ذلك، وبأن يكون سبباً لاشتهار شعائر الله ودينه وسائر ما يرضى الله باشتهاره، ولذلك كانت الأعمال التي هي مُطَبَّعة هاتين الخصتين جزأها الدرجات في الجنة، فورد في تآخي انفراد أنه: يقال له اقرأ والرائي ودل كما كنت تدل في النقيض، وورد في الجهاد أنه سبب رفع الدرجات، فإن عمله بقيد ارتفاع النفس فيجأى يمثل ما تَصَفَّته عمله. ثم إن ارتفاع المكان يتحقق بوجوه كثيرة، لكن وجه يتصل بدرجة في الجنة، وإنما كان كل درجة كما بين السماء والأرض لأنه غاية ما تمكّن في علوم البشر من البعد الفوقاني فيتمثل في دار العزاء كما تمكّن في علومهم.

قَالَ ﷺ: مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ ثَلَاثِ^(٤) ثَلَاثِ.

أقول: سره أن انقباض القاتل إنما تُضَيَّ على غيره بأنه عمل عملاً شائعاً لمرضاة الله، وأنه صار بمنزلة شلائكة ومشتبهاً بهم، والمجاهد إذا كان جهاده على ما أمر الشرع به يشبه في كل ذلك، غير أن الاجتهاد في الطاعات يُسَلِّمُ فقهه الناس، وهذا لا يدفعه إلا الخاصة، فشبه به ليتكشف الحال.

(١) أي: يحد.

(٢) أي: يجرد.

(٣) نسبه: أي: سبيل الله ما بين الدرجتين كد بين السماء والأرض، فإذا سلم الله فسلم له لغرض قوله لوسط الجنة وأعلى الجنة رفعة، يرتى كرمه من ربه تسمى لاهل الجنة.

(٤) أي: الثلث بما يجب من شلقاف الجهد في طاعة الله.

ثم مضت الحاجة إلى الترفع في مقدرات الجهاد، لم لا يأتي جهده من العادة إلا بهد كالزواجر والارسي وغيرهما، لأن الله تعالى إذا أمر بشيء أمر به به وعصم أنه لا يتم إلا تلك المقدرات من موجه الأمر به، الترفع عنها.

ورد في الترفع أنه: «يزرع من الدنيا وما فيها»، وأنه: «خير من سيم شهر وقيامه»، وإن مات الجريح عليه عمله الذي كان عمله، وتجرى عليه رزقه، وأمن لعنن.

أقول: أما سر كونه خيراً من الدنيا وما فيها، فالأن له ثمرة باقية في اعداد وكل نعيم من نعيم الدنيا لا محالة رطل.

وأما كونه خيراً من سيم شهر وقيامه فالأنه عمل شاق تأتي على لهسية، لله وجه سبيل الله، كتب جعل ذلك السعد والغم.

وسر إجراء عمله أن الجهاد بنفسه مبني على بعض، سيرة البناء بفوه الحدار على الأساس وينوم السقف على الجدار، وذلك لأن الأتيين من المهاجرين والأحرار كانوا سبب دخول قريش ومن حوأنهم في الإسلام، ثم فتح الله على أبي بني هؤلاء العراف وأخيه، ثم فتح الله على أبي هؤلاء القيس والروم، ثم فتح الله على أبي هؤلاء الهند والبنود السندان، وفتح الله على بنو عرب على الجهاد، ثم ريد حيناً فحيناً، وصار سيرة الأوقات والرباطات والعدقات الجارية.

وما الأمن من القنن، يعني التذكير والتذكير، فإن الشهادة منهما على من لم يظن قاله ابن محمد بنج، ولم يهضر المسرعة، أما المراقبة على شوطه، بهر جمع اجهة على تصليبه بعض العزيمة على تهيئة يوم الله.

قال بنج: «من جهز غزواً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غزواً في الله فقد غزا»، وقال بنج: «الفضل المسقة مثل غسطة في سبيل الله، ونحو ذلك.

أقول: الحق في ذلك أنه حمل نافع للمسلمين يترتب عليه عبيتهم، وهو السعي في الخزو أو الضيقة.

وقد رسول الله بنج: «لا يكم أحد في سبيل الله والله لهم بسير يكم في سبيله، إلا جاء يوم قيامه رجحه يكم دعا، اللون لوز القم وريح ربح السك».

أقول: العمل يلتنس: «الأنس بوشته وصورة ويجر ما فيه من الضاعف بالنسبة إلى العمل» (البحار) «يأيد على تحلل النعمة والراحة سيوة أقرب ما عننا، فإذا جاء شهيد يوم القيامة ظهر عليه عمله يترتب به بصيرة ما في الأعمال».

[1] امر فلم يندشوه في عقه، والعسل العزيمة.

فأمر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَا تُخْفِزْ أَيْدِيَهُمْ قُلُوبُهُمْ تُؤْمِنُ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (١) أنه أحضر في حوف طير خُضِر لها قندليل معلقة بالعرش فسرج^(٢) في الجنة حوت شامة ثم قال في إن الله اقتدبل^(٣).

أقول: لقد بخل في سبل الله بفتح هـ مصداق

إحداها أنه بقى نعمة وأمره كاملة لم تصحل عنونها التي كانت مقبلة فيها في حياتها الدنيا، وإنما هو بعزلة رجل مشغول بأمر محله بأم نعمة، بخلاف الميت الذي ابتلي بأمراض شديدة تُقَرِّ مزاجه وتبسه كثير مما كان فيه

والثانية أنه تمكك الرحمة الإلهية، فتوجه إلى بدم العالم السفلي منها حظيرة الخدس والملائكة المقربون، فلما رعدوا^(٤) عنه وهي معتصة من الله في إقامة دين الله فتح بينه وبين حضرة المنصور فتح واسع، وبول من هناك الأنس والنعمة والراحة، وتفتت إليه حظيرة القدس نفساً مثالية، وبذلك الحياء حسماً محمداً فترجعت من اجتماع هاتين الحظيرتين أمور عجيبة:

منها: أنه تفتت نفسه معتقاً بالعرش حوياً، وذلك لمدله في حمة العرش وهذوح مشته إلى ما هناك

ومنها: أنه تفتت له بدن صبر أحمر، فكونه طيراً لأنه من الملائكة بسببه نظير من ذوات الأرض في ظهور أحكام العرس^(٥)، وبجبالاً، وكونه أخضر لحن منظره.

ومنها: أنه تفتت نعمته وراحته وصورته المروءة كما كان يمشي النعمة في الدنيا بالي كذا والشوا.

ثم مثل الحاجة إلى تمييز ما يفيد تهذيب النفس عند لا يفيد وهو مشبه به، فإن الشرع ليس بأمرين: به نظام الحوي والحدية والجلد، وبتكميل العرس.

فيل: الرجل يقاتل للمعصية^(٦)، والرجل يقاتل للذكور، والرجل يقاتل للبري مكانه^(٧). فاعين يقاتل في سبيل الله؟ قال لا، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

أقول: وذلك لما ذكرنا من أن الأعضاء أجساد، وأن النباتات أرواح إلهية، وإنما

(١) أي، تفرغ، وتطوى، تجميع

(٢) أي، عطف، حرفة

(٣) يعني، كذا أن أحكامه استبرانية ظهور في القول، ومصادره وهي الخير، ومصادره كذا أحكام كذا لكونه يظهر في ثلاثه حكمة وهي تشدها بسيطة

(٤) أي، هب

(٥) أي، في الشهادة والشهرة

الأعمال بالنيات، ولا عبء باجسد إلا بالروح، وربما تفيد استبة فائدة النفس بأن لم يفترق بها إذا كان نيته لمائع مساوي دون تفريقه منه، وهو قوله ﷺ: «إن بالمدينة قولاً ما سوتهم مسيراً ولا قطعتم وأياً إلا كانوا محكم حبيسهم القدر»، وإن كان من تفريط فإن التبعة لم تسلم حتى يترتب عليها الأجر.

قال ﷺ: «البركة في ثلثي الخير»، وقال عليه الصلاة والسلام: «الخير مستقود في ثلثيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والنعمة».

اعلم أن النبي ﷺ بحث بالخلافة العامة وغلبة دينه على سائر الأديان لا يتحقق إلا بالجهاد وعناد آلان، فإذا تركوا الجهاد وأقبلوا آذابات البقر أحاط بهم الدل وغيب عنهم أهل سائر الأديان.

قال ﷺ: «من احتسب، فوساً في سبيل الله إبلاً ما قد وتصنيفاً يومه قال شيفه يوكه ووزوكة ويوكه في ميزانه يوم القيلة».

أقول: ذلك لأنه يتعاني في عافيه وشرايه وفي دونه ويوكه، فصار عمله ذلك مصوراً بصورة ما تعاني فيه - فظهر يوم القيمة كل ذلك، بصورته وجهه.

قال ﷺ: «إن الله يُنخل بالمعهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صلته إيتاب في صلته، والراشي به، وتنبه⁽¹⁾، وقال عليه السلام: «من رمى بمعهم في سبيل الله فهو له عتق⁽²⁾».

أقول: لما علم الله تعالى أن كيب الكفار لا يتم إلا بهذه الأشياء انتقل رضا الحق بوزالة الكفر ونظم إلى عنه.

قال الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ جُنَاحٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَنَاجِ»⁽³⁾.

وفاز الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَنَاجِ»⁽⁴⁾.

وقال ﷺ لرجل: «ألك ولدان؟» قال: نعم. قال: ففيهما سباعد.

أقول: ما كان إقبالهم بأجمعهم على الجهاد يفسد ارتفاقاتهم وحب ألا يقوم به إلا انبعض، وإنما تعين غير الممبول بهذه المقل لأن على أصحابها حرجاً وليس فيهم عتبة معتد بها للإسلام. بل ربما يخاف الضرر منهم.

(1) التنبيل بتشديد السين من يعطي التنبيل للراشي ليرسي به، أو من يريه من الجهد إلى الراشي.

(2) أي: مثل (عتق عبداً).

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ عَلَّمَكُمْ وَاُولَئِكَ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ﴾ [النحل: ٥٤].

أقول: إعلانه كلمة الله لا يتحقق إلا بأن يوصو أنفسهم بالثبات والتجديد والعصر على مقدور لفضائله ولو جرت العادة بأن يبدلوا إذا عجزوا على واحدة ثم يفتقروا المقتضود بل ربما أنفسهم إلا للخللان. وأيضاً: فالعجز يفتقر وصفته وهو أسوأ للاخلاق.

ثم لا بد من بيان حد يتحقق به الفرق بين الوجوه وغيرها.

ولا نحقق الشدة والشجاعة إلا إذا كان أسباب الهزيمة أكثر من أسباب الغلبة، فظهر أولاً بعشرة أمثلة: لأن الكفر يمتد كان أكثر وإن يكن المصدقون إلا أقل شياً، ولو انخفض لهم الفرار لم يتمفق الجهد أصلاً، ثم تفتت إلى مثنيين، لأنه لا تسحق السجدة والسيرت فيما دون ذلك.

ثم لم. وجب الجهاد لإعلانه كلمة الله واجب ما لا يكون الإعلانه إلا به. ولذلك كان النافور وعرضه المفايلة ونصب الأمام على كبر الحجة وأمر واجباً على الإمام وشئته متوفرته. وقد سمي رسول الله ﷺ وخليفته وصي الله عليهم في هذه الباب شئته، وكان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً علم جيش أو على سوية أرضه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، فالتوا عن كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا^(١) الحديث.

وأما نهى عن العسول لما فيه من عدم تقرب المسلمين واختلاف كلمتهم واختلافهم الشئس على العتبات، وكثيراً ما يفتضي ذلك إلى التبريع، وعن مخفر نللا يرتفع الأمان من مباحهم وذمتهم، وتو ارتفع ذنب معظم الفروع وأفرعها، وهي الشدة، وعن الشئلة لأنه تغيير على الله. وعن فنن التولية لأنه تغيير على المسلمين وأمرهم بهم، فإله لو بني حياً لصار رقيقاً لهم وأصبح السبي في الإسلام، وأيضاً فإنه لا يتأخذ عدداً ولا ينصرفه.

والدعوة^(٢) إلى اللات، تعالى: مترتبة:

الأولى: الإسلام مع الهجرة والجهاد، وحسد له ما للمجاهدين من الحق في الغزاة والمقاتلة.

الثانية: الإسلام من غير هجرة ولا جهاد، إلا في الغزاة العام، وحسد لس له نصيب في المعائن والضيء، وذلك لأن نهى إنما يصرّف إلى الأعداء عاأهم، والعادة قاضية بالآ

(١) شقوتوا عداده، ولا تأسروا ولا تأسأوا ولا تغلوا ولذا لميت عسول من لمشركين قدسهم إلى تلات خسد، فليتهن ما ليلوك فقتل منهم ركب منهم المسد، وله مسلم عن سيميل بن يزيعة بموافقه، وتوافد بولعه أن توليد، والسلي في الألفة له لبراً.

(٢) أي المأمر بما أمر الله به من العبادات.

يسمع بيت المال الصروف إلى الممنوعين في بلادهم غير المجاهدين، فلا اختلاف بين هذا وبين قول عمر رضي الله عنه: «فلن عشت قناتين الراعي وهو ينزوي»^(١) جيز نصيب منها لم يعرق بها جيبه، يعني إذا فتح كنوز العموك وهي من الخراج شيء كثير فيبقى بعد حفظ المعاقلة وغيرهم.

الثالث: أن يحكموا من أهل الذمة، ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

فبالأولى تحصل المسلمون من نظام العالم ورفع الظالم من بينهم، ومن تهذيب غرضهم بأن يحصل نجاتهم من النار ويكونوا ساعين في تمضية أمر الله، وبالثانية النجاة من النار من غير أن يتأثروا بترجات المجاهدين، وبالثالثة زوال شوكة الكفار وظهور شوكة المسلمين، وقد بحث النبي ﷺ لهذه المصالح.

ويجب على الإمام أن ينظر في أسباب ظهور شوكة المسلمين وقطاع أيدي الكفار عنهم، ويحتشد ويتأمل في ذلك فيفعل ما أدنى إليه اجتهاده مما عرف هو أو نظيره عن النبي ﷺ وعلمائه رضي الله عنهم، لأن الإمام إنما يجلب لمصالح ولا تنم إلا بذلك، والأصل في هذا الباب بين النبي ﷺ.

ونحن نذكر حاصل أحاديث الباب:

فتقول: يجب أن يشحن ثغور المسلمين بجيوش يحفون من بينهم، يزمر عليهم رجلاً شجاعاً ذا رأي ناصحاً للمسلمين، وإن احتاج إلى حمر عتق أو ماء حسن فله كما فعل رسول الله ﷺ يوم الخندق، وإذا بحث سرية أضر عليهم أفضلهم أو أنفعهم للمسلمين، وأرضاء في نفسه وبجماعة المسلمين خيراً، كما كان رسول الله ﷺ يفعل، وإذا أراد الخروج للغزو عرض جيشه، وشاهد الخيل والرجال فلا يقبل من دون خمس عشرة سنة كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، ولا سُدُلاً، وهو الذي يُقْبَضُ الناس عن الغزو، ولا مُزْجِناً، وهو الذي يُنْصَدُّ بقوة الكفار، والأصل فيه قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا الْحُسُوفَ لَأَنزَلْنَا بِهِ عَذَابَ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَنُفِثَتْهُمُ فَنُفِثُوا مَعَ الْقَائِمِينَ﴾^(٢) لَوْ حَرَّبْنَا بِكَ مَا زَلَّكُمْ يَا حَتَّاءَ لَاؤُمْتُمُوا بِآلَتِكُمْ لَنُكْذِبَنَّ عَنْكُمْ سَفَرَكُمْ وَأَنَّا قَائِمِينَ﴾^(٣) [سورة الإسراء: ١٥ - ١٦].

ولا مشركاً، لقوله ﷺ: «إنا لا نستعين بمشرك» إلا عند ضرورة وثوق به، ولا مراة شابة يخاف عليها، ويأذن للطاعة في السر، لأن ﷺ كان يخبر بأمر سليم ونسوة من

(١) السرو: ما تنمو من الجبل والفتح عن القوي، ونقش اسم محله من حمير.

(٢) ينطهم أي: عوقبهم، وشمالاً: هائل، وقائما: قائماً، لئلا

الأنصار يفتيس انحاء ويدأبون لجرحى، ويحز الجيش ميمنة وميسرة، ويجعل لكل قوم راية ولكل طائفة أسيراً وعريقاً، كما فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح، لأنه أكثر إرهاباً وأقرب قبضاً، ويؤمن لهم شعاعاً يتكلمونه في انبيات لئلا يقتل بعضهم بعضاً، كما كان رسول الله ﷺ يفعل، ويخرج يوم الخميس أو الإثنين، فإنهما يومان يُعرض فيهما للأصحاء، وقد ذكرنا من قبل، ويكفهم من السير ما يطبخه الضميد، إلا عند الضرورة، ويشتر لهم من المنازل أصححها وأوفرها ماء، وينصب الحرس والطلائع إذا خاف العدو، ويخفي من أمره ما يستتاع. ويؤذي إلا من نوي الزاي والتصيعة.

قال رسول الله ﷺ: «لا تطلع الأيدي في القير».

وسره ما يؤنه عمر رضي الله عنه ألا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار، ولأنه كثيراً ما يُفسي إلى اختلاف بين الناس، وذلك بخل بمصلحتهم.

ويقاتل أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ولا يقتل وليداً ولا امرأة ولا شيخاً قانياً، إلا عند ضرورة كاليات، ولا يقطع أشجار ولا يحرق ولا يفتقر المزاب إلا إذا تعينت المصلحة في ذلك، كالبيورة قرية مني النضير، ولا يخس^(١) بالمهد، ولا يحبس البز، لأنه سبب انقطاع المراسلة بينهم، ويخضع، فإن الحرب خدعة، ويوحج عليهم غارين^(٢)، ويومهم بالمجنيق، ويحاصرهم، ويضيق عليهم. ثبت عن رسول الله ﷺ كل ذلك، ولأن القتال لا يتحقق إلا به كما لا حاجة إلى شرحه.

ويجوز الميادرة بأذن الإمام لمن وثق بنفسه، كما فعل علي وحمره رضي الله عنهما، وللمسلمين أن يتصرفوا فيما يحدونه من تلك من العلف والطعام من غير أن يخش، لأنه لو لم يرخص فيه لضايق الحال، فإذا أسروا أسراء خيبر الإمام بن ربيع خصال: القتل، والغداء، والمق، والإرقاق، يفعل من ذلك ما يحق^(٣)، ولالإمام أن يعطيهم الأمان ولا أحادهم، والأسل فيه قوله تعالى

﴿إِن لَّدُنِّي مِنَ التَّشْرِكِ اسْتَجْرَاءٌ كَثِيرٌ﴾ [مائدة: ٤٤].

وذلك لأن دخولهم في الإسلام لا يتحقق إلا بمخاطبة المسلمين ومعرفة حاجتهم وسيرتهم، وأيضاً: فكثيراً ما تقع الحاجة إلى ررد التجار وأشيائهم.

وبما لهم به مال وبه مال، فإن المسلمين ربما يفتقون عن مائة الكفار فيحتاجون إلى الصلح، وربما يحتاجون إلى المال يفتقون به، أو إلى أن يأمنوا من شر قوم فيجاهدوا آخرين.

(١) أي: يفتقر وينكد، والبيورة: القير.

(٢) حال من القسيد المصرد في طلبهم، أي: حال كرمهم طنين غلطي.

(٣) أي: الألف.

وقالت بها: أن يجعل الإمام جعلاً لمن يعمل عدلاً فيه غناء عن المال. يعني: مثلاً أن يقول: من طلع هذا الحصن كله كذا، من جاء بأسير فله كذا، من قتل فتيلاً فله مثله، فإن شرط من مال المسلمين أعطي منه، وإن شرط من الضمة أُعطي من أربعة أخماس. وثالثها أن يخص الإمام بعض الغنائم بشيء لفاته ويأخذ، كما أعطى رسول الله ﷺ سبعة بن الأكوع في غزوة ذي قرد⁽¹⁾ سهم الفارس والواجل حيث ظهر منه نفع عظيم للمسلمين.

والأصح عندي أن السُّبب إتعا يستحقه القاتل بجعل الإمام ليل القتل أو تغيبه بعده .
ويُرفع ما ينبغي أن يوضح دون السهم للنساء يدأوين المرضى ويطبخن الطعام
ويُصنعن شأن الثراء . وللمعبد ولحييائ وأهل الذمة الذين أدل لهم الإمام إن حصل منهم
نفع للمرأة وإن عثر على أن شيئاً من الشيعة كان من ماله مضمون به المذمور رُكَّ عليه بلا
شيء ثم يسمم الجاني على من حضر الموقعة ، للغارس ثلاثة أسهم وللمراجل سهم .

وعندي أنه إن دأب الإمام أن يترك لركبان الإبل أو فرماسة شيئاً أو يفضل العرب على الرافضين بشيء دون السهم فله ذلك بعد أن يشاور أهل كرأى ويكون أمراً لا يختلف عليه لأجله، وبه يجمع اختلاف مير النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في ثواب.

ومن بعد الأمير تمصنحة نحيش، كالبريد والقطيعة والجاسوس، يسهم له وإن لم يحضر الواقعة، كما كان اثنيان يوم بدر.

وَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ فَصَمُرَتْهُ مَا بَيْنَ أَيْدِي نَعَالِهِ حَيْثُ قَامَ :

[illegible]

(١) يغشعهم موضع على إبتين من العينة قد الحار فيه عبد الرحمن الغزالي على شهر رسول الله ﷺ فقد
 يد إلى فتاة ويسعى ملحة.

واختلفت الستن في كيفية قسمة الفيء، فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه الفيء نفسه في حوزة، فأعطى الأهل حطباً وأعطي الأعزب^(١) حظاً، وكان أبو بكر رضي الله عنه يعظم البحر والاعبد، ينوي^(٢) كفاية الحاجة، ووضع عمر رضي الله عنه الديوان على السواقي والباحات، فالرجل وفنده، والرجل وملكه، والرجل وعياله، والرجل وحاجته، والأصل في كل ما كان مثل هذا من الاختلاف أن يحمل على أنه إنما فُعن ذلك على الاحتياط فتروى كل المستنعة بحسب ما رأى في وقته والأراضي التي غلب عليها المسلمون للإمام فيه الخير، إن شاء قسمها في العائين وإن شاء أوقفها على الزكاة، كما فعل رسول الله ﷺ بخيبر، قسم نصفها ووقف نصفها، ووقف عمر رضي الله عنه أرض السواد، وإن شاء أسكنها الكفار دفعه^(٣).

وأمر النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه أن يأخذ من كل حاكم ديناراً أو عدله معافى، وفرض عمر رضي الله عنه على المومنين ثمانية وأربعين درهماً، وعلى المتوسط أربعة وعشرين، وعلى الفقير المتمتع اثني عشر.

ومن مما يعلم أن فقرة مؤرخ إلى الإمام بفعل ما يرى من المصلحة، ولذلك اختلفت بينهم، وكذلك الحكم عني في تقدير الخراج وجمع ما اختلفت فيه سير النبي ﷺ وحلفاءه رضي الله عنهم.

وتما أباح الله لنا الخيعة والقيء بقا بينه النبي ﷺ وسلم حيث قال: «لم تزل تفتلن لأحد من قبلنا نك يلى الله رأى ضعفنا وعجزنا فأعطنا لنا»، وقال ﷺ: «لن لا تفتل لفتي على الأمم وأحل لنا ثغنائهم»، وله شرحنا هذا في القسم الأول فلا نعيده.

والأصل في المصارف أن لأهيات العقائد أمور:

منها: إبقاء من لا يغترون على شيء، لإمالة أو لإحتياج مالهم أو بئيه منهم.

ومنها: حفظ المادية عن شر الكفار بسد الثغور وتغلات المقاتلة والسلاح والكراع.

ومنها: تدمير المديح وساستها من الخرافة والفتنة وإقامة الحدود والحبس.

ومنها: حفظ الملة، بنصب الخطباء والأئمة والوعاظ والندوين.

ومنها: ممانع متبرجة، ككبرى الأنهار وبناء القناطر وجو ذلك.

وأن البلاد على قسم:

قسم تجرد لأهل الإسلام - كالحجاز - أو غلب عليه المسلمون - وقسم أكثر أهل الكفار يغلب عليهم المسلمون بقوة أو ضعف.

(١) أي: فقير لا أمل له.

(٢) يتروى يقصد، وللمستقل الكتاب، ذكرى عمر.

والقسم الثاني يحتاج إلى شيء كثير من جمع الرجال، وإعداد آلات القتال، وصب القضاة، ونحرس والعمال، والأول لا يحتاج إلى هذه الأشياء كاملة وافر.

وأراد الشرع أن يوزع بيت المال المجتمع في كل بلاد على ما يلائمها، فجعل مصروف الزكاة والمشر ما يكون فيه كفاية المحتاجين أكثر من غيرها، ومصروف العتبة والقيء ما يكون فيه إعداد المقابلة وحفظ السنة وتدير المدينة أكثر، ولذلك جعل سهم النيام والمساكين والفقراء من الغنمة والقيء أقل من سهمهم من الصدقات، وسهم المرأة منها أكثر من سهمهم منها.

ثم انسية إنما تحصل بمعانة وإيجاف خيل وركاب، فلا تظبه قلوبهم إلا بأن يُعقلوا منها. والنواميس الكلية المضرورة على كافة الناس لا بد فيها من النظر إلى حال عامة الناس ومن ضم الرغبة الطيبة إلى الرغبة العفلية، ولا يرغبون إلا بأن يكون هناك ما يحدونه بالقتال، فلذلك كان أربعة أخصاسها للعالمين، والقيء إنما يحصل بالرهب دون مباشرة القتال، فجب ألا يُصرف على ناس مخصوصين، فكان حق أن يقدم فيه الأهم فالأهم.

وأصل في الخمس أنه كان المرباع عادة مستمرة في الجاهلية يأخذها وليس القوم وعصيته فتشكّر ذلك في علومهم وما كادوا يحدون في أنفسهم حرجاً منه، وفيه قال القتال:

ولن لنا السرباع من كل غارة تكون يمهّد لو يبارض قتلهم

فشرع الله تعالى الخمس لعوانج المدينة والممة نحواً مما كان عندهم، كما أنزل الآيات على الأنبياء عليهم السلام نحواً مما كان شائعاً ذائعاً فيهم، وكان المرباع لرئيس القوم وعصيته تنويهاً بشأنهم، ولأنهم مشغولون بأمر العامة محتاجون إلى نفقات كثيرة، فجعل الله الخمس لرسول الله ﷺ، لأن عليه الصلاة والسلام مشغول بأمر الناس لا يتفرغ أن يكتسب لأهله، فوجب أن تكون نفقته في مال المسلمين، ولأن النصره حصنت بدعوة النبي ﷺ والرعب الذي أعطاه الله إياه، فكان كحاضر الواقعة، ولذي القربى، لأنهم أكثر الناس حمية للإسلام، حيث اجتمعت فيهم الحمية الدنية إلى الحمية النبوية، فإنه لا فخر لهم إلا بعلو دين محمد ﷺ، ولأن في ذلك تنويه أهل بيت النبي ﷺ، وتلك مصنعة راجعة إلى السنة. وإذا كان العلماء والقراء يكون توفيرهم تنويهاً بالعملة يجب أن يكون توفير ذوي القربى كذلك بالأولى والمحتاجين، وحبطهم بالمساكين والفقراء واليتامى، وقد ثبت أن النبي ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس.

وعلى هذا فتخصص هذه الخمة بالذكر للاهتمام بشأنها والتوكيد ألا يشغذ الخس

والقي، أنيألهم قلة^(١) فيهملوا جانب المحجبي، ونسب باب الظن السيئ بالنسبة إلى
أخيه^(٢) وقرابه.

وإنما شأعت لأطفال والأرامل لأن لإنسان كثيراً ما لا يهتم على مهلكة إلا منيه
يشبع به، وذلك غفلاً وطمعاً، ناسي لا يهتم برعائه.

وإنما جعل الفارس ثلاثة أسهم والمراجل سهم لأن شاء الفارس من أسهمه يقيم
وموته أكثر، وإن رأيت حال الجرحى لم تفك أن الفارس لا مضيق قلبه ولا تكفى مؤنته
إذا جعلت جثته دون ثلاثة أسهم، فهو الأجل، لا يخالف به طوائف العرب والعجم
عسى اختلاف أحوالهم وعاداتهم.

قال زهير: طئ يذودك إن شاء الله لأخرجك اليهود والمصالي من جريبة قعوب، وأرض
بخراج الشرك من.

أقول: حرف، نسي زهير أن الزمار ثوب وسيلان، فربما سمعت الإسلام وانتشر منه
فإن كان العدو في مثل هذا الوقت في سعة لإسلام ومحتة أصبى ذلك إلى فتك سررت
الله وقطعهما، فأمر بإخراجهم من حوالي ثا نعم ومحل سب الله.

وأبعداً من مخالفة مع الكفار ففسد على الناس دينهم وتعثر بوعوهم، لما لم يكن به
من المخالفة في الأقطار أمر بدنية الحرم منهم. وأيضاً الكشف عنه زهير ما يكون في
آخر التزام، فقال: إن ليون ليان للرميسة الحديث^(٣)، ولا تم ذلك إلا بالأكوود
هناك من أهل سدر الأمان، والله أعلم.

(١) أي: جوبا، يكون فيها مرة ولها مرة والأرصاد العطايا

(٢) أو من قس

من أبواب المعيشة

اعلم أن سكان الأقاليم الصالحة يجبهم اغفوا على مراعاة قلوبهم في: مطعمهم، ومشربهم، ومنسجهم، وقيامهم، وقعودهم... وغير ذلك من الهيات والأحوال، وكان ذلك كالأمر المفطور عليه الإنسان عند سلامة مزاجه وظهور مقتضيات بوجه عند اجتماع أفراد من وتأتي بعضها لبعض. وكانت لهم مذاهب في ذلك:

فكان منهم من يسويها على قواعد الحكمة الطبيعية، فيختار في كل ذلك ما يبري نفعه ولا يبخس ضرره بحكم نطق والتجربة، ومنهم من يسويها على قوانين الإحسان حسبما تطليه ملته، ومنهم من يريد محاكاة ملوكهم وحكامهم ورجالهم، ومنهم من يسويها على غير ذلك.

وكان في بعض ذلك منافع يجب التنبيه عليها والأمر به لأجلها، وفي بعض آخر منافع يجب أن ينهى عنها لأجلها ويُنَبِّه عليها، وبعض آخر عقل من المتعدين⁽¹⁾ رجب، أن يفتي على الإمامة ويرثص فيه، فكان تفتيحها والتفتيش عنها إحدى المصالح التي بُعث النبي ﷺ لها.

والصحة في ذلك أمور:

أولها: أنه الاشتغال بهذه الأشغال يسي ذكر الله ويُكثِّر صعاء القلب، فيجب أن يُعائِج هذه السم شربان، وهو أن يُنْشَأَ قبلها وبعدها ومعهما أذكر فروع الشغل عن الطمأنينة بها بأن يكون فيها ما يذكر المتعم الحقيقى ويميل الفكر إلى طالب العلم.

ومنها: أن بعض الأفعال والهيئات تسبب أضراراً شيطانية من حيث إنها لو تمثلوا في مقام أحد أو يظن أنه تشبها ببعضها لا محالة، فتنبئ الإنسان بها مُبْدَأً للشقوت منهم وانطباع الموانها المنعيسة في نفوسهم، فيجب أن يُسَمَّعَ عنها كراهة أو تحريماً حسبما تحكم به المصلحة، كالشيء في نعل واحدة والأكل باليد اليسرى. وبعضها مطردة للشياطين مغرقة من العلانكة، كالتذكر عند ولوج ليك والحدوج منه، ويجب أن يُحْضَرُ عنها.

(1) أي حال من علاقتها.

ومنها: الاحتراز عن هيات ينحرف فيها كالأذى بحكم التجربة، كالنوم على سطح غير محجور وترك المصايح عند النوم، وهو قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَفَوِّضُكُمْ غُفْرًا﴾ على أهلها.

ومنها: مخالفة الأحكام فيما اختاروه من التوفه الفائع، والتعش في الاطمئنان بالحياء الدنيا فأناسهم ذكر الله وأوجب الإكثار من طلب الدنيا وتشييع المذات في نفوسهم، فيجب أن يخص رؤوس تعاقبهم بالتحريم: كالحريم، والفسي، والمبثو، والأرجوان، والنياب المصنوعة فيها الصور، وأما المذهب والفقه، والمصنوع، والحلوق ونحو ذلك، وأن يعم مائر عاداتهم بالكراهية. ويسحب ثوبا كثير من الإرقاء.

ومنها: الاحتراز عن هيات تنافي أوقار وتشتت الإنسان بأهل التبعية من ثم يصرخوا لأحكام الشرع، ليحصل التوسط بين الإفراط والتفريط.

❁ الأطعمة والأشربة ❁

اعلم أنه لما كانت سعادة الإنسان في الأخلاق الأربعة التي ذكرناها وشقاؤه في أخسارها، أوجب حفظ الصحة النفسية وطرد المرض النفسي أن يبعد عن أسباب تغير مزاجه إلى إحدى الوجهتين.

فمنها: أفعال تنسج بها النفس وتدخل في حشر جواهرها، وقد سحنا من جملة صالحة من هذا الباب.

ومنها: أمور تؤلّف في النفس هيات ذنية توجب مشاهدة الشياطين والتباعد من الملائكة وتعمل أخسار الأعلاني الصالحة من حيث مشرود ومن حيث لا يشعرون، فتتلف النفوس الملائكة بأهل الأعلاني الأثارة فلا توارث، فيهيئ من حظيرة القدس بشاعة⁽¹⁾ تلك الأمور كما تلقى الطبيعة كراهية النمر والبشع، وأوجب لطف الله ورحمته بالناس أن يكتفهم برؤوس تلك الأمور، والتي هي متضبط منها وأثرها جلي غير خاف فيهم.

ولما كان أقوى أسباب تغير البدن والأخلاق، المأكول، وجب أن يكون رؤوسها من هذا الباب. فمن أشد ذلك أنرا تناول العيواد الذي شبع قوم بصورته، وذلك أن الله تعالى إذا لعن الإنسان وغضب عليه أورد، غفيرة وآفة، فيه وجود مزاج هو من سلامة الإنسان على طرف شامع وصفع بعيد، حتى يخرج من الصورة النوعية، فذلك آخذ وجوه،

(1) أي: الفلأوة، سميت بها لأنها تخرج عن لافس وتصعد وتولد، تصدح في توكيد فلأرم أن تجتر الفلأوة فتدق فيه.

(2) أي: كرامة، وتسلح البعيد.

الغضب في بدن الإنسان. ويكون خروج مزاجه عند ذلك إلى مشابهة حيوان خبيث تنفر منه الطير السليم. يقال في مثل ذلك: مسخهم الله قردة وخنازير، فكان في حظيرة القدس عام ممثلاً أن يور هذا النوع من الحيوان ويس كونه الإنسان مضروباً عليه بعيداً من الرحمة متأسفة خفية، وأن بينه وبين الطبع السليم الباقي على فطرته يونياً دائماً، فلا خزي أو تذلل هذا الحيوان وجعله جزء مدبه أشد من مخامرة⁽¹⁾ التماسحات والأفعال المهيضة للغضب، ولذلك تم يزل تراجمة حظيرة القدس - نوح حين بعده من الأنبياء عندهم الصلاة والسلام - بحرّسون الخنزير ويأمرون بالتبعد منه إلى أن يسترك عبس عليه السلام فيقلعه ويشبه أن الخنزير كان يأكله قوم منطقت الشوائع بالنهي عنه وهجر أمره أشد ما يكون، والقردة والغارة لم تكن تؤكل فظ وكفى ذلك عن التأكيد الشديد، وهو قول يجل في الصب: **لئن الله لم يصب على سبط من بني إسرائيل فدمهم دواب يذبون في الأرض**. فلا فخر لعن هذا⁽²⁾ منها، وقال الله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ آتَيْنَاهُم آلِهَةً مَّا يَذْكُرُونَ ﴿١٥﴾ إِعَادَةً لِّذُنُوبِهِمْ﴾

ونظيره ما ورد من كراهية السمك بأرض وقع فيها الحصف أو الغضب، وكراهية منات السمضوب عليهم، فإن مخامرة هذه الأشياء ليست أدنى من مخامرة التماسحات، والتأنيب به ليس أقل تأثيراً من التأنيب بالهبات التي يقتضيها مراج الشيطان

ويشبه ذلك حيود خيل على الأخلاق المضادة للأخلاق السطوية من الإنسان حتى صار كالمندفع إليها بضرورة ومصدر غضب به أشد وصارت لطوائع السلبية تستخف وتؤبى تناوله، اليوم إذا فرباً لا يعبأ به.

والذي نكدر فيه هذا المعنى وقهر ظهوراً يتيماً وانقاد له العرب والعجم جميعاً أشبا:

فنها السخ المخلوقة على الخدش والجرح والنصوة وقسوة القلب، ولذلك كان عليه السلام في الدب: **أَوَّلُهَا نُحْدَرُ**

ومها: الحيوانات المسجورة على إنشاء نفس والاختلاف منه واستهزاء المرص للابتزازة عليهم وفوق إتهم الشواطين أو، فذلك كالأعداء، والاحذيات⁽³⁾، والورخ والتداب، والحية، والعقرب وحور ذلك.

(١) أي مضامة

(٢) أي لعن، ولعنوا، المذبح

(٣) جمع جراد طائر معروف في القاموس أنه يجمع على جفا، وجفا، ويحان ولو زج جمع زؤعة، وهو كما في القاموس صم لوجه، ومن لها لعنتها وسرعها. ونعمو أيضاً على لوراع، ووزغن، ووزاع.

ومنها: حيوانات جُمِلت على الطُّعارة والهُوان والتستُّر في الأخطوف، كالقارِء، ومُتَشَدِّد الأرض.

ومنها: حيوانات تُعْتِش بالجِسات أو الجيفة ومخامرتها وشاؤلها، حتى امتلأت أبدانها بالبن.

ومنها: الحمار. فإنه يُقَرَّب به المتل في الحُجَر والهُوان، وكان كثير من أهل الطوائف المسلمة من العرب يحرِّمونه. ويشبه الشَّاطِطِينَ، وهو قوله ﷺ: «إنا مسعومٌ نهيقُ مُحصَرٌ فتَعَوَّنوا بالله من الشَّيْطَانِ، فإنه رأى شَيْطَانًا..»

وأيضاً: قد اتفق الأُصْحاب أن هذه الحيوانات كلها مخالفة لمزاج نوع الإنسان لا يسوغ شاولها بِلْيًا.

وعلمه أن هذا أموراً مبينة تحتاج إلى ضبط الحدود وتفسير المشكَّل.

ومنها: أن المشركين كانوا يذبحون لطلوعهم يتعمَّدون به إليها، وهذا نوع من الإشرار، فاتفقت المحكمة الإلهية أن يُنْهَى عن هذا الإشرار لم يُؤْخَذَ بتحريم النهي عن تناول ما ذُبِحَ لها ليكون كايحاً من ذلك الفعل، وأيضاً فإن بيع الذبيح يسري في المذبح، لم ذكرنا في التصديق، ثم المذبح يُطَوَّعُ غيباً أمر مبهم، خُصَّط بما أُهْلُ تغير الله به وبما ذُبِحَ على النصب وبما ذُبِحَ غير المتدينين، بتحريم الذبيح بغير اسم الله، وهم المسلمون وأهل الكتاب، وجرد ذلك أن يوحى: ذكر اسم الله عند الذبيح، لأنه لا يتحقق الفرق بين الحلال والحرام بادئي الرأي إلا صد ذلك، وأيضاً فإن المحكمة الإلهية لما أباحَت لهم الحيوانات التي هي منهم في الحياة وحمل لهم الطَّوْلَ عليها أوجبت ألا يُخْفَوا عن هذه النعمة عند إزهاق^(١) أرواحها، وذلك أن يذكروا اسم الله عليها، وهو قوله تعالى:

﴿لِيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ أَنَا الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يُحْسِنُوا الْعَمَلُ﴾ [الحج: ١٨]

ومنها: أن الميتة حرام في اللحم واللحم جميعها، أما اللحم فاتفقت عليها لما تنزع من حظيرة الفاس أنها من الخبائث، وأما اللحم فلما أدركوا أن كثيراً منها يكون بمنزلة اللحم من أجل انتشار خلطه كَسَبَتْ لنامي المزاج الإنساني عند التذوق. ثم لا بد من تمييز الميتة من غيرها، فنُصِبَ بما قصد إزهاق روحه للأكل، فحُرِّمَ ذلك إلى تحريم المتردية والنطيحة وما أكل لسبع، فنهى كلها حَبْثاً مؤدبة.

ومنها: أن العرب واليهود كانوا يذبحون ويتحرون، وكان المحجوس يستحقون ويحجرون^(٢)، وتلبيح والنحر سُنَّةُ الأنبياء عليهم السلام توارثوها، وفيهم مصابيح:

(٢) يشقون مصلح.

(١) أي إخراج.

منها بإرادة الطيبة. فإن أقرب، بمعنى لإزهاق الروح، وهو قول ^(١)، فليخرج
 تبيده - وهو سر الهوى عن شرطه ^(٢)، فليطمان.

ومنها أن الدم أحد السمات التي يملكها الإنسان إذا أحبها وبشخصون منها،
وإدراج نظير التديعة سواء الخلق والجمع فليس لها به.

ومنه أن صار ذلك أحد طعائر التهمة لا ينبغي بحرف - الحيني من غيره فكان
بمعرفة الخائن وحصول القضية، فلما تمت المني بطل ما قبله للثمة الحينية وجوب الحق عليه
ثم لا بد من تمييز الحق والواجب من غيرهما، ولا يتحقق إلا بأن يوجب الممعد وأن
يوجب التحليل واللغة، فهذا - أي بعد لأجل حفظ الصحة النفسية والصحة العامة، أما
الذي يهيئ له لأجل الصحة النفسية كالسوء، والنفقات فحالتها ظاهرة

وإن تمهيدت هذه الأصول، فإن تشغل بالتحصيل، فتقول: ما بهي الله عنه من
الأكبر مطلقاً: صنف من جنس في نوع الحيوان، وصنف بهي الله لفظ شرط
الشم: فالحيوان مني أقسام

أهلي، يباح منه الإبل ولقير والسماء، وهو قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَيْدَكَ وَالْأَحْشَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٥]، وذلك لأنها طينة معتدلة المزاج موافقة لشوح الإنسان، وأذن يوم غلب من الحيز ونهى عن الحُمْر. وذلك لأن الحيز ينظف به العرب والعجم وهو أفضل المذريات عليهم وبشبه الإنسان، والحمار يقرب به النمل في السمق والنهران وهو يرى الشيطان يهين، وقد حزمه من العرب لكأنهم فطرية وأظهروهم نفساً، وأكل لحم الدجاج، وفي معناه الأور والسط، لأنها من الطييات، والديك يري العلك فيصنع، وتحزم الكلب والنور لأنها من الباطن وأكلاي النجف، والكتب شيطان.

ووحشي، يحل منه ما يشبه بهيمة الأنعام في أمسها وصفها، كالظباء والفر، الوحشي والدمامة، وأخشي له سجدة لحم الحمار الوحشي فأقله والأوب فقبله، وأكل الصبي على ساداته، لأن الحرب يستطيررون هذه الأشياء.

والتأخر في الضيق، فارة سائداً: فلم يكن بارض قومي فاجدني اعلاه (١٧)، وطولاً
باعتقال المخبر، وحيى عنه تارة.

رئيس فيها عندي شافق، لأنه كان فيه وجهان جميعاً، كل واحد كاف لي المنور.
 لكن نزل عليه الاحتفال وخرج من غير تحريم، وأولاد باليهي الذميمة.

(١) في كل طرف من أن يكون لبيع ذاته أو إقامه من الحق وبتوك الأوامر وحوله: فليست، انفسهم انفسه
المهولة على الفاء أي يسهل الله

(2) ۱۰۰٪

ونهى عن كل ذي ناب من السباع، لخروج طبيعتها من الاعتدال، ولشكامة^(١) أخلاتها وقسوة قلوبها.

وطيّر، يباح منه الحمام والمصغور لأنهما من المستطاب، ونهى عن كل ذي مغلب وسقى بمصها لاسفًا، فلا يجوز تناوله، ويكره ما يأكل الحبيث والنجاسة وكل ما يستخيه العرب، ثمّوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْكَ أَكْلَ الْخَبِيثِ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٦].

وأكل الجراد في عهده ﷺ لأن العرب يستطيرون.

وبُخِروا، يباح منه ما ينخلط به العرب، كالسمك والخنزير^(٢)، وأما ما يستخيه العرب رسميه باسم حيوان محرم، كالخنزير، ففيه تعارض الدلائل، والمتعقّب أفضل^(٣).

وسئل ﷺ عن السمّ مانت فيه الفأرة فقال: «ألقوها وما حولها وكلوه»، وفي رواية: «إنما وقعت ثقلية في السمّ فإن كان جامدًا فألقوها وما حولها وإن كان متعلّقًا فلا تقربوه».

أقول: الحبيث وما تأثر منها خبيث في جميع الأمم والمعلل، فإذا تميّز الخبيث من غيره أُلقي، الخبيث وأكل الطيب، وإن لم يمكن التمييز حُرّم كله. ودل الحديث على حرمة كل نجس ومتنجس.

ونهى عليه السلام عن أكل الجلالة^(٤) وألبانها.

أقول: ذلك لأنها لما شربت أعضاؤها النجاسة وانتشرت في أجزائها كان حكمها حكم النجاسات أو حكم من يتعشّى بالنجاسة.

لأن ﷺ: «أُجِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَتَمَلَنَ، إِمَّا لِمِيتَتَيْنِ الْحَوْتَ وَالْجَرَادَ، وَتَمَلَنَ الْكَبِدَ وَالطَّحَالَ».

أقول: الكبد والطحال عضوان من أعضاء بدن البهيمة لكنهما يشبهان، الدم، فأزاح^(٥) النبي ﷺ الشبهة فيهما، وليس في الحوت والجراد دم مسفوح فليسلك ثم يُشْرَعُ فيهما المذبح. وأمر ﷺ بقتل الوزغ وسفّاء فاسفًا، وقال: «كلن ينفع علي إبراهيم». وقال: «من قتل وزغًا في قور ضربة كتب له كذا وكذا»^(٦)، وفي الثانية لمون ذلك، وفي الثالثة لمون ذلك.

أقول: بعض الحيوان جُرِلَ بحيث يصدو منه أفعال وهيئات شيطانية، وهو أقرب الحيوان شبهًا بالشيطان وأطوره لوسومنه، وقد علم النبي ﷺ أن منه الوزغ ونحوه، على ذلك بأنه كان ينفخ على إبراهيم، لإقياده بحسب الظلمة لوسومة الشيطان وإن لم ينفع نفعه في

(١) أي سواد. (٢) قسم من السمك يؤخذ من جلده القرم.

(٣) عموم قول ﷺ «عمل ميتته يرجع إلى خنزير البحر وكل حيوان بهدي».

(٤) أي سفلاً. (٥) هو من الجيولن ما يكل لعنوا.

(٦) أي مائة حسنة.

أقول: في اعتبار أقرب طريق لإزهاق الروح اتباع داعية الرحمة، وهي خلق برضى
مها رب العالمين، ويؤتف عليها أكثر المصالح العنصرية والمادية.

وقال ﷺ: «ما يقطع من البهيمة وهي حية فهو ميت».

أقول: كانوا يَحْيَوْنَ^١ أئمة الإبل ويقضون إليات القتم، وفي ذلك تعذيب ومافضة
لما شرع الله من الذبح، فنهى عنه.

قال ﷺ: «من قتل عصفوراً فما فوقه بغير حقه ساء الله عز وجل من قتله» قيل: يا
رسول الله، وما حقه؟ قال: «أن ينبحه فيكلمه، ولا يقطع رأسه لميرمي به».

أقول: هما شيان مشتبهان لا يد من التميز بينهما:

أحدهما الذبح للحاجة وأباح داعية إقامة مصلحة نوع الإنسان.

والثاني السعي في الأرض بإفساد نوع الحيوان وأباح داعية قسوة القلب.

وأعم أنه كان الاصطياد ديدناً للعرب وسيرة فاشنة فيهم، حتى كان ذلك أحد
المكاسب التي عليها معاشهم، فأباح النبي ﷺ وبين ما في إكثاره بقوله: «من أتبع الصيد
لها».

وأحكم الصيد ثبت على أنه محمول على الذبح في الشروط جميعها إلا فيما يحصر
الحفظ فيه، ويكون أكثر سعيه إن اشترط باحلاً، فيشترط التسمية على إزاله الجارح أو
الرمي ونحوها، ويشترط أهلية المصائد ولا يشترط الخبز ولا الحلو واللبنة وعلى تحقيق
واثبات الاصطياد، كل إزاله الجارح المعلم قصصاً، وإلا كان ظفراً بالصيد انفاً لا
صطياداً، ويكون الجارح لم يأكل منه، فإن أكل فادرك حباً وذئب خلّ وإلا فلا، ودلت
تحقيقاً لمعنى المعلم وتيسيراً له ما أكل الشبح.

وسئل رسول الله ﷺ عن أحكام الصيد والمباح فأجاب بالخروج على هذه الأصول

قيل: إنا نأرض قوم أهل كتب أفناكل في آيتهم؟ وبأرض صيد، أمصيد يقوسى
ويكلى الذي ليس بمعلم ويكبي المعلم، فما يصلح لي؟ قال ﷺ: «أما ما فتوت من آية
أهل الكتاب: فإن وجنتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فافسدها واكلوا فيها، وما صيدت
يقوسك فتكوت اسم الله فكل، ما صيدت بملك لمعلم فتكوت اسم الله فكل، وما صيدت بملك غير
المعلم وأبوكك فتكوت نكته فكل».

قوله ﷺ: «فإن وجنتم غيرها فلا تأكلوا فيها».

(١) يقطعون الجوارح.

أقول: ذلك نعيماً للمختار وراحة للقلب من التوسوس.

وقيل: يا رسول الله: إنا نرسل الكلاب الملعونة، قال ﷺ: «إذا أرسلت كلبك فلانك اسم الله، فإن أمسك عليك فلانك حياً فانبه، وإن أدرئك قد قُتل ولم يكل منه فكله، فإن أكل فلا تكل، فإنما أمسك على نفسه. وإن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قُتل فلا تاكل، فهذا لا تدري ليهما قتله. قيل: يا رسول الله، أرمي السيد فأجد فيه من الخلد سهمي، قال ﷺ: «إذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل». وفي رواية: «إذا رميت سهمك فلتكفر اسم الله، فإن غاب عنه يوماً فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت، وإن وجسه قريباً في الماء فلا تاكل، قيل: إنا نرمي باليمراض^(١)، قال ﷺ: «كل ما خرق وما أصاب، ويعرضه فقتل فإنه وقيد فلا تاكل». قيل: يا رسول الله إن من أقوام حديث عهد بهم بشوك، بأنونا بلحمان لا تدري يذكرن اسم الله عليها أم لا، قال ﷺ: «الذكروا أنتم اسم الله وكفوا».

أقول: أصل أن الحكم على الظاهر.

قيل: إنا لا نرسل المدية غداً وليست معنا مدية^(٢). المنذبح بالقصر^(٣). قال ﷺ: «ما شهد^(٤) لهم ويكفر اسم الله فكله، ليس للسن والظفر، وسأحشك عنه: إذا السن فنظف، وإذا الظفر فعدى الحشيش». وإذا^(٥) بعير فرماه رجل بسهم فحبسه، فقال ﷺ: «إن لهذه^(٦) الإبل لوياء^(٧) كالأبد الوحش، فإذا غلبكم سباعي، فافعلوا به هكذا».

أقول: لأنه صار وحشياً فكان حكمه حكم الصيد.

وسئل ﷺ عن شاة أضرته جارية بها مؤناً فكسرت حجراً فذبعتها، فأمر يأكلها.

قيل: إن من الطعام طعاماً أخرج^(٨) منه؟ قال: «لا يقتلن في حديق شي». ضارعت فيه فنصرفية.

قيل: يا رسول الله نحن النافذة ونذبح البقرة والشاة نوجد في بطونها النجس، أتلقب^(٩) أم نأكله؟ قال ﷺ: «كلوه إن شئتم، فإن تكاته ذكاة لله».

(١) المراض بالكسر: سهم ولا يش ولا نسل، يصيب يعرضه لون حديد، قوله «خذي» بالمعجمات أي: نذبح جازهاً وقوله «ويكفر» أي: موقوفة يعني الذي يكل بغير الحد كالعصاة.

(٢) جمع مية، أي: أسكنين.

(٣) أي: ثوب

(٤) أي: مو

(٥) الإبل ببعض من

(٦) جمع أهله بمعنى ذفره.

(٧) أي: لا أكله خوفاً من الصور وهو الإثم لو أجد في نفسي شيئاً من كراهة ولعله لا يفتلجن، أي: لا يتحرك في فاه الشاة، وضارعت شلبيته.

واعلم أن النبي ﷺ عظم آداباً يتأدّبون فيه في الطعام.

قال ﷺ: «بركة الطعام الوضوء قبله وقرئتموه بعده». وقال ﷺ: «كُلُوا شَعْلَكُمْ يُبَارِكُ لَكُمْ». وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَكُلْ مِنْكُمْ طَعَاماً فَلَا يَأْكُلُ مِنْ أَعْلَى تَصْحَفَةٍ. وَكَأَنَّ لِيَأْكُلَ مِنْ أَصْفَحِهَا، فَإِنَّ الْبِرَّةَ تَنْقَلُ مِنْ أَصْلَاحِهَا».

أقول: من الشركة أن تشيع النفس، وتضر العيون، وتجميع الخاطر، ولا يكون حاشاً لاسماً^(١) كالذي يأكل ولا يشبع.

نعمين ذلك: أنه ربما يكون رجلاً من مد كن منهما مائة درهم، أحدهما يخشى العيلة^(٢) ويضع في أموال الناس ولا يهتدي بصرف حاله فيما ينفعه في دينه ودنياه، والآخر متعفف يحبه الجاهل عيلاً مقتصد^(٣) في معيشته سجعاً في نفسه.

فالشأن بركة له من ماله، والأول لم يُبارك له. ومن الشركة أن يصرف انشئ في الحاجة ويكفي عن أمثاله.

تخصيبه: أنه ربما يكون رجلاً، يأكل كل واحد رطلاً بصرف ضمة أحدهما إلى تغذية البدن ويحدث في معدة الآخر آفة فلا تنفعه ما أكل بل ربما صار ضاراً. وربما يكون لكن منهما مال يصرف أحدهما في مثل مبيعة كثيرة الرفق ويهتدي لتدبير المعاش، والثاني يُسر تبسّر^(٤) فلا يقع من حاجته في شيء.

ون لهيات، التفسير وعمايتها مدحلاً في ظهور الشركة، وهو قوله ﷺ: «فمن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه». وكان كالذي يأكل ولا يشبع، ولذلك نُزِّلَ رجلُ الناس على البليغ في الجود الأرض. فإذا أُنزل على شيء بالهبة وأرد به أن يمع كديه عن حاجته وجمع نفسه في ذلك، كان سب قوّة عيت وانجماع حاكمه وتغلب نفسه. وربما يورى ذلك إلى الطبيعة خسرقت فيما لا مد منه، فإذا غلب يده قبل الطعام، رزق العاملين، وأحياناً في مجلسه، وأخذته اعتداداً به، وذكر اسم الله أبصت عليه الشركة، إذا كال الطعام وعرف مقداره واقتصد في صرفه وضرقة على عيه كان أدنى أن يكفيه قل معاً لا يكفي الآخرين، وإذا جُبل الضمام: هبة متكرة تعانيتها الأغنى ولا تعدّ به لأهلها كان أدنى ألا يكفي أكثر مما يكفي الآخرين. كيف، ولا أظن أن أحدًا يخفى عليه أن الإنسان ربما يأكل للرغيف

(١) أي: شديد الضرر.

(٢) أي: الفقر.

كهية المنفكدة، أو يأكله وهو يمشي ويُعْمَت فلا يجد له بالاً ولا يرى نفسه قد اغفلت ولا تشيع به نفسه وإن امتلات المعدة؛ وربما يأخذ مقدار الرجل جزاً فبكون الزائد يستري وجوده وعدمه ولا يصح من الحاجة في شيء ويوجد الطعام بعد حين وقد ظهر فيه نقصان

وما جعله: لوجود البركة وعدمها أسباب طيبة يمد في ضمناها ملك كريم أو شيطان رجيم، وينفع في هيكلا روح ملكي أو شيطاني، والله أعلم.

أما غسل اليد: من الطعام فيه إزالة الوسخ، وأما غسلها بعده ففيه إزالة الغمر^(١) وكراعية أن يمسح عليه ثيابه أو يخلطه مع أو تدقه عامة، وهو قوله ﷺ: «من بات وفي يده غمر لم يفسد مصلابه شيء فلا يلومن إلا نفسه».

قال ﷺ: «إذا أكل لحكم قليلاً كل بيمينه ولما شرب فليشرب بيمينه» وقال ﷺ: «لا بكل لحكم بشماله ولا يشرب بشماله، قلن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» وقال ﷺ: «إن الشيطان يستجلب للطعام ألا ينكر اسم الله عليه»^(٢) وقال ﷺ: «إذا أكل لحكم فمسي من ينكر اسم الله على طعامه فليقل: بسم الله آكله وأخره» وقال قيس فعل ذلك: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله فسقاه ما في بطنه»^(٣)، وقال عليه السلام: «إن للشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يمسره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليطعم ما كل بها من لذي ثم ليكاهها ولا يدعها للشيطان».

أقول: من العنيم الذي أعطاه الله بئس: حال الملازمة والشياطين وانشارهم في الأرض، يتلفى هؤلاء من العلا الأعلى إلهامات خير فيروحونه إلى بني آدم، وينجس^(٤) من مزاج الشياطين أراء فاسدة تعين إلى فساد انقادات الغافلة ومعصية حكم الوتر وما تقتضيه الطبيعة السقيمة فيفعلون ذلك ويرحونه إلى أوليائهم من الإنس.

فمن حال الشياطين أنهم إذا تكلوا في المنام أو اليقظة نمتوا بهيات منكرة تنفر منها الطباع السليمة، كالأكل بالشمال، ركضورة لأجل^(٥) ونحو ذلك.

ومنها أنه قد تطبع في موسهم هيات دنية تنجس في بني آدم من البهيمية، كالجوع والشين، فإذا حنث فيها اندفعوا إلى اختلاط تلك الحاجات وتلفع^(٦) بها ومحاكاة ما يفعله الإنس عندها، «يتحيلون في ذلك قضاء تلك الشهوة بقضون بذلك أو طارهم، فمصر

(١) غمر منكرة، ربح للحم ودمه.

(٢) أي بلا ينكر.

(٣) قوله به: رد البركة كمنفعة بترك الشهية، مكتوباً كذا في جوف الشيطان.

(٤) أي يفسد.

(٥) منطرح الأنف.

(٦) أي يلبس.

الملك الذي جعل من جماع اشرك فيه الخياطين وقطرو عنده وطارهم قليل المركة مثلاً إلى الشيفطة. والطعام الذي بالشروة وقصوا به وطرحه قليل المركة. ولا ينفع الناس من ديمنا يصرفهم. وذكر الله والنعمة بالله مفايد بالطبع لهم. وثالثت بنحسبون^(١) نفس ذكر له ونعمته.

وقد افق لنا انه زارنا ذات يوم وجل من أصحابنا فترنا بينه شيئاً. فبينما يأكل لا مضت كسرة من يده ونذهت^(٢) في الأرض، فعمل بتبعه. وجمعت لتباعد عنه حتى تعجب الحاضرون. بعض العجب وثالث هو في سمعها بعض النجيد. ثم به أخذها وكنها، فلما كان هذا أيام تحبب الشيطان زياناً وتكلم عام لسانه، فلهذا فبما تكلم. إني سررت بعلان وهو يأكل فأعجب. ذلك امامهم فبعضني شيئاً ففعلت من يده فزارعني حتى أحده مني. إنا يأكل أهل بيتنا أصول الجزر إذ نهدده بعضها فوثب عليه إنسان فأخذه وأكله فأصابه وجع في صغره وممته ثم نخطه الشيطان وأجر على لسانه أنه كان أحد ذلك المتلهة.

وقد فرح اسعدنا شيء كثير من هذا النوع حتى علمنا أن هذه الأحاديث ليست من باب زيادة المعجزات وإنما كونها حقيقة، والله أعلم.

قال **يحيى**: إذا وقع الثياب في النار أمتكم فليغسله كاهن ثم ليطرحه فإن في أحد منغلبه شفاء وفي الآخر ناء. وفي رواية: وإنه ينقي يجتاهي الذي فيه لفاء.

اعلم أن الله تعالى خلق الطبيعة في حيوان مدبرة نفسه، فربما دفعت المواد الغذائية التي لا تصبح له نصيب جزء الفيت من أعضائه لئلا يلم أخرفه، والذالك نهى الأطباء عن أكل أبواب الدواب. فالتدرب كثيراً ما يتناول الأغذية فاسدة لا تصنع جزءاً لئلا يفسد فليضعها انفسه إلى أخص عصوره كالخنازير. ثم إن ذلك انفسوا لها فيه من الفائدة لئلا يفسد يتنازع إلى الحث ويكون أقدم أعجبه عند المحرم في الفهارة، ومن حكمة الله تعالى أنه لم يجعل في شيء شيئاً إلا جعل فيه مادة تزيانية لئلا يفسد به. فبئس الحيوان، وهو ذكرنا هذا التبعث. من الطب لئلا الكلام. وبالنسبة: فمما تسبح الذباب من بعض الأرملة وعند تناول بعض الأغذية محسوس معاديه. ونحو ذلك انفسوا لئلا يفسد إلى الددة اللذاعة معلوم، وأن الطبيعة يختفي فيها ما يفادهم مثل هذه السموات المؤذية معصوم، مما الذي يشهد من هذا الحديث؟

وما أكل رسول الله **ﷺ** على سواد^(٣). ولا في شكره، ولا حزنه مرقق، ولا رأى

(١) أي يتعبدون ويأخذونه من النفس وهو طر جوع الخنف

(٢) أي تسربت

(٣) السواد بالفتح ما يؤكل على فطعم مرققاً من اللحم، وكان لآل فيه من عدة المتكبرين والاستجابة بصوتين وشديد القراء فلهذا الصيغة والقرن فمحق الواسع أو الملس، وقسمط المشوي مع لفاء مع ليرة الخمر يلقاه الفل.

ثمة سبباً يمينه قط، ولا أدري مكانه، ربما رأى مخلوقاً كانوا يأتونون الشجر غير مسخون،
اعلم أن النبي ﷺ بحث في العرب وروايتهم أوسط الروايات، ولم يكونوا يتكلمون
تكملاً المعجم، ولا أخذ بها أحسن وأدنى إلا بعد تفحص في الدنيا ولا يقرضوا عن ذكره،
وأيضاً فلا أحسن لأصحاب النبوة من أن يتبعوا سيره إمامها في كل غير وقصير.

قال ﷺ: «لن أنؤمن بأكل من يشي ولدنا» والتأخر يأتل من سمعة معناه.

أقول: معناه أن الكافر منه يمشي والمؤمن عنه آخره، وأن الحري المومن أن يقتل
الطعام، وأن يتركه خصله من حصال الإنسان وأن شدة الأكل¹ خصله من حصال الكفر.

ونهي ﷺ أن يفرق الرجل بين نورتين

أقول: المهي من القرآن تخطئ وجوهاً:

منها أنه لا يحسن الخفيف عند جمع نورتين وأنه أدنى له تؤديه إحدى النورتين نقصان
نسلطه خلاف الرواة الواحدة.

ومنها أن تلك حياة من عبادات الله والحرص.

ومنها أنه استلحق أصحابه ونظف أن يكرمه أصحابه، ويول هذا المعنى بالأذن
قال ﷺ: «لا يجوع أحد بيده عندهم فائمه» وقال عليه الصلاة والسلام: «بيت لا تمر
فيه جياح أهله»، وقال عليه الصلاة والسلام: «يجمع الآدم لظلم».

أقول: من تدبير المثل أن يشرح في بيته شيئاً تأنها² بعدد رخصاً في السوق.
كانت في المدينة وأصول الجزر ونحوه في سواد بلادنا، فإن وجد طعاماً يشبه فيها،
ولاً كان الذي عنده غداً لهم وستراً، فإن لم يفعلوا ذلك، كانوا عار شرف الجوع،
ومذلك حال الآدم.

قال ﷺ: «من أكل قوماً لم يصدأ قلبه»³، وأني بعد فيه نظرات لها رائحة نفا،
لحس أسعاده، وكفى غاني لتجي من لا تغلبه.

أقول: الملائكة تحب من الناس الطهارة والطيب، وكل شيء يوجب خلق التنظيف،
وقصر من أصداء ذلك، وفرق النبي ﷺ بين «كان هو شربعه المحسب المنداع»⁴ وفيه
أنوار الملائكة وبين قيرهم.

(1) جمعة معناه، ومن مثل لزمت المؤمنين في الدنيا ولحدهم الكافر، ولا يعني كثرة الأكل، وفيه المؤمن يسمى
من الأكل فيكبه الناس من الطعام، وأنه يمدفه.

(2) شدة الجوع، وقوله: «يقول: أي يجمع بين نورتين في الأكل بقية»

(3) أي حقيقاً. (4) أي المشرق.

قال ﷺ: «إني الله يرضى من الحمد أن يكثر الأكلة فيحمده عليها ويحرب الشربة فيحمده عليها» قد مر مرة.

ولد روي من الحمد صيغ أيها فعل فقد أدى السنة:

منها: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير تكبري ولا جودع ولا مستغنى عنه ربها»⁽¹⁾.

ومنها: «الحمد لله الذي جعلنا مسلمين وجعلنا مسلمين».

ومنها: «الحمد لله الذي جعلنا مسلمين وسقى وسقاه»⁽²⁾ وجعل له مخرجاً.

ولما كانت الصيغة باياً من أبواب السجدة وسياً لجمع شمل السجدة والبيعة مؤدياً إلى تودد الناس وألا يشترع أبناء السبيل، وجب أن تُعَدَّ من الزكاة ويُزَكَّيَ فيها ويُحَسَّ عليها. قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكِّمْ صبيحة»، ثم مست الحاجة إلى تغليب مدة الضيافة، لتلا يُخرج الضيف⁽³⁾ أو يُعَدَّ القليل منها كثيراً، فَعُدَّ الإكرام بيزم وبلغة، وهو الجائزة، وجعل آخر الضيافة ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك صدقة.

العسكرات

واعلم أن إزالة العقل بتناول المسكر يَهْجُمُ العقل بفجعه لا محالة، إذ فيه تروثي النفس في ورطة البهيمية والتجهد من الملكية في الغاية وتغيير خلق الله، حيث أنسد عقله، الذي خص الله به نوع الإنسان ومن به عليهم وإفساد المصلحة المتولية والمصلحة وإضاعة المال والتعرض لهيأت متكرة يفسدك منها العبيان.

وقد جمع الله تعالى كل هذه الممانى تصريفاً أو تلويحاً في هذه الآية:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَةَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَذَكَّرُوا فِي الْكُنُوزِ وَأَنْتُمْ كَارِهِينَ﴾ . . الآية [المائدة: الآية 91].

ولذلك انفقت جميع المال والتحلل على تبعة العرف، وليس الأمر كما يظنه من لا بصيرة له من أنه حسن بالنظر إلى الحكمة العملية، لما فيه من تقوية الطبيعة، فإن هنا الظن من باب اشتباه الحكمة الطبية بالحكمة العملية، والحق أنهما متفايرتان وكثيراً ما يقع بينهما تعاضب وتنازع، كالقتال، يحرّمه الطب لما فيه من التعرض لفك البنية الإنسانية الواجب حفظها في الطب، وربما أوجبه الحكمة العملية إذا كان فيه صلاح الطبيعة أو دفع عار شديد، وكالجناس، يوجب الطب عند التفرغ وخوف التأذي من تركه، وربما حرّمه الحكمة العملية إذا كان فيه عار أو منابلة شدة واشتد.

(1) قد مر من قبل.

(2) أي: متكبر ومخوله في شجوة وقوله: مخرجاً أي: من الضلالة.

(3) بلن يقيم عند المضيف فيوقاه في الحرج، وقوله: بالمجازة أي: تلتمة والمصلحة.

وأهل الرأي من كل أمة وكل قرن يذهبون إلى ترجيح المصلحة على الضرب، ويرون من لا يتحرّاهم ولا يتجنّب بها ميلاً إلى صحة الحسم فاسقاً واجتاً مذموماً مفجوحاً لا اختلاف لهم في ذلك؛ وقد علّمنا الله تعالى ذلك حيث قال:

﴿يَهْتَبُ إِلَيْهِمْ صَخِيرٌ وَمَعَهُ بُشَيْرٌ فَرَمَتْهُ مِمَّا نُفِثْنَا مِنْ نَفْثَيْنَا﴾ [البقرة: 219].

فهم، فذلك المسكر إذا تمّ ببلع حد الإسكار وتمّ شرب عليه المفسد يختلف فيه أهل الرأي؛ والشرعية القويمة بالمجئدية - التي هي الغاية في سياسة الأمة ومبدأ الذرائع ونفع احتمال التحريف - تفرقت إلى أن قليل لحمر يدهو إلى كثيرها، وأن انتهى من المقام، من غير أن ينهي عن ذات الخمر لا ينصح⁽¹⁾ فيها، وكفى شاهداً على ذلك ما كان في المحرم وغيرهم؛ وأنه إن فتح باب الرخصة في بعضها لم تنتظم السياسة النبيلة أصلاً، فنزل التحريم إلى نوع الخمر قليلاً وكثيراً.

وقال رسول الله ﷺ: «لحن الله الخمر بشاربها، وساقطها، وبمبتاعها، وبماعتها، وبمعتصرها، وبخامنها والمعمولة إليه»⁽²⁾.

أقول: لما تعيّنّت المصلحة في تحريم شيء وإخماله ونزل انقضاء بذلك وجب أن ينهي عن كل ما ينزه أمره ويردّجه في الناس ومصلحتهم عليه فإن ذلك منقصة للمصلحة ومناوأة⁽³⁾ بالشرع.

وقد استفاض عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أحاديث كثيرة من طرق لا تحصى وعبارات مختلفة: فقال ﷺ: «الخمر من عاتق الشجرتين: النخلة والعنبة».

وأجاب ﷺ من سأل عن البتع والخمر⁽⁴⁾ وغيرهما فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام».

وقال عليه الصلاة والسلام: «كل مُسكر خمر وكل مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام، وما أسكر مته الفراق»⁽⁵⁾ فويله لكف منه حرام.

وقال قتادة شاعر زول الآية: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء: العنب، والخمر، والخنطة، والشعير، والعلسل. والخمر ما خمر العقل.

وقال: لقد حرّمت الخمر حين حرمت وما تجد عمر الأعتاب إلا قليلاً، وعامة خمرنا البسر⁽⁶⁾ والتمر. وكسروا دنانير الفضيخ حين نزلت، وهو الذي يقتضيه قوانين

(1) أي: لا يشر.

(2) أي: مختلفات.

(3) أي: يمتنع لها ولزاد، ويصحبون فرام أيضاً: طرف يسع ثلاث أصبع، والسر من الخمر.

(4) شجرة الخنط لعل أن تكون خبثاً، والخنط بالفتح جمع من رم: قزى، أي: الخلف الكبير للخمر من طين، والفضيخ بالمعجمة: شراب يتخذ من البدر المفضوخ يعني الممسود بأن يكسر ويصير عليه الداء ويترك حتى يفتل.

التشريع، فإنه لا معنى لخصومية العنب، وإنما: المؤثر في التحريم كونه مزيلاً لتعقل بهدر فنيته إلى كثيره، فيجب به القول، ولا يجوز لأحد اليوم أن ينعب إلى تحليل ما اتخذ من غير العنب واستعمل أقل من حد الإسكار.

تقدم، كان ناس من الصحابة والتابعين لم يبلغهم التحليل في أول الأمر، فكانوا معذورين، ولما استفاض الحديث وظهر الأمر - ولا كرامة انتهار - وصح حديث: «ليشوين ناس من ناسي الخمر يسئونها بغير اسمها» لم يبق عذر أعاذنا الله تعالى والمسلمين من ذلك.

وسئل رسول الله ﷺ عن الخمر تَتَخَذُ خَلًّا؟ قال: «لا» وقيل: إنما أصعبها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء ولكنه ناء».

أقول: نشأ كل الناس مزاجين بالخمر وكانوا يتحللون لها حيلة لم تتم المصلحة إلا بالتمسك عنها على كل حال، فلا يبقى عذر لأحد، ولا حيلة.

ونهى ﷺ عن خلط الخمر والبصر، وعن خلط الزبيب والنمر، وعن خلط الزمهر^(١) والربط.

أقول: السر في ذلك أن الإسكار يسرع إليه بسبب الخلط قبل أن يتغير طعمه فيظن الشارب أنه ليس بمسكر ويكون مسكراً.

وكان ﷺ يحس في الشراب ثلاثاً ويقول: «إنه لروى^(٢) ولبرأ ولمرأ».

أقول: ذلك لأن المعدة إذا وصى إليها الماء قليلاً قليلاً صرفته الطبيعة إلى ما ييسرها، وإذا هجم عليها الماء الكثير تحيرت في تصرفه، والمبرود إذا ألقى على معدته الماء أصابته البرودة لتضعف قوته من مزاحمة، تقدر الكثير بخلاف ما إذا تدرج، والمبرور إذا ألقى على معدته اساء دفعة حصلت بينهما المداخلة ولم يتم البرودة، وإذا ألقى شيئاً فشيئاً دفعت المزاحمة أولاً ثم ترجعت البرودة.

ونهى ﷺ عن الشراب من في السماء^(٣) وهي اختلات الأسقية.

أقول: وذلك لأنه إذا ثنى فم القرية فشرب منه فإن الماء يتدفق ويتصب في حلقه

(١) يفتح الزاي ويضمها: قمر الملون هذا في حدة أو صلوة وطاب.

(٢) أي: لشره ولبرأه، أي: يبرئ من ألم العطش، أو لبرأ من ثنى يحصل من الشرب في نفس واحد وقوله: ومرأه أي لا يكون قيوماً في المعدة.

(٣) أي: سماء والاختلات: أن يغلب شدة البرودة إلى خارج ثم يشرب منها، ويده الإبلغة أيضاً فهي عند الضرورة ونهى من لا يتكلم.

دعته، وهو يوت الكفاة^(١) ويُغَيَّرُ بِالْعَمَةِ وَلَا يَتَغَيَّرُ شَاءَ فِي الْغَنَى الْبَاءُ وَالْعَمَلُ الْفَلَاةُ وَنَحْوُهَا.

وَيُحْكِي أَلْ إِنْشَاءً شَرِبَ مِنْ فَوْ السَّاءِ فَدَخَلَتْ حِيَةً فِي حِفْهِ.

وَهُوَ يَنْتَ أَلْ شَرِبَ الرَّجُلُ فَانْتَأَ، وَرَوَى أَنَّهُ سَبَّهَ الْأَصْلَاقَ وَالْإِسْلَامَ شَرِبَ، فَانْتَأَ

قَوْلُ: هَذَا الْمُنْهِي نَهْيٌ بِإِشْدَادٍ وَأَدْبَابٍ، فَإِنَّ الشَّرْبَ قَاعِدَةٌ مِنَ الْهَيْئَاتِ الْمَذْمُومَةِ وَأَقْرَبُ لِحُسْمِ النَّفْسِ وَالزُّوْى وَأَنَّ تَصْرِفَهُ الطَّبِيعَةُ إِلهَاءً فِي مَحْضِهِ، أَمَا الْفَعْلُ فَمِنْ الْجَوَارِ.

وَعَلَّ عَابَ السَّلَامَ - الْأَيْمَنُ فَلَا يَمُوسَ.

قَوْلُ: أَرَادَ بِذَلِكَ قَطْعَ الْمَارِزَةِ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْكُفَّةُ تَقْدِيمُ الْأَفْضَلِ رِبَاعًا لَمْ يَكُنِ الْفَعْلُ مُسَبِّحًا بَيْنَهُمْ، وَرَبَاعًا يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ تَقْدِيمِ غَيْرِهِمْ حَاجَةً.

وَنَهْيٌ شَرِبَ أَنْ يَنْتَعَسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يَنْتَعِ بِهِ.

أَنُورَ. ذَلِكَ ثَلَاثًا يَنْتَعِ فِي الْمَاءِ مِنْ قَمَةٍ أَوْ أَنَّهُ مَا يَكْرَهُهُ فَيُحْدِثُ هَيْئَةً مُكْرَهُةً.

قَالَ: ﴿سَمِعُوا﴾^(٢) إِذَا قَاتَمَ شَرِبْتُمْ وَاسْتَمِدُّوا إِذَا قَاتَمَ رَمَعْتُمْ، فَدَ مَرَّ سَمِعَ.

❁ اللباس والزينة والأواني ونحوها ❁

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ نَظَرَ إِلَى عَادَاتِ الْمُحَرَّمِ وَتَعَثُّفَاتِهِ فِي الْأَطْمَاشِ بِلَذَاتِ الدُّنْيَا فَحَرَّمَ زِينَتَهَا وَأَصْلَحَهَا وَكَرِهَ مَا مَوَّنَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ ذَلِكَ مُغْضٍ إِلَى تَسْبِيحِ الدَّارِ الْآخِرَةِ مُطْلُومٍ لِلْإِكْتِسَارِ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا.

١ - فَصَنَ تِلْكَ التَّوَرُوسَ. التَّلَاسُ الْفَاقِصُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْبَرُ هُمْلِهِمْ وَأَعْظَمُ فُخْرِهِمْ، وَتَلَحُّثُ هَمٍّ مِنْ رُسُومِهِ.

مِنْهَا: (إِسْبَاكُ فِي التَّخَنُّصِ وَالْحَرَاوِيلَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَصْنَعُ بِذَلِكَ تَشْبِيرًا وَالتَّحْمِيلُ اللَّيْنُ هُمَا الْمَقْصُودَانِ فِي الْإِسْبَاكِ، وَنَمَّا يُقْصَدُ بِهِ الْفَخْرُ وَالْمَرَامَةُ الْغَنَى وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالتَّحْمِيلُ الْإِسْبَاكُ فِي الْمَدْرِ الَّذِي يَسَاوِي الْبَيْدَنَ، قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَا يَنْظُرُ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ مِنْ إِزْلَافِهِ بِشَرَفِهِ، وَيَقَالُ نَظَرَ: إِزْلَافَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى الْمَصَائِفِ سَلَفِيهِ، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ مِمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُفَّينَ، وَمَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَضَى النَّارِ.

(١) أي: وجع الكبد.

(٢) أي: قولوا سمعنا.

ومنها الحسن المستغرب الناعم من الثياب قال رحمه الله : ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه يوم القيامة ، وسوءه مثل ما ذكرنا في الخمر ، ونهى رحمه الله عن لبس الحرير والحرير وعن لبس القش^(١) والسباثر والأوجران ، ورخص في موصع إصبعين أو ثلاث ، لأنه ليس من باب اللباس وريب يقع الحاجة إليه ، ذلك ، ورخص للحرير وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لخفة بهاء ، لأنه لم يفصل حينئذ به الإرفاء وإنما قصد الاستشفاء .

ومنها الثوب المصبوع بأنون مطرب يحصل به الفخر والمزينة : انتهى رسول الله ﷺ عن المعصفّر والعزفر ، وقال : «لن هذه من ثياب أهل النار» ، وقال رحمه الله : «إلا طيبه الرجال ربح لا يؤذ له وطيب النساء لون لا ربح له» .

ولا اختلاف بين قوله رحمه الله : «لن البذانة» من الإيمان ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «من لبس ثوب شهوة»^(٢) في الدنيا تيسره الله ثوب مثله يوم القيامة ، وقوله رحمه الله : «من ترك لبس ثوب جمال تواضعاً كساه الله خلة الكرامة» ، ربيّن قوله رحمه الله : «لن الله يسهل لي يروى أثر نعمته على عبده» ، ورأى رجلاً شعثاً فقال : «ما كان يجد هذا ما يسكن» ، ولده ، «أش» ، ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال : «ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه» ، وقال رحمه الله : «إذا أتاك الله مالاً فقل نعمته الله وكرامته عليك» .

لأن هنالك شيئين مختلفين في الحقيقة قد يشبهان ردي الرئي : أحدهما مطلوب والآخر مذموم . فالمطلوب ترك الشح ، ويختلف باختلاف طبقات الناس ، فأنفي هو في الملوك شح ربما يكون إسرائفاً في حق الأغنياء ، وترك عادات البدو والملاحقين باليهانم واختيار الأنظار ومحاسن العادات . والمذموم الإسمان في التكلّف والمراعاة والتعاضد بالثياب وكسر ثوب الفقراء وسخو ذلك . وفي أمثال الحديث إشارات إلى هذه المعاني كما لا يخفى على المتأمل - وماط الأجر ربح النفس عن اتباع داعية القسط والتعسر

وكان رحمه الله إذا استجده^(٣) قوماً سماء باسمه - همامة أو قصباً أو زباد - ثم يقول : «اللهم لك الحمد كما كشنته» ، أسالك خبزه وخبر ما شئت له ، وأعوذ بك من شره وشر ما شئت له ، وقد مر مره من قبل .

(١) ثياب من كتان ردي وريو منسوب إلى غيرة من - بلطع القلق والميلاد جمع ميثرة ، وهي - مادة صخرة يجعلها الركب تحتها ، ولست أدريه التي شكلت من الحرير أو القطن من كتائف والأجوان صبيغ أحمر والفرار به الثوب الأحمر ثم القليل .

(٢) أي : وقلة الهيئة وتوق الرفقة ، والفرار من التواضع في لباس من لائق العزيم .

(٣) أي : يتكبر ويتعزّر .

(٤) أي : يبيع متعزّفاً .

(٥) أي : أسالك يوماً جيداً عذاك العجم وتستقوم في الأمثل بحدك .

2 - ومن تلك الرؤوس الخلقى الشرقة، وهى أصلاً:

أحدهما: أن الذهب هو الذى يُغايَر به العجم ويُنقى جريان الرسم بالتحني به إلى الإكثار من طيب، لئلا ياء دون لفضة، وأذاك شدّد النبي ﷺ في الذهب، وقال: «ما كن عليكم بالفضة فالعبدوا بها».

والثاني: أن النساء أخرج إلى تزويج ليُرغب فيهن أزواجهن، ولذلك جرت عادة العرب والعجم جميعاً بأن يكون تزويج أكثر من تزويجهم: فوجب أن يرخص لهم أكثر مما يرخص لهم، ولذلك قال ﷺ: «أول الذهب والحديد للإنان من امتي وحرم على ذكورها»، وقال ﷺ في غنم ذهب في يد رجل: «يعتد أحكم إلى جمر من ثور فيجسه في يده»، ورحص عليه الصلاة والسلام في غنم الفضة لا سبعا لذي سلطان، قال: «ولا تفض مثقالاً»، ونهى ﷺ النساء من غير المقصع⁽¹⁾ من الذهب، وهو ما كان قطعة واحدة كبيرة، قال ﷺ: «من أحب أن يُخلَق⁽²⁾ حبيبه خلقةً من النار فليطلقه حلقة من ذهب»، وذكر على هذا الأسلوب الطوف والسوار، وكذا جاء التصريح بفلاحة من ذهب⁽³⁾، وخرص من ذهب، وحلقة من ذهب، ويؤيّد المعنى في هذا الحكم حيث قال: «ولما إنه ليس ممكن لمواة تحلى ذهباً تظهره إلا عُتِبَ به»، وكان لأم سلمة رضي الله عنها أوضح من ذهب، والظاهر أنها كانت مقطعة، وقال ﷺ: «خلّ ذهباً للإنان، مماء الحل في الجملة».

هذا ما يوجب مفهوم هذه الأحاديث ولم أجد لها سمارضاً، ومذهب الفقهاء في ذلك معلوم مشهور⁽⁴⁾، والله أعلم بحقيقة الحال.

3 - ومنها⁽⁵⁾ الذين بالشمر، فإن الناس كانوا مختلفين في أمرها، فالمجوس كانوا يمتصون اللحي ويوفرون⁽⁶⁾ الشرايب، وكانت سنة الأنبياء عليهم السلام خلاف ذلك، قال ﷺ: «خالفوا المشركين، وفروا للحى وألقوا الشرايب»⁽⁷⁾.

وكان ناس يحبون التثديت والتتميم والهيأة اليدة يكرهون التجميل والتزيين، وناس

(1) المقصع على بناء للمفعل من التضمير، أي التكمير قطعاً صغيراً كما تكون في القوائم للفضة في أعلام تثليث فونها دجاج.

(2) أي يطوق، وخلق أي: في الإنان أو اللان، والخرص حلقة صغيرة للإنان، والأوضح: حللي يتخذ من العراصم.

(3) كما رواه أبو داود من توله، «أيما امرأة تكلت قلادة من ذهب قلعت في عفتها مثقالاً من ثمر يوم القيامة».

(4) وهو: التمهيد المطلق بلا فرق بين المقصع وغيره.

(5) أي الرؤوس.

(6) أي يكسبون ويكثرون.

(7) أي يلقوا في جردا.

يتعمدون في التحمل ويجعلون ذلك أحد وجوه الفخر وغطى الناس، فكان إيمان مذهبهم
جسماً ردد طرفهم أحد المقاصد الشرعية. فإن معنى الشرائع على التوسط بين المتزلاتين
والصح بين المتصلحين.

وقال رسول الله ﷺ: «الْفَطْرَةُ خَمْسُ خُفَاتٍ، وَالْإِسْتِحْبَالُ: وَهِيَ الشَّارِبُ، وَتَقْلِيمُ
الْأَظْفَارِ، وَتَقْبُطُ الْإِيطِ». ثم مست الحاجة إلى توقيت ذلك، لئلا يمكن الإنكار من من عطف
السُّنة وثلاً يصل المتورع إلى الحزن والشك كل يوم والمتهاون إلى تركها شتاءً، فوقت في
قص الشارب وتقليم الأظفار وتقبض الإيط وحسن العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة.

وقال ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبِفُونَ...»⁽¹⁾.

وكان أهل الكتاب يبدلون والمذكرون يقرؤن، فعدل النبي ﷺ ناصيته ثم فرَّق بعد.
فالسُّنة: أو يرخي ناصيته عن وجهه، وهي هيئة يذو، والفرق أن يجعله صغيرين ويرسل
كل صغيرة إلى صدغ.

ونهى ﷺ عن الفرع⁽²⁾.

أقول: اسر فيه أنه من هيات الشياطين، وهو نوع من السُّنة تعامها الأنكر إلا
القلوب، المروفة باعياها. وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ». ونهى عن الترجل إلا
عَباً، يريد التوسط بين الإفراط والتفريط.

وقال ﷺ: «لَمَعَ اللَّهُ الْوُثَمَاتُ⁽³⁾ وَالْعَسْوِيَّاتُ وَتَمْتَلُجَاتُ الْحَسَنِ
الْمَعْقُودَاتُ خَلْقُ اللَّهِ»⁽⁴⁾. ولعن ﷺ المنشبهين من الرجال بالنساء والمنشبهات من النساء
بالتحالف.

أقول: الأصل في ذلك أن الله تعالى خلق كل نوع وصفاً متفصلاً لظهور أحكام في
البدن، كالرجال تنحى وكالنساء يُضَمَّنِينَ⁽⁵⁾ إلى نوع من الطرب والخفة، فاختصاها
للأحكام المعنى في العباد هو بعينه كهيئة أعضاها، ولذلك كان الترخيبي بقاء كل نوع

(1) أي خلق الله بالعبادة.

(2) ثَمَلَتْ: خُضِرَ لَوْنُهَا، أي: تَسَفَّرَتْ لَتَمَّ بِلَهْنِهَا.

(3) هو من أصل: ضَلَعَ السَّابِ، وهو: أَنْ يَمْلَأَ بَعْضُ الْفَرْسِ وَيَتْرَكَ بَعْضُهُ.

(4) لَوْشَمَ أَنْ تَعْرِى الْإِبْرَةِ فِي الْجَنْدِ مَا سَالَ دَمٌ حَتَّى يَنْفِثَ، وَلَتَمَّجَتْ: تَلَفَّ الشَّعْرُ مِنْ الْوَجْهِ، وَتَمَلَّجَ
اِتَّسَعَ فِي الْإِسْفَلِ وَتَرْتِيقُهَا بِالْمِرْدِ.

(5) أَبَدَ الْمُؤَلَّفَ - رَجَعَهُ إِلَى - مَنْ أَحْبَبْتَ لِنُبُوْعِي هَذَا بِسَبَبِ أَنْ فِيهِ تَخَفٌ مِنَ الْمَسْمُوتِ، الَّتِي تَصْلَحُ
كِنَايَةً لِلذَّلَالَةِ عَلَى مَوْزَعِ الْكَلَامِ، وَهِيَ: الْفَرْجُ بِالْمَعْنَى.

(6) أي: يَلْنُ.

وصنف على ما تقتضيه فطرته وكان تغيير الخلق ميباً للعين ، ولذلك كره النبي ﷺ إزراء النحير لتحصيل البقال .

فمن الزينة ما يكون كالتفتوة لفعل الطبيعة والنوطة له والتشبه إياه ، كالتكحل والفرجل ، وهو محبوب ، ومنها ما يكون كالمباين لفعلها ، كاختيار الإنسان هيئة اللوالب ، وما يكون تعصفاً في إبداع ما لا تقتضيه الطبيعة ، وهو غير محبوب ، إذا تحلّى الإنسان وفطرته غده مثلاً .

4 - ومنها صناعة التصاوير في الثياب والجنان والأنماط ، فنهى عنها النبي ﷺ . ومدار النهي شيان : أحدهما أنها أحد وجوه الإزراء والزينة ، فلهزم كانوا يتفادونها بها ويبتذلون أمراً لا خطورة فيها ، فكانت كالحرير ، وهذا المعنى موجود في صورة الشجر وغيرها . وثانيهما أن المشاهدة بالصور واتخاذها وجريان الرسم بالرغبة فيها يفتح باب عبادة الأصنام ونحو أمرها ويذكرها لأهلها ، وما نشأت عبادة الأصنام في أكثر الطوائف إلا من هذه وهذا المعنى يختص بصورة الحيوان ، ولذلك أمر بقطع رأس التماثيل لتصير كهياة الشجر ، وخف فساد صناعة صور الأشجار ، قال ﷺ : «لن يبيت الذي فيه لصورة لا تعقله الملائكة» وقال ﷺ : «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فيعنته في جهنم» وقال ﷺ : «من صور صورة عذب وكُلف أن ينفخ فيها ، وليس ينفخ» .

أقول : لما كانت التصاوير فيها معنى الأصنام ، وقد تحققت في الملا الأعلى داعية غضب ولعن على الأصنام وتغلبتها ، وجب أن يتفر منها السلافة ، وإذا حشر الناس يوم القيامة بأعمالهم شئت صل المصور بالنفوس التي تصوّرهما في نفسه وأراد محاكاتها في عمله لأنها أقرب ما مثالك ، وظهر إقدامه على المحاكاة وسعيه أن يبلغ فيها غاية المدى في صورة التكليف بأن ينفخ فيها الروح ، وليس ينفخ .

5 - ومنها الاشتغال بالمسليات ، وهي ما يسلي النفس عن هم آخره ودينه ويقضي الأوقات ، كالمعازف والشطرنج واللعب بالحنما واللعب بتعريض الهائم ونحوها ؛ فإن الإنسان إذا اشتغل بهذه الأشياء لها من طمائه وشغائه وحاجته ، وربما كان حافئاً ولا يقوم للبول ، فإن جرى الرسم بالاشتغال بها صار الناس قلاء على المدينة ، ولم يتوجهوا إلى إصلاح نفوسهم .

واعلم أن الغناء والذف في الولجة ونحوها عادة العرب والعجم ودينهم ؛ وذلك لما ينتضيه الحال من الفرح والسرور ، فليس ذلك من المسليات ، إنما ميزان المنيات ما كان في زمانه ﷺ في الحجاز وفي القرى الناصرة ، لا ما كان الاشتغال به زائلاً عن الفرح والسرور المطلوبين ، كالمزامر .

قال ﷺ: «من لعب بأندلسير فقد عصي الله ورسوله». وقال ﷺ: «من لعب القترشير فكأنما سبغ يده في لحم خنزير ومسه». وقال ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون أنجر^(١) والحرير والخمر والمعزف». وقال ﷺ: «اعلموا أنكم أضرىوا عليه بالنف». فالإمامي نوعان: محرم، وهي الآلات المعزفة كالنواوير، وباج، وهو الدف والغناء في الترويلة وسحرها من حادث سرور.

وأما الجناء، وهو في الأصل ما يقصد به تهيج الإبل، لكن المراد هنا معلق النسيب مع تألف الألمان والإفراج، فهو ديج، فإنه من الديانة، دون المسبات.

وأما اللعب ركات، كالمضلة، وتأديب الفرس واللعب بالرمح، فليس من اللعب في الحقيقة، لما فيه من مقصود شرعي، وقد لعبت الحينة بالحرب والفريق^(٢) بين يدي رسول الله ﷺ لي سجد.

وقال ﷺ: «لربيل شبع حمامة»، «شيطان شبع شيطانة»، ونهى عليه السلام عن التحريش بين أهله.

6 - ومنها أشياء عدد كثير من الدواب والعُرس لا يقصد بذلك كفاية الحاجة بل مراعاة الناس والفخر عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «فولس المرجل، وقواش لأمراته، ولخالف للضيف، والربيع للشيطان»، وقال ﷺ: «يكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أما إبل الشياطين فقد رأيتها، يخرج أحدكم بحبيبات معه قد أسننها، ولا يعلم بعيراً منه، ويسر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله».

وكان أهل الجاهلية مؤمنين بأقواء الكلاب - جمع كلب - وهو حيوان ملعون تنأذى منه الملائكة، فإنه له حناسة بالشياطين، كما قلنا في الوزع - فحرم النبي ﷺ اقتناسها وقال: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو ذرع انتقص من أجره كل يوم قيراط» وفي رواية: «قيراطان». وفي حكم الكلاب: الفردة والخابز.

أقول: لم أر اقتصاصاً جازاً أنه يمد اليه يده ويفقر الملكية، والقيراط خرج مخرج المثل، يريد به أجزاء القلب، ولذلك لم يكن بين قوله ﷺ: «قيراطان» وقوله: «قيراط» مناقضة.

7 - ومنها استعمال أواني الذهب والفضة. قال ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما

(١) بيوت يمهلتين وهو: فدرج، وبمعنيين: أثوب من الإبريسم، والمعزف: آلات الفرس.

(٢) جمع فرق وهي الترس.

يصرهجو في بطنه نار جهنم». وقال ﷺ: «لا تشربوا هي أنية الذهب والفضة ولا تكلوا هي صحافها» فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة؛ وقد ذكرنا من قبل ما ينكشف به مره.

8. قال رسول الله ﷺ: «حسروا الأنية وألركوا الأسقية واجيققوا الأبواب واشفتوا صبيبتكم عند المساء، فإن للجن أنشدلوا وخلفاء، وأغفلوا التحليبع عند شرفاء، فإن العويسفة ربما اغفرت القفيلة فامسقت أهل البيت» وفي رواية: «فمن تشيطان لا يحس سقاء ولا يفتح باباً ولا يكشف إناء» وفي رواية: «فإن في الساعة ليلة يزل فيها وباء لا يبر بئانه ليس عليه غطاء أر سقاء ليس عليه ركاء إلا نزل فيه من تلك الرواء».

أقول: أما انتشار الحس عند المساء؛ فلكونهم ظلمانيين في أصل الخفطرة فيحصل لهم عن انتشار الظلمة ابتهاج وسرور فيتشرون.

وأما أن الشيطان لا يحل ركاء؛ فلأن أكثر تأثيراتها على ما أوردت في ضمن الأفعال التامرية، كما أن الهواء إذا دخل في البيت دخل الجني معه وإذا تسعد الحجر وأند في تدهده تدهه أكثر مما تنتفيه لعادة ونحو ذلك.

وأما أن في الساعة ليلة يزل فيها الرواء، فمعناه أنه يجيء بعد زمن طويل وقت يفقد فيه الهواء.

وقد شاهدت ذلك مره، أصعبت بهواء غيبت أصابني صداع في ساعة ما واصل إلي، ثم رأيت كثيراً من الناس قد مرهموا واستعدوا، يحدث ومرضى في تلك الليلة.

9. ومنها الشاؤل في السبيل والزمين السيوت وزخرفتها، فكانوا يتكفون في ذلك غاية التكلف، ويدلن أموالاً خطيرة، فعليه النبي ﷺ ما تغلب الشدء، فقال: «ما انفق المؤمن من نفقة إلا أجر فيها، إلا نفقة في هذا التراب» وقال ﷺ: «إن كل دناء وبال على صاحبه، إلا ما لا يبي إلا ما لا بد منه» وقال ﷺ: «ليس لومي» أو: «ليس لخي» أن يدخل بيتاً منوة، ولما عليه الصلاة والسلام: «إن الله لم يامرنا أن نكسر الحجارة والطين».

10. وكان الناس في النبي ﷺ يشكون في أمراضهم وعاهاتهم بالطب والبرى، وفي تقدمه المعرفة بالغال، والخيرة والخط - وهو امرئ - ونكاهة والنجوم ونعيم الرؤيا، وكان في بعض ذلك ما لا ينبغي، فهي عنه النبي ﷺ وأباح البرى.

فالطلب حقيقته التماسك بمبادئ الأتوة الحياتية أو نباتية أو المعدنية، والتصرف

(1) أي لحطوا، ولولوا لاسمية أي شعلوا اقواء قعرب بالأوكية جمع وكاء، وهو اسم لما يشده نم للدية، واجيققوا الأبواب أي اغلقوها، واكتفوا حببتكم أي صبركم واجمعهم، ولفويسفة الخولة، واشتريق: التزيين

في الأخلاط نقصاً وزيادة، والقواعد الجلية تصححه، إذ ليس فيه شائبة شرك ولا فساد في المين والندى، بل فيه نفع كبير وجمع لشمس الناس، إلا البداواة بالخمر، إذ للخمر ضراوة لا تنقطع. ويُسَمَّى البداواة بالخبث - أي السم - ما أمكن العلاج بغيره، فونه ربما أفضى إلى القتل، والبداواة بالكمي ما أمكن بغيره، لأن التحرق بالنار أحد الأسباب التي تنفر منها الملائكة، والأصل فيما روي عن النبي ﷺ من المحالجات التجربة التي كانت عند العرب.

وأما الرقى فحقيقته التمسك بكلمات لها تعلق في الحال وأثر، والقواعد العلية لا تدفعها ما لم يكن فيها شرك، لا سيما إذا كان من القرآن أو السنة أو مما يشبههما من النضرعات إلى الله.

والعين حق، وحقيقته تأثير إلحاح نفس المائن، وصيغة تحصل من إلحاحها بالمعين، وكذا نظرة العجن، وكل حديث فيه نهي عن الرقى والتائم والتؤلة^(١) لمحمول على ما فيه شرك أو إهداك في السبب بحيث يخل عن الباري جل شأنه.

وأما القائل والظيرة فحقيقتهما، أن الأمر إذا قضى به في الحال الأعلى ربما تلونت بلونه وقائم تجلّت على سرعة الانعكاس، فمما الخواطر، ومما الألفاظ التي ينفذ بها من غير قصد معتد به، وهي شبايح الخواطر الخفية التي يقصد إليها بالادات، ومنها الوقائع المحزنة، فإن أسبابها في الأكثر من الطبيعة ضعيفة، وإنما تختص بصورة دون صورة بأسباب فلكية أو انفعال أسرفي الحال الأعلى، وكان العرب يستدلون بها على ما يأتي، وكان فيه تخمين وإثارة ومراس يل ربما كانت فظة للكفر بالله إن لم تطمح الهمة إلى الحق.

فنهى النبي ﷺ عن الظيرة وقال: «خيرها للفل»، يعني: كلمة صالحة بتكلم بها إنسان صالح، فإنها أبعد من تلك القبائح.

ونعى العنوى^(٢)، لا بمعنى نفي أصلها، لكن العرب يطلقونها سبباً - مثلاً ونسباً - اتوكل رأساً والحق: أن سبب هذه لأسباب إنما تتم إذا لم يتعد قضاء الله على خلافه، لأنه إذا انعقد أنه من غير أن يتخوم النظام، والتعبير عن هذه النكته بلسان الشرع أنها أسباب عادية لا عقلية.

والهامة تفتح باب الشرك غالباً وكذلك القول. فنهوا عن الاشتغال بهذه الأمور لأن هذه ليست حقيقة أثبتة، كيف والأحاديث متظاهرة على ثبوت الحق وتردده في العالم.

(١) بكسر تاء وفتح واو: ما يعيب المرأة إلى زوجها، من السحر وغيره.

(٢) أي مجاورة العلة أو العلة إلى فعله.

وعلى ثبوت أصل العدوى. وعلى ثبوت أصل انشوب¹¹ في المرأة والفرس والذئب فلا يجوز أن المراء نفيها من حيث جواز الاشتغال بها ومن حيث إنه لا يجوز المعاصرة في ذلك، فلا يسمع خصومة من ادعى على أحد أنه قتل إله وأرضها بإدخال الإبر المريضة عليها، ونحو ذلك، كيف وأنت خير من النبي ﷺ أي عن الكهانة وهي الإخبار عن الجن أشد نهي، وبرئ ممن أتى كاهناً؟ ثم لما سئل عن حال الكهان أخبر أن الملائكة تنزل في العنان فذكر الأمر قد غشي في السماء فشرق الشياطين السبع فتسعه فوجهه إلى الكهان فيكتبون منها مائة كذبة، يعني أن الأمر إذا تفرد في الملا الأعلى ترشح منه رشحات على الملائكة السابعة التي استعدت للإلهام، فربما أخذ منهم بعض أذكياء الجن، ثم تنسب الكهان منهم بحسب مناسبات جبلية وكيفية، فلا تُشكَّر أن الله ليس معتمداً على علمها في الخارج بل على كونها نظمة للخطأ والشرك والفساد، كما قال عز من قائل:

﴿لَقَدْ يَمَنَّا أَنَّهُ حَكِيمٌ خَبِيرٌ ۖ وَكَانَ قَدَرُ مَا نَسْأَلُهُمْ أَكْثَرَ مِنِّ أَنْ يُعْطَوْا ۚ إِنَّهُمْ عَنِ رَبِّهِمْ لَغَافِلُونَ﴾ [البقرة: ١١١].

أما الأنواء والنجوم فلا يعد أن يكون لهما حقيقة ما: فإن الشرع إنما أنى بالهي عن الاشتغال به لا نفي الحقيقة البتة، وإنما توارثت الفلسفة انصالح ترك الاشتغال به وذهبت المشتغلين وعدم القول بترك التأثيرات لا القول بالعدم أصلاً.

وإن منها ما يلحق المذنبات الأولية، كاختلاف الفصول باختلاف أحوال الشمس والقمر ونحو ذلك، ومنها ما يندل عليه الحس والتجربة والرصد كمثل ما تدل هذه على حرارة التزخميل وبرودة الكافور، ولا يبعد أن يكون تأثيرها على وجهي:

وجه شبه الطلائع، فكما أن لكل نوع طلائع مختلفة به من الحر والبرد والبرق والرطوبة بها يمسك في دمع الأرض، كذلك للأفلاك والكواكب طلائع وخواص، كحر الشمس وروية القمر، فإذا جاء ذلك الكوكب في محله ظهرت قوته في الأرض، ألا تعلم أن المرأة إنما اختصت بعادات النساء وأخلاقهن لشيء يرجع إلى طبيعتها وإن خفي إدراكها، والرجل إنما اختص بالجرأة والجهورية ونحوها لمعنى في مزاجه، فلا شك أن يكون لحلول قوى الزهرة والخريخ بالأرض أثر كثر هذه الطلائع الخفية.

ومانبها. وجه شبه قوة روحانية متراكمة مع لطيفة، وذلك مثل قوة نفسانية في الجنين من قبلي أمه وأبيه، وأنمواليد بالنسبة إلى السموات والأرضين كالجنين بالقبة إلى أبيه وأمه ففتك القوة تهيئ العائم لفيضان صورة حيوية ثم إنسانية.

ولحللول تلك القوى بحسب لاتصالات الفلكية أنواع، ولكل نوع خواص، فاعين

زاد أي: المتعوسة.

فهم في هذا اعظم فحصل لهم علم النجوم يسمون به الوقائع الآتية، غير أن القضاء إذا انعقد على خلافه جعل قوة الكوكب متصورة بصورة أخرى غريبة من تلك الصورة وأتم الله قضاءه من غير أن ينخرم نظام الكواكب في خواصها، ويمبر عن هذه النكتة بأن الكواكب خواصها يجري عادات الله لا بالزوم العقلي، وتُصَبَّ بالأمارات والعلامات، ولكن الناس جميعاً توغثوا في هذا العلم توغلاً شديداً حتى صار مظنة لكفر الله وعدم الإيمان، فحسب ألا يقول صاحب توغل هذا العلم: مُطَرَّنَا بفضل الله ورحمته، من صميم قلبه، بل يقول: مُطَرَّنَا بنوه كذا وكذا، فيكون ذلك صادراً عن نطقه بالإيمان الذي هو الأصل في النجاة.

وأما علم النجوم^(١) فإنه لا يقصر جهله، إذ الله مدير للعالم على حسب حكمته، فلم أحد أو لم يعلم، فذلك وجب في العلة أن يُحْتَمَلَ ذِكْرُهُ ويُتَمَّى عن تعلمه ويظهر بأن: ممن اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاده، ومثل ذلك مثل التوراة والإنجيل، شدد النبي ﷺ على من أراد أن ينظر ليهما، لكنهما محرفين ومطَّعَنٌ لعدم الاتقياء للقرآن العظيم، ولذلك نهوا عنه.

هنا ما أدى إليه رأينا وتخصصنا، فإن نت من السَّنة ما يدل على خلاف ذلك فالأمر على ما في السَّنة.

وأما الرُّبُوبِيَّةُ فهي على خمسة أنواع: بشرى من الله، وتَمَثُّلُ نوراتي للحمائد والبركات المستندة في النفس على وجه ملكي، وتخريف من الشيطان، وحدث نفس من قِبَلِ العادة التي اعتادتها النفس في اليقظة، تحفظها المشغيلة ويظهر في الحس المشترك ما اختزن فيها، وخیالات طبيعة قلبة الأخلاط وتنبه النفس بأذاها في البدن.

أما البُشْرَى من الله نحقيتها أن النفس الناطقة إذا انتهزت فرصة عن غوشي البدن بأسباب غفيرة لا يكاد يُنْفَكُ عنها إلا بعد تأمل واقف، استمدت لأن بفيض عليها من منبع الخير والجلود كمال علمي، فأفيض عليه شيء على حسب استعداد، وعبادة العلوم المخزونة عنده.

وهذه الرؤيا تعليم إلهي، كالمصراع السماوي الذي رأى النبي ﷺ فيه ربه في أحسن صورة ضلَّمة الكفارات والدرجات، وكالمصراع السماوي الذي انكشف فيه عليه ﷺ أحوال

(١) علم تلك السبع من العلوم الهامة التي لها وزنها في عصر القضاء، ومن هذا لا يحد ذكر، ولا يحد لعمده وقد قرر العلماء أن السعي منه من علم النجوم هو ما يدعي أهلها من معرفة السرور المستقبلية زاعمين أنهم يعلمون تلك بسحر الكواكب وتقللها وتظهرها في بعض الأوقات، ومن هذا ما استقر الله عليه، قال ما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به القزول ووجه القيلة وكما حصى من قليل ونحو ذلك مما له نفع، فهو غير ملحق في علمي.

الموتى بعد انفكاكهم عن الحياة الدنيا كما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه، وكعلم ما سيكون من الوقائع الآتية في الدنيا.

وأما الرؤيا المنكية: فحقيقتها أن في الإنسان ملكات حسنة ومساكن فيحة، ولكن لا يعرف حسنها وقبحها إلا المتجرد إلى الضرورة الملكية، فمن تجرد إليها تظهر له حسنة وسبائه في صورة مثالية، فصاحب هذا يرى الله تعالى، وأصنعه لاقياد للباري، ويرى الرسول ﷺ، وأصنعه الاقياد للرسول الموكوف في صدره، ويرى الأنوار، وأصلها الطاعات المكشقة في صدره وجوارحه تظهر في صورة الأنوار والطيبات، كالعمل والحسن واللين، فمن رأى الله أو الرسول أو الملائكة في صورة فيحة أو في صورة الغضب فليعرف أن في اعطده خطأ وضمناً وأن نفسه لم تكمل، وكذلك الأنوار التي حصلت بسبب الطهارة تظهر في صورة الشمس والقمر.

وأما الشخوف من الشيطان: فوحشة وخوف من الحيوانات الملمونة، كالفرد والقبيل والكلاب والسودن من الناس، فإذا رأى ذلك فيصعوه بأنه وليخل ثلاثاً عن يساره وليتحول من جنبه الذي كان عليه.

وأما الشرى: فلها تعبيرة والمعمدة فيه معرفة الخيال: 'أي شيء مبطنة لأي معنى؟ فقد ينتقل للذهن من المسمى إلى الاسم كروية النبي ﷺ أنه كان في دار حبة بن رافع فأني برطلبه من رطب ابن غاب⁽¹⁾. قال عليه الصلاة والسلام: 'وَعَاظَكُمُ الرَّوْفَةُ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَنْ يَمُوتَ قَدْ طَلَبَ'.

وقد ينتقل للذهن من الملبس إلى ما يلبسه، كالسيف لفتان، وقد ينتقل للذهن من الوصف إلى جوهر مناسب له، كمن غلب عليه حب المال رآه أنسبي ﷺ في صورة سوار من ذهب⁽²⁾.

وبالجملة: فلان انتقال من شيء إلى شيء صور شتى. وهذه الرؤيا شعبة من النبوة، لأنها ضرب من رقاقة غيبية وتدل من الحق إلى الخلق، وهو أصل النبوة، وأما سائر أنواع الرؤيا فلا تعبيرة لها.

(1) قيل: هو رجل من أهل قبلية ينسب إليه نوع من القمر. وقيل هو واحد من لعمنة. ولي تفلوس: خلق ابن طلب تفرق بالسبية. أو ابن طلب صرب من الرطب.

(2) رأى ﷺ في كفة - وروين من ذهب كبير عنيه فقول له: تعفهما فتعفهما فذهبا، فأنهما به - يلة والمسمى الكتابين.

اعلم أنه مما أوجبت سلامة الفطر ورفق الحاجات في أشخاص الإنسان والارتفاق منها أقاب يتأدبون بها فيما بينهم، وأكثرها أمور اجتمعت صوت العرب والمجم عنى أصولها وإن اختلفوا في الصور والأشباح، فكان البحث عنها وتمييز الصالح من الفاسد منها إحدى المصالح التي كُتبت النبي ﷺ لها .

فما التحية التي يحمي بها بعضهم بعضاً؟ فإن الناس يحتاجون إلى إظهار الحبش⁽¹⁾ فيما بينهم، وأل يلاطف بعضهم بعضاً، ويرى الصغير فضل الكبير ويرحم الكبير الصغير، ويؤاحي الأقران بعضهم بعضاً، فانه لولا هذه لم تشر الصحة فاندلها ولا اتجعت جدولها، ولو لم تنبسط يلفظ لكلمات من الأمور الباطنة لا يُعلم إلا استنباط من القرائن، ولذلك حرت سنة السلف في كل صائفة بصفة حساً أدى إليه رأيهم، ثم حذرت شعراً لئلا يسهلهم وأمانة لكون الرجل منهم

فكان البشر كون يقولون: أنت الله بك عناً⁽²⁾، و: أنت الله بك صحناً.

وكان الجوس يقولون: هو إردان برزى.

وكان قانون الشرع يقتضي أن يذهب في ذلك إلى ما جرت به سنة الأنبياء عليهم السلام وتلقوها عن الملائكة وكان من قبيل الدعاء وانذكر دون الاطشان بالحياة الدنيا، كسبي طوء الحياة وريادة الشوق، ودون الإنراط في العظيم حين يدغم⁽³⁾ الشوك، كالجنة ولثم الأرض، وذلك هو السلام، فقد قال النبي ﷺ: «لما خلق الله آدم قال: اذهب فسلم على أولئك للنفر، وهم نفر من الملائكة جوس، فاستمع ما يحثونك به فإنها تحييتك وتحية نوبتك، فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال ﷺ: «فوزنوه» ورحمة الله .

قوله: «فسلم على أولئك» معناه: «وإنه أعلم» - حثهم حسبما يؤدي إليه احسانه، فأصاب الحق فقال: «السلام عليكم» - وقوله: «فإنها تصيبك» - يعني حسباً من حيث إنه عرف أن ذلك مترشح من حقيرة القدس

وإن الله تعالى في قصة الجنة: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ إِشْرًا فَأَدْلَوْكُمَا خَبِيرًا﴾ [عنز: الآية 13].

(1) اتقيشيش الحبشة.

(2) أي تمزق فيه ما تحبه أو سبيله عن من يحبه.

(3) أي يقر، يقال: أهدنا نقاهم الرضكم، أي تجاوره، يتصر حلقاً بعدد.

قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا ولا تؤمنوا^(١) حتى تحاربوا». قولا لهلكم على شيء إذا فعلتموه تعابيتهم ففشوا للسلام ببيئكم..

أقول: بين النبي ﷺ فائدة السلام وسبب مشروعيته، فإن التحارب في الناس غصلة يرضاه الله تعالى، وإفشاء السلام آلة صالحة لإنشاء المحبة، وكذلك المصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك. قال ﷺ: «يسلم قصير على الكبير والعلماء على الفقهاء والغلب على الكثير». وقال ﷺ: «يسلم فركب على قهشي».

أقول: القاشي في طوائف الناس أن يحبي الداخل صاحب البيت، والحقير العظيم، فأفشاء النبي ﷺ على ذلك، غير أنه مر عليه الصلاة والسلام على عثمان فلم عليهم، ومر على ثوبة لمسلم عليهم، علماً منه أن في رؤية الإنسان نضل من هو أعظم منه وأشرف جماً لشل المدينة، وأن في ذلك نوعاً من الإعجاب بنفسه، فجعل رغبة الكبار التواضع ورغبة الصغار توفير الكبار، وهو قوله ﷺ: «من لم يرحم صغيرنا ولم يُؤَفِّرْ كبيرنا فليس منا».

وإنما جعل وظيفة الراكب السلام على العاشي لأنه أميب عند الناس وأعظم في نفسه فتأكد له التواضع.

قال ﷺ: «لا تبتدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتم لصدهم في طريق فاضطروهم إلى اضيق^(٢)».

أقول: سره أن إحدى المصالح التي يُعْمَد النبي ﷺ لها التنبؤ بالصلة الإسلامية وجعلها أعلى المثل وأعظمها، ولا يتحقق إلا بأن يكون لهم عَزْوٌ على سواهم.

وقال ﷺ فيمن قال: (السلام عليكم). «عشر»^(٣)، وفيمن زاد (ورحمة الله): «عشرون»، وفيمن زاد أيضاً: (وبركاته): «ثلاثين»، وأيضاً: (ومغفرته): «أربعون»، وقال ﷺ: «هكذا^(٤) تكون الفضائل».

أقول: سر الفضل ومناطه أنه تنعيم لما شرح الله له السلام، من التثبيث والتألف والموادة والدعاء والذكر وإحالة الأمر على الله.

(١) حلفت قلوبهم للصلاة ولا يبرأون. فلا فتوى ولا تيسر، يقولون، بالقبول، فنون.

(٢) بحيث لو كان جدل يُشْفَرُ عليه ويُفَكَّرُ من وسط الطريق، لأنهم عدوا عن تسارعت المستقيم فجعلوا جزاءه وقفاً للظاهر أن هذا الحديث يدل على نسبة العرب قسماً كانت بين المسلمين وبين بني قريظة لهم خاص بالمحاربين وقت اعظم.

(٣) أي: له حصته.

(٤) أي: زيادة فتوب بزيادة الفضل.

وقال ﷺ: «يجزئ من الجماعة إذا مروا أن يسلم بعضهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد بعضهم».

أقول: وذلك لأن الجماعة واحدة في المصنوع، وتُسبغ واحد، ومن يدفع الوحشة ويؤدد بعضهم بعضاً.

قال ﷺ: «إذا تشبهت أحدكم إلى مجلس فليسلمه، فإن بداله أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم». فليست الأولى⁽¹⁾ وأحق من الأخيرة.

أقول: سلام الوداع فيه فوائد: منها التمييز بين قيام التاركة والكراهية وقيام الحاجة علم، نية العودة لعل تلك الصلوة. ومنها أن يندرك التذكير بعض ما كان يقصده ومهمه، من الحديث ونحو ذلك. ومنها ألا يكون ذهابه من المنزل. والسر في المصافحة وقوله (سرحاً بفلان) ومصافحة القادم ونحوها: أنها زيادة في العودة والتبشيش ورفع الوحشة والتدابير.

قال ﷺ: «إذا التقى مسلمون فمصافحوا حمداً لله واستغفروا فحقر لهم».

أقول: وذلك لأن التبشيش بما بين المسلمين ربواهم وتلاصقهم وشاعة ذكر الله فيما بينهم يرضى بها رب العالمين.

وأما القيام فاختصت فيه الأحاديث، فقال ﷺ: «من سره أن يتعقل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار». وقال ﷺ: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً». وقال ﷺ في قصة سعد: «قوموا إلى سيدكم»، وكانت فاطمة رضي الله عنها إذا دخلت عنى النبي ﷺ قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل ﷺ عندها قامت وأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها.

أقول: وعندي أنه لا اختلاف فيها في الحقيقة، فإن المعاني التي يدور عليها الأمر والهي مختلفة، فإن نعمة كان من أمرهم أن تقوم الخدم بين أيدي ساداتهم والرهبة بين أباي وأربابهم، وهو من إفراطهم في التعظيم حتى كاد يتأخم الشوك، فلهذا هذه، وإلى هنا وقعت الإشارة في قوله عليه الصلاة والسلام: «كما يقوم الأعاجم».

وثوله عليه السلام: «من سره أن يتعقل».

يقال: نزل بين يديه مثولاً إذا انصعد قائماً للخدمة، كما إذا كان تبشيشاً له وامتزازاً إليه وتكريماً وتعليقاً للقلب من غير أن يتعقل بين يديه، فلا بأس، فإنه ليس بتأخم الشراء.

وقيل: يا رسول الله! الرجل من بلقي أخاه، أهنئي له؟ قال: لا.

(1) هي التسليم الأولى بأحد: أي بالولي.

وسمى أنه شبه الموضع في الصلاة فكان يسزله سبحانه التحية. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ [النور: 24] وقال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَتَعَلَّقُ قُلُوبُكُمْ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ رُكُوعًا وَكُنْتُمْ تَكْبِيرًا﴾ [النور: 23] وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ [النور: 24] وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ [النور: 24]

أقول: إنما شرع الاستئذان لكم مرة أن يهجم الإنسان على عورات الناس وأن ينظر منهم ما يكرهونه. وقال النبي ﷺ في بعض حديثه: «إنما جعل الاستئذان لأجل العورة فكان من حقه أن يحذف باختلاف الناس».

فمنهم الأجانب الذي لا مخالطة بينهم ودته. ومن حقه ألا يدخل حتى يصرح بالاستئذان ويصرح له بالإذن. ولذلك حُلم النبي ﷺ كلفة بن الحنفية - رجلاً من بني عامر - أن يقول: «السلام عليكم، التحية». قال ﷺ: «الاستئذان ثلاث: فإِنْ قِيلَ لَهُ وَالَا قَارِيعَ».

ومنهم من أصرار له. بالمعاصم لكن بينهم عطفة ورحمة، واستئذانهم دون استئذان الأوليين، ولذلك قال ﷺ لعبد الله بن مسعود: «إنك على أن ترفع الحجاب وأن تستعير» سوادني حتى أتاك».

ومنهم من كان معاك لا يجب المتر منهم، فلا استئذان لهم إلا في أوقات حرت إحداهما فيها يوضع الثياب. وإنما خص الله تعالى هذه الأوقات الثلاث لأنها وقت راحة النساء والرجال، بخلاف نصف الليل مثلاً.

وقال ﷺ: «وسئل رسول الله ﷺ إلى شرجي إني» وذلك لأنه عرف بدخوله لما أرسل إليه. وكان رسول الله ﷺ إذا أُمي باب قوم ثم يستقبل الباب من خلفه وجهه لكن من كانه الأسمن أو الأسير، يقول: «السلام عليكم، السلام عليكم». وذلك لأن النور لم يكن عليها يومئذ سور.

ومنها آداب الجلوس والوقوف والسير ومعهها قال ﷺ: «لا يقبل الرجل من مجلسه ثم يحل في» ولكن يقول: «تسبحوا وتوسعوا».

(1) قوله: «السلام عليكم، السلام عليكم» أي: تسبح تلاميذ الله على كافي في البيت وقوله: «حتى أتاك» أي: عند الخروج من كان هناك منته.

أقول: وذلك لأنه يحذر من كبر واستجاب بغض ويحذر من الآخر وأخراً وبغضه.

وقال ﷺ: «من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به».

أقول: من سبى إلى مجلسه أبيع له من مسجد أو رباط أو بيت، فقد تعلني صفه به، فلا يخرج حتى يستغي عنه، كالصوت وقد مر حديث.

وقال ﷺ: «لا يحل للرجل أن يقرأ في بيته شيئاً إلا بدينهما».

أقول: وذلك لأنهما ربما يجتمعان لحدوثهما حاجة، فيكون الدخول منهما تنقيصاً عنهما، ووبد بأنهما، فيكون الجوس بينهما إحساناً لهما.

قال ﷺ: «لا يستلمعين أدنكم ثم يضع إحدى رجله على الأخرى، ودوي ﷺ في المسجد مطلباً وأدنى أدنى قدبيه على الأخرى».

أقول: كان أعمم بالتردد في ذلك، والمؤمر إذا رفع إحدى رجله على الأخرى لا يأمن أن تكشف عورته، فإن كان لأبى إسرائيل أو يأمن تكشفه، عورته فلا بأس بذلك.

وقد ﷺ لمضطجع على بطنه: «في هذه ضبعة يفتسها الله».

أقول: رقت لأنها من الهيئات المنكرة للحيطة.

وقال ﷺ: «من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد مرت منه الفحة».

أقول: وذلك لأنه تعرض لإدراك غيره والتمس نفسه إلى التهنكة، وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَلْقُوا يَتِيمَكَ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [إبراهيم الآية ١٨].

وقال ﷺ: «مداون على لسان محمد ﷺ من فقد وسط الحلقة» قولي: «أمراده
الماح الذي يقيم نفسه دمام السخوية ليكون محكة، وهو عمل من أعمال الشيطان»
واعتدل أن يكون النحوي أو يدبر على طاعة ويقبل على ناحة محمد بعضهم في نفسه من
ذلك كراهية.

واعتاد الرجل مع النساء في الطريق، فقال ﷺ للنساء: «استأذنن، فإنه ليس كن أن
تأذنن^(١) الطريق، عليكن بمالك الطريق، فكانت امرأة تلهن بالجدار».

وهو ﷺ أن يشرب الرجل بين المرأةين.

أقول: وذلك خوفاً من أن يمس الرجل امرأة ليست محرمة أو ينظر إليها.

(١) أي يستملن الإذن.

(٢) ماقت الطريق أي دعيت، ثم حلقه وهو لوسه أي لا تأس من غير وسط الطريق، وقوله: «مخافتة جمع
مخافة وهي التامية».

قال **يَعْقُوبُ** : «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلِيَقُلْ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيَصْلَحَ بِكُمْ» . وَفِي رِوَايَةٍ : «وَلَنْ لَمْ يَحْمَدْهُ فَلَا تُشْكُوهُ» . وَقَالَ **يَعْقُوبُ** : «شُكْتُ أَخَاكَ ثَلَاثَةً فَمَا زَادَ ضَعْفَ زَكَامٍ» .

الثَّوَالِي : إِذَا شَرَعَ الْحَمْدُ عِنْدَ الْمَوَلَةِ لِمُعَيَّنٍ . أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْغَنَى وَخُرُوجِ الْأَشْيَاءِ الْغَنَظَةِ مِنَ الدَّمَاعِ ، وَثَانِيهِمَا أَنَّهُ سَنَةُ أَوَّلَ عَهْدِ السَّلَامِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، كَوَلَّاهُ تَابِعاً لِمَنْزِلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَانِبَ الْفَرِيزَةِ عَلَى سَلْتِهِمْ ، وَفَلَدُكَ وَجِبِ الشَّمْسِ وَكَانَ مِنَ سَقَوَى الْإِسْلَامِ . وَإِنَّمَا شُرِّ جَرِبِ الشَّمْسِ لِأَنَّهُ مِنَ مَدَابِلَةِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ .

وَقَالَ **يَعْقُوبُ** : «إِنَّمَا الشَّارِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَإِذَا شَابَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجِدْهُ مَا سَقَطَ ، فَلْيَأْكُلْهُ إِنَّهُ قَتَلَهُ مِنْهُ كَالشَّيْطَانِ» .

أَقُولُ : وَدَلَّتْ أَنَّ الْكَتُوبَ مَا شَرِي مِنْ كَسَلِ النَّبِيَّةِ وَغَنَةِ الْمَلَالِ وَالشَّهَادَةِ بِحَدِّ فِي نَفْسِ ذَلِكَ لَوَسْطَةٍ وَفُتِحَ الْقَمَرُ وَصَوَّرَتْ أَعْيُنُهَا بِفَحْلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ لَأَنَّ مِنَ الْهَيْدَاتِ الْمَكْرَمَةِ .

قَالَ **يَعْقُوبُ** : «إِذَا تَقَابَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكَبْ بِيَدِهِ عَلَى فَمِهِ فَلْيَنْزِلِ الشَّيْطَانُ بِضَعْفٍ» .

أَقُولُ : الشَّيْطَانُ يَهْجِجُ نَابِيّاً أَوْ يَفْعَلْهُ فِي فَمِهِ ، وَبِمَا تُشْنَجُ أَعْصَابُ وَجْهِهِ ، وَقَدْ رَأَى ذَلِكَ .

قَالَ **يَعْقُوبُ** : «مَنْ مَنَعَ النَّفْسَ مَا فِيهِ الْوَحْدَةُ مَا أَطْلَمَ ، مَا سَلَّ رَاكِبٌ بِاللَّيْلِ وَحْدَهُ» .

أَقُولُ : أَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَرَامِيَّةَ الْفَتَوَرِ وَالْإِفْتِحَامِ فِي فَعَالِكَ مِنْ غَيْرِ حَرُورَةٍ ، أَمَا بَعَثَ الْمُرِيرَ رَمِيَّ اللَّهِ عَنْهُ وَحْدَهُ طَبِيعَةً ، فَلَمْ يَكُنْ ضَرُورَةً .

قَالَ **يَعْقُوبُ** : «لَا تَصْحَبِ الْعَلَانَةَ رَفَقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ» . وَذَلِكَ **يَعْقُوبُ** : «لِجَرَسِ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ» .

أَقُولُ : الصُّوْبُ الْحَدِيدُ . تَشْدِيدُ بَوَاقِرِ الشَّيْطَانِ وَحَزْبِهِ ، وَمَكْرَهُهُ الْمَلَانَكَةُ لِمَنْزِلِهِ بِعَطِيَّةٍ مِنْ جِهَمٍ .

وَقَالَ **يَعْقُوبُ** : «إِذَا سَافَرْتُمْ إِلَى الْخَصْبِ^(١) فَامْطُؤُوا الْإِبِلَ حَقَّهَا مِنَ الْأَرْضِ . وَإِنَّمَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَاسْعَوْا عَلَيْهَا السَّيْرَ . وَإِنَّمَا عَرَسْتُمْ بِاللَّيْلِ فَتَجَنَّبُوا الْفَرِيقَ . فَتَمْنَاهَا طَارِقَ الْبَوَابِ وَمَلَاوِي الْهَوَالِ بِاللَّيْلِ» .

أَقُولُ : هَذَا كُنْهٌ مُبَاهٍ .

وَإِن **يَعْقُوبُ** : «تَسْفَرُ قَطْعَةً مِنَ الْعَدُوِّ . يُعْذِرُ أَحَدُكُمْ تَوَكُّعَ وَطْعَانِهِ وَشَرَفِيَّةَ ، فَإِذَا دَخَلَ

(١) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا . وَفِي الْبُحَارِ مِنْ الْوَسْوَاسَةِ

(٢) رَقَبَتُهُ . فَامْطُؤُوا الْإِبِلَ حَقَّهَا أَيَّ حَتَّى تَرْمِزَ وَتَوَلَّى . وَفِي هَذِهِ أَيَّ تَمْنَعُطُ

نومته^(١) من وجهه فابْتَدَأَ إِلَى اسْمِهِ.

أقول: يريد عليه الصلاة والسلام قراءته أن شيع صحفوات الأمور فيطيل مكثه لأجلها.

وقال ﷺ: «إِنَّ أَطْلَالَ الْحَكَمِ الْقِيَّةُ فَلَا يَطْرُقُ اللَّهُ لَيْلًا».

أقول: كثيراً ما يتغير الإنسان غيرة طيبة من أجل الشمت ونحوه فتكون سبباً لشمعهم جانبهم.

ومنها: لا بد من الكلام قال رسول الله ﷺ: «الْأَسْمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رِطْلٌ بِسْمِ مَلِكِ الْمَلَائِكَةِ» وقال ﷺ: «لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ» وقال ﷺ في التكنية بأبي الحكم: «لَمْ يَلِدْهُ إِلَّا اللَّهُ».

أقول: إنما نهى عن ذلك لأنه يترتب في التعظيم بتسمي شرك.

قال ﷺ: «لَا تَسْمِعِينَ غُلَامَكَ يَسَاراً وَلَا رِيحاً وَلَا تَحِيحاً وَلَا أَلْفَحَ» فإذ تقرر أقاموا فلا يكون، فيقول: لا. وقال جابر رضي الله عنه: «رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَنْهَى ابْنَ بَنِي عَنْ يَسْرِ وَدَ بَرَكَةٍ وَدَ أَسْمَحَ وَدَ يَسَارَ وَدَ نَافَعَ وَنَحْوَ ذَلِكَ» ثم رآه سكت نغذ عنها، لم يفسد ولم يبه عن ذلك.

أقول: حسب كراهية التسمية بهذه الأسماء أنها تخفي إلى شبه منكرة هي في الأقوال بمنزلة الأجمع ونحوه في الأفعال، وهي قوله عليه الصلاة والسلام: «الْأَجْدَعُ شَيْطَانٌ».

وه من الجمع بين المحبتين. أنه لم يعزم في السهر ولم يذك. ولكنه نهى نهي إرشاد، بمنزلة المشورة. أو: ظهرت عكاز^(٢) انتهى فقال الروي: نهى اجتهداً منه. ومن غبط حجة عن من لم يحفظ.

وأرى أن هذا الوجه أقرب لتدليل الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم لم يزالوا يسمون بهذه الأسماء.

قال ﷺ: «سَمَوْا بِسْمِي وَلَا تَكْثُرُوا بِكُنْيَتِي» فإني إنما جعلت قاسماً لقدم^(٣) بينكم.

أقول: لو كان أحد يسمي باسم النبي ﷺ فكان مضمناً أن تختبه الأسماء ريثاً في

(١) أي: لم يدر اسمك حليته من جانب الذي توجه إليه.

(٢) أي: قدس، وقوله: «رجل» أي اسم رجس، وذلك أي: قهقهة، وقوله: «يتاحم» أي: يتقرب منه، وقوله: «يساراً» أي: من اليسر، و«داحاً» من لربيع.

(٣) أي: عدل.

(٤) وقوله: «هم عنكم» أي: تعلموا والخيمة وغيرهما.

تسميها رزفهما، فإذا قيل: قال أبو القاسم، قلُّ أن الأمر هو النبي ﷺ وربما كان المراد غيره.

وأيضاً ربما يُنسب الرجلُ باسمه ويُسمَّى بالقبيلة في اللفظ، فإن كان مسمى باسم النبي كان في ذلك هيئة منكزة.

ثم هذا انمحن أكثر تحقفاً في الكتابة منه في نطق لوجهي: أحدهما أن الناس كانوا ممنوعين شرعاً وممنوعين ديناً من أن ينادوا النبي ﷺ باسمه، وكانوا ينادون بآدون. يا رسول الله ﷺ، وأهل الذمة يقولون: يا أبا القاسم.

وثانيهما: أن العرب كانوا لا يفتخرون بالاسم الشريف ولا التحجير، وأما الكنى فكانوا يفتخرون بها أحد الأمرين، كأي الحكيم وأي الجليل ونحو ذلك.

وثالثاً كني النبي ﷺ بأبي القاسم لأنه قاسم، فكان تكنية غيره بها كالتسوية معه.

وأما رخص النبي ﷺ لعلي أن يسمي ولده باسمه بعنه ويكنيه بكنيته لارتفاع الألباس والتدليس بانتمائهم للقرن.

قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحكمكم عبيدي ومعتق، كلكم عبيد الله وكل تسلككم إمام الله، ولكن ليقرن غلامي وجاريتي ولتاتي وضاتي. ولا يقل العبد: ربي. ولكن ليقل: سيدي».

أقول: التناول في الكلام والازدراء بالكس مشوّء الإعجاب والكبر وفيه كسر قلوب الناس. وأيضاً فلسا عبر في الكتب الأنثوية عن النسبة التي هي للخلق إلى الخالق بالمعبودية والربوبية. كان إطلاقها فيما بينهم سوء أدب.

قال ﷺ: «لا تقولوا تكرم. ولكن قولوا العتب والعتبة»⁽¹⁾. ولا تقولوا يا خيبة فدهر، فلو أن هو الدهر وقال الله تعالى: يؤتيني من كرم، يسب الدهر وأذا الدهر بيدي الأمر أقلب القيل والنهار».

أقول: لما نهى الله تعالى عن الذم ووضع⁽²⁾ أمرها، انتفى ذلك أن يمتح من كل ما ينزه أمرها ويخيل حسنها إليهم، وبالعتب مادة الذم وأصلها، وكان العرب كثيراً ما يسمونها بنت كرم ويروّجونها بذلك.

وكان أهل الجاهلية يسبون الرفائع إلى الدهر، وهذا نوع من الشرك، وأيضاً ربما يريدون بالدهر مُتَعَب الدهر، فالخط راجع إلى الله وإن أخطأوا في العنوان.

(1) أي: العترة.

(2) من أصل شجرة العتب، والعتبة الحرمان وكفرا إذا أصابهم مصيبة في الجاهلية يقولون: يا خيبة فدهر، يريدون سب الدهر فدهر من سبه.

(3) أي: نفس.

قال ﷺ : « لا يقولوا احببكم خُبِّلْتُ نفسي، ولكن ليعل لِفْسْتُ نفسي »^(١)

اقول : الخبث كثيراً ما يستعمل في تكذب الآلهة بمعنى حب، الباطل وسوء السريرة، فهذه الكلمة بمنزلة الهبات الشيطانية.

قال ﷺ في دعواه^(٢) : « بشر عطة لوجل،

اقول : يريد كراهية أن يذكر الأثام من غير تبت

وقال ﷺ : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، وقولوا ما شاء الله ثم شاء فلان ».

اقول : التوبة في الذكر توهم التوبة في العزلة، فكان إطلاق مثل هذه اللفظة سب

أصب.

وعلم أن التطلع^(٣) والتشوق والتضرع في الكلام والإكثار من الشعر والداح والتزجية
أدوات أساسية وأحدى أساليب التي تشغل عن الدين والدنيا، وما يقع به التعذر
والتمرد، فكان حالها كحال عادات التحيم، فكم هيما النبي ﷺ وبين ما بي ذات من
الآفات، ورحم من لا يتحقق فيه معنى الكراهية وإن اشبهه يدي الرأي.

قال ﷺ : « ملك المعتنقون »^(٤) قالها ثلاثاً، وقال ﷺ : « أحياء والحي شعشان من

الإيمان والبذل، والذين شعبان من الفناء »

اقول : يريد ترك البذاء والنظر والنطاول في الكلام

وقال ﷺ : « إن احببكم إلي وأقربكم مني يوم القيمة احببكم اخلاقاً، وإن أبغضكم إلي
وأبعدكم مني أسوأكم اخلاقاً »^(٥) الثرثارون^(٦) قدمت بقوله « متيقنون » وقال ﷺ : « لقد رأيت
أولاً : « أحببني في القوم، فإن الجواز هو خير »، وقال ﷺ : « لا يستل جوفه أعينكم
فحباً بربه خير من أن يستل شعراً »، وقال ﷺ للحسان : « إن روح القدس لا يزال يؤيك ما

(١) لفت من هذا سمع معنى غش وفساد.

(٢) في شأن هذه الفطنة ومسامحة قال « بش معنى الرجل » والمعتنق أن المعنى يتوسل بها إلى
الأغراض، فلو لم يكن بهذا المعنى إلى خبر يهيج بل يضي أن يكون معنى أخير على القبول لا على شك
والفهم.

(٣) من الكلام الذي، والتشوق التكم ينظرون العادة والقوس في الكلام، والتضرع التكم ولا بداهة،
والتزجية التلذذ.

(٤) « المعتنقون » فيما لا ينبغي، « أي ما كسر الصبر والصبر في الفناء لا لعل في الدين أو للتأمل
والدخا، وقوله « البذل » هو العجز ضد الحياء، وإن دل كريد به ما يكون بالاحقر، ومع العبادة ومع
العبادة من مزار.

(٥) أي « المعتنقون » الكلام، « المتيقنون » القوم، وقوله « الجواز » أي « الحصر » والجواز « التمسك » على غير
الطاعة، وقوله « حباً بربه » أي صديقاً.

ناقص^(١) عن الله ورسوله»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، فكانما ثرونتهم به^(٢)» فوضح القيل.

وقد ذكرنا في الإحسان من أصول آفات اللسان، ما يوضح به أحاديث حفظ اللسان، كقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت». وقوله عليه الصلاة والسلام: «سبب المسلم فسوق وقتله كفر». وقوله ﷺ: «الذين ما أغيبوا تركوا أخاك بما يكره». نزل أنرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته^(٣)».

وقال العلامة: يستثنى من تحريم العيبة أمور ستة:

النظم. لقوله تعالى: ﴿لَا يَحِثُّ اللَّهُ السُّبْحَ وَالنَّوْءَ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [نفسه الآية ١١٤]

والاستعانة على تغيير المذكر بوزن العاصي إلى المصوب، كجبار بن أرقم يقول: عبد الله بن أبي، وإحبر ابن محمود يقول الأنصار من مقام حنين.

والاستغناء، كقول هند: إن أبا سفيان رجل شحيح.

وتحذير المسلمين من الشر، كقوله ﷺ: «بئس الخوة فاحشة برة»، وكبحر الجرحين^(٤)، وكقوله ﷺ: «أما معلوبة فسلطونه وأما ملو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه».

والتشهير من مجاهر بالتقص، كقوله ﷺ: «لا اثن فلاناً وفلاناً يعرفان من ثورتنا شيئاً»، والنعرض، كالأعرش والأعرج.

وقالوا: الكذب يحوز إذا كان تحديداً المقصود لا يمكن إلا به، وهو قوله ﷺ:

«ليس الكذاب الذي يصلح من الناس، فيبني^(٥) خيراً أو يقول خيراً».

ومما يتعلق بهذا المبحث أحكام الذنور والأيمان

والحكمة في ذلك أنها من دون الناس وعادتهم، عربهم وعجمهم، لا تجد واحدة من الأمم إلا تستعصمها في مطائنها، فوجب ليحث عنها.

(١) أي: مدة مناصبته للمشركين.

(٢) التفسير في بابه: «ربح من الشعر، أي: شعر في دماء المشركين يؤثر تأثير السهم منهم». وقوله: «فوضح» أي: وهي.

(٣) أي: قلت عليه ليلتي.

(٤) أي: في الحديث، وقوله: «معلوبة» أي: فقر.

(٥) أي: يرفع ويهبط.

وَيَسِّرُ الْفَقْرَ مِنْ مَحْمُولِ الْبَرِّ وَلَا الْإِيمَانِ، وَلَكِنْ إِذَا أُوجِبَ: الْإِيمَانُ، عَلَى نَفْسِهِ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَجَبٌ أَوْ بَقَرَةٌ فِي حَنْتِ اللَّهِ وَفِيهَا ذَكَرَ عَلَيْهِ سَمُ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ يَحْيَى: «لَا تَتَّخِذُوا، فَإِنَّ الْفَقْرَ لَا يَغْنَى مِنَ الْقَدَمِ شَيْئاً، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبُفْلِ»، يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحْبَبَ بِهِ رَجَباً سَمِعَ عَلَيْهِ إِعْذَابُ شَيْءٍ، إِذَا أَنْعَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، لِمَهْلِكَةٍ كَانَتْ كَأَنَّ لَهُ يَسْرَةً مُرَّةً قَطْرَةً، وَلَا يَدَّ مِنْ شَيْءٍ، يُسْتَخْرَجُ بِهِ مَا التَّوَكَّلَ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ يَزِيدَ عَزَمَتِهِ وَيُزِيدُ بِهِ.

وَالْحَذَفُ: عَمَّا أَوْجَعُ أَضْرَبُ:

يَعْنِي مُتَعَدَّةً: وَهِيَ الْيَمِينُ عَنِ مَسْتَقْبَلِ تَضَوُّرٍ^(١)، عَاقِدَةً عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَفِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا كُنَّا لِلْغَلَاظِ بِرَآءً وَكُنَّا مُسْتَعِزِينَ﴾ [مَعَادَةُ: آيَةُ ٥٨].

وَلَمَّا نَبَّهْنِ قَوْلَ لُحْيٍ: (لَا وَاللَّهِ) وَ: (بِسْمِ اللَّهِ) مِنْ عَمْرِو فَصَلِّ، وَأَنَّ يَحْلِفَ عَلَى شَيْءٍ، يَنْظُرُهُ كَمَا حَلَفَ فُلَيْسُ مُحَلِّفُهُ، وَفِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَيِّدُكُمُ اللَّهُ بِأَلْفٍ مِنْكُمْ﴾ [مَبْقَرَةُ: آيَةُ ٢٥].

وَالْيَمِينُ الْخُمْرُوسُ: وَهِيَ الَّتِي يَحْلِفُهَا كَانَتْ عَادَةً أَنْ يَنْقَطِعَ بِهَا مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَهِيَ مِنْ أَكْبَارِ الشَّيْءِ.

وَالْيَمِينُ سَبِي مَسْحِ الْغُلَّةِ: كَسُومِ أَسْرَةٍ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْفُضْلِ أَوْ عَادَةٍ، كَرَجَاءِ الْبَيْتِ وَبَيْنَ الْأَعْيَانِ.

وَأَحْتَلَفَ فِي الصَّيْرِ مِنَ الثَّلَاثِينَ نَبِيٍّ فِيهَا حَسَّ هَلْ فِيهَا كَفَارَةٌ^(٢)، قَالَ دِرْسَلُ اللَّهِ يَحْيَى: وَلَا تَحْلِفُوا بِأَيَانِكُمْ، مَنْ كَانَ هَلْماً فَلْيَحْلِفْ بِأَنَّهُ لَوْ لِيَصْصَ^(٣)، وَنَارُ يَحْيَى: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ هَلْهُ أَشْرَكَ.

أَقُولُ: الْحَلْفُ بِاسْمِ شَيْءٍ لَا يَتَحَنَّنُ حَتَّى يَتَفَقَّدَ فِيهِ عِلْمُهُ وَفِي اسْمِهِ بَرَكَةٌ، وَالتَّحَرُّطُ فِي جَنْبِهِ وَإِحْسَانٌ مَا ذَكَرَ اسْمُهُ عَلَيْهِ إِتِمَامٌ.

قَالَ يَحْيَى: وَمَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَايْقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِيُصْلِحَهُ تَعَالَى أَلَمْ يَلَمْ، فَلْيُصْلِقْ^(٤).

قَوْلُهُ: النَّاسُ نَزَجُوا مِنَ الْقَلْبِ وَتَقَدَّسَتْ، وَلَا يَتَحَقَّقُ تَهْذِيبُ الْقَلْبِ حَتَّى يُوَاحِدَ بِحَفْظِ السَّانِ.

وَقَالَ يَحْيَى: إِذَا حَالَاتُ عَلَى يَمِينٍ قَرَابَتٌ غَيْرُهَا حَبِيراً مِنْهَا فَتَكُنْ عَنِ يَمِينِهِ وَأَنْ الْقَدِي هُوَ خَيْرٌ.

(١) أَي: عَنِ مَسْتَقْبَلِ.

(٢) مُسْتَقْبَلٌ مِنَ الْعَلَا هَذَا الْحَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ يَهْدِيكُمْ لِمَا تَحْلِفُونَ بِأَيَانِكُمْ، مَنْ كَفَرَ بِهِ هَلْهُ».

(٣) أَي: بِأَيِّ مَالٍ هَدَى مَزُو عَلَى الْفَقْرَةِ بِهِ، أَوْ شَيْءٍ أُخْرَ كَلَامُهُ عَنِ مَخْلَقِهِ.

وذلك حبه الصلاة والسلام . لأن يلجأ لحضرتهم بمدينه في أهله ثم به عند الله من أن يعطى كفارته فاني اقترض الله عليه .

أقول : كثيراً ما سجلت الإنسان على شيء فينبغي على نفسه وعرض الناس . وأنت تلك من العبدية ، وإنما شرعت الكفارة منية بما سجد له مكافئ في نفسه .

والله يقول : يعينك على ما يصدقك عليه صاحبك .

أقول : قد سحلت لافساح مال امرئ مسلم . أن يتأوى في البيوت ، فعول مثلاً . وأنه ليس في يدك من ذلك شيء . يريد ليس في يدي شيء . وإن كان في نصري وقبضي ، وهذا محله الظاهر .

وقد يقول : من حلف معاذ إن شاء الله لم يحلف .

أقول : حيث لم يتحقق عهد القلب ولا حزم الله ، وهو المسمى في الكفارة ، فإنه الله تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي رَفَعُوا فِي يَدِيكُمْ وَلَئِنَّكُمْ فِي يَدَيْكُمْ أَلْسِنَةٌ فَكُفَرْتُمْ ، فَكُلَّامٌ خَسِرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ أَلْسِنَةٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثُوبَةٍ أَوْ نَذِيرٍ فَذُنُوبُهُمْ لَهُمْ فِي يَوْمٍ فَكُفَرُوا ﴾ .

أقول : قد مر من وجوب الكفارة من قبل فراجع

والشر على أقسام :

نذر العيب : وفيه قوله تعالى : وكفارة النذر إذا لم يسد كفارة الدين .

والنذر الصباح : وفيه قوله تعالى : تؤفرون . ونذك ، ملا وجوبه . لما يأتي من نصه أي إسناده .

ونذر طاعة : في موضعين أحدهما أو حيث يثبتها ، وفيه قصة أبي إسرائيل : نذر أن يقوم ولا يمشي ولا يستعمل ولا يتكلم ويصوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صومك فليتكلم وتبستقل وليفعل وليأكل وسومه . ونصه من نذر أن ينحر إبلًا بيوانة . ليس بها وثق ولا عيب لأحد نحاه . قال تعالى : يؤفرون .

ونذر التعصية : وفيه قوله تعالى : ممن نذر نذرًا في تعصية فكفارته كفارة يعين .

ونذر مستحيل : وفيه قوله تعالى : ممن نذر نذرًا لا يعصيه فكفارته كفارة يعين .

والأصل في هذا الذنب أن الكفارة شرعت منية للإثم مرتبة له . أي صدره ، فمن نذر بطاعة فليفعل ومن نذر غير ذلك ووجد في صدره حرجاً بحيث الكفارة ، والله اعلم .

(١) أن يسجد ويقيم ، وهو . الله . أكثر إلماً

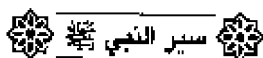
(٢) أي غصبت بدينيت . ولا تؤثر فيه قنورية .

(٣) باسم المرحمة اسم موسى في أسفل مكة نبي بعد .

من أبواب شتى

قد برزنا ونحمد لله رب العالمين عما أردنا إبراده في هذا الكتاب وشروطه على أنفسنا. ولا استوعب المذكور ما هو مكتون في صدورنا جميعه من أسرار الشريعة، فنبس كل وقت بسبح القلب بمصنوعات أسرار وتضع^(١) الإنسان بمكتوبات الضمائر. ولا كل حديث ينشئ العامة ولا كل شيء يخشئ ذكره بغير تعهد مقلداته. ولا استوعب ما جمع الله في صدورنا جميع ما أنزل على قلب النبي ﷺ، وكيف يكون لمورد الوحي ومنزلة القرآن نسبة مع رجل من أمته؟ فهيات ذلك. ولا استوعب ما جمع الله في صدره ﷺ جميع ما عد الله تعالى من الحكم والمصالح الشرعية في أحكامه تعالى، وقد أوضح عن ذلك الحضر عليه السلام حيث قال: «ما نقص علمي وعلمك إلا كما نقص هذا العصور من البحر»^(٢). فمن هذا الوجه ينبغي أن يعرف فخرامة أمر المصالح الشرعية في الأحكام الشرعية وأنها لا منتهى لها، وأن جميع ما يذكر فيها عبرة وإلهام يوجب حقها ولا كاف بحقيقة شأنها، ولكن ما لا يذكره ذلك لا يتذكره كنه.

ونحن لأن يشتغل بشيء من السير والفتن والمناقب. على التيسير دون الاستيعاب، والله الموفق والسعي. وإلى المرجع والمآب.



نبينا محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، نشأ من أفضل العرب نساً وأقوامهم شجاعة وأوفهم سخاوة وانصحبهم لساناً وأذكاهم جناناً^(٣)، وكذلك الأبياء عليهم السلام. لا تبعث إلا في سمع قوم، فإن الناس مدون كمعادن المذهب والعتبة، وجودة الأخلاق برزها الرجز من آياته ولا يستحق الثروة إلا الكائنون في الأخلاق.

(١) أي: تضع، وقوله: «تضع» أي: يفسد حسره.

(٢) ذلك لموسى عليه السلام كما قاله الحضر، في صحيحه.

(٣) أي: قنباً.

وقد أراد الله سبحانه أن يظهر الحق ويظهر بهم الآلهة العرجاء، ويجمعهم إليه، والأقرب
لذلك أهل النسب، الرفيع، والظرف، مرغى في أمر الله، وهو قومه تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 124].

[illegible]

أَتَسَدُّقُ الدَّاعِرِ لِهَيْجَةِ وَابِيهِ عَدِيكَ؟

من رآه ينهيه هاجع، ومن حانطه معرفة أحيد، أشبه الناس تواضعاً مع كبيرهم،
وأمرهم بأهل بيته وخليفه، تحفة الناس رضي الله عنه عشر سنين، فما قال له: آفقه ولا:
أهـ حذرت^٥ ولا^٦ صنعت^٧ وإذ كانت الأم من ربه أهل الشهادة لتأخذه، فتنطق به
حيث شاءت.

وخلال يكون في عهدة الله.

وَنُجِمْ ذَٰلِكَ فَاجْزُءًا وَلَا لَهَاقًا وَلَا سَبَابًا،

وكان يختص نعله ويخيط ثوبه ويحلب دابته مع كونه ذا نزعة دنيئة، فلهذا القليل لا يذله أمر لا يفويه مصالحة.

وكان أحمود الناس وأصبرهم على الأذى وكثرهم رحمة بالناس. لا يصل إلى أحد من غير إله ولا من يده ولا من لسانه إلا أن يعهد في سبيل الله.

وكانه أكرمهم بالصلاح تنوير المنزل ، غاية الأصحاب وبسطة المطرعة بعيت لا ينصور
 بولنه ، معرفت لكل شيء قنبره :

(١) بفتح الهمزة وسكون المرحوم، يفتتح الغناء، واقطع بفتح الغاء الألف وكسرها، ضعيد الجمجمة فك يجوز الحسنة، واسميط بكسر الموحدة وسكونها، مسرسل الشمر، ولرجل بكسر الجيم، بين نسوبه واسموية، وأقسم كسقطم، لفتح السين، فكسبه الجسد الوجه غلة السوير، وقوله: ضعيد، أي نوع من جنس وقوله: اسد، أي الأسد، فكسبه أي كذا، ونشز جمع الجمعة وسكون ثمانية أي هزئت القلوب وهو خارج في الوجه، وقوله: ضعيداً، أي ضالاً، أي كثر بجانسه منتزعة بالهمزة، والكسب جمع كرتوس كسب كل عظيم الضم على معقل، والرماد جمع الرمضاء

(13) اي صبيحة رڤول ڇڏي پختا

(3) هو صنف تخصصي، وقواه بني مهنة، أي خدمة وقوله، بمنصبه، أي بمقامه.

وكان قائم النظر إلى الحكومات مستهتراً^(١) يذكر الله، يُخسئُ ذلك من فضائل لسانه
وجميع حالاته، مؤيداً من الخيب، يفتجيب دعاؤه وتفتح محبه لغنوم من خطيرة
الافس، وظاهر منه المعجزات من رجوع شحابة السنوات والكشاف خبر المسقين وظهور
البركة فيما بُرِّك عليه

وكان لك الأنبياء صلوات الله عليهم يجيئون على هذه الصفات، ويندفعون إليها مطرة
فطرهم الله عليها.

ذكر إبراهيم عليه السلام في دعائه^(٢) ونشأ بفضله أمره، وبشر به موسى وعيسى
عليهما السلام ومائت الأنبياء صلوات الله عليهم.

ورأت أمه كأن نوراً خرج منها فأضاء الأرض، فعبثت بوجود ولد مبارك وطور دينه
شديداً وغريباً، وهنكت الجن وتخبثت الكهانة واستجدون، ووجوده وعقود أمره، وذلك
الواقعات المحيية - كانكسار شفاة كسرى - على شرعه، وأعطت له دلائل النبوة، كما
كعب حرق في قصر الروم، يؤفوا آثار كبركة عند مولده ورضاعه، وظهرت الملائكة فسلقت
عن قلبه فعلاته إيماناً وسكينة، وذلك بين عالم المثال والشهادة، فلذلك لم يكن الشك عن
القلب إيماناً، وقد بقر حته أثر السخيف، وكذلك كل ما اختلط فيه عالم المثال والشهادة

ولما خرج به أبو طالب إلى الشام فرأه المراهب شهد بنبوته آيات وأما فيه، ولما
شب ظهرت منسبة الملائكة بالهتات له والمحال له

وسد الله خلفه^(٣) برعيه حديجة رضي الله عنها به وماءها به وكانت من مياسير
نساء قريش، وتلك من أمه الله يدبر له في حياته

ولما بسى الكعبة فبمن ينز ألقى إزاره على عاتقه فمارة لمرب فانكشفت عورته فأخبط
معتشاً عليه، وأبهر عن كشف عورته في غيبته، وذلك شعرة من النبوة ونوع من المواحدة
في النحر

ثم حيث إنه المغلا^(٤) فكان يخلو بحراء الظاهلي ذوات، نفعه، ثم يأتي أهله ويتزود
لشفاها لعزوفه عن الدنيا ونجده إلى المطرة التي فطره الله عليها

وكان أول ما كُتب به الرزق الصالحه فكان لا يرى رزقاً إلا جدت مثل عني، أصبح،
وهذه شعرة من شعب النبوة.

(١) أي مولداً، وقوله ففتك لسانه، أي كلامه.

(٢) أي قوله: هُوَ وَأَنَا، مِنْهَا بِرَأْسِهِ (المطرة رقم ١١٥)

(٣) أي حاجته وقوته، مسمس، أي من فوق الأموال.

(٤) أي المغلا، وقوله: ونعزوه، أي: نزلناه

ثم نزل الحق^(١) عليه وهو بحراء ففزع بطبيعته، بأن تشوشت البهيمة من مثلها لغلبة الملكية، فذهبت به خائبة إلى ورقة فقال: هو الناموس الذي نزل على موسى.

ثم فر الروح، وذلك لأن الإنسان بجمع جهتين: جهة البشرية وجهة الملكية، يكون عند الخروج من القلعات إلى المنور مزاحسات ومصادمات حتى يتم أمر الله

وكان يرى الملك قارة جالساً بين السماء والأرض، وتارة واقفاً في الحرم نعل حجزة^(٢) إلى الكعبة، ونحو ذلك، وسره أن الملكوت تلم بالنفوس المستعدة للنبوة فكلمها انفشت برق عليها بارق ملكي حسبما يقتضيه الوقت كما تفلت نفوس العامة فتطلع في الرقيا على بعض الأمر.

قيل: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس^(٣)، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول.

أقول: أما الصلصلة فعقيدتها أن الحواس إذا صادمها تأثير قوي تشوشت، وتشوش قوة البصر أن يرى الرأى، كالحمرة والصفرة والخضرة ونحو ذلك، وتشوش قوة السمع أن يسمع أصواتاً مبهمه، كالتظنين والصلصلة والهمهمة، فإذا تم الأمر حصل العلم.

وأما التشوش فهو في سوطي يجمع بعض أحكام المثال والشهادة، ولذلك كان يرى الملك بعضهم دون بعض.

ثم أيمز بالدعوة^(٤)، فاشتغل بها إغفاء، فأميت خديجة وأبو بكر الصديق وبلال ومثلهم رضي الله عنهم.

ثم قيل له: ﴿فَتَنَادَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقيل: ﴿وَتَأْتِيكَ خَبِيرَاتُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الشعراء: ٢٠٢].

فجهر بالدعوة وإبطال رجوه الشرك، فتعصب عليه الناس وأقروه بالاستهم وأيديهم، كنصه إلقاء سلى جزور^(٥)، والحق، وهو صابر في كل ذلك يبشر المؤمنين بالنصر وينذر

(١) أي: جبرائيل الوحي، وقوله: ورقة، هو: ابن نوفل، وقوله: خفاه أي: رفاه، وقوله: خثر أي: انقطع.

(٢) أي: سوسج خد، وإزله، وقوله: وانفلقت، أي: تخلصت.

(٣) الصلصلة: صوت له ظنين، وفيه صوت متكرر لا يترك أول وهلة، وقوله: حرص تشده علي لآه الفهم عن حذر هذا الصوت لتشكل، وقوله: فيفصم أي: ينقطع، وقوله: فأعي أي: لفقت.

(٤) أي: إلى الإسلام.

(٥) يفتح المهملة وخفة اللام، الجدل لوليت الذي يخرج فيه النوك من بطن له طلوقاً، والجزور: سهمه، أو خنصر، يلقاه المجزور، كما في القلوس، وهو فدرك حنا.

للكافرين بالأنهار، كما قال الله تعالى: ﴿سَيَرُوْا النَّجْمَ وَيَكُنُّوا الَّذِينَ الْأَنْهَارُ﴾ [معدن: الآية 45]
وقال الله تعالى: ﴿يَجْعَلُ مَا كُنْتُمْ مُعَذِّبُونَ بَيْنَ الْأَشْرَافِ﴾ [معدن: الآية 46].

ثم زدوا في التخصيص، فقاموا على إلقاء المسلمين ومنهم من يني هاشم
ومني المطلب، فهاؤوا إلى الهجرة قبل العبث، فوجدوا سنة في السنة الكبرى

ونما ماتت خديجة رضي الله عنها ربات أبو طالب عنه وتوفيت كلمة بني هاشم،
فخرج لذلك، وكان قد نعت في صدره أن علو كلمته في الهجرة نعتاً إجمالياً، فقاما بررت
ومكره فذهب وهله⁽¹⁾ إلى الطائف، وإلى حجر، وإلى اليمامة، وإلى كل مذهب، فاستعجل
ودعب إلى الطائف فبقي غداً شديداً، ثم إلى بني كنانة فلم ير منهم ما يرضه، فعد إلى مكة
بمعهد زينة، ونزل: ﴿رَبِّكَ فَزَكَّكَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى تَلَفَّتْ عَنَّا الْقَلْبُوتُ فِي
أَنْتَبِيتُ﴾ [فجر: الآية 62].

قال: أنت أن يمتني إنجاز الوعد فيما يفكره من قبل نفسه، ولقاء الشيطان أن يكون
خلاف ما أراد الله، ومسخه كشف حقيقة الحال وإزالة من قلبه.

وأمرى به إلى المسجد الأقصى، ثم إلى صدره اختفى، وإلى ما شاء الله.

وكل ذلك نجس، ^{بِحَقِّهِ} في البنية، ولكن ذلك في موطن هو يبرز بين المثال
واشهاد، جامع لأحكامهما، فظهر على الجسد أحكام الروح وتشتل الروح والمعاني
الروحية جساداً، ولذلك بان لكل واحدة من تلك الوقائع تعبير. وقد ظهر الحرفيل ومرسى
وغيرهم - عليهم السلام - نحو من تلك الوقائع، ولذلك لأبياء الأمة، ليكون علو
درجاتهم عند الله تعالى في الرؤيا، والله أعلم.

أما من الصدر رمزاً إيماناً فحقيقته غلبة أنوار الملكية وانطفاء لهب الطبيعة
ورغبتها ثم بعض عليها من حظيرة القدس.

وأما ذكره على البراق فحقيقته استواء نفس الطبيعة على شئته التي هي الكمال
الحيواني فاستوى ركباً على البراق، كما غلبت أحكام نفسه فطرية على الطبيعية وتسلطت
عليها.

وأما إسراؤه إلى المسجد الأقصى فلاه من ظهور شعائر الله ومعلق همم الملا
الأعلى ومطمح أقطار الأنبياء صيهم اسلام مكانه كوة إلى المكنوت.

وأما ملاقاته مع الأنبياء مساوات الله عزهم ومقارنتهم معهم فحقيقته اجتماعهم من
حيث ارتباطهم بحظيرة القدس وظهور ما اختصر به من بينهم من وجوه الكمال.

(1) أي: مثله.

وأما رقيه إلى السموات سماء بعد سماء فمحققته الانسلاخ إلى مستوى الرحمن منزلة بعد منزله ومعرفته حال الملائكة الموكلة بها ومن لحن بهم من أفاضل البشر والتدبير الذي أوحاه الله فيها والاعتصام الذي يحصل من مثبته.

وأما بكاء موسى فليس بحسده ولكنه مثاله لفقد عميم الدعوة وبقاء كمال لم يحصله سواه هو في وجهه.

وأما سلوة المنهى فشجرة الكون، وثوب بعضها على بعض وجمعها في تدبير واحد كالسماع الشجرة في الغاية والثابتة ونحوها، ولم تنتشر حيواناً، لأن التدبير المحسني الاحتمالي تشبه للسياسة الكلي أفراداً، وإنما أشبه الأنبياء به الشجرة دون الحيوان فإن الحيوان فيه قوى تفصيلية والإرادة فيه أصرح من سنن الطبيعة.

وأما الأنهار في أصلها فرحمة غائصة في السموات حذى الشهادة وحياء وإنماء، فذلك تميز هنالك بعض الأمور النافعة في الشهادة، كالنيل والقرات.

وأما الأنوار التي غشيت فتدليات إنهيمة وتدبيرات رحمانية تلمعت في الشهادة حينما استطعت لها.

وأما البيت السعور فمحققته التجلي الإلهي الذي يتوجه إليه سجدات البشر وتضرعائها يشتمل ينأ على حذو ما عندهم من الكعبة وبيت المقدس.

ثم كفي إتياء من لين وإتياء من صخر، فاختار السن، فقال جبرائيل: هديت لظفيرة، ولو أخذت الخضر لموت أمتك. فكان هو عليه السلام جامع أمته ومبشراً ظهورهم. وكان السن اختيارهم القطرة، والجمع اختيارهم لذات الدنيا.

وأمر بنحو صلوات بلسان التجوز لأنها خمسون باعتبار الثواب، ثم أوضح الله عزاده تدريجاً ليحلم أن الحرج مدفوع وأن النعمة كاملة، وتشتمل هذا المعنى مستنداً إلى موسى عليه السلام فإنه أكثر الأنبياء معالجة للأمة ومعرفته ببسوها.

ثم كان النبي عليه السلام يستجد⁽¹⁾ من أحبائه العرب، قوفوا لأنصار املك قبايعوه بيعة النعنية الأولى والثانية، ودخل الإسلام كل دار من دور المدينة.

وأوضح الله على نبيه أن ارتفاع دته الهجرة إلى المدينة فأجمع عليها، والزيادة في فريش معكروا به ليقنوه أو يثبثوه أو يثبتوه، فظهرت آيات تكونه معروفاً مباركاً مقصداً له بالنعنية، فمما دخل هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه الغار أدباً أبو بكر رضي الله عنه فبرز⁽²⁾ عليه النبي عليه السلام فشمي من ساعته، ولما وثق التكفار على رأس الغار أحصى الله

(1) أي: يستمر.

(2) أي: معاله بالهجرة.

أشارهم وصرف عنه أفكارهم، وتعا أذنتهما سرافقة من مائك دعا عليه فارتطمت^(١) فربه إلى بطنها في حلق من الأرض بأن انخسفت الأرض بشرب من الله، تتكفل بأمره عنهم، ولما مروا بحية ثم بعد ذمت له شاة لم تكن من شاة الخمر.

ثم قدما بداية حاه عند الله بن سلام فسأله من ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أسراط الساعة، وما أول ضعام أهل الجنة، وما ينشئ^(٢) الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال ينجي: لما أول أسراط الساعة لمر شخص الفاس من العشق إلى القرب، ولما أول طعام يأكله أهل الجنة مؤينة كبد حوت، ولما سبق ماء الوجل ماء العرافة نزع الولد، ولما سبق ماء العرافة نزع، فاستم عند الله، وكان رجلاً^(٣) لأحيا، الميرة.

ثم عاهد النبي نبي الميرة وأمن شرهم، واشترى بيتاء المساجد، وعلم العاصمين الصلاة وأركانها، وشاور فيما يتصل به الإعلام بالهلال، فأبى عبد الله بن زهد في منامه الأمان، وكان مطمح الإناسة الخيبة رسول الله ينجي وإن كان الصغير عبد الله، وحرضهم على الجماعة والجمعة والصوم، وأمر بالركاة وعلهم حدودها، وجهر دعوة لخلق إلى الإسلام ورغبهم في الهجرة من أوطانهم لأنها يومئذ دار الكفر ولا يستطيعون إقامة الإسلام هناك. وشد المنع من بعضهم ببعض بالمواخاة وإيجاب الصلة والإفان والتراث، تلك المواخاة لتتفق كلمتهم فيتأمن للجهاد وتتصعوا من أعدائهم، وكان يقوم ألقوا المناصر بالقبائل.

ثم لما رأى الله فيهم اجتماعاً رنجدة أوحى إلى نبي أنه أن يجاهد ويقعد لهم كل مرصد، ولما وقعت رافعة بدو تم يكوموا على ماء فأعطاه الله مفرقاً، واستشار الثامن: هل يختار البحر أم النهر؟ فيورث في أيهم حسب رأيه فاجمعوا على النهر بعدة لم يكن يكون ذلك، ولما رأى نبي كثرة العدو تصرع إلى الله فبشر بالفتح وأوحى إليه مصارع القوم فقال: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وضع يده ههنا وههنا، فدا ما^(٤) أحمدهم عن موضع يد وصوب الله نبي وظهور اللاتكة يومئذ، حب، يراها، ثامن^(٥) لست قلوب الموحدين وترحب قلوب المشركين، وكان ذلك فتحاً عظيماً أغناهم الله به وأشجعهم وقطع جبل الشوك وأهلك أفراد كبد قريش، ولما يسمى نوناً.

(١) أي: سقطت وأهبطت، كما ذهب كقدم في لوجله وألجأ بعشمتين لصيب من الأرض، وقوله: فتنكتف أي: تكفي سرافقة من يرد الطلب، وراهم من شاة من النفس.

(٢) أي: يشبهه، وقوله: لزيادة كبد حوت، أي: طريده، وقوله: نزع الولد، أي: إلى صوته.

(٣) أي: يسكن.

(٤) دقة الناس لللائكة يوم يجر ميوا، والمراد: إلى كمن شطوط به إليها تؤدق لتثبت قلوب المؤمنين.

وكان ميلهم للاستدلاء بمخالفته لما أحبه من الله قطع دابر الشراك فمروا ثم عفي عنهم، ثم أراح الله نفوساً لإسلام اليهود، فإنه لم يكن يصفو دين الله بالمدينة وهم مجاورون، فكان منهم نقص العهد، فأجلى بني النضير وبني قينقاع، وقتل كعب بن الأشرف، وألقى الله في قلوبهم الرعب فلم يرجعوا آمن وعندهم النصر وشجع قلوبهم، فأفاد الله أموالهم على نبيه وكان أول توسع عليهم.

وكان أبو رافع تاجر الحجاز يؤذي المسلمين، فعث إليه عبد الله بن عتيب فبسر الله له قتله، فلما خرج من بيته انكسرت ساقه فقال رسول الله ﷺ: «بسط رجله، فسحقها فكانها لم يشكها قط».

وأما اجتماع الأسباب السماوية على مريضة المسلمين يوم أحد ظهرت رحمة الله ثم من وجوه كثيرة، فجعل الواقعة استنصاراً في دينهم وعبرة، فلم يجعل سببه إلا مخالفة رسول الله ﷺ فيما أمر من القيام على الشعب، وعلم الله تعالى نبيه بالانهزام رجلاً فاراد سباً انقطع وبطوة ذهبت فكانت الهزيمة وشهادة الصحابة، وجعلها بمنزلة نهر طالوت ميز الله بها المخلصين من غيرهم لئلا يعتمد على أحد أكثر مما ينبغي.

ولما استشهد عامر وأصحابه حملهم الزنابير من الأعداء فلم يبلغوا منهم ما أرادوا.

ولما استشهد الثراء في أثر معونة جعل النبي ﷺ يدعو عليهم⁽¹⁾ في صلاته، وكان فيه نوع من استعجائه البشرية، تنبه على ذلك، ليكون كل أمر في الله ويأله ربه، وفزل في القرآن مقالاتهم: «بلغوا قومنا أنا قد قبلنا دينكم فرضي عنا ورضينا عنه» لتسلي قلوبهم، ثم تسخّر مدد.

ولما أحاطت بهم الأحزاب وحفر الخندق ظهرت رحمة الله بهم من وجوه كثيرة، ود الله بينهم في تحذيرهم ولم يضروا المسلمين شيئاً، ويورك في طعام جابر رضي الله عنه فكفي صاع من شعير ونهضة⁽²⁾ نحو ألف رجل، وانكشفت قصور كسرى وفصر في قدسة الحجر وبشر بفتحها، وهبت ريح شديدة في ليلة مظلمة، وألقى الرعب في قلوبهم فانهزموا، وحاصر خيطة فنزلوا على حكم سعد رضي الله عنه، فأمر بقتل مقاتلتهم وسبي ذريتهم، فأصاب الحق، وكانت للنبي ﷺ رغبة طيبة في زينة رضي الله عنها فوفر الله له ذلك حيث كانت فيه مصلحة دينية ليعلموا أن حلال الأعداء تدخل لهم فظننها زوجها فأنكحها الله نبيه ﷺ.

(1) الصغير من ولد الضار.

(2) أي على اثنين فثوبهم.

وبينا هو يحضرم يوم الجمعة إذ قدم أعرابي فقدا . يا رسول الله هلك لسانا^(١) وجزع
 له بال . فاستسقى وما في السماء قرعة^(٢) فما وضع يده حتى ثار^(٣) سحابة كأمثال
 الجبال فسطروا حتى خافوا المسرى فقال : وحولينا ولا علينا لا بشير إلى ناحية ولا
 نكير^(٤)

وتكرر ظهور الرقة فيه، يأتى عبده، كبير جند^(٥) وأقراس أم سليم ونحوها .

ولما حذا بي المصطفى لم يهرب الملائكة منظره فضاف العفو .

وأنهيت عائشة في تلك المرة فظهرت رحمة الله بنورها وإقامة الحد على من أشاح
 الفاحشة عليها .

ولما انكسفت الشمس نزع إلى الله ، فإنه آية من آيات الله يروى عن عبد الله بن
 قلوب المصطفين ، ورأى في ذلك البجة وأشار منه وبين جدر القاعة ، وهو من ظهور حكم
 المثال في مكان خاص .

مرآة الله في ربابه ما يقع بعد الفتح من دخولهم مكة محلقين ومقصرون لا
 يحامون ، فوعدوا في العدة ولما يأتى وقتها ، وكان ذلك تعريفاً من الله لمصلح الذي هو
 سبب فزع كثيرة وهم لا يشعرون ، فطلب ذلك ما ناله عائشة رضي الله عنها في معارضة
 أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند موت النبي ﷺ . إذ في كل قول فائدة ، مرد الله
 المتعصين بقول عمر رضي الله عنه ، ربي^(٦) لم يقل أي بكر رضي الله عنه ، ذلك الأمر إلى
 ما استمع رأي هؤلاء وهؤلاء ، أن يسطعوا وإن كرهه لعنتان

وظهرت هنالك آيات عظمى رسم يكن عندهم ماء إلا في بكرة^(٧) فوضع عليه
 الصلاة والسلام يده فيها فجعل الماء ينور من بين أصابعه ، ونحو ماء الحذبية فلم يتركوا
 فيما قطر فبرك عليها فستروا واستنوا ، وركعت بيعة^(٨) فوطئوا معرفة لإخلاص المسلمين ،
 ثم فتح الله عليه خير فاما ما على النبي ﷺ والمؤمنين ما يتقون به على الجهاد ، وكان
 ابتداء انتظام الخلافة فصار عليه السلام خليفة الله في الأرض .

وظهرت آيات

-
- (١) أي الموالشي
 (٢) أي السحاب ، وقوله فسطروا أي سعة كبد ، وحولينا أي لنزال لظفر
 (٣) يعني له أراد جبر هام ، يعني ولده جلس انمي ﷺ على مبدع من الثمن ، وكيل الأمر لحفود ، وما غنس منه
 شيء . وكان أقراس ثم سليم كلفت سبعين أو ثمانين رجلاً وهذه القصص مذكورة في المعجزات في كتب
 الحديث من شاء فليرجع إليها
 (٤) أي طرف باله

سروا اليه في طعامه يُخَيَّرُ فَبَاءَ اللهُ.

وأُصِيبَتْ^(١٢) ساحة بين الأكرع خربة فَنَدَّ به غللات فَمَدَّتْهَا يَدَهُ

بَارَادَ أَنْ يَبْغِي حَاجَتَهُ فَلَمَّ يَرُ شَيْئاً وَسَفَرُ بِهِ قَدَمَا تَحْرِيْنِ فَأَتَانَا نَاصِيْرُ
الْمَحْشُوْر^(١٣) حَتَّى إِذَا فَرَّغَ يَدَهُمَا إِلَى مَوْجِعِهِمَا.

وَلَمَّا أَرَادَ الْمَدَارِي أَنْ يَحْطُوْا مَالِي يُخَيَّرُ أَتَى اللهُ عَلَيْهِ الْمَرْعَبَ فَرَبَطَ يَدَهُ.

ثُمَّ نَحِثَ اللهُ مِنْ رَوْعِهِ مَا انْعَقَتْ فِي الْأَمَلِ الْأَعْلَى مِنْ لَعْنِ الْحَدِيْرَةِ وَزَلْزَلَةِ شَوْكِهِمْ
وَبَطْلَانِ رَسُوْمِهِمْ، فَخَرَّبَتْ إِلَى اللهِ بِتَقْصِي نِي ذَلِكَ، فَكُتِبَ إِلَى قِيْصَرٍ وَكَسْرَى وَكَانَ جَدُّ
سَيِّدٍ، فَأَمَرَ كَسْرَى الْإِذْنَ، فَدَعَا عَلَيْهِ مِنْهُ اللهُ كُلُّ مُعْرِقٍ

وَبَعَثَ يُخَيَّرُ زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ دُرَّجَةَ إِلَى مَوْتَةِ^(١٤) فَانْكَشَفَ عَلَيْهِ حَاجَتُهُمْ فَطَاعَهُمْ عَلَيْهِ
الْفَصْلَةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْخَيْرَ.

ثُمَّ بَعَثَ اللهُ تَغْرِيْاً يَذْهَبُ مَكَّةَ بِعَلَمَا فَرَّخَ مِنْ جِهَادٍ أَحَبَّ، الْعَرَبِ، فَخَفِضَتْ تَرْيِشَ عَهْدِهَا
وَتَحْدُودَهَا، وَأَرَادَ حَاطِبٌ أَنْ يَخِيْرَهُمْ فَبَيَّنَّا اللهُ بِذَلِكَ رِسُوْلَهُ، وَفَضَحَ مَكَّةَ وَبَرَكْرَهَ الْكَافِرُونَ
وَأَدْحَلَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ مِنْ حَتَّى لَمْ يَحْشُوا.

وَأَمَّا الْقَوْمُ الْمُسْتَوْفُونَ وَالْكَفَّارُ يَوْمَ حَبْرٍ وَكَانَتْ نَهْمُ حَوْلَةِ اسْتِقَامِ رَسُوْلِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
أَشَدَّ اسْتِدْرَاجِهِ وَوَمَاجِعِ بِنَرَابٍ وَبُورِكٍ فِي رَمْعِهِ فَمَا خَشِيَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَاناً إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ أَرْوَاحاً
فَوَلَّوْا مَدِيْرِي، ثُمَّ أَتَى اللهُ مَكِّيْتَهُ عَلَى الْمَمْلَكَةِ فَاجْتَمَعُوا وَاجْتَهَدُوا حَتَّى كَانُوا الْفَتْخَ.

وَقَالَ لِمَرْجِلٍ يَسْعَى الْإِسْلَامَ وَذَلِكَ أَشَدُّ الْفِتَالِ . . . هُوَ مِنْ أَهْلِ الْفِتَالِ، بِحُضْرِ النَّاسِ
بِرَبَابٍ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ قَتْلُ نَفْسِهِ.

وَسُجِّرَ النَّبِيُّ يُخَيَّرُ، فَدَعَا اللهُ أَنْ يَكْشِفَ عَلَيْهِ جِلْبَةَ الْفِتَالِ، فَجَاءَهُ فَمَا بَرَاءَ وَجِلَانٍ
وَأَخْبَرَهُ عَنِ السَّحْرِ وَالْمَاْعِ^(١٥)

(١٢) يَوْمَ خَيْبَرَ.

(١٣) الَّذِي فِي أَيْدِيهِ خَشَبَةٌ، وَهُوَ مَكْرُ الْمَصِيْبَةِ خَشَبَةٌ تَحْمِلُ نِي لَمَّا تَسْعُرُ لِيَكُوْنُ لِسَوْجٍ فِي الْفِتَالِ.

(١٤) الْمَقَامُ مَوْجِعٌ بِمُطَرَفِ الْبَنَاءِ عَلَيْهِ كَذَلِكَ أَعْمَلُ هَذَا يَوْمَ.

(١٥) سَمِعَ الرِّسُوْلَ يُخَيَّرُ وَرَبِّتَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَبَعْضِهِمْ، وَهَذَا فَقُلُ كُرَاوِي عَمْرٍو لَمَّا فِي أَنْ هَذَا الْقَوَابِ
بِالْفَلَةِ وَهِيَ . وَمَنْ لَعْنُ يَسْمَعُوْا وَهُوَ يَقُوْلُ يُخَيَّرُ بِتَقْصِي مِنْ تَابِيْرٍ (مَعْنَاهُ الْإِيْدَةُ) وَيَقُوْلُ يُخَيَّرُ
سُحْرٌ شَجِيْرٌ خَبَرٌ يُخَيَّرُ (مَعْنَاهُ هُوَ) وَأَنَّ مَجْرِيْزَ ذَلِكَ بِخَفِيْهِ إِلَى الْفَتْخِ فِي تَنْوِيْهِ، وَاللَّهُ بِرَحْمَةِ لِكُلِّ مَنْ
قُوْلَاتٍ أَنْ يَحْمِلُوْا إِلَى حُدُودِ جَمِيْعِ الْأَيْدِي، وَأَهْلُ الْعَمَلِ وَتَقَرُّوْا عَنِ تَسْمِيْلِهِ، فَلَمَّا فَطَمِنَ لَانْفُسِهِمْ، وَكُرَّ
دَاخِلَ بَابِلَ وَكَانَ تَكْثُرُ بِحِيْرَتِهِ تَكْثُرُ مَسْجُوْدٍ، فَتَرَوْنَهُ هَذِهِ الْوُفُوْعَةَ لِكُلِّ الْفِتَالِ سَالِكِيْنَ فِي تَكْثُرِ الْفِتَالِ
وَيَحْمِلُ نَبِي عَلَى الْفَصْلَةِ وَالْإِسْلَامِ . فَذَلِكَ الْعَيْبُ وَبَطُوْمُ لَنْ تَكْثُرُ جَانِ.

وأثناء ذو الخويصرة فقال: يا رسول الله ابعول، فأنكشف عليه حاله وحال قومه فقال ﷺ: «يقتلون خير قومة»^(١) من الناس- كيثهم رجل أسود أحد عضنيه مثل شدي السرلة» فقاتلهم علي رضي الله عنه ووجد الوصف كما قال.

ودعا لأم أبي هريرة فأثت في يومها.

وقال عليه الصلاة والسلام يوماً: لم يبسط أحد منكم ثوبه حتى اتصني مقلتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقلته شيئاً لبدأه بفسط أبو هريرة فما نسي منها شيئاً.

وقضرب عليه الصلاة والسلام يده على صدر جرير وقال: «اللهم ثبته، فما سقط عن عرسه بعده، وكان قبلها لا يثبت على الخيل.

وارتد وجل عن دينه فلم تقيه الأرض.

وكان عليه الصلاة والسلام يخطب مستنداً إلى جذع، فلما شئع له المنبر واستوى عليه صاع^(٢)، حتى أشله وحسه.

وركب فرساً بطيئاً، وقال: «حيثما فرستمكم هذا يحدوا» فكان بعد ذلك لا يجاري^(٣).

ثم أحكم الله دينه وثوارث الوفود وتوارث الفتوح وبعث العمال على القبائل ونصب القضاء في البلاد ونمت الخلافة فثقت في روعه ﷺ أن يخرج إلى تبرك ليظهر شوكته على الروم لينقاد له أهل تلك الناحية، وكانت تلك غزوة في وقت الحر والعسرة فجعلها الله تعيراً بين المؤمنين حقاً والنافقين.

وسر عليه الصلاة والسلام على حديفة لاسرة في وادي القرى فخرصها وخرصها الصحابة رضي الله عنهم، فكان كما قال عليه الصلاة والسلام، ولما وصل إلى ديار جحر^(٤) نهامهم عن مياهه تعيراً من محل اللعن.

ونهامهم لئلا أن يخرج أحد، فخرج رجل فأنقذته الريح بجبل طين^(٥).

وضل له ﷺ بعير، فقال بعض المنافقين: لو كان نبياً لعلم أين يعيره، فبأه الله يقول المنافق وبمكان العير.

وتخلف ناس من المخلصين زلة منهم ثم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فعلا الله عنهم.

(١) هم أصحاب علي (٢) أي الجذع.

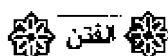
(٣) أي لا يجاري.

(٤) منازل نود بين المدينة والشام وجحر بكسر الحاء وسكون الجيم.

(٥) اصحوا: جبل لينة وثانهم جبل سلسي، وطين على وقت سعيد: قبيلة بني النضير.

وأُثني مُنذُ ابنة في أسر خالد من حيث لم يحسب .
 فلما قوى الإسلام ودخل الناس في دين الله أفرجاً أوحى الله إلى نبيه أن ينفذ عهد
 كل معاهد من المشركين ، ونزات سورة براء .
 وأراد الصباغة من نصارى نجران فعمزوا واحفازوا الجزية .
 ثم خرج إلى الصبح وحضر معه نحو من مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً فأراهم ما ست
 الصبح ورد تعريفات الشرك .
 وحام ثم أُمرو للإرشاد واقترب أجل بعث الله جبرائيل في صورة رجل براء ، الناس فسأل
 النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة ، فبين النبي ﷺ وصدقته جبرائيل ، ليكون
 ذلك كالمذكاة لسنه .

ولما مرض لم يزل يذكر لرفيق الأهلين وحن إليهم حتى توفاه الله ثم تكفل أمر حقه
 منصب فوماً لا يخافون لومة لائم فقاتلوا المشركين والثردم والمعجم حتى تم أمر الله ورفع
 عنه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .



اعلم أن الفتن على أقسام :

فتنة الرجل في نفسه : بأن يفسد قلبه فلا يجد حلاوة طاعة ولا لذة المناجاة . وإنما
 الإنسان ثلاث شعب :

قلب هو مبدأ الأحوال ، كالغضب والجور والحياء والمحبة والخوف والقبض والبسط
 ونحوها .

وعقل هو مبدأ العلوم الذي ينتهي إليه الحواس ، كالأحكام السفيهية من الشجيرة
 والحدس ونحوهما ، والنظرية من البرهان والحطية ونحوهما .

وطبع هو مبدأ انقياد النفس ما لا بد منه أو لا بد من جنبه في مقام النبوة كالاشاعة
 الشهجية في شهوة الطعام والشرب والنوم والجماع ونحوها .

فانقلب مهما غلب عليه خصال البهيمية فكان قبضه وبسطه نحو قبض اليهاثم وبسطها
 الحاصييز من طبيعة ورهم . كان قلباً بهيمياً ، ومهما قبل من الشياطين وسوستهم في النوم
 واليقظة يسمى الإنسان شيطان الإنس ، ومهما غلب عب خصال الملكية يسمى قلباً إنسانياً ،
 فيكون حروفه ومحبه وما يشههما مائنة إلى اعتقادات حقة خضلتها . ومهما قوى مبغضه
 وعظم نوره كان روحاً ، فيكون بضعاً بلا قبض وألفه بلا قلبي ؛ وكانت أحواله أنفاساً ،
 وكانت الخواص الملكية كالديارات له دون الأمور المكتسبة سمي .

ومهما غلبت خصال البهيمية على العقل صار جزرة وأحاديث نفس تميل إلى بعض الدواعي الطبيعية، فيحدث نفسه بالجماع إن كان فيه شبق، وبأنواع الطعام إن كان فيه جوع ونحو ذلك، أو وهي الشيطان، فيكون أحاديث النفس تميل إلى فك النظمات القاضية وشك في المعتقدات الحقّة وإلى عييات منكورة تماثلها النفوس السليمة، ومهما غلبت عليه خصال الملكية في الجملة كان عقلاً من فعله التصديق بما يجب تصديقه من العلوم الارتقائية أو الإحسانية بديهية أو ظنّاً، ومهما قوي نوره وصفاته كان سرّاً من فعله قبول علوم فائضة من الغيب وإيا وغرامة وكشفاً وعتقاً ونحو ذلك، ومهما مال إلى المجرفات البرية من الزمان والمكان كان خفيّاً.

ومهما انحدر الطبع إلى الخصال البهيمية كان نفساً أمارة بالسوء، ومهما كان متردداً بين البهيمية والملكية وكان الأمر سجالاً ونوعاً كان نفساً لئامة، ومهما تقيت بالشرع ولم تنع عليه ولم تجس إلا فيما يوافقه كانت نفساً مطمئنة.

هذا ما احتجني من سرقة لطائف الإنسان، والله أعلم.

وفئة الرجل في أهله: وهي فساد تدبير المنزل، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على أن قال: ثم يجيء ثلثهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فبئس منه ويقول: نعم قلت».

وفئة تروج كموج البحر: وهي فساد تدبير المدينة وطمع الناس في الخلافة من غير حق، وهو قوله ﷺ: «إن الشيطان قد أيسر أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التعريض بينهم».

وفئة ولئمة: وهي أن يموت المواربون من أصحاب النبي ﷺ ويسد الأمر إلى غير أهله، فيتمتع دهبانهم وأحبارهم ويتجاوز ملوكهم وجبالهم ولا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر، ليصير الزمان زمان الجاهلية، وهو قوله: «ما من نبي إلا كان له حواريون»، الحديث.

وفئة مستطيرة: وهي تغير الناس من الإنسانية ومقتضاها، فأزكارهم وأزهدهم إلى الانسلاخ من مقتضيات الطبع رأساً دون إصلاحها، والتشبه بالمجردات والتعن إلىهم بوجه من الوجوه، ونحو ذلك، وعامتهم إلى البهيمية الخالصة، ويكون ناس بين الفريقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وفئة الرغافع الجوقة: المنفرة بالإهلاك العام، كالطوفانات العظيمة من الوباء والمخسف والنار المنتشرة في الأقطار ونحو ذلك.

وقد بين النبي ﷺ أكثر الفن قال: طَتَّهْرُ شَقِّ مَنْ كَانَ قَلْبُكُمْ شَبْرًا شَبْرًا بِشَبْرِ وَدَاعٍ بِدَاجٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحُورَ ضَبٍّ تَبَعْتَهُمْ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَهْدِي الصَّالِحِينَ الْأَكْثَرُ

فالأول، ويبقى حذرة⁽¹⁾ كحذرة الضعيف لا يبالغ في بلاءه.

أقول: علم النبي ﷺ أنه إذا بعد العهد من النبي وتعرض الحواريون من أصحابه ووسد الأمر إلى غير أهله لا بد أن تجري الرسوم حسب الدواعي النسانية والشيطانية وتسهم جميعاً إلا من شاء الله منهم.

وتأمل ﷺ: «لن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم ملكاً مضمواً، ثم كائنٌ جبروتاً وعتراً وفلسداً في الأرض، يمتثلون لغيره وفروج والخمر، يزفون على تلك ويفضون حتى يلقوا الله».

أقول: فالبقرة انقضت برفاء النبي ﷺ، والخلافة التي لا سب فيها بمقتل عثمان⁽²⁾، والخلافة بشهادة علي كرم الله وجهه وخلع الحرس رضي الله عنه، والمُلك المعنوي مشاحرات الصحابة بني أمة ومظالمهم إلى أن استقر أمر معاوية، والجبرية والعن خلافة بني العباس، فأنهم مهدوها على رسوم كسرى وقيصر.

وقال ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير يهدأ عوداً⁽³⁾ فأما قلب تُضربها مكنة فيه نكتة سوداء، وإي سب أنكروها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين؛ لبيض مثل الصفا فلا تدور لثمة ما دامت السموات والأرض، والأخر تسره مؤبداً كالكلب مغبياً، لا يعرف معروفه ولا ينكر منكراً إلا ما أثبت من هواه».

أقول: الهواجس النسانية والشيطانية تبعث في القلوب، والأعمال النسلية تكتنفها ولا تكون حينئذ دعوة سليمة إلى الحق فلا ينكرها إلا من جهل⁽⁴⁾ في قلبه هيئة مضادة للفتن، وتتم من سوى ذلك وتأخذ بتلايينه.

وعالم ﷺ: «لن الأمانة نزلت في جُفَى قلوب الناس، ثم علموا من القرن، ثم علموا من السنة، وحدث عليه السلام عن راعها فقال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيبطل أثرها مثل أثر كوكب⁽⁵⁾، ثم ينام نومة فتقبض الأمانة فيبطل أثرها مثل أثر السجل، كبحر أخرجه على رجلك فتفط فتراه متغيراً».

(1) قد مر من قبل.

(2) انقبض بمقتل عثمان خلافة فتي لا سب فيها، أي: لا حروب ولو قتلا معاه بين المسلمين.

(3) قد مر شرح هذا المعنى.

(4) جهل هكذا في جميع النسخ وبطلها سقطة عن جعل.

(5) ينشأ قول وسكون فكيف جمع وكذا وفي أثر في الشيء من غير لونه، والمجمل: غلط الجلد يورده، وقوله: «متغيراً» أي: متعلماً، والركب والمجمل: مثلاً لذكر الأمانة لا ليقينه، والمعنى: تزول الأمانة عن القلوب بالتدريج، فلما زال أول حيزها زال غيرها وبقي قلعة كطوخت، فلما زال جزء آخر سار كالمسل وأشد أثر الملاءة حتى كان لا يبذل إلا مرة واحدة.

القول: لما أراد الله ظهور ملة الإسلام، اختار قومًا رسوله نافعًا للإيمان والهدى، وجمع لهم على موافقة حكمه، ثم كانت الأحكام المنفصلة في الكتب والسنة مضملاً لتلك الإذعان الإجمالي، ثم إنها تخرج من صدوره على غفلة منه وفعل شيء غيباً، فيرى الإنسان طرف ما يكون وأغفله وليس في قلبه مقدار شيء من الأمانة، لا بالنسبة إلى دين الله ولا بالنسبة إلى معاملات الناس.

وقال حذيفة رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أليكون بعد هذا الحبر^(١) شر كما كان قبله شر؟ قال: نعم، قلت: فما العصاة؟ قال: السيف، قلت: وهل بعد السيف غيبة؟ قال: نعم، يكون إشارة على القضاء^(٢)، وغيبة عنى نخوة القادة، ثم ماذا؟ قال: ثم يشاء دعوة للاضلال، فليكن كان في الأرض خليفة جلد ظهرك^(٣)، وأخذ مالك فاشطه، وإلا فميت وأخذ عافى على جذل شجرة.

قوله: الفتنة التي تكون العصاة فيها السيف: إيراد العرب في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وأما إشارة على القضاء: ما شاعرات التي وقعت في أيام عثمان رضي الله عنه، وغيبة على دخن: الصلح الذي وقع بين معاوية والحسن بن علي رضي الله عنهما، ودعوة المضلل: يزيد بالشام ومختار بالعراق ونحو ذلك، حتى يستقر الأمر بحسب عبد الملك.

وذكر يونس فتنه لأحلاس، قيل: وما فتنه لأحلاس؟ قال: هي هوى وحرب، فتن. ثم فتنه فسرنا، ففتنها من تحت قلبي رجل من أهل بيتي يزعم أنه حبي وليس مني، إنها أوليائي المستقرون، ثم يستطرح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنه الدهيماء، لا تدع جرحاً من هذه الأمة إلا طمعت لطمه، فإذ قيل لتقضت فتمت.

اقول: شبه رائه أعلم أن تكون فتنه لأحلاس قتال أهل الشام عبد الله بن الزبير بعد

(١) أي: الإسلام.

(٢) أي: كدر، والعصاة: الفتن.

(٣) أي: يكون الرجل مبرأ على الذي أمرت الناس، أي كرامتهم له وانكروهم منقلب وقوله: دعته، بضم داء، والصلح، والفتنة: حكمة الفتن، والفرار منه: الفرار والتباعد والفساد، وقوله: ثم يشاء، أي يظهر.

(٤) أي: بالباطل، والمجتل: الأصل.

(٥) الأحلاس: جمع حلاس وهو كساء ملي ظهر الهمير شملت الفتنة بها للرواية وقوله: وغرب، أي يفر بهم منهم من حضر، ومغرب: بالعركة، عهد من الإنسان يحدث لا يفتر له شيء، والفساد: أي: الفساد، وقيل: لئلا تفسد الملقن وتزول، ولعله من نشأ - سره - فني بها سره أي: وجع في كركوها من يده، وقوله: ففتنها، أي: ظهورها، وقوله: كورك على ضلع، أي: كما لا يستطيع قور على الصلح لا يكون لهذا رجل مستفادة ولا فساد، والديماء: السوء، والتفسير: الله، وشاءت أي: بلسن لمدى وهي أخيلة.

همزة من المدينية. وفئة السراء إما تَقْلُبُ المخدر وإقارعه في القتل والنهب يدعو دار أهل البيت، فقول عليه لأصلاة والسلام: «يُزعم أنه مني، معناه من حزب أهل البيت وناسرهم، ثم اصطلحوا على حوران وتولاد، أو خروج أبوه مسلم الخراساني نبي التماس يزعم أنه يسعي في خلافة أهل البيت، ثم اصطلحوا على: السفاح، والفئة الدعيمة، تُسَمَّى الميكنزية على المسلمين ومنهم ملاد الإسلام.

وبين النبي ﷺ أشراط الساعة، وهي ترجع إلى أنواع: الفتن التي مر ذكرها وشيوعها وكثرتها، فإن التلف من القرف، وإنما يجيء الفضل من حيث يجيء الهلاك، وشرح هذا بطول.

قال ﷺ: «لن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر قتل، ويكثر شرب خمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

والحشر في شأن الشريعة منقول على منين: حشر الناس إلى الشام، وهو وافئة قيل القيامة حين ينزل الناس على وجه الأرض يحشر بعضهم بتقريبات وبعضهم يترك أسواقهم، وحشر هو البعث بعد الموت. وقد ذكرنا من قبل أسرار العدد، والله أعلم.

الفتن^(١) المضطربة التي أخبر بها النبي ﷺ أربع:

الأولى: فئة أمارة على الفداء، وذلك صادق بمشاجرات الصحابة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه إلى أن استقرت خلافة معاوية. وهي التي أشير إليها بقوله ﷺ: «هفئة على نطن، وهو الذي يُقَرَّبُ أمره ويتكرر، لأنه كان على سيرة الملوك لا على سيرة الخلفاء فيه».

الثانية: فئة لأعلاس، وفئة الدعاة إلى أبواب جهنم. وذلك صادق باختلاف الناس وخروجهم طائفتين الخلافة بعد موت معاوية إلى أن استقرت خلافة عبد الملك.

الثالثة: فئة السراء والهجيرة والعز، وذلك صادق بخروج بني العباس على بني أمية إلى أن استقرت خلافة العباسية ومهدوا على رسوم الأكاسرة وأخذوا بجيرة وحز.

الرابعة: فئة تلطم جميع الناس، إذا قبل انقضت مددوت، حتى رجع الناس إلى فسطاطتين^(٢). وذلك صادق بخروج الأتراك الجيكنيزية وإبطالهم خلافة بني العباس ونزولهم^(٣) على وجهها الفتن.

(١) هذه الفقرة من هنا إلى المتاعب مع ذلك إلا هي نسخة واحدة نقلتها وإن كانت كالمكررة لنفسها بعض القائفة، وكانت النسخة المنقولة عنها «تروكة ابتاع من ثلاث مواضع كتبت فيها لعلها تهرت في يدي أراي ووضعت عليها خطوطاً.

(٢) أي: فتنهم.

(٣) أي: دسهم.

والأحاديث الواردة في الغن أكثرها مرت من قبل ، وقال رسول الله ﷺ : «تدور رحى الإسلام بفمسين وثلاثين أو ست وثلاثين ، فمن يهلكوا فسبيل من هلك⁽¹⁾ ، وإن يقيم لهم ميتهم يقيم لهم سبعين عاماً ، قلت : أيما يفي⁽²⁾ ؟ أرحم : مضى ؟ قال : «صا مضى» .

فمعنى قوله : «تدور رحى الإسلام» أي يقوم أمر الإسلام بإقامة الحدود والجهاد في هذه الأمة ، وذلك صادق من ابتداء وقت الجهاد وأوائل الهجرة إلى مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه ، والشك في خمسة وثلاثين وأخواتها ، لأن الله تعالى أوحى إليه مجملًا . وقوله : «فمن يهلكوا» بيان لصعوبة الأمر وأن الأمر يصير إلى حالة لم ينظر فيها الناظر بشك في ملاك الأمة ويغفلان أمورهم .

قوله : «سبعين عاماً» ابتداءها من البعثة وتتمامها موت معاوية رضي الله عنه ، ويعدّه قامت فئة دعاة الضلال .

وقوله : «سبعين عاماً» مجيء فهويل الأمر وأنه يكون نعمت يطن الباطن فيه ، وأنه لا يكون بعد هذه استقامة الأمر ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : «يقتلكم قوم صغار الأعين» يعني الشرك منسوقونهم ثلاث مرات ... الحديث⁽³⁾ .

معناه : أن العرب يجاهدونهم ويقتلونهم فيصير ذلك سبباً لأحفاد وصغار حتى يؤول الأمر إلى أن يذهبوا العرب من بلادهم ، ثم لا يقتصرون على ذلك بل يدخلون بلاد العرب ، وهذا هو المراد من قوله : «حتى تلحقهم بجزيوة للعرب» أما في السبابة الأولى فينجو من الحرب من حرب من قتالهم بأن يفر من بين أيديهم ، وذلك صادق بشأن الجنتكية ، فهلك العباسية الذين كانوا يبقفاد ونجا العباسية اللعين فروا إلى مصر ، وأما في السبابة الثانية فينجو بعض ويهلك بعض ، وذلك صادق بوطء نيمور ديار الشام وإملاك أمر العباسية . وأما في الثالثة فيصطلحون⁽⁴⁾ ، فذلك صادق على العناية على جميع العمل ، والله أعلم .



الأصل في مناقب الصحابة رضي الله عنهم أمور :

(1) أي : من القرون السابقة .

(2) أي : هذه السبعون مهتأة بعد خمس وثلاثين أو مما مضى يعني الأوامر المذكورة دلالة فيها .

(3) فلهذا «حتى تلحقهم بجزيوة للعرب» فاما في السبابة الأولى فينجو من حرب منهم ، وأما في الثانية فيهلك بعض ويهلك بعض ، وأما في الثالثة فيصطلحون أو كما قل .

(4) أي : يصتالون .

منها: أن يطلع النبي ﷺ على هيئة نفسانية تعد الإنسان لدخول الجنة كما اطلع على أبي بكر رضي الله عنه أنه ليس فيه عيباء، وأنه ممن أكمل الخصال التي تكون أبواب الجنة تشالاً لها، فقال: «الرجو أن تكون منهم» يعني الذين يُدْعَوْنَ من الأبواب جميعاً.

وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه: «ما لي بك الشيطان سالماً فحياً قط إلا سلكه فيها غير فيك».

وقال ﷺ: «لن يك من امتي أحد من المشركين⁽¹⁾ ههنا عصر».

ومنها: أن يرى في المنام أو يفت في ورعه ما يدل على دسوخ قدمه في الدين، كما رأى بلالاً رضي الله عنه يتقدمه في الجنة، ورأى قصراً لعمر رضي الله عنه في الجنة، ورآه مُنْصُغٌ بغير سائر، وأنه ﷺ أعطاه مؤزرة من اللين، فغبر بالدين والعلم.

ومنها: حب النبي ﷺ لياهم وتوفيرهم ومواساة معهم ومواسفهم في الإسلام، فقلبك كله ظاهره أنه لم يكن إلا لامتلاء القلب من الإيمان.

واعلم أن فضل بعض القرون على بعض لا يمكن أن يكون من جهة كل فضيلة، وهو قوله ﷺ: «مثل نعشي مثل المطر» لا يدرى لوله خير لم آخره، وقوله ﷺ: «انتم لمسيحي» ولخولتي لتين يلتون بعده» وذلك أن الاعتبارات متعارضة والموجوه متجاذبة، ولا يمكن أن يكون تمثيل كل أحد من القرن الفاضل على كل أحد من القرن المفضول كيف، ومن القرون الفاضلة اتفاقاً من هو متافق أو فاسق، ومنها الحجاج يزيد بن معاوية، ومختار، وخليفة من قرش الذين يهلكون الناس، وغيرهم ممن بين النبي ﷺ سوء حالهم، ولكن الحق أن جمهور القرن الأول أفضل من جمهور القرن الثاني وتحر ذلك.

والسلة إنما تثبت بالنقل والتوارث ولا توارث إلا بأن يعظم الفهم شاهدوا مواقع الوحي وعرفوا تأويله وشاهدوا سيرة النبي ﷺ ولم يخلطوا معها تفساً ولا تهاوياً ولا ملة أخرى.

وقد أجمع من يمتد به من الأمة على أن أفضل الأمة أبو بكر الصديق، ثم عمر رضي الله عنهما، وذلك لأن أمر النبوة له جناحان: تَلْتَمِي العلم من الله تعالى وبه في الناس، أما التلتمى من الله فلا يشرك النبي ﷺ في ذلك أحد، وأما به فإنما تحقق سياسة وتأليف وتحر ذلك، ولا شك أنه الشيعين رضي الله عنهما أكثر الأمة في هذه الأمور في زمان النبي ﷺ وبعده، والله أعلم.

عليه السلام ههنا آخر ما أوجها لإرواده في كتاب

حجة الله البالغة

والحمد لله تعالى توباً وأخواً وظاهراً وباطناً وعلو الله على خير خلقه

محمد وآله وأصحابه أجمعين

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقمها	الآية
105	2 - 7	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾
159	2 - 3	سُورَةُ الْبَقَرَةِ ﴿ وَإِلَّا الْكَافِرُ لَا يَكُنْ فِي دِينِهِ مَقْبُولٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾
7	43	﴿ وَارْتَقُوا إِلَىٰ الرُّكْبَةِ ﴾
97	125	﴿ وَارْتَقُوا إِلَىٰ رُكْبَاتِ الْعِمَامِ مَعَ الْوَلَدِ ﴾
87	125	﴿ وَارْتَقُوا إِلَىٰ رُكْبَاتِ الْعِمَامِ مَعَ الْوَلَدِ ﴾
223	138	﴿ سَبِّحْهُ أَهْلَ زَمَرٍ مَعَهُ مَعَ الْوَلَدِ ﴾
151	143	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
158 157	155	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
55	156	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
97 88	158	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
65 162	161	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
235	178	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
246	178	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾
238	179	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ عِزَّةً عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقَرٌّ مِنْكُمْ وَنَارٌ مِنَ الْجَحِيمِ ﴾

199	236	﴿لَا يَجْعَلْ عَلَيْكَ مِنْ ذَلْمِهِمْ مَفْلاً وَلَئِنْ قُلْتَ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ زُرْعَتَكُمْ فَسَيَفْضَحُوا أَوْ يُفْسِدُوا زُرْعَتَكُمْ﴾
7	238	﴿زُرْعَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾
259	282	﴿أَنْ قَبِلْتُمْ إِيذَانَهُمْ فَتَصْحَوْا بِأَهْلِكُمُ الْأَكْثَرُ﴾
259	282	﴿وَمَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ قَبْلُ﴾
258	282	﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾
175	282	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ بِنُفُسِكُمْ فَلَكُمْ أَنْفُسُكُمْ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾
260	283	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ يَكُونُ لَكُمْ أَعْدَاءُ﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

197	192	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا وَأَنْتُمْ كَسِبْتُمْ﴾
65	407	﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ لَهُمْ فِي عَذَابِهِ﴾
262	169	﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْكُرُونَ أَنَّهُمْ أُفْتُخُوا أَن سَبِحُ لَمْ يَكُنْ لَكَ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا كَذِبٌ﴾
27	190	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَرَأْيَ النَّبِيِّ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُفُسٍ مَكِينَةٍ﴾
127	191	﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ الْغَيْبَ وَالْغُيُوبَ وَالْأَرْضَ رِجَالًا كَانَتْ هَذِهِ بَيْتًا﴾

سُورَةُ الْيُونُسَ

157	1	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَذَكَّرُونَ بِهِ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ كِبَرٌ﴾
211	3	﴿وَلَا يَحْكُمُ إِلَّا ظَنُّهُ وَالْظَنُّ قُلُوبُهُمْ مَا كَانَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَهْمٍ فَذَلِكَ﴾
203	3	﴿وَلَا يَحْكُمُ إِلَّا ظَنُّهُ وَالْظَنُّ قُلُوبُهُمْ مَا كَانَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَهْمٍ فَذَلِكَ﴾
199	4	﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الْيَمِينَ سَافِلًا يَوْمَ الْقِيَامِ﴾
186	11	﴿وَلَا يَحْكُمُ إِلَّا ظَنُّهُ وَالْظَنُّ قُلُوبُهُمْ مَا كَانَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَهْمٍ فَذَلِكَ﴾
186	11	﴿وَلَا يَحْكُمُ إِلَّا ظَنُّهُ وَالْظَنُّ قُلُوبُهُمْ مَا كَانَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَهْمٍ فَذَلِكَ﴾
192	11	﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الْيَمِينَ سَافِلًا يَوْمَ الْقِيَامِ﴾

272	41	﴿وَالْمُتَرَاتِلَ إِسْتَبْرَأَ بِرَبِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالْمُتَرَاتِلَ إِسْتَبْرَأَ بِرَبِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
141	42	﴿يَقِينُكَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْمَوْلَى﴾ ﴿يَقِينُكَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْمَوْلَى﴾
269	64	﴿أَعَزَّ حَقُّكَ أَلَّا يَكُونَ بِكُمْ شَيْءٌ﴾ ﴿أَعَزَّ حَقُّكَ أَلَّا يَكُونَ بِكُمْ شَيْءٌ﴾
183 - 178	75	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

271	6	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
256	12	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
146	40	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
270 - 47	46	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
69	50	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
176	61	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
153	84	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
268	91	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

155	24	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
157	63	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

157	4	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
156 - 21	20	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾
108	26	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّهِمْ أَذَلَّ الْأَصْفَادَ﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ تَسْتَخِرْتُمْ بِالْأَنْعَامِ نَعًا ﴾ 127 5

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ مَا تَسْجُدُ بِهَا لِلنَّاسِ ﴾ 319 94

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ فَتَجِدُ الْفَأْزِقَ ﴾ 251 44

﴿ وَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 14 98

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ وَكَذَلِكَ كُنَّا نَبِّئُكُمْ فَلَوْلَمْ نَجْعَلْ فِي الْقُرْآنِ وَالْغُرُفِ وَمَنْعَهُمْ يَكُفُّهُمْ عَنْ هَافِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ ﴾ 140 73

﴿ وَكَذَلِكَ كُنَّا نَبِّئُكُمْ فَلَوْلَمْ نَجْعَلْ فِي الْقُرْآنِ وَالْغُرُفِ وَمَنْعَهُمْ يَكُفُّهُمْ عَنْ هَافِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ ﴾ 7 78

﴿ وَكَذَلِكَ كُنَّا نَبِّئُكُمْ فَلَوْلَمْ نَجْعَلْ فِي الْقُرْآنِ وَالْغُرُفِ وَمَنْعَهُمْ يَكُفُّهُمْ عَنْ هَافِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ وَمَنْعَهُمْ عَنْ حَفِيَةٍ ﴾ 11 78

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ لَقَدْ كُنَّا أَنْشَأْنَاهُمْ غُلَامًا مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَنْشَأْنَاهُمْ ﴾ 280 54

﴿ لَقَدْ كُنَّا أَنْشَأْنَاهُمْ غُلَامًا مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَنْشَأْنَاهُمْ ﴾ 130 49 37

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَرَّدَ الْقَوْمُ طَغَوْا فَنُفِذْنَا فِيهِمْ ﴾ 320 52

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَرَّدَ الْقَوْمُ طَغَوْا فَنُفِذْنَا فِيهِمْ ﴾ 87 78

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 247 9

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 152 2

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 302 3

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 206 3

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 259 249 5 4

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 250 5

﴿ وَالْأَنْعَامُ بِاللَّهِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ يَا كَذِبَانِ أَلْتُمُونَ ﴾ 218 6

﴿ تَتْلُوا الْقُرْآنَ مُخْلِطِينَ لَهُ قُتُلُوا قَوْلًا يَرَىٰ ذُو الْعَرْشِ مَنِ مَنَ شَاءَ يَنْصَلِفْهُ أَوْ يُصَلِّهِمْ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

﴿ قُلِ الْمُؤْمِنُونَ يُمْسِكُوا بِرِزْقِهِمْ وَمِنْ أَغْنَاهُمْ مَا ضَمَّنُوا لَهُمْ وَأَنْتُمْ كَالْعُصْفُرِ ذُرِّيَعًا مُّنتَشَرَةً ﴾

﴿ وَذَرِكُوا إِلَهُكُمْ الَّذِي تَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ضَعْفًا مُّضَاعَفًا ﴾

﴿ بِمَنَاسِكِهَا أَتُوبُونَ أَلَمْ نَجْعَلْ لَّكُمْ فِيهَا مَذَاجًا لَّتَذَرُوا حَتَّىٰ تَذَكَّرُوا ﴾

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُ كَلْبًا وَكَانَ كَلْبًا مَّكِينًا ﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ وَأُولَئِكَ عِندَكَ الْأَفْوَى ﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿ تَتَجَنَّفُ اللَّهُ مِنْ حَتَّىٰ تَسْتَوِي رُبُوبًا تَتَجَنَّفُ وَلَا تَكُنْ فِي السَّكُونِ وَالْأَمْنِ ﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

﴿ أَلَمْ يَكُنْ فِي سَبْعِينَ نَجْمًا ﴾

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

﴿ وَتَقَىٰ فِي سِتْرَيْنِ ﴾

﴿ وَالْمُحْسِنِينَ اللَّهُ كَبِيرٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾

﴿قُرْآنٌ مِّنْ لَّدُنْكَ يُتْلَىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَنْبَغُ عَلَيْكَ أَرْبَعَةٌ﴾ 51 252

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتْلُوا الْقُرْآنَ وَاللَّهُ وَرَثَةُ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حُكْمٌ وَهُوَ الْقُرْآنُ يُتْلَىٰ عَلَىٰ سَمْعِكُمْ وَلَهُ الْخَلَائِفَةُ عَلَيْكُمْ لِقَاءُ اللَّهِ بِكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ 70 - 71 197

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 1 54

﴿وَلَا يَزَالُ لَكُمْ فِيهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ 22 129

سُورَةُ آلِ عَمْرٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 1 320

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 1 124

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَأَنشَأُوا الْقُرْآنَ مَنَاجِدًا وَمَنَاجِدًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾ 13 146

﴿وَلَا يَخَافُ أَنَّ يُنَادُوا بِمَنَاجِدٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾ 71 304

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَاءًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ 37 32

﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَاءًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ 54 127

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 1 144

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَاءًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ 13 123

﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَاءًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ 32 166

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 1 83

﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَاءًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ 4 79

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 17 268

﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَاءًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾

62432

﴿فَإِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أَمْلَهُ نَسْتَكْسِرُ رَأْسَهُ تَتَّخِذُ الْوُجُوهُ حُجْرًا ۖ وَنُقَلِّبُ أَهْلَ الْكَافُورِ كَالْمُفْرِقِ﴾

يوسف

436

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ لِمَنْ هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾

• إِيَّاكَ يَخْلَقُ وَيُنْشِئُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَجْزَاءً مِمَّا يَخْتَارُ •

❖ رَأَيْتُكَ الْبُيُوتَ

مِنْهُمَا الطَّيْرُ

﴿مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ لَا يَذَرُهُ إِلَّا أَقَلٌ لَاحِقٌ﴾

4612

﴿التَّوْبَةُ﴾

320 1991 43 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

المجلد الثاني

﴿قُلْ لَّيْسَ بِي كِبٰرٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُوا صُورَهُ وَيُعَذِّبُكَ اللَّهُ فَهُوَ الَّذِي فَخَرْنَا﴾

﴿رَقِيبَةً مُنْفَعَةً ۚ مَا كُنتُمْ لَهَا غَنِيًّا﴾

AS2412

﴿وَمَنْ سَبَّ اللَّهَ فَقَدْ سَبَّ آلِيَّ مُحَمَّدٍ وَنَحْبِيهَا وَلَعَنَهُمُ إِلَهٌ قَدِيرٌ﴾
 عَزَّوَجَلَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَ حَيْدُ الْإِلَهِ تَعْلِيهِمْ بِكُمْ مِنْ سَبِّهِمْ عَاثَكُمْ
 الْكُفْرِيَّةَ بِأَنْ أَتَيْنَهُمْ إِلَّا إِلَىٰ وَلَدْتَهُمْ وَأَتَيْتُمْ لِقَائِهِمْ سُبْحَكُمْ مِنْ قَتْلِهِ
 وَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ قَتْلَ عَشِيرَتِهِ يُطَهِّرُونَ مِنْ سَبِّهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ يَا قَاوِمَا
 فَتَمَرَّضْ وَلَا تَمُوتْ مِنْ قَتْلِ أَنْ يَسْأَلَا ذِكْرًا لَوْطَلُوتُكَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَكُونُونَ شَهِيرٌ
 فَتَرَىٰ أَوْ يَنْتَهِبُكُمْ كَثِيرٌ مُتَشَابِهٌ مِنْ قَتْلِ أَنْ يَسْأَلَا مَرَّةً أَوْ يَسْأَلَا وَلَكُلَّمَا
 جِئْتُمْ حَكِيمًا ذِكْرًا لِقَائِهِمْ وَأَكْبَرُ وَأَكْبَرُ وَتَعْلَمُونَ ذَلِكَ حَقٌّ لَكُمْ وَاللَّهِ بِمَا تَكُونُونَ
 عَدْلًا قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾

127

3

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَاكُمْ قُلُوبًا مِّنَ الْأَنْفُسِ وَفِي الْأَنْفُسِ مَا يَحْكُمُونَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَمِن خَلْفَهُمْ وَلَا تَحِثُّوا عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِلَّا هُوَ يَحْكُمُ لَكُمْ فِي أَشَدِّ عَذَابٍ مُّقْتَدِرًا﴾

國家

273

10. 7

[illegible]

66104

151

14

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا أَمْرًا وَلَا نَهْيًا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَوْ يَكُونُوا لَهُمْ عَدُوًّا ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلَ قَوْمٍ لِيُضِلَّ قَوْمًا يَهْتَدُونَ ۚ﴾

١٢٢٢

175

9

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ السَّيِّئَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ فَمَا لَكُمْ إِلَىٰهَا ۚ أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰكُمُ الْمَلَكُ مِنْ رَبِّكُمْ قَائِلًا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْمُفْسِدُونَ ۚ﴾

سورة النحل

158

11

﴿مَنْ أَصَابَ مِنْ ثَمَرِهِ إِلَّا يَأْكُلْهُ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ جَاءَهُ بِثَوْبٍ سَبِيحٍ﴾ ﴿١٠٠﴾

NOTE

121

11

﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عِنْدَ أُولَٰئِكَ مُبْتَغَىٰ الْوَعْدِ ۚ﴾

2012

133

10

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا بِهٖ أَشْتَبَ الْبَعِيرِ﴾

سورة المائدة

145

: 3

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ

52 4

﴿ تَنْبِيْهُنَّ النَّارَ ﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

25 7-6

﴿ بِرَبِّكَ تَنْبِيْهُنَّ قُلُوبَهُنَّ وَتَقْوِيَّتُهُنَّ بِرَبِّكَ إِنَّ لَكَ فِي شَهَادَتِكَ شَكْرًا ﴾

سُورَةُ الْمُلَافَاتِ

60 45-43

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ إِنَّ رَبِّكَ كُنُوزٌ وَكَفَى غُرُورًا تَخْتَفِيْنَ ﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

75 43

﴿ أَلَمْ نَقُلْ إِنَّكَ بَشَرٌ مِّثْلُ بَشَرٍ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا الْفِتْنَةَ ﴾

سُورَةُ الْاِنشَادِ

16

﴿ مَعْلُومٌ ﴾

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

112 41-40

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَ أَوْجَدُ رُبَّمَا تَتَذَكَّرُ أَلَمْ نَقُلْ إِنَّكَ إِذَا تَدَارَى ﴾

سُورَةُ الْمُصَفِّاتِ

194 64

﴿ مَعْلُومٌ وَكَانَ مَعَهُ غُلُوبٌ كَمَا تَعْلَمُ يَكْرَهُنَّ ﴾

سُورَةُ الْاِنْفِثَارِ

104 15

﴿ تَتَجَمَّعُ لَمَّةٌ رُبَّمَا ﴾

43-28

سُورَةُ الْغَاثِ

48 16

﴿ مَعْلُومٌ ﴾

سُورَةُ الْفَجْرِ

11 3

﴿ تَتَجَمَّعُ الْاَكْثَرُ ﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

15 1

﴿ مَعْلُومٌ بِرَبِّكَ ﴾

146	8	سُورَةُ التَّيْنِ	﴿أَنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾
144	5	سُورَةُ الْبَنَاتِ	﴿يَوْمَ أُنْزِلَ إِلَيْنَا أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا عِندَنا وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
97 - 128	1	سُورَةُ الْكَافِرِينَ	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾
17	3	سُورَةُ الْجَذَا	﴿وَتَتَّبِعْ بِحُتْمِ رَبِّكَ وَتَتَّبِعُوا إِلَيْنَا حَقَّ حَقِّاتٍ﴾
97 - 138 128 - 131	1	سُورَةُ الْأَحْلَامِ	﴿تَذَكَّرْنَا أَنْهَكَ﴾
122	1	سُورَةُ الْفَاتِحِ	﴿قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾
122	1	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	﴿قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾

فهرس أطراف الإصحاح

- | | |
|--|---|
| <ul style="list-style-type: none"> - إذا اتفق الرجل على أمه 135 - إذا أنفقت المرأة 71 - إذا اجتمع داعيان 202 - إذا غلغتم في الطريق 362 - إذا استأثنت امرأة أحدكم 41 - إذا اتقى المسلمان خصامهما 306 - إذا انصف شعبان فلا تصوموه 80 - إذا انتهى أحدكم إلى مجلس 205 - إذا بوجع الخلقين 256 - إذا تذاب أحدكم فليمسك 309 - إذا تذاب أحدكم في الصلاة 41 - إذا تجلى الله شيء 32 - إذا تفاض إليك وجلان 254 - إذا جئتم إلى الصلاة 43 - إذا جاءك من هذا الماء 132 - إذا جاءكم العاص 233 - إذا حضرتم النيت 55 - إذا حكم الحاكم فاجتهد 259 - إذا حلفت صر يمين 344 - إذا خطب أحدكم المرأة 192 - إذا خطب إليكم من ترضون 191 - إذا ونى رمضان 77 - إذا دعا أحدكم 146 - إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه 125، 210 - إذا وهي أحدكم 201 - إذا وأيمت فليدعوا 32 - إذا زنت أمة أحدكم 246، 249 - إذا زوج أحدكم عبده 194 | <ul style="list-style-type: none"> - لأئمة من قرهين 230 - أبداً بها بدأ الله به 97 - أبسط رجلك 223 - أبغض الحلال إلى الله الخلاق 213 - أتديون ما الفية 313 - أتريدون أن ترجعي إلى رفاقة 215 - أسمع الله وإنصلاً 41 - أنشهد 80 - لأجدع شيطان 109، 310 - أحب الأسماء إلى الله 225 - أحب الأعمال إلى الله أدومها 35 - أحب عبادي إلي أحبهم 80 - الإحسان أن تعبد الله 103، 146 - أحسن الذنب وانحرير للإيات 295 - أحلت لنا ميتتان 282 - أحياً يأتي مثل حصة الجرس 349 - أخشى الأسماء يوم القيامة 225، 313 - إذا أتاك الله ملائكة 294 - إذا أتاكم المعلق 72 - إذا أحب الله تعالى جيداً 149 - إذا أرسلت كلبك 285 - إذا أسلم العبد 129 - إذا أظلم أحدكم القية 310 - إذا أظفر أحدكم فليظفر 81 - إذا أكل أحدكم 287 - إذا أكل أحدكم ضاماً 286 - إذا أسرىكم بأمر 39 - إذا آمن الإمام فأمنا 14 |
|--|---|

- إذا سافرتهم في الحصب 307
- إذا سرق سيد أحدكم 246
- إذا سجع اللذان أحدكم 81
- إذا سمعتم هذه العصار 280
- إذا تنك أحدكم في صلاة 31
- إذا عطش أحدكم للماء 42
- إذا صلى حالاً فاصلوا جنوباً 42
- إذا صليتما في رحلتكما 44
- إذا صبح لأحدكم خادمه 277
- إذا عطش أحدكم فليقل 304
- إذا حملت أن سبهك 285
- إذا قتل ذلك نمت صلاتك 7
- إذا قام أحدكم في الصلاة 22
- إذا قام الإمام في الركعتين 23
- إذا كانت عند الرجل امرأة 221
- إذا مر أحدكم في مسجدنا 242
- إذا مرض أحدكم أو سافر 51
- إذا وجستم فامسحوا بغير ماء 272
- إذا وضع أحدكم بين يديه 5
- إذا وقع الثياب في الماء 288
- إذا وقعت القلعة في السمن 282
- إذا ولدت أمة الرجل 228
- إنك على أنه يبيع لحجاب 307
- كذهب إليكم رب الناس 53
- أروا، إذا منع الله الشجرة 175
- أربع في أمي من أمر جاهلية 59
- أربع نزل المصير رمت 25
- أرجو أن تكون منهم 373
- أروا، أجمعهم من خوف طير 267
- أروا رؤياكم قد مرطبات 85
- أريت هذه القلبة 99
- إزرة المؤمنين إلى أصداف 243
- أسأله المصلي 53
- استودع الله دينه 34
- أسدب الله بك يا ابن الخطاب 20
- الطعمة فاضحك 169
- طمسوا الجرع 227
- تعن رقبة 82
- أعلم عهدي أن له رياء 110
- أحسنوا النكاح 248
- أحسنوا هذا النكاح 137
- أسود بالله فاعظم 125
- أعوذ بالله من القبح 123
- أعوذ بالله من جهد البلاء 145
- أعوذ بعمرة الله 53
- أعوذ بكلمات الله التامة 123
- أحبك بكلمات الله التامة 52
- أفضل الدعاء الحمد لله 112
- أفضل الصدقة نخل 265
- أفضل العيادة انتظار الفرج 115
- أنظر الحاجم والمحجوم 84
- أذموا ما أنشأ 195
- أفلا جئتموه فرد الطعام 72
- أقرب ما يكون الرب 26
- أقبلوا نوى الهبات 249
- اكثروا ذكر هادم اللذات 54
- ألا أسيركم ما حل النار 173
- ألا أسيركم بمن يحرم على الدنيا 134
- ألا إن في أنجم مضفة 137
- ألا إن في قتل النفس مخطئة 236
- ألا أنتم بأفضل أعانتكم 89
- ألا أنتم خير أهلكم 11
- ألا تصفون 103
- ألا تصفون 43
- ألا طيب الرجل ربح 294
- ألا لا يبين رجل عند امرأة 194
- أنفقوا الغنائم بأهلها 87
- أغروا وما حووا 282
- ألك والدان 269
- أما إنه ليس منك امرأة 259

- أما أول ما شرط الساعة 322
- أما الطبيب الذي يك 91
- أما جعلت أن الفضة هوبة 195
- أما ما ذكرت من آية 284
- أما ممازجة فمملوك 313
- أما والله إنني لأخشاكم لله 190
- أما محسن الذي يرفع رأسه 43
- أمي يوم القيامة غير 14
- أمرت أن أسجد 9
- أمتعت أربعاً 202
- إن إبراهيم حرم مكة 103
- إن ابنصر الرجال إلى الله 261
- إن إبليس يضع حرسه 328
- إن أحبكم إلى وأقربكم 312
- إن أحدكم إذا صلى 35
- إن أحدكم إذا قام في الصلاة 3
- إن أحيان بني الأم يتوارثون 188
- إن أول الناس 130
- إن أولي الناس بي 119
- إن استهله لذلك 224
- إن الأمانة تركت في جدر 329
- إن البيضة من الإيوان 294
- إن البيت الذي فيه الصورة 297
- إن العبد له نعمته 197
- إن الغدواء يفتح 116
- إن المؤمن يمر 35
- إن الركن والمقام 101
- إن الشح أهلك 64
- إن الشيطان قد أيس 328
- إن الشيطان يأكل يشاله 109
- إن الصدقة تحرق المنطقية 63
- إن الصدقة تطهر 63
- إن القويضة تضر 278
- إن الله إذا حرم شيئاً 168
- إن الله أعطى لكل ذي حق حقه 179
- إن الله أمركم بصلاة 28
- إن الله أمركم بصلاة هي حبر 28
- إن الله جميل 133
- إن الله حرم 134
- إن الله غضب على سبط 279
- إن الله فضل أمي 274
- إن الله كتب الإنسان 283
- إن الله لا يذهب بدمع العين 53
- إن الله لم يأمرنا أن نكسو 299
- إن الله نكف 105
- إن الله هو الحكم 310
- إن الله هو المستر 175
- إن الله وتر 28
- إن الله ورسوله حرم 168
- إن الله يتعلموا بيته 63
- إن الله يحب أن يرى 294
- إن الله يدخل بالناس 268
- إن الله يرضى من العبد 290
- إن المؤمن إذا أذنب 154
- إن المؤمن يأكل في شيء 239
- إن المؤمن يجاهد بسيفه 313
- إن الحال خضر 71
- إن المرأة تنبل 192
- إن المسلم إذا عاد أبا 62
- إن السرور فرح 56
- إن اليهود والنصارى لا يصفون 296
- إن بالسيف أفراماً 268
- إن يلاً ينادي طيل 81
- أن تعلمها 135
- أن تعبد الله كأنك تراء 126
- إن دماءكم حرام 99
- إن ذلك شيء كتبه الله 96
- إن رجالاً يتخوضون 233
- إن روح القدس لا يزال 312
- إن ننت حبست أسلها 180

- إن صدقت عليها 217
- إن عبداً أذنبه 129
- إن على الله عهداً لمن شرب 254
- إن هجرة في رمضان 84
- إن في الجنة مائة درجة 265
- إن في الصلاة لشغلاً 21
- إن في الليل ساعة 26
- إن في جسده أين آدم مضى 8
- إن لمبك فلا خيار لك 213
- إنه كذبت عليه 222
- إن كل بناء وبهال 249
- إن كنت قاعلاً فواحدة 21
- إن لكل شيء شرة 34
- إن لكل ملك حمى 102
- إن لكل نبي سبعة نجباء 131
- إن لله تسعة وتسعين اسماً 119
- إن في مائة درجة 110، 126، 129
- وإن لم تستطع فأوم 6
- إن لهذه الإبل أرباب 285
- إن من إجلال الله إكرام 136
- إن من أشرف الناس 208
- إن من أشراط الساعة 331
- إن من الغيرة ما يحجب الله 210
- إن منكم مغفرون 42
- إن هذا الأمر بدأ نبوة 329
- إن هذا الشهر جهد 25
- إن هذه الصدقات 70
- إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء 21
- إن هذه القبور معلومة 57
- إن هذه هجمة ينفضها الله 308
- إن هذه من نياح النار 294
- إن وجلتم غيرها 284
- الآن يا عمر لم يمانك 149
- إن وقت من أمي أحد 333
- أنا أصوم وأمطر 34
- أنا أغنى الشركاء 130
- أنا أمة أمية 79، 185
- أنا يرى من كل مسلم مقيم 256
- أنا عبد الله ورسوله 152
- أنا عند ظن عبدي 54، 144
- أنا لا نستعين بمشرك 270
- أنا وكافل اليتيم 135
- أنت أحق به 226
- أنت الله لا إله إلا أنت 119
- أنتم أصحابي وأخواني 333
- أنتم شهداء الله 57
- أنزلوا الناس منازلهم 136
- إنكم قد ربيتم أمرين 176
- إنما أنا بشر مثلكم 261
- إنما أعطاك الذين من بطنكم 255
- إنما الأعمال بالنيات 130، 144
- إنما الإمام نجية 232
- إنما الشياطين 309
- إنما الرضاة من المجاعة 294
- إنما جعل الإمام 42
- إنما جعل الاستئذان 307
- إنما هو ملك بضمه 252
- إنه أدوي وأبرأ 292
- إنه قلب القرآن 120
- إنه لا يأتي الخير بالشر 132
- إنه لا يصاد به حيد 242
- إنه ليس بمراء 292
- إنه ليس بيننا وبين الله حجاب 117
- إنه ليس عليك بأس 195
- إنه ليس لي أول نفسي 201
- إنه لميثاق على قلبي 119
- إنه يفعل ما يشاء 118
- إنها نطلع حين تطلع 33
- إنها ساعة نفتح 25
- إني إذا صائم 81

- زهير أشبك عهدك 153
- إني سمعت دف نعتت 31
- إني لأرى الشيطان 43
- إني لمسته كحيتكم 158
- إني رجعت رجبي 40
- أو يأكفه أحد 279
- أوصي بالفتن 179
- أوف بذكرك 115
- أولي - غلق الله معاني القفل 137
- أول من بدعني إني الجنة 112، 142
- الأمل لك 95
- إياكم والتمزي 195
- أيام الشريق 87
- أيسر أن يكونوا لك 178
- أيما امرأة أدخلت من قوم 223
- أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً 213
- أيما امرأة ماتت 135
- أيما رجل أصغر عمرى 80
- أيما رجلي أقسى 176
- أيما عد أبنى 228
- أبعد عبد تزوج 194
- أب مسلم ك مسلماً 75
- الإيمان بالله ورسوله 89
- الأيمن فالأيسر 293
- ألتصق إذا يمين 168
- ألدن بيمينها 35
- أتمر أشخ 63، 132
- انقروا القلم 134
- انضوا الله في النساء 209
- أثبت أحد 141
- أجملوها في بيوتكم 20
- أحبس الماء 262
- احتكار الطعام 102
- احفظ الله تعدد 126
- احلف بالله 259
- اذكروا هاتين اللغزتين 128
- أوجع فصولاً 6
- أوجع ما زوراب 59
- متأخرون 108
- لا ستمات ثلاث 109
- استقيموا ولي تحبوا 34
- استوصوا بأسماء 115
- استوصوا بالأسماء خيراً 209
- امتن يا زهير 101، 262
- اصنعوا كل شيء 208
- اصنعوا لأل جعفر طامناً 59
- اعرف غناصها 162
- اعلم أن الأمة لو اجتمعت 126
- اعلم أن الله على كل شيء قدير 118
- اغتسلني واستغفري 96
- اغزوا باسم الله 269
- اعملنها وتر 35
- انظروا بالمؤمن من معدي 146
- أنسم لنا من اليقين 142
- قضيا يوماً آخر مكانه 82
- قطموا ثم أحسوه 252
- بني آخر البشرية 313
- بن من طيبة الرجل (زعموا) 312
- درك الله لك 22
- باسم الله، اللهم جنبنا 23
- باسم الله توكلت على الله 124
- باسمك يني وضعت جنبي 142
- بحسب ابن آدم لقيمات 132
- بركة الصغام الوصوء فيه 281
- البركة في نواصي الخيل 268
- بسم الله أرقبك 33
- بسم الله الكبير 53
- بيع الثمر ببيع آخر 167
- بك أصول ربك أجود 118
- بكتوه 255

- اليكر سألونها ليوها 196
- سم سبقتي إلى الجنة 31
- بني له بيت في الجنة 24
- بيت لا تمر فيه 289
- البسمان إذا اختلفا 174، 262
- الجنة أو سداً في ظهرك 219
- بينما رجل يسبي 133
- ما عمر علي يا عمر 153
- تابعوا بين الحج والعمرة 89
- تجنب الجمعة على كل مسلم 45
- تعريضها التكبير 7
- فحلبها التسليم 11
- نودو رضى الإسلام بنقوس وملائين 312
- تزوجوا الرقود النودود 191
- المسيح تصب العيزان 112
- شكروا 80
- تامل بين اثنين صافى 135
- تعرض الفتن على الغلوب 329
- فتفتح لهم أبواب السماء 25
- تفكروا في آلاء الله 126
- تفكروا في كل شيء 126
- تقام يوم القيامة وعليها سمرال 59
- قطع الصلاة المرأة 5
- للملك حائل بشرى الزمن 136
- النصر ولو ختمت من حديد 199
- تنكح المرأة لأربع 190
- تبادوا فإن الهدية 178
- ثلاث من كفر فيه 148
- الثنية والفرس سواد 241
- الجار أحق بصفيه 174
- الجالب مروق 171
- الجرس مزمار الشيطان 309
- جروحهم تدمي 95
- الجمعة على اثنين من رجلا 47
- الجمعة على من سمع النداء 45
- الجمعة واجبة على كل قرية 47
- جهد النفس 73
- حسن انظر بالله من حسن 144
- حق المسلم على المسلم خمس 227
- حتى على كل مسلم 45
- حل الذهب للإثاث 295
- الحلال بين 156
- الحلف مطلق 173
- الحمد لله الذي أحيانا 125
- الحمد لله الذي أطعم 290
- الحمد لله الذي أطعمنا 125، 240
- الحمد لله الذي عافاني 124
- الحمد لله حياءً كثيراً 125
- الحمد لله رأس الشكر 117
- الحمد لله كثيراً 290
- حوالب ولا حياء 324
- الحياء من الزينان 155
- الحياء والحي شيعتان 312
- حيث تواسوا على الكفر 101
- الخازن المسلم الأمين 13
- الخالة أم 261
- الخاف بمنزلة الأم 262
- خالفوا المعتزكين 295
- خذوا عني 247
- خذوا له مثلاً 244
- خذوا من الأعمان ما تطيقون 35
- خذني ما ينجيك وولدك 226
- الخواج بالفسان 174
- الخمر من هاتين الشجرتين 254، 241
- ختموا الآية 299
- خمس لا جناح على من فتلن 91
- خمسة لا يسمعون عليهم 47
- خياركم أحاسنكم أخلاقاً 130
- خير الدعاة دعا يوم عرفة 102
- خير الصلوة ما كان من ظهر خشي 73

- نوح من الدنيا وما فيها 266
- خير من صيام شه 266
- خير ساء زكي الإبل 170
- حب يوم طمعت عليه الشمس 44
- حيرها الثأل 305
- الحبل مضمود فم من سها الحبر 249
- دج ما يريك 50
- الدماء من العباد 15
- دعي انظت 66
- لدنيا متاع 190
- نية الكافر تصف 235
- دين العرب مثله 117
- دينار أفتت في سبع 71، 135
- ذلك أفضل أمرك 74
- دعك الخطأ 81
- دعك المنعروك بالأمر 83
- الذنوب بالذهب 156
- الذي شرب في إثم النضة 268
- الرزق الصالحة جز 116
- رب كاذبة في الدنيا 26
- ربنا الله الذي في أسماء 43
- رعد الله رجلاً سمحاً 73
- وحكمت الله يا أيها هويرة 133
- ربه العلي 139
- رسول الرجل إلى الرجل 367
- الرغب تأكله وتهذب 74
- رقع العلم عن ثلاثة 21
- ركعتي الأمر خير 34
- زك اللسان كما 248
- الزهد في الدنيا 133، 154
- انشاعني على الأرض 135
- ساء المسلم قسوق 313
- سحاح الله وجمعه 27
- سبحانه الملك القدير 27، 28
- سبحانه ربي الأعلى 38
- سبحانه ربي العظيم 17
- سبحانه اللهم ربنا 13، 13
- سبحانه اللهم سبحانه 324
- سبعة بطعم الله 65
- سبع السعدون 109
- سيوح قدوس 17، 3
- سجد وسجدي للذي خلقه 11، 1-5
- لسغي قريب من الله 84
- سقدوا 37
- السفر فضة من العباب 304
- اسلام عليكم ما أهل اديار 50
- السلام عليكم يا أهل الخير 59
- اسلام عينا وعلى عينا الله 10
- سمع سامع بحمد الله 121
- السمع والمعاذ على الله 232
- مشوا إذا أنتم شريتم 273
- صفوا بالسمي 3، 6
- سيروا سن المقررون 144
- النظم في امرأة 151
- اثنت الفل 6
- الشفعة فيما لم يقدم 175
- ثمت أغانك 306
- الشهد خمسة 52
- شهرا بعد لا نقصان 79
- شيطان ينج شيطنة 298
- الصائم استطوع أمير 67
- صدقة تسمى الله بها 36
- من قاتلاً 36
- صلاه الجماعة تفضل 44
- الصلح حذر بين المسلمين 17
- صلوا بالبين والناس يوم 25
- الصيام حنة 79
- ضرب الله موطاً 135
- طعام الأتيز كافي للبلاد 132
- الظهور شعر الإبر 159

- الظفر يركب بفخذه 176
- المائدة في عت كالكلب 178
- عادي الأرض لله رسولہ 61:
- الفخج والنج 94
- محجب الله من قوم 243
- الحماماء جوار 241
- عشر متروك 305
- العطاس والتعاس والتأرب 22
- على كيد ما أحدث 242
- على كل سلاسل ابن آدم 30
- عليكم بقيام الليل 26
- عليه العقوبة 252
- العمرة إلى المسرة كفارة 89
- عن الغلام شأنان 224
- غرة عبد أو أمة 226
- الغلام مرتفعين بعبقته 224
- الغيرة غيرة 41
- فإذا قال ذلك أصاب 10
- جاك عدلوا فلا تنقسم 72
- فإنه أخرى أن يؤدم بينكما 192
- فإنه احتلاس 21
- فإنه راحه أهل النار 21
- فأولت الرقبة ليا 303
- فأحلق رأسك 102
- فتلك العدة التي أمر الله 220
- فواش للرجل 298
- فصل ما بين الحلال والحرام 197
- فصل ما بين صيامنا 80
- الفطرة خمس 295
- فذكر ساحة خير 126
- فلا تعطه مالك 241
- فلا تنديروا على صلاة 78
- فلا يرقث ولا يصحب 84
- ما يركع ركعتين 7
- قطعكم عنه 83
- عن الله بإسرائيل نفس 286
- حين مثل موفها فلا يخط 22
- في الأنف إذا أربع 240
- في العقل الذية 240
- في كل ركعتين التحية 7، 10
- فنان لا يرب 188، 214
- قال الله تعالى: أعلم عبيدي 115
- قال الله تعالى: فسعت الصلاة 105
- قال الله تعالى للرسم 136
- قاله تعالى: أنا عبد ظن عبيدي 109
- قال تعالى: من جاء بالحسنة 110
- قال تعالى: من عادى لي ولياً 110
- قد أذن الله لكن أن تخرجن 193
- قد احتضرتن بعضائهن من النار 152
- القصص ثلاثة 257
- القطيع فيما بلغ 251
- دعوا على مشاعركم 87
- قوموا إلى سيديكم 306
- كان عليك إثم الأريسن 263
- كان في بني إسرائيل رجل 129
- كان لا يعرف إلاقى 84
- كان يفتح على إمامهم 282
- كانت له عدل 113
- كسيلة على صفوان 44
- كفاية الضم إذا لم يسم 315
- كفروه في توبه 55
- كل عطية ليس فيها تشبه 47، 197
- كل شراب أسكر 291
- كل عمل ابن آدم يضاعف 78
- كل كلام لا يبدأ به بالحمد 197
- كل ما خرق وما أصاب 285
- كل مسكر خمر 253 - 254، 291
- كل مصور في النار 297
- كل، فاني أناجي 289
- كلوه إن شتم 285

- كم من مصلّ يسأل له 24
 كن في الدنيا كأنك غريب 153
 الكسبي مر دن عنه 148
 كيف يستدفعه 221
 كيلو شعاعكم 256
 ليس عشت إن شاء الله 276
 لمن كنت أغضبتهم 135
 لأن يتصدق العراء 12
 لأن طبع أحدكم يبعث 315
 لأن ستنزل جوف أحدكم فيحرق 312
 لا أظن خلافاً وملاقاة يبرفان 313
 لا اثنين أحدكم يهبي 272
 لا إله إلا أنت سبحانه 21
 لا إله إلا الله الحكيم 31
 لا إله إلا الله الحليم 125
 لا إله إلا الله ليس لها 23
 لا إله إلا الله وحده 29، 29، 24
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له 11
 لا يأس أي تأخذما 173
 لا تأثروا النساء في أديارهن 207
 لا تؤخروا الصلاة 40
 لا يبدش المرأة المرأة 194
 لا تباع حتى تفصل 168
 لا يبدؤوا وليهود 305
 لا يبيع - ليس عندك 170
 لا تبرؤ صلاة الرجل 7
 لا تجعلوا زينة فري عبداً 129
 لا تجوز شهادة غائب 258
 لا تعرفه الرخصة والرفعت 305
 لا تحقرن جرة لجارتها 178
 لا تحلفوا بآياتكم 314
 لا تحسروا ليلة الجمعة 32
 لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا 309
 لا تسأل المرأة طلاقاً أعتها 192
 لا تسيروا الأموات 37
 لا تسعين غلامك يسيراً 219
 لا تسيروا في آية الذهب 299
 لا تصعب الملائكة رفقة 209
 لا تغالروا إليها 29
 لا تصوموا حتى تزوا الهلال 76
 لا تمس في سدفك 74
 لا تغالروا في الغنم 36
 لا تصعب 134
 لا تغفلوا أولادكم سرّاً 208
 لا تطلع الألبني في الغزو 271
 لا تطلع يد الماين إلا 251
 لا تغربوا: السلام على الله 10
 لا تغربوا: الكرم 211
 لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان 312
 لا تقوموا كما يقوم الأديم 226
 لا تكثروا الكلام 11
 لا تكون موت حتى تكون 149
 لا تلبسوا القميص 91
 لا تلبسوا على المنجيات 94
 لا تلبسوا في المسألة 71
 لا تقروا تركيف 171
 لا تنفروا 314
 لا تنق امرأة شبقاً 74
 لا تنكح لبيب حتى تستأمر 196
 لا تنكح المرأة على عمتها 202
 لا ترحأ حامل حتى تضع 221
 لا حسد إلا في اثنين 132
 لا حش إلا لله ورسوله 161
 لا حول ولا قوة إلا بالله 118
 لا رب إلا هي السيدة 165
 لا صلاة إلا بقائمة 7
 لا صلاة بحضور طام 40
 لا صلاة بعد الصبح 32
 لا صوم في يومين 82
 لا طلاق فيها لا يملك 214

- لا ضلّاق قبل النكاح 214
- لا ضلّاق ولا عساق 214
- لا تبع في ثمر معلن 252
- لا كسرى ولا فحصر 264
- لا ميثاق إلا لله 310
- لا يستعمل من سلب العمل 333
- لا مكاح إلا بولي 136
- لا يأكل أحدكم شاة 287
- لا يؤمن أحدكم حتى أمروا 109
- لا يقتل من أحدكم وضار 80
- لا يدين أحدكم الصوت 93، 103
- لا يجمع الضع والأضاح 64
- لا يحد فوق عشر 227
- لا يجمع بين المرأة وعمتها 304
- لا يزوج أحد بنته فذهب ثمر 339
- لا يحرم من الرضاع 204
- لا يحل بيع ويستف 170
- لا يحل ذو امرئ مسلم 238
- لا يحل لأمرئ يؤمن بالله 221
- لا يحل لامرأة أن تصوم 135
- لا يحل لرجل أن يفرق 308
- لا يحل للمرأة أن تصوم 32
- لا يحل أن يمارى صاحبه 161
- لا يحدثن في عذرك شيء 285
- لا يخرج الرجلان عصياك 225
- لا يحلط لرجل على خطبة أخيه 192
- لا يحد رجل بأمرأة 194
- لا يزوج الحرة من كان 143
- لا يرث المسلم الكافر 128
- لا يرد القضاء إلا بالدعاء 116
- لا يزال الله يحلي مملأ 22
- لا يزال الناس بخير 30
- لا يدين أحدكم 303
- لا يدين أحدكم إلى أخيه بالسلاح 242
- لا يصير على لأواء المسلمة 173
- لا يصوم أحدكم يوم الجمعة 32
- لا يخلق الرحمن الرحمن 76
- لا يترك مؤمن مؤمنة 205
- لا يقضي لرجل إلى الرجل 194
- لا يفعل ذلك في السجود 17
- لا يهادي الله ما يؤلفه 236
- لا يخلو المؤمن إلا 253
- لا يقتل مسلم وكافر 215
- لا يقضي حكم بين اثنين 257
- لا يقعد قوم ياتونكم 102
- لا يقولن أحدكم: خيبت نفسي 312
- لا يقولن أحدكم: عدي 111
- لا يقسم الرجل الرجل 307
- لا يكتم أحد ذو عيني الله 266
- لا يلعن الله رجلا يلعن 194
- لا يسمون أنفسهم 39
- لا يسمون أحدكم إلا 54
- لا ينفي نعمة مسلم أن يحبس 56
- لا يطرأ من رجل إلى حوزة الرجل 94
- لا يظن الله يوم القيامة 203
- لا يفرق أحدكم 95
- لا يفتح المحرم 91
- لا يوافقها مسلم يقبل 46
- لا ما أقاموا فيكم الصلاة 212
- لا يثبث الله 95
- لا تبين من كان قبلكم 328
- لا تصوم صوفكم 43
- لا تصدقوا 58
- لا تحلفن على لعنكم 80
- لا تملك فكت 246
- لا تلعن من الخمر 231
- لا تلعن الله الذواجر 217
- لا تلعن الله الزانيات 246
- لا تلعن الله اليهود والنصارى 58
- لا تلعن رسول الله ﷺ المحل 215

- لقد رأت توبة لو فسدت 245، 246
 - لقد تابعت توبة لو فاجه 248
 - لقد رأيت (أمرت) أن أتجوز 312
 - لقد قلت بعدك أربع ذراعا
 - لقد كان قيس قبلكم محدثون 146
 - لقد حسنت أن أنهي عن القيلة 208
 - لقنوا موتاكم لا إله إلا الله 94
 - لك الحمد لا إله إلا أنت 119
 - لكل حق حقيقة 146
 - لكل نبي دعوة مستجابة 117
 - الجنة أبواب شاذية 54
 - للصابغ مروحان 78
 - للمملوك طعام 257
 - لله أشد فرحاً 129
 - ثم تحن الضائم 274
 - لم ألتجئ من الدعاء 10
 - لم يسط أحد سيكم توبه 326
 - لم يكن بأرض قومي 281
 - لما خلق الله آدم قال 305
 - لن يبلغ قوم ولوا 230
 - الله أكبر الله أكبر 126
 - اللهم أسلمت نفسي إليك 174
 - اللهم أسلح لي ديني 114
 - اللهم أعط مستكراً ثلثاً 62
 - اللهم أعط مدفقاً خلفاً 60
 - اللهم إن فلان ابن فلان 57
 - اللهم (يا ربك) في سفرنا 124
 - اللهم أنت السلام 19، 20
 - اللهم أنت ربي 118
 - اللهم إني أعوذ بك 86
 - اللهم إني أسألك خبر المولج 124
 - اللهم إني أسألك خير ما 177، 125
 - اللهم إني أسألك من فضلك 125
 - اللهم إني أمنت بك 31
 - اللهم إني أعوذ بك 18، 28
- اللهم إني أعوذ بك من التهم 24
 اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا 27
 اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم 19
 اللهم إني اتخذت 117
 اللهم إني ظلمت نفسي 19
 اللهم أهله علياً 124
 اللهم اجعل حبك 48
 اللهم اجعل في قلبي نوراً 127، 125
 اللهم اسق مبادك 32
 اللهم أسعنا غيثاً 33
 اللهم غفر لأبي سلمة 55
 اللهم غفر اجنابنا وميتنا 57
 اللهم اغفر له وارحمه 57
 اللهم اغفر لي 18
 اللهم اغفر لي خطيئتي 118
 اللهم اغفر لي ذنبي 18
 اللهم اغفر لي ما قدمت 19
 اللهم اكف لي بها عندك أجراً 23
 اللهم اكفني بحلالك 121
 اللهم اعطني قيمين هديت 25
 اللهم بارك لهم 124
 اللهم باسمك أمور وأحيا 125
 اللهم باعد بيني وبين خطاياي 13
 اللهم رب هذه الدعوة التامة 126
 اللهم ويدا لك الحمد 17
 اللهم صل على محمد 19
 اللهم طهرني بالتطهر 17
 اللهم عذام القيت بالشهادة 141
 اللهم لا تنفنا بغضبك 125
 اللهم لك الحمد 127، 125
 اللهم لك الحمد كما حسنته 394
 اللهم لك ركعت 17
 اللهم لك سجدت 18
 اللهم لك صمت 81
 اللهم منزل الكتاب 124

- لو أني استقلت من أمري 98
- لو اطلعني بينك أسد 241
- لو سترته بثوبك 248
- لو يعطى الناس مدحهم 258
- لو يعلم العار 5
- لو يعلم الناس ما في الوعدة 309
- لو لا أن أشتق مني أمي 45
- لو لا حدثان قومك 6
- لو أنفاجد بجل حرف 177
- لو راجعها ثم ليسكها 215
- لو من الشهد بالصرعة 134
- لو من العن من كثرة المرض 132
- لو من الكذاب الذي يصلح 113
- لو من على المسلم صدقة في عبده 66
- لو من على خاني 252
- لو من فدا دون عتبة أمي 66
- لو من لابن آدم حق 132
- لو من لك على أهلكت هوان 2:2
- لو من لولي أن يدخل بيتاً مزوقاً 299
- لو من من أثير العيام 83
- لو من من حب امرأة 211
- لو من من ضرب العذود 58
- لو من من لم يرحم صغيرنا 116
- لو من من من أشي 292
- لو من من من أمي أقوام 298
- لو من منكم أولو الأحلام 42
- لو من من أقوام من ودهم 45
- لو من للمؤمن كالمؤمن 134
- ما إغالك مرفت 252
- ما أسكر كثيره 254
- ما ألقى المؤمن من نفقة 299
- ما ألقى القدم وذكر اسم الله 285
- ما أوتي أحد عطاء 154
- ما حق امرئ مسلم 179
- ما زال يكلم الذي وأيت 29
- ما زال حبرول يوصيني بالجار 156
- ما عنكم ألا فعلوا 207
- ما كان من شرط 174
- ما كان يعد هذا 294
- ما لك الشيطان سالكاً فدا 313
- ما من أحد يدعو بدعاء 156
- ما من أحد يستلم علي 120
- ما من ثلاثة في قرية 40
- ما من شيء إلا يستبح 25
- ما من صاحب ذهب ولا فضة 63
- ما من عبد يستريحه الله 233
- ما من قوم يقرمون 111
- ما من مسلم نصيه حمية 55
- ما من مسلم يصيبه أذى 51
- ما من مسلم يلي 96
- ما من مسلم يموت 57
- ما من نبي إلا كان له حواصيت 328
- ما من يوم أكثر 191
- ما هناك نكرومات 47
- ما يزال عبدي يتقرب 150
- ما يقطع من أبيهية 284
- ما أنزل 26
- المصائب على كل واحد منهما بالخيار 161
- مثل نعمتي مثل المطر 313
- مثل الذليل والمتصدق 157، 164
- مثل المؤمن كمثل العامة 51
- مثل المؤمنين في توادهم 135
- مثل المعاهد في سبيل الله 265
- مثل له شجاعة أقره 63
- مثله كمثل الذي بهلي 72
- المرأة عورة 193
- مرأ أولادكم بالصلاة 226
- مرره فليتكلم 315
- المسلم أخو المسلم 135
- المسلم من سلم المسلمون 134

- البسحون شركاء 172
- البسحون على شره ولهم 181، 262
- مظل القبي ظم 197
- مع، انلام عقيقة 224
- مغبلاً (أي 2) بوجهه 5
- مئت مريهم وعجمهم 264
- فلعون على لسان محمد 108
- من أحب أن يسط له 136
- من أحب أن يخلق 293
- من أحب لقاء الله 51، 149
- من أحب أرضاً ميتة 160
- من أخذ شراً من الأرض 242
- من أسلف في شيء 199
- من أصابه بغية 244
- من أعقق رغبة مطلقة 228
- من اعتق شخصاً 273
- من أعطى عطاء 177
- من أعطى في صداق امرأته 199
- من أقال أخاه المسلم 174
- من أكبر الكبائر حقوق الوالدين 228
- من أكل ثوماً 238
- من أنفق زوجين 65
- من أدى إلى مرأته طامراً 27
- من اتع طامراً 170
- من ابتاع سلفاً 173
- من أبقى الفقراء 257
- من أبطى من عدة السات 135
- من أتبع الحيد لها 91، 284
- من أتبع حيازة مسلم 56
- من اتخذ كذاً 298
- من احتبس فرماً 258
- من احتكر فهو خاطئ 171
- من ادعى إلى قبر أبيه 222
- من ادعى ما ليس له 260
- من استمناها على عمل 233
- من أقرى عنتاً 307
- من أكلنا شتم الرجل والديه 196
- من أكلنا عنتي الوالدين 136
- من بات على ظهر بيت 308
- من بات ولني بده غمر 287
- من ترك ليس ثوب 294
- من جدد عده 227
- من جعل قاضياً 257
- من جعل من عداً واحداً 148
- من جهز غارياً 266
- من حلفت شهادته دون حد 233
- من حج ط فلم رمت 84
- من حسن إسلام امرء 156
- من حلف بغير الله فقد أشرك 314
- من حلف فقل في حلفه 314
- من حلف فقال: إن شاء الله 315
- من حمل علينا السلاح 242
- من خاف لا يؤمن من آخر الليل 28
- من رأى من أميره شيناً 232
- من رأى منكم زكياً 147
- من دس بينهم 268
- من ذبح في أرض قوم 261
- من مال الناس ليبري 71
- من سرق منه شيئاً 252
- من سره أن يفتل له لرجال 306
- من سره أن يسحب الله 176
- من سره أن يتبعه الله 176
- من سرى الغسر في الدين 254
- من شرب الخمر لم يقبل 254
- من صام رمضان فأتبعه 85
- من صام شهر رمضان 78
- من صلى استأمن ولصبح 77
- من صلى الغداة في جماعة 24
- من صلى ركعتين لا يحدث 148
- من صلى صلاتنا 8

- من صلّى عليّ صلاة 114
- من صلى قائماً بهو أفضل 38
- من صنع إليه معروف 178
- من صور صوراً عذب 297
- من ضرب حلاًماً له 228
- من طاف بهذا البيت أسبوعاً 101
- من ظلم قيد شير 134
- من عد مريضاً 136
- من عدى لي ولأبى 150
- من عرض عليه وبعث 178
- من عزى مصاباً 59
- من فتح له باب من الدماء 116
- من فرق بين والده وولده 175
- من فطر صائلاً 81
- من قاتل لتكون كلمة الله 265، 267
- من قال قبل أن يعصرف 20
- من قالهن ثم مات 121
- من قام رمضان 7
- من قام رمضان إيماناً 29
- من قام ليلة القدر 78
- من قام من مجلسه 308
- من قتل مصفوراً فما فرقه 284
- من قتل في عبة 236
- من قتل ورعاً 282
- من قذف معلوكه 227
- من فعل مفسداً 111
- من كان آخر كلامه لا إله إلا الله 54
- من كان في حاجه إليه 135
- من كان له عاملاً 233
- من كان له شعر فليكرمه 296
- من كان سه فليقل ظهر 132
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ
بناؤه 134
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً
313
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
ضيفه 290
- من كانت له حمرة 83
- من لا يرحم الناس 135
- من ليس الحرير 294
- من ليس لوب شهرة 294
- من لعب بالترد غير 249
- من لقيني بتراب الأرض 110
- من لم يجمع الصوم 81
- من لم يشع قول الزور 84
- من لم يرحم مجيراً 305
- من مات وعليه صوم 83
- من ملك ذا رسم 227، 228
- من ملك زاداً 89
- من نام عن حربه 35
- من نذر نذراً في مصيبة 315
- من نسي وهو صائم 82
- من وجد عين ماله 243
- من وجلتموه يعمل عمل قوم لوط 249
- من يعرف الرقة 134
- من يستغفك بسفه الله 72
- من يطع الأمير فقد أطاعني 232
- السجيم كاهن 165
- منظر نلراً لا يطيقه 315
- مهر ابني عيت 168
- المعين بحث في ثيابه 56
- نحرث منها 100
- نحن الآخرون السابقون 45
- نزل الحجر الأسود من الجنة 101
- نعم الأدام الخلل 289
- نعم الصلاة عليهما 136
- نعم (المصعة السيف) 330
- نهيكم عن زيارة القبور 59
- هذبة على دخن 331
- هذا أثبتهم عليه خيراً 57

- هذه الأوقات أوقات نزول الرحمة 35
- هذه وهذه سواء 251
- هل رأيتما 192
- هلك المستظعون 312
- هو لك يا عبء بن ربيعة 267
- هو من أهل الدار 325
- هي هرب ورحب 330
- رأينا غلاماً فإنكم تظنمون 69
- رأيكم مثلي 81
- والذي نفسي بيده إنه 255
- والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً 72
- والذي نفسي بيده لقد هممت 40
- والذي نفسي بيده لو تدومون 147
- والله لا يأخذ أحدكم شيئاً 134
- والله لا يؤمن الذي لا يؤمن 136
- والله ليبعثه الله 101
- وحشاً فرمكم حفاً يحرأ 326
- الولد للغراش 222
- ولكن عليكم بالفضة 295
- وعلى يكذب الناس لمي النار 131
- يؤم القوم أقرؤهم 41
- يا أبا ذر إذا سمعت 85
- يا أبا ذر إذا سمعت 136
- يا أيها الناس قد فرص 88
- يا ابن آدم اركب لي أربع 30
- يا ابن آدم مرغت 52
- يا بني عبء صاف 33
- يا حكيم إن هذا المال خضر 132
- يا صاهدي إني حورت الظلم 129
- يا فاطمة اسطفي رأسه 224
- يا عبشر التجار 173
- يا عبشر الثياب 189
- يا جزئي عن الجسد عفا إذا مروا 106
- يا ليت العليا غير 10
- يا دخل الجنة من أمشي 143
- يا ذهاب الضالعين الألب 328
- يا زعم الله مني 331
- يا شهاب الكعد ما لم يدع 117
- يا سلم الصغير على الكثير 305
- يا عدل بين اثنين صدقة 71
- يا عقد الشيطان حلي فاقوة 26
- يا عمدة الرجل إلى حسر 295
- يا فائلكم قوم صغار الأعين 332
- يا فائلون خير فرقة 326
- يا قول الله اليوم أمنتك فضلي 172
- يا كلهم أحد في سبيل الله 265
- يا كرون إبل للشياطين 298
- يا ميمتك على ما يصدقك 315
- يا ماعل الومعة 329
- يا نزل ربنا نياوك ونعالى 26



فهرس الاعلام

- إبراهيم ٢٢٨ ٤٨، ٨٦، ٩٩، ٩٩، ٩٤ - أم سلمة ١٥٠، ١٢١، ٢٩٥
 ٥٣، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢١٨ - أم سالم ٢٢٠، ٢٢٤
 أبو الأس ٦٥ - أم سعيد ٢٢٢
 أبو العهم ٢١٢ - أس من مالك ١٤٩، ٢١٢
 أبو الدرقاء ١٢٤ - الأوزاعي ١٥٨
 أبو بكر الصديق ٣٢، ٦٥، ٦٥، ١٤٥ - أبي الهمام ١٩
 ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٣٩ - أبي طالب ٢٠٩
 ١٩٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢١٢ - البراء بن عازب ٢٦١، ٢٦٢
 ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤ - برة ٢١٢
 أبو حميد الساعدي ٢٢ - لائل (المحفوظة) أبي ١٨١، ١٩٩، ١٥١
 أبو رافع ٢٢٢ - ١٢٦، ١٢٩، ٢٢٢
 أبو مفلح ٢٢٦، ٢١٢ - بنت حمزة ٢٢٤، ٢٢٦
 أبو مسند ٢٥ - شعور ٢٢٢
 أبو طالة ٢٢٩، ٢١٨، ٢٢٠ - ثوبان ١٢
 أبو طلحة الأنصاري ١٥٢ - جابر بن سمرة ٢١٢
 أبو ضبة السراج ١٥٢ - جابر بن عبد الله ٩٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٩٢
 أبو نباهة بن العنبر ١٥٢ - ٢٢٩، ١٢١، ٢٢٤
 أبو مسلم الحراساني ٢٢١ - جبريل ٢٢٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٢٦، ١٢٨
 أبو هريرة ١٢، ١٤، ١٢٠، ٢٢٨، ٢٢٦ - ٢٢٢، ٢٢٢
 أبو حنيفة ١٩ - جبر بن مطعم ١٢، ١٥٤
 أبو ذر ١٢٠، ١٢٦، ١٢١ - جبر ٢٢٦
 أم سلمة ١٥٢ - جعفر بن أبي طالب ١٥٩، ١٤١، ١٤٢
 أبو سعيد الخدري ٥ - ٢٢٦، ٢٢٢، ٢٢٢
 الأبيض بن حماد السعدي ١٥٢ - البيضاء ٢٩
 أروى بنت أوس ١٥٠ - النجدة ٤٤
 أسماء بنت عيسى ٩٥ - جديرة ١٢، ١٢
 إسحاق ٢٢٢، ٨٦، ٨٧، ٩٤، ٢٢٢ - الحجاج ٢٢٢
 أم أبي هريرة ٢٢٦ - حنيفة ١٠٥، ٢٢٠

- حزقيال 320
- حسان بن ثابت 312
- الحسين بن علي 24، 69، 274، 329
- حفصة 83
- حمزة 131، 271
- حنيفة الأسدي 147
- حاتم بن الربيع 327
- حذيفة 315 - 320
- الحنظلي 315
- داود 84
- ذر الخويصرة 326
- رافع بن خديج 181
- رفاعه 213
- الزبير بن كعوام 151، 161، 262
- الزهري 206، 259
- زهراء 261، 262، 325
- زيد بن أرقم 68، 313
- زيد بن ثابت 170، 181، 188
- زيد بن حارثة 107، 141
- زينة 323
- سالم بن عبد الله بن عمر 37
- المشرك 3
- سراقه بن مالك 327
- سعد 267، 306، 323
- سعد بن أبي وقاص 150، 321
- سعد بن معاذ 152
- سعيد 150
- السخاح 331
- سلمان الفارسي 14، 151
- سلمة بن الأكوع 273، 325
- سورة 193
- صير النبي ﷺ 116
- شريح 188
- شعيب 176
- عائشة 5، 11، 12، 20، 41، 46، 54
- 82، 86، 95، 96، 101، 195، 198،
- 203، 205، 222، 224
- عامر بن عبد الله 158
- عبادة بن الصامت 28
- العباس بن عبد المطلب 59، 231
- عبد الله بن أبي 150، 313
- عبد الله بن الزبير 330
- عبد الله بن رواحة 325
- عبد الله بن زيد 322
- عبد الله بن سلام 322
- عبد الله بن عباس 5، 19، 23، 44،
- 69، 94، 96، 101، 179، 181،
- 188، 198، 235، 239، 246، 256
- عبد الله بن عتبة 323
- عبد الله بن عمر 12، 28، 36، 38، 80،
- 95، 97، 146، 147، 215
- عبد الله بن مسعود 12، 16، 19، 28،
- 66، 105، 142، 151، 172، 185،
- 188، 197، 236، 307، 313
- عبد المطلب 237
- عبد الملك بن مروان 330 - 331
- عبد بن زعفة 262
- عثمان بن عفان 37، 148، 188، 231،
- 247، 251، 273، 329 - 331
- عثمان بن مظعون 190
- العلة 215
- عقب بن رافع 303
- علي بن أبي طالب 5، 12، 28، 47،
- 58، 66، 68، 100، 105، 151،
- 231، 247، 248، 256، 258، 261 -
- 252، 271، 311، 326، 327، 330
- عمرو بن باس 151
- عمر بن الخطاب 19 - 20، 23، 29،
- 37، 57، 66، 94، 143، 145، 149،
- 151 - 153، 169، 180، 188، 191،

- 193، 149، 207، 215، 221، 231، - لشكرت 240
- 247، 270، 274، 332 - نصيب بن عيسى 151
- عمرو بن حزم 85 - المظالم 234
- عويس العجلاني 218 - معاذ بن جبل (4)، (42)، 274
- عيسى عليه السلام 84، 279، 318 - معاوية بن أبي سفيان 311، 329 - 332
- عاتكة 195، 224، 293، 306 - المقتدر 251
- دعبل بن كذا - مسعود بن (84)، (113)، (127)، 318 - 321
- فضالة 162 - مسرة 91
- فحصر 323، 324، 329 - العجاني 147
- فكري 318، 321، 325، 329 - نعمان بن بشير 32
- كعب بن الأشرف 323 - النوائل 24
- كعب بن حجرة 12، 102 - نوح عليه السلام 84
- كلة بن الحارث 307 - حاجر عليه السلام 95
- لقمان عليه السلام 35 - هرثل 318
- ماعز بن مالك 248 - حلاق بن أمية 218
- مالك بن أنس 12 - هند بنت عتبة 218، 226، 313
- زناديقي 323 - واثق بن حجر 12
- زنجرات 207 - ووفه بن توفل 319
- محمد ابن الحنفية 304 - يزيد بن معاوية 330، 333
- المخار النفص 330، 331، 333 - يوسف عليه السلام 157
- مروان 333

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
 الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

فهرس الموضوعات

5	النية
6	الأمر الذي لا يسهل في الصلاة
12	أذكار الصلاة ومبانيها عندئذ بها
21	ما لا يجوز في الصلاة وسجود السهو والتلاوة
21	ما لا يجوز في الصلاة
22	سجود السهو
23	سجود التلاوة
24	التوافر
34	الاقتصاد في العمل
36	صلاة العملين
39	الجماعة
44	الجمعة
47	العيدان
50	الحائز
60	من أبواب الزكاة
62	فضل الإتيان وتعمية الإسلام
66	مقايير الزكاة
68	النصارى
72	أمر يتعلق بالزكاة
75	من أبواب الصوم
77	فضل الصوم
79	أحكام الصوم
83	أمر يتعلق بالصوم
87	من أبواب الحج
90	صفة المناسك

95	قصة حبة الرزاق
101	أمور تتعلق بالصح
104	من أبواب الإحسان
109	الأذكار وما يتعلق بها
126	بقية مباحث الإحسان
136	المقامات والأحوال
160	من أبواب ابتغاء الرزق
164	البيع المنه عنها
173	أحكام البيع
177	الشروع والتعاون
181	التراض
189	من أبواب تدبير المنزل
189	الخطبة وما يتعلق بها
193	ذكر العورات
196	صفة الكاح
202	المحرمات
206	كذاب انباشرة
209	حقوق الزوجية
213	الطلاق
216	الخلع، والفطهر، والنمان، والإبلاء
219	العدة
222	تربية الأولاد والمعالين
223	المقينة
229	من أبواب سياحة العرب
230	الخلافة
234	المقاتل
244	الحدود
256	القضاء
263	الجهاد

277	من أبواب المعاني
278	الأطعمة والأشربة
284	آداب الطعام
290	المسكنات
293	الملابس والزينة والأواني ونحوها
304	آداب الصحة
313	ومما يتعلق بهذا العبد أحكام النور والإيمان
316	من أبواب طهر
316	صبر النبي ﷺ
327	الفرز
332	المتأهب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيد المرسلين
آل محمد الطيبين الطاهرين